

أحمد مصطفى زكريا

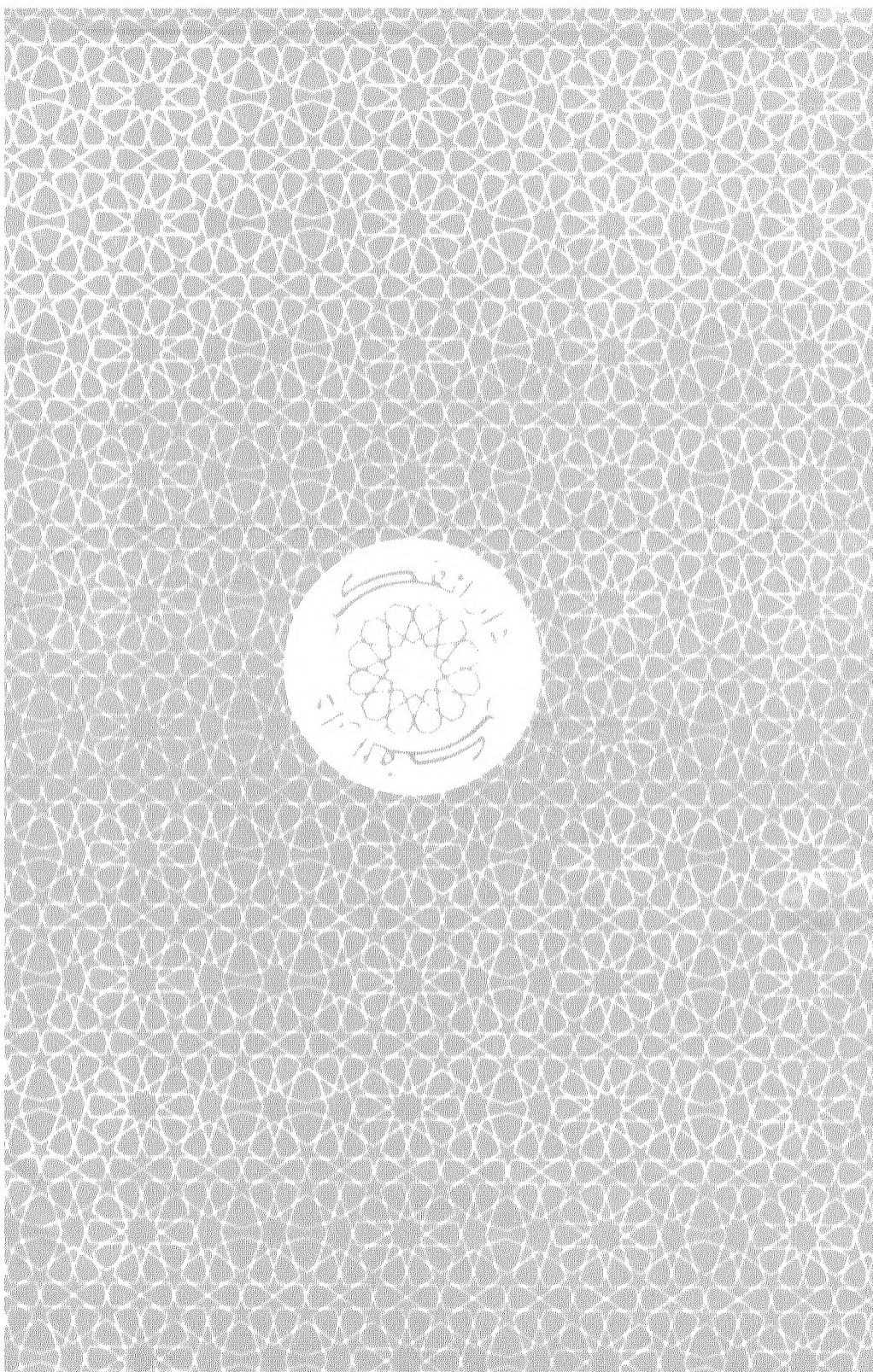
عشائر الشمال

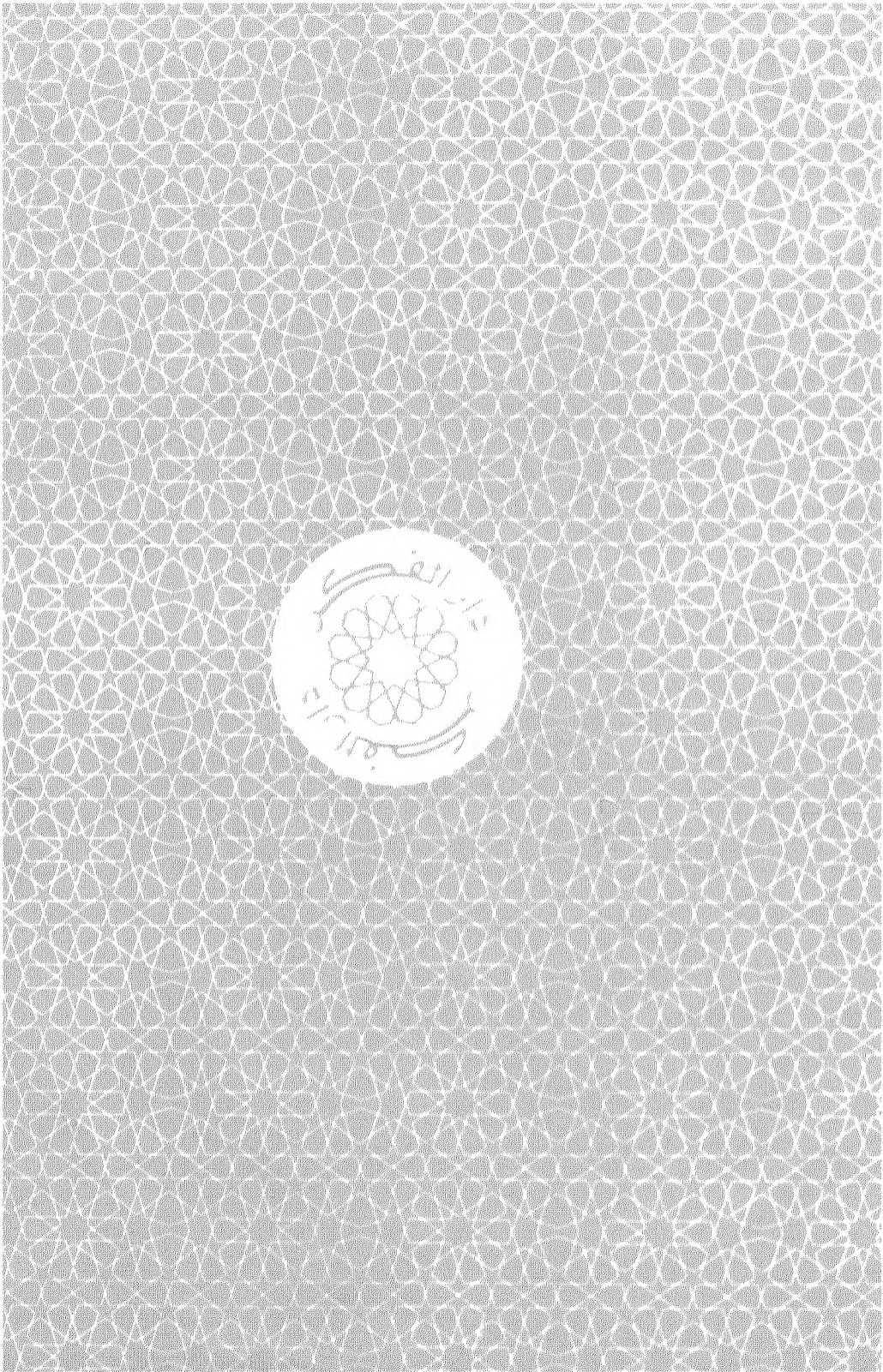


دار النشر
بيروت - سورية

دار النشر
بيروت - لبنان







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَشْرًا الشَّعْبَانِ

عَشْرَةُ الشَّعْبِ

يبحث في جغرافية بادية الشام وتاريخها وعمرانها
والأخلاق والعادات والشرائع في المجتمع البدوي
وأنساب العشائر المتبدية والمتحضرة وأوصافها
وأخبارها في كل محافظة وقضاء

٢ - ١

بِقَلَمِ
أحمد وصفي زكريا

قدم له

المحامي أحمد غسان سبانو

دار الفكر

الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
ط ١ : ج ١ (١٩٤٥) ، ج ٢ (١٩٤٧)

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ،
كما يمنع الاقتباس منه ، والترجمة إلى لغة أخرى ،
إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

طبع بأجهزة (C. T. T. السويسرية) للصف التصويري ،
وبالأنفست في دار الفكر هاتف (١١١٠٤١/١١١١٦٦) ، برقياً (فكر)
ص.ب (٩٦٢) دمشق - سورية Tx FKRMGS 411745 Sy



من ابن إلى أبيه

بقلم غسان وصفي زكريا

يا أبي ، لو جئت أختصر سيرتك في سطور لقلت : إنك حققت أعمال عمالقة
بقدره رجل فرد .

لقد ربيت - في مطلع القرن - يتيماً ، بعدما سقط والدك - جدي - قتيلاً على أرض
الين عام ١٩٠٤ ، حين كان بمقدوره أن يموت على فراش وثير في « قسطنطينية »
العثمانيين . فدرست الزراعة ثم التاريخ ، في وقت كان بإمكانك أن تدرس فيه الطب أو
الهندسة ، ثم درّستها وثقّفت بها أجيالاً من الزراعيين والمؤرخين والباحثين في كل من
الشام ولبنان وفلسطين والعراق والأردن واليمن « الشمالي » أيضاً .

لقد خطّطت ورسمت ، وكتبت وألّفت ، فجندتك الحياة - هكذا اعتقدت - لمهام
عظام ، بعضها تثقيف الناس ، وبعضها تعليمهم ، لذا ما كان الليل والنهار لك غير حركة
ونشاط ، وعمل وإنتاج ، ضَغَطَ على كلِّ ما فيك حتى الدماغ ، الذي انفجر ، فكبأ بك
جواد « الحياة » قبل تسعة عشر عاماً .

طلّبتُ مني دمشق - بعضٌ من رجال دمشق - أن أتسلق ذروة التأمل عبر الأفق
الخفي ، لأسجل كلمة عن كتبك التي يعاد طبعها هذه الأيام ! فإذا بي أكتشف - في ذروة
التأمل - أنني - إذ أكتب عنك - أدحرج لأضرب فقاقيع في أودية الفراغ ! أحسستُ - عبر
كل كلمة - أنني في حفرة ، أحاول تسلقها لأصل إليك ، من قتي السفلى إلى قمتك العليا .
فلقد أخذت الأيام التي مضت على غيابك والسُنون من حياتي أفراحها ، فتعلمت أن
ما كنتُ تُحدثني به في صغري ، عن العلوم وعن الفنون وعن الوطن وحبّه ، هي أجل ما في
بلادنا التي تحيا - هذه الأيام - كما تركتها ، عصر البشاعة ، إذ لم تؤسس صهيون فيها كياناً
ودولة فحسب ، بل كبرت فتدّس سرطانها في رثتي الوطن .

هذه المראה، في سطوري ، لن تذهب هدرًا، فإن لم تكن بُغضاً فغضباً وثورة، أما ماتعلمته على يديك من صلابةٍ وجراءةٍ في الحق، وكرامة، فيتعاطم ويزداد، لكنه لن يلوّثه عبارة تنضح ألماً، فحيث الحقيقة مذهلةٍ مرعبةٍ سأحفظها في أعماق القلب، كما حفظتها أنتَ عبر السنين الخمس والسبعين التي قضيتها ورحلت !

أتألم لبُعدي عنك في دمشق ، حيث تركتك هناك وحيداً في « الدحداح » عام ١٩٦٤ ، وأتألم أن ليس باستطاعتي أن (أزورك) حيث أنت ، فيما تصلني أخبار قليلة ، لازالت تسأل أسرتك عنك بعد غيابك الطويل الطويل ... وأسف ألا أستطيع - رغم وعدي - غير شكر من عمل على إعادة تذكير الشعب بك ، مقالاتٍ في الصحف تنشر ، وكتباً يعاد طبعها ، واقتراحاً بإطلاق اسمك على شارعٍ سكنت فيه ...

كتبتُ هذه السطور - يا أبي - لأنفض عن نفسي ، وعن ذاتي ، ذكرياتي معك ، يوم كُنتَ حياً ، وذكرياتي عنك ، بعدما مضيتَ بعيداً . وأنا واثق - كل الثقة - أن قارئك في « عشائر الشام » سيؤمن معي أنك كنت صادقاً ، وكنت مخلصاً ، وكنت عالماً في الزراعة وفي التاريخ وفي التراث ، وأنتك - حيث أنتَ - تطل من علي ، فرحاً لتجدد الحياة فيك ، عبر تجديد الكتابة عنك ، عبر الحرف ، عبر الكتاب الذي سأقبله - نيابةً عنك - تقديراً لك من دمشق ، ومن الشام اللتين أحبيتَ وعلمتَ فيها وثقفتَ ، وبأرضها قضيت !

فسلام عليك يوم ولدت ، ويوم كنت ، ويوم تبعث حياً .

لندن في كانون الثاني ١٩٨٣

غسان وصفي زكريا

العلامة أحمد وصفي زكريا

بقلم المحامي : أحمد غسان سبانو

عرف كثير منا بعضاً مما ألفه عالم دمشق الكبير أحمد وصفي زكريا ، أوقراً أو سمع ، فهو العالم الموسوعي والمؤرخ المدقق ، يعرف ذلك من قرأ له ، كما يعرف أنه باحث دؤوب ذو شهرة في المجالات العلمية والأثرية والزراعية في سورية وبعض البلاد العربية ؛ فقد قدم خدماته وخبراته لكل من سورية ولبنان وفلسطين واليمن والعراق والأردن ، إضافة إلى جهوده الوطنية وخبرته العلمية .

وقد توفي في الحادي والعشرين من نيسان عام (١٩٦٤) في منزله بدمشق عن عمر يناهز الخامسة والسبعين بانفجار في الدماغ أثناء مراجعته الأخيرة لكتابه المخطوط (حيوانات بلاد الشام) ، والذي لم يطبع إلى الآن .

خمس وسبعون عاماً عاشها دارساً باحثاً ، حتى كان - رغم تقدم سنه - يسرع الخطأ متوكئاً على عصاه متنقلاً من تل إلى تل ، ومن قرية إلى قرية منقباً عن نهر مرا (امرأة) الذي ذكره الرحالة والشعراء ، وقد بقيت آثاره مجهولة حتى قام رحمه الله بالكشف عن بعض أبحاثه وتحديدها ، وأعد بحثاً عنه نشر بعد وفاته في مجلة الحوليات الأثرية .

فن هو العلامة أحمد وصفي زكريا ؟ وما الذي قدمه ؟

ولد عام (١٨٨٩) م في دمشق ، وأتم فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، وانتقل إلى استانبول ، والتحق بالمدرسة الزراعية العليا ، وتخرج منها عام (١٩١٢) مهندساً زراعياً . وقد كانت أولى أعماله أن عين في السليمة بمدرستها الزراعية التي كانت قد أنشئت حديثاً ، ثم أصبح مديراً لها . ثم شغل منصباً في مديرية دار الحرير في بيروت عام (١٩١٤) وفي المدرسة الزراعية في الأطرون (بين القدس ويفا) حيث أدى الخدمة العسكرية الإلزامية

هناك . ثم كلف بمهمة مكافحة الجراد في دير الزور عام (١٩١٦) . وفي عهد الحكومة الفيصلية شغل عام (١٩١٩) منصب مدير مدرسة السلية الزراعية . وفي عام (١٩٢٤) عين مفتشاً لأملاك الدولة . وفي عام (١٩٣٦) استدعي إلى البين مستشاراً فنياً زراعياً ، وقد قدم الكثير هناك ؛ فأدخل أصنافاً من المزروعات الجديدة التي تناسبها البيئة اليمنية . وأقام في البين سنتين ، ورغم استدعاء حكومة العراق له ليدرس في مدرسة دار المعلمين الريفية في بغداد إلا أنه بقي على اتصال مع مسؤولي البين ومختصي الزراعة فيها للاطمئنان عن نتائج أبحاثه وحسن سيرها في حقل الزراعة ، وقد ترك الكثير من الرسائل والأوراق التي تثبت متابعتها واهتمامه بذلك رغم تركه البين .

بقي في العراق حتى عام (١٩٤١) أيام ثورة رشيد عالي الكيلاني . ثم استدعته حكومة شرقي الأردن عام (١٩٤٢) ليكون مديراً عاماً لوزارة الزراعة في عمان . وفي عام (١٩٤٣) عينته الحكومة السورية مفتشاً عاماً لوزارة الزراعة ، وبقي في وظيفته حتى عام (١٩٥٠) حين أحيل على التقاعد لبلوغه السن القانونية . وقد اختارته الدولة في أواخر حياته عضواً في المجلس الأعلى للعلوم والآداب .

عاش العلامة أحمد وصفي زكريا في فترة تاريخية عصيبة ، فقد عاش أواخر أيام الحكم العثماني ، ثم الاحتلال الفرنسي ، وعاش الاستقلال العربي . وكان يجيد اللغة العربية والتركية والفرنسية ، مما يسّر له مصادر كثيرة للبحث وأفاقاً علمية واسعة . وكان شغوفاً بالرحلات والأسفار والدراسات التاريخية والجغرافية ؛ فوفر ذلك له حصيلة علمية وتاريخية وجغرافية وأثرية غنية ظهرت في مؤلفاته التاريخية الهامة التي تركها .

كان رحمه الله رائد العلوم الزراعية في وطننا العربي ؛ فهو أول من أسس المدارس الزراعية في كل من سورية والعراق ولبنان وفلسطين والأردن والبن ووضع مناهجها ، وهو أول من عرب المصطلحات الزراعية وألف الكتب الزراعية ، ولا تزال هذه الكتب من أهم المصادر العلمية الزراعية وأدقها رغم مرور حوالي نصف قرن من الزمان عليها . وقد تخرج به كثير من المهندسين الزراعيين أثناء عمله أستاذاً في كلية الزراعة بدمشق .

وفي ميدان الأبحاث التاريخية والأثرية والجغرافية ترك آثاراً هامة ، كان فيها رائداً متميزاً في تدقيق المعلومات والتقصي والبحث ؛ فقد كان يعتمد على المشاهدة والحس ، كما كان

يستقرئ المعلومات ويناقش فيها أصدقاءه من العلماء والأدباء وأهل الدراية ، إضافة إلى جمعه المعلومات المتوفرة لدى العامة ؛ وذلك استكمالاً لكافة جوانب بحثه .

ترك العلامة أحمد وصفي زكريا الكثير من المؤلفات الزراعية والتاريخية والجغرافية والأثرية .

ففي ميدان الزراعة - اختصاصه المهني - خلف الآثار التالية :

١ - الدروس الزراعية للصفوف الابتدائية في ثلاثة أجزاء ، صدر عام ١٩٢٥ .
٢ - المفكرة الزراعية ، وتتضمن خلاصة الفنون والأعمال الزراعية ، وقد صدرت عام ١٩٣٠ .

٣ - زراعة المحاصيل الحقلية في بلاد الشام في جزأين ، صدر عام ١٩٥١ .
وفي المجال التاريخي والأثري والجغرافي :

١ - جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ، صدر عام ١٩٢٤ .
٢ - عشائر الشام في جزأين ، صدر عام ١٩٤٥ .
٣ - الريف السوري (محافظة دمشق) في جزأين صدرا ما بين عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .

أما المخطوطات التي تركها فهي :

١ - حيوانات بلاد الشام البرية .
٢ - مقالات عن رحلته إلى اليمن وتاريخ اليمن وأحواله .
٣ - مقالات مختلفة زراعية وتاريخية وأثرية وجغرافية كانت قد نشرت في الصحف والمجلات السورية والعربية . يضاف إلى ذلك بعض المقالات التي نشرت اعتباراً من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٥٧ في بعض الصحف والمجلات العربية مثل المقتطف المصرية والمعرفة السورية ومجلة الشرطة ومجلة غرفة زراعة حلب وصحيفة النصر ومجلة الحوليات الأثرية السورية وغيرها .

يضاف إلى ذلك كثير من الأبحاث المخطوطة والمقالات التي لم تنشر ، وقد وجدت في أدراج مكتبه ، بعضها باللغة العربية ، وبعضها الآخر باللغة التركية .

وقيل : إن له بعض المخطوطات في اليمن لانعرف عنها شيئاً .

وكان يجد صعوبة كبيرة في توفير المال اللازم لطبع كتبه ونشرها في زمن قل فيه راغبو الثقافة وعشاق الكتب : مما كان له تأثير في عيشه وعيش أسرته ؛ فقد كان ما يجنيه من مال ينفقه في الإنتاج العلمي ونشره ؛ فلم يمتلك بيتاً ولا سيارة ، ولم يترك لأولاده شيئاً ، إلا أنه ترك علماً ينتفع به .

ولم يمنح خدماته لبلده سورية فحسب بل منحها كثيراً من الدول العربية ، فقد خدم التاريخ العربي ، والاقتصاد الزراعي بمؤلفاته وأبحاثه ، ولاسيما تعريب المصطلحات العلمية الزراعية . ولكنه لم ينل الاهتمام الذي يستحقه عالم مثله ؛ فهو لم يحظ بأي اهتمام أو تقدير رسمي من أي من الدول العربية لافي حياته ولا بعد مماته ، ولم ينهض أي باحث عربي بدراسة عنه سوى ما أورده محمد أبو الفرج العث مقدماً لقال لم يكتمل ، نشر في مجلة الحوليات الأثرية السورية . كما قام المرحوم الأستاذ عبد القادر عياش بتقديم دراسة عن حياته في كتاب أصدره ، يتضمن ذكريات أحمد وصفي زكريا عن وادي الفرات عام ١٩١٦ .

وحسب العلامة أحمد وصفي زكريا ما خلفه من علم وما كسبه من تقدير المختصين لمؤلفاته ، وما كان له من مكانة علمية ، رحمه الله .

الحامي

أحمد غسان سبانو

الجزء الأول

جغرافية بادية الشام وتاريخها وعمرانها
والأخلاق والعادات والشرائع
في المجتمع البدوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

موضوع (البادية) وما فيها من الأوصاف والأحوال وما للأعراب ، أو (البدو) من الأخبار والأقوال . كل ذلك من الموضوعات التي اهتم بها أدباء العربية فيما مضى كثيراً وشدوا الرحال إلى مواطنها ومصادرها ، وأطالوا البحث والكتابة عنها .

وقد جرى رواد الأفرنج ومستشرقوهم في عهدنا على مثالهم ، لكن هؤلاء بذوا أولئك الأدباء في النواحي الطبغرافية والأثرية والاجتماعية والأثنوغرافية وغيرها ، مما أوجده مكشفات العلوم الحديثة في العصور الأخيرة ، واقتضته غاياتها الاقتصادية والاستعمارية .

أما أدباء العربية المعاصرون فقد قصّروا في ذلك وأهملوا ، كما أهملوا كثيراً مما يتعلق بجغرافية بلادهم وتاريخها ووصف خططها وآثارها وعمرائها في عهدنا ، ومزايا سكانها وعاداتهم وأخبارهم في زمننا ، ومنها موضوع (البادية) و (العشائر) . أجل : قام بعض الفضلاء في العراق ومصر وجنوبي الشام (فلسطين وشرقي الأردن) ممن سنذكر أسماءهم بقسط محمود في هذا الموضوع ، إلا أن بحث كل منهم ظل منحصراً في بلاده .

أما شمالي الشام ، وأخص بالذكر المدن المجاورة للبادية والمتعاملة مع البدو كدمشق وحمص وحماه وحلب ودير الزور ، فقد أعرض أدباؤها وكتابها عن هذه الأبحاث إعراضاً طويلاً ، فظلت مجهولة كأن البدو من غير ملة ولغة وسابقة عنهم ، وقد كان حرياً بهؤلاء الأدباء والكتاب أن يعنوا بهذا الموضوع الهام ولا يهملوه ، وأن يأتوا بدراسات مبتكرة عما غمض من شؤون بلادنا وأمتنا الحاضرة التي عدناها ، لا أن يقصروا عنايتهم على تكرار ما طفحت به الأسفار القديمة .

يؤلف البدو بين ظهرانينا نحو (٣٠٠ ٠٠٠ نسمة) وهم جديرون بكل دراسة وعناية ، لأن لهم خطراً وشأناً كبيرين في مجتمعا ومعاشنا من قبل ومن بعد ، فكل السمون وأكثر اللحوم التي نأكلها ، والأصواف التي ننسجها ، والمطايا التي نركبها منهم ، وقسم كبير من سكان المدن الشامية التي عدناها ، يعتمد في تجارته ومرتزقه من الماشية ومنتوجاتها على شركائه وعشرائه من هؤلاء البدو ، كما أن مقداراً غير يسير من وارد بيت مال الدولة يتألف مما يدفعه البدو من ضرائب الأغنام والإبل .

هذا إلى أن لهم ممثلين معتبرين في مجلسنا النيابي الشامي ، ورؤساء أجلاء يتقاضون منحة سنوية من خزانة الدولة ، ونراهم في سياراتهم ذاهبين آيبين ، لا ينقطعون عن غشيان العواصم والحوضر ومراجعة المقامات والدوائر ، لحل مسائلهم ومشاكلهم العشائرية التي لا يعرف أكثرنا شيئاً عنها ، ثم بيننا وبينهم مالا يخفى من صلات العرق والدم ، وروابط اللغة والدين ، وتاريخ الماضي وألم الحاضر وأمل المستقبل . وقد أوصى سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بهم فقال للخليفة من بعده : « أوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام ، أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فتزد على فقرائهم »^(١) .

وقد أن الأوان لأن نرفع ما وضعته عوادي الأزمان أمام هذه الصلات من الحواجز والفواصل ، ولأن نزيدها تقريباً وتنظيماً ، ليجتمع الشمل بين حضرننا وبدونا ، وتقوى الألفة ويشتد الإخاء ، فننتفع بسواعدهم ونوائجهم وننفعهم بمعارفنا ومواهبنا ، ونزداد بهم اقتداراً واعتزازاً في سبيل الأهداف الوطنية والأماشي القومية .

لم تعد العربية ترى - للأسف - بين أبنائها الحاضرين أمثال أبي عبيدة والأصمعي وخلف الأحمر وأبي عمرو بن العلاء وحماة الراوية والمفضل الضبي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، ممن كانوا في صدر الإسلام يتجشمون مشاق السفر إلى البادية ويختلفون إلى المضارب ، ويحادثون البدو ويتتبعون منظوم كلامهم ومتشوره ، ويلتقطون أخبارهم ووقائعهم ونواذرهم ويدونونها ، ويؤلفون فيها كتباً ورسائل حفظ الدهر بعضها إلى عهدنا ، لولاها لضاع كثير من لغات العرب الأقدمين وتاريخهم .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ٤٨

أجل ؛ عندنا كثير من يعرفون البدو ويعاشرونهم ويستضيفون مرعشهم وحلوه ، وكثير من يشاركونهم في تربية الخيل والشيء ونواتج الزرع والضرع ، وجل هؤلاء من أهل الأحياء المتطرفة في مدننا الشامية ، كالميدان في دمشق ، والحاضر في حماة ، وباب النيرب في حلب ، وباب الدريب في حمص ، وأكثر أحياء دير الزور وغيرهم . وبعض هؤلاء المشاركين والمعاشرين للبدو ، ومثلهم بعض المتعلمين والمتأديبين في أحياء أخرى من تلك المدن ، قد يحفظ قليلاً أو كثيراً من قصائد البدو وقصصهم ونواديرهم : لكن هذا البعض يغلب عليه التهاون في تعميق البحث والزهد في النشر والبث ، لا يأبه لتدوين ما يعرفه وإذاعة ما يسمعه ، ناهيك أن أحداً من هؤلاء لم يفكر بتوسيع ما التقطه بالنقل أو الشرح ، ولا بمقايسته بما روي عن الأعراب السابقين في الجاهلية وصدر الإسلام ، وبما درج من أشباهه في كتب الأدب العربي ، ونخص بالذكر كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني ، فقد جمع هذا السفر ما يعجب ويطرب من الأخبار والسير والأشعار والنوادر المتصلة بأيام الأعراب المذكورين وأخبارهم الماثورة . قد انتقاها من عيونها وأخذها من مظانها بجهد وإتقان عجيبين . فهل لنا بأبي فرج لزمنا الحاضر يأتينا بمثال مصغر لكتاب الأغاني المذكور ويدون فيه أخبار الأعراب المعاصرين وسيرهم وأشعارهم وملحهم وأخبارهم قبل أن يطويها النسيان ويضيع ما لدى بدو زمننا من خبر أو أثر وما في أدبهم وشعرهم من معنى مبتكر ؟! وهل لنا على الأقل بمن يحذو حذو المستشرق الافرنسي الميسو مونتاني الذي سوف يرد ذكره وذكر عمله .

قد صرنا الآن حتى في هذه الموضوعات المتعلقة بنا عالية على رواد الإفرنج ومستشرقهم . لأن هؤلاء ما برحوا يتجشمون ويختلفون ويحادثون ويتبعون هذه الأخبار والوقائع والنوادر ، ناهيك الأبحاث الطبغرافية والأثرية والاجتماعية والأنتوغرافية وغيرها التي برعوا بها أي براعة . فهم لم يغادروا بادية من بوادينا إلا اخترقوها ، ولا عشيرة من عشائرننا إلا وزاروها ، ولا خربة من خربنا إلا وردوها ، ولا علوماً وأخباراً ولا قصائد وأشعاراً عن البداوة والبداة إلا التقطوها وفسروها وشرحوها ، كل ذلك بنشاط واهتمام يثيران الإعجاب والإكبار . وهم كما لا يخفى ولوعون بالبحث والتدقيق ، حريصون على التأليف والتدوين ، أسخياء بالبث والنشر وإفادة الغير . فقد دون أولئك الرواد والمستشرقون كتباً عديدة في مختلف اللغات الأوروبية سنذكر أسماءها في حينه نقرؤها بكثير

الأقطار العربية ، وقضاء سامية مركز هام للعشائر أمثال : الأسبعة والموالي والحديدين والعقيدات وبني خالد والخراسيم والبشام والجلان وبني عز والمشارفة وغيرهم . فكان يكثر ترددهم عليها وتجوّاهم في قراها وتقيظهم في مروجها واقتتلهم من حين إلى آخر في براريها الشرقية . أخص بالذكر الموالي والحديدين اللذين نشبت معاركهما منذ سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) ، واستفحلت شرورهما ، فخربت قرى ، ونهبت عروض ، وسفكت دماء ، وعقدت مؤتمرات ، لأجلهم ولأجل غيرهم ، في سامية وفي عقرببات شرقي سامية مراراً . فكنت وقتئذ أرى وأسمع ويدفعني ابتلائي بالبحث والاستطلاع إلى السؤال عن البواعث والباعثين لما يجري .

ثم كتب لي أيضاً بعد سامية أن أتجول تسع سنوات في (أملاك دولة الشام) وقراها العديدة لما كنت مفتشها . وهذه الأملاك الشاسعة هي على سيف البادية ، وكثير من فلاحها وكل الضارين في براريها ، من البدو أو أنصاف البدو . فيسر لي خلالها أن أزور بعض هؤلاء فأنظر وأستقصي عوائدهم وتقاليدهم وأسماء عشائهم وفرقهم وأحاديث معائشهم ومعاركهم وما إلى ذلك . وإذا فاتني شيء أستعلم عنه ، من ذوي المعرفة بالبدو والبادية ، بالمحاذثة أو المراسلة ، حتى اجتمع لي قدر غير يسير من هذا البحث العسير . وكنت أزيد ما علمته بما أجده بعد التنقيب والجهد في المؤلفات العربية والأجنبية ، الباحثة عن الغابرين من البدو والحاضرين ، وفي بعض التقارير الرسمية والخصوصية ، حتى حسبت أن تدوين هذه المعلومات ونشرها ، في كتاب كهذا صار ممكناً ونافعاً . لأن لهذه البحوث في ظني مكانة غير يسيرة في تاريخ الشام الحديث وتسجيلها واجب قبل أن يطويها الإهمال والنسيان ، ويظل هذا التاريخ ناقصاً تلقاء ما عمله الأسلاف في هذا المضمار وما يعملها الآن الغربيون الولعون بالاطلاع على أمورنا الاجتماعية في حاضرتنا وباديتنا بينما نحن لا نعرف عن أوطاننا ومواطنينا معشار ما يعرفونه .

وقد خطر لي قبل الإقدام على طبع هذا الكتاب أن أجرب حظ موضوعاته ، فنشرت بعض فصول منه في مجلة المجمع العلمي عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤٢ م) فإذا بها تلاقي استحسان من قرؤها ، من ذوي الفضل العارفين بما للعشائر من المكانة في مجتمعا ، فكان ذلك مدعاة للإقدام . خاصة وقد جاء دور الاستقلال الزاهر ، واحتضنت الحكومة السورية (إدارة

والذين يحفظون ويذكرون قلما تتفق رواياتهم وإسناداتهم وتصفو . وقلما تخلو من الغلو ودعوى السبق والأرجحية على الغير . هذا إلى أن هذه المساعي متوقفة على الصدف وانتهاز الفرص لمن كان بعيداً مثلي عن التأثير الرسمي في هذا الشأن ، مما يسهل ويتيسر أكثر لرواد الإفرنج ومستشرقهم وموظفيهم المدنيين وضباطهم العسكريين المجهزين بكل وسائل التجوال والاستطلاع . لذلك قد يكون ثمة بعض عوائد وتقاليد بدوية مختلفة بين عشيرة وأخرى عما ذكرته أو تكون أسماء أشخاص وشيوخ ورؤساء وفرق وعشائر وأعداد رجال وماشية لم أدونها أو دونتها على غير الضبط وحسبها نقل لي ، أو يكون في الأخبار والوقائع التاريخية التي سردتها زيادة أو نقص .

كل ذلك جدير بإسداد المعذرة عليه ، إذا عرف القارئ المنصف وعورة هذه الموضوعات وعسرة نوال الكمال فيها ، وإن مراد القول فيها رحب ومحال البحث مستفيض . وحسبي أن أكون بكتابي الأوحدهذا ، قد أثرتها ونشرتها ، وسددت فراغاً في المكتبة العربية ، ومهدت السبيل لمن أراد التوسع فيها والزيادة ، ومن الله التوفيق .

أحمد وصفي زكريا

دمشق

مكتبة البدو (مألّف عن البدو)

من الباحثين عن أنساب البدو وأوصافهم وأخبارهم بين أدباء العرب القدماء وجدت ابن عبد ربه الأندلسي المتوفى في سنة ٣٢٨ هـ في كتابه (العقد الفريد) ، وأبي الفرج الأصبهاني المتوفى في سنة ٣٥٦ هـ في كتابه (الأغاني) ، وأبي عبيد البكري المتوفى في سنة ٤٨٧ هـ في مقدمة كتابه (معجم ما استعجم) ، وابن خلدون : المتوفى في سنة ٨٥٨ هـ في الجلد السادس من تاريخه الكبير المسمى (العبر) ، والقلقشندي أحمد بن علي المتوفى في سنة ٨٢١ هـ ، في الجلد الرابع من كتابه الأول المسمى (صبح الأعشى) ، وفي كتابه الثاني المسمى (نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب) المطبوع في بغداد ، وفي كتابه الثالث المسمى (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان) ، وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية ، يبحث في قبائل مصر في زمنه . وقيل أن في أحد الأجزاء التي لم تطبع بعد من (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري المتوفى في سنة ٧٤٨ هـ ذكراً لمنازل العرب كما كانت في مصر على عهده . وقيل أيضاً أن لابن حزم الظاهري المتوفى في سنة ٤٥٦ هـ كتاباً اسمه (جهرة النسب في معرفة قبائل العرب) وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية . ولم يتسن لي بعد الاطلاع على المخطوطات المذكورة ، وإن كانت تشمل العصور والأماكن البعيدة عن موضوعي وبخثي .

ومن الباحثين المتأخرين الشيخ محمد البسام التيمي المتوفى في سنة ١٢٤٦ هـ في رسالته (الدرر والمفاخر في أخبار العرب الأواخر) وهي مخطوطة في المتحف البريطاني ، رأيت نسخة مصورة منها في بغداد في مكتبة المؤرخ السيد يعقوب سركيس ، يتكلم فيها عن عشائر الجزيرة العربية بإيجاز زائد لا يفيد سوى التيقن من وجود بعض العشائر ووصفها ، ثم أبو الفوز السويدي البغدادي في رسالته (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب)

المطبوعة على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ هـ ، لكن أبحاثها قديمة ومقتبسة عن نهاية الأرب للقلقشندي وترتيبها غير موف بالغرض ، والسيد شكري الآلوسي في كتابه (بلوغ الأرب في أحوال العرب) المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤ هـ في ثلاثة مجلدات خصها بشرح أخبار عرب الجاهلية وعاداتهم وأدابهم مما هو بعيد عن مطلوبنا ، وسليمان البستاني : معرب الإلياذة في مقالته عن البدو المندرجة في المجلد ١٢ من مجلة المقتطف سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م) ، وجرجي زيدان في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) المطبوع في سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، ونعوم شقير في قسم من كتابه (تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها) المطبوع في مصر سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) ، والمطران بولص سليمان في كتابه (خمسة أعوام في شرقي الأردن) المطبوع في حريصا (لبنان) سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) وقد بسط فيد آداب بدو شرقي الأردن في عهدنا وقضائهم وديانتهم وعشائهم ، وعارف العارف قائم مقام بئر السبع في فلسطين في كتابه (القضاء بين البدو) المطبوع في القدس سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) وقد بسط فيه أخبار بدو بئر السبع في عهدنا وطبائعهم وعاداتهم ، والعقيد ج . بيك الإنكليزي في كتابه (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها) ، وقد عربه بهاء الدين طوقان من أدباء عمان وطبعه في القدس في سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) وعودة القسوس من رجال القانون في شرقي الأردن المتوفي في سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) في مقالاته (القضاء البدوي) المنشورة في (المجلة القضائية) للحكومة الأردنية في سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ، وفؤاد حمزة في كتابه (قلب جزيرة العرب) المطبوع في مصر في سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ، والمحامي عباس العزاوي في كتابه (عشائر العراق) المطبوع في بغداد في سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) وعز الدين علم الدين في مقالة الأثر عن (بادية الشام) المندرج في المجلد ٥١ من مجلة المقتطف في سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) ، وخير الدين الزركلي في قسم من كتابه (مارأيت وما سمعت) المطبوع في مصر سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) وحافظ وهبه في قسم من كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين) المطبوع في مصر سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ، والأب انستاس الكرملي في قسم من كتابه (خلاصة تاريخ العراق) المطبوع في البصرة في سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) ، ومحمد الكرد علي في قسم من كتابه خطط الشام (ج ٦) المطبوع في دمشق في سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) ، هذه هي الكتب والرسائل ، والمقالات العربية التي عثرت عليها وراجعتها ، وكلها قيم وجميل ، وهي

خلا الكتب الكثيرة غير المختصة بموضوعنا وحده ، التي يأتي بحث البدو فيها عرضاً ، وقد درجت أسماءها في قائمة خاصة في ذيل الكتاب .

أما الإفرنج : فقد وجدت بينهم من الباحثين عن البدو الرحالة بركهاردت السويسري^(١) صاحب كتاب (رحلة في بلاد العرب) وقد وافى هذه البلاد في سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) ووصف في كتابه المحرر بالإنكليزية ما صادفه في تلك الحقبة من عشائر البدو في الشام والحجاز ، وأحصى نفوسها ، وذكر أطوارها ، وأساليب معيشتها وكل ما يتعلق بها بتدقيق وافٍ . وللمستشرق موزيل التشيكوسلوفاكي^(٢) الذي بحثنا عنه في المقدمة كتب بالألمانية ترجمت إلى الإنكليزية في عدة مجلدات منها (بلاد العرب الصحراوية) طبعت في سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) وكتاب خاص عن عشيرة الأرولة طبع في سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ، وكان قد لبث بين الأرولة بضع سنوات ، وسلك سبيلهم في خشونة العيش ، وقام بعدة رحلات للدرس والبحث والتدوين ، وللسائحة الإنكليزية الليدي آن بلونت^(٣) التي بحثنا عنها في المقدمة أيضاً كتاب في مجلدين عن (عشائر الفرات) طبع في لندن سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م) كما أن لها كتاباً آخر عن رحلتها في سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م) هي وزوجها المستر وفريد بلونت إلى حائل عن طريق دمشق ووادي السرحان والجوف اسمه (رحلة إلى نجد) ترجم إلى الإفرنسية وكان دليلها في هذه الرحلة محمد العبد الله العروك من أهل تدمر . وللرئيس رينو ، والطبيب مارتينه الإفرنسيين^(٤) رسالة صغيرة عن (البدو في مقاطعة دمشق) طبعت في سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) ، وللمقدم مولر الإفرنسي^(٥) كتاب كبير اسمه (في بلاد الشام مع البدو) طبع في سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ، وهؤلاء الضباط الثلاثة كانوا من عمال الإدارة الإفرنسية بمراقبة البدو ، ولمصلحة الاستعلامات في الشرق التابعة للمفوضية العليا

Jean - Louis Burckhardt , voyages en Arabie . (١)

Aloes Musil , deserta , 1927 - The manners estoms of the rawala . 1928 (٢)

Lady Anne Blunt , The Bedouin tribe of the Euphrates , Murray , 1879 London , (٣)
Peligrinage to nejd .

Capitaine et Medicin - Major Martinet ' les Bedouins de la Mouvence de Damas 1922 . (٤)

Commandant Victor Muller , en syrie avec les Bédouins 1931 , paris (٥)

الإفريقية ، كتاب خاص دعتة (العشائر الرحالة والنصف رحالة في دول الشرق التي تحت الانتداب الإفريقي^(١) طبع في بيروت في سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) ، وللمستشرق مونتاني الإفريقي^(٢) مقال قيم في مجلة الدراسات الشرقية التي يصدرها المعهد الأثري الإفريقي في دمشق (ج ٥ سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٥ م) عنوانه (قصص شعرية بدوية ملتقطه من شمر الجزيرة) وللراهبين جوسن وسافينيقيك الدومينيكيين^(٣) كتابان بالإفريقية طبعوا في سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) أحدهما عن عادات البدو في بلاد موآب (جنوبي بلاد الأردن) وثانيهما عن عشيرة الفقراء إحدى العشائر الكبيرة في شمالي الحجاز . وللملزم آلبر بوشمان^(٤) من ضباط مراقبة العشائر الفرنسيين ، وقد قتل في حروب مرجعيرن التي دارت بين الفيشيين والإنكليز في صيف سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) كتاب اسمه (أمتعة المعيشة البدوية) وصف فيه ألبسة البدو وفرشهم وأوانيهم ومضاربهم ، وقد جمع ذلك من عشيرة الأسبعة العنزية بعد أن أقام بينها مدة . وللراهب اليسوعي الأب هنري شارل كتاب كبير اسمه (العشائر الغنامة في الفرات الأوسط^(٥) طبع في بيروت سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٦ م) خصه بوصف عشيرة العقيدات وتاريخها وفرقها وقراها وعاداتها ، وذلك بعد أن ظل بضعة أشهر يحوس مضارب هذه العشيرة ، ويعاشر كبارها وصغارها ، ويستقصي ويدون ، وله رسالة أخرى صغيرة عن (التحضير بين الفرات والبليخ) طبع في بيروت سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) وفيها بحث اجتماعي أنسابي عن عشائر قضاء الرقة^(٦) ولراهب آخر اسمه الأب بواديبار : كتاب اسمه (أثر روما في بادية الشام)^(٧) وصف فيه هذه البادية ، وذكر الأرصفة والمعازل والمخافر الرومانية التي اكتشفها من الطائرات في سني ١٣٤٣ - ١٣٥١ هـ

(١) Les tribues nomades et semi - nomades des etats du Levant places Sous mandat Francies ١٩٣٠ ، Beyrouth .

(٢) M . Montagne contes Poétiques bedouins recuillies chez les schammar de Gezire* ١٩٣٥

(٣) P . jaussen et Savignac , Coutumes des Arabes en pays de Moabe ١٩٠٨ cotumes de Fuquaras , ١٩٢٠

(٤) Alber Bouchemenl , les materiels de la vie bédouine .

(٥) Le père H . Charles S . J . Tribus moutonnnières du moyen Euphrate . Beyrouth ١٩٣٦

(٦) La sedentarisation entre Euphrate et balik . note d.Ethnosociologie , ١٩٤٢ .

(٧) Le pere poidehard . S . J . La trace de rome dans le desert de syrie . paris ١٩٣٤ .

(١٩٢٥ - ١٩٣٢ م) وخص المجلد الأول من كتابه هذا للوصف المذكور وخص المجلد الثاني للصور الشمسية والخرائط والمخططات البديعة الترتيب والتصوير ، وأحدث الكتب الأفرنجية عن عشائر الشام هو مانشره أخيراً المستشرق البارون فون اوبنهايم^(١) المطبوع في ليبزيغ سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) وهو غير كتابه القديم المطبوع في برلين سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) . وللملازم الإفرنسي ألبر بوشمان الذي تقدم ذكره مقال طويل في مجلة الدراسات الإسلامية التي تصدر في باريس مجلد ١ ص ٢٢ عن الخلاف بين عشيرتين غنامتين في الشام (يعني الموالي والحديديين)^(٢) كما له أيضاً رسالة عن قرية السخنة^(٣) ولعل هنالك كتباً ورسائل أخرى لم أطلع عليها فاكتفيت بذكر ما علمت وما رجعت إليه .



(١) Max von oppenheim . von mitteimer fun persichen Berlin 1899 - Die Beduinen , Leipzig 1939 .

(٢) Alber Bouchement , Note Sur La rivalite' de deux tribus moutonnières de syrie , les Mavalis et les Hadediyins , revue Etuders islamiques 1934 t , 1 , p . 22 .

(٣) Une petite cite' caravaniere , Suhne . 1

جغرافية ديار البدو

إن البراري البعيدة المترامية الأطراف والأكناف الممتدة في شرقي بلاد الشام تنقسم إلى قسمين : المعمورة والبادية .

(فالمعمورة) : هو القسم العامر بالقرى ، الأهل بالسكان الحضر ، المزروع عذياً أو سقياً ، ويقابله في مصر والعراق الريف ، الممتد على شواطئ النيل والرافدين .

والريف في اللغة : ما قارب الماء والخضرة من الأرض ، ومن هنا كان استعمال هذه الكلمة منحصرأ بمصر والعراق دون الشام لتفوقها عليه بالماء والخضرة .

و (البادية) أو (الصحراء) : هو القسم الغامر البائر الواقع في شرقي المعمورة المذكورة الخلاء القواء القليل الكلاً والماء غير الصالح إلا لرعي الماشية ، الممعن في الامتداد والبعث حتى العراق الأسفل .

وحد هذه البادية في بلاد الشام يبدأ في الجنوب في إمارة شرقي الأردن من أنحاء معان ، ومن شرقي جبال الشراة وجبال موآب وجبال عجلون ويسير مع السكة الحديدية الحجازية الممتدة على سيف البادية حتى يبلغ محطة المفرق ، ومن ثم ينعطف نحو شرقي جبل حوران ووعدة اللجا ، ثم شرقي قرى الضير والقريتين والفركلس وجبل الشومرية وعقيربات والأندرين وبالس (مسكنة) وشمس الدين على الفرات ، وبعد عمران الجزيرة الحديث وامتداد الحرث والزراع صار الحد فيها ينعطف من شمس الدين نحو تل السمن على البليخ ، ومنه إلى جبل عبد العزيز ، فبحيرة الخاتونية فوادي الثرثار فوادي الدجلة^(١) .

وإذا استمر عمران الجزيرة الحديث في سيره الحالي الذي بدأ منذ أن استقرت الحدود

(١) درجنا في آخر الكتاب الملحق رقم ٢ للقرار رقم ١٣٢ « فيه شرح الخط الفاصل رسمياً بين منطقة المعمورة ومنطقة البادية . وهو يختلف عما ذكرناه لأنه تحديد إداري وتحديدنا جغرافي .

الدولية الأخيرة بين الشام والعراق وتركيا ، ومنذ أن استتب الأمن فإن جل الجزيرة إن لم نقل كلها سوف يصبح من (المعمورة) ، وتبقى الشامية وحدها هي المقصود بكلمة (بادية الشام) وبوصفها ، كما أنها هي المقصودة غالباً في كلامنا ووصفنا الآتين .

وفي هذه البادية سهوب شاسعة وصحراوات واسعة ، مستوية كل الاستواء سهلة أي سهولة في الغالب متشابهة المناظر مطردة المشاهد ، تتخللها في بعض الأماكن تلعات وهضبات ترابية منفردة أو متوجة وأكبات حجرية متقطعة أو متسلسلة بركانية بازلتية أو رسوبية طباشيرية (كريتاسه) . وبين هذه التلعات والأكبات بعض أودية ومسائل جافة في معظم أيام السنة وبعض أوعار وحرار بركانية صغيرة أو كبيرة ، وفي كل ذلك أفق رحيب وفرار رهيب وسكون مريب وتراب غير خصيب ، تنهوج وقعات الشمس في الصيف ، وتهب نوافح القر في فصل الشتاء ، وتبرز أرض الجوع والعطش ، وتظهر قيعان القحل والجذب إلا من بعض نباتات ودوبيات وأغنام وأباعر وبيوت من الشعر ، تخفق الأرياح فيها مبعثرة هنا وهناك .

وهذه البادية لا تصلح للحرث والزرع عذياً ؛ ذلك لقلة أمطارها وجفاف جوها ، وملوحة تربتها في بعض الأماكن ، أو لصفرة هذه التربة أو بياضها ، ولفقدان الينابيع السارية أو ندرتها . إذ أن الماء إما في آبار بعيدة الغور ويكاد لا يكفي الشفة ، أو هو رديء مالح لا يستساغ ، ولا تحرث وتزرع هذه البادية إلا سقياً في بعض الأماكن السعيدة بوجود الينابيع والأنهار السارية ، كما هو الحال في تدمر وأرك والسخنة والطيبة وفي ضفاف الفرات والبليخ والخابور ، والسعيدة بوجود القنوات المندثرة ، كالتي في ناحية القريتين وفي جهة كديم .

ولا ريب في أن هذه البادية على علاقتها كانت أسعد حالاً فيما مضى ، تشهد على ذلك أطلال المعازل والخافر والتلال الصناعية ، والآبار والقنوات والسدود والأرصفة ، والآثار الآرامية والنبطية والتدمرية والرومانية والقصور العربية الأموية المشيدة حول ينابيع ومسائل وخزانات مياه قد غاضت ، ورقدت حولها أطلال وخرائب ورسوم ، تندب مجدها الدائر مما سيأتي وصفه .

وهذه البادية كانت منذ أقدم العصور وما برحت ديار البدو ، ومنتجعهم ومسارح غدواتهم وروحاتهم ، ومطارح حروبهم وغزواتهم ، يتجولون في أرجائها الشاسعة ، وينجعون سعيًا وراء الكلاً والماء والدفء لماشيتهم ، حسب تقاليد معروفة واتفاقات محدودة بينهم كل منهم في بقعة منها قد تآلفوا عليها وتقاسموا ، وهم قد اكتسبوا حق التجوال ، والنجعة في البقعة التي اختصوا بها إما :

عقيب حروب طويلة مع الذين كانوا يحتلونهم من قبلهم ، فتوصلوا في النهاية إلى ابتلاعهم أو إفنائهم ، وإما : نتيجة الحلول والدخول بين عشيرتين كانتا موجودتين سابقاً فدفعوها وأفسحوا لأنفسهم منزلاً بينهما . ومن ثم حدث من جراء هذا الدفع والتوسيع عداوات وحزازات ، توارثها جيل عن جيل فأدت إلى انقسام هذه العشائر وتعددتها ، وإلى معاناتها حياة مضطربة بالشقاق والعراك الدائمين ، ناهيك الجهد وشظف العيش ، ومشاق الإرعاء والإسقاء والغدو والرواح وراء الماشية الجرارة .

والبادية تنقسم بادئ ذي بدء إلى قسمين ؛ وذلك بحسب قربها إلى المعمورة أو بعدها وكثرة أمطارها وبقاء أعشابها أو قلة ذلك .

فالقسم الأول : القريب وهو قسم السهوب ؛ ذو أمطار سنوية يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠ و ٢٠٠ ميليمتر ، ومن ثم كان هذا القسم أغزر أمطاراً وأوفر أعشاباً ومراعيه أطول بقاءً ، وهو ذو آبار وينابيع في كثير من الأماكن ، جعلته أصلح للارتياح وجولان العشائر من القسم الثاني ، وفيه منطقتان يفصلهما سقي الفرات ؛ الشامية التي على يمين هذا السقي والجزيرة التي على يساره ، وهذا القسم يشبه السهوب المعشوشبة في جنوبي روسية مما يدعوه الأفرنج . steppe وتقدر مساحة هذا القسم في بلاد الشام بنحو ٦٧٣٩٠٠٠ هكتار^(١) . والقسم الثاني : البعيد ؛ وهو البادية الحقة ويدعى (الحجاد) ، ذو أمطار سنوية لا تزيد عن مئة ميليمتر ، ومن ثم كان فقيراً بالأمطار وأعشابه ومياهه قصيرة العمر سريعة الزوال عقب انتهاء فصل الشتاء ، وتقدر مساحة هذا القسم الداخل في خريطة الجمهورية السورية بـ ٣٨٦٣١٠٠ هكتار ، أي أن مجموع القسمين يبلغ ٢٠٠, ٦٠٢, ١٠ هكتار .

(١) عن كراسة دائرة المساحة المطبوعة في سنة ١٩٤٥ م

وإلى القارئ أوصاف كل من هذين القسمين ومناطقهما الجغرافية ، التي اصطلاح عليها سكان البادية :

- الجزيرة : هي البراري الممتدة على ضفة الفرات اليسرى بينه وبين الدجلة . وقد كانت في العصور الجيولوجية فيما يظهر من شكلها وتركيب تربتها بحيرة واسعة مغمورة بمياه هذين النهرين .

والجزيرة تقسم إلى ثلاثة أقسام :

الجزيرة العليا : وتشمل كل القسم الجبلي الشمالي منها ، والجزيرة الوسطى ، والجزيرة السفلى ، فالجزيرة الوسطى في عهدنا هي داخل الحدود الشامية ، كما أن الجزيرة السفلى داخل الحدود العراقية ومنتهاها في تكريت على الدجلة ، أما الجزيرة العليا فهي داخل الحدود التركية . قال ياقوت في معجمه « الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات ، وقال : وهي صحيحة الهواء جيدة الريح والناء واسعة الخيرات ، بها مدن جلييلة وحصون وقلاع كثيرة ، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقعة ورأس العين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وأمد وميافارقين والموصل وغير ذلك ... وقد صنف لأهلها تواريخ وخرج منها أئمة في كل فن غزاها عياض بن غنم في سنة ١٧ وفتحها » .

قلت : والجزيرة على خلاف الشامية ، ذات سهول شاسعة مستوية أحسن استواء ، وتربة ذكية أي ذكاء ، وأعشاب ومراع نامية كل الناء ، مع أمطار غزيرة^(١) وأنعام وزروع وفيرة ، وأنهار وجداول كثيرة ، ناهيك منها الخابور والبليخ والجفجف (هرماس قديماً) والرد والجراح وخنيس وغيرها .

وقد كانت ضفاف الخابور تتفجر منها الترع والقنوات العديدة عليها السدود المحكمة الجميلة ، وناهيك بسد السبع سكور ، والسد الواقع ما بين عجاجة ومشنقة ، وسد تل الرمان التحتاني ، وترعة دورين التي تنشأ من الخابور عند الصور وتنتهي في الفرات إزاء

(١) معدل كمياتها السنوية في قضاء الحسجة ٢٧٢ وفي قضاء القامشلية ٢٥٨ وفي قضاء ديريك المجاور للجزيرة العليا ٥٠٠ ميليمتر وهذا المعدل الأخير يشبه ما يكون في السواحل .

أبي كمال ونهر الجام ونهر الشباني ونهر التف وغيرها . وكل من هذه السدود والترع يتفرع في قنوات كانت تمتد عشرات الكيلومتر ، وتروي ألوف الهكتارات المزروعة ، وفي شجر الخابور تقول الفارعة أخت الوليد بن طريف الشيباني أحد الخوارج في مرثيتها لأخيها المذكور :

أيما شجر الخابور مالك موركاً كأنك لم تجزع على ابن طريف
وفي رثاء الخابور يقول الربيع بن أبي الحقيق اليهودي من أبيات :

دور عفت بقرى الخابور غيرها بعد الأنيس سوافي الريح والمطر
إن تمس دارك ممن كان يسكنها وحشاً فذاك صروف الدهر والغير

أجل ، كانت الجزيرة في العصور القديمة والمتوسطة وحتى أواخر العصر العباسي وخلال غارات الصليبيين والمغول عامرة بالمدن والقرى ، زاخرة بالحقول والسكرور (السدود) ، والترع التي تدل عليها الأنهار المندثرة والتلال الصناعية والأطلال الأثرية المنتشرة بكثرة كيفما جلت ، وهي من بقايا عهود الحثيين والآشوريين والبابليين والسلوقيين والرومانيين والعرب ، خربت غارات المغول والصليبيين وفوضى عهد العثمانيين ، ومن دواعي السرور أن العمران القديم بدأ يعود من عهد قريب رويداً رويداً ، فقد كثرت تهافت النازحين إليها بعد الحرب العامة الماضية وتقسيم الحدود الحالية واستقرار الأمن منذ سنة ١٣٤٧ هـ ، وهؤلاء النازحين هم من مختلف الطوائف والأديان واللغات كالكرد والسرمان واليزيدية والأرمن والنسطوريين اللاجئيين من بلاد الترك والعراق ويسمونهم الآن الآشوريين ، كما أقبل على الجزيرة الطامحون باستغلالها من أبناء المدن الشامية ، هذا عدا ما كان فيها من مهاجري الشاشان القوقازي الأصل ، وعدا عشائرها العربية الرحل أمثال شمر وطبيء وجبور وبقارة وشرابين وفدعان ولد وفدعان خرصة ومشهور وعفادلة وولدة وأبي جرادة ، ثم الكرد والتركان أشباه البدو ، ممن سيأتي ذكرهم في القسم الثاني من كتابنا هذا .

وقد انطلقت المحارث الحديدية الحديثة والسواحب والحصادات والدراسات الآلية تشق براريها الشاسعة الخصب ، وتبعث الحركة والنضرة ، وتقضي السكون والبوار المستترين منذ قرون ، وبدئ بفتح قناة عظيمة على الخابور من تل مغاص جنوبي رأس العين إلى

شرقي بلدة الحسكة ، وسيكون طولها نحو ثمانين كيلو متراً ، وستروي ما يقدر بعشرة آلاف هكتار ، فإذا تمت هذه القناة ، ووجد لها أيد عاملة عارفة ، وعملت فيها الزراعات المستوية الصالحة كان منها ريع ورزق عظيمان . وانتشرت الآن زراعة الرز في ضفاف نهرى الجفجف والبلخ ، وقد أنشئ في الجزيرة داخل الحدود الشامية وجنوبي سكة حديد حلب الموصل عدة بلديات منها القامشلية إزاء نصيبين عاصمة الجزيرة قديماً ، وقد ظلت نصيبين داخل الحدود التركية ، رغم وقوعها جنوبي الخط الحديدي ، وبلدية عمودة إزاء دارا القديمة ، والدرباسية إزاء مثلتها وسميتها . وتل أبيض إزاء أجرة قلعة ، وغيرها بما اقتضته دواعي التحديد بين دولتي الشام وتركيا ، وأنشئت وسط الجزيرة بليدة الحسكة التي اتخذت قاعدة للمحافظة ، هذا إلى مئات من الضياع والضييعات المستحدثة المنتشرة ، أخضعها قبور البيض وتل براق وتل الترو ودير يك وغيرها ، ومن هنا كانت أوصاف الخلاء والقواء والقحل والجذب تنطبق على (الشامية) الغامرة القفر ، أكثر من الجزيرة التي ستصبح عما قريب عامرة خضراء جلها إن لم يكن كلها .

وفي براري الجزيرة ولا سيما في ضفاف الفرات والخابور والبلخ مئات من التلال الترابية الصناعية الأثرية التي لا نظير لها في البراري الشامية ، وقد كانت هذه التلال قرى عامرة في العصور القديمة أيام عمران الجزيرة وازدهارها في عهود الدول التي ذكرناها ، فخربت بالفتن والحروب ، ولاسيما بغارات المغول والصليبيين ، وتراكم عمران فوق عمران وقدم فوق أقدم منه ، بدليل وجود الأطلال والعمادات من جدران وأبار وأواني خزفية ونقود أموية وعباسية يعثرون عليها ، وأشهر هذه التلال غرسة وشموخ وخزف وأبو خضر وبراقي وأحمدي وأبطحسان والنواعة وهذلول ورميلان وبدر وطربط والعيد وسلندر وجاغريزار ، وفي براري الجزيرة أيضاً تلال أخرى طبيعية ، حدثت من قضم السيول الأرض التي حولها في عهود ما قبل التاريخ وبعده ، وكانت نصيبين عاصمة سيف الدولة بن حمدان قبل أن يتولى حلب . وكان في الجزيرة في عهد ياقوت (القرن السابع) من المدن التي سارت الآن أثراً بعد عين . (برقعيد) التي قال إنها في شرقي نصيبين بينها عشرة فراسخ أي نحو ٥٠ كيلو متراً ، ولعلها كانت مكان تل رميلان الحالي الذي يخيم فيه الشيخ باشا العامري من رؤساء شمر ، و (باشري) مقابل برقعيد و (عربان) ولعلها كانت مكان تل عجاج على الخابور ، و (دارا) في لطف جبل ماردين ، وهي الآن معروفة

داخل الحدود التركية تجاه عامودة ، و (سكير العباس) في الخابور كانت مكان تل شداي . وفي غربي الجزيرة حيث كانت ديار مضر كان من المدن الرقة قسبة ديار مضر والرافقة وحصن مسلمة و ترعوز وحران وسروج وكفر سيرين والدوسرية (قلعة جعبر) وحصن هرقله وبرطوبة مقابل رحبة مالك بن طوق من أعمال الخابور قرب قرقيساء (البصرة الحالية) . إلخ ... مما يحتاج تعداده ووصفه لمؤلف خاص بالجزيرة وحدها . قال الآلوسي في كتابه (بلوغ الأرب في أحوال العرب) عن الجزيرة مايلي « صحاري هذه الديار مملوءة كلاً وأزهاراً ، ولذا اتخذها آل بكر بن وائل من بين الديار دياراً . ثم قال : ولم يبق فيها اليوم ممن كان في الأعصر الخالية من أولئك القوم ، بل سكنها أناس مختلفو الملل والأجناس ، ليس فيهم مزايا من سلف ولا وضاعة من مضى وانصرف ، وسبحان من أدخل ديار بكر من يرعى زهر الآداب وربيعة وجعلها بلّاق لا تجد فيها من يتخذ لفهم كلام العرب ذريعة ، ولم كان فيها من أديب جلا نظمه ونثره ، وأريب رمى عن قسي الإصابة لأمثل عشره ، فنثرهم ريب المنون من كنانته نثر السهام ونظمهم على الرغم منهم في ديوان القبور تحت أطباق الرغام ، سقى الله ثراهم ما يوجب في دار الإقامة مثواهم » .

الشامية :- هي السهوب الممتدة على ضفة الفرات اليمنى بين هذا النهر وبين خط وهي تمتد من دمشق إلى بلدة عانة على الفرات داخل الحدود العراقية ، وكلمة الشامية في اصطلاح الحضرة والبدو ، من عرب أنحاء الفرات هي الضفة اليمنى للفرات كما أن الجزيرة هي الضفة اليسرى ، فهم لا يقولون ضفة يمنى وضفة يسرى ، بل جزيرة وشامية ، حتى أنهم في شأن نهر الخابور أحد روافد الفرات في الجزيرة ، يطلقون كلمة شامية أيضاً على البقاع التي في غربيه بينه وبين الفرات . ومن الغريب أن لاتعرف بادية الشامية قديماً بهذا الاسم ، بل باسم (بادية السماوة) هكذا ذكرها المؤرخون والجغرافيون العرب ومنهم ياقوت ، قال إنما سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر فيها ، وقال أيضاً : بادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام قفرى أظنها مسماة بهذا الاسم ، قلت إن السماوة في عهدنا اسم بلدة في شرقي بغداد على الفرات وهي من مراكز أقضية لواء الديوانية ، وتشرف على البادية الممعة في البعد غرباً نحو الشام وجنوباً نحو نجد ، فكيف نسبوا البادية كلها إليها دون غيرها من البلدان الواقعة في غربيها والتي هي أقرب إلى الشام منها ؟ أم قصدوا

البلدان الواقعة في غربيها والتي هي أقرب إلى الشام منها ؟ أهم قصدوا قسم الحماة منها فقط ، ها هنا الغرابة .

والشامية تنقسم أيضاً إلى عدة مناطق جغرافية ، لها أسماء ، وأوصاف خاصة منها الزور والمناظر والوديان والقعة والشنبل والدو .

فالزور : أو سقي الفرات هو : الوادي الطويل المقفل الممتد على ضفتي الفرات من بالس (مسكنة) حتى الحدود العراقية . وفيه من المدن المعروفة (دير الزور) عروسة الصحراء في عهدنا وأكبر مدنها وقاعدة محافظة الفرات ، وفيه من البلديات بالس الحديثة (مسكنة) والسبخة والميادين والعشارة وأبي كمال ، ومن الحرب والقلاع القديمة الأثرية بالس القديمة (بارباليسو) ومدينة الفار وقلة جعبر وقلة حلبية وزلية المتناوحتان وأرض صفين التي جرت فيها المعركة المشؤومة بين علي ومعاوية ، وبرج الدبسي وأبراج أبي هريرة وخربة سورية (تفساح القديمة) وقلة الرحبة (رحبة طوق بن مالك) ، والمسجد المنسوب للإمام علي قرب العشارة ودورا وأوروس (الصالحية) ، هذا عدا الضيعات العديدة المؤلفة من بيوت الشعر في الشتاء أو من الصبايط المصنوعة من أغصان الطرفاء والغرب ، في الصيف يقطنها أعراب من أنصاف الحضر ، أهل الزرع والضرع ، أخصهم العقيدات ذوو الفرق والأعداد الكثيرة والولدة والسبخة ، وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم في القسم الثاني من كتابنا هذا .

ووادي الفرات ذو تربة مترسبة خصبة وإقليم حار واستعداد تام للمشروعات الزراعية الكبيرة ، لا يحتاج إرجاع عمرانه القديم إلا لتبديل وسائل الري الحالية السقيمة المسماة بالكروود (جمع كرد) بالمحركات والمضخات الميكانيكية ، ثم تبديل آلات الحرث والزرع والحصد بما هو حديث منها . فلو كثرت على الأقل وسائل الري الميكانيكية ، فوق ما هو موجود منها الآن على قلة في بعض الأماكن لاتسع نطاق الري ، وتضاعفت الفائدة من هذا الوادي الخصب الأغنى الذي كانت فيه حضارة قديمة مشهورة بآثارها الوفيرة ، والزور في الإصطلاح هو : الأشجار والأعشاب والأشواك النامية من نفسها التي تغطي الضفاف الواطئة من الأودية والأنهار في البادية ، ثم توسعوا في ذلك وأطلقوه على أودية الفرات وروافده ، وعلى بعض غياض الحور الملتفة في غوطة دمشق ، ولم يرد الزور في

كتب اللغة بهذا المعنى ، ولا بهذا اللفظ فمن أين ؟ ومتى نشأ ؟ ومتى سميت دير الزور بهذا الاسم ؟ وقد كان اسمها قديماً دير (اوزارا) أو (أزورا) وسماها ياقوت (دير الرمان) قال عنها مدينة كبيرة ذات أسواق للبادية بين الرقة والخابور ، تنزلها القوافل القاصدة من العراق إلى الشام ، قلت : وليس غيرها ينطبق عليه هذا الوصف .

وأما المناظر : وهي الواحات أو القرى المسكونة وسط البادية الشامية ، كتدمر وأرك والسخنة والقريتين ولواحق السخنة كالطيبة (٢٥ كيلو متراً عن السخنة إلى الشمال) والكوم (١٥ كيلو متراً إلى شمال الطيبة) ، وهذه القرى كأنها جزائر منشورة وسط بحر ضخم ، أو كأنها غيطان خضراء وسط بوادي قفراء ، وقد ذكرها يلقوت في معجمه باسم المناظر أيضاً ، مما يدل على أن هذه التسمية قديمة ، مردداً فيها زعموا إلى أن هذه القرى ينظر بعضها إلى بعض أو يكاد ، وفي كتب اللغة ، المناظر : أشرف الأرض أي ما أشرف منها وارتفع ، وقد اعتاد أهل الحواضر الشامية أن يسمو سكان قرى المناظر بالسخانة نسبة إلى السخنة إحدى القرى المذكورة ، ففي كل من دمشق وحماة وحلب وسفيرة ودير الزور أحياء خاصة يقطنها جوالي من هؤلاء ، ويسمون بالسخانة ولو كانوا من أهل تدمر والقريتين ، كما اعتاد البدو ، أن يسموا كل الجمالة الذين ينقلون السلع التجارية في البوادي بالسخانة ، ذلك لما لأهل السخنة من المقدرة والمعرفة باختراق البوادي وإجادة النقل والمهارة وحسن الوساطة في البيع والشراء بين البدو والحضر ، كما اعتادوا أن يسموا عكيلياً (عكيلياً) كل جندي هجان نشأ من قرى : مقاطعة القصيم في نجد ولو كان من غيرها ، لما للعقيل من التفوق والمقدرة على الجندية ، كما اعتادوا أن يسموا (كبيساً) كل بائع يلحقهم في حلهم وترحالهم ولو لم يكن من أهل الكبيسة المشهورين بمذقهم في التجارة ، والكبيسة قرية في العراق على سيف البادية وغربي الهيت .

وبعد أن قضت السكة الحجازية على ثقل الحجاج على الإبل ومنذ أن ظهرت السيارات ، واخترت مسالك الصحراء ، وحملت المسافرين والسلع التجارية ، وأغنت عن الإبل والمترزقين بالإبل ، انصرف (السخانة) إلى العمل والتكسب بنواتج الصحراء ، كالقلي الذي يستخرجونه من حرق نبات الشنان وكالزيت الذي يستخرجونه ، والزيتون الذي يقطفونه من أشجار الزيتون حول قريتهم ، ومثلهم في قطف الزيتون أهل تدمر أيضاً ، والكمأة التي تنمو في البادية في سني الخصب ، وعرق السوس الذي يقلعونه في أنحاء دير

الزور وعين الكروم ، والسراس الذي يجذونه في الجزيرة في أنحاء ثرية الجعرة وثرية الملح ، والعاديات (الأنتيكة) التي ينبشونها ويستخرجونها من الأطلال والمدافن حول تدمر والسخنة والطيبة والكوم والندويات والكديم والرصافة وقصر الحير ، ومن جلود الحيوانات البرية وعظام الجمال ، هذا إلى قليل من الزراعة المسقية حول قراهم ، ومن تربية الغن والمعز ، وما تصنعه نساؤهم من البسط الملونة المشهورة بجودتها ، وما يقوم به رجالهم من قص صوف الغن ووبر الإبل ومداواة الإبل المصابة بالجرب لدى العشائر ، ومن تربية الصقور واستخراج صغارها من أعشاشها في جبل الضاحك ، وقد كانوا يبيعون الصقر بنحو عشرين ليرة ذهبية .

وأما الشنبل : فهو البراري الممتدة شرقي حص وحماء وجنوبي حلب وغربي طريق تدمر والرق ، وقد أخذوا هذه الكلمة من مكيال الحبوب المسمى شنبلاً ، المستعمل في أنحاء حلب وحماء وحمص ، وهو بحجم حمل أو نصف حمل بعير ، وهو يزن ٢٢٠ كيلو غراماً في حص ونحو نصف ذلك في حلب ، ولم نعر على هذه التسمية في الكتب العربية القديمة ، فمن أين جاءت ومتى استعملت ؟ هذا وبراري الشنبل منزل عشائر حص وحماء وحلب الذين سنتحدث عنهم في حينه ، وفيها من المدن والأماكن الأثرية مدينة الفار قرب (بالس) ومدينة الرصافة (سرجيوبولس) وتدمر وخنصرة والأندرين وأسرية وقصر ابن وردان وقصر الحير الغربي وقصر الحير الشرقي وسد الخربة وغيرها .

وأما الدو : بفتح الدال فهو سهل واسع مستطيل الشكل ، كأنه واد عظيم محصور بين سلسلة جبال (الشومرية والشفاء وشاعر والأبيض) في غربه وشماله ، وسلسلة الجبل الشرقي وجبل الرواق في جنوبه ، وذعره نحو ٩٠ في ٣٠ كيلو متراً ، ويقع بين القريتين وتدمر ، ويخترقه طريقان للسيارات : الأول من تدمر إلى دمشق والثاني من تدمر إلى حص ، كما تخترقه أنابيب النفط العراقية الذاهبة إلى طرابلس ، وفي وسطه إحدى محطات هذه الأنابيب واسمها تيفور (ت ٤ - طرابلس ٤) . والدو والدوية في اللغة المفازة ، وسهلنا هذا هو مفازة بحق لوحشته واقفراره ، وفي غربه الأقصى من العيون والآبار التي تردها الأعراب عين القمقوم وعين الجبة وبئر روضة وفي وسطه بئر قصر الحير وفي شرقه الأقصى عين البيضاء وبئر طوالة وفي شماله بئر مران وبئر مسرب .

وأما الوديان : فهي البراري الممتدة على يمين ويسار الحدود التي بين العراق والشام ، في شرقي تدمر والرطبة وجنوبي أبي كمال ، تسيل فيها بعض الأودية المنحدرة من هضبة الحماد ولا سيما من حول جبل عنيزة للإنصاب في الفرات كوادي عامج ووادي حوران ووادي الرتقة ووادي عكاش ووادي الصواب ووادي المياه ووادي علي وغيرها ، تنجع إليها عشائر عنزة لوفرة كلثها ومائها .

وأما القعرة : أو الجعارة فهي وهدة عظيمة مرتفعة الحروف والأكناف ، ذرعها نحو ٦٠ في ٣٠ كيلو متراً ، تقع داخل الحدود العراقية بين الرطبة وأبي كمال ، تنجع إليها عشائر عنزة وخاصة الأسبعة والعمارات لوفرة كلائها وتعدد مساييلها وآبارها ، كبر الراح وبئر ملوصة وبئر الأغرى . وللقعرة أودية تصب فيها تأتي من جبل عنيزة يسمونها (العفايف) ، يخشى البدو دخولها ليلاً خوفاً من الجن الساكنين فيها فيما زعموا ، حتى في النهار لا يدخلها أحدهم منفرداً بل مع جمع ، وللقعرة مدخل في الشمال يدعى الحلقوم ، وهو واد متصل بوادي علي الذي يصب في الفرات شرقي بلدة أبي كمال . وفي الأكمات المشرفة على الحلقوم حصن أثري يدعى قصر حلقوم كان يحرس الدخول والخروج .

وأما الحماد : وزان سحاب فهو : القفار الموحشة والفدافد المعطشة التي تمتد في جنوبي تدمر حتى النفود ، وتشترك فيه دول الشام والعراق والأردن والمملكة السعودية ، وهو (الصحراء) الأصلية في عرف من لا يعرفون جغرافية البادية ولا يميزون بين أقسامها ، وتخترقه طريق السيارات الزاهية من دمشق إلى بغداد والأخرى القادمة من حيفا إلى بغداد . والحماد صميم البادية ولها ، أقسامها مدخلاً وأبعدها منتجعاً ، وأروعها منظراً ، ومن الغريب أن لا يرد اسم الحماد في معجم البلدان لياقوت ولا غيره من الكتب الجغرافية والمعاجم اللغوية العربية ، فهل هذا الاسم حديث في لسان البدو ؟. وماذا كانوا يسمون الحماد قديماً ؟. وهل هو لمحمد أرضه بالنظر إلى أن أدنى مطر يسقط عليه ينبته كلاً وافراً ترعاه ماشية الأعراب ؟

وأما الحرّة أو حرة الراجل نسبة إلى واد فيها اسمه وادي الراجل المنحدر من صلب جبل الدروز الشرقي الجنوبي في قضاء صلخد ؛ فهي وعرة عظيمة تمتد داخل الحدود الأردنية ، في الجنوب الشرقي من الجبل المذكور ، بين محطتي اجفايف (حيفا ٥) واجفور

(حيفا ٤) لأنابيب النفط العراقية ، وهي مؤلفة من صخور بركانية صغيرة لماعة سوداء كالفحم الحجري مصفوفة كصف أرضة الطرق قذفتها قم جبل الدروز ، كما قذفت حرقى اللجا والصفا ، وتشقى فى هذه الحرة بعض عشائر جبل الدروز كالمسايد والشرفات والعظامات ، وتسرح قطعانهم ، فإذا جاء الصيف وجفت غدران وادى الراجل صعدوا إلى جبلهم . وكانت هذه الحرة فى عصور التاريخ الأولى شبه مأهولة ، تدل على ذلك أطلال المباني الحجرية والأدوات الظرائية التى وجدت فيها ، ثم آثار المخافر والرصيف الرومانى المتجه من صلخد شرقاً ، ثم الكتابات الصفوية الكثيرة ، وفى وسط هذه الحرة أنشئت فى عهدنا إحدى محطات أنابيب النفط العراقية ورقها (حيفا ٥) = اجفايف ، كما أنشئ طريق معبد بالزفت أحسن تعبيد وأمتنه ، تمتد بين حيفا والرطبة . قال ياقوت فى معجم البلدان : الحرة ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، والجمع : الحرات . والحرات بين دمشق والمدينة كثيرة عد منها ياقوت ثمانى وعشرين ، منها حرة الراجل هذه . قال النابغة :

يَوْمَ بَرَبْعَى كَأَن زَهَاءَ إِذَا هَبَطَ الصَّحْرَاءُ حَرَّةَ رَاجِلٍ

وأما وادى السرحان فهو واد طويل عظيم ، يعد جغرافياً من بلاد الشام وإن كان الآن فى أقصى الشمال الغربى من الحدود السعودية وفى جنوبى حرة الراجل ، وهو كثير الآبار ، لا يظلم مرتاده ، وكثير الملح فى مالحه المعروفه بالقريات ، وهو ينسب إلى عشيرة السرحان التى كانت أقوى عشائر حوران فى القرن العاشر الهجرى ، ثم اضمحلت إلا بقية باقية منها فى شرقى إربد من أعمال شرقى الأردن ويقال أن اسمه كان قبلاً وادى الأزرق ، وإنما اكتسب هذا الاسم بعد أن احتلته السرحان ، وأكثر أراضييه سوداء مثل حلك الغراب ، بركانية الأصل والتركيب وكلها أوعار وحرار ، وقد نسب إلى السرحان وهو الذئب ، لأن الأعراب يتوهمون أن الذئاب تكثر فيه . وفى وادى السرحان : ناحيتان يتبعهما عدد من القرى ، الأولى : ناحية القريات (قريات الملح) فى شمالي وادى السرحان ، وهى تصغير قرية وأضيفت إلى الملح ، لأن فيها فى قرية كاف ملاحات طبيعية ، وهى عدة واحات من النخيل فى كل منها عدة بيوت قروية من اللبن ، وأجل هذه الواحات : كاف فائرة فنوة . وفى كاف ما يزيد على عشرين ألف نخلة يرتزق أهل

القرىات منها ومن الملح الذي يستخرجونه من ملاحاتها وينقلونه إلى حوران وشرقي الأردن على متون الزوامل ويبادلونه بالقمح وغيره .

والثانية ناحية الجوف : وهي : ناحية في أقصى جنوبي وادي السرحان ، كان اسمها في صدر الإسلام دومة الجندل ، وهي تقع في غور من الأرض ، تحديق بها الهضاب والآكام ، ومن هنا كان تسمية البدو لها بالجوف ، وأهم قراها سكاكة ، وهي المدينة الرئيسية وسط منطقة زراعية كبيرة واقعة إلى شمالي النفود على رأس وادي السرحان ، وموقعها الجغرافي منهم لوقوعها على الطريق المباشر ما بين بلاد الشام ومنتصف الجزيرة العربية ، وهي مر القوافل والقبائل إلى الشام منذ أقدم العصور .

والإنكليز والإفرنسيون حينما تقاسموا النفود في هذه البادية جعلوها : قسمين ومدوا بينهما خطاً وهيأ يبدأ من قرب دير الكهف في جنوبي جبل الدروز ويسير نحو الشمال الشرقي في خط سويّ حتى بلدة أبي كال على الفرات ، فما كان في شمالي هذا الخط وغربيه فهو : للشام ، وما كان في شرقيه فهو : للعراق ، ويتفرع من هذا الخط : خط سوي آخر نحو الجنوب الشرقي من نقطة قرب جبل التنف (على طريق سيارات دمشق بغداد) إلى أن يبلغ جبل عازة ، فما كان شرقي هذا الخط فهو : للعراق ، وما كان في غربيه فهو : لشرقي الأردن . أما ما امتد في جنوبي جبل عازة حتى النفود وما بعدها فهو : للمملكة السعودية . هذا في الشامية ، أما في الجزيرة فالحد بين الشام والعراق يسير من أبي كال شمالاً على خط سويّ فيخترق ممالح الروضة فوادي العجيج قتل صفوق قتل خليل قتل رحولي ، وهذه التلال غربي جبل سنجار ، ثم ينعطف نحو الشرق الشمالي إلى محطة تل كوشك ، ومنها إلى فشخابور فجزيرة ابن عمر على الدجلة ، حيث يلتقي بالحدود التركية الزاهية غرباً نحو نصيبين ورأس العين وجرابلس ، إلا أن هذا التحديد والتقسيم لم يكن متعادلاً ، ولم تسمع فيه كلمة العشائر وتراع حقوقهم وما تعارفوا عليه .

وليس في هذه البادية أثر للرمل ؛ اللهم إلا شيء قليل في غربي تدمير قرب عين البيضاء في وادي الرمل ، وفي شرقي تدمير حول بعض الأودية والسباخ كمملحة تدمير التي ذرعها ١٢ كيلو متراً في مثله وكسبخة التليلي وسبخة المنبطح . وأما تربتها فرملية لكسية بيضاء أو صفراء دمثة مختلطة بقسم غير يسير من التراب الباقي ، فإذا نالها نصيب من

المطر اهتزت وربت وأنبتت كثيراً من الأعشاب والجنبات التي تستسيفها الغم والإبل وترعاها ، لأجل هذا يخطيء من يظن أن بادية الشام فلات رملية كدهناء نجد أو تهامة الحجاز والين ، بل هي كما قدمنا أشبه بالسهب المعاشيب التي في أنحاء روسية الجنوبية مما يدعوه الأوروبيون « استب steppe » .

الإقليم :

يسود هذه البادية إقليم صحراوي عبوس قاس ، ففيه موسمان ؛ الصيف ذو الحر الشديد ، والشتاء ذو البرد الشديد ، يفصل بينهما موسمان قصيرا الأجل هما الخريف والربيع ، فالشتاء يبدأ من كانون الأول ، وينتهي في آذار بحرارة درجتها العظمى بين ١٦ و ٢٠ والصغرى بين - ٢ و - ٧ ، وفي بعض السنين يقرس البرد جداً ، وتزداد قسوة الشتاء على البدو فينالهم منه العناء العظيم ، وقد يهطل الثلج قليلاً في بعض السنين ، وفي ما ندر منها يهطل بشدة . ففي سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) وكانت سنة عصيبة في البادية والحاضرة بقي الثلج الغزير غامراً البادية كلها نحو أسبوعين وأهلك وقتئذ كثيراً من الإبل والغنم ورغم أسنتها وألاياها . وفي سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) ظلت محطة الرطبة التي هي في وسط الحماة مغمورة بالثلج بضعة أيام ، أما الأمطار فتعطل من تشرين الأول وتشرين الثاني إلى نيسان بكميات قليلة لا تزيد عن المئتي ميلتر في القسم الأول الغربي من البادية (الشامية) ولا عن المئة ميلتر في القسم الثاني الشرقي (الحماة) ، وربما جاوزت هذه الأرقام في ما ندر من السنين^(١) .

وعند هطول المطر سرعان ما تبتلع تربة البادية الرخاء العطشى ، وتجذبه الشقوق البعيدة التي في أجوافها ، وتهطل المطر غير مطرد ، فهو إما أن يقع فجأة وبغزارة وروعة تدومان بضعة أيام ، وإما أن ينقطع عدة أسابيع ، وقد يكون له دورتان ؛ الأولى في أواخر تشرين الثاني وأوائل كانون الأول ، والثانية في كانون الثاني حتى أوائل آذار ، وبينهما فاصلة ، وإذا ولى نيسان لا يعد للأنواء أثر .

(١) معدل كميات الأمطار في دمشق ٢١٧ وفي سلمية ٣٨٠ وفي حلب ٤٢٣ وفي السويداء ٣٢٥ وفي دير الزور ١٤٤ وفي تدمر ١١٦ وفي محطة تي تري ١٥٧ وفي محطة تي فور ١٢٣ وفي جرابلس ٢٤٤ وفي الرقة ١٦٧ وفي الحسكة ٢٨٢ وفي القامشلية ٣٢٤ ميلتراً .

والظاهرة الجوية الوحيدة في اطرافها هي (الرياح) ، والغالبة منها في الشتاء هي الشرقية ، وفي الربيع الغربية ، والرياح الشرقية الجنوبية هي التي تجلب الغيث في فصل الشتاء ، وإذا مالت نحو الشمال الغربي تتبدد الغيوم ، ويعود الصحو بسرعة ، والرياح الشرقية الجنوبية حارة ، والغربية والشمالية باردة وقارسة ، والضباب يقل حدوثه في دير الزور ، ويكثر في الحسكة ، وكذلك الصقيع الذي يفتش الأرض صباحاً ، والخريف معتدل إلا أنه قصير الأمد ، فيحل الشتاء فجأة دون حالة انتقالية ، ومثله الربيع الذي يفاجئه الصيف .

وإقليم البادية شديد الحر في الصيف ، وهذا الفصل يبدأ من أيار ، وينتهي في إيلول ، بجمارة درجتها العظمى في شهر تموز وآب في دير الزور ٤٦° - ٤٨° ، على أن معدلها خلال عشر سنوات ٤٣° ، أما عند البدو وتحت بيوت الشعر فتصل إلى ٥٥° ، وإذا سكن الريح يصبح المكوث في هذه البيوت مزهقاً للأنفس ، وإذا اشتد الريح يثير الغبار ، ويزعج المقام ، فهو قلما يكون رهواً عليلاً ، فالطبيعة في البادية دائماً إما في إفراط وإما في تفريط شأن أهلها .

والفرق بين حر النهار وبرد الليل في الصيف والشتاء لا يكون ذا بال ، بينما هذا الفرق في فصلي الربيع والخريف يكون كبيراً ومخيفاً يبلغ أحياناً ٣٠° درجة . ومن هنا كان هذان الفصلان أسوأ الفصول في البادية من الناحية الصحية وتؤدي الأمراض الحادثة من جرائه إلى وفيات عظيمة في أطفال البدو .

أما الإعصار والزوابع الرملية التي تثور في البادية بين السماء والأرض ، وتستدير كأنها عمود شاهق الارتفاع ، وتهيج الغبار والتراب ، فهي حقاً ظاهرة جوية مزعجة ، ومن أروع مشاهد الطبيعة التي تقض المضاجع ، تراها مقبلة من جوف الصحراء أو قلب الوادي ، وتكاد تشبه بادئ ذي بدء الخط المرسوم في الأفق ثم ترتفع في الجو ، وتتضخم ويشد دفعها ، فتعصف ما مرت به من تراب وغبار وتديره في الأرض وتصدده في الهواء وتلتوي في هبوبها ، فتحمل حلزونات عظيمة ، تختلف ألوانها حسب لون التراب والبقاع التي صدرت عنها ، وهي تحصبها وترفعها من عشرات الكيلومتر ، وتظهر كأنها الجدار السامي إلى عنان السماء ، تعلو وتتحرك وتتقدم ، وبعد برهة وفجأة تكتنفك وتغرقك في

سحابة سوداء حمراء قتاء مكفهرة مضيئة ، لا حيلة لك وأنت في ذلك العراء أن تجتنب هولها وويلها وتسمع وقتئذ خشخشة حبات الرمل وصدى احتكاكها باستمرار وهياج ، تبصر ذرات التراب الناعمة ينشط بعضها بعضاً ويموج ، وتلطم هذه الحبات والذرات السجود لطم السياط ، وتخفف الحلق ، وتزهق النفوس ، ويعمي الغبار المتصاعد العيون ، وتهيم الحيوانات على وجوهها ، فما عليك وقتئذ سوى الانبطاح وراء مطيتك والتدثر بالعباءة ولف الرأس بالكوفية والدعاء بأن يتداركك ربك بلطف من رحمته ، فإذا انقضت هذه الداهية الدماء ، وانتشع قتامها وغبارها ، وعاد إلى العقول صوابها ، تخال نفسك قد خرجت من الظلمات إلى النور ، بينما أنت لاتزال وسط السهل الذي يعود إلى إشرافه وعمقه ، وتامح في الأفق القصي المصفر المغبر كيف تدبر تلك العاصفة الهوجاء وتباعد وتنحل .

ومن أقام في دير الزور وأمثالها من بلدان الفرات يعرف قدر هذه الزواجر والعواصف بعلائها وأفاعيلها : فهناك ترى السوق مفتوحاً والناس في بيعهم وشرائهم إذ يخفون سراعاً لإغلاق الحوانيت ، فيقبعون فيها أو في دورهم ، ويغلقون الأبواب والنوافذ ، وتتفر الشوارع من المارة ، فإذا هبت الزوبعة تنحجب الشمس ، ويتلون الجو بلون أسود قاتم وأحمر متأجج ، ثم بلون أصفر ولا يبرح في هذه الألوان والظلام حتى تخف الوطأة بعد ساعة أو ساعتين أو أكثر أو أقل ، ويعود إلى لونه الطبيعي ، فيخرج الناس من ملائهم ، كأنهم اتقلبوا من الظلمات إلى النور أو كأنهم أصيبوا بغارة جوية شنعاء ، فيرون أرض الدور والغرف ، قدم ملئت بالغبار والرمل الناعم معها أحكوا إغلاقها ، لأن الغبار يدخل من كوى المدافئ وثقوب المفاتيح ، وهم يسمون هذه الزوبعة (عجة) تصغير كلمة عجاجة الفصحى . أما عواصف الغبار العادية فهي كثيرة في البادية ، وهي ترفع كل شيء وتغمره ، حتى أنها تدخل في الطعام والأثاث والخياشيم ، وتحرم لذة الطعام والنظافة وحتى النوم في بعض الليالي . فالبادية على الجملة لاتصلح للإقامة إلا في شهري الحريف (تشرين الثاني) وكانون الأول (والربيع) آذار ونيسان) ، لأن الإقليم شديد وقاس والماء قليل ووردي . ومرارة الحياة غير يسيرة لمن لم يعتادها من أبناء الحواضر ، لا يعيش فيها إلا كل أخبي غمرات سابر على النكبات ، ومن كان حليف الجوع والعطش ذا صحة لاتختل وعزيمة

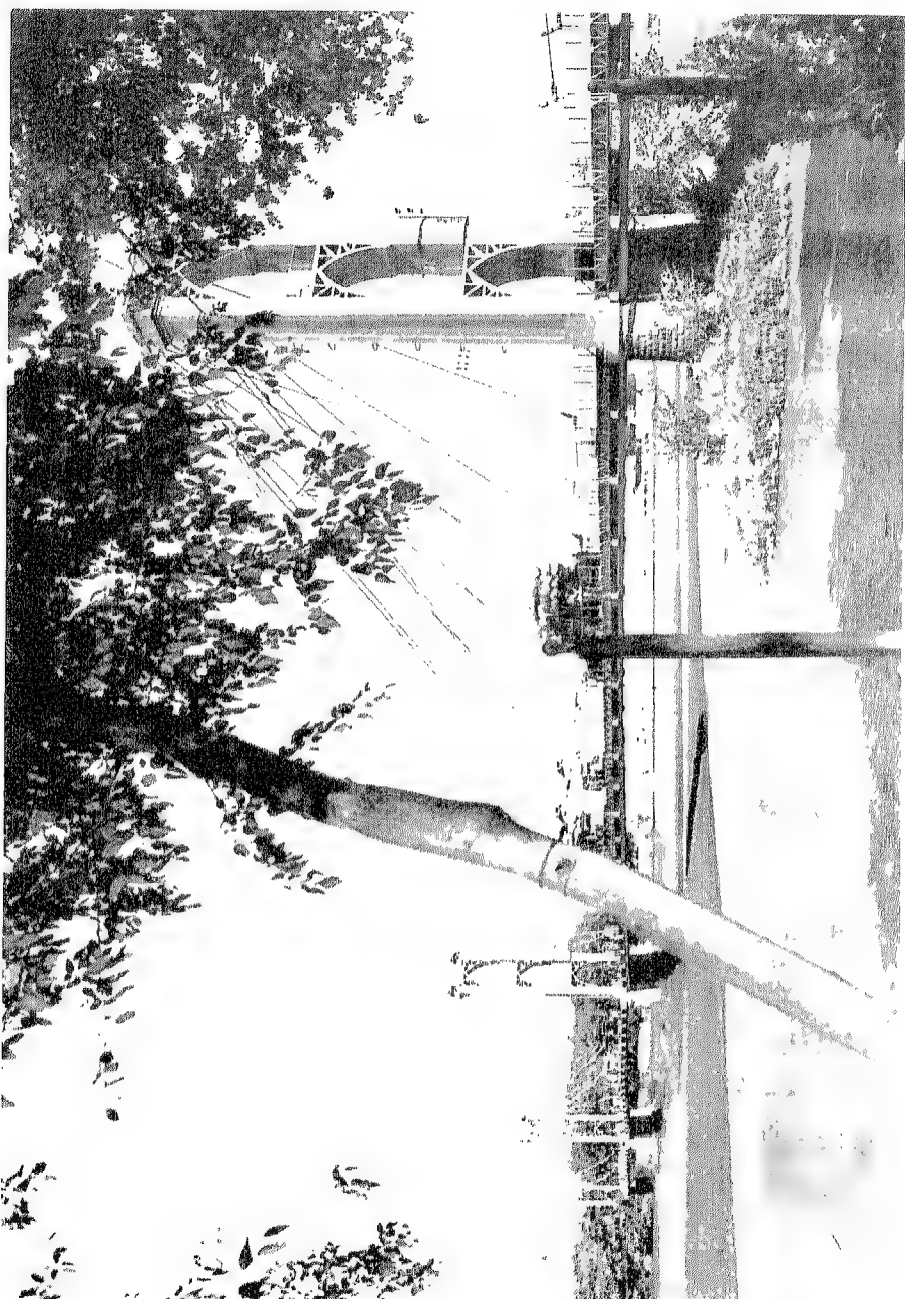
لا تفتقر ، وإذا توغلت فيها فهناك المشاق والمصاعب بعضها ينسيك بعضاً^(١) ويلزمك بعضها لزام الظل ، فيوماً ترتشف الماء العكر من الموحلات في قعور الآبار والخباري ويوماً تكاد تهلك من الظماً تحرقك في النهار شمس الهاجرة ، وتتألم في الليل من شدة البرد ، وإذا كان الأمن مختلاً لاتأذن ربعك شبب النار خوف أن يهتدي إليكم اللصوص . وهكذا ...

النجعة :

إذا حل فصل الخريف يغادر البدو منازلهم في المعمورة ، ويشرعون بنجعتهم نحو البادية طلباً لكلائها ، فيظعنون رويداً رويداً وزرافات زرافات ، وينتقلون من بئر إلى بئر ومن مرعى إلى مرعى ، ويمعنون كلما توالى المطر الموسمي ، واهتزت الأرض وأعشبت ، وإذا جاء فصل الشتاء ، وهطلت الأمطار في إبانها ، وتتابع على الحمود من أنوائها ، ولم تشذ عما يطاق من قرها وبردها ، تخضر البادية اخضراراً جميلاً ، وتغدو بقعة أريضة بهجة ، وتكتسي بأنواع النباتات والأعشاب ، فترتع فيها الإبل والغنم وتلد بكثرة ، وتمتليء الغدران (جمع غدير) والخباري (جمع خربة) والخرائج (جمع خريجة) وهي شبه المستنقع والعقلات (جمع عقلة) وهي بئر قليلة العمق يمكن حفرها بأبسط الأدوات حتى بالصاج المعد لخبز الخبز . وإذا جاء فصل الربيع وحسن وروده وازدهت رياحينه ووروده ، يعلو ثغاء الحملان ويدوي صوت غنخ الألبان ، وينساب البدو ، ويوغلون في نجعتهم إلى (قلب الحماد) يتتبعون مساقط الغيث وخواوض الخباري ، ومنابت الكلاً وملاجئ الدفء ، ويطيّلون أمد النجعة كلما أخصبوا وأمرعوا وارتووا من الماء وطاب المقام والعيش الرخي ، وكثرت الكمأة وقلعتها نساؤهم وطبختها .

وكما تتابع أمطار الشتاء والربيع وزخر الماء في الخباري و (الوديان) عم الفرح مضارب البدو ، وطفح البشر والاعتباط على وجوههم ، فيشبعون ويسمنون هم وماشييتهم وتكثر الأعراس والولائم عندهم ، ويعكف بعضهم على الصيد والقنص بقصد اللهو والأنس ،

(١) قيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله ، فقال وهل العيش إلا ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً فيرفض عرفاً كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كسائه وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى (عن الحسن والأضداد) .



جسر الفرات في دير الزور

وهم كلما أمعنوا في التشريق أو النجعة ، متعوا نواظرهم ببهيج المناظر المتعددة المتجددة ، واستنشقوا الهواء النقي الفياح بأريج العرار والحزامى والشيخ والقيصوم وغيرها من زهور البادية وعطورها ، مما جعلهم يؤثرون ربيع البادية على ملاهي الحاضرة ، وهم لهذا كله ، ولتبدل المناظر أمامهم كل حين عديمو الحاجة لمسارح الحواضر ومباهجها ، ذكر المقدم مولر في كتابه (في الشام مع البدو) أن مزيد بن قعيشيش شيخ ضناً ماجد (الخرصة) من الفدعان وعقيدها المغوار في الحرب المتوفى في سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) كان قد أتى مرة إلى حلب في سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) فدعاه أحد ضباط مراقبة البدو الفرنسيين ذات ليلة إلى سهرة حافلة في أحد بساتين حلب وزين البستان بالأنوار والأزهار والأطعمة والأثمار وكل وسائل اللهو والطرب ، وبعد أن مكثوا مدة وأخذوا من الحظ عُدّة سأل الضابط الشيخ مزيد ، وقد وجده ساهماً في الجلسة كلها غير آبه لشيء كأنهم في واد وهو في واد « كيف وجدت ليالي حلب يا شيخ مزيد » فأجابه « كلها زين وما علمتوه الليلة زين ولكن بريتنا في الربيع أكثر زينة ومتعة » .

ورحم الله الأمير عبد القادر الجزائري المتوفى في سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) فهو لما كان في فرنسا جرى بين طائفة من أدبائها مناظرة في أي المعشتين أفضل ؟ معيشة البدو أم معيشة الحضر ، ثم طلبوا رأي الأمير في ذلك ، فنظم لهم قصيدة غراء جديدة بالاقتراس هنا ، إذ لم أجد في شعرنا القديم والحديث أبدع منها تمثيلاً لحياة البادية ومحاسنها ووصفاً لشغف البدو وتفضيلهم إياها على حياة الحضر ومساويها ، قال :

يعاذراً لامرئ قد هام في الحضر	وعازلاً لمحّب البدو والقفر
لا تذمن بيوتاً خف محلها	وقد حن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرنى	لكن جهلت وكّم في الجهل من ضرر
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقياً	بساط رمل به الحصباء كالدرر
أو جلّت في روضة قد راق منظرها	بكل لون جميل شيق عطر
تستشقن نسيّاً طاب منتشراً	يزيد في الروح لم يمرر على قذر
أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه	علوت في مرقب أو جلّت بالنظر
رأيت في كل وجه من بساطها	سرباً من الوحش يرعى أطيب الشجر

فيالها وقفة لم تبقي من حزن
 نباكر الصيد أحياناً فنبغته
 فكم ظلمنا ظليماً مع نعماته
 يوم الرحيل إذا شدت هوادجنا
 فيها العذاري وقيها قد جعلن كوى
 تمشي الحداة لها من خلفها زجل
 ونحن فوق جيات الخيل نركضها
 نطارد الوحش والغزلان نلحقها
 نروح للحي ليلاً بعد ما نزلوا
 تراها المسك بل أنقى وجادها
 نلقي الخيام وقد صفت بها فغدت
 قال الأولى قد مضوا قولاً يصدقه
 الحسن يظهر في بيتين رونقه
 أنعامنا إن أتت عند العشي تخل
 سفائن البر بل أنجى لراكبها
 لنا المهارى وما للريم سرعتها
 فخيّلنا دائماً للحرب مسرحة
 لانجمل الضيم من جار نتركه
 وإن أساء علينا الجار عشرته
 تبيت نار القرى تبدو لطارقنا
 عدونا ماله ملجأ ولا وزر
 شراهم من حليب لا يخالطه
 أموال أعدائنا في كل آونة
 ما في البداوة من عيب تدم به
 وصحة الجسم فيها غير خافية
 من لم يمت عندنا بالطعن عاش مداً

في قلب مضنى ولا كد لذي ضر
 فالصيد منا مدى الأوقات في ذعر
 وإن يكن طائراً في الجو كالصقر
 شقائق عها مزن من المطر
 مرقعات بأحداق من الحور
 أشهى من الناي والسنطير والوتر
 شليلها زينة الأكفال والخصر
 على البعاد وما تنجو من الضر
 منازل ما بها لطخ من الوضر
 صوب الغمام بالآصال والبكر
 مثل السماء زهت بالأنجم الزهر
 نقل وعقل وما للحق من غير
 بيت من الشعر أو بيت من الشعر
 أصواتها كدوي الرعد بالسحر
 سفائن البحر كم فيها من الخطر
 بها وبالخيل ذللنا كل مفتر
 من استغاث بنا بشره بالظفر
 وأرضه وجميع العز في السفر
 نبين عنه بلا ضر ولا ضرر
 فيها المداواة من جوع ومن خصر
 وعندنا عاديات السبق والظفر
 ماء وليس حليب النوق كالبحر
 نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
 إلا المروءة والإحسان بالبدر
 والعيب والبداء مقصور على الحضر
 فنحن أطول خلق الله في العمر

ورحم الله امير الشعراء شوقي حيث يقول :

أكنت من الدور أو القصور ترى هذه القبة الصافية ؟
 كأن النجوم على صدرها قلائد ماس على غانية
 فما (البید) إلا ديار الكرام ومنزلة الـذم الوافية
 لها قبله الشمس عند بزوغ وللحضر القبلـة الثـانية

ولكن ما أن ينتهي فصل الربيع وتنقطع الأمطار ولا سيات إذا لم تبلغ الكميات السنوية التي ذكرناها (٢٠٠ مم في الشامية و ١٠٠ مم في الحماد) ، حتى ينزوي العشب ويقل المرعى وتجف مياه الخبارى والأودية ، وما أن يشتد الحر في شهر أيار حتى يكلف بسيط البادية ، وينقلب كئيباً يبعث الانتقاض ، وتبرز أرض الجوع والعطش التي لا يعد فيها اخضرار ، ولا ينبض ماء ، ولا يحلو العيش . لهذا يشرع البدو منذ أواخر نيسان وأوائل أيار بالرحيل والرجوع نحو المعمورة رويداً رويداً ، يسرون زرافات زرافات إلى حيث يجدون مجالاً للعل والنهل من الآبار فيقيمون حول كل بئر مدة ثم ينتقلون إلى غيره ، فإذا اقتربوا من المعمورة وقفوا عند حدودها ، وخيموا في الأماكن الكافية لرعي مواشيهم وشربها ، وترقبوا انتهاء موسم الحصاد في القرى ، ومن ثم يقصدون منازلهم التي اعتادوا أن يقيظوا فيها ويستقروا ، فيبقون خمسة أو ستة أشهر ثم يعودوا للنجعة وهكذا دواليك في كل عام . أما إذا جاءت أعوام ماحلة فأجدبت الأرض ، وشحت السماء ، ونضب معين الماء ، أو كلب البرد ومات الحلال ، من الجوع والعطش حينئذ يركبهم الجهد أي ركوب ، ويخيم عليهم البؤس وضنك العيش أي إحناء ، كما أدركنا بعضه في سني (١٩٣٢ م - ١٩٣٥ م) . وفي كتاب الحاسن والمساوي (ج ٢ ص ٩٩ طبعة ليبزيغ) وصف لهذه الحالة ما برح ينطبق على أعراب البادية في سني القحط والشدة ، رأينا من المناسب درجه هنا .

قال زياد لغيلان بن خرشة : أحب أن تحدثني عن العرب وجهدها وضنك عيشها ، لنحمد الله على النعمة التي أصبحنا بها ، فقال غيلان ؛ حدثني عمي قال : توات على العرب سنون تسع في الجاهلية حطمت كل شيء ، فخرجت على بكر لي في العرب ، فكثت سبعا لا أطعم إلا ما ينال منه بعيري ، أو من حشرات الأرض فشددت على بطني

حجراً من الجوع ، حتى دفعت في اليوم السابع إلى حواء^(١) عظيم ، فإذا بيت جحش^(٢) عن الحي فلت إليه ، فخرجت إلى امرأة طوالة حسنة^(٣) فقالت من ، قلت طارق ليل يلتمس القرى ، قالت لو كان عندنا شيء لآثرناك ، والدالّ على الخير كفاعله ، حس^(٤) هذه البيوت ثم انظر إلى أعظمها فإن يك في شيء منها خير ففيه ، ففعلت حتى دفعت إليه ، فرحب بي صاحبه وقال من ؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى ، فقال : يا فلان ، فأجابه ، فقال هل عندك طعام ؟ فقال لا ، فوالله ما وقر في أذني^(٥) شيء كان أشد علي منه قال : هل عندك شراب ؟ قال : لا ثم تأوه فقال : قد بقينا في ضرع الفلانة^(٦) شيئاً لطارق إن طرق ، قال : فأت به فأتى العطن^(٧) فابتعتها فما سمعت شيئاً قط كان أشد من شخب تيك الناقة في تلك العلبة ، حتى إذا ملأها وفاضت من جوانبها ! وارتفعت عليها رغوّة كجمة الشيخ ، أقبل بها يهوي نحوي ، فعثر بعود أو حجر فسقطت العلبة من يده فما أصبت بمصيبة أفرع لقلبي ولا أعظم موقعاً عندي من انكفاء تلك العلبة على مثل تلك الحال التي كنت فيها ، فلما رأى ذلك رب البيت ، خرج شاهراً سيفه فبعث الإبل ، ثم نظر إلى أعظمها سناماً ، ودفع إليه مديّة ، وقال يا عبد الله اصطل واحتمل ، فجعلت أهوى بالبضعة^(٨) إلى النار فإذا بلغت إنهاها^(٩) أكلتها ثم مسح ما في يدي من إهالتها^(١٠) على جلدي ، وقد كان قحل^(١١) على عظمي حتى كأنه شن^(١٢) ، ثم شربت شربة ماء ،

(١) الحواء : جماعة البيوت المتدانية وجمعها حوية

(٢) جحش : تنحى وأبعد عن البيوت

(٣) حانة : حسناء

(٤) حس : تعرف أحوالها .

(٥) وقر : ثقل

(٦) الفلانة والفلان بالترديد كناية عن غير الآدميين

(٧) العطن : مناخ الإبل حول وردها

(٨) البضعة : القطعة من اللحم

(٩) بلغ إنهاه : نضجه وأدركه

(١٠) الإهالة : الشحم وما أذيب منه

(١١) قحل : يبس

(١٢) الشن : القرية الخلق الصغيرة

وخررت مغشياً علي ، فما أفقت إلى السحر ، وقطع زياد الحديث وقال : لا عليك ألا
تخبرنا بأكثر من هذا فمن المنزل به قلت : عامر بن الطفيل .

الحيوان والنبات :

أما الحيوان في البادية فقليل . منه بعض أنواع الجبل الأرقش والأحمر ،
والكدري^(١) والدراج^(٢) وهي تكون في ضفاف الأودية ، وثمة في بعض الهضبات العالية
القطا الشديد الطيران^(٣) والخباري الكبيرة المتوجة الطويلة العنق والذنب^(٤) والتي تنشد في
الصيد كثيراً ، وثمة الطيور الجوارح كالنسور والعقبان والصقور والبزة والرخمة والحدأة ،
وهذه الطيور الجوارح تتعارك مع بنات آوى والذئاب وتنارعهما الجيف وأشلاء الحيوانات
المائتة . وفي البادية حول سقي الفرات والخابور والبلخ كثير من طيور الماء ، وكثير من
الدراج والجبل والسائي والأوز والبط والطيور المسمى صياد السمك ، وفي البادية أراب
الغزلان السارحة التي تختلف قليلاً بين الجزيرة والشامية ، وفيها الوعول^(٥) في جبل الرواق
غربي تدمر ، وبنات آوى والثعالب قرب الأودية ، والأرانب في موقع الخور جنوبي
الدير ، والخنازير البرية في الجزيرة في بحيرة الخاتونية وفي وادي الفرات وجبل البلعاس
وجبل عبد العزيز ، وفي هذا الجبل أيضاً الأروية^(٦) وفي البادية أنواع عديدة من الضباب
ذات الأذنان المعقدة واليرابيع القصيرة اليدين والطويلة الرجلين ، والسوام أبرص ذات
الأطوال المختلفة التي تتراوح من خاتم سليمان إلى الأوزاع التي طولها ٦٠ - ٧٠ سنتيمتراً
والعقارب ذات السم القليل والعطاء والحرباء وأم حبين وغيرها . وفي البادية من الحيوانات

(١) الكدري ضرب من القطا غير الألوان رقت الظهور صفر الخلق والضربان الآخران من القطا هما الجوني
والنطاط .

(٢) الدراج طائر يطلق على الذكر والأنثى جبل المنظر ملون الريش .

(٣) القطا طائر في حجم الحمام صوته قطاقطا شديد الطيران ، ومن أمثال العرب « هو أهدى من القطا » .

(٤) الخباري ويضرب به المثل في البلاء والحق يقال هو أبله من الخباري وكل شيء يحب ولده حتى الخباري قيل لها
ذلك لأنها إذا غيرت عشها ذهلت وحضنت بيض غيرها ، وهو طائر كبير أغبر اللون بقدر الأوز أو أكبر لذيد
اللحم .

(٥) الوعل هو تيس الجبل والجمع وعول له قرنان قويان منحنيان إلى الوراء

(٦) الأروية بضم الأول وكسره تقع على الذكر والأنثى جمعه أراوي وأروى على غير قياس . وفي معجم الحيوان لأمين المعلوف
أن الأروية هي من الضأن الجبلية ، لأن لها صوف متدلي من أعناقها بينما الوعول ليس لها مثل هذا الصوف .

الضارية بعض الفهود والسنابر البرية والوشق ، وعدد ضئيل من عناق الأرض الذي يقول البدو أنه يأكل الموتى ، وكل هذه الحيوانات مع بعض الذئباب الشهب تقترب من الأودية وتهجر الهضاب ، وتكثر الذئباب في الجزيرة وقد تسير كالقطعان وتهاجم إذا جاعت ، وليس في الهضاب سوى عدد ضئيل ومبعثر من الحبارى والشعالب والقطا والغزلان ، وفي أقصى جنوبي الحماة قرب النفود يعثر على قليل من طير النعام وهو يكاد ينقرض كإنقرض الغزلان من كثرة مطاردتها بالسيارات دون شفقة ولا رحمة ، وقد انقرض قبلها الأسد من سقي الفرات ، قيل منذ سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م) بعد أن كان يأوي في الأكثر إلى غابات الطرفاء بين الدير والسبخة .

وجو البادية جاف وأمطارها قليلة كما قدمنا ، وهذا ما جعل لها أعشاب خاصة بها ، جلها غث وقصير القامة ، أما الشجر العظام فلا ترى لها أثراً إلا في غيطان قرى المناظر كتدمر والسخنة والقريتين ، ففيها تنمو كل الأشجار المثمرة التي تعيش في بقية المدن الشامية حتى الزيتون ، والشجر غير المثمر ينمو أيضاً في جبال البادية التي غربي تدمر وشماليها ، ويؤلف غابات لو تركت وحفظت لصارت كثيفة كما هو الحال في جبل البلعاس وجبل شاعر وجبل أبي الظهور وغيرها ، وهذا الشجر هو البطم الذي يستخرج أهل السخنة من ثمره زيتاً شهيئاً ، ويقطعون حطبه ، ويحرقون فحمه وهم بذلك يكادون يبيدونه . أما النباتات الغثة القصيرة القامة ، فمنها بعض النباتات المعمرة ، يصادفها السائر في التلال وفي قعور الأودية ، والبدو يدعونها شجراً فكل نبت معمر عندهم شجر نذكر منها : الروثة والحض التي تحبها الإبل حباً جماً في الخريف ، أما في الربيع فتفضل عليها الفليفلة (وهي غير الفليفلة المعروفة في المدن) مازالت هذه خضراء ، ثم يأتي بعدها القصااص والشعران والشيخ والقيصوم والرمث والعجرم والغسلة والعبيرة والتل وغيرها . فالروثة حامضة تقوم للإبل مقام التوابل وهي والرمث^(١) وكذلك الشيخ والقيصوم اللذان لها عرف شذي تعبق

(١) وفي المخصص لابن سيده ، الحمض من النبات ما كانت فيه ملوحة والخلة ما سوى ذلك . وقيل الخلة ما كانت فيه حلاوة ، والعرب تقول الخلة خبز الإبل والحمض لحمها أو فاكهتها وإنما تحول إلى الحمض إذا ملت الخلة وليس شيء من الشجر العظام بحمض ولا خلة ، وعن أبي حنيفة كل ما ملح من الشجر كله وكانت ورقته حية إذا غزتها انفطأت ماء وكان دفر الريح ينقي الثوب إذا غسل به واليد فهي حمض والمرعى كله عشباً كان أو شجر خلة وحمض . وقال كل بلد لا يكون فيه حمض فهو عذى ، والإبل العواذي التي لا ترعى الحمض . قلت ومن الغرب أن يعد المخصص كثيراً من نباتات الحمض ، ولا يذكر الروثة الشهيرة بحب الإبل لها ولم يتعين لنا الاسم الذي قد =

منه البادية ، أحب المرعى للإبل لأنها تسمن وتغني من جوع . أما النباتات السنوية التي تسمى (العشب) فهي القبا الذي يحبه الغنم كثيراً والصمة والخافور والعدان والبخاتري والعظم والكريطة والشكارة والخصان والديدحان والمحروت والشلوة والخمية والحربق والقورب والريان والنصي والجرجير وغيرها مما يطول شرحه ، وهذه النباتات العشبية تنشأ في كانون أو شباط ، وتجف في نيسان ، وهي تنمو في منحدرات الآكام وسفوح الجبال ، وتعد من أجود مراعي الغنم .

والبدوي إذا ارتاد أو وصف أرضاً مخصبة لا يبدأ إلا بذكر الأعشاب الطيبة كما كان يفعل البدوي الجاهلي ، فقد روي أن أعرابياً وصف أرضاً أحدها فقال خلع شيخها وأقبل رمثها وخضب عرفجها واتسق نبتها ومعنى قوله خلع شيخها أي أورق وخضب عرفجها أي اسود لخضرته ، واتسق نبتها أي تتام ، ومن الأعشاب التي تهيم بها الإبل النصي ، فما جاء في البيان والتبيين للجاحظ أن الأخوص بن جعفر بعدما كبر وعمي وبنوه يسوقون به الأباغر ، قال لهم « أي شيء ترتعي الإبل ؟ » قالوا الثام والضغة ، قال « سوقوا » ثم عادت فارتعت بمكان آخر فقال « أي شيء ترتعي الإبل ؟ » قالوا نصياً وصلياناً . قال مكففة لرعاثها ، مطولة لذرأها ارعوا واشبعوا ، ثم سألهم « أي شيء ترتعي الإبل ؟ » قالوا الرمث قال خلقت منه وخلق منها .

وفي البادية من الأزهار الحزامي والعرار والأقحوان والحوذان والحربق وشقائق النعمان ، ومن نباتها الأشنان الذي يجمع البدوي منه ما يقوم مقام الصابون ، وفي الخصص لابن سيده (ج ١٠ ص ١٧٧) عن لسان بدوي يصف بهجة الأرض إذا أخذت زخرفها وازينت : رأيت ببطن فليج منظرًا من الكلا لا أنساه ، وجدت الصفراء والحزامي تضربان نحور الإبل ، وتحتها قفعاء وحربث قد أطاع وأمسك بأفواه الإبل ، وتركت الحوران ناقعة في الإرجاع . (الصفراء والحزامي والقفعاء والحربث أسماء نباتات) (وأما) أطاع فعناه

== يكون أطلقه عليها ، ولم نعر بين ما ذكرناه أنفاً وذكره هو إلا على القصاص والشعران . والرمث والنصي . وفي أقرب الموارد : القصاص ضرب من الحمض ، ضعيف دقيق ، أصفر اللون ، والشعران رمث أخضر ، يضرب إلى الغبرة ، والرمث مرعى للإبل من الحمض وهو شجر يشبه الغضا . قال المتنبي يصف ناقته : تركت دخان الرمث في أوطانه . والنصي نبت سبط من أفضل المراعي مادام رطباً ، فإذا أبيض فهو الطريفة فإذا أضخم ويبس فهو الحللى الواحدة نصية ،

بلغ غاية ما يراد منه ، وأما أمسك بأفواه الإبل فعناه أغناها عن كل شيء ، وإذا أنقعت الحوران جمع حوار (ولد الناقة) في الأرجاع فذلك غاية ري الأرض لأن الأجارع (الأباطح) أشرب للماء ، قال : وبعث قوم رائداً ، فقالوا ما وراءك ؟ قال عشب تأد مأد مولّي عهد متدارك جعد كأفخاذ نساء بني سعد ، تشبع منه الناب ، وهي تعدو المتدارك قد لحق آخره بأوله . (التأد : الرطب ، والمأد : الذي ينثني من نعمته) .

وفي سقي الفرات وفي كل مكان قريب من الماء تكثر الأعشاب والأشجار . ومنها غابات كثيفة من شجر الدفلى والطرفاء ، وقد كانت الطرفاء فيما مضى أكثر عدداً والتفافاً من الآن ، وقد أدركت ذلك خلال الحرب العامة الماضية ما بين قريتي السبخة ومعدان ، وفي الحوائج وهي الجزر الناشئة وسط الفرات أشجار الغرب بفتح العين والراء ، وفي ضفاف الفرات وحول عين الكوم نبات العرقسوس الذي يستخرج ويرسل لخارج بلاد الشام ، ونبات الينبوت الشائك ذو الجذور العمودية الطويلة وهو كثير وينفع للوقد .

التضاريس والجبال

بادية الشام هضبة مرتفعة عن سطح البحر من ٥٠٠ - ١٠٠٠ متر ، وذلك في البراري الممتدة في شرقي دمشق وفي الحماة حتى الحدود العراقية وما يليها ، ومرتفعة أقل من ذلك أي من ١٠٠ - ٥٠٠ متر في البراري الشامية إذا جرت تدمير توريد ضفتي الفرات ، وفي براري الجزيرة إذا أردت ضفاف الخابور والبلخ والجفجف ، وبراري الشامية في أنحاء دير الزور تؤلف نشأاً مرتفعاً ينحدر من الجنوب إلى الشمال نحو سقي الفرات المعروف (بالحاوي) ، ويقف هناك ببرز فجائي علوه عن مستوى الفرات ٨٠ - ١٠٠ متر ، ويكون هذا البروز أحياناً صخرياً وأحياناً منطقة مسایل متموجة تمعجاً بليغاً .

وفي هذه البادية سلسلة من الأكت والمرتفعات الجبلية ذات الصخور الكلسية الطباشيرية (الكريتاسية) تنشأ من قرب دمشق ، وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، لكن ليس لها اسم عام جامع بل أسماء لجبال فرعية منها كالجبل الشرقي الذي يبدأ من شرقي النبك والناصرية ، وكجبل النصراني الذي في جنوبي القريتين ، ومثله جبل حفير وجبل قطوس وجبل الباردة وجبل بصيري وجبل خنيزر وجبل الرواق وجبل أم جرن ، وربما شمل الجميع اسم (جبل الرواق) وهو أشهر الأسماء ، كما أن في وسط هذه

السلسلة : عيوناً ، كعين الباردة وعين الوعول وعين الخنازير وفيها بئر بصيرى وسد أثري عظيم اسمه سد الحربة وسياقي ذكره ، وفيها وادي الباردة الذي تنفذ منه عشائر حص وحماة في طريقها إلى الحماد ، وهو بين جبل الباردة وجبل بصيرى .

وفي شمالي هذه السلسلة الأولى (سهل الدو) العظيم الذي قدمنا ذكره ، وفي شمالي سهل الدو سلسلة ثانية ، تمتد من شرقي قرية عقيربات في قضاء سلمية ، وتنتهي في تدمر والسخنة ، وليس لهذه السلسلة أيضاً اسم عام جامع بل أسماء لجبال فرعية منها . وهذه الجبال الفرعية كانت في العصور الماضية ملآنة بأشجار البطم وحراجه ، والبطم ينفع بحطبه وعصير ثمره المشابه لزيت الزيتون وباستعداده للتطعيم بالفسق ، ولا يزال في بعضها آثار من بقايا هذه الحراج ، كما هو الحال في جبل البلعاس (١٠٩٨ م) وهو أشهر تلك الجبال وأقربها لقرية عقيربات من قضاء سلمية ، وفي جبل أبو الضهور وجبل شاعر (١٢٧٩ م) وجبل معدبة وجبل المرا وجبل خشبية فردة وجبل خشبية تنيان وهما شمالي جبل شاعر إلى الشرق ، وفي جبل أبي رجين وجبل الضلعان وجبل لابدة وجبل معبرة وجبل منشب وجبل الضاحك (٧٨٠ م) والضويحك القريبان من السخنة ، أما الجبال التي تجردت يالأسف من حراج البطم بحكم القطع والتخريب المتواليين منذ نصف قرن أو أقل ولا سيما خلال الحرب العامة الأولى فهي جبل الشومرية وجبل أبو شنداخ وجبل التياس وجبل الأبيض (١٣٢٧ م) وجبل الطار وجبل صفرا (٩٥١ م) وجبل شعرة (١٣٣٦ م) وغيرها ، وهذه الجبال في شمالي تدمر وغربها وشرقها ، ومثلها جبل أبو النتل وجبل أسرية ، وهما في شمالي البلعاس على طريق تدمر حلب .

وما برح أهل سلمية وعقيربات والسخنة وتدمر يقطعون أحطاب هذه الجبال ، وينقلونها على عجلاتهم وجمالهم ، ويبيعونها في حص وحماة وسلمية وتدمر ، ناهيك ما يحرقه الأعراب الذين ينزلون فيها في فصل الشتاء أو يملأون أثناء التشريق والتغريب ، وما فعله عمال شركة النفط العراقية حينما كانت تمتد أنابيبها في سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٠ م) وبعدها وترسل سياراتها ومناشيرها الميكانيكية تفتك بتلك الأشجار العظيمة التاريخية فتكاً ذريعاً ، وقد خلت أكثر تلك الجبال وما بينها من الأودية من أشجارها بسبب هذا القطع المستمر ولا رادع ولا وازع كما ينبغي . وسوف لا يمضي على ما رأيت

عشرون سنة أخرى حتى تتجرد هذه الجبال الجميلة من أشجارها بالكلية كما تجرد جبل حرمون وجبل قلمون وغيرها من جبال الشام .

وفي شمالي هذه السلسلة الثانية إلى الشرق جبل يدعى البشري (٨٦٥ م) مؤلف من سلسلة من الآكام المتعاقبة ، وهو على مقربة من دير الزور إلى غربها الجنوبي ، وطرفه الشمالي المحصور بين بئر سجري وبئر غانة ذو تأليف بركاني بازلي ، وفيه واد اسمه وادي القير يضارع أودية جهنم بجره وقت الهاجرة ، وواد آخر يدعى وادي الحرامية يمتد من الجنوب إلى الشمال ويصل حتى التبني غربي دير الزور ، وكان الأمل عظيماً بوجود النفط في جبل البشري ، لكن عمليات السبر التي أجريت لم تثمر بعد ، وقد ذكر ياقوت جبل البشري في معجمه وقال : إن فيه (أربعة معادن القار والمغرة والطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد والرمل الذي في حلب ، يعمل منه الزجاج وهو رمل أبيض كالأسفيداج وهو منازل بني تغلب بن وائل) ، وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني هذا الجبل باسم (البشر) في صدد غارة الجحاف بن حكيم السلمي على بني تغلب المذكورين ثاراً من هجو الشاعر الأخطل له في سنة ٧٣ هـ ، وسميت هذه الغارة النكراء بيوم بشر .

وفي الأغاني أيضاً أسماء أماكن في شمالي البشر كالرصافة وصهين وهي في قبلي الرصافة وعاجنة الرحوب ، وهي في قبلي صهين ومحاشن ، وهو جنب إلى جبل البشر . ولم أحقق ما إذا كانت هذه الأسماء لاتزال معروفة لدى أعراب تلك الديار سوى الراهون الذي يشبه (الراحوب) ، وفي جبل البشري مغرة تستعمل لوسم الغنم بالعلامة الحمراء . وفيه ولا سيما في جهته الغربية كثير من الكلس المزوج بالخرق على سطح الأرض تتخذة العشائر للتدفئة . وبين جبل البشري وجبل الضاحك منفذ الطيبة وواد اسمه وادي الكبير يصلان بين السخنة والرصافة ثم الرقة .

أما الجزيرة ففي وسطها جبل كبير اسمه جبل عبد العزيز مستطيل من الشرق إلى الغرب ، ذرعه على التقريب ٧٠ في ٣٠ كيلو متراً ، وعبد العزيز الذي نسب إليه هذا الجبل هو فيما زعموا ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ ، هذا في موقع المغرة وسط هذا الجبل من الشمال ضريح ينسب لعبد العزيز المذكور ، وقد جعل الضريح ضمن مسجد

بناه مهاجرو الشاشان في سنة ١٣١٣ هـ ، على مارأيت مزبوراً في عتبة بابيه لما زرتيه في خريف سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) وقد روى لي يومئذ البدو القاطنون حول هذا الجبل ، وهم من عشيرة البقارة (بقارة الجبل) أن اسم هذا الجبل قبلاً كان جبل المبارك ، ومن الغريب أن ياقوت لم يذكر هذا الجبل في معجمه بهذا الاسم ، بل ذكر اسم جبل دعاه طورزيتا وقال : إنه قرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون عذي يسقيه المطر ولذلك سمى طورزيتا . قلت وأنا لم أر زيتوناً بل بطماً في الأكثر ولو زار وزعرواً في الأقل ، فهل هذا الجبل الذي وصفه هو جبل عبد العزيز والمحققون من الفرنج وأخصهم دوسو في كتابه (الطبغرافية التاريخية لبلاد الشام) لم يذكروا لنا اسمه القديم في عهد الرومان ولو عرفوه لذكروه ، ولما سألت الشيخ سعيد العرفي مفتي دير الزور وعلامتها نفى نسبة عبد العزيز إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ، لكنه لم يعين سبب التسمية ، ومن هو عبد العزيز هذا بل دلني على ما ذكره ياقوت عن طورزيتا . وجبل عبد العزيز يشبه جبل البلعاس بصخوره البيضاء الكلسية ، وبأشجار البطم النامية فيه ، وقد كانت هذه الأشجار كثيرة ، شبه الغابات لمضي ربع قرن أو ثلثه ، وهي تكاد تنقرض هنا أيضاً من فقدان الحماية وتوالي القطع والفتك ، ومنذ أن صار موطناً لعشيرة البقارة المذكورة ، ومشقى لعشائر الجبور والشرابين والعدوان ، وفي جبل عبد العزيز على ما قيل لي معدن للنحاس ، وفيه من حيوان الصيد الأروى ، ومن القصور الأثرية قصر عربي اسمه قصر سكرة ، وفي براري الجزيرة عدة براكين منطفئة منتشرة كأنها فقاقيع لماعة وسط بحر لحي منها الجوف (وفيه ثلاثة براكين) والمناخير التي شرقي الرقة (وهي بركانان الشرقي والغربي وعلوهما ٤٠٢ م) وجبل المعزى (٣٧٥ م) ذو المنحدرات الصخرية المشرفة على الخابور غربي الفدغمي ، ومنها تل مرقدة وتل كوكب (٥٣٤ م) الذي يدعى سلطان التلول ، ويظهر عن بعد ٥٠ - ٦٠ كيلو متراً عن الحسجة إذ هو على مقربة منها في شمالها الشرقي .

وفي منطقة الحماد من بادية الشام جبلان يستحقان الذكر ، الأول يدعى (جبل الغراب) يبعد عن تدمر إلى الجنوب نحو ثمانين كيلو متراً ، وله حلتان توأمتان من الصخر البازلتي الأسود ، والثاني يدعى (جبل التنف) قرب ملتقى الحدود الشامية والعراقية والأردنية ، على طريق سيارات دمشق بغداد في الكيلو متر ٢٥٠ عن دمشق ،

وليس لجبل التنف سوى حمة واحدة ذات قاعدة منبسطة ولا يزيد علو هذين الجبلين أو الأكتين عما حولهما من الأرض أكثر من ١٠٠ - ١٥٠ متراً ، ومزيتها الوحيدة هي إمكان رؤيتهما من مسافة ١٠٠ كيلو متر من أطرافهما الأربعة بحكم وقوعهما وبروزهما وسط برية شاسعة منبسطة مطردة المناظر ، ومن هنا صارا علمين للاستدلال جليلي القدر والنفع يميز البدوي التائه في مهامه الحماة خيالهما عن بعد تمييزاً حسناً ، والبدو يحسبون مسافة كل محل في الحماة بالنسبة لبعده عن الغراب أو عن التنف . وجبل التنف ذو تأليف بركاني ولون أسود ، ويقع في منتصف وعرة مفروشة بأحجار الصوان الصغيرة المتلعة المتوجة ، وقد يزداد هذا التوج ، وتحديث فيما بينه قعرات وبطائح ، تؤلف الخبرات والمراعي التي يتهافت عليها البدو أي تهافت لمائها وعشبها .

ومنطقة جبل الغراب تشبه منطقة جبل التنف ، وهي تبعد عنها إلى الشمال الشرقي نحو ١٥ ساعة على الماشي (نحو ٧٥ كيلو متراً) ، وهي سهل أجرد أقفر ذو تلعات متوجه ، تسد الأفق من بعد وتحده ، وهي تحمل أحياناً ركماً من الأحجار تدعى (رجوماً) يتخذها البدو أعلاماً للاستدلال على المنازل والمنتجعات .

وفي غربي جبل الغراب وجنوبه الغربي وفي منتصف الطريق الزاهية من نقطة السبع آبار (شرقي دمشق بنحو ١٥٦ كيلو متراً) سلسلة من الآكام تتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي تسمى (آكام العليانية) و (طرق العلب) وهي مؤلفة من قباب مدورة متتالية ومن تلال وتليلات مخروطية الشكل أو بشكل المائدة بينها مساليل صغيرة ذات أميال لطيفة تارة وعمودية تارة أخرى ، وقعور هذه المساليل حجرية ، لكن ينو فيها العشب ، وبعض هذه المساليل يؤلف أودية مجاريها صعبة التحديد ، واتجاهاتها عسيرة التعقيب ، وما منها فيه ماء في أي موسم كان ، أما في شرقي جبل الغراب فالأمر يختلف لأن الأودية العديدة هناك لها مجار واضحة تماماً وهي تارة تتسع وتنسبط لرافد جديد يصب فيها وتارة تضيق بين سلسلتين متمازجتين من الآكام ، أشكالها كالقباب المتطاولة ، مغطاة بالحصى والجلاميد ، وعلى ذرواتها رجوم بارزة ، وإلى هذه الأودية تهفو أفئدة البدو ، ويشدوا الركاب ؛ أشهرها وادي عامج ووادي حوران ووادي الصواب ووادي المياه ووادي عكاش ، وفي الجزيرة شبيب عجيج ، وسنأقي على وصف هذه الأودية في بحث (منطقة الوديان) ، ونذكر أيضاً في صدد التضاريس (السباخ) أو (المالح) التي

يستخرج الملح منها بعد جفافها ، وأجلها قدراً مملحة تدمر التي ذرعها ١٢ كيلو متراً في مثله ، وهي تبعد عن تدمر نحو ساعة إلى الجنوب ويستخرج منها كميات عظيمة ترسل إلى دمشق وحمص .

المياه في البادية : إن حياة البدو وحياة ماشيتهم مرتبطة بأمر المياه والأمطار ارتباطاً قوياً ، فالمياه والأمطار هي التي تحدد أمر التبدى والنجعة ، وكل اسم مكان في البادية وربما كل ملقى للسبل ، وكل علم للاستدلال يدل على نبع أو منهل ، والمياه في البادية لا تكون إلا في الآبار أو في الخبارى ، ولكل من هذه الآبار والخبارى مناطق نذكرها ونصفها كما يلي :

منطقة الآبار :

إن براري الشامية : وهي منطقة السهوب التي في شمالي الخط الوهمي الممتد من دمشق إلى أبي كمال ، ذات طبيعة صحراوية من حيث التربة والإقليم كما وصفنا . لكن آبارها كثيرة ، وبعض هذه الآبار قريب من بعض بنحو بضعة كيلو مترات تارة ، و ٣٠ - ٥٠ كيلو متراً تارة أخرى ، ومن هنا دعت الشامية (منطقة الآبار) كما دعي الحماد (منطقة الخبارى) ، والخبارى جمع خبرة ، هي وهداث منخفضة ، مملوءة بماء المطر ، ينهل منها البدو وماشيتهم ، والآبار صناعية ، ولكن الخبارى طبيعية ، والآبار تحتوي على الماء في أغلب الأيام بينما الخبارى لا تحتويه إلا في بعض الأيام ، وقرب الآبار يسهل للبدو أمر الانتقال من بئر إلى آخر ، وهم يوردون الغم ليلاً أو قبل المسير ، ثم في اليوم التالي وخلال مرحلة واحدة يبلغون البئر القريب .

قلنا إن الآبار صناعية ، وهي من حفر الإنسان فيما مضى من العصور ، عدا القليل منها الذي ليس له من العمق سوى بضعة أمتار ، وحينئذ يكفي أن تحفر التراب قليلاً ، وتبعد الأحجار حتى ينبض الماء ، وعمق الآبار الصناعية يتراوح بين ١٥ و ٢٠ متراً ، وقد يبلغ بعضها ضعف ذلك أو ثلاثة أضعافه ، وقسمها الأعلى مبني بالحجارة والطين . وخربة البئر مكشوفة أبداً وهي لاتعلو عن مستوى الأرض كثيراً ، وترى أحجارها منقورة ومحززة بخطوط عميقة ، من تلك الحبال الساحبة للماء وحفها منذ قرون لاتحصى ، وقد يكون عدد الآبار في نقطة واحدة كثيراً ، يظهر من حولها التراب المستخرج منها حينها حفرت ،

ويكون حول كل منها حفرة صغيرة العمق والعرض ، تملأ بالماء المهيأ لشرب الماشية ، ومما يجدر ذكره ؛ أنه ما من شيء يدل السائح العطشان على وجود الآبار إلا العلو الخفيف الذي لخرزاتها أو فتحاتها ، أو شبكة الدعوس التي تتجه نحوها ، أو الأرض المجاورة لها ، تلك علامات تجعل السائح التائه يشبه بها حينما يقترب بضع مئات من الأمتار ، ولا يدل ماء هذه الآبار على أنه من مجرى أو ينبوع أرضي ذو منسوب دائم ، بل يدل على أنه نتيجة ترشح ، لأن منسوبه يهبط إذا نضح نضحاً زائداً وقوامه يصبح عكراً ، وبعض هذه الآبار عذب وبعضها أجاج وقد يكون شديد الملوحة والمرارة من وفرة المغنيزيا ، أو يكون كبريتياً ، وقد يعثر على آبار جافة بالمرة .

أسماء الآبار :

حول تدمر : القطار ، الوشل ، جزل ، حفاير ، الهبية ، ملوحي ، خوينيقة ، النجرة ، بازورية ، الهبا ، العليانية ، أبو فوارس ، بيرمران . حول السخنة : أرك ، الكوم ، الطيبة ، الكديم ، المنبطح ، بيوض ، نقيب ، بير الجديد ، ندويات ، خدير ، سبيخة ، أم قبيبة ، عونبة ، مريسم ، رحوم ، أبو فياض ، أبو النيتل ، أسرية ، مراغة ، زرقا ، الرصافة ، الطرفاوي ، عظيمان ، خديخان . حول القريتين : جباة ، قمقوم ، غنثر ، رأس العين ، حفير ، محسة ، عين الباردة ، عين الوعول ، عين الخنازير ، بصيري . منطقة الحماد : قريطة ، قرص ، الماء ، جب دخينة ، تحتة ، الهيل ، المربع ، الورد ، سجري ، أم ميليت ، طيارية ، ورقة ، وريق ، حجيل ، المات .

وكمية الماء في هذه الآبار قليلة لا تكفي حاجات البدو ولا تروي غليلهم كما ينبغي ، ومن ثم كان من أجل السبل لإصلاح البادية وإفادة البدو : إيجاد الآبار العذبة وتكثير عددها ، وتركيب الآلات الرافعة الميكانيكية عليها ، ليسهل الانتفاع منها ، ويتكّن البدو من المراعي الواسعة التي لا ينالونها كما ينبغي ، لحرمانها من الآبار أو لقلّة مائها . لهذا فقد قامت مصلحة الري في حكومة الشام الحاضرة منذ عشرة أعوام ، بحفر كثير من الآبار الحديثة على طريق نجعة العشائر في براري الشامية والجزيرة ، وبنت جدرانها بالحجر والإسمنت بناءً يظن أنه متقن وفي جدرانها سلالم حديدية للنزول وفي جوانبها مناهل لشرب الغنم ، كما أنها اعتزمت أن تبني في بعض المواقع مستودعات لحزن العشب

المجفف أو التبن لإطعام مواشي البدو منه حين الحاجة ولقاء أثمان ، وأن تشيد ملاجئ أو مزارب للغنم حفظاً لها في أيام كلب البرد وتراكم الثلج وهبوب الرياح الشمالية القارسة . وقد عملت حتى الآن ملجأين أحدهما في تل حداد شرقي الحسجة والثاني في الراهون غربي جبل البشري ، أما المستودعات فلم تبن بعد . ويحسن أن نذكر هنا أسماء الآبار التي حفرتها مصلحة الري المذكورة تسجيلاً لهذه الحسنة وخدمة لمن يريدها في اختراقه البادية :

الآبار التي في طريق : دمشق - تدمر : الناصرية - القريتين - الروضة - قصر الخير - عين البيضاء - الطريفواي .

تدمر - الرقة : منسف - حليحلة - الطيبة - الراهون - الرصافة عمقه ٤٩ متراً .

تدمر - دير الزور : قباقيب - (وفي شمالي هذا البئر بينه وبين جبل البشري آبار البغلية وديدي وخديان وعظيمان وقصبة) . وفي وسط البشري الغياث والسجري .

حلب - تدمر : سفيرة - خناصر - الحمام - أسرية - ثريا - ديليب - الحسلة - سليم - أبو فياض - نيتل - كديم - قطنة - عين شراد عمقه ٢٥ متراً .

تدمر - أبو كمال : الحمية - وتنوي المصلحة حفر بئري مجتل ومربع .

مسكنة - الرصافة : تل مهدوم - تل فضة - مدينة الفار عمقه ٧٨ متراً - مياهاات عمقه ٩٣ متراً أنباج عمقه ٦٣ متراً .

الرقة - الحسجة : الطرفاوي - ماينة - بطيان - ثم حول جبل عبد العزيز آبار البيضاء - الشلال - والغرة - المغلوجة - أم مرفع - وفي غربي بئر الطرفاوي على بعد ٢٥ كيلو متراً بئر خربة هولة .

الآبار التي في طريق تل أبيض - جبل عبد العزيز : القنطاري - الشمندور .

وتنوي مصلحة الري حفر آبار أخرى في براري الجزيرة والشامية ، من هذه في جنوبي تدمر وحدها في موقع بيبوض وعليانية وخان المشقوق وسجري والطيارية وورقة وويزب ، وفي شرقي دمشق في جبل سيس وبئر الأفاعي ، وفي شرقي حمص الرهاوية والمعلق وحنورة ، وفي شرقي حماة وادي العذيب ، هذا عدا عما أتمته في جنوبي طريق سيارات بغداد كآبار الصيقل وبئر سري وتل مخلوف والجوييف ، وتنوي هذه المصلحة أيضاً

أن تتخذ محركات ومضخات محمولة على سيارات تنضح بها المياه من الآبار المذكورة وتجمعها في خزانات كبيرة ثم تنتقل إلى غيرها . فلو تمت هذه التدابير بإحضار الماء والكلاً المحزونين لأوقات الشدة لأنقذت ماشية العشائر من التلف وسلم أصحابها من البؤس والشقاء اللذين ينتابها من حين إلى آخر كما جرى في سني ١٩٣٢ - ١٩٣٥ م .

منطقة الحماد والخبرات :

من الناس من يسمي البراري الممتدة شرقي حمص وحماه (حماداً) وهو خطأ . فالحماد في الحقيقة هو أبعد من ذلك إلى الجنوب وأشد وحشةً واقفراراً . وحده الشمالي منطقة الآبار التي في جنوبي تدمر وامتداده من الغرب إلى الشرق من وراء ديرة التلول وجبل حوران وحررة الراجل إلى أطراف العراق الأسفل ، وحده الجنوبي واحة الجوف والنفود . وتحترقه في طرفه الشمالي طريق السيارات بين دمشق وبغداد . وقد استحدثت لهذه السيارات في وسط الحماد وضمن الحدود العراقية محطة كبيرة تدعى (الرطبة) تبعد عن دمشق نحو ٤٠٩ كيلومتر وعن بغداد ٤٧١ ، وهي تكاد تصبح عاصمة الحماد بدورها وحوانيتها وأبارها ومقاهيها وحصنها وفندقها ومركزها اللاسلكي ومستودعات النفط وغيرها . والحماد من الناحية الجيولوجية من الأراضي النومولوتيكية إلا ما كان في الشمال حول محطة (إيج تو) فإنه من الأراضي الحوراسية ، وما كان في جنوب الرطبة حول جبل الطيارات فإنه من الطباشيرية (الكريتاسية) . والحماد نجد منبسط يرتفع عن سطح البحر ٥٠٠ - ١٠٠٠ متر ، ومن ثم كان المنحدرون من مرتفعاته يهبطون إلى كل الأنحاء . فمن النفود التي في أقصى جنوبه ينحدرون إلى نجد ومن وادي السرحان الذي في غربيه إلى شرقي الأردن ومن منطقة الخبرات التي في شماله الغربي نحو تدمر والضير ودمشق ، ومن منطقة الوديان التي في شماله الشرقي نحو ذير الزور وسقي الفرات ، ومن آبار الرطبة وبرية الطليحة التي في شرقيها نحو الرمادي وبغداد . والقسم الداخل في الحدود الشامية صغير جداً بالقياس لما هو داخل في الحدود الأردنية والعراقية والسعودية ، وقد قدماً أنه يقدر بـ ٢٨٦٣٢ كيلومتراً مربعاً .

والحماد كما قلنا سابقاً هو النجد العظيم والقلب الصميم للبادية . وهو الصحراء العارية أو بادية البادية لأنه فلات ومهامه لا ماء بها في فصل الصيف ولا أنيس ، تضل سالكها وتميت من الظم عابرها . إذ ليس في الحماد آبار كما في براري الشامية إلا القليل ، ولا تغشاه

العشائر إلا في فصل الشتاء غشياناً يقل أو يكثر حسب وجود الماء والكلاً . وهي تنفذ إليه من الوديان الكبيرة الهابطة منه ، ولا يمكن أن تتوغل فيه إلا الكتائب الكبيرة من الغزاة ، لكن هذه الكتائب لم تترك في الحماة من رجالها ومطاياها بحكم الجهد والظم ، ومن الغريب أن لا يعيش فيه في الصيف إلا بدو (الصليب) الذين ذكرنا في بحثهم حالتهم وقشافتهم^(١) .

ومن خصائص الحماة أنه (منطقة الخبرات) كما أن براري الشامية (منطقة الآبار) . والخبرات أحواض أو وهداث منخفضة مسدودة ينفصل بعضها عن بعض بمرتفعات بركانية . وهذه الأحواض المسدودة تجمع مياه الأودية والبطائح السائلة نحوها ، لأن مجاري هذه الأودية والبطائح لا ميل لها بالقدر اليسير جداً ، وهي عقيب الأمطار التي معدلها السنوي كما قدمنا أقل من مئة ميلتر تكوّن بحيرات ضحلة مؤقتة تبلغ مساحتها عشرات الدونمات وأحياناً أكثر ، وماء الخبرات يرقد على الطين وتخشخسه أرجل الغنم والإبل فيظل على الدوام عكراً بلون (القهوة بالخليب) وطعمه مقزراً . ومع ذلك يتهافت عليه البدو أي تهافت ، فينهلون منه ويعلون هم وماشيتهم . والماشية منها بلغ عددها وجاوز الألوف تنهل منه في برهة وجيزة وتروي غليلها ، بينما نهلها من الآبار يقتضي جهوداً وأياماً وتعباً عظيماً في الرفع والنزح . ومن هنا كان البدو لا يتحولون في نجعتهم من المعمورة إلى الحماة إبان فصل الخريف إلا حينما تمتليء هذه الخبرات بالماء وتفيض وهم لا يفارقونها إبان فصل الربيع ما زالت المراعي تدهم بالكلاً وما زالت الخبرات ذات مياه لم تنضب أو تجف بعد . والخبرات كثيرة عد الرئيس رينو في كتابه « بدو مقاطعة دمشق » ثلاثاً وخمسين ، منها تسع حول جبل الغراب على بعد : ٢ و ٣ و ٤ و ٥ ساعات عنه إلى الجنوب الشرقي والغربي أسماؤها الحمة والمشاقيق وأم سكاكة والصايد وأم مويل ولقطة وكبد وحويمات ، ومنها خمس وعشرون حول جبل التنف على أبعاد تتراوح بين ٥ و ٨ و ١٢ و ١٥ و ١٨ ساعة وهي كبر الخلو والرماني وملمح والزرقاء والزويري وخبرة التنف

(١) بنوا في نقطة الحدود الفاصلة بين بلاد الشام والعراق هرمين حجريين بيضوهما بالكلس ليظهرها عن بعد شاسع . وهذه النقطة تقع قرب جبل التنف ، وهي تبعد عن دمشق شرقاً نحو ٢٤٩ كيلو متراً ، وعن السبع آبار ١٠٠ ، وعن الرطبة غرباً ١٦٠ ، وعن الرمادي ٤٩٠ ، وعن الزلف شمالاً ١٨٥ .

وأبو بجيت ومعايد وصلابية وختيوي ومرفية ابن سمير والصيب والخرجة والبستانة وأم طرفات والمداري وقطية والطابات وزينات الماء والشهيات والحب وقرة الملاصي ومرفية الجوف وخبرة مها الياس وأم رجم . ومنها ثلاث حول الرويشد (جنوبي جبل التنف) وهي الضبابض والصوفا والدوارا ، ومنها سبع عشرة في أكناف الحارة وهي أبو الحصين والبرقع في وادي المقاط وخبرات الدريهمات وبحر الصيقل والطرفاوي والبظلي والقراونشات والمريفات وعضان وأم طرفة والزبيدات والدغارا والصاحلية والمغنة وغدر الماء والزلاقة والصفية قرب البردويل والبردويل قرب أم أو عال على بعد يومين عن البرقع .

منطقة الخبرات تنتهي في الشمال حيث تبدأ منطقة الآبار . فهي تصل هناك إلى طرق العلب وفي الشرق إلى منتصف وادي الصواب وإلى غربي القعرة وفي الغرب إلى ديرة التلول وأكناف الحارة (حرة الراجل) . والحماة في الصيف والخريف يظهر كفيفاء ملتعبة ، كالحة صفراء أو سمراء اللون مترامية الأطراف مطردة المناظر رهيبة كئيبة صلعاء جرداء الوجه بتاتاً إلا من لطخات أرض الخبرات الذهبية أو من السراب الذي يحسبه الظمان ماءً حتى إذا ورده لم يجده شيئاً . والحماة خواء يباب قد يسير المرء فيه على المطايا أو في السيارات نحو ٣٠٠ - ٤٠٠ كيلو متر دون أن يصادف نافخ ضربة ولا معلق وزمة كما يعرف ذلك المسافرون بين دمشق وبغداد . ففقدان الماء يقفر الحماة من نزلائه البدو بالمرّة . وقد يلاقي المرء نفراً من الصليب راكبي الحير أو عصبة من البدو راكبي النوق . فالصليب صيادو غزلان من التي تنتهز أسراها ظلام الليل فتفر إلى بعض الوهادت لتروي عليها بما ينبت فيها من الأعشاب المبتلة بالندى ، والبدو غزاة ورواد غنائم . وبادية الحماة تختلف عن بادية الشامية وبقية بوادي جزيرة العرب . ففي الشامية وفي تلك البقية مناظر متباينة وأراض مختلفة فيها الجبل وفيها السهل وفيها الوعر وفيها الرمل ، وما في الحماة هذا إلا شيء واحد لا يكاد يختلف أو يتغير ، أرض منبسطة ترابية قاحلة تمتد إلى الأفق البعيد الممعن في البعد كأنها بحر ليس فيه ماء . وراكب السيارة بين دمشق وبغداد يقرأ ويتحدث ليقطع الحماة بحديثه ، فيقطع الحماة حديث الراكب بصمته وجلاله ، وينام الراكب ويفيق ، والحماة هو هو لا يتبدل ولا يتغير ولا تقصر سفرته ولا تقل رهبته .

أما في فصل الشتاء إذا أروت أمطار كانون الأول وكانون الثاني الأرض وزخر الماء في

الخبرات يتبدل بسيط الحماد ويراها راكب السيارة وخاصة راكب الطائرة حينئذ قد أنبت واخضر وصار بقعةً أريضةً بعثرت فيها الخبرات ذات السطوح اللامعة بأشعة الشمس ، وامتدت بين هذه الخبرات أودية وبطائح معشوشبة انتشر فيها البدو بإبلهم وغنهم يرعون ويشبعون ، وما إقبال هؤلاء البدو على الحماد وتوغلهم فيه إلا بقصد هذه الخبرات وما حولها من المراعي . ويقول بعض العارفين أن ماء الخبرات يدوم من نصف تشرين الثاني إلى أواخر شباط على الأقل وذلك في السنين المتوسطة الأمطار . ولكن ما أن يقبل شهر نيسان ويدفأ الجو حتى تبخر الشمس ماء الخبرات الضحل الذي لا يزيد عمقه عن متر أو نصف متر ، ولا يضي أسبوعان أو ثلاثة وقبل أن يحف الكلاً تنقلب الخبرات حمأة واسعة متلاثلة لما في قعرها من (الغرين) أو الرمل الطيني الجاف ، وتعود أرض العطش للبروز وتلحقها بعد حين قليل أرض الجوع والحرمان والكآبة .

والأودية المنحدرة من الحماد تأتي من حول جبل عنازة جامع الرياح والأمطار ومنبع الأودية الشبيهة بالأنهار . لكنها لا تحتوي على الماء إلا في فصل الشتاء . وإذا كانت مسایل هذه الأودية قليلة الانحدار فإنها تؤلف في قعورها من حين إلى آخر حفراً طبيعية يدعونها غدراناً (جمع غدیر) تخزن مياه الأمطار في أجوافها بنسبه ما لها من العمق والضييق وصغر سطح التبخر . وقد اختصت الغدران بالمناطق والأوعار البركانية الموجودة في جوف الحماد أو في أكنافه ، وخاصة في كنفه المجاور لحرارة الراجل .

وقد كان الجيش الروماني ينتفع بهذه الخبرات والغدران ويجعل المسالك الكبيرة والطرق المعبدة التي تخترق الحماد قائمة عليها ، وبعض هذه الغدران صناعي صنع بإشادة السدود حوله كما هو الحال في حصن جاوا على وادي الراجل وفي قلعة البرقع على وادي المقاط وغيرهما ، وبعض هذه الغدران الصناعية كان يبلغ ضخامة خزان كبير لري الزرع وإسقاء الضرع كما هو الحال في سد أرنبية العظيم المائل حتى الآن في جنوبي قرية الضمير ، وقد كان يروي السهول الواسعة المنحدرة في غربيه نحو بحيرة العتيبة . وكانوا يحفظون ماء الخبرات من التبخر والضياع في برك أو في محافير (جمع حفرة) وهي أحواض مربعة الشكل حفرت في وسط الخبرة ورفع التراب منها وكوم في جانبها . وقد ثبت للآب بواديبار اليسوعي الذي سيأتي ذكره أن هذه المحافير كثيرة في الحماد بين جبل سيس وبئر سجري وأنها من عهد الرومان وصنعهم ، وأنها كانت في بادئ أمرها أعمق من الآن وكان الماء

يتمتع منها بالحبال ويبقى فيها حتى أوائل حزيران. وبفضل هذه الغدران والمحافير المتلاحقة في طول طرق المواصلات الكبيرة كان المقام في الحماد ممكناً للدوريات الراكبة من المحافر الرومانية . وكان هنالك من المناهل التي تطيل أمد البقاء في الحماد أكثر من المحافير تلك الآبار العديدة التي كانت تجمع فيها مياه الخبرات كما هو الحال في الخبرات التي بين جبل سيس وجبل التنف وآبار الجويف وبير سري وآبار وادي الهيل وخبرة رمانة .

منطقة الوديان :

وفي شمالي البادية الشامية أودية عديدة ، ولكن لا يرى المرء فيها أثراً للماء إلا في بعض أيام السنة وعقيب المطر فقط ، فيحترق ويتسائل كيف ؟ ومق ؟ حفرت مساليل هذه الأودية وخذدت وكيف حدثت في بعض أماكنها مضائق وفجاج ذات جوانب صخرية واسعة . ولا يبرح في هذه الخيرة حتى يأتي يوم يفاجئه فيه على حين غرة سيل عظيم متدفق يدفع بعضه بعضاً حاملاً مياه الأمطار الماطلة من غيوم متلبدة أو أعصار متكاثفة هت وانهلت دفعةً واحدةً عن بعد بضعة كيلو مترات من المكان الذي هو فيه . وحينئذ يرى كيف أن هذه المياه الجارفة العكرة تقبل وترمي الزبد والقذر والغشاء بقبقة وقرقرة وتملأ جوانب الوادي ويرى كيف تفعل فيها قضمًا وحتًا وجرفًا وكيف تضغط على جلاميده وحصاه المدلصة وتدحرجها . إن هذه الأودية تنحدر من شمالي هضبة الحماد من حول جبل عنازة الذي قدمنا أنه جامع الرياح والأمطار ومنبع الأودية الشبيهة بالأنهار وهي تتجه شمالاً إلى الشرق لتنصب في الفرات . وهي متقطعة الجريان لا تسيل كما قلنا إلا حين هطول الأمطار الغزيرة فتتنظم حركة مياه البادية وسيولها وتصرفها نحو الفرات . وإذا انقطعت تحدث غدراناً وإذا فاضت تحدث بعد انصرافها غيطاناً خضراء تسرع العيون في تلك الفيافي القفراء . وأشهر هذه الأودية على الترتيب من الشرق إلى الغرب (وادي عامج) داخل الحدود العراقية وشرقي الرطبة وغربي هيت وهو يضمحل في البراري ولا يصل إلى الفرات . ووادي (حوران) داخل الحدود العراقية أيضاً وهو يوازي خط أنابيب النفط الذاهب إلى حيفا على أنه يعاكسه في الجريان وهو يمر من شرقي الرطبة ومن قرىها وتحترقه طريق السيارات إلى بغداد ويصب قرب قرية آلوس .

وبعض الأودية هي داخل الحدود الشامية منها (وادي الصواب) الذي يصب في

الفرات شمالي الصالحية بين الميادين وأبي كمال ويجري ملتوياً منثنياً ، وهو واد عريض أريض منقطع الجريان في الغالب وافر العشب والمرعى ، ولكن يكفي أن يحفر المرء قليلاً في الحصى والرمل فينبض الماء فوراً ويحدث حوضاً يكفي الإنسان والحيوان ، وعلى ضفة هذا الوادي أطلال قصر الصواب الذي كان من جملة مخافر البادية وحدودها بين الفرس والرومان . ولوادي الصواب كثير من الروافد منها وادي الرتيبات ووادي الوغر ووادي حوريان . ومنها (وادي المياه) الذي ينشأ من زقف ويجري بادئ بدء نحو الشمال حتى يبلغ الطيارية ثم ينحرف نحو الشمال الشرقي حتى يبلغ الورقة ثم يعود للاتجاه نحو الشمال حتى يضمحل في الفلوات بين بئر الحمية وبئر غدر الماء في بقعة مشوشة تحيرك في إدراك أين ذهبت مياهه . وقد بعثرت في هذه البقعة أحواض كبيرة كهذه المسماة (فيضة قباقب) أو (الفيضات) ، وفي مجرى وادي المياه كله عدة آبار عذبة كسجري والطيارية وورقة والحمية ، وفي قرب بئر الحمية يمر خط النفط الذاهب إلى طرابلس ، إن وادي المياه هذا غني بمياهه وأعشابه التي تهوي إليها أفئدة الإبل والغنم على السواء ، ثم هو جذاب بغرائبه خلّاب في قسمه الواقع جنوبي سجري يستحق الذهاب إليه على متون الزوامل شريطة أن يتزود السائح بزمميات الماء العذب ، وفي تلاله البارزة كثير من المقابر المغطاة بالأحجار والرجوم ، وهي مدافن البدو الذين يلاقون حتفهم في الربيع في قربه . ومنها (وادي عكاش) ذي المسيل الضيق العميق بين جدارين صخريين عمقها ثمانون متراً ، وفيه أسراب من طير أبي منجل الأسود ، ومجرى هذا الوادي واضح ومراعيه وفيرة وهو يصب في الفرات قرب أبي كمال ، حيث يسمى وادي علي . ومنها (وادي الرتقة) الذي يصب أيضاً في الفرات جنوبي أبي كمال . وفي بادية الجزيرة واد يقال له (شعيب عجيج) يسيل من جبل سنجان نحو الجنوب ، وقد جعلوه حداً فاصلاً بين شمر العراق وشمر الشام . وهذا الوادي موطن الغزاة ومكن اللصوص . وفي مجراه بعد بئر أم غريبة سباح ومالح كبيرة كسبخة الروضة وسبخة البرهوت وسبخة الشمال وسبخة البعارة يفدون إليها من أنحاء سنجان والموصل ويمتارون الملح منها .

الأرصفة والقصور والحصون والسدود :

بعد أن اكتسح الرومان بلاد الشام في سنة ٦٤ ق.م رأوا أن لابد لهم من تحصين حدود البادية في وجه أعدائهم الفرس الذين ما كانوا يتوانون عن مرواحتهم القتال ، وفي

وجه البدو الذين كانوا أيضاً يسطون على المعمور أو على القوافل التجارية القادمة من جنوبي الجزيرة العربية أو شريقها . فهدوا هم والتدمريون في البادية (الشامية منها والجزيرة) شبكة أرصفة حجرية وطرق حجرية وطرق معبدة ، وجعلوا في كل مرتفع ومكن وعلى كل ينبوع ومنهل مخافر عسكرية ، وأبراج مراقبة وفنادق وخانات للمسافرين محصنة بالأسوار والآطام ، وأنبطوا الآبار ، وحفروا الصهاريج ، وشادوا السدود لحصر ماء المطر وخزنه ، وخذدوا قنوات وجداول لري الزرع وسقيا الضرع . وكانت تقيم في تلك المخافر والأبراج حاميات من الخيالة والمهجانة رماة النبال ، تتصل دورياتهم وتتلاقى وتترصد مجيء جيوش الفرس وعصابات البدو ، وتحمي قوافل التجار حاملي الأقمشة والأفاوية والطيوب والمعادن والأحجار الكريمة من الين والهند والصين . وقد كانت هذه القوافل تلتقي في تدمر عاصمة الصحراء وعروستها ، وتتوزع من ثم إلى القسطنطينية ورومية أو إلى بلاد الشام ومصر وغيرها . وقد ظل هذا الترتيب والإتقان زاهرين في كثرة أوقلة تارة وتارة إلى أن زالت الدولة التدمرية في القرن الثالث ، وضعفت الدولة البيزنطية في القرن السادس ، واختل عمران البلاد الشامية بذلك الضعف وتوالي غارات الفرس وحروبهم مع الروم البيزنطين .

ولما بزغ فجر الإسلام ، وجاء الخلفاء الأمويون ، صاروا أسياذ أمبراطورية عظيمة ، كانت من أوسع الأمبراطوريات المعروفة في التاريخ ، وكانوا مغرمين بالعمران والبنيان ، فأعادوا زهو البادية وأنسها ببناء المساكن والقصور الفخمة في وسطها وفي أكنافها وتبعهم في ذلك أقاربهم وأتباعهم ، كانوا ينفرون إليها في بعض الفصول ولا سيما في الربيع لقرب عهدهم بحياة البداوة وبعيش الحجاز ، وترويحاً عن النفس بالصيد والقنص ، وهرباً من وباء أو طاعون ، وتقرباً للبادية والبداة لإدامة الصلة بلغاتهم ولهجاتهم ، ولتصفية النفس بعباداتهم المستحسنة الخالية من شوائب الحضارة ، وكانوا يدعون هذا تبدياً ، وفي كتب التاريخ والأدب ذكر مكرر لخروج الخلفاء إلى التبدي ورجوعهم منه ، فكانوا ينصبون المضارب الواسعة ، ويستقبلون الوفود والضيوف والشعراء^(١) ، فيزيد بن معاوية كان يقيم في

(١) لا يزال ملوك العرب وأمراؤهم في الجزيرة دائبين على هذا المنحى في كل عام ، فقد كان أمراء آل الرشيد حكام نجد قبلاً يتبدون في ربيع كل سنة شهراً أو شهرين . ومثلهم في عهدنا جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، أما سمو الأمير عبد الله بن الحسين في شرقي الأردن فهو يتبدى في شتاء كل سنة في الغور شرقي أريحا . ينصب فيه =

حوارين ، ويصطاد في جبال قلمون وسهوله الشرقية ، وعمر بن عبد العزيز والوليد بن عبد الملك في خناصرة جنوبي جبل الأحص ، وهشام بن عبد الملك في الرصافة (سرجيوبولس) ، ثم بنى قصر الحير الغربي وقصر الحير الشرقي ، ويزيد بن عبد الملك رمم وزين قصر الموقر في براري شرقي الأردن ، وورد ذكر منازل الأمويين في الزيزاء والفدين والأبيض والقسطل والزيتونة والصنبر وسيس . وقد ثبت أن قصري الحير المذكورين من بناء هشام بن عبد الملك ، وأن قصر جبل سيب وقصر الخزانة وقصر طوبى وقصر المشتى وقصر الأزرق وغيرها من قصور براري شرقي الأردن عليها مظاهر القصور الأموية .

وقد ظلت آثار الرومانيين والتدمريين وقصور الأمويين سالمة في الجملة ، أو ماثلة للبيان على الأقل ، تشهد ببراعة من شادوها ورفعوها وعبريتهم ، إلى أن دالت دولة الأمويين ، وجاء العباسيون يعملون يد التهديم والتخريب في قصورهم ومنازلهم وقبورهم ، فلحق ما كان منها في البادية النصيب الكافي من ذلك ، تدل عليه الألوف المؤلفة من قطع الخزاف الجصية المكسرة التي وجدت مطمورة ومبعثرة في داخل قصر الحير الغربي ، وقد نقلت هذه القطع من عهد قريب إلى متحف دمشق الأثري ويعمل على جبرها ولحمها وتركيبها في مثال القصر المذكور الذي يبنى في جوار المتحف ، وإذا سلم وقتئذ من يد العباسيين بعض تلك الآثار والقصور لبعده عن متناول الأيدي فقد أجهزت عليه من بعد في عهد العباسيين أيضاً جيوش القرامطة والمغول الذين كانوا يأتون من أنحاء العراق وفارس عبر البادية ، ويغيرون على بلاد الشام ويفحشون ، ناهيك الزلازل وفعل السيول والأمطار على كر الدهور واختلال الأمن في عصور العثمانيين الأخيرة وضعف الوازع .

وقد ظل معظم الأرصفة والطرق والمباني العسكرية في زماننا الحاضر مجهولاً أو غير مرئي ، وإذا كان بعضه مرئياً ظل غير معروف للغاية والأوصاف إلى أن كشفها الأب بواديبار اليسوعي من الطائرات بمعونة سلاح الطيران الفرنسي وقوة هجاجة البادية . وقد ظل هذا الراهب البحاثة مدة سبع سنوات من ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) إلى ١٣٥٠ هـ

= مضاربه هو وحاشيته على النحو الذي كان يعمل معاوية بن أبي سفيان في قضاء فصل الشتاء في موقع الصنبرة على شاطئ بحيرة طبرية .

(١٩٣٢ م) يطير ويكشف ويرى في الصحراء من غل ما لا يراه الماشي ولا يشعر به ، إلى أن خرج من أتعابه الجزيلة بمؤلف قيم جداً ذي مجلدين ، دعاه (أثر روما في بادية الشام) ، صور فيه ما اكتشفه ورسم خرائطه وحدد مواقع وأبعاده وشرح أوصافه .

ويستفاد مما جاء في هذا المؤلف أن الرومان في عهد تراجان (٩٨ - ١١٧ م) وديو كلتيانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) عمدوا إلى البادية من أقصى جنوبها إلى أقصى شمالها حتى الحدود التي كانت لهم في ضفاف الدجلة ، فمدوا شبكة من الأرصفة الحجرية والطرق المعبدة متوازية ومتقاطعة على طول ألوف الكيلو مترات ، مثلاً عملوا في كل ما افتتحوه من بلاد العالم وربطوه ببعضه . فقد مدوا من دمشق إلى بصرى رصيفاً يجتاز وعرة اللجا ويسير نحو جرش وعمان والبتراء والعقبة على ساحل البحر الأحمر ، ومدوا من دمشق إلى تدمر ثلاثة أرصفة الأول المار بالقريتين وقصر الحير الغربي والثاني المار بخان أبي الشامات والخنات التي بعده والثالث المار بتلة الساعي وطرق العلب ، ثم إنهم مدوا من تدمر عدة أرصفة ، أحدها الذهاب إلى سورية على الفرات غربي الرقة وإلى الشدادى (على الخابور) ومنها إلى بلد سنجار وما بعدها في الجزيرة ، وكان يتفرع من هذا الرصيف اثنان : الأول من قصر الحير الشرقي إلى البصرة على الخابور ، والثاني من السخنة إلى قلعة الرحبة على الفرات . ومدوا من تدمر أيضاً نحو الشرق رصيفين : الأول المتجه نحو الصالحية (دورا أوروبس) على الفرات والثاني المتجه شرقاً إلى الجنوب نحو هيت ماراً بقصر الصواب ، وكان من تدمر أيضاً نحو الغرب رصيفان : الأول الذهاب إلى عقيربات وأفامية وأنطاكية والثاني الذهاب إلى الفركلس وحص ماراً بسهل الدو .

وكان يتفرع من نقطة تل الساعي « شرقي خان أبي الشامات » رصيف يتجه جنوباً نحو وادي السرحان والجوف ماراً بقلعة البرقع ، وآخر مواز له كان يتفرع من البصري في جبل الرواق ماراً بالسبع آبار وخبرة مرفية السمير وخربة الرياشي ، ومدوا في شرقي دمشق عدة أرصفة : الأول من السدير الجنوبي « شرقي بحيرة العتيبة » إلى جبل سيس ليلتقي برصيف خبرة مرفية السمير ، والثاني من قرية الهيجانة إلى بير قصاب وخربة أم السعد إلى الزلف ليلتقي برصيف قلعة البرقع ، والثالث من براق في لحف اللجا الشمالي إلى شقا والسعنة ودير الكهف وقصر الأزرق حتى وادي السرحان .

ومدوا في الجزيرة شبكة أرصفة ، نذكر منها : الرصيف المتجه من الرقة شرقاً على استواء نحو المالحة فالشدادي فالقدغمي فبلد سنجار . والرصيف المتجه من الشدادي إلى الجنوب نحو البصرة ، والآخر المتجه منها إلى الشمال نحو الحسكة فاردن . وكان هنالك رصيف من الحسكة يمتد إلى تل براق وتل حميدي فنصيبين ، وآخر من تل حميدي شرقاً نحو تل غراسة وما بعده في الشرق ، وآخر من نصيبين شرقاً نحو جزيرة ابن عمر ، ومن تل حميدي غرباً نحو رأس العين ، وآخر من خربة الموزر في جنوبي جبل عبد العزيز إلى قصر سكرة في الجبل المذكور ، ومنه شمالاً نحو خربة ثعلبة على الخابور ، وآخر من خربة الموزر غرباً لشمال نحو حران فأورفة فميساط ، وآخر من حران جنوباً نحو الرقة ، وآخر من حران أيضاً غرباً نحو سروج ومن سروج رصيفان : الأول المتجه نحو باليس ، والثاني المتجه جنوباً للغرب نحو منبج فحلب فأنطاكية .

وهكذا كانت البادية في شاميتها وجزيرتها وكذا قسم المعمور من بلاد الشام مملأة بشبكة من الأرصفة والطرق المعبدة المتوازية والمتقاطعة ، وعلى الجميع أميال وأعلام لهداية القوافل والمسافرين ، وقد حصنوها بالخافر والأبراج ، وسهلوا السير والمبيت فيها بالفنادق والحنانات ، ووفروا الغل والنهل بالآبار والأحواض .

وكان من مشروعات الرومان العظيمة في البادية في استنباط المياه وتوفيره للمخافر والحصون والحنانات المذكورة أنهم حفروا آباراً عديدة في مختلف أنحاء البادية ، ويبدو أنهم كانوا بارعين في هندسة الري يعرفون عدم كفاية الماء في أعماق أرض البادية ، فعمدوا إلى جعل الآبار في وسط الوهجات والبطيحات لترشح إليها مياه السيول والأمطار . وجل هذه الآبار مدور الشكل وبعضها مربع ، وقد بنوا جدرانها بأحجار منحوتة ومصفوفة بانتظام تام ، وحفظوا أفهامها بخرزات ، وكانت هذه الآبار محروسة بأبراج مراقبة أو بمخافر ، أو مبنية وسط باحات الحصون نفسها ، مثالها آبار وادي المياه ، وآبار الجوييف الذي في شرقي جبل سيس ، وآبار خربة البطمية التي في شرقي شمالي خان أبي الشامات ، وبئر الضبعة الذي اكتشفه ونظفه سلطان الطيار من مشايخ عشيرة الولد علي ، وآبار جبل سيس التي حفرت وسط خربة هذا الجبل الواقع على نحو ١٥٠ كيلو متراً شرقي دمشق ، وهي متقطعة غير دائمة النبع ، ويظهر في جوار هذه الآبار أنقاض أبنية واسعة مؤلفة من قصر كبير وجامع ودار ضيافة وعدد من بيوت السكن وغير ذلك ، أثبت المستشرق المسيو سوفاجه أنها

من جملة الآثار العربية الأموية التي كانت في البادية ، وآبار السبع بيار التي على طريق دمشق بغداد على بعد ١٤٢ كيلو متراً عن دمشق ، وفي قرها أكمة عالية (٨٣٠ م) بنى الفرنسيون فوقها مخفراً لجنود المهجاة ، وآبار الملكة في جنوبي تدمر على بعد ٤٥ كيلو متراً .

وفي الأماكن التي لا تسمح بحفر الآبار حفر الرومان حياضاً أو صهاريج يجتمع فيها الماء ، مبنية بإتقان زائد ، وبعضها مغطى بسقف أوقبة كالتي في خان المنقورة وخان العينية على طريق أبو الشامات - تدمر . ومن مشروعاتهم في توفير الماء للمخافر والحصون أنهم كانوا يفجرون الماء بواسطة قنوات محددة في الأرض ، كما هو في عين الكوم بين الطيبة والرصافة وفي عين الباردة وغيرها .

ومن مشروعاتهم المختصة بالزراعة وإيجاد المراعي مشروع خزن مياه الأمطار والسيول وحصرها وراء الأسداد التي كانوا يبنونها بإحكام وتمكين غريبين . فمن هذه الأسداد : (سد المنقورة) ذو الأحجار المنحوتة الضخمة ، بنوه في جبل البطم لإيصال الماء إلى مخفر خان المنقورة في الطريق الآخذة من أبي الشامات إلى تدمر ، بواسطة قناة خدّوها في الجبل ، تنتهي في برك وأحواض كبيرة مبنية . ومنها : (سد أرينة) الذي في جنوبي قرية الضمير ذو الهندسة البديعة أيضاً ، وطول هذا السد ٣٠٠ متر وعرضه في أعلاه ٥,٥ المتر وارتفاعه عن الأرض المجاورة له أربعة أمتار ، وله ثلاث فتحات في جهته الغربية لتدفق المياه ، ثم إن أحجار هذه الفتحات والجاري بيضاء منحوتة ، يتراوح عرض بعضها بين ٥٠ - ٧٥ سنتيمتراً وطوله ١,٥٠ - ٢,٥٠ متراً ، أما بقية أحجار هذا السد فسوداء عادية ، وقد كان هذا السد يجمع السيول المنحدرة من أنحاء خان أبو الشامات وبحيرة الصيقل وسفوح جبل الزبيدية ويحصرها ، ثم يوزعها بسواق منتظمة لري المزارع التي كانت تمتد في غربيه حتى سهل رمدان شرقي بحيرة العتبية ، ومنها : (سد الهربة) الهائل البنيان في جنوبي قصر الحير الغربي على نحو ٦٠ كيلو متراً غربي تدمر ، وقد بنى هذا القصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في سنة ١٠٩ هـ وجعله مقراً له قبل أن ينتقل إلى الرصافة ويقطنها نهائياً ، وكان اسم هذا القصر في المؤلفات العربية (الزيتونة) وسد الهربة المذكور يقع على بعد ١٥ كيلو متراً عن قصر الحير الغربي بين جبلي الباردة والنقنية ، بنوه وحصروا به مياه السيول التي كانت تدفق من الجبلين المذكورين ، ومن عين الباردة نحو سهل الدو الفسيح . وعلو هذا السد ١٨ متراً وعرضه في أسفله ١٨,٥ متراً

وفي أعلاه ٦,٣٠ متراً وطوله ٣٦٥ متراً ، وقد حسبوا أنه كان يخزن فيه من الماء نحو ١٤٠٠٠٠ متراً مكعباً ، وقد طمرته الآن الرواسب الجافة المتشققة شقوقاً عميقة متمعة ، وكانت مياه هذا الخزان تساق بقنوات وجداول عديدة إلى الأرضين التي حول قصر الحير المذكور لري الحدائق والمزارع ، ولسقى القصر وحماماته والمساكن التي كانت حوله . وقد ذكر العالم الأثري المسيو شلو مبرجه^(١) أنه يستدل من هذه الآثار أن الأمويين في عهد هشام بن عبد الملك قد رممو سد الهربة ، وأن أطراف واحة قصر الحير القاحلة اليوم ، القائم في وسطها هذا القصر العظيم البديع ، كانت في العصر الأموي غوطةً وارفة الظلال زاهرة بالزراعة أهلةً بالسكان .

وجميع زخارف هذا القصر التي كانت مكسرة ومطمورة ، وكذلك واجهته الفخمة وفيها بابه الذي يحتوي على كتابه كوفية فيها اسم هشام بن عبد الملك وتاريخ سنة ١٠٩ هجرية ، نقلت إلى متحف دمشق الوطني حيث يعمل الآن لإعادتها إلى حالتها السابقة ، وقال العالم المذكور أيضاً في (مجلة المشرق ج ٤ سنة ١٩٣٦ م) : إن الواحة التي يقع بها البناء مدينة لوجودها لعمل السوريين في العهد الروماني وقد يكون منشؤها من التدمريين خاصة . وإلى هذا العهد يرقى سد الهربة العظيم في أعالي الجبل . ولولا هذا السد لما كان من وجود لجميع المنشآت المذكورة ، لأنها منه تستمد ماءها وحياتها . إلا أن هذا السد كان قد خرب في أواخر العهد الروماني ، أو حين سقوط دولة تدمر (سنة ٢٧٣ م) والبيزنطيون لم يبنوا سوى البرج المنسوب إليهم ، القائم حتى الآن حول قصر الحير ، وحفروا بئراً لشرب حاميته . وقد كان هذا البرج مكلفاً بحراسة طريق حمص إلى واحة الجوف الذي يمر بمضيق البصري ، وحراسة طريق تدمر إلى غوطة دمشق . وقال أيضاً : إن الحفريات التي قام بها دلته على أن الأمويين هم الذين رممو سد الهربة ، وعملوا له أبنية ملحقة لحماية مخرج الماء من تراكم الرسوب والوحول ، وهم الذين شادوا المنشآت الموجودة حول قصر الحير ، كالخان والبستان والقنوات المتشابكة ، وقصر الحير الذي كان على غاية من الزينة والزخرف ، وقطعاً « فسيحة من الفسيفساء الجدارية وروافد منقوشة وبلاطاً منقوشاً وزخارف ملونة ومشاهد مصورة لرجال ونساء وحيوانات ، وأشكال الزخارف هندسية ونباتية . الخ ... »

(١) chumberger : Les fouilles De Qasr - El - Heir EL Garbi ; Syria T . xxq ' 195 Et 3240106

الطرق المعبدة وأنابيب النفط :

في عهدنا الذي قضي فيه على قوافل الإبل وقل فيه من يطوي البيد طياً على متن الرواحل صارت السيارات تجري ، وتغذ السير في كل بقاع البادية ، وحتى في صميم حماتها ونفوذها ، وتنقل المسافرين وأمتعة التجار إلى تدمر ودير الزور والرقعة والحسجة وغيرها من مدن البادية في طرق لا تزال دعوساً غير معبدة . وقد مدوا للسيارات من دمشق إلى بغداد طريقاً ، لا يزال القسم الشامي منه معبداً نصف تعبيد ، بينما القسم العراقي معبد تعبيداً جيداً ، وهو يخترق منطقة الخبرات في الحماد الشمالي ويمر بقرية الضمير وخان أبو الشامات والسبع بيار وجبل التنف ، ومن ثم يدخل الحدود العراقية ماراً بمحطة الرطبة التي صارت بلدية ، ذات دور ومنازل وحوانيت للباعه ومقاهي وماء غير وكهرباء منير وحصن أو مخفر كبير فيه فندق ومطعم وموظفون وجنود عراقيون ومركز للبرق اللاسلكي ، ومن الرطبة بعد اجتياز وادي حوران ووادي عامج وبرة طليحة الموحشة ووادي الحمديات ، يصل المسافر إلى الرمادي على الفرات ومنها إلى بغداد ، وأحسن من هذا الطريق ذلك القادم من حيفا إلى الرطبة ، والمار ياربند ومحطة المفرق وأرض الجبانة وحره الراجل ومحطتي اجفايف (حيفا ٥) وأجفور (حيفا ٤) ، فهذا القسم الداخل ضمن حدود فلسطين وإمارة شرقي الأردن من أقوى الطرق المعبدة المزفتة وأكملها ، وهو رائع عند اختراقه صخور حرة الراجل وأوعارها الشاقة الطويلة المدى .

وفي عهدنا أيضاً قد اخترق البادية منذ سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م) خطان لأنابيب النفط ، قادمان من البلاد العراقية ، أصلهما خط واحد ، ينبوعه من كركوك أنشأتها الشركة الإنكليزية المعروفة بحروف I, P. C (شركة النفط العراقية) . ففي كركوك المحطة ذات الرقم واحد (كي ون) ، ثم يجتاز هذا الخط نهر الدجلة عند قرية تدعى الفتحة بين جبلي حميرين ومكحول ، وفي قربها إلى الغرب ذات الرقم ٢ (كي تو) في جانب بلدة بيجي ، ثم يتجه نحو الجنوب الغربي مخترقاً سهول الجزيرة إلى أن يجتاز الفرات جنوبي قرية الحديثة عند المحطة ذات الرقم ٣ (كي ترى) ، وبعد محطة كي ترى يدخل الخط بادية الشام ويقسم إلى قسمين : خط إلى طرابلس ، وخط إلى حيفا . فالأول يتجه نحو الغرب بانحراف قليل إلى الشمال ماراً بمحطة (كي ون : طرابلس رقم ١) في شرقي جنوبي قرية القائم

القريبة من الحدود الشامية ، وماء هذه المحطة يتح من الفرات عن بعد ١٤ كيلومتراً ، ثم يدخل الخط الحدود الشامية جنوبي بلدة أبي كمال ، ويمر بوادي الصواب ، ثم بمحطة (تي تو : طرابلس رقم ٢) وماؤها من بئر حمية في وادي المياه ، يتح بالأنابيب والدافعات . ثم يمر بوادي المياه ، ثم بوادي معربة ثم بمحطة (تي تري : طرابلس ٣) وماؤها من أرك ، بالأنابيب والدافعات ، ثم بجنوبي بلدة تدمر ، ثم بمحطة (تي فور : طرابلس ٤) وماؤها من الفركلس ، بالأنابيب والمضخات عن بعد سبعين كيلو متراً ، ثم بجنوبي الفركلس وجنوبي حمص ، وبعد أن يجتاز نهر العاصي يتجه نحو تل كلخ ومنها إلى مصبه في البحر عند موقع التعتور قرب طرابلس الشام .

أما الخط الثاني : فيتجه نحو الغرب بانحراف كبير إلى الجنوب ، ويسير بموازة وادي حوران ، وبعد ٩٩ كيلومتراً عن الفرات يمر بمحطة (ايج ون : حيفا ١) ، وهي غربي وادي حوران ، ثم بعد المسافة نفسها يمر بمحطة (ايج تو : حيفا ٢) ، وهي شرقي القفزة ، ثم من قرب محطة الرطبة ، ثم بمحطة (ايج تري : حيفا ٣) ، ثم بعد هذه المحطة بـ ٩٠ كيلو متراً يدخل حدود إمارة شرقي الأردن ، فيمر فيها بمحطة (ايج فور : حيفا ٤) ، ثم يخترق صخور حرة الراسل وأوعارها إلى أن يبلغ محطة (ايج فايف : حيفا ٥) ومن بعدها بقليل ينحرف نحو الغرب الشمالي ، ويمر من جنوبي خربة أم الجمال ، ومن محطة المفرق التي على السكة الحجازية ثم من جنوبي قرية الحصن إلى أن يهبط الغور ليجتاز نهر الشريعة جنوبي جسر الجامع ، ثم يصعد إلى قرية كوكب الهوا في فلسطين ، ثم يهبط مرج ابن عامر إلى أن يبلغ مصبه في البحر ، شمالي مدينة حيفا . وطول خط طرابلس من كركوك ٩٥٥ كيلو متراً ، وطول خط حيفا ١١١٢ كيلو متراً .

وكل من هذه المحطات التسع التي عدناها يضارع بليدة ، ففي كل منها ١٠٠ - ١٥٠ نفساً من الموظفين والمهندسين الإنكليز والعمال والجنود العرب وعائلاتهم ، وهي محصنة بالأسلاك الشائكة والخناجر والمعدات الدفاعية ووسائل التخاطبة اللاسلكية الكافية لصد غارات البدو المحتملة ، وفي داخلها دور ومكاتب جميلة حاوية كل أسباب الراحة والرفه من ماء وكهرباء ، وبرق وهاتف وبريد ، ووسائل تدفئة وتبريد ، وحوانيت فيها ما تشتهي وتريد من المأكول والمشروب وثمة حدائق وأشجار تجلو العين بنضرتها في تلك الفيافي الجرداء ، مما جعل هذه المحطات شامات في وجنة البادية القفراء ، وحينما انسحب

الفيشيون وحاربوا الإنكليز في تموز سنة ١٩٤١ م خربوا آبار المياه ، وخزانات المحطات في خط طرابلس ، ونهب البدو المحطات بعد أن خلت من ساكنيها فتعطل الخط مدة ، ثم أعيد لما عادت المياه إلى مجاريها ، وفي حادثة رشيد عالي الكيلاني في العراق في شهر أيار من تلك السنة أيضاً ، نهب البدو محطة الرطبة وحوانيثها ودورها ومثلها محطتي ايح تري وايح تو في خط حيفا ، لكن هذا الخط ظل سالماً وجريانه دائماً .

☆ ☆ ☆

تاريخ البدو

تاريخ البدو هو تاريخ العرب الحضري نفسه في الجاهلية والإسلام . إذ أنهم أرومة العنصر العربي ومادته ، شملهم ما شمل الحضري من بؤسى ونعمى من قبل ومن بعد ، والعرب كما هو معلوم من أعرق الأمم السامية في القدم ، عاصروا جميع الأمم التي اشتهرت في التاريخ كالسومريين والآكاديين والآشوريين والبابليين والمصريين والرومان ، وكل هذه الأمم بادت وانقرضت ، أما هم فقد ظلوا أحياء أعزاء ، والساميون في رأي أكثر المحققين نشؤوا من جنوبي الجزيرة العربية ، وشرعوا منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد يهجرون البادية تبعاً ويلغون الهلال المخصب أي أطراف العراق والشام ومصر . كانوا مثل بدو هذه الأيام يعيشون من تربية الماشية ، ويتنقلون طلباً للكلأ والماء ، ويغزو بعضهم بعضاً ، وقد تحضر بعد قسم من هؤلاء الساميين ، فأنشؤوا عدة دول في جنوبي الجزيرة العربية وفي شمالها ، فما أنشؤوه في جنوبها : دول المعنيين والسبأيين والحميريين ، التي قامت وازدهرت في حضرموت واليمن ، وتركت أثراً بارزاً حتى الآن من مدن وقصور ومصانع وحصون وكتابات ، وما أنشؤوه في شمالها : دول الكلدانيين والبابليين والحموريين في العراق ، ودول الكنعانيين في فلسطين ، والآراميين في دمشق وحمص وما حولها ، والفينيقيين في سواحل لبنان ، والثووديين واللحيانيين في شمالي الحجاز ، وطسم وجديس في نجد ، والآدوميين والنبطيين في شرقي الأردن وحووران ، وبني السميزع في تدمر ، كل هؤلاء كانوا ساميين وعرباً متحضرين ، بلغوا درجة غير يسيرة من التمدن والرفه ، استمدوها من مصر وبابل السابقتين في هذا المضمار .

وهجرة العرب البدو من جنوبي الجزيرة العربية وأواسطها إلى بوادي العراق والشام ومصر ، وانسيابهم فيها كان يحصل على هيئة موجات تتابع ورودها منذ آلاف السنين ، ولا يزال حتى يومنا هذا ، وتعزى هذه الهجرات إلى أنه في كل قرن أو قرنين يزداد عدد

سكان تلك الديار العربية ، وتضييق بوفرة مواليدها فتصير مواردها ومعاطنها غير كافية لسد الحاجة ، أو تبدل الظواهر الجوية فيها ، وتتحول الشروط الإقليمية ، فلا تعد المعيشة سائغة ، كما جرى في مشارق اليمن ، وأدى إلى انحطاطه ، وزوال دول المعينيين والسبأيين والحميريين منه ، أو تأتى أعوام قحط جائحة ، أو تحدث فتن شعواء بين القبائل بسبب الاختلاف على المراعي والمناهل أو الخيل أو النساء ، فتضطرب موجة منها إلى أن تنزح نحو الشمال ، وتزحف وتفتش عن بقاع أروع وبراري أوسع ، فلا تجد ذلك إلا في أطراف العراق والشام ومصر المسماة بالهلال المخصب ، فالموجة القادمة منها إذا وجدت أمامها عشيرة سبقتها في الهجرة تسعى لدفعها واحتلال مكانها بالقوة والغلبة أو بالاتفاق والانضمام ، فإذا ظفرت تضطر السابقة المغلوبة إلى مزاحمة الأسبق والأضعف منها . وهكذا يزحم المتأخر المتقدم ، ويدفع القوي الضعيف كل في دوره ، وينازعه منزله ومرتعته ، وحينما يحرم المغلوب مجال النجعة ، ويترك رعي الإبل إن كان من القسم الأول (أهل الإبل) وينصرف إلى رعي الغنم فيصير من القسم الثاني (أهل الغنم) ، ومن هذه يتدرج إلى التحضر والاستقرار في القرى والمدن ، وهكذا كلما فرغت البادية من موجة من سكانها البدو ، واحتوتهم المعمورة ، تأتى موجة جديدة من صميم الجزيرة العربية فتلاً الفراغ ، وتحل مكان من هجروا البداوة وتحضروا ، وهكذا دواليك ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، تراها في عشائر شمر وعنزة التي جاءت على هيئة موجات وزاحمت (عربان الديرة) في بادية الشام ، بعد أن كانت عربان الديرة هي السائدة المنفردة في هذه البادية ، وقد استولت عليها من عشائر أقدم منها تحولت عن البداوة وذابت في بوتقة الحضارة ، وستنصرف شمر وعنزة يوماً ما عن التبدد وسوف تتجهان نحو التحضر ، وتخلو البادية ، فتأتى موجة لتستولي على أماكنها ، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

يقسم المؤرخون العرب باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام :

(بائدة) وهم الذين درست أخبارهم ، وطمست آثارهم ، فلم يسجل لهم التاريخ إلا صفحات مشوهة ، لا تنفي ظناً ، ولا تثبت حقيقة . وأشهر قبائلهم : عاد وثمود وطسم وجديس ، ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ، وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ الآية ، وأما طسم وجديس فتفانوا كما يزعمون في حادثة نسائية خرافية .

و (عَاربِه) وهم الينيون المنتون إلى يعرب بن قحطان المذكور في التوراة باسم بارح بن قحطان ، وزعم العرب أنه أصل لسانهم ومصدر بيانهم ، وبذلك يفتخر حسان بن ثابت في قوله :

تعلمت من منطق الشيخ يعرب أبيننا فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديماً مالم غير عجمة كلام وكنتم كالبهائم في القفر

و (مستعربة) وهم الحجازيون المنتون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام ، ولهذا يسميهم الإفرنج (إسماعيليين) . وإسماعيل نزل الحجاز حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ثم صاهر قبيلة جرهم ، فكان له بنون وأعقاب ، ضلوا في مجاهل الزمن ، فلم يعرف التاريخ منهم على التحقيق إلا (عدنان) ، وإليه ينتهي عمود النسب العربي الصحيح .

ومن هذا التقسيم ، قال مؤرخو العرب : إن العرب قبائل شتى ، ترجع في نسبها إلى شعبين عظيمين : شعب قحطان وشعب عدنان ، وذكر مؤرخو الإفرنج هذين الشعبين باسم عرب الشمال وعرب الجنوب ، ويرجعون في ذلك إلى ما كان معروفاً عنهم في قديم الزمان . فإن المصريين في عهد الفراعنة . كانوا يسمون عرب الجنوب « فنطو » أي سكان الفنط والفرنط عندهم البلاد الواقعة في جنوبي جزيرة العرب . ويسمون عرب الشمال « شاسو » تصحيف الكلمة العربية « شص » ، أي اللص الحاذق ، لكثرة سلبهم وغزوهم الناس ، وقد قال العلماء المتأخرون : أن لأهالي قسيمي ديار العرب مميزات لا تنكر ، ففي الشمال مصفحو الرؤوس ، وفي الجنوب الفطح ، وفي الشمال : اللغة العدنانية التي نزل فيها القرآن ، وفي الجنوب : اللغة القحطانية ، والتباين بين اللغتين كان كبيراً ، وكان النزاع بين القبائل القحطانية والقبائل العدنانية (المعدية والنزارية أو القيسية كما صارت تدعى بعد) على قدم وساق منذ أقدم العصور ، وقد زاد هذا النزاع شدة مع الزمان ، حتى صار من الأمور المميزة لقوم من قوم ، وتعد في يومنا عشتراطيء وشمر الضاربتيان في الجزيرة الفراتية من القحطانية ، ومثلهم الموالي والعقيدات والأبي شعبان ، وتعد عنزة وبنو خالد والسردية من العدنانية .

قسمت المعلمة الإسلامية في مادة (بلاد العرب) هذين الشعبين على النحو الآتي الذي نعر به ، قالت : تتفرع من قبيلة كهلان اليانية القحطانية : الأحياء الآتي ذكرها :

(١) بنو طيء ؛ وقد أقاموا منذ نحو ألفي سنة في جوار جبلهم الشهيرين وهما أجاً وسلمى ، وقد سمى السريان العرب كلهم طائيين من باب تسمية الكل باسم الجزء ، ولأنهم كانوا متصلين بقبائل هذا الحي أكثر مما كانوا متصلين بسائر القبائل ، وبنو طيء يعرفون اليوم باسم (شمر) وهو اسم أحد بطونهم الذي تسلط على من بقي منهم . وكان مقام الشمرين في قرية اسمها (توران) ، على ما قاله ياقوت في معجمه ، إذ يذكر أنها قرية في أرجاء أحد جبلي طيء لبني شمر من بني زهير ، ولا يتسمى اليوم باسم طيء إلا عشيرتان في الجزيرة ، وقد بقيتا تابعتين لشمر ، لكنهما لا تدفعان لها خوة^(١) وتعتبرهما متساويتين معها وقد هبط الشمريون أرض الجزيرة في القرن السابع عشر للميلاد ، ولهم فيها السيادة إلى اليوم . وكان قد دفعهم إليها عنزة ، وقد ساقوهم من بادية الشام .

(٢) قبائل همدان ومذحج ، وقد بقي معظمهم في الين ، ويتصل بمذحج بلحارث ، وهم يسكنون إلى هذا العهد جنوبي شرقي الطائف ، وكان لهم يد قوية في فتح العراق في خلافة عمر .

(٣) بنو عاملة وجدام ، وقد أقاموا في فلسطين منذ زمن قديم ، واللخميون الذين شادوا على الفرات مملكة الحيرة ، وبنو كندة الذين لم يسودوا في بلادهم في حضرموت فحسب بل سادوا بني أسد في اليمامة ، وكان أميرهم يسمى نفسه ملكاً ، وكان امرؤ القيس الشاعر المشهور من أهل هذا البيت الشريف .

(٤) بنو أزد ، وكانوا من أحلاف القبائل وهم لم يفتحوا عمان ويقيموا في جبال السراة فقط ، بل كان أحلافهم الغساسنة قد أنشؤوا مملكة في ديار الشام ، وكان الخزاعيون قد استأثروا بمكة مدة من الزمن ، وكان الأوس والخزرج (الأنصار) قد اختصوا لأنفسهم بيثرب (أي المدينة المنورة) .

(١) قلت ؛ ليس هنالك سوى عشيرة واحدة تدعى باسم طيء إلا أنها ذات فرق ، أخصها في كرم المحتد ؛ فرقتا العساف والحريث ، فهل هما المقصودتان بكلمة عشيرتين ؟ أما عدم دفع الخوة إلى شمر فصحيح ، وقد استبدلت الخوة حين دخول فارس الجرباء الجزيرة بالمصاهرة ، فقد زوج هذا ابنه صفوق عمة ابنة شيخ طيء . وكان ذلك في حدود سنة ١٢٢٥ هـ على ما سوف نذكره (راجع أبحاث شمر وطيء في الجزء الثاني من كتابنا هذا) .

والحي الآخر النازل من صلب قحطان هو الذي يضع النسب في مقدمته بني حير ،
أو الحيريين ، ومن هذا الحي بنو قضاة ، وهم مؤلفون من قبائل شتى بينها بهراء وتنوخ ،
وقد نزلوا ديار الشام الشمالية منذ عهد قديم ، ومنهم جهينة وكان لهم الكور المجاورة لوادي
أضم ، ومنهم أيضاً بنو عذرة وهم من أقارب جهينة وجيرانهم ، وقد اشتهروا بحبهم العذري ،
ومنهم بنو كلب وكانوا نازلين في بادية الشام ، ومنهم بنو بلي ، وكانوا احتلوا شمالي الحجاز
وفي خلافة عمر ذهبت طوائف من بلي وجهينة وأقاموا في الديار المصرية .

أما قبائل شمالي بلاد العرب فهي المعروفة أيضاً بالنزارية أو المعدية المسمين باسم
جدهم الأعلى في زعمهم ، على حين أن المعدية وردت في كتاب المؤرخ بروكوبس بمنزلة
قبائل متحالفة لا اسم رجل ، وكذلك كلمة نزار ، فإنها وردت في كتابة مؤرخة في سنة
٣٢٨ ميلادية اكتشفها المسيو دسو في النارة في جوار الصفا (شرقي حوران) ، يقول فيها
(امرؤ القيس بن عمرو ملك جميع العرب) أنه كان يحكم على بني أسد ونزار ، ثم إن قبائل
الشمال انقسمت قسمين عظيمين وهما ربيعة ومضر ، وقد تمزقا كل ممزق قبل الإسلام ، هذا
إذا تركنا على حدة حي إياذ (بالذال المعجمة وهو غير إيراد بالذال المهملة) ، وهو حي
كان عظيم الحول والطول سابقاً ، لكنه انقرض قبل ظهور الإسلام ، فقبيلتا ربيعة ومضر
اللتان سادت في عزمها هاجرتا شطر الجزيرة الفراتية ، وبقي اسمها مخلداً في كورتي ، ديار
ربيعة على الدجلة وديار مضر على الفرات ، ثم نزل تلك الديار بنو تغلب وثر .

ويتصل بحي ربيعة قبيلتا عنزة وأسد ، وكانتا متحدتين ومتجاورتين كل التجاور في
شمالي وادي الرمة ، وكان طريق الحاج من البصرة إلى المدينة يمر بأرضها . وكانت عنزة قد
احتفظت بالسيادة بعد أن طردت قضاة من ديار العرب في عهد سابق ، وفي منتصف
القرن السابع عشر (١١ هـ) احتلت عنزة بادية الشام كلها ، أو كادت ، وأخضعتها
لأمرها ، وبنو سباعة في الشمال الشرقي ، والأرولة في الغرب يرجعون إليهم ، ويرى اليوم
في العراق من بني أسد ، وبنو وائل متصلون بهم كل الاتصال من جهة النسب ، وقد
انقسموا قسمين مهمين ، وهما بكر وتغلب ، وقد جرت الحرب بينهما بعد قتل كليب إلى
نتائج مشؤومة ، وكان كليب يسود وائلاً ، فانقلبت الحرب وولاً على القبيلتين الأختين ،
فذهبت كلتاها مع بني ثمر من أقاربها إلى الجزيرة الفراتية ، فاحتل بنو بكر شمالها ، ومن
ذلك اسم ديار بكر للبلاد التي نزلوها ، وكانت أمد حاضرتها فسميت باسمهم ، أما

بنو تغلب وتمر فإنهم هبطوا جنوبها ، وكانوا على النصرانية ، فلما جاء الإسلام أكرهوا على أداء الجزية ، ويرجع إلى بني بكر بن وائل بنو حنيفة أصحاب اليمامة ، وكذلك جيرانهم بنو شيخان ، ممن يرجع أيضاً إلى ربيعة عبد القيس الذين كانوا يسكنون البحرين ، أما مضر فكان في مقدمتها بنو قيس ، وقد بلغوا من القوة والمنعة منزلة حتى أنه سمي قيسياً كل عربي لم يكن يمانياً ، واليوم ليس من يتسمى بهذا الاسم إلا قبيلة صغيرة من أهل المدر ، نازلة على الفرات وهي تدفع الخوة لبني شمر^(١) وفي شرقي هذه القبيلة يقطن بنو عدوان وهم يدينون لشمر أيضاً ، وكانوا ينزلون سابقاً جنوبي الحجاز ، بجانب بني فهم وهذيل^(٢) ويرجع إلى حي قيس أيضاً هوازن وبني سليم ، وكانوا يقيمون في غربي ديار نجد في شرقي المدينة ومكة ، وفي أوائل القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) اشتد أمر بني سليم ومجاورهم بني هلال الراجعين إلى هوازن وضائق البلاد بعددهم العديد حتى خيف على المدينتين المقدستين من جهة الأمن فيها ، فأكرهوا على المهاجرة ، فهاجروا إلى ديار مضر فهبطوا أولاً دلتا النيل ، ثم اضطروا إلى مغادرته قسراً فذهبوا إلى الصعيد ، وفي سنة ٤٤٤ هـ رضوا بالذهاب إلى شمالي أفريقيا على شرط أن يعطى كل منهم بعيراً وديناراً ، فأغلب بدو أفريقيا الشمالية يعودون في أصلهم إلى بني سليم وبني هلال . وشهرة بني هلال معروفة إلى هذا العهد في شعر العامة في قلب بلاد العرب نفسها^(٣) ، وكانوا يعيدون في السابق إلى أحلاف قبائل عامر بن صعصعة ، ومنهم كانوا أيضاً بنو كلاب وبنو قشير وبنو عقيل ، وما زالت بنو عقيل إلى زمننا هذا ذات شأن وخطر في بلاد نجد ، وهم باعة الأباقر إلى القوافل التي تظعن من ديار الشام إلى بغداد ، وهم خفراؤها أيضاً ، ومن عقيل خرج المنتفق ، وكانوا أصحاب عز ومنعة منذ القرن الرابع الهجري وهم لا يزالون كذلك إلى عهدنا هذا ، وديارهم جنوبي العراق .

ويشمل حي قيس بني غطفان ، وفيهم قبيلتان شهيرتان ، وهما عبس وذبيان وقد

(١) هذا ما كان قبل عشرين سنة ، ثم صارت قيس (وتلفظ الآن جيس) من أشهر العشائر وأفسدها ، وبعد تحديد

الحدود بين دولتي الشام وتركيا ظلوا في شمالي الحد واستتركوا وانقطع أذاهم عن سكان البقاع الشامية .

(٢) هؤلاء ليسوا العدوان المعروفين في بلاد شرقي الأردن ، بل هم العدوان المنضمون إلى عشيرة الملي الكردية في ناحية رأس العين من محافظة الجزيرة الفراتية .

(٣) وعلى وقائعهم نظمت القصة المعروفة باسمهم المنتشرة في أيدي العامة كثيراً .

عرفت الحرب باسمها ، أي حرب (داحس والغبراء) ، وأقوى بطن ذبيان كانت فزارة ، ويرجع إلى مضر أيضاً بنو ضبة وبنو تميم الذين احتلوا الديار التي كان فيها سابقاً بنو بكر وتغلب في نجد ، وقيم قبيلة ضخمة ، انتشرت في كل جهة . وليس في جزيرة العرب بدو خلص هذا الاسم اللهم إلا في أسفل دجلة في جهة العمارة وما دناها^(١) ، بيد أن معظم الحضرة من سكان نجد يدعون أنهم من تميم ، وجميع قبائل نجد البدوية هي مضرية ، وهي في عهدنا هذا في شرقي الحجاز ، وهم بنو حرب (مزينة) ، ويدهم الطريق التي تجمع المدينتين المقدستين ، وفي شرقي هؤلاء قبيلة عتيبة ، العظيمة البطش ، وبين القبيلتين وادي الرمة ، وفي شرقي أرض هاتين القبيلتين بنو مطير ، ومن يرجع إلى مضر بنو خالد ، ومسكنهم في شرقي اليمامة ، وقد كسرت شوكة الوهابيين من غلوائهم .

ومن يعد في مضر بنو هذيل ، الذين أقاموا وما برحوا يقعون في الجبال المجاورة لمكة ، ومنهم أيضاً بنو كنانة ، وكانوا في سابق العهد حياً ذا بطش وحول في جنوبي الحجاز ، ومن كنانة (قريش) تلك القبيلة العريقة في القدم والكرم والنجار ، ومن أعظم القبائل سؤدداً^(٢) ، واليوم تدعى قريشاً قبيلة صغيرة شاوية نازلة في أرض مكة ، وهي القبيلة الوحيدة البدوية من قبائل ديار العرب تحسن صنع الجبن .

هذه أشهر قبائل العرب في التاريخ ، ومنها تتفرع فروع عديدة لا تحصى ، وكلها ترجع إلى أمهاتها هذه . فلما جاء الإسلام ، وامتدت فتوحاته ، أحدث تغيراً عظيماً في عالم البداوة ، فلقد أمد البدو الجيوش العربية بمقاتلين كثيرين ، فأنشئت مسالحي في العراق وديار الشام ، شديدة البأس والبطش ، ثم أنشئت مراكز جديدة في غربي تلك الديار وشرقيها ، وأقاموا فيها جنوداً من أهل البادية ، فتضعضت بذلك بعض القبائل ، واضطرت إلى التناحر والتعاهد والتعاقد ، فأضاع ما كان لها من الاستقلال في ديارها . وقد وقع

(١) قلت ومن بني تميم جمع في غربي بغداد وعلى مقربة منها حول نهر أبي غريب وتل عرقوف أيضاً .

(٢) قلت ثم انقسمت قريش إلى بطون منها جح وسهم ومخزوم وقيم وعبد الدار وعبد المناف ثم كان من عبد مناف عبد شمس ونوفل والمطلب وهاشم ومن هاشم عبد المطلب وبنوه عشرة منهم عبد الله أبو الرسول ﷺ وأبو طالب أبو علي رضي الله عنه ثم العباس ، والعلويون ينتسبون إلى علي والعباسيون إلى عباس عم النبي . أما الأمويون فهم من بني عبد شمس أخي هاشم .

من التحاسد بين قبائل ربيعة وقبائل مضر ما أكره بني ربيعة على مخالفة قبائل الين منذ عهد بعيد في القدم ، لأجل مقاومة قبائل مضر .

قلت : أما أخبار هذه القبائل منذ العصور الأولى إلى أن ظهر الإسلام فهي غير متناسقة ولا موزونة ، بحكم الأمية وبعد العهد وغير ذات مكانة تاريخية ، ولا فائدة قومية للأسف . لأن كلها تنازع وتناخر على ما تقتضيه طبيعة البداوة ، بسبب أمور قد تكون تافهة في الأصل ، كالاختصام على فتاة ، أو على فرس أو على منهوب أو بسبب أمور قد تكون ذات بال ، كالاختلاف على المراعي والمناهل ومناطق النفوذ ونحو ذلك ، مما لا يزال ديدنهم حتى يومنا هذا ، وقد دون مؤرخو العرب وأدباؤهم بعض هذه الوقائع وسموها (أيام العرب) ، كأيام العدنانية على القحطانية ، وبالعكس ، وأيام العدنانية فيما بينهم ، كالتى وقعت بين ربيعة ومضر ، ثم التى جرت بين قبائل ربيعة نفسها ، وأهمها ما جرى بين عبس وذبيان ، وهى حرب داحس والغبراء ، وأمثال ذلك مما لا طائل في ذكره ولا يسعه نطاق كتابنا هذا .

بيد أن مؤرخي العرب لم يذكروا لنا القبائل التى كانت قبل الميلاد بقرون عديدة تفد على هيئة موجات إلى الهلال المخصب للدواعي التى ذكرناها ، ولا أولئك الذين كانوا في بادية الشام في جند زنوبيا ملكة تدمر في حربها الرومان في القرن الثالث الميلادي ، ولا أولئك الذين كانوا يهاجمون قوافل التجار ويزعجون مشارف الشام وحواضره ، فعمد الرومان إلى رد جماهم بإشادة الحصون والخفافر العديدة التى تقدم وصفها ، وهؤلاء

المؤرخون حصروا أسباب هجرة العرب في انهيار سد مأرب ، وحصره بعض المؤرخين المتأخرين في تحول المسالك التجارية من البر إلى البحر . والواقع أن هجرة العرب البدو - كما بينا - أقدم بكثير من هذين الحادثن ، على ما كان لهما من جليل الخطر في حياة بلاد العرب ، ومن الأثر البارز في تنقل العرب من جنوبي شبه الجزيرة إلى شمالها ، فهذا التنقل بين القبائل كان كثير الوقوع من قبل الميلاد والإسلام ومنذ أقدم العصور ، فقد كان العرب يتعاملون مع البلاد التي تجاورهم إذ كانوا ينقلون تجارة الشرق الأقصى (الهند والصين) من موالي الهند وحضرموت إلى بلاد الشام ومصر والرومان ، فيأتون بالمعادن والأحجار الكريمة والطيبوب والأفاويه والبخور ، وكانوا ينقلون تجارة الشام ومصر والرومان إلى الشرق الأقصى ، وكانت هذه التجارة تسير على إبلهم (سفن البر) مختقة شبه الجزيرة ، وكان أهل الجنوب من اليمنيين والحضرميين (المعنيين والسبأيين والحميريين) السابقين الأولين للقيام بهذه التجارة ، ذلك بأنهم كانوا أكثر من أهل الشمال حضارة ، لخصب أرضهم ولاتصالهم بالفرس والهند اتصال جوار قريب . لذلك فإن القبائل التي هاجرت إلى العراق والشام واستقرت فيها كانت من قبائل الجنوب ، وكان يلي هؤلاء في إتقان النقل والتجارة النبطيون أصحاب مدينة البتراء ، والتدمريون أتباع زنوبيا (ملكة تدمر) .

هاجرت بطون من القبائل العربية البدوية منذ العصور الأولى إلى أطراف الشام الشرقية ؛ التماساً لبقاع أمرع ، ورزق أوسع من المعيشة الضنكة في شبه الجزيرة ، فكانت تتحضر إما كلياً أو جزئياً ، وتبقى كذلك مادام الأمن مستتباً ، وهيبة الحكم سائدة . وكان السلطان في العراق وفي الشام متداولاً بين الأمباطوريين الفارسية والرومانية ، فكانت فارس تنتزع الشام من الرومان أحياناً وتضمه إلى العراق التابع لها ، وكان الرومان ينتزعون العراق من الفرس أحياناً ويضمونه إلى الشام التابع لهم ، وكان العرب البدو الذين نزحوا إلى الشمال ينضمون في كثير من الأحيان إلى جيش الرومان أو إلى جيش الفرس ، متأثرين بما في طبيعتهم البدوية من حب الغارات واستباحة حمى المعمور .

ويظهر من الكتابة التي عثر عليها المستشرق الإفرنسي دوسو في سنة (١٩٠١ م) (١٣١٩ هـ) في النارة شرقي جبل الدروز وجنوبي وعرة الصفا ، وهي شاهدة قبر امرئ القيس بن عمرو أحد ملوك الحيرة اللخميين أنصار الفرس (٢٢٨ - ٣٢٨ م) أن القبائل

العربية التي كانت في القرن الرابع الميلادي في بوادي الشام والعراق هي : معد وأسد ونزار ومذحج ، وتدل هذه الكتابة المحررة باللغة العربية العدنانية أن امرئ القيس المذكور قد أخضع هذه القبائل وجاء إلى مشارف الشام لحربها ، أو لمهمة أخرى ، فلقبي حتفه في غارة المذكورة ودفن فيها فكتبوا له هذه الشهادة التي تعد أقدم أثر عربي .

وقد كان الرومان في بدء احتلالهم الشام بعد غزوات اسكندر المقدوني رأوا البدو خطراً على الحواضر بسبب طبيعتهم البدوية التي ذكرناها ، فحاولوا غير مرة كسر شوكتهم ، غير أنهم عرفوا بالاختبار أنهم لا يظفرون بهم ظفراً تاماً ما لم يستنجدوهم ويستعينوا ببعض عشائهم لقطع دابر الشذاذ العاقين منهم . (والحديد لا يفله إلا الحديد) فحالف الرومان شيوخ هذه العشائر ولقبوهم بلقب رؤساء وملوك ومنحوا بعضهم قسماً من السلطة على بادية الشام^(١) ، فكان هؤلاء الرؤساء أو الملوك يحكمون أبناء جلدتهم العرب ويسودونهم ، وربما زاحموا الدولة الرومانية ، كلما شعروا بانتقاص حبلها أو ضعف ولائها ، فترى الأنباط منهم في أواسط القرن الأول للميلاد متقلدين الحكم في شرقي الأردن وفي حوران وحتى في دمشق نفسها . ونرى آل السميزع : أصحاب مدينة تدمر يسيطون نفوذهم على حواضر الشام ، وتمتد مطامعهم حتى العراق ومصر . وقد أفاد بعض مؤرخي الرومان أن الرومان كانوا اتخذوا في مقدمة جندهم كتيبة من العرب ، كانوا يتقدمون الجيش في محاربة أورشليم على عهد وسبسيانوس وابنه طيطس ، وكان الرومان يدفعون إلى الفرق العربية رواتب معينة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانية من جهة البادية ، وليكونوا عدة لهم على أخصامهم الفرس . ويذكرون أيضاً أن شيوخ العرب المتحالفة قدموا ذات يوم على القيصر يوليانيوس ، وشكوا إليه تأخر ولائه في دفع رواتبهم ، فغضب يوليانيوس وزجرهم بقوله أنه أعد لهم حديداً (لقتالهم) لاذهباً (لأجرتهم) فخرجوا ناقلين على الرومان ولحقوا بجيش الفرس وحاربوا يوليانيوس معهم ، فكانت الدائرة عليه .

وجل ما ذكره مؤرخو العرب : أن العرب كانوا يفدون إلى الشام (بلاد الحجر والحجير والأمر والتأمير والديباج والحريير) ، منذ القرن الأول للميلاد بسبب البداوة ، والتكاثر مع

(١) كما حالف الإنكليز في عهدنا شيوخ العشائر العربية في الحميات التسع التابعة لمستعمرة عدن ولقبوهم بالسلطين .

الزمن ، وتقاصر مواطنهم عن كفايتهم ، وبسبب ما فطروا عليه من حب الغارات واستباحة حمى المعمور ، وذكروا أن قضاة أول من قدم الشام من قبائل العرب ، فصارت إلى ملوك الروم ، فلكوهم على من في بلاد الشام من العرب ، فكان أول الملك لتنوخ بن مالك بن فهم ، ثم وردت الضجاء وهم فخذ من سليح ، وسليح بطن من قضاة ، فتغلبت على تنوخ ، وقامت مقامها في السيادة على بلاد الشام وأعرابها ، حتى جاء الغساسنة من اليمن في أواخر القرن الرابع الميلادي ، وقد يكون انهيار سد مأرب من جملة أسباب مجيئهم ، واستظهروا على الضجاء ، وعظم شأنهم ، وحالفوا الرومان ، وصاروا عمالهم على إخوانهم عرب الشام وخفراءهم على الحدود الغربية تجاه الفرس ، كما كان اللخميون المناذرة حلفاء الفرس وعمالهم على عرب العراق وخفراءهم تجاه الرومان ولقبوهم بلقب فيلارك أو أميراً أو ملك ، وكان بعض العرب قبل مجيء الغساسنة يتقدم في خدمة الرومان ومناصبهم ، حتى أن أحدهم وهو فيلبوس العربي من : أبناء بصرى في حوران صار قيصراً وملك على رومية من سنة ٢٢٤ إلى سنة ٢٤٩ م ، وكانت أيامه محمودة في عمران المملكة الرومانية ورغدها ، وسارت هذه القبائل العربية على دين ملوكها فتنصرت وشيدت في أنحاء حوران والصفاء واللجا والبلقاء كثيراً من الأديرة والكنائس ، لا تزال آثارها ماثلة ، وكانت لغة النبطيين والتدمريين الآرامية ، وما بقي من القبائل كانوا يتكلمون لغة عربية ، ولكنها بعيدة نوعاً ما عن لغة القرآن القرشية لكثرة ما كان فيها من المفردات والتعابير الآرامية .

وضاقت فيما يبدو وقتئذ بادية الشام بهذه القبائل العربية ، فانساح قسم منها قبل الإسلام بقرن أو قرنين إلى براري الجزيرة الفراتية ، ذات الخصب الكثير والخير الوافر ، وانتشروا فيها واستقروا على نحو ما عملته قبائل بكر وربيعة ومضر وأثمار وإياد وشيبان وتغلب ، وكلهم من أعقاب نزار بن معد بن عدنان ، فاحتل بنو بكر شمالها ، ومن ذلك اسم (ديار بكر) للبلاد التي نزلوها وكانت (آمد) حاضرتها فسميت باسمهم إلى أن قلب الترك أخيراً اسمها إلى ديار باقر أي (ديار النحاس) محواً لصبغتها العربية ، فكان في الجزيرة ديار بكر التي قال عنها ياقوت في معجمه « هي بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ... بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين » . وقال عن ديار

رببعة « ديار رببعة بين الموصل إلى رأس عين ودينسر والخابور جميعه ، وما بين ذلك من المدن والقرى ، وربما جمع بين ديار بكر وديار رببعة ، وسميت كلها رببعة ، فإنهم كلهم رببعة ، وهذا اسم لهذه البلاد قديم كانت العرب تحله قبل الإسلام في بواديه واسم الجزيرة يشمل الكل » . وقال عن ديار مضر « ديار مضر هي ما كان في السهل يقرب من شرقي الفرات ، نحو حران والرقعة وشمشاط وسروج وتل موزن » ، قلت : يظهر من هذا التعريف : أن القسم الغربي من الجزيرة الواقع ما بين الخابور والفرات وفيه في يومنا قضاء الرقة وعين العرب كان من ديار مضر وحاضرتها الرقة ، والقسم الأوسط الواقع ما بين الدجلة والخابور وفيه قضاء القامشلية والحسكة وجبل سنجار كان من ديار رببعة وحاضرتها الموصل ، والقسم الشمالي الذي فيه جزيرة ابن عمر وميا فارقين مما ظل داخل حدود الترك كان من ديار بكر وحاضرتها آمد ، وفي هذه الجزيرة حدثت الوقائع بين قبائل رببعة وأهلها بين بكر وتغلب ، وهي حرب البسوس بين كليب وجساس ، وهي مشهورة ومذكورة في كتب التاريخ والأدب دامت وقتئذ بينهما أربعين سنة ، مات في أثناءها الشيوخ وشاخ الشبان ، وشب الولدان ، وولدت طبقة من الناس لم تكن بالحسبان ، وكان الحرب سجلاً إلى أن تصالحا لآخر مرة على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر اللخمييين ، وجرت واقعة بين شيان وتغلب بقرب الفرات ، فاز فيها بنو شيان ، ومن قبيلة تغلب هذه نشأ الشاعر المشهور عمرو بن كلثوم بن مالك التغلي ، عقيد قبيلته وزعيمها ، وقاتل عمرو بن هند المذكور في داره ، وكان ذلك في أواخر القرن السادس الميلادي ، وهو صاحب المعلقة التي مطلعها :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

مما يدل على أن الأندرين الشاخصة بأطلالها وآثارها^(١) حتى الآن في براري حلب الجنوبية كانت عامرة في عهده ، وتنتج خموراً جيدة ، وأن تغلب كانت توافيها وتمتار الخمر منها ، وكانت النصرانية شائعة فيهم قبل الإسلام لمجاورتهم الروم . وقد أبلوا بلاءً حسناً مع المسلمين في فتح العراق قبل أن يفتح المسلمون الجزيرة .

(١) راجع وصفها في كتابنا (جولة أثرية في بعض البلاد الشامية) ص ٢٠٦ - ٢١١ .

ذكر الطبري أن مدداً من تغلب وهم نصارى حاربوا الفرس مع المسلمين تحت راية المثنى بن حارثة الشيباني سنة ثلاث عشرة ، وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم « نقاتل مع قومنا » ولما فتح المسلمون الجزيرة سنة ١٨ أيام عمر (رضي الله عنه) بقيادة عياض بن غنم لم يحملوا التغلبيين على الدخول في الإسلام ، بل دان به من دان منهم طوعاً ، ومن بقي منهم على النصرانية أبى أن يعطي الجزية حمية وأنفة ورضي أن يعطي الصدقة مضاعفة ، حتى دخلوا كلهم الإسلام مع الزمن ، وكانت قبيلة تغلب مشايعة لخلفاء بني أمية نشأ منها الشعراء المشهورون كعب بن جميل والأخطل والقطامي ، كما نشأ في القرن الرابع الهجري للملك بني حمدان الذين منهم سيف الدولة ممدوح الشاعر الشهير بالمتني . وفي شعر الأخطل إشارات عدة إلى الأيام والوقائع التي توالى في الجزيرة بين قيس وتغلب ، أشهرها : يوم ماكسين على الخابور ، ويوم الثرثار الثاني ، ويوم البليخ ، ويوم البشر الذي تقدم ذكره في الكلام عن جبل البشري .

هذا ما كان في الجزيرة ، أما في براري الشامية فقد كان فيها قبيل الفتح الإسلامي عشائر عربية جلييلة أخصها بنو كلب . قال الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ١٢٩) : « أما كلب فساكنها السماوة ، ولا يخالط بطونها في السماوة أحد » ، وقد قدمنا أن بادية السماوة هي بادية الشام الحالية المشتركة بين العراق والشام ، وقال الهمداني في موضع آخر : « وإن جرت جبل عاملة تريد قصد دمشق حصص وما يليها فهي ديار غسان من آل جفنة وغيرهم ، فإن تيسرت من حصص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعت في أرض بهراء ، ثم من أيسرهم مما يصل البحر تنوخ ، وقال : وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلمية وحمص وهي حميرية وخلفها حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب إلخ . » .

فيظهر من كلام الهمداني أن عدة قبائل عربية كانت منتشرة في براري شامي الشام وحواضرها ، وأن هذه القبائل هي لخم وأبي القين وجذام وغسان وتغلب وتنوخ وعاملة وبهراء وإياد وبلي وكنب ، كما كان من أمثالهم وبني عمومته في أرياف العراق ، إن هذه القبائل العربية في العراق والشام كانت الطلائع الأولى في التمهيد للفتح العربي وللإمبراطورية الإسلامية ، لأن مقامهم بين رافدي العراق ومشارف الشام ، واحتفاظهم بخصائص حياتهم البدوية العربية ، واتصالهم بأهلهم وبني قومهم المحيطين بهم في شبه

الجزيرة ، كل ذلك كان مقدمة لما تلاه ، بعد أن زحف عرب الجزيرة إليهم محاربين ، لتحل الأمبراطورية الإسلامية محل الأمبراطورية الفارسية والرومانية .

ولما جاء المسلمون من الحجاز لفتح الشام والعراق وجدوا فيها هذه القبائل ، وقد دعاها مؤرخو العرب بالقبائل العربية المنتصرة ، وذكروا كيف أعانت بادئ بدء الفرس والروم على المسلمين في معارك القادسية واليرموك وغيرها ، إلا أنه بعد أن ظهر المسلمون على الأمبراطوريتين المذكورتين ، وعلت كلمتهم ، دخل معظم هذه القبائل في الإسلام مع الزمن ، واشترك في الفتوح ، وأبلى أحسن بلاء في نشر راية الإسلام .

لما توفي النبي ﷺ واستتب الأمر لخليفته أبي بكر رضي الله عنه في الجزيرة العربية بعد حروب الردة شرع يستنفر قبائل العرب للجهاد في سبيل دعوة الإسلام ، فزحفت منها جحافل جرارة عملت في الفتوحات الإسلامية أجد عمل ورفعت أعظم ذكر وأثر . وقد دامت هذه الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين وضربت من الجزيرة العربية إلى حدود الصين والهند شرقاً والأطلسيتيك وأواسط فرنسا غرباً ، وظل الخلفاء المذكورون يندبون قبائل العرب للغزوات ويستجيشونهم للفتوحات بدون انقطاع ، لأنهم مادة الإسلام وعصبه ، فكانت القواصي تأكلهم ، والحروب تفني منهم الألوف المؤلفة ، فلم يبق لهم ذكر إلا في أعقاب متفرقين في الأمصار التي انتجعوها بمجملتهم .

ونحن إذا كان بحثنا منحصراً في هذا الكتاب في أعراب بلاد الشام نقول : إن قسماً من تلك القبائل قد تدير وقتئذ بعض بقاع الشام واختلط بعد بالشعوب الشامية القديمة كالسريان الآرامي الأصل والروم البيزنطي الأصل والعرب المنتصرة فأدججها في قوميتها ، وأنطقها بلغته ، وأشركها في مذهبه وقضيته ، ومن لم يتحضر من هذه القبائل وفضل عيش البداوة وظل يضرب في بوادي الشام وأطرافه ويشترك في أحداثه وكوارثه مسيئاً تارة ومحسناً أخرى ، وقد ذكر المؤرخون أسماء بعض من كان من هؤلاء خلال القرون الثلاثة الأولى في عهد الأمويين والعباسيين كبنى كلاب وبنى القين وبنى نير وبنى عقيل وبنى مخزوم ، كما ظلوا يذكرون من حين إلى آخر في سياق الأخبار أسماء بعض الرجال من القبائل التي كانت منتصرة فأسلمت بعد واشتركت في الفتوح .

إلا أن العرب لما انبسطوا في الأقطار المفتوحة واستروجوا سيادتها وحضارتها صاروا فيما قاله ابن خلدون - وأبدى أسفه - يضيعون خشونة البداوة تدريجياً ، فينغمسون في الترف والنعيم ، ويهملون الأمر والنهي ، فاستلهمها غيرهم من الموالي والأعاجم ، وخسر العرب الرئاسة فامتهنوا واستهين بهم ، وتناوشتهم ألسنة السفهاء والخلعاء من شعراء الشعوبية موالي وأعاجم أمثال أبي نواس ، وبشار بن برد وغيرهما ، وأنت واجد ما قالوه في الكتب الباحثة عن أدب هؤلاء ، أو بالأحرى قلة أدهم .

وقد كان الإسلام عفى على أثر العصبية الجاهلية وشدد النعي عليها ، لأنه رأى أن حياة الأمة العربية لا تستقيم مع هذه العصبية التي أضعفت قواهم في جاهليتهم . لكن هذه العصبية ذر قرنها بعد في أوائل العهد الأموي بين اليانين ومنافسيهم من القيسيين ، وانتشرت معهم في الأقطار المفتوحة ولا سيما في الشام وخراسان والأندلس وكان للشعراء يد طولى في إذكاء هذه العصبية ، ومن قرأ أشعار الأخطل وجريز والفرزدق وغيرهم يتجلى له ذلك ، ودامت هذه النزعات الخبيثة قروناً عديدة ، وحتى في بلادنا الشامية إلى عهد قريب ، تشب نارها تارة وتخمّد أخرى ، سالت بسببها دماء غزيرة ، وخربت أوطان كثيرة ، كانت من أكبر العوامل في ضعف الأمة العربية وتغلب الأعاجم على أمرها وزوال مجدها من تلك الأقطار .

قال الأمير شكيب أرسلان في تعليقه على تاريخ ابن خلدون (ملحق الجزء الأول طبع مصر سنة ١٣٥٥ ص ٤١٠) : « ولضر فروع جمع عدة قبائل وهو قيس ويقال له قيس عيلان ، ولكثرة بطون قيس غلب على سائر العدنانية ، حتى صار في مقابل الين كلها ، فصاروا يقولون قيس وبن . وفي جميع الديار الشامية انقسم العرب إلى قيس وبن . وكانت حروب القيسية والبنية في لبنان متصلة وانتهت بوقعة عين دارة (سنة ١١٢٢ هـ) ، وأما في فلسطين فلا تزال هذه القسمة موجودة ، وأما في الأندلس فكانوا يقولون المضرية والبنية » . وقال في ص ١٦ « والحقيقة أن هذه العادة نفسها هي التي كانت الأصل الأصيل في فقه الأندلس ، بل في نكوسهم عن قلب أوربة بعد أن وطؤوه بأقدامهم وكادوا يستولون على تلك القارة ، وقد كانوا كلما تم لهم الظفر في واقعة على الأجانب عادوا فاققتلوا فيما بينهم بين قحطاني ومضري ، ففشلوا وذهبت ريمهم ، واضطروا أن

يعودوا من حيث أتوا ، ولم ينحصر ضرر هذه العصبية في الأندلس والمغرب بل أفنت القبائل العربية بعضها بعضاً في الشرق أيضاً ، وصرفتهم عن التبسط في الفتوحات ، ثم قال : « ولم يكن ليفت في هذه العصبية الغالبة سوى العقيدة الإسلامية التي جعلت الإسلام هو العروة الوثقى ، وجعلت أخوته فوق كل رابطة ، ولذلك قيل : إن العرب لم يكونوا ليتحدوا في يوم من الأيام إلا بالإسلام ، ولولا الإسلام لبقوا شعوباً وقبائل يقتتلون في جزيرة العرب إلى يوم القيامة وبأسهم أبدأ بينهم ، فلما جاء الإسلام ووجد بينهم في الدين ، وقال الله تعالى ﴿ كُنْتُمْ أَغْدَاءَ فَآلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ لم يلبثوا أن خرجوا من جزيرة العرب بقوة هذا الاتحاد ، ففتحوا نصف العالم في ثمانين سنة ، ولم يقف في وجههم شيء ، لكن بعد أن بعد عهدهم بعهد النبوة وخلافة الراشدين ضعفت فيهم العقيدة التي كانت هي مدار العمل عند سلفهم ، وعادت فتجددت بينهم العصبيات الموروثة عن الجاهلية ، فرجعوا يقتتلون على المضرية والينية في الإسلام ، كما كانوا يقتتلون قبل الإسلام ، ورجع بذلك زرعهم هشياً وبذرهم عرجوناً قديماً ، اهـ » وفي تاريخ ابن خلدون « أن أكثر القبائل الذي كان له الملك انقرض فلم يبق لهم ذكر ، وانتبذ بقيتهم بالفقر ، وأقاموا أحياء بادين لم يفارقوا الحلل ولا تركوا البداوة والخشونة ، فلم يتورطوا في مهلكة الترف ، ولا غرقوا في النعيم ، ولهذا أنشد شاعرهم :

فمن تكن الحضارة أعجبتـه بأي رجال بادية ترانا »

وقال : « وأقامت هذه الأحياء ناجعة في صحاري الجنوب من المغرب والمشرق بأفريقية ومصر والشام والحجاز والعراق وكرمان كما كان سلفهم من ربيعة ومضر وكهلان في الجاهلية . وانقرض الملك العربي الإسلامي ، وطرق الدول الهرم الذي هو شأنها ، واعتز بعض أهل هذا الجبل غرباً وشرقاً فاستعملتهم الدول وولولهم الإمارة على أحيائهم وأقطعوهم في الضاحية والأمصار ... إلخ » قلت : وأكبر سبب فيما ذكره ابن خلدون هو أن الدولة في عهد الأمويين كانت عربية خالصة وكان خلفاء بني أمية ينظرون إلى جزيرة العرب نظراً خاصاً ، ويجعلون لها امتيازاً على غيرها من بلاد الإسلام ، فكانت هي فيه الحاكمة ، وكان غيرها من البلاد محكوماً ، وكان هؤلاء الخلفاء يحنون إلى حياة البادية ، ويهرعون في كل ربيع إلى عيشها الحر ، وهوائها الطلق وعبير أزاهيرها الفياح من عرار وشيخ وقيصوم ،

وكانوا يربون أولادهم في البادية بين القبائل ، ليعتادوا على الفروسية والخشونة ، ويحتفظوا بالأخلاق القومية واللهجة البدوية المهددة بالتغير بحجم الإتصال بالأمم المغلوبة ، فكانت البادية (مدرسة الأمراء) ، وكان لكل خليفة أموي ولأكثر الأمراء الأمويين مخيماً أو منزلاً أو قصرًا في أطراف بادية الشام على ما قدمناه في بحث هذه البادية . وكانت القبائل العربية البدوية مادة الخلافة الإسلامية وجندها الاحتياطي ، فلما قامت الدولة العباسية تغير كل شيء ، لأن هذه الدولة شيدت كيائها على أكتاف الفرس وتسديرهم ، وكانت دولتهم كما قال الجاحظ (أعجمية خراسانية) . فقامت خراسان مقام جزيرة العرب وأصبحت هي التي تمد الدولة بالموظفين والجند . وقد أقصى العباسيون العرب شيئاً فشيئاً عن الجيش والدواوين ، وأهملوا شأنهم منذ عهد إبراهيم الإمام الذي أوصى أبي مسلم الخراساني بأن لا يدع في خراسان من يتكلم العربية ، ومنذ عهد المنصور الذي استعمل مواليه وغلمانه في أعماله وصرفهم في مهماته ، وقدمهم على العرب ، كما قال السيوطي^(١) ، فامتثلت لذلك الخلفاء من بعده ، ومنهم المتوكل الذي قدم الترك ، فسقطت قيادات العرب وزالت رياستها ، وذهبت مراتبها ، حتى أن الجيش العباسي في عهد المأمون لم يكن فيه جندي عربي واحد ، ولما قدم المأمون دمشق كانوا يستعطفونه بأن ينظر إلى عرب الشام ، كما نظر إلى عجم خراسان فيرفض بحنق ويحتج بسخط العرب ، ومناوأتهم له ، واستعدادهم للوثوب عليه ، ولما بويع المعتصم سنة ٢١٨ هـ بعث إلى عماله في الأمصار أن يسقطوا من في دواوينهم من العرب ، ويقطعوا العطاء عنهم ، فشق ذلك على العرب وثاروا ، لكنهم لم ينالوا وطراً ، فانقرضت دولة العرب من ذلك الحين ، وصار جند الدولة العجم والموالي . وفعل الفاطميون في مصر فعل العباسيين ، فاستخدموا الترك والسودان ومن إليها وأقصوا العرب .

(١) والسبب في ذلك فيما قالوه لأن العرب (أهل عصبية ، إذا اجتمعوا تغلبوا على الدولة ، وفعلوا ما أرادوه ، لما يعلمه من جرأتهم في طلب الحق ، وتقبيح الظلم جهاراً ولا يحملون ضماً ، وهو - أي المنصور - قد ارتكب في تأسيس دولته من الغدر والفتك مما لا تصير عليه النفوس الأبية . وقد زاده حذراً منهم ما كان يسمعه من أقوالهم الدالة على إباء الضيم ولو كان فيه ما يسؤوه » . ومن ثم « صار يفكر في إذلالهم ويستنبط له الحيل » فعمد إلى إلقاء الشقاق بين القيسية والبنية وجعلهم أحزاباً متحيزين للاقتتال .

وصار العرب (البدو) من ذلك الحين يعتبرون مجرد عنصر مقلق للراحة مفسد للأمن ، يستفاد منه ولا يعطى وجه ولا سلطان ، وكان قصارى ما يسند إليهم خفارة الدروب وحراسة طرق القوافل في الصحراء ، ونقل المتاجر والسلع بين الأقطار ، وربما استخدم بعضهم كفرق مساعدة في الحملات الحربية في مصر والشام والمغرب والسودان ، أما بعض القبائل التي كان يتحيّفها الظلم أو تقاسي مرارة الجوع والفاقة ، فكانت تهاجر إما إلى الجزيرة العربية أو إلى مصر والسودان والغرب ، كما كانت المهجرة من الجزيرة مستمرة إلى مصر والشام والمغرب ، أو من بعض هذه الأقطار إلى آخر .

وما يذكر من أحداث البدو في العهد العباسي أنه في خلافة الواثق (٢٧٧ - ٢٣٢ هـ) شق بنو نمير عصا الطاعة في اليمامة ، وعاثوا وأفسدوا في الأرض ، فأرسل عليهم الخليفة القائد بغا الكبير التركي في جيش من الأتراك والمغاربة ، فجعل هذا يناشدهم ويدعوهم إلى طاعة أمير المؤمنين ، وهم يمتنعون عليه ويشتمون رسله ويتفلتون إلى حربته ، وحملوا على بغا وجنده وكانوا قد جعلوا رجالهم أمامهم ، وفرسانهم وراءهم ، ونعمهم ومواشيهم من ورائهم ، وحملوا فهزموا بغا وجنده ، وكاد يهلك لولا حصول أمر لم يكن مقصوداً ، وذلك أنه وجه من أصحابه نحو سرية لتغيير على خيل لهم علم بوجودها في مكان من بلادهم ، فبينما جيش بغا على شرف الانكسار ، إذ خرجت هذه السرية ، منصرفة من الموضع الذي وجهت إليه في ظهور بني نمير تنفخ في صفاراتها ، ولما سمع العرب نفخ الصفارات ظنوا أن قد جاءهم كمين من خلفهم ، فولوا هاربين ، وأسلم فرسانهم رجالتهم ، بعد أن كانوا على غاية المحاماة عنهم فلم يفلت من رجالهم كثير أحد ، وقتلوا عن آخرهم . أما الفرسان فطاروا هرباً على ظهور الخيل ، (إلى آخر ما جاء في تاريخ الأمم الإسلامية للخضري بحث الدولة العباسية ص ٢٥١) .

إن إعراض الخلفاء العباسيين والفاطميين الغريب هذا عن بني قومهم ، واتكالمهم على الأعاجم والأجانب في جيوشهم ومناصب دولتهم ، قد فت في عضد العرب عامة والبدو منهم خاصة ، وانقطعت الصلة بين شبه الجزيرة ومركز الخلافة ، وعادت البادية إلى عزلتها وجاهليتها رويداً رويداً ، وكان كما ذهب جلال الخلافة من النفوس ، وزالت هيبتها من القلوب ، يستشرف الأطراف إلى الاستقلال ويبلغ إلى تأسيس إمارات بعضها عجمية

كبنى بويه ، وبعضها عربية ، كدولة بني حمدان التغلبيين في حلب والموصل وغيرها (من سنة ٣١٧ - ٣٩٤ هـ) ، وكانت دولتهم عربيةً أحيوا بها معالم العرب وآدابهم ، وعرفت بالدولة الحمدانية ، وأشهر أمرائها سيف الدولة ، وقد اشتهر بما نظمه فيه الشاعر الشهير أبو الطيب المتنبي . وقد عد ابن خلدون من القبائل التي كانت منتشرة في القرن الرابع الهجري في براري الشام والجزيرة بني طيء وبني كلاب وبني كعب وبني العجلان وبني عقيل وبني قشير ، قال : « كانوا كالرعايا لبني حمدان أصحاب حلب ، يؤدون إليهم الأتاوات ، وينفرون معهم في الغزوات » وقد شق بعض هؤلاء عصا الطاعة على سيف الدولة بن حمدان ، وعاثوا في أعماله فكان يداريهم ، لاشتغاله بحروب الروم ، وهم يتنكرون شأن البدو ، كلما رأوا انشغال أرباب الحكم عنهم أو ضعفهم ، ولما عيل صبره منهم ، هاجمهم وأوقع بهم في مروج سلمية ، ثم لحقهم إلى الفركس والغنثر والجباة وهن ثلاث قرى في سيف بادية حص وإلى تدمر وأرك والسخنة وعرض (التي اسمها الآن الطيبة) والرصافة والرقعة ، فبدد شملهم ، وهتك سترهم ، وردم آبارهم ، حتى ذلوا واستأمنوا ، وبذلوا له طاعتهم . وللمتنبي الشاعر قصيدتان رائعتان يصف هذه المواقع ويشفع هؤلاء الشائرين المنكوبين ، مطلع الأولى :

طوال قناً تطاعنها قصار وقطرك في ندى ووغى بحار^(١)

ومطلع الثانية :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق^(٢)

وله قصيدة ثالثة يشفع ببني كلاب في موقعة أخرى في نواحي بالس « مسكنة »
مطلعها :

(١) يقول إن الرماح الطويلة التي تطاعنها أنت قصيرة لأنها لا تفيد ، والقليل من عطائك وقتالك كثير فالقطة منه تكون بمنزلة البحر .

(٢) العذيب وبارق موضعان بظاهر الكوفة في العراق والعوالي الرماح السوابق ومجر ومجرى مصدران مميان الأول من البحر والثاني من الجري .

بغيرك راعياً عبث الذئاب وبغيرك صارماً ثلم الضراب^(١)
ومنها :

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب^(٢)
وما جهلت أياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب^(٣)

ولما زالت دولة بني حمدان وزالت روعة الخلفاء في العراق ومصر خلا الجو للقبائل العربية ، فاستفحل أمرهم وصاروا يحتجون الحكم في بعض الأماكن والأزمان ، ويتقاسمون مناطق النفوذ والسيطرة في بلاد الشام ، فكان شملها من حصّة بني مرداس الكلبيين نسبةً إلى أسد الدولة صالح بن مرداس من قبيلة بني كلاب من المضرية ، فحكمت هذه الدولة من سنة ٤١٤ - ٤٧٣ هـ ، وكان وسطها لبني عليان الكلبيين وجنوبها لبني الجراح الطائيين ، ثم جاء بنو عقيل من كعب من المضرية فورثوا ملك الشمال من بني مرداس وداموا أيضاً من سنة ٣٨٦ - ٤٨٩ هـ إلى أن قضى عليهم الترك السلجوقيون فانتهت بهم سيادة العرب في مدن الشام وحواضرها .

أما بقية القبائل التي ظلت متبدية فقد ضعف شأنها ، وخل ذكرها ، كما قال ابن خلدون ، فمنها من ظل يضرب في فيافي الجزيرة العربية أو البراري الشامية ، ومنها من اندمج في بني طيء لما عظم شأنهم في شمالي الشام ، وصاروا رؤساء البادية وأمرائها ، وكان في عهد الدول الأيوبية ودول المماليك رئاسة عليا على بادية الشام باسم (أمير عرب الشام) ونالها بعضهم باسم (ملك العرب) ، وكانت هذه الوظيفة وكذلك إمارات بقية العشائر توجه بمراسيم شريفة ، ذكر القلقشندي في صبح الأعشى عدة نماذج منها ، وكان يطلب من أصحابها أن يقوموا بحفظ السابلة أيام السلم ، ويمنعوا أعرابهم من العيث والنهب ، وأن يتأهبوا للجهاد ، ويعاونوا العساكر السلطانية أيام الحرب ، وأن لا يفارقوا البلاد ، ولا ينجعوا (حتى يعبس في وجهها السحاب ، ولا يعودوا حتى تؤذن زروعها الخيمة

(١) يقول غيرك من الرعاة تسطو عليه الذئاب فتفسد في رعيته وغيرك من السيوف ينثلم على المضاربة وأراد بالذئاب الثائرين .

(٢) يقول لاتمسو عليهم وارحمهم لأن الرحمة للمذنب كمتاب له .

(٣) وإن مكارمك ونمك لا تجهل أهل البوادي وطيشهم وجهلهم وذوهم عن الصواب أحياناً .

بالذهاب) ، إلى آخر ما هنالك من الأوامر والقيود ، وهذا يدل على أن العشائر البدوية في تلك العهود كانت مقيدة بتقاليد ، ومكلفة بواجبات إدارية وحربية ، تكافأ إذا برت بها ، وتعاقب إذا خترت .

ومما يذكر عن أحداث البدو في عهد المماليك أن بدو الجهات القبلية في القطر المصري نموا وطمخوا في سنة ٧٠١ هـ (١٣١٢ م) في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقلقوا البلاد ، وأذوا العباد ، فجهزت الحكومة عليهم حملة أخذتهم من كل جانب ، وأعملت فيهم السيف بدون رحمة ، فهلك كل مقاتلة البدو ، وسبيت نساؤهم ، ونهبت مواشيهم وعروضهم ، قالوا « وكانوا إذا أمسكوا شخصاً منهم وادعى أنه حضري يقولون له قل « دقيق » ليحربوا صدقه بنطقه فإن تبين أنه حضري تركوه وإلا قتلوه » (عن كتاب السلوك في أخبار دول الملوك للمقريزي) قلت : ومثل ذلك ؛ ما كان يجري في زمن السلطان عبد الحميد العثماني مع جند البغالة المخصص لمطاردة البدو الثائرين ، كان يقال للشخص المدعي بأنه غير بدوي ، قل (بصلة) فإذا لفظها باللهجة البدوية ، فسكن الباء وفتح الصاد ، حكم بأنه بدوي ، فألقي القبض عليه وعوقب .

هذا وقد صارت الرئاسة في طيء إلى أبناء رجل طائي اسمه ربيعة . قالوا :

وكان ربيعة أمير عرب الشام في القرن السادس في عهد الأتابك طغتكين ، ثم خلفه في الإمارة ابنه مرء بن ربيعة الذي ذكر له أبو الفداء (ج ٢ ص ٢٤٣) معركة مع الصليبيين انتصر عليهم فيها . ثم انقسم آل ربيعة إلى ثلاثة أقسام أو أفخاذ ، ولكل من الثلاثة أمير مختص به ، وهم آل فضل بن ربيعة وآل مرء بن ربيعة وهو أخو فضل وآل علي بن حديشة بن عقبة بن فضل ، وكانت منازل آل فضل في الشمال من حصص إلى وادي الفرات وأطراف العراق ، ومنازل آل مرء في حوران والجولان ومنازل آل علي في مرج دمشق وغوطتها ، ولكل من الثلاثة لواحق من أفاريق الأعراب في تلك الأزمان ، أما المنزلة الكبرى والرئاسة العليا فقد كانت في يد آل فضل ، وهم كما قال القلقشندي (اتصلوا برجال السلطنة ، فولوهم على أحياء العرب ، وأقطعوهم على إصلاح السابلة بين الشام والعراق ، فاستظفروا برياستهم على آل مرء وغلبوهم على المشاتي) .

وما زال هؤلاء آل فضل أمراء بادية الشام من حصص إلى وادي الفرات وأطراف

العراق وولاية الأمر على عشائر تلك البراري كلها طيلة القرون الأخيرة إلى عهد قريب ، إلا أن أسماءهم قد تبدلت بعد بانقسامهم وتغير رؤسائهم ، فصاروا يسمون آل مهنا بن عيسى ، ثم برز من بين هؤلاء آل حيار ، وهو حيار بن مهنا بن عيسى ، ثم برز من الحياريين آل أبي ريشة رؤساء عشيرة الموالي المعروفون المستقرون في زماننا في شرقي قضاء المعرة ذوو المجد المؤئل والبأس والبطش ، ولم يحتفظ باسم الجند الأعلى إلا أبناء عمهم آل فضل الذين فارقوهم منذ أربعة قرون واستقروا في الجولان (قضاء القنيطرة) .

هذا وبمناسبة ما كان لآل فضل المذكورين قديماً من المكانة ، وما للدوار التي لعبها أعقابهم ، أمراء عشيرة الموالي الملقبون بآل أبي ريشة ، رأيت في هذا البحث التاريخي أن أخصهم بشيء من التفصيل ، وأسلس أسلافهم وأخلاقيهم وأشرح الأدلة التي عثرت عليها بعد الجهد ، وأوصلتني إلى إمطة اللثام عن ماضيهم ، فأقول :

لما مكثت في سلمية في سني ١٣٣٨ - ١٣٤٢ هـ كنت ألاحظ حالة الأعراب الذين يكثر ترددهم عليها وتجوأهم في قراها وتقيظهم في مروجها ، ومما كان يسترعي انتباهي وقتئذ : حالة عشيرة (الموالي) التي كانت تفد أحياناً إلى سلمية من مواطنها في العلا شرقي المعرة ، رأيت منتسبها يشبهون القسم الأول من العشائر الكبيرة أهل الإبل في بعض الأمور ؛ بينما هم من العشائر التالية أهل الشياه والضياح ، ويختلفون عن هؤلاء وأولئك بأن إبلهم ليست من الوفرة بدرجة القسم الأول ، وأن تربيتهم للشياه ، واستثمارهم للضياح ، أقل إتقاناً من أهل القسم التالي المعروفين بالرعية . أما مشاهيتهم للأولين ، ففي أنهم يردون النكا ويعطون الصحب ، أي : يشهرون الحرب ويمجرون الملتجئي إليهم ، بحكم أنهم لا يصطلي لهم بنار ، في الجرأة والشراسة وشن الغارات وخوض الغمرات ، وأن رؤساءهم يلقبون بالأمرء مما ليس له وجود في بقية العشائر ومحاطون بالتجلة والاحترام ، لما عرفوا به منذ القديم من كرم المحتد وعلو القدر ، وإذا اجتمع مشايخ العشائر في المؤتمرات التي تعقد الحين بعد الحين في سلمية ، أو في تدمر وأمثالها من البلاد التي على سيف البداية أو وسطها ، لفض الفتن التي كانت تنشب في تلك الفترة بين البدو ، وخاصة بين أولئك الموالي وعشيرة الحديد يدين يحل أمراء الموالي صدور المجالس مع مشايخ القسم الأول بينما مشايخ القسم التالي عليهم الوقوف في أبوابها والإصغاء لما يقرر فيها ، وتقدم إليهم القهوة قبل الغير من

الكبراء ، حتى قبل ابن الشعلان وابن هذال ، بينما الأول أكبر مشايخ عنزة قوة وثروة ، والثاني أكبرها حسباً ونسباً ، والجميع يقرّون بأنهم أسياد البادية الشامية كبراً عن كبر ، وملاكوها الأصليون ، وثمة بين العشائر كلها قانون مفاده (ليس لدم الأمير ثمن) أي إذا قتل أحد الأمراء لا تقبل عنه دية بل لابد من غسل دمه بدماء عدة أفراد ياثلون في نباهة القدر لدى قومهم ، وكما لا يأخذون ثمن دمهم لا يؤدون ثمن الدماء التي يهرقونها ، وبحكم هذا القانون الغريب يجتنب خصومهم توجيه الضرب نحوهم . وكنت أستغرب : كيف أن البدو وخاصة عنزة بقدر ما كانوا يجلون قدر الأمراء المذكورين ، يزدرون أتباعهم المعروفين بالموالي ، وحجتهم أن هؤلاء ليسوا من أصول معروفة ، ولا تجمعهم قرابة مألوفة ، بل هم أفاريق من خشارة الأعراب ومتشرديه وماليكهم ، طوح بهم البؤس واليتم في أزمان سابقة ، والتفوا حول الأمراء وصاروا مواليهم ، ولا يخفى أن المولى عند العرب وسط بين العبد والحر ، والغالب فيه أن يكون معتقاً ، فكل عبد أعتق صار مولى لسيده ، وينسب إليه ، أو إلى قبيلته ، ويطلق المولى أيضاً على : الصاحب والغريب والحليف وغير ذلك بطريق المجاز ، والمولى عند العرب أحط منزلة من الحر وأرفع من العبد .

ولما أدركت كل هذا ، وغيره مما سوف أذكره ، أيقنت أن لأمراء الموالي وعشيرتهم شؤوناً واعتبارات خاصة ، وأنه يجب أن يكون لهم تواريخ ومجريات سابقة ، جديدة بالاستقصاء والإظهار ، وكنت في سني إقامتي في سامية ، وجدت في إحدى جولاتي على بعد بضعة كيلو مترات عنها إلى الشمال مسجداً قديماً خرباً في قرية ضريح الشيخ فرج الحسيني المكفي بأبي حية الذي تنتسب شيوخ عشيرة الجملان إليه وتقدم له النذور ، وحول هذا المسجد جبانة فيها قبور كثيرة منها القديم والحديث ، عثرت بينها على قبر له شاهدة فيها اسم (محمد بن عيسى بن مهنا) وتاريخ وفاته (رجب عام ٧٢٤ هـ) ، وما أن لمحت هذا الاسم حتى تذكرت أنه مر علي كثيراً خلال قراءتي تاريخ أبي الفداء وتاريخ حيدر الشهابي ، فأسرعت بعد هذه الزيارة لمراجعتها ، فإذا بي أمام طائفة من الحوادث أجراها أبو هذا الرجل وإخوانه مهنا وفضل وأعقابها في القرن السابع والثامن والتاسع من الهجرة ، وأخرى مثلاً ، أجراها قبلهم أقاربهم بنو الجراح في جنوبي الشام وشماليه في القرنين الرابع والخامس أدهى وأمر مما أتاه الموالي والحديدون في عهدنا . وقد تبين لي منها ومن المصادر التي راجعتها بعد حين ، كصبح الأعشى للقلقشندي (ج ٤) والعبر لابن خلدون (ج ٦)

أن آل عيسى بن مهنا فخذ من آل فضل من ربيعه من طيء من كهلان من القحطانية . كانوا في زمن السلاطين الأيوبيين سياً في دولة المماليك ، كما قال في صبح الأعشى « رؤساء أكابر وسادات العرب ووجوهها ، ولهم عند السلاطين حرمة كثيرة ، يحملونهم فوق كيوان ، وينوعون لهم أجناس الإحسان » ، وتبين لي أنه كان لهم مداخلة في إدارة بلاد الشام وسياستها في تلك القرون ، وأثر عظيم في زوال عمرائها ، وانحطاط شأنها ، اللذين حصلوا حينما اختلت الأمور في أواخر دولة المماليك ، على النحو الذي أدركناه من أعراب زماننا . عقيب زوال الدولة العثمانية .

وساقني هذا الاطلاع لاقتفاء أثر هؤلاء (آل عيسى) وخاتمهم ، ومعرفة العهد الذي انقضى فيه وكيف تم ذلك ، وهل بقي منهم في زمننا أعقاب ، فوجدت الشهابي في حوادث سنة ١٠٣٥ هـ يلقب بعض أمراء البادية بآل أبي ريشة وينعتهم بالخياريين ، كما نعت عيسى بن مهنا وأعقابهم من قبلهم ، وقد استرعى نظري هذا اللقب ، وتذكرت أن أمراء عشيرة الموالي في زمننا ما زالوا يعرفون بآل أبي ريشة ، فصرت أفكر في : هل أن هؤلاء هم من أعقاب عيسى بن مهنا أبو صاحب القبر الذي عثرت عليه في شمالي سامية ؟ وهل بالإمكان ربط سلسلتهم بتلك الأرومة ؟ ولما سألت بعض هؤلاء الأمراء وبعض شيوخ العشائر المجاورة لهم : وجدتهم في غفلة عن ذلك يزعمون مزاعم ، لا تستند على وثيقة خطية ، أو رواية مدعومة ببرهان ، فهم ينسبون أنفسهم إلى رجل من العباسيين ، دعوه حمد العباس ، لا يدرون في أي قرن كان ، ويجعلون حمداً هذا من أعقاب رجل دعوه (شقير) ، ويجعلون شقيراً أحد أبناء الخليفة العباسي هرون الرشيد ، من أم بدوية ، زوجه بها في أسطورة ، لا تنطبق على تاريخ ذلك الخليفة العظيم الذي لم ينجب ولداً باسم شقير ، ولا ذرية تركت الحضارة ، وأوغلت في البداوة ، ولما خاب أملي بهؤلاء ، رجعت أنقب صحائف التاريخ الباحثة عن كوائن بلادنا في العصور المتأخرة ، وهي قليلة جداً ، فوجدت في بعضها ، ما ينقع غلتي ، فأولها كتاب الجغرافيا المتمتع المسمى : جهان نما : لمؤلفه العالم التركي الشهير كاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ صاحب كشف الظنون ، والمطبوع بعد وفاته سنة ١١٤٢ هـ في الأستانة ، فقد عثرت بغتة في بحثه عن سامية على ما تعريبه : وما برح هذا اللواء - يعني سامية وقد كانت في أيامه مركز لواء - في حوزة أمراء الموالي ، وهؤلاء الأمراء ينسبون إلى (آل حيار) من قبائل العرب ، وهم ينقسمون إلى

فريقين آل حمد وآل محمد وتصل مناطق نفوذهم إلى ضواحي حلب والرقعة ، وفي رواية أن حمد أبا نعيم أبلى مرةً بلاءً حسناً في معركة على عهد أحد سلاطين مصر ، وكان يضع على رأسه ريشةً ، فدعى بأبي ريشة ، وأنعم عليه ذلك السلطان ، ببليغ عظيم من الذهب ، فاشترى به ألف عبد ليقوى بهم على قومه ، فسميت أعقاب هؤلاء العبيد بالموالي وهؤلاء لا يكون منهم أمراء . ١ هـ .

وما أن لحت هذه الكلمات حتى خيل لي أنني وجدت ضالتي المنشودة ، فقد استديت مما ذكره كاتب جلبي أن : اسم الموالي وصيت أمرائهم ، كانا معروفين في عهده ، أي في القرن الحادي عشر ، وقد وافق بذلك المؤرخ الشهابي الذي ذكرهم في أحداث سنة ١٠٣٥ هـ ، ووافقه أيضاً بنسبتهم لآل الحيار ، وبتلقيبهم بآل أبي ريشة ، وزاد عليه بيان سبب هذا اللقب ، كما وافق المؤرخ التركي نعيماً والمؤرخين الدمشقيين المحي والمرادي كما سيأتي بيانه . إن هذا الاستدلال وبقاء لقب أبي ريشة لاحقاً بأمراء الموالي المعاصرين لنا ، حملائي على التفكير بأن هؤلاء الأمراء هم من أعقاب عيسى بن مهنا آل فضل الطائيين الذين كانوا - كما قال القلقشندي وغيره - ملوك البادية وأعظم ساداتها في عهد السلاطين الأيوبيين والسلاطين المماليك ، وأن هذا هو السبب في كون أعراب زماننا يجلون شأن هؤلاء الأمراء ويحلونهم الصدر الأول في المجالس والمؤتمرات ، وقوى فكري هذا ، ما نعرفه عن عشائر الأعراب من أن أسماءها تتبدل معها عظمت ، في كل قرن أو قرنين تبعاً لمتأمر عليها ، وقد تسمى العشيرة باسم أميرها أو شيخها ثم باسم ابن هذا أو ذاك بعد وفاته إذا انفصلت عن الأرومة وتغيرت ، فقد تغيرت أسماء القبائل التي كانت معروفة بدخول الإسلام الشام في القرن الثالث والرابع ، وما عرف من أسمائها في القرن السادس والسابع تبدل في التاسع والعاشر ، والأمثلة على ذلك كثيرة كما سوف يأتي . والإمارة والمشيخة ترجع على الأغلب لمن كان له أصل قديم من بيته ، أو من كان أذكى قومه جناناً ، وأبسطهم بالكرم يداً ، وأشجعهم يوم النزال قلباً ، وأصلبهم في الحوادث عوداً ، ثم تنتقل بالوراثة ، حتى ينقطع العقب ، أو ينضب معين الكفاءة .

سأذكر الآن أدلتي على أمراء الموالي الحاضرين المعروفين بآل أبي ريشة متحدرون من مهنا الثاني بن عيسى بن مهنا الأول الفضلي الربيعي الطائي ، مبتدئاً بأصول آل عيسى،

ونازلاً نحو فروعهم ، مع بيان بعض أحداثهم في دول الأيوبيين والسلطين المالك والعثمانيين ، مستنداً إلى المصادر التي أتيح لي الوصول إليها ، خدمة لهذه الناحية الغامضة من تاريخ بلاد الشام :

ذكر القلقشندي في صبح الأعشى (ج ٤) ما خلاصته ؛ بأن من جملة القبائل العربية القحطانية بنو طيء بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن أزد بن كهلان والنسبة إليهم طائي ، وإليهم ينسب حاتم الطائي المشهور بالكرم ، وأبو تمام الطائي الشاعر المشهور ، وقال ابن خلدون في تاريخه « إن بني طيء نزلوا جبلي أجأ وسلمى من بلاد نجد ، فعرفا بجبلي طيء إلى الآن ، ثم افترقوا في أول الإسلام زمن الفتوحات في الأقطار ، ومنهم أمم كثيرة ، ملؤوا السهل والجبل ، حجازاً وشاماً وعراقاً » : « وكانت الرياسة على طيء في الجاهلية لبني هناء ، ومن ولده إياس بن قبيصة الذي أدال به كسرى أبرويز النعمان بن المنذر حين قتله ، وأنزل طياً بالحيرة مكان لخم قوم النعمان ، وولى على العرب منهم إياساً هذا ، فكانت له ولأعقابه الرياسة إلى حين انقراض ملك الفرس ، ولم تذكر التواريخ أخبار بني طيء في القرن الأول والثاني والثالث على عهد الأمويين والعباسيين ، وربما كان ذلك لعدم ظهور ما يستوجب الذكر منهم خلال غمرة الفتوحات الإسلامية والحضارة العربية التي سطعت في تلك القرون ، إلى أن قالت التواريخ أن رئاسة طيء في القرنين الرابع والخامس في عهد الخلفاء الفاطميين الذين بسطوا نفوذهم على بلاد الشام أيضاً كانت لبني الجراح منهم ، وعدوا من كبرائهم مفرج بن دغفل وابنه حسان ، وذكروا لها حوادث وثورات عديدة ، قاما بها لما ضعف شأن الخلفاء المذكورين في الرملة وطبريا من فلسطين وفي أفامية (قلعة المضيق) من شمالي الشام . وفي القرن السادس انتقلت رئاسة طيء إلى بني ربيعة . قال ابن خلدون : « ويزعم كثير من جهلة البادية من بني ربيعة أنهم من ولد سميع بن جعفر بن يحيى البرمكي ، وأن سميعاً هذا هو الذي ولدته العباسية أخت الرشيد من جعفر المذكور ، وكانت سبب نكبة البرامكة ، زعم كاذب لا أصل له ، وحاشا لله من هذه المقالة في الرشيد وأخته وفي بنات كبراء العرب من طيء إلى موالى العجم من بني برمك وأمثالهم » .

قلت إن أمراء الموالى الموجودين في عهدنا في قضاء المعرة ، ومثلهم أمراء آل فضل في

قضاء الجولان ، وشيوخ طيء في الجزيرة ، ما برحوا يدعون الانتساب إلى العباسيين ، فلعل منشأ هذا الادعاء من ظنهم بأنهم من أعقاب الولد الذي وضعته العباسية أخت الرشيد المذكور آنفاً ، فلو صح هذا الزعم - وهو غير صحيح كما نفاه ابن خلدون وغيره - إذن لوجب أن يكون انتساب هؤلاء إلى العباسيين من جهة الأم لا من جهة الأب ، بينما هم ، لا من هنا ولا من هناك ، ولا علاقة لأي منهم بالعباس وولد العباس .

ثم قالوا : وكان ربيعة أمير عرب الشام في عهد الأتابك طغتكين ، ثم خلفه في الإمارة ابنه مرء بن ربيعة الذي ذكر له أبو الفداء حادثة خطيرة مع الصليبيين سنة ٥١٠ هـ ، وانتصر فيها عليهم ، ثم انقسم آل ربيعة إلى ثلاثة أفخاذ : هم المشهورون ، ومن عداهم أتباع لهم وداخلون في عددهم ، ولكل من الثلاثة أمير مختص به ، وهم آل فضل بن ربيعة وآل مرء بن ربيعة وهو أخو فضل علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة ، قال القلقشندي في نهاية الأرب : هؤلاء سادات العرب ووجوهها وهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيت عظيم إلى رونق في بيوتهم ومنازلهم ، تقاسموا بلاد الشام فكانت منازل آل مرء بن ربيعة من بلاد الجيدور والجولان فجنوب ، ومنازل آل علي بن حديثة من دمشق وغوطتها ومنتهاهم إلى الجوف . أما آل فضل فكانوا رأس الكل وأعلام درجة ، ومنازلهم من حمص إلى ضفتي الفرات وأطراف العراق ، وقد تشعبوا بعد شعباً كبيراً أجلاً قدر آل عيسى ، وتشعب آل عيسى بعد إلى عدة بيوت ، أجلاً قدر آل بيت مهنا بن عيسى وبيت فضل بن عيسى وبيت محمد بن عيسى (الذي عثرت على قبره في سلمية) وغيرهم ، قال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار (وهؤلاء آل عيسى في وقتنا) أي في القرن السابع والثامن) هم ملوك البر فيما بعد ، والتقرب بمشارف الشام والعراق وبرية نجد وسادات الناس ولا تصلح إلا عليهم العرب ، وأما الإمارة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولى عن الأبواب السلطانية ، ويكتب له تقليد شريف بذلك ، ويلبس تشريفاً أطلس أسوة بالنواب إن كان حاضراً ، أو يجهز إليه إن كان غائباً ، ويكون لكل طائفة منهم كبير ؛ قائم مقام أمير عليهم ، وتصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له (أي للقائم مقام) تقليد ولا مرسوم .

ولم يصح لأحد منهم بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا من أيام الملك العادل

أبي بكر أخى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أمر منهم ماتع بن حديثه بن عقبة بن فضل بن ربيعة ، ولما توفي ماتع سنة ٦٣٠ هـ ولي عليهم ابنه مهنا وهو مهنا الأول ، وحضر مهنا هذا مع الملك المظفر قطز قتال جيش التتر سنة ٦٥٨ هـ في عين جالوت (غوريسان) فأجازه قطز بسلمية ، نزعها من الملك المنصور بن الملك المظفر صاحب حماة وأقطعها له (أبو الفداء ج ٣ ص ٢١٤) ثم ولي الملك الظاهر بيبرس ابنه عيسى ووفر له الإقطاعات على حفظ السابلة ، وعيسى هذا على ما ذكره ابن إياس في تاريخه (ج ١ ص ١٠٢) هو الذي جاء بالإمام أحمد العباسي ، بعد حادثة هولاء في بغداد ، التي جرت سنة ٦٥٦ هـ ، وقضى بها على الخلافة العباسية ، وكان أحمد فاراً من القتال ، محتبئاً عند أناس من قبيلة الأمير عيسى ، فأوصله إلى مصر إلى الملك الظاهر بيبرس ، وشهد هو وقومه أنه من نسل العباسيين فبويع له بالخلافة ، واستمرت هذه الخلافة السورية فيه وفي أعقابها إلى أن استخلصها منهم السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ هـ وقضى عليهم .

وذكر ابن تغري بردى في (المنهل الصافي) أن الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير آل فضل كان ملك العرب في وقته ، وكان له منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بيبرس ، ثم تضاعف عند الملك المنصور قلاوون بحيث ضاعف حرمة وإقطاعه وملكه مدينة تدمر بعقد البيع والشراء وأورد عنه ثمنها لبيت المال ليأمن غائلة ذلك . وكان عيسى كريم الأخلاق ، حسن الجوار ، مكفوف الشر ، لم يكن في العرب وأمرائها من يضاويه ، وعنده ديانة ، وصدق لهجة ، لا يسلك مسالك العرب في النهب وغيره ، وكان به نفع للمسلمين ، منها أنه كان يكف العدو عن حلب ومعاملتها ، ومنها في وقعة الملك المنصور قلاوون مع التتار بمحصر سنة ٦٨٠ هـ (وقد حدثت هذه المعركة الهائلة في السهل الذي بين حصن وتلبيسة ، وكادت الدائرة تدور على المسلمين ، لولا ثبات الملك قلاوون بنفسه) ولولا مجيء الأمير عيسى بعريه من سلمية ، واعتراضه جيش التتار من خلفهم فتمت هزيمتهم به ، هذا وأكبر ظني أن عيسى المذكور هو الذي قال عنه كاتب جلبي في جغرافيته (جهان نا) أنه كان في هذه المعركة حاملاً ريشة على رأسه ، فلحقه بأبي ريشة ، وبقي هذا اللقب في أعقابها إلى يومنا ، وأنه هو الذي نال من الملك المنصور قلاوون عطاءً عظيماً ، فاشترى به عبيداً وماليكاً أعتقوا بعد حين ، ودعوا بالموالي وبقيت أعقابهم إلى يومنا ملتفة حول هؤلاء

الأمراء (آل أبي ريشة) ، وانضم إليهم بعد عدد غير يسير من شذاذ الأعراب ، اندرجوا في لفيفهم وحلفهم ، فصارت من مجموعهم عشيرة الموالي التي سوف نبحت عنها بالتفصيل في الجزء الثاني من كتابنا .

ولما توفي عيسى سنة ٦٨٠ هـ دفنوه في جبانة الشيخ فرج شمالي سلمية على ما جاء في كتاب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٦ ص ٢٢) ، وأعقب عيسى عدة أولاد ، أحصهم منها وفضل وسليمان وحارثة وموسى ومحمد ، ولى الملك المنصور قلاوون منهم (منها) في الإمارة فلقب بحسام الدين ، وصار كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وحماة وتدمر بل أمير البادية الشامية كلها ، وقد ردد أبو الفداء وابن الوردي وابن حجر العسقلاني وحيدر الشهابي في تواريتهم ، والمقريزي في خططه ، وابن بطوطة في رحلته ، ما كان للأمير منها الثاني بن عيسى المذكور في أواخر القرن السابع وأوائل الثامن من المكنة لدى سلاطين مصر ونوابهم في بلاد الشام - وذلك يؤيد ما قاله مؤلف مسالك الأبصار أيضاً - وذكروا تداخله في بعض أمور الدولة ، وكيف أن الملك الأشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٩٢ هـ بعد أن نزل ضيفاً على الأمير منها قبض عليه ، وعلى أخويه محمد وفضل وأرسلهم معتقلين إلى مصر إلى أن جلس الملك العادل كتبغا ، فأفرج عنهم وعاد منها إلى سلمية ، وكان مقره في قرية تل أعدا ، وأنه في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون علت منزلته ، وقويت وجاهته جداً ، بحيث استطاع أن يشفع في سنة ٧٠٧ هـ بالعالم المصلح الكبير أحمد بن تيمية ، وقد كان مسجوناً في مصر فأخرجه ، وأن يلتبس نصب أبي الفداء ملكاً على حماة فيجانب إلى طلبه ، ويحدثنا المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٢٥) عن أسباب السعادة والوجاهة اللتين كانتا للأمير منها عند الملك الناصر قلاوون بما ننقله بالحرف لطرافته ودلالته أيضاً على مبلغ عناية سلاطين ذلك العهد بالخيول وأربابها . قال « إن الملك الناصر محمد شغف باستدعاء الخيول من عرب آل منها وآل فضل وغيرهم وبسببها كان يببالغ في إكرام العرب ويرغبهم في أثمان خيولهم حتى خرج عن الحد في ذلك فكثرت رغبة آل منها وغيرهم في طلب خيول من عداهم من العربان ، وتتبعوا عتاق الخيل من مظانها ، وسمحوا بدفع الأثمان الزائدة على قيمتها حتى أتتهم طوائف العرب بكرائم خيولهم فتمكنت آل منها من السلطان وبلغوا في أيامه الرتب العلية ، وكان لا يحب خيول برقة وإذا أخذ منها شيئاً أعده للتفرقة على الأمراء البرانيين ، ولا يسمح بخيول آل

مهننا إلا لأعز الأمراء وأقرب الخاصية منه ، وكان جيد المعرفة بالخيول وشيائها وأنسابها ، ولا يزال يذكر أسماء من أحضرها إليه ومبلغ ثمنها ، فلما اشتهر عنه ذلك جلب إليه أهل البحرين والحساء والقطيف وأهل الحجاز والعراق كرائم خيولهم . فدفع لهم في الفرس من عشرة آلاف درهم إلى عشرين إلى ثلاثين ألف درهم عنها ألف وخمسة مئتان من الذهب ، سوى ما ينعم به على مالكة من الثياب الفاخرة له ، ولنسائه ومن السكر ونحوه ، فلم تبق طائفة من العرب حتى قادت إليه عتاق خيلها ، وبلغ من رغبة السلطان فيها أنه صرف في أثمانها دفعة واحدة ألف ألف درهم في يوم واحد ، وتكرر هذا منه غير مرة ، وبلغ ثمن الفرس الواحد من خيول آل مهننا الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم ، واشترى كثيراً من الحجور بالثانين ألفاً والتسعين ألفاً ، واشترى بنت الكرشا بئنة ألف درهم عنها خمسة آلاف مئتان من الذهب ، وهذا سوى الإنعامات بالضياع من بلاد الشام . وكان من عنايته بالخيول أنه لا زال يتفقدتها بنفسه فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به إلى الجشار ، وتنزي الفحول المعروفة عنده على الحجور بين يديه وكتاب الإصطبل تؤرخ تاريخ نزوها واسم الحصان والحجرة ، فتوالدت عنده خيول كثيرة اغتنى بها عن الجلب ، ومع ذلك لم تكن عنده في منزلة ما يجلب منها ، وبهذا ضخمت سعادة آل مهننا ، وكثرت أموالهم وضياعهم ، فجز جانبهم ، وكثر عددهم وهابهم من سواهم من العرب » ثم قال : « وبعث إليه الأمير مهننا فرساً شهباء على أنها إن سبقت خيل مصرفي للسلطان وإن سبقها فرس ردت إليه ، ولا يركبها عند السباق إلا بدوي قادها ، فركب السلطان للسباق في أمرائه على عادته ، ووقف معه سليمان وموسى ابنا مهننا ، وأرسلت الخيول من بركة الحاج على عادتها وفيها فرس مهننا وقد ركبها البدوي عرياً بغير سرج ، فأقبلت سائر الخيول تتبعها حتى وصلت المدى وهي عري بغير سرج ، والبدوي عليها بقميص وطاقيّة ، فلما وقفت بين يدي السلطان صاح البدوي السعادة لك اليوم يا مهننا لا شقيت ، فشق على السلطان أن خيله سبقت ، وأبطل التضمير من خيله ، وصارت الأمراء تضرع على عادتها ، ومات الناصر محمد عن أربعة آلاف ومئائتين فرس وترك زيادة على خمسة آلاف من الهجن الأصائل والنوق المريات والقرشيات سوى أتباعها وبطل بعده السباق ، فلما كانت أيام الظاهر برقوق عني بالخيول أيضاً ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل ، اهـ . »

وقد أخطأ مهننا بعد وأضاع السعادة والوجاهة اللتين كان يتبع بها هو وقومه ،

وذلك لما قام في سنة ٧١١ هـ وأعان نائب حلب قراسنقر الشائر على الملك الناصر وفر من جيش هذا الملك إلى أنحاء العراق ، وبقي هو وعشيرته آل عيسى شريداً وبعيداً عن سلمية إلى أن عفي عنه في سنة ٧٢٢ هـ ورجع ثم مات .

قال المؤرخ إسماعيل بن كثير الدمشقي في كتابه (البداية والنهاية) في حوادث سنة ٧٢٥ هـ : « وفيها مات حسام الدين مهنا أمير العرب بالشام . وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى البرمكي من ذرية الولد الذي جاء من العباسية أخت الرشيد . وقد كان مهنا يحب الشيخ تقي الدين بن تيمية حباً زائداً هو وذريته وعربه ، وله عندهم منزلة وكرامة يسمعون قوله ويمثلونه ، وهو الذي نهاهم أن يغير بعضهم على بعض وعرفهم أن ذلك حرام . وله في ذلك مصنف جليل . وكانت وفاة مهنا ببلاد سلمية ودفن هناك ، اهـ » .

وأعقب مهنا عدة أولاد منهم موسى وسليمان وأحمد وفياض وحيار كما أن أخيه فضل جد آل فضل الذين في قضاء الجولان على ما نظن أعقب سيف وعيسى ومعقل ومن ثم صارت تنتقل إمارة البادية تارةً إلى أبناء مهنا وتارةً إلى أبناء عمهم فضل ، فكانوا يتقاتلون عليها ، وتخرب من جراء معاركهم المتوالية القرى والمزارع حول المعرة وحماة وسلمية ، كما ذكره ابن الوردي في حوادث سنة ٧٤٨ هـ وما زال الأمر على ذلك إلى أن نزح آل فضل إلى الجولان وإلى أن تولى أحد أبناء مهنا الأمر في قضاء المعرة وهو حيار بن مهنا المتوفي في سنة ٧٧٧ هـ .

ومن حيار هذا نشأ فيما يظهر فرع من آل مهنا بن عيسى سمو من ذلك الحين بالحياريين لأنه بعد وفاة حيار خلفه في الإمارة ابنه محمد الملقب بنعير إلى أن قتل في سنة ٨٠٨ هـ ثم خلف محمد ابنه معجل وذكر اسمه (العجل بن نعير) إلى أن قتل هذا أيضاً في سنة ٨١٦ هـ وبقتله انكسرت شوكة آل مهنا . وكان لكل من هؤلاء الأمراء وقائع وثورات عديدة ذكرها مؤرخو تلك العصور منهم ابن تغرى بردى في المنهل الصافي والقلقشندي في صبح الأعشى ، كما أن السخاوي في الضوء اللامع وابن خطيب الناصرية في الدر المنتخب في تاريخ حلب والمقرئزي في السلوك في دول الملوك ترجعوا عدة أمراء منهم ، ونوهوا بما كان عندهم من الشجاعة والكرم والطيش وما عملوه من قتل بعضهم بعضاً مما لا طائل في

سرده ، ثم سكتت التواريخ عن أخبار آل الحيار أبناء مهنا بن عيسى إلا نبذاً جاءت في تاريخ حيدر الشهابي في أحداث سنة ٨٨٣ و ٩٩٢ و ١٠١٧ هـ ، على أن بعضهم كان يذكرهم تارةً باسم آل جبار وصحيحه حيار كما أثبتته ابن بطوطة في رحلته وقد صادفهم سنة ٧٢٥ هـ حين رجوعه من الحج إلى العراق .

ثم نبت اسم أبي ريشة وقد ساهم بذلك المؤرخ حيدر الشهابي والمؤرخ التركي كاتب جلبي . ثم صار الشهابي يذكرهم باسم الموالي في خبر محالفتهم الأمير فخر الدين المعني ، وأن أحدهم الأمير مدليج استنجد به لما نازعه ابن عمه حسين على الإمارة ، فجاء المعني بعسكر وفي سنة ١٠٣٣ هـ لنجدة مدليج فأضافه مدليج ضيافة عظيمة في سلبية ، وأهذه الفرس سعدة المشهورة ، وبعد سنتين انتقض مدليج وقومه على الأمير المعني ، وتمنعوا عن تقديم الذخيرة التي طلبها ، فلحقهم حتى عبرهم النهرين ثم رجعوا إلى ديارهم لما قضت الدولة على هذا الأمير ، فاسم (الموالي) لم يذكره الشهابي إلا هذه المرة ، فهل نبتت هذه العشيرة عامئذ فجأة ؟ ، وهل كانت تذكر ؟ لو لم تكن هي التي كانت وما برحت ملتفة حول الأمراء آل أبي ريشة الحياريين منذ القرن السابع الذي نشأ فيه جدهم مهنا الثاني بن عيسى بن مهنا الأول ، وأفرادها لقبوا بالموالي لأنهم إما عبيد معتقون من الذين ذكرهم كاتب جلبي في جغرافيته أو صنائع أو حلفاء منضمون إليهم . ثم ذكر هؤلاء المؤرخون من أمرائهم فياضاً وابنه حسين وابن عمه سلطان وابن أخيه مدليج ، كانوا أمراء البادية سنين عديدة واتسعت سلطتهم حتى صارت تشمل أعراب بغداد والموصل .

وفي (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) للمحيي ترجمة الأمير حسين بن فياض الحيارى ونزاعه مع ابن عمه مدليج بن ظاهر على الإمارة إلى أن غدر به والي حلب مراد باشا وسجنه في القلعة وخنقه ، وترجمة أخرى للأمير شديد بن أحمد الذي قتله ابن عمه مدليج المذكور سنة ١٠١٨ هـ ، وقد قال المحيي في هذا الصدد أن آل جبار وهو خطأ من تحريف النساخ (وصحيحه حيار) هم حكام العرب أباً عن جد يقال إنهم من ذرية جعفر البرمكي ومقام هؤلاء في بلاد سلبية وعانة والحديثة ، قلت : وفي هذا القول دليل آخر على ما كان لهؤلاء الأمراء حتى في القرن الحادي عشر من الشوكة واتساع السلطة ، لولا أن المحيي خبط في نسبتهم إلى جعفر البرمكي بما يشبه انتساب الحاضرين منهم إلى هارون الرشيد وانتساب أبناء عههم الأمراء آل فضل بن مهنا المقيمين في الجولان إلى الفضل بن

العباس ، على حين أن الفضل هذا لم يعقب قط ، وذكر المؤرخ التركي نعيماً أنه لما زاد عيث الأمير مدليج طارده الوزير الأعظم خسرو باشا في سنة ١٠٤٠ هـ ، وكسره ونهب بلاده وقومه إلى أن مات وهو فار ، فأقام مكانه الأمير سعيد بن فياض ، ثم ذكر أيضاً في أخبار سنة ١٠٥٤ هـ حادثة جرت بين الأمير عساف الذي استفحلت شروره وبين إبراهيم باشا والي حلب وحاول هذا الوالي أن يغدر بالأمير خلال ولية أدها له في براري حلب ، فأخفق في تلك المحاولة وانقلب شرها عليه . وهكذا كان يتوالى طغيان هؤلاء الأمراء وعيشتهم ويؤدي إلى استمرار الخراب في براري حلب وحماة وسامية وحمص طوال تلك الحقبة ، وظلوا على ذلك في القرن الثاني عشر أيضاً ، بدليل ما قاله المرادي في كتابه (سلك الدرر) في ترجمة عبد الرزاق الجندي أنه في سنة ١١٨٩ هـ اقتضى لحاكم حمص عبد الرحيم بن العظم التوجه على عرب الحيارى المعروفين بالموالي المقيمين في تلك الأطراف تبعاً لولاية حلب ، فحاربهم ودارت الدائرة عليه وعلى المترجم . ومن مراجعة كتابنا (جولة أثرية في بعض البلاد الشامية) في بحث تاريخ سلمية يتضح أن هذه البلدة كانت عاصمة أمراء الموالي منذ أن تسلمها في القرن السابع (سنة ٦٥٨ هـ) جدهم الأمير مهنا آل فضل . وورثها ابنه عيسى ، ثم حفيده مهنا الثاني ، ثم أعقاب هذا من بعده ، وأنهم كانوا من سلالة أسباب خرابها حينما استعرت فتنتهم في القرن الثامن (سنة ٧٤٨ هـ) على ما ذكره ابن الوردي في تاريخه ، وظل هؤلاء ينزلونها ، ويرعون أنعامهم بين أطلالها لأنها صارت في عهد العثمانيين أيضاً إقطاعاً لهم كما جاء في ما نقلناه آنفاً عن كاتب جلبي في مؤلفه الجغرافي جهان نما . وقد أيد هذا المؤلف وجودهم في سلمية خلال القرن الحادي عشر وأنهم كانوا وقتئذ يفترون إلى فريقين آل حمد وآل محمد على نحو ما هم عليه في زماننا من الانقسام إلى شماليين وقبليين ، وأن مناطق نفوذهم كانت تمتد إلى ضواحي حلب والرقعة وهو ما يؤيده أيضاً الشيوخ العارفون بماضيهم الذين يوصلون هذا النفوذ إلى عانة والحديثة . ويؤيده أيضاً السائح الإيطالي دلاوالا الذي جاء إلى هذه الديار في القرن الحادي عشر الهجري ١٠٧١ هـ (١٦٦١ م) ، فقد قال : إن أمير بلدة عانة وكل البادية يدعى الأمير فياض من آل أبي ريشة ، من عشيرة الموالي التي كانت سائدة في الضفة اليمنى من الفرات .

هذا وبينما كان أعراب الموالي يرتعون لوحدهم في سلمية وبراريها ، ويصل سؤددهم

من أبواب حمص وحماة إلى ضواحي حلب والرقعة ودير الزور والجزيرة ، وإذا في أواسط القرن الحادي عشر تفد نحوهم عشيرة بني خالد النازحة من الإحساء طلباً لبقاع أمرع من التي كانت فيها وتحاول النفوذ إلى أرياف حمص وسلمية فصدها الموالي بعد حروب دامت مدة مديدة . وقد ذكرنا في بحث بني خالد رواية قالوا فيها إن الموالي قتلوا في إحدى المعارك مئة شخص من بني خالد بينهم أربعون عريساً وقبورهم في موقع سوحة عقيربات شرقي سلمية ، ولا تزال ذكرى الثارات بين بني خالد والموالي في أذهان الفريقين ، وبعد بني خالد جاءت شمر في حدود سنة ١١١٢ هـ نازحة من نجد وأرادت النفوذ إلى براري حمص وحماة فصدها الموالي . وفي رواية أن الموالي غدروا وقتلوا في أحد مؤتمرات الصلح وذبحوا عدداً من رؤساء شمر لا يزال يذكر شعراء شمر فجيعتهم .

وقد ذكر الرئيس رينو في كتابه (بدو مقاطعة دمشق) ص ٢٤ حديث اقتتال الموالي وبني خالد على الشكل الآتي ، قال ما تعريبه « إن الموالي هم أقدم من نزل واستقر من البدو في بلاد الشام . وهم بعد أن منعوا بني خالد من النفوذ إلى معمورة بلاد الشام عاد الخالديون واستظهروا عليهم ودفعوهم إلى أنحاء دير الزور ، فظل الموالي في هذه الأنحاء نحو نصف قرن مسيطرين ، ثم تحالفوا مع العقيدات ، وتقدموا وإياهم لمهاجمة الخالديين الذين كانوا نازلين في سوحا ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً ، وغنموا من ماشيتهم عدداً وفيراً ، ورجعوا بها إلى أنحاء الفرات ، وما زالوا حتى وافتهم عشيرة العبيد وطردهم منها ، فانكفؤوا وراحوا واستقروا في أنحاء عينتاب » . انتهى ما قاله الرئيس رينو ، وهو لم يذكر مصدر روايته هذه ، ونحن لم نطمئن لصحتها . إذ لم يسمع أن الموالي اضطروا بضغط بني خالد إلى إخلاء براري حمص وحماة كلها ، وأنهم ظلوا نصف قرن بعيدين ومحرومين منها . كما لم يسمع بذهابهم إلى أنحاء عينتاب بضغط عشيرة العبيد التي كانت منازلها في الجزيرة قبل ورود شمر . فن لنا بمن يجلي هذا الغموض ؟

هذا وما أن استراحت الموالي من بني خالد وشمر حتى فوجئت في حدود سنة ١١٧١ هـ بما هو أدهى وأمرألاً وهو طلائع عشائر عنزة (الأحسنة) النازحة من نجد هرباً من ضغط الوهابيين الذين ظهروا قبيل ذلك ، فصمدت الموالي لهؤلاء أيضاً ، ولكنها بعد تلك الصدمات المتوالية ، وبعد معارك طويلة اضطرت إلى مصانعتها وإخلاء ديار حمص لعشيرة الأحسنة منها ، ثم توالى غارات بقية عنزة كالغدعان والأسبعة فضلاً عن الأحسنة ،

فاضطرت عشيرة الموالي من بعد سنة ١٢٢٠ هـ إلى أن تخلي سلمية وتنسحب إلى بقاع أكثر وعورة ومنعة في كورة العلا شرقي معرة النعمان ، ومن أحداث تلك الحقبة ما رواه لنا الأمير مجحم آل مهيد والشيخ سعيد العرفي أن الموالي في إحدى معاركهم مع الأحسنة قتلوا الملحم أحد أسلاف آل ملحم في مكان على ضفاف الفرات سموه من بعد (تلعة الملحم) فهاجمتهم الأحسنة لأخذ الثأر وفتكت بهم قرب بالس (مسكنة) ، إلى حد أن أمراء الموالي اضطروا إلى الاحتاء بآل مهيد رؤساء الفدعان ، فحموهم وردوا الأحسنة عنهم . ومن ثم نشأت العداوة بين الأحسنة والفدعان ، كما نشأت الصداقة بين الموالي والفدعان إلى هذه الغاية . ومن الأحداث التي ذكرتها التواريخ (خطط الشام ج ٤ ص ٦) عن أفاعيل الموالي في أوائل القرن الثالث عشر ، أن الموالي ثاروا في سنة ١٢٠٧ هـ في ضواحي حمص وحماة ونهبوا القرى وفتكوا ببعض أعيانها ، وعاثوا في تلك الجهات ، فأمر والي دمشق متسلم حماة أن يقتصص منهم ، فساق عليهم من حلب وحماة جيشاً ، فقتل منهم نحو ألفا إنسان وانهمز الباقون . وكان من جملة أسباب هذه الحملة أن قائد قلعة دمشق الذي عصى على الوالي فر ولجأ إليهم ، ومن أمراء الموالي الذين اشتهروا في أواخر القرن الثاني عشر كان الأمير محمد الخرفان . وقد أدركه السائح الفرنسي فولنابي لما قدم إلى ديار حماة في سنة ١٠٩٩ هـ وقال عنه في الجزء الثاني من رحلته الخاصة ببلاد الشام أن سطوة هذا الأمير قد استفحلت في السنين الأخيرة بحيث صار يفرض أتاوات على البلاد ، وأنهم يقدرون مجموع قوته بثلاثين ألف خيال آه . وقد حدثني محمد الجدعان أحد شيوخ الحديددين المعمرين أن جده مزقادة قتل محمد الخرفان هذا بضربة سيف ، عاجله بها وهو يتوضأ ، انتقاماً من عسفه وتعديده على الحديددين رغم أنهم كانوا حلفاءه وأنصاره . قالوا إنه لما مات محمد الخرفان كانت امرأته حاملة فوضعت غلاماً سمته باسم أبيه محمد الخرفان ، وأن هذا الأمير محمد الخرفان الثاني لما ترعرع حاول أن يثأر من الحديددين ، فغزاهم مراراً ثم تشاجر مع ابن عمه الأمير أحمد بك بن محمد باشا الجهجاه بن محمود بن حمد الأزرق بسبب فتاة كان كل منهما يريد لها لنفسه ، وعظم الشر ، فاستنجد أحمد بك بالحديددين ، وحارب محمد الخرفان واستنجد هذا بالخرافشة أمراء شيعة بعلبك ، فلبوه ووقعت الواقعة بين الفريقين سنة ١٢٧٥ هـ (تشرين الثاني سنة ١٨٥٨ م) في سفح جبل زين العابدين شمالي حماة ، فدارت فيها الدائرة أولاً على الحديددين ، ثم كر هؤلاء وهزموا الموالي والبلبكيين شراً هزيمة ،

وقتلوا محمد الخرفان ، فعلا شأن أحد بك من يومئذ وطنى وبغى ، ثم غزى الأحسنة في شرقي حمص ، قرب حمام أبي رباح ، وأراد أن يغتصب منهم فتاة اسمها حربة بنت الشيخ فارس المزيد فقتلوه - قيل إن الذي قتله أحد عبيدهم الذي انتخى لصوت الفتاة واستغاثتها - وهزموا جمعه . وهكذا كان هؤلاء الأمراء وما برحوا يعيشون في المقارعة والمغاورة وتنتهي حياتهم بالجرح والذبح ، ولا يموت منهم حتف أنفه إلا ماندر .

رَجَّعُ إلى حديث بقية الأعراب في القرن التاسع وما بعده ؛ عني القلقشندي بأمر أعراب زمانه ، وذكرهم بالتفصيل حسب البقاع التي كانوا ينزلونها ، وهو بعد أن ذكر في (بحث أعراب نيابة دمشق) آل فضل المذكورين وأبناء عمومتهم آل مرلج وآل علي ووصفهم ، انتقل إلى (أعراب نيابة حلب)^(١) فقال : والمختص بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان :

١ - بنو كلاب ، قال في مسالك الأمصار « وهم عرب أطراف حلب والروم ، ولهم غزوات عظيمة معلومة ، وغارات لا تعد ، ولا تزال تباع بنات الروم وأبنائهم من سباياهم ، وهم من أشد العرب بأساً ، وأكثرهم ناساً ، قال : وإفراط نكايتهم في الروم صنفت السيرة المعروفة (بدلمة) و (البطال)^(١) منسوبة إليهم ، بما فيها من ملح الحديث ولمح الأباطيل ، ولكنهم لا يدينون لأمرهم منهم يجمع كلمتهم ، ولو انتقادوا لأمر واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقة ... الخ » .

٢ - آل بشار : قال في مسالك الأبصار « ديارهم الجزيرة والأحص ببلاد حلب ، قال : والأحلاف منهم حالهم في عدم الانقياد لأمر واحد حال بني كلاب ، ولو اجتمعوا لما أمن بأسهم ، وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل وبينهم دماء ... الخ » قلت : إن بني كلاب الذين تردد ذكرهم كانوا عشيرة كبيرة فيما يظهر ، جاءوا من نجد إلى ديار حلب في سنة ٣٥٢ هـ وقطنوا واستقروا نحو أربعة قرون . وقد رددت التواريخ

(١) هي السيرة المشهورة الآن بذات الهمزة تقرأها العامة بلدة ، كسيرة عنتر وسيف بن ذي يزن ، وقد طبعت أخيراً في مصر وهي في بابها لأباس بها . والبطال من أبطال الغزاة المشهورين في العصور الإسلامية المتوسطة وكان فعله في الروم عظيماً وهو معروف ومشهور عند الترك باسم (بطل غازي) وله عندهم حرمة كبيرة وسيرة مطبوعة يقرأها عامتهم في الأناضول بشغف .

أحداثهم ووثباتهم العديدة ، واستباححتهم حمى المعمور مراراً ، مما هو معروف من طبائع أهل البوادي في كل عصر ومصر ، ورددت ما جرى بينهم وبين سيف الدولة بن جردان وأبنائه ملوك حلب ، نبغ منهم صالح بن مرداس وأسس في حلب وشمال الشام دولة بني مرداس التي دامت من سنة ٤٠٦ هـ إلى سنة ٤٧٢ هـ ثم ظل ذكر هذه العشيرة يتردد إلى أواخر القرن الثامن حتى انقطع ، مما يدل على تشتت شملهم وانطفاء خبرهم ، واندماج فلولهم في بقية العشائر ، شأن أعراب البادية التي تتغير مجتمعاتها وأسماؤها في كل قرن أو ثلاثة ، ولا يشذ عن ذلك إلا القليل . ونال آل بشار المذكورين أيضاً ما نال آل كلاب ولم يعد لهم أثر ولا خبر في جبل الأحص - جنوبي حلب . كما نال آل مرء وآل علي الذين كانوا في أنحاء دمشق ، ولم يعد لهم أثر ولا خبر فيها أيضاً .

ولما جاء الصليبيون في القرن السادس والسابع واجتاحوا بلاد الشام كلها ما عدا المدن الأربع (دمشق وحمص وحماة وحلب) ، وبنغت خيلهم شمالي الجزيرة الفراتية وأواسطها ، ثم لما دخل المغول الشام في القرن السابع والثامن وتكررت غاراتهم بقيادة هولاكو وغازان وتيمورلنك خرب هؤلاء وأولئك البلاد ، وأهلكوا العباد ، ثم جاءت بعدهم الأوبئة والطواعين الجائحة ، وازداد البلاء واستمر بفساد الحكم وسوء الإدارة وضعف الوازع في أكثر عهد المماليك والعهد العثماني ، ومن هنا تحركت نزوات البدو ومطامعهم ، فطفقوا فيما قاله مؤرخو تلك العهود وشكوه غير مرة ، يقطعون الطرق ، ويخيفون السبل ، ويعيشون فساداً ، فخربت القرى وجلا من سلم من أهلها ، وتهدمت القنوات والسدود ، وبارت المزارع والحقول ، ودرست الكروم والبساتين ، فاتسع المغمور وصغر المعمور ولم تعد ترى في مشارق حلب وحمص وحماة ودمشق وحوارن طوال تلك العهود إلا مضارب البدو وأباعرهم ، ولا تسمع إلا زئيرهم وهديرهم .

ونعيد ما قلناه عن أن أشهر من كان في شمالي الشام خلال تلك العهود من عشائر البدو وأقواها ، وأرفعها شأنًا وسؤددًا آل فضل ، ثم أعقابهم آل مهنا بن عيسى ، ثم أعقاب آل مهنا آل حيار ، ثم أعقاب آل حيار آل أبو ريشة أمراء عشيرة الموالي . فقد كان هؤلاء الأمراء كما فصلناه في تاريخهم يسيطون نفوذهم من حمص وسلمية - وسلمية كانت عاصمتهم - إلى حلب فوادي الفرات وأطراف العراق . بحيث أن أحدهم واسمه فيما روه (فياضاً) كان نصب عاموداً وسط فيافي الحماد دعاه (عمود الحمى) حرم به على العشائر النجدية المتحفزة

للقدوم نحو بادية الشام أن تتخطاه ، وتقرب من مناطق نفوذ الموالي في تلك البادية ، وأشهر من كان في جنوبي الشام (حوران والبلقاء) وأقوى العشائر وأرفعها شأناً عشيرة السرحان ، ثم عشيرة السردية التي نازعت السرحان وخلفتها وبزتها ، وترأست حلفاً رباعياً اسمه (أهل الشمال) كان مؤلفاً من السردية والفحيلية والعيسى وبني صخر ، وكان هؤلاء كلهم مع أفاريق الأعراب الذين يجاورونهم أو يحالفونهم يقومون بضروب العيث كلما اهتبلوا الغرر من ضعف الحكام وفقدان الرادع ، ويحولون دون العمران وامتداد الحرث والزرع خارج المدن الشامية ، كما سوف نشرحه في حديثهم الخاص . وقد ذكر السائح التركي الشهير أوليا جلبي : أنه لما مر من حماة إلى حمص في القرن الحادي عشر (سنة ١٠٥٨ هـ) وجد الرستن خراباً ييباباً من توالي عيث الأعراب . على حين أن الرستن قرية كبيرة ذات موقع حصين ، فإذا كانت هي على ما ذكره وقتئذ فما بالك ببقية قرى حماة وحمص ؟ والسائح الإفرنسي فولنابي الذي تقدم ذكره مرّ بحماة في أواخر القرن الثاني عشر (سنة ١١٩٩ هـ) فمدح خصب سهول حماة واستعدادها ، ثم قال : إن المانع لاستثمار هذه السهول هو عتو محمد الخرفان أمير الموالي وعيته ، وكثرة أخذ الأتاوات (الخوة) من القرى والمزارع .

ومن الأحداث التي أوقعها البدو وخاصةً عشيرة الموالي وأمرؤهم في تلك الحقبة مارواه كامل الغزي في كتابه تاريخ حلب (ج ٣ ص ٢٨٢) تحت عنوان (فساد العرب والإيقاع بهم) وقد نقل هذا الخبر عن تاريخ نعيمًا التركي قال : « وفيها (في سنة ١٠٥٤ هـ) كثر فساد العرب في نواحي حلب وانقطعت السابلة . وكان أمير هؤلاء العرب المتردة الأمير عساف (قلت : الغالب من تلقيبه بالأمير أنه من أسلاف أمراء الموالي) وكان له من قبل الدولة راتب معلوم . ولما زاد طغيانهم أراد إبراهيم باشا والي حلب أن يعمل الحيلة في القبض على عساف المذكور ، وكان يريد أن يعزله عن إمرة العرب ، إلا أنه رأى ذلك لا يجديده نفعاً ، فإن عسافاً لا يعترف بالعزل في ذلك الحين . ثم إن إبراهيم باشا خطر له أن يرسل إلى عساف رسولاً يدعوه إلى ضيافة يصنعها له في حلب ، فقال له الرسول : إن عرب البادية لا تأوي المدن ، بل ولا ما قاربها . فأمر إبراهيم باشا أن تصنع ولية حافلة في قرب حلب على بعد خمس ساعات منها تقريباً . ثم سار الباشا إلى محل الضيافة بالمهمات والعساكر ومعه الهدايا ، وأشاع أن هذه الولية مصنوعة إلى سلطان البر يعني به

عسافاً ، وكان الرسول قد سبق إلى الأمير عساف ودعاه إلى هذه الضيافة فأجابه إليها بعد أن أستوثق منه على عدم الغدر ، وعاد الرسول إلى إبراهيم باشا وأخبره وحذره من الغدر بالأمير عساف في خصوص هذه الضيافة ، وكان الأمير عساف قد تجهز للقدوم ومعه جم غفير من العربان خوفاً من أن يغدر به الباشا .
ولما وصل إلى محل الضيافة غدر به الباشا ، وحاول أن يقتله ، فاستدرك الفرط ، وانفلت من قبضته ، وعاد إلى أشد ما كان عليه من الإفساد وقطع الطريق . ولما سمعت الدولة بغدر إبراهيم باشا وعدم وفائه وسوء تدبيره عزلته عن حلب ، وولت مكانه درويش باشا المعزول عن ولاية بغداد ، فقدم حلب وتلافى خطر العربان الذي كان من أهم الأمور في ذلك الزمان ، وأرسل من قبله رسولا يدعو عسافاً بالرفق واللين إلى طاعة السلطان ، وجهازه معه هدايا ثمينة لعساف ، فوصل الرسول المذكور إلى عساف ، وبسط له الكلام ، وتلطف به ، ووجهه على عصيانه ، وعظم من أمره وأمر هذه العشيرة المعروفة بأبي ريش (وصوابه أبي ريشة) وقال له لا ينبغي بأدنى فرد من هذه العشيرة أن يشهر على السلطان العصيان ، فأجابه عساف بقوله : والله مالي ذنب في هذا العمل ، وإنما الذنب فيه لإبراهيم باشا ، ثم إن عسافاً استدعى بثلاثة دروع كان لبسها في يوم الضيافة وصار يرى الرسول الثقوب التي حصلت من إطلاق الرصاص ، وكانت إحدى الرصاصات قد ثقت الدرع ووصلت إلى بدنه فحلف الأمير عساف إن جرح هذه الرصاصة بقي يصبق منه الدم شهرين فسلاه الرسول ، وذكر له أن الدولة لم تعزل إبراهيم باشا إلا لما أجراه معك من الغدر ، فرضي حينئذ عساف ، وتعهد للرسول بالأمن والأمان وأهداه مقدار عشرة خيول ، وجهازه معه للدولة عدة خيول ، وأعطاه حوالة على حلب بألفي ذهب للدولة . آ هـ .

وذكر أيضاً في (ص ٢٨٨) « أنه في سنة ١٠٩٣ هـ كثر فساد العرب (ولم يذكر أي عرب هؤلاء وما اسمهم) في بريّة دمشق وحلب ، وعظم ضررهم ، وأفحشوا بالسلب والإغارة على القوافل ، حتى ضجت منهم الولايات ، وصدرت أوامر الدولة إلى والي حلب ودمشق وبغداد وطرابلس أن يبذلوا جهدهم بالقبض على أميرهم ملحم (أقول أيضاً : أن الغالب من تلقب هذا بالأمير أنه من أسلاف أمراء الموالي) فعندها عزم قره محمد باشا والي حلب على أن يأخذ ملحمًا بالخيالة ، فوسط حاكم المعرة أخا شريف مكة بينه وبين ملحم ،

فاجتهد المذكور في إحضار ملحم إلى حلب . وحلف له على أنه يطلب له العفو من السلطان ، ويجعله أميراً على العربان ، وكان حاكم المعرة داهية ، وكان متهاً بأنه يقاسم الأمير ملحم بالغنائم ، ويسعى له في بيع ما يلزمه منها فأراد أن ينفي الظنة عن نفسه بمكيدة ملحم ، وسعى في إحضاره واجتهد غاية الجهد ، إلى أن رضي معه ملحم بالحضور بعد أن استوثق منه بالأيمان المغلظة ، فحضر معه إلى قرية جبرين ، وكان قد أرسل إلى الوالي يخبره بذلك ، فأنفذ له الوالي خلعة وخيلاً ليغريه بالدخول إلى حلب على أنه يحلف له فيها على ما تقدم ، فركب ملحم إلى حلب ولحقه من عشيرته خمسون فارساً ينهونه عن الدخول إلى حلب ، وألحوا عليه بالرجوع فقبل منهم ورجع إلى مخيمه ، وقال لأخي الشريف المتقدم ذكره : لا سبيل إلى دخولي المدينة ، فإني آليت على نفسي أن لا أدخل بين الجدران وتحت السقوف لأنها تضيق صدري ، فاذهب وقل للوالي : إن كان يريد مخالفتي ، فليأت إلى هنا ولما لم ينجح سعي أخي الشريف في إقناع ملحم رجع إلى الوالي وأخبره بما جرى ، وحين رجوعه أصحابه ملحم باثنين من بني عمه وبمستشاره ، وهو أعرابي طاعن في السن ، فلما تمثلوا بين يدي الوالي قابلهم بالبشاشة وخلع عليهم وأحسن مثواهم ، ثم أرسلهم إلى بيت أخي الشريف وركب في الليل سراً ، ومعه خمسمئة عسكري بالعدة الكاملة ، وقصد مخيم ملحم في جبرين ، وكان ملحم قد رحل من مخيمه وأبقى فيه خمسين من قومه فحاربهم الوالي ، وبعد أن دافعوا عن أنفسهم دفاع الأبطال ، قتل بعضهم وأسر منهم ثمانية عشر وفر الباقون ، ثم استدل الوالي من الفلاحين على الأمير ملحم وتبع أثره إلى أن دهمه بغتة عند الصبح في وادٍ بين جبلين بحيث لم يره الأمير إلا عندما وصل إليه ، وكان مع الأمير عدد يسير من جماعته ، فأركن إلى الفرار ، وأراد أن يجتاز من نهر هناك ، فتوكلت به فرسه ، فتوكل على رجه لاتشالها من الوحل ، فانكسر الرمح ، وكان الوالي قد أدركه والبندقية في يده ، وأحاطت به العسكر ، وقبضوا عليه ، وساقوه أسيراً إلى حلب ، فكبّلوه بالحديد ومن أسروا معه من قومه ، ثم قتلوا الجميع صبراً سوى الأمير ، وكانوا عندما يقتلون أحدهم يخرقون أكتافه ، ويغرسون فيها فتائل مشعلة مصنوعة من المرخ والشع ، ويطوفون به البلد ، ثم يقطعون رأسه ويرمون جثته في مستنقع الخندق (قلعة حلب) واتفق أن واحداً من هؤلاء الأسرى كان شاعراً عند الأمير ملحم لم يغمس يده في دم ولم يشن غارة قط ، فبينما كانوا يطوفون به على تلك الحالة إذ لمح ضابطاً سبقت له يد

عنده ، فذكره بها ، وقال : إنني لم أكن لصاً ، ولا قاطع طريق إنما كنت شاعراً عند الأمير ، فتضرع له الضابط عند الوالي ، وخلصه من القتل ، ثم إن الوالي أرسل ملحماً إلى أدرنة حيث كان السلطان إذ ذاك ، فبعد أن نظر السلطان إلى ملحم ملياً أمر بقتله ، وقد صعب ذلك على رجال الدولة لأنهم كانوا يرجون خلاصه والعفو عنه ، ليكون كافلاً قمع غارات العرب حسب شجاعته المفرطة » .

وقال في حوادث سنة ١١٣٣ هـ « زاد طغيان العرب المعروفين بالعباسيين (قلت : أي عباسيين هؤلاء ؟ أعله يقصد أمراء الموالي أيضاً بحكم ادعائهم الانتساب إلى العباسيين !) في صحراء حلب ، وكثر ضررهم على السابلة ، وعسر على الولاة ردعهم ، فعين الباب العالي قواداً وجيوشاً من بغداد والموصل وديار بكر وغيرها ، وأنفذت إلى هؤلاء الأوامر المؤكدة بشن الغارات ومتابعتها على العربان المذكورين ، فتناوشتهم العساكر من كل جانب ، وأذاقوهم أنواع المعاطب والمصائب ، فكف ضررهم ومنع خطرهم » .

وقال في حوادث سنة ١٢٣٢ هـ « في هذه السنة كثر فساد الأعراب في جوار حلب وجهات أريحا وانطاكية ، وكان الأمير مهنا البدوي هو الزعيم الأكبر على الأعراب (قلت : أي مهنا هذا ؟ هل هو مهنا الفاضل شيخ الأحسنة ، هذا كان في جهات حمص ولم يبلغ حلب) وقد فرض على كل داخل إلى أرضه مبلغاً من النقود ، وضرب على القرى المجاورة مضاربه جرية سماها (الخوة) ، فكانت سبباً لخراب عدة قرى وجلاء أهلها عنها ، وتفاقم هؤلاء الأعراب ، وتعطلت السبل ، وفقد الأمن ، ثم صدر أمر الدولة لوالي حلب أن يقصد الأعراب في الصحراء ، ويوقع بهم ، وأنفذ إليهم كتخداه عثمان آغا ورققه بمقدار وافر من العساكر . وكان العربان على ثماني عشرة ساعة عن حلب ، فوصل إليهم ، وكسرهم ، وظفر منهم بأربعة وثلاثين شخصاً ، قطع رؤوسهم وجعلها إلى استانبول ، فسرت الدولة من ذلك وشكرت الوالي .. ا هـ » .

وكان أشد ما بهم الدولة العثمانية وقتئذ أن تحمي قافلة الحج من تعدي البدو في طريقهم بحكم أن سلاطين آل عثمان كانوا خلفاء وخدام الحرمين الشريفين ، فكانت تكلف بعض العشائر بهذه الحماية لقاء جعل معلوم ، وتخصص لكل منها منطقة . فن العشائر التي كانت تقوم بهذه الوظيفة بين حلب ودمشق (الموالي) ، وبين دمشق وحوارن والبلقاء

(السردية) و (بني صخر) و (الولد علي) من عنزة . وكانت الدولة تمنح جوائز مالية (الصرة) للعشائر التي في طريق الحج بعد البلقاء حتى المدينة ومكة ، ومع هذا كله ، فقد أساء باشات الحج التدبير في بعض السنين ، وقطعوا الأعطيات عن هذه العشائر ، وقتلوا في سنة ١١٧٠ هـ بعض رؤسائها ، فحقق البدول ذلك ، وهاجوا في سنة ١١٧٣ هـ قافلة الحج الشامي ، وفتكوا بها فتكاً ذريعاً ، وأماتوا من الحجاج نحو عشرين ألفاً من القتل والجوع والعطش ، وباعوا منهوباتهم في أسواق عكا . وكانت الدولة تكلف بعض الأسر الإقطاعية بحماية المسالك النائية والقرى المتطرفة ، فمن هذه الأسر القديمة (آل سويدان) المستقرون في قرية حسية قرب حمص ، وأول العهد بهذه الأسرة وبقريتهم هو في سنة ١١٠٠ هـ حينما امتلكها جدهم الآغا إبراهيم سويدان ، وهؤلاء بعد أن كانوا متسلمين في حمص على طراز العهد الإقطاعي خلال القرن الثاني عشر تولوا محافظة البادية وطريق حمص - تدمر وجبل قلمون حتى أبواب دمشق ، ومثلهم الأغوات الجواردة (آل حويشان الجندل) المستقرون في جيروود الذين كانوا مكلفين بحماية طريق دمشق - تدمر ، ومثلهم الأغوات الدنادشة (آل دندش) المستقرون في تلكلخ الذين كانوا مكلفين بحماية طريق حمص - طرابلس منذ القرن الثاني عشر .

وظل أمراء الموالي أسياد البادية الشامية يمنعون اختراق عمود الحمى على العشائر القادمة حديثاً من الجنوب أو الشرق إلى أن كان أول المتجاسرين على اختراقه (بنو خالد) القادمون من الإحساء للمرة الثانية في أواسط القرن الحادي عشر ، فصدتهم الموالي بادية ذي بدء ، لكن الخالدين بعد معارك عديدة استظهروا على الموالي في معركة جب الصفا ، ونفذوا إلى ديرة الشنبل ، واستقروا حتى يومنا ، وقد فصلنا حديثهم هذا في بحثهم الخاص ، وجاء بعد بني خالد في أواخر القرن المذكور العقيدات من أنحاء نجد إلى أنحاء دير الزور والأبي شعبان من أنحاء العراق إلى أنحاء الرقة ، كما جاءت الأبوخيس والكيار والخزاعة وغيرها من العراق إلى أقضية حلب .

ولما ذر فجر القرن الثاني عشر كانت الدعوة الوهابية في نجد قد استفحلت ، فحدثت بواعث لهجرة بدوية جديدة حركت وقتئذ قسماً من شمر ، فزحف في أوائل ذلك القرن نحو بادية الشام تخلصاً من ضغط الوهابيين ، وطلباً لأماكن أخصب من التي كان فيها ، وبلغ

تدمر والسخنة ونهبها ، ثم تقدم نحو ديرة الشنبيل يحاول النفوذ فتصدت الموالي له ، وحدثت معارك انتهت برد شمر ، وإرجاعها إلى نجد . لكن شمر لم تجد مجالاً للاستقرار في نجد من ازدياد نفوذ الوهابيين ، فرجعت إلى بادية الشام بعد حين يصعب تحديد عدد سنيه إلا أن هذه المرة تحاشت مناطق الموالي ، فنزلت في أنحاء جبل البشري وجبل العمور إلى الفرات كما عملت وقتئذ أو قبلها (عشيرة العقيدات) الفراتية (النجدية الأصل) .

وكانت طلائع عنزة (الأحسنة والولد علي) قد خرجت بعد شمر في حدود سنة ١١١٢ هـ من شمالي الحجاز ، وبلغت وادي السرحان ، ثم أطراف البلقاء ، واشتكت مع عشائر هذه الأنحاء (السرحان والسردية والفحيلية وبني صخر) الذين تحالفوا وتآلبوا عليها ودحروها ، وبعد معارك دامت سنيناً عديدة تقوت عنزة ، وتوفقت للحلول فدخلت منها عشيرة (الولد علي) إلى حوران والجولان واستقرت . أما الأحسنة فقد استمرت في سيرها نحو الشمال ، وبلغت أنحاء حمص وحماة في حدود سنة ١١٧١ هـ - على ما يظن - ودحرت الموالي نحو منازلها الحالية في العلا (شرقي قضاء المعرة) ، ثم صارت تزاخم شمر على المراعي والمناهل الشرقية في أنحاء جبل البشري وجبل العمور ، فاضطرت شمر إلى أن تعبر الفرات في عهد رئيسها فارس الجرباء ، وتستقر في الجزيرة على ما سوف نذكره في بحثها ، ثم توالى قدوم بقية عشائر عنزة طيلة القرن الثالث عشر إلى براري الشام وتوالى انسياحهم .

فهجرة بني خالد وشمر وعنزة والعقيدات في القرن ١١ و ١٢ و ١٣ كانت آخر الهجرات البدوية الكبرى على أن هجرات صغيرة ما برحت تقوم بها بعض ذيول قبيلتي شمر وعنزة العظمتين وتتوالى بين ذهاب وإياب ، كما عملته أخيراً فرقة الولد سليمان من عشيرة الفدعان من عنزة ، فقد كان هؤلاء آخر من نزح ووافى بادية الشام ، ثم على أثر حادث سوف نذكره في بحثهم رجعوا إلى نجد ، وكذلك عملت بعض فرق العبدية وسنجارة وأسلم من قبيلة شمر ، فقد كانت هذه الفرق متخلفة في نجد فجاءت تلتحق بفرقها الأصلية الضاربة في الجزيرة الفراتية .

ولم يكف براري الشام ما كانت تقاسيه من عيث (أعراب الديرة) حتى ازداد الطين بلة بالمعارك التي كانت تنشب بين شمر وعنزة ، وبين عشائر عنزة نفسها التي انصرفت للاقتتال والإغارة بعضها على بعض ، أو على أعراب الديرة المذكورين ، وازداد أيضاً بقدوم

الوهابيين بقيادة عبد الله بن سعود وغارتهم على حوران ، وإفحاشهم في قراه وتهديدهم دمشق في سنة ١٢٢٥ هـ ، وهكذا ظلت هذه البراري خالية من العمران ، وظلت القرى المتطرفة التي على سيف البادية مضطربة خائفة لا تنجو إلا بدفع (الخوة) لعشيرة أو لعدة عشائر معاً ، وقد أدركنا قرى المناظر كتدمر والسخنة تدفع هذه الخوة إلى عهد قريب جداً يتقاضاها الموالي والأحسنة والأسبعة ، كل منهم في دوره ووقته ، وقد يأتي غيرهم ويطالب ويقبض بنسبة ما يرى من فوضى الأحكام وضعف الوازع ، هذا إلى أن قرى المناظر وخاصة السخنة (إلى شمالي تدمر بـ ٧٥ كيلو متراً) قد هوجمت ونهبت ، وجلا أهلها مراراً إلى دمشق وحماه وسفيرة وحلب أخصها ما حدث في السخنة سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠٠) م .

واستمر الحال على هذا إلى أن جاء إبراهيم باشا المصري واحتل بلاد الشام ودام حكمه نحو تسع سنوات (١٢٤٨ - ١٢٥٦ هـ) ، وقد وطد هذا القائد الكبير الأمن في الحواضر ، وأكره البدو على احترام سلطة الحكومة ، وحمل السكان من اعتداءاتهم ، فعاد كثير إلى سكنى المدن والقرى المهجورة ، وإلى حرث الأراضي المهملة في حوران وحمص وحلب ، وقد أكد لي بعض المعمرين في حمص أنه عمرت في تلك المدة الوجيزة بعض قراهم الشرقية كالشرفة وشنشار والزعفرانة ، ولكن لم يكد إبراهيم باشا يخرج من بلاد الشام ، ويتقلص ظل سطوته حتى عادت فوضى الأحكام في الحواضر ، واستأنف أعراب البادية غاراتهم على المعمور ، فرجع الخراب إلى القرى والمزارع المأهولة حديثاً . وظلت المدن منكشة وراء أسوارها وأبوابها مدة ربع قرن آخر (في عهد السلطان عبد المجيد ، والسلطان عبد العزيز) فحمص مثلاً : كانت تغلق أبوابها بعد الغروب ، لا يخرج منها أحد ولا يدخل .

حدثني المعمرون الذين أدركوا حدود سنة ١٢٧٥ هـ أن أهالي القرى القريبة كزبدل وفيروزة كانوا إذا خرجوا لحرث أرضهم وزرعها يعودون مساء إلى مساكنهم في مدينة حمص ، ولا يجسرون على المبيت في البرية من توالي عيث الأعراب ، وأن أبواب حمص ظلت تغلق بعد الغروب إلى حدود سنة ١٢٨٧ هـ ويقف وراءها الحراس وموظفوا المكس ، ويذكر معمرو دمشق أن امتداد الشجر في الغوطة كان لا يزيد عن نصف ما هو عليه الآن خوفاً من إبل البدو وعدوانهم ، ويذكر معمرو حلب أن منتهى العمران خارج باب النيرب كان في عسان وسفيرة والباب فقط ، وأن أهل هذه القرى كانوا لا يهبطون حلب

ويعودون إلا زرافات زرافات وهم مدججون بالسلاح . ويذكر معمر وحمه أن سلمية لم تعمر بعد خرابها الذي دام قرناً إلا في حدود سنة ١٢٦٠ هـ ، أو بعدها لما جاءها نفر من إسماعيلية جبال اللاذقية ، والتجؤوا إلى حصنها القديم الذي كان في وسطها ، وصاروا يردون عيث البدو بتاسكهم وتنصرهم ، كما عمل الدروز قبلهم لما نزحوا في القرن الحادي عشر بعد موقعة عين دارة في سنة ١١١٢ هـ إلى جبل حوران وتحصنوا في قراه الخربة المنيعه وامتدوا رويداً رويداً . أي أنه ما من قرية كانت تنجو وقتئذ من (الخوة) وأمثال الخوة من السلب والنهب ، ورعي الزروع ، وإتلاف الأشجار والكروم والطغيان والعدوان إلا إذا امتنعت وراء قلعة أو أكمة أو وعرة ، وكان أهلها ذوي عصبية واحدة ، وشكية قوية يردون كرات البدو بسواعدهم ، لا بسواعد الدولة التي كانت وقتئذ مهملة ضعيفة لم تستطع مثلاً أن ترد في سنة ١٢٧٥ هـ المعركة التي نشبت في سفح جبل زين العابدين قرب حماة بين الموالي والحديدين ، كما بيناه في حديثهم . ولم تستطع أيضاً أن ترد نزوات جدعان بن مهيد عقيد الفدعان وغاراته في شرقي حلب فاضطرت إلى أن تمنحه وتملكه في سنة ١٢٨٦ هـ عشرين قرية دائرة في جبل الشبيث ، لا تزال في يد حفيده الأمير محجم .

وقد سعى في تلك الحقبة بعض الولاة الصالحين في حلب لإنتقاذ الموقف ، فأنشأوا بالذکر محمد باشا القبرصي الذي كان والياً في حلب في عام ١٢٦٧ هـ ، فأوجدوا للسلطان عبد المجيد سبل امتلاك الأرضين في أطراف المعمورة ، وتحضير العشائر البدوية وإسكانهم فيها ، فأنشؤوا من ذلك الحين المزارع السلطانية (الجفتلكات الهايونية) في جبل الأحص ومطخ قنسرين وقضائي الباب ومنبج ، وأسكنوا فيها جمعاً من أفاريق الأعراب لا يزالون حتى يومنا هذا . ومنهم في جبل الأحص عشيرة اسمها (السكن) دلالة على إسكانهم وقتئذ . وذهب أحد ولاة حلب واسمه ثريا باشا ملك زاده في سنة ١٢٨١ هـ وألحق لواء دير الزور بولاية حلب ، وأخضع عشائر العقيدات وغيرها المتمرده . وفي تاريخ حلب لكامل الغزي « أنه في سنة ١٢٨٤ هـ كان إخضاع الأعراب المتمردين على الدولة في صحراء حلب ، بعد مقاومة شديدة وكثرة القتل والأسر في رؤسائهم ، وقد أخذت منهم قرعة شرعية ، واستفحلوا وعانوا الزرع والفلح ا هـ . » ولم يذكر من أي عشيرة كان هؤلاء الأعراب ، وفي أي القرى استقروا واستفحلوا ، ولعله عنى العقيدات ، ثم في سنة ١٢٥٨ هـ جاء أصلان باشا المشهور بجنكته وهتمته إلى لواء دير الزور ، وأخضع عشائر الجبور

والعقيدات ، ورد بأثقة شمر وعزة عن المعمورة إلى حد ما ، وكان قبل ذلك عمل في أنحاء حلب فأسكن الموالي في ناحية العلاء ، وأسكن الحديدية في شالمهم ، وأسكن غيرهم من العشائر كالولدة وبني سعيد والسكن في قرى أملاك الدولة ، في أقضية جبل سمعان والباب ومنبج ، وهم لا يزالون فيها حتى الآن ، ومن هنا ظل اسم أصلان باشا الهمام وقد توفي في الدير سنة ١٢٨٧ هـ يتردد على السنة المعمرين من هذه العشائر بالحمدة والرحمة ، فأمنت البراري الشرقية وقتئذ بهذه التدابير بعض الأمن ، وعادت روح العمران تدب رويداً رويداً في شرقي ولاية حلب وجنوبها ، وجهة الجزيرة والفرات . وما عملته الدولة وقتئذ (عهد السلطان عبد العزيز) أنها رأت كثرة العشائر في ولاية حلب ، وقدرت حالاتها وحاجاتها الخاصة ، فألفت لها إدارة منفردة دعته (قائمية العربان) على نهج الأقضية كان لها قائمقام ومدير مال ، وقد ورد ذكر هذه القائمية في (سالنامة ولاية حلب) لعام ١٢٨٧ هـ وأسما موظفيها والمشايخ الذين كانوا فيما يبدو أعضاء في مجلس إدارتها .

ثم جاء السلطان عبد الحميد في سنة ١٢٩٤ هـ ، وكان ولوعاً بتوسيع الملك وتكثير الثروة ، فهو فوق ما ورثه من (الجفتلكات الهمايونية) في جنوبي حلب ، أضاف إليها من بعد سنة ١٣٠٠ هـ كثيراً من الحرب الدائرة في شرقي حماة وسلمية وحمص ، تملكها بالإحياء أو بالشراء ، وراح يسكن فيها فلاحين من طوائف النصيرية والعشائر نصف المتحضرة وغيرهم ، وأعفاهم من الجندية والضرائب الأميرية ، ورتب سرايا خاصة من جند البغالة لحمايتهم ، وبني ثكنتين الأولى في قرية جب الجراح الواقعة في سفح جبل الشومرية ، والثانية في قرية الحمراء الكائنة في الشمال الشرقي من حماة ، وأقام جنوداً في كل من قرى الفركل وعقيربات السويد وتل الأغر والسعن وسعين . وبهذا رد عيث البادية رداً صارماً ، فأمنت قراه الواسعة والقرى الواقعة غربيها شر العشائر ، وعيث إبلهم بالأشجار والزروع ، وتنفت المدن الصعداء ، وصار العمران ينتشر في ضواحيها وبراريها ، واضطرت العشائر من ذلك الحين إلى الكف عن العتو والأذى ، والانصراف نحو الفلاحة والزراعة ، ولم تعد تشذ إلا قليلاً ، وعند سنوح الغفلة فحسب كما جرى بعد لما خلع السلطان المذكور في سنة ١٣٢٥ هـ ودورت أملاكه إلى بيت المال ، ورفعت الحصانة والميزة عن فلاحها . وكما جرى أكثر وأشد لما قامت الثورة العربية في الحجاز في أواخر الحرب العظمى الماضية في سنة ١٣٣٧ هـ ، وتضعض حال الدولة ، وقلت هيبتها ، وقد استمرت

قلة الهيبة وفورة العتو والعيث عند البداية طوال العهد الفيصلي ، وفي أوائل عهد الانتداب الفرنسي ، نخص بالذكر ما جرى خلال اقتتال عشيرتي الموالي والحديديين في براري حلب وحماة في سنة ١٣٣٩ هـ وما بعدها فقد خربت وقتئذ عشرات القرى والمزارع ، ونهبت أموال وعروض كثيرة لأهل تلك القرى ولشركائهم من أهل حلب وحماة والمرة وذهبت هدرًا .

ولما كان المرحوم الملك فيصل بن الحسين في دمشق سنة ١٣٣٧ هـ و ١٣٣٨ هـ يشيد أركان السيادة والاستقلال في بلاد الشام ، والجنرال غورو الفرنسي في بيروت يشاكسه ويهيء وسائل الاستعباد والاستعمار لهذه البلاد ، رأت العشائر البدوية بشاقب فطنتها أن ربح الغلبة يهب مع الفرنسيين ، فالت نحوهم شأنها في الميل نحو من كان أشد قوة وأندى يداً ، فأفتى رؤساء العشائر الكبيرة بانتداب فرنسا أمام اللجنة الأميركية التي جاءت في حزيران ١٩١٩ م (١٣٣٧ هـ) تستفي أهل البلاد عن شكل الحكم الذي يريدونه ، وهرع بعض هؤلاء إلى بيروت لمقابلة الجنرال غورو وعرضوا له ولاءهم ، فأجزل لهم العطاء ، وزاد بعضهم أوسمة جوقة الشرف ، أو لقب أمير أو لقب باشا .

وإذا كان الناس على دين كبرائهم لحقت العشائر الصغيرة العشائر الكبيرة ، وحذت حذوها في موالاته الفرنسيين منذ بدء احتلالهم ، ولما ثار أهل الحواضر في المدن والقرى في وجه الفرنسيين الزاحفين ، كانت العشائر تكتفي بوقفة الحياء ونظرة المتفرج عن بعد ، بحجة أن الثوار لم يستشيروها فيما كانوا يفعلونه ولم يستنهضوها ، ولم يشذ عن هذا السلوك ويناجز الفرنسيين إلا بعضها أمثال العقيدات في وادي الفرات ، والموالي في جنوبي حلب ، والفضل في جنوبي دمشق ، والدنادشة في غربي حمص ، لكن هذا الشذوذ انحصر إذ ذاك في أماكن تلك العشائر الضيقة ، ومساعدتها المنفردة وغير المنتظمة ، فلم يثمر سوى نكبة القائمين به .

وبعد أن استقر المقام بالفرنسيين في سنة ١٣٣٩ هـ وبعدها وقضوا على الثورات الوطنية ، وبسطوا شدتهم ورهبتهم في البوادي ، كما بسطوها في الحواضر ، وساقتهم قواعد الاستعمار إلى إبعاد العشائر عن سلطة الحكومات المحلية التي أقاموها تحت إشرافهم في بلاد الشام ، وإلى ربط العشائر مباشرة بدوائر الانتداب وتكوين إدارة خاصة دعوها (إدارة مراقبة البدو) عهدوها إلى ضباط عسكريين ، يقودون جنداً خاصاً من متطوعة الأعراب

راكبي الهجن من عقيل النجديين وغيرهم ، وقد ألفوا من هؤلاء في سنة ١٣٤٠ هـ سريتين إحداهما في تدمر ، والثانية في دير الزور ، يعاضدها عند الحاجة مصفحات وطيّارات ، وقد اشتبكت هذه السرايا في معارك عديدة مع الغزاة المتجولين للسلب والنهب وفتكت بهم ، جرى ذلك في سني ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ هـ في بئر بصري والسخنة وجنوبي تدمر ، وأعظمها ما عملته سرية المهجانة الأولى في آذار سنة ١٩٢٤ م (١٣٣٤ هـ) بعشيرة الغياث المشهورة بشقاوتها ونزواتها ، فقد فاجأتها قبل الفجر حينما كانت مخيمة قرب جبل سيس ، ففتكت بها فتكاً ذريعاً ، وكبدتها عشرين قتيلاً ، وعدداً كبيراً من الجرحى وغمّت منها ٤٠٠٠ رأس من الماشية . وأجرت هذه السرايا معارك أخرى مع غزاة شمر وثوار الأكراد في الجزيرة قرب الحدود التركية ، وناوشت مراراً عشائر العقيدات والموالي وأولاد سليمان من الفدعان الخرصة وغيرهم ، وما زالت تعمل وتقتل وتقتل ، وقوادها الفرنسيون يقرضون الغرامات والعقوبات ، حتى تمكنت كما جاء في الكتاب الذهبي لجيش الشرق^(١) من إقرار الأمن في بادية الشام رويداً رويداً ، وفي تلك الفيا في الشاسعة التي لم تألف فيما مضى من العصور غير مرور القوافل وغزوات القبائل ، توفقت الصناعة العصرية دون ما حائل إلى تمديد أنابيب النفط العظيمة التي تصب زيوت العراق في طرابلس ، وأنشأت في محاذاتها نقاطاً لتأمين العمل .

وقد عمل الإنكليز في شرقي الأردن في توطيد الأمن ومنع الغزو مثلهم وأكثر منهم . وتولى كبر هذا الأمر الجلل هناك المقدم كلوب المعروف عند البدو بأبي حنيك ، وكذلك عمل العراقيون في بوادي العراق وجلالة الملك ابن سعود في بوادي نجد ، واتفقت هذه الدول على منع الغزو منعاً باتاً ، فاستتب الأمن في طول البادية وعرضها استتباً لم تر نظيره منذ قرون ، وانقطعت دواعي الشرور وبواعثه وأخلدت العشائر إلى الهدوء والاستقرار ، وصارت تفكر بالتحضر ، وتعني بالرزق الحلال ، وأصبح حالها في أيامنا هذه على غير ما كان يروى عنها ، مما نرجو دوامه وثبوت قوامه في العهد الوطني الحاضر .



أوصاف البدو

البدو ويقال لهم الأعراب بالفتح هم : أهل البادية من العرب والواحد بدوي أو أعرابي بالفتح أيضاً . ولفظة (العرب) قديمة يراد بها في اللغات السامية معنى البدو ، والبادية ، وتلك خصيصة العرب في التاريخ القديم ، قال الأزهري : رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتاً ، وإن لم يكن فصيحاً ، وجمعه العرب ، ورجل أعرابي : إذا كان بدوياً ، صاحب نخعة وانتواء ، وارتياح الكلاء ، وتتبع مساقط الغيث ، وسواء كان من العرب ، أو من مواليهم ، فمن نزل البادية ، أو جاور البادين فظعن بظعنهم ، وانتوى بانتوائهم فهم أعراب أهل وبر ، ومن نزل بلاد الريف ، واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها من ينتمي إلى العرب فهم عرب أهل مدر ، أو أهل حضر ، وإن لم يكونوا فصحاء وقد صار لفظ الأعرابي بعد الإسلام مما يراد به الجفاء وغلظ الطبع ، وكانوا يسمون ذلك في الرجل (أعرابية) فيقولون للجافي منهم : ألم تترك أعرابيتك بعد ؟ وبذلك خرجت الكلمة عن مطلق معنى البادية إلى معنى خاص يلزمها ، قيل وجمع الأعراب : أعراب . قال المتنبي :

من الجاذر في زي الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

هذا وللبدو أوصاف بدنية ، وأشكال وملامح طبيعية ، وخصال وأخلاق وأفكار فطرية خاصة بهم ، يختلفون بها أي اختلاف عن العرب المتحضرين في القرى ، ناهيك سكان المدن . فالبدو ذوو أجسام هزيلة في الغالب ، وقامات متوسطة ، وملامح منتظمة ، ووجوه أسيلة ، وألوان سمراء أميل للسواد ، وجباه عريضة بارزة ، وعيون سوداء وبصاصة وأسارير مقطبة ، وأسنان منتظمة الرحي بيضاء كالثلج ، هذا إلى سعي حثيث ، وجلد غريب ، وطبع نزق ، وطور قلق ، وبصيرة نافذة ، ومزاج عصبي ، وذكاء حاد ، وصحة بدن ، وصراحة جنان ، وطلاقة لسان ، وقناعة متناهية وسط عيش أكثره

شظف ومضض ، وحياة جلها محفوف بالعناء والمخاطر ، وعدم الاطمئنان والهدوء في بوادي جرداء وبراري قفراء وحر لاهب وبرد قارس ، اعتادوا على ذلك كله ، وألفوا أتراحه وأفراحه ، لا يبعغون عنه حولاً ، ولا يقبلون به من ترف الحضارة بدلاً . شديداً الحرص على عرفهم وعاداتهم ، وباقون على السذاجة والفطرة اللتين كانوا عليهما منذ آلاف السنين ، دأبوا على أخلاقهم وخصالهم الصالحة والطالحة ، صعوبة مراس ، وجرأة ، وحساس ، وحفظ ذمام ، وكرم ، وإقراء ضيف مع لوثة وغيث إذا قدروا ، يهيجون للشيء التافه ، ثم لا يقفون في هياجهم عند حد ، إذا ما جرحت كرامتهم أو انتهكت حرمتهم . وهم لا يتكلفون في شيء من أحوالهم وأعمالهم ، ولا يتشاقلون من الأمراض والكوارث ولا يبالون بالحياة بقدر الحضر ، ولا يعملون ويجهدون إلا إذا عضتهم الحاجة بأنيابها ، وهم يهونون الخمول والكسل ، ويحبون الفوضى والخلل ، إذا جاعوا افترسوا ، وإذا شبعوا تنافسوا ، وإذا أصابهم ضم سهروا وتربصوا ، وهم يترقبون الفرص للأخذ بالشار ولو مضت عليه سنون ، وهم يميلون إلى حرية قل أن يجدها حد ، ولكن حريتهم التي يفهمونها هي الحرية الشخصية لا الحرية الاجتماعية ، والوطن الذي يذكرونه ، وموئل الآباء والجدود الذي يعزونه ، هو بيت الشعر وخيم العشيرة السارح ، لا الأرض الثابتة والديار المحدودة والحيطان الممدودة ، والشعور والاعتزاز عندهم أناني فردي قبلي (عشائري) ، فالبدو لا يمدح إلا نفسه وفرسه ومهنده وصارمه ، وإذا افتخر فبأهله وعشيرته ، فهو يتغنى بانتصارها ، ويعدد محامدها ، ويهجو العشيرة الأخرى من أجلها .

ومن أوصاف البدو أنهم ينزلون البادية ، ويسكنون بيوت الشعر ، ويرحلون من مكان إلى آخر ، وهذا الترحال يدعى (انتواء) أو (تبدي) وفي كتب اللغة : نوى القوم بمكان وانتووه بمعنى قصدوه . وأما التبدي فهو : بمعنى الإقامة في البادية ومنه تبدي الحضري وتبادى تشبه بأهل البادية ، ومنها بدا القوم إلى باديتهم أي خرجوا ، وفي الحديث « من بداجفا » أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب .

والتبدي يؤتى على درجات متفاوتة ، فمن الأعراب من يتبدى بلا انقطاع منها كان الموسم ، ومنهم من يستقر في مكانه أغلب أيام السنة ، ولا يتبدى إلا ضمن دائرة قصيرة المدى ، وبين هؤلاء وأولئك بدو تختلف بدواتهم حسب القسم الذي هم منه ، كما سيأتي

الكلام عليه . وفي التبدى تشريق وتغريب حسب المواسم ، فالبدو يقطنون في الصيف (منطقة الاصطياف أو التقيظ) . وفي اللغة : قاط أو يقيظ القوم مكان كذا . تقيظاً ، وتقيظوا : أقاموا به زمن القيظ . والقيظ (أو القيص بلغة بدونا) : شدة الحر ، أو هو : صمم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل ، والمقيظ والمقاط : الموضع الذي يقام فيه وقت القيظ ، وفي موسم الشتاء يذهبون إلى منطقة أخرى بعيدة جداً عن الأولى تدعى : منطقة التشتية ، أو : المشاتي جمع مشى والمشتاة . والانتقال من منطقة إلى أخرى يدعى أيضاً : الظعن أو النجعة . وظعن في اللغة بمعنى : سار ، تقول : ظعنوا عن ديارهم . والظعينة : الهودج فيه امرأة أم لا . وجمعه : ظعون وأظعان . أما : النجعة فهي : طلب الكلاً ، وارتداد مساقط الغيث في مواضعها ، وهي اسم من النجوع ، يقال : خرجوا للنجعة ، أو ينجع القوم الكلاً ، وانتجعوا الكلاً : ذهبوا لطلبه في مواضعه .

والنجعة على نوعين إحداها تتجه من الشرق الجنوبي إلى الغرب الشمالي في بادية الشام ، وفيها انتقال من منطقة التشتية إلى منطقة التقيظ وتدعى : التغريب أو : نجعة الربيع . وتقع في نيسان أو أيار . والثانية تتجه على عكس الأولى وتنتقل من منطقة التقيظ إلى منطقة التشتية وتدعى : التشريق أو نجعة الخريف ، وتقع في تشرين الأول والثاني .

ومسلك النجعة هو : الطريق الذي تسلكه العشيرة في سيرها . والمنتجع هو : المكان الذي تقصده العشيرة للنجعة وتحط فيه ، ومسلك النجعة والمنتجع لكل عشيرة مستقران . إلا أنها قد يتبدلان عند الضرورة وحصول المقدرة على تبديلها .

ومزايا النجعة هي أنها قبل كل شيء (محمّة) إذ أن ضرورة الحياة والعيش من وراء الماشية حتمت على البدو أن يضربوا في البراري والبوادي ، ويطلبوا الكلاً الذي لا ينبت في كل مكان وزمان بالقدر المطلوب ، ومن مزايا النجعة أيضاً : أنها (ممتعة التغير والتقلب) أي أن مناطق النجعة لكل عشيرة هي ثابتة غير متغيرة ، وقد حصلت على هذا الثبات من وضع اليد على مكان النجعة بالسيف ، أو بتوالي استعماله على كر السنين ومرور الزمن ، أو بعد اتفاق وتراض مع غيرها ، وإذا جاءت عشيرة جديدة وهمت أن تتبدى في منتجات غيرها تعرض نفسها فوراً للمهاجمة والمطاردة ، ومن هنا كان أكثر العداوات والحزازات بين

البدو من جراء التنازع على المنتجات ، وطمع القوي وتعديه على الضعيف فيها ، على أن الأمر قد يمكن تسويته بالتراضي ، والدراهم تلعب دورها هنا أيضاً .

أقسام البدو

لنا أن نقسم عشائر زماننا في بلاد الشام حسب عراقتهم بالبداءة وأطوارها ، وبعدهم عن الحضارة ومنازلها ، إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : العشائر الجمالة ، أو أهل الإبل ، ويسمون في اصطلاح الفرنج بالبدو الرحل ، أو بالبدو الأقحاح ، أو البدو ذوي النجعة البعيدة ، ويوصفون بأهل السور ، لأنهم يتخذون بيوت الشعر لسكناهم ، كما يتخذون الخيل لركوبهم ، والإبل لمعاشهم ، فالإبل سفنهم في البر ، يحملون عليها أحاملهم ، وينقلون أثقالهم ، ويأكلون لحومها ، ويقتاتون بألبانها ، وينسجون أروقة بيوتهم من أوبارها ، ويقايضون عليها في المبيعات ، ويعطون منها في الغرامات والديات والمراهنات ومهر الزوجات ؛ فهي في الجملة مصدر غنائمهم ، كما أنهم سبب معاشها ووجودها ، لا يدرون أي خلق لهم وقبلهم ، أم هم خلقوا لها وقبلها ، وهم يدفعون للدولة عنها ضريبة تدعى الودي ، دأبهم الظعن بين قفار البادية وبراري الحضرة ، فراراً من حماة القبيظ تارة ، وصبارة البرد أخرى ، وارتباداً لمواقع القطر ، وانتجاعاً لمنابت الكلأ والمراعي الصالحة للإبل ، فيخيفون هنالك ما ساعدتهم الخصب وأمكنهم الرعي ، ثم يتوجهون لطلب الكلأ ، وابتغاء المياه والدفء في أماكن أخرى ، فلا يزالون في حل وترحال يقطعون ٥٠٠ - ٦٠٠ كيلو متر وأحياناً ٨٠٠ - ١٠٠٠ كيلو متر ، فيصلون في الشرق إلى القفرة ومنطقة الوديان داخل الحدود العراقية ، وهو ما يفعله ضناً بشر من عنزة ، كالعبارات والأسبعة والقدعان ، أو يصلون في الجنوب إلى الحاد حول جبل الشف وجبل عنزة وجبل اللاهة ومنطقة الخبرات داخل الحدود العراقية ، وقرب الحدود السعودية ، وهو ما يفعله ضناً مسلم من عنزة كالأرولة والأحسنة والأشاجعة والسوالملة والعبد الله ، وربما أوغلوا وأبعدوا إلى النفوذ قرب نجد ، وهو ما يفعله أحياناً بعض فرق الأرولة .

وهو أهل هذا القسم في البادية وصحراواتها الشاسعة وآفاقها الواسعة ووحشتها الرائعة وحررتها المطلقة ونباتاتها وحيواناتها الغريبة ، ولا يزالون يذكرون البوادي

وشظف عيشها في منشور كلامهم ومنظومه . قال قائلهم :

وأسري بعيسٍ كالأهلة فوقها نجوم من الأقمار أبهى وأنور^(١)
 ويعجبني نفح العرار وربما شمخت بعزيني وقد فاح عنبر^(٢)
 ويخدش غمدي بالحصى صفحة الثرى إذا جر من أذياله المتحضر^(٣)
 فما العيش إلا الضب يحرشه الفتى وورد بمستن اليرابيع أكدر^(٤)
 بحيث يلف المرء أطناب بيته على العزو والكوم المراسيل تنحر^(٥)
 ويغشى ثراه حين يستعم الثرى ويسمو إليه الطارق المنور^(٦)

وأهل هذا القسم الأول يحتقرون أهل القسم الثاني ويدعونهم : رعية وشوايا ، لاقتنائهم الشياء والمعر ، يعدون ذلك من العار ، إذ تمنعهم عن الإيغال في الببداء ومناجزة الأعداء ، ويمتنعون أهل الحضر والقرى ويدعونهم : فلاليح^(٧) لأنهم متكلمون على الفلح

شرح هذه الأبيات للأستاذ عبد القادر المغربي :

- (١) شبه العيس بالأهلة من حيث ضورها وهزها فكانت منحنية كالأهلة ، ويريد بالأقمار إخوانه ورفاقه من الفتيان ، أو الفتيات الأشراف .
- (٢) العرار من أزهار البادية الطيبة الرائحة ، والعنبر من طيب أهل الحضر ، فهو يقول أن رائحة العرار تعجبه أكثر مما يعجبه فوحان ريح العنبر ، وأنه يشبع من العنبر بعزنيه ، أي أنفه استكباراً واحتقاراً له .
- (٣) أي ويعجبه أيضاً أن يمشي بحصى عشيرته وحيه فيخدش رأس غمد سيفه الأرض ، وهو يمشي مفضلاً ذلك على مشية المتحضر الذي يجرر أذياله على صعيد حضرته .
- (٤) ويعجبه أيضاً من عيش البادية ، أن يحرش أي يسطاد الضب ، وأن يرد من المناهل كل أكدر عكر ، تستن أي : تقفز وتشب حواليه اليرابيع .
- (٥) يريد أن في سكناء البادية يعيش عزيزاً ، ويكون بيته مرفوع العباد على العز ، وأطناب بيته ممدودة على العز ، والكوم : جمع كوما ، الكثيرة لحم السنام ، والمراسيل : النياق السهلة السير ، أي وهناك بجانب بيت عزه ، تنحر النياق للضيافان .
- (٦) الشطر الأول محرف ولا معنى له . ولعل صوابه (ويغشى ذراه حين يستعر الثرى) أي أن مثله كريماً في البادية يغشى ذراه ، أي ظله (كنفه في النهار) الضيوف في وقت اشتد حره حتى استعر ، وتلهب ثراه ، أي تراه الرطيب ، فما بالك صخوره وجلاميده ، أما في الليل ، فالطارق المفاجيء المنور الذي يستشرف ليرى نار الضيافة فيقبل عليها هذا الضيف ، يغشى أيضاً ذراه ليلاً ، كما يغشى ذاك نهاراً .
- (٧) منذ أن حظرت الحكومات الغزو ، ودالت دولة الخيل والإبل بانتشار سيارات الركوب والنقل ، وانصرف بعض هؤلاء إلى اقتناء الشياء لحسابهم ، أو بالاشتراك مع أهل الحواضر ، على نهج أعراب القسم الثاني ، كما أن بعض =

والزراع ، وساكنون بيوت المدر والحجر ، ومعتادون على الرفه وحماية الدولة . ومن أقوالهم القديمة (الذل بالحرث والمهانة بالبقر) ، ويقابلون هذه الأقوال بغيرها (العز بالإبل ، والشجاعة بالخيول) . وهم دائماً كما قال ابن خلدون : يحملون السلاح ، ويتلفتون في الطرق ، ويتجافون عن الهجوع إلا غراراً في المجالس ، وعلى الرحال ، وفوق الأقتاب ، ويتفردون في الصحراء ، وثقتهم في أنفسهم كثيرة حتى صار البأس لهم خلقاً ولذلك أكثر البدو توغلاً في القفر أشدهم بأساً وأجرؤهم على تحمل المشاق . وهؤلاء البدو لا يغشون قرى المعمورة ومدنها إلا للضرورة في سني المحل والظما ، أو للمسابلة ، أي : للامتيار وشراء حاجاتهم وبيع الذكور من إبلهم وخيولهم وبيع أصوافهم .

وهؤلاء في بلادنا - في عرف الملحق رقم ١ للقرار ١٣٢ ل . ر الذي كان الفرنسيون أصدره في ٤ حزيران ١٩٤٠ - هم : الأولوة وتوابعها من أشاجعة وسوالمة وعبد الله وولد علي . ثم الأحسنة والأسبعة البطينات والأسبعة الأعبدة ، والفدعان ولد والفدعان خرصة ، وشمر الزور وشمر خرصة ، وبني خالد والفواعة والموالي والحديدون والعمور والبدور والبوخميس واللهيب والكيار والوهب (ما عدا فخذ السباد) والغياث والنكير والنجاد والصليب والحسن والمساعد والشرفات والعظامات والشنابلة والسردية . وسياقي وصف كل من هؤلاء في الجزء الثاني من كتابنا هذا ، وقد قضى القرار المذكور في المادة ١١ بوجوب خضوع الجنايات أو الجنح المرتكبة بين هؤلاء الرحل بعضهم مع بعض إلى قواعد العرف العشائري وبينهم وبين الحضر ونصف الحضر إلى الحق العادي (المحاكم النظامية) على أنه أجاز أيضاً - إذا طلب المغدور - البت في الجنح أو الجنايات المرتكبة بين الرحل ونصف الحضر وفقاً للعرف العشائري .

القسم الثاني : العشائر الغنامة ، أو أهل الغنم ، ويسمون في اصطلاح الفرنج نصف رحل ، أو نصف بدو ، أو نصف حضر ، أو البدو ذوي النجعة المحدودة ، ويسمون اصطلاح الشاميين (عربان الديرة) تمييزاً لهم عن عربان القسم الأول ، أو يسمون (الرعية) بحكم ارتزاقهم من رعي الماشية . وهذه التسمية إما لأنهم أنقاض العشائر القديمة

== رؤسائهم تذوق طعم الفلح والزراع ، وصار من ملاكي الضياع والقرى ، ومن ساكني الدور والقصور ، فخفت بذلك وطأة المهانة التي ذكرناها ، وهذا من بوادر الميل نحو الحضارة وأول درجاتها .

الشامية وبقاياها التي تمزق صدعها وتشئت شملها ، وإما لأنهم من عشائر متباينة ومنابت مختلفة تجمعوا حول بعض العائلات القوية أو الشخصيات النافذة ، وتبعوها بحكم النزعات العشائرية ، أو الحاجات الاقتصادية ، واستعاضوا بهذه الروابط عن رابطة الدم وصاروا رعايا لهم . ويسمون في أنحاء دير الزور (شوايا) بحكم أنهم رعاة شياه ، وهؤلاء أيضاً : أهل إبل وخيل وحل وارتحال وطعن وضرب ، لكنهم فريقان ؛ فريق لا يرتزق إلا بالضرع أي يارعاء الماشية من الغنم والمعز فقط ، وهذه الماشية إما أن تكون لهم وحدهم ، وإما أن تكون لأهل المدن في حلب وحماة وحمص ودمشق ودير الزور وغيرها ، يشاركونهم في تربيتها ، والمتاجرة بصوفها وسمنها اللذين يدران عليهم وعلى شركائهم في سني الخير ثروة غير يسيرة ، وهؤلاء يقطنون بيوت الشعر ، ويقتنون الخيل والإبل بمقدار أقل من أهل القسم الأول ، ويمقدار يكفي للطعن وراء الماشية فقط . وفريق ثاني يضم إلى الضرع امتلاك الضياع والأرضين واستثمارها بالحرث والزرع ، فهم يقبلون من جهة على الزرع خوفاً من أن تقضي أعوام الصقيع على الماشية ، أو ينقض عليها غزو ينهاها ، أو مرض يهلكها ، ويظلون متعلقين بأهداب الضرع ؛ إما لصغر مساحة الأرض التي يملكونها ، أو لكثرة ما ينتاب الزرع من الآفات كالجراد والحل وحيث أهل القسم الأول وغير ذلك ، أو لأنهم لم يتجددوا بعد عن أطوار البداوة وهوى الحل والترحال ، ورؤية ربيع البادية واستنشاق شيخها وقيصومها . وهم بعد أن ينتهوا من بذر الزرع الشتوية يرحلون في أواخر الخريف إلى البادية انتجاعاً لمرعى غنهم ويعودون في أواخر الربيع إلى منازلهم وضياعهم ليلحقوا أعمال الحصاد والرجاد والدراس للزرع الشتوية ، والبذر والري والتعهد للزرع الصيفية ، وهؤلاء يقطنون بيوت الشعر ، أو قباب اللبن في أنحاء حلب أو الصباييط المبنية من أعواد الطرفاء والغرب ، وأغصان عرق السوس في أودية الفرات والخابور والبلخ من أنهار الجزيرة .

وليس للتقسيم المذكور حد محدود ، فالعشيرة الواحدة قد تكون من الفريق الأول أو الثاني وحدها أو من الفريقين كليهما . وسبب تسمية أهل هذا القسم بعربان الديرة لأنهم مرتبطون بديار خاصة في أطراف الحاضرة ، ومستقرون ولا سياً أهل الفريق الثاني فيها ، ولأنهم ينجعون في الشتاء إلى مسافات محدودة في براري الشامية من البادية ، وهم لا يوغلون فيها أكثر من ٣٠٠ - ٤٠٠ كيلومتر ، مراعاة لمقدرة الغنم ، ولقرب المناهل والآبار

الصالحة لورودها ، فأعراب ديار حص وحما يشتون حول جبل البلعاس وجبل العمور ، كما أن أعراب وادي الفرات يشتون حول جبل البشري ، وأعراب أنحاء دمشق يشتون في ديرة التلول ، وأعراب الجزيرة الفراتية في شرقي نهر البليخ وجبل عبد العزيز وجبل سنجار وقرب وادي عجيج ، ويشد بعض هؤلاء وخاصة من كان عنده ما يكفي من الإبل فيبلغ منطقة الخبرات في الحما ، أو منطقة الوديان في الشامية ، وبعض هؤلاء لا ينجعون البادية أبداً ، بل إنهم لضعف حولهم ، أو قلة عددهم أو ضعة أرومتهم ومكانتهم ، يبقون حول القرى والمدن يتنقلون حسب الفصول في الهضاب والأودية الخالية والبراري والحقول البائرة الممتدة قرب منازلهم أو ضمن حدودها أو حدود مواطن شركائهم ، ولا يخلو قضاء من أقضية بلاد الشام من هؤلاء الأعراب الرعاة .

وأهل هذا القسم يشبهون في الجملة أهل القسم الأول في طباع البداوة والخشونة والشعوثة ، والميل إلى انتهاك حمى فلاحى الحاضرة عند سnoch الغفلة وضعف الدولة ، ويختلفون بأنهم لا يعاملون في عرف البادية معاملة أهل القسم الأول فلا يشهر عليهم الحرب ، ولا يحفظ لهم صعب أى لإجارة الملتجئ إليهم ، بل لما كانوا (رعية وشوايا) يُؤكلون ولا يأكلون . فكان القسم الأول كالدول المستقلة تمام الاستقلال من الأوروبيين ، تعامل بجميع قواعد حقوق الدول ، والقسم الثاني كالدول المستقلة من الشرقيين ، يحافظ على عهودها ، وتحترم ذمتها بحسب قوتها ومنعتها ، والقسم الثالث الذي سيأتي ذكره : كالدول التي لم يصادق على استقلالها ، أو كالإمارات المحمية والمنتدب عليها . ويختلفون أيضاً بأن لهم استعداداً بارزاً للتحضر ، فقد صار بعضهم أهل مدر ، أي أصحاب قرى وضياح يقطنون فيها ويستثمرون أرضها ، ولآخرين منهم علائق جمة مع تجار الماشية ، أو التجار السوقية في المدن والحوضر ، يشاركونهم في تربية الغنم أو زراعة الحبوب ، وهم يؤدون للدولة عدا ضريبة الأغنام العشر عن الأرضين ، وهؤلاء كما حددتهم الملحق رقم ٣ للقرار ١٣٢ ل في (منطقة دمشق) عشائر حرب والصياد والجملان والنعيم والفضل والسلوط ، وفي (منطقة سامية) نعيم حص وحما والبشام والخرابين والتركي والعقيدات والطوقان الرعية والمشارفة الرعية وبنو عز الرعية ، وفي (منطقة حلب) النعيم والبويل والسماطية والعقيدات والبوشيوخ والمشاهدة وفرقة السباد من عشيرة الوهب والولدة والبقارة ، و (في منطقة دير الزور) العقيدات والأبو سرايا وبقارة الزور والأبو شعبان

عشائر الشام (٩)

- ١٢١ -

أي العفادلة والسبخة والأبو عساف وأبو سبيع والولدة ، و (في منطقة الحسجة) بقارة الجبل وبقارة الأبو معيش وملّي محمود بك وطبيء والجبور والشرابين .

وقد جعل القرار المذكور هؤلاء يتبعون قواعد الحق العادي (المحاكم النظامية) في دعاويهم ما زالوا في المعمورة ويتبعون قواعد العرف العشائري ما زالوا في البادية .

هذا ومع وجود الفروق المذكورة بين أهل هذا القسم وأهل القسم الأول يحاول هؤلاء مساواة أولئك في كل الحقوق والأمور ، وينكرون أن يكون بين القسمين أي فرق ورجحان ، ويرغبون أن يكونوا على قدم التعادل في اتباع الأصول العشائري في كل ما ينالونه من امتيازات وأعطيات وحيثا كانوا ، وما يقولونه أنه إذا كان لأهل القسم الأول إبل وخيل وحل وارتحال فلأهل القسم الثاني من ذلك نصيب وافر ، وإن كان لأهل القسم الثاني حرث وزرع وعقار وملك فأهل القسم الأول صاروا بذلك مثلهم ، فعلام التمييز في قولهم : رجل ونصف رجل ؟ ولم لا يكون في الدولة قانون واحد يشمل جميع العشائر دون تفریق أو تمييز ولم يسلح الرجل ويمنع السلاح عن نصف الرجل ، ويفسخ المجال لطغيان جانب على آخر ، ولم يتبع الرجل أصول العشائر ، ويتبع نصف الرجل الحق العادي ، ولم تلحق إدارة نصف الرجل بحفاظي المحافظات والرجل لا يلحقون ؟ إلى آخر ما هنالك من الاعتراضات والمدعيات التي ما برحوا يقدمونها إلى الحكومة ويذكرونها في المجلس النيابي ، ولما تنته بعد .

القسم الثالث : العشائر المتحضرة المستقرة أهل المدر ، وهم الأعراب
 الفلاحون (الفلاحي) ، الذين أيقنوا أن العيش الشابت خير من المتقلقل ، وأن من يلجأ لحمل الدولة أهناً بالأمن يتكل في حمايته على نفسه وعصبيته ، فتركوا الأباعر والأبعار والظعمون والأسفار ، وعمرؤا الحرب الدائرة ، وهجروا بيوت الشعر إلا قليلاً ، وتحضروا وصاروا أهل مدر أي أنهم قطنوا بيوت الحجر والطين أو القباب أو الأكواخ وتوفروا على الحرث والزرع أكثر من تربية الماشية ، من هؤلاء في شمالي الشام القاطنون في أفضية جرابلس ومنبج والباب وأعزاز وإدلب والمعة ، وفي جبل الأحص ومطخ قنسرين وسهل العمق وسهل الروج وسهل الغاب وفي وسط الشام وجنوبه في أفضية حماة وسلمية وحص

والجولان والزوية ممن تعددت أسماؤهم وصغرت أنسابهم وأحسابهم ، وأهل هذا القسم أيضاً وإن كانوا يغشون دائماً المدن والقرى ويشاركون أهلها ويعاشرونهم ويتصلون بمرافقها ومراتعها ، وقد صاروا فلاحين وقرويين بالمرّة ، لكنهم ما برحوا محتفظين بقسم غير يسير من خصال البداوة ، فهم يتمسكون بالقشافة والجهالة ، ويتوانون عن العمل الصالح في الزرع والحراث ولا سيما في الغرس .

☆ ☆ ☆

الحالات الاجتماعية عند البدو

أخلاقهم ومزايهم الغابرة والحاضرة

كان العرب في الجاهلية في طور البداوة ، وحالاتهم الاجتماعية وأخلاقهم ومزايهم بدوية محضة ، ومن هنا كان ما تذكره كتب التاريخ والأدب عن عرب الجاهلية ينطبق جله على البدو في مختلف العصور ، وحتى على بدو عصرنا الحاضر ، ولذا فقد رأينا استكمالاً للأبحاث كتابنا هذا ، أن نذكر الأخلاق والمزاي لدى عرب الجاهلية أو بدوها أولاً ، ثم بدو العصور الإسلامية المتوسطة ثانياً ، ثم بدو عصرنا الحالي ثالثاً ، ليقارن القارئ بينها ويبدي حكمه على ما زال باقياً منها ، أو غائباً عنها .

فما قيل في وصف الحالات الاجتماعية والأخلاق والمزاي عند عرب الجاهلية ما ذكره ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) في فصل : وفود العرب على كسرى ، عن الخصال التي كانت تفخر بها عرب الجاهلية ، وقد سردها النعمان بن المنذر أمام كسرى حينما مدح هذا كل الأمم في عصره وضم العرب ، وإننا نقتطف منها ما يلي :

قال كسرى : « لم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوة ، وما يدل على مهانتها وصغر همتها محلثهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع ، لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدها مكرمة ، وإن أطعم أكلة عدها غنية ، تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم » .

فكان مما قاله النعمان جواباً لكسرى : « العرب لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، وليس أحد من العرب إلا يسي أباه أبا فاباً ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعي إلى غير أبيه ، وأما سخاؤهم فإن أدنانهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب ، عليها بلاغه في حمولة وشبعه وريه ، فيطرقة الطارق الذي يكتفي بالفلذة ، ويجتزئ بالشرية فيقعرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحداثة وطيب الذكر ، ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء ، ولباسهم أفضل اللباس ، ومطايهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر ، وأما وفاؤهم فإن أحدهم يلحظ اللحظة ، ويومئ الإيماء فهي ولث وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه ، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض ، فيكون رهناً بدينه فلا يغلق رهنه ، ولا تخفر ذمته ، وإن أحدهم ليلبغنه أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره فيصاب ، فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تنفي قبيلته ، لما خفر من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله ، وأما قولك أيها الملك : يئدون أولادهم فإنما يفعل من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيره من الأزواج . وأما قولك : إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها ، فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له ، فعمدوا إلى أجلها وأفضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوماً ، وأطيبها حوماً ، وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مضغة ، وأنه لا شيء من اللحمان يعالج به لحما إلا استبان فضلها عليه ؛ وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الاتقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفاً ، وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف ، وأنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم وينقادون لهم بأزماتهم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين . . . إلى آخر ما قال » .

وجاء في : تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ للشيخ محمد الحنظري ما يلي :

(الرجل في أهله) - ونريد بالأهل خصوص الزوج :

يظلم العربي من زعم أنه كان ينظر إلى المرأة نظرة استخفاف أو إهانة ، فإننا إذا كنا نستقي تلك المعاملات من شعرهم الذي هو ديوان أخبارهم ، نرى الأمر على العكس من ذلك ، فقد كان الرجل إذا أراد أن يمتدح بماله في نظر العرب من المقام السامي في الكرم والشجاعة لم يكن يخاطب في أكثر أوقاته إلا المرأة التي إن رقي في نظرها ، فقد رضي الناس كلهم عنه ، وترى ذلك واضحاً جلياً في أشعار حاتم الطائي شيخ الكرام ، وعنزة العبيسي شيخ الشجعان ، ثم انظر إلى أي شجاع من العرب : هل كان يفتخر إلا محدثاً امرأة من قومه بأنه المدافع عن الحرم الحامي للحقيقة ، تراه إذا عزلته على السرف وأشارت عليه بالقصد يجيبها بأرق ما تجيب به مخالف في الرأي :

ألم تعلمي يا عمرك الله أنني كريم على حين الكرام قليل ؟

أولا ترى أن جميع الشعراء إذا بدؤوا قصائدهم التي بها يفخرون بحامد قومهم وعظيم مقاصدهم ، لا يذهبون إلى شيء من ذلك حتى يعطوا المرأة قسطها مما تحب من النسيب ، يرون أن شعرهم بدون ذلك يفقد الطلاوة المقبولة ، وتراهم حينما يخاطبونها وهي ذات زوج يلقبونها بخير الألقاب ، فيقول أحدهم :

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي إليك رجال القوم والقربا

فأعطاؤها هذا اللقب الجميل يشعر بما كان لها في النفوس من سمو الدرجة ، وما أحلى احتراسه في قوله غير صاغرة ، ويقول الآخر لزوجته :

سلي الطارق المعتري يا أم مالك إذا ما أتاني بين قدري ومجزري
أيسفر وجهي من أول القرى وأبذل معروفني له دون منكري

فلا يناديها إلا بكنتيتها ، وهذا من سمات التشريف في عرفهم . وبالجمله فإن المتتبع لأشعار العرب لا يشتم منها رائحة الصغار والإهانة للمرأة ، ويفخرون بنسبتهم إلى أمهاتهم ، كما يفخرون بنسبهم إلى آبائهم ، وكانت المرأة فيهم إذا أرادت فرقت ، وإن شاءت جمعت ، فإن اتجهت عواطفها للسلام سعت إليه ونجحت ، وإن وجهتها لإرادة الانتقام إلى الشر أشعلت النار بين الأحياء .

قال الحارث بن عوف المري لخارجة بن سنان - في إبان الحرب بين عبس وذبيان -
أتراني أخطب إلى أحد فيردني ، قال نعم : أوس بن حارثة بن لام الطائي ، فقال الحارث
لغلامه : هيء لي مركباً ، ثم ركب هو وغلامه ومعهما خارجة حتى أتيا أوساً فوجداه في
داره ، فلما رأى الحارث رحب به ، وسأله عن مجيئه ، فقال جئتكم خاطباً ، فقال أوس :
لست هناك ، فانصرف ، ولم يكلمه . ثم دخل أوس على امرأته مغضباً - وكانت من عبس -
فقالت : من رجل وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه ، قال : ذاك سيد العرب الحارث بن
عوف ، قالت : فما بالك لم تستنزله ، قال إنه استحمق ، جاءني خاطباً ، قالت : أفتريد
أن تزوج بناتك ، قال : نعم ، قالت : فيأذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال : قد كان
ذلك ، قالت : فتدارك ما كان منك ، فالحقه ، وقل له : إنك لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم
مني فيه قولاً ، فلم يكن عندي من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل
ما أحببت ، فإنه سيفعل ، ففعل ذلك أوس ورد حارثة ، فلما وصلوا إلى بيت أوس . قال
أوس لزوجته : ادعي لي فلانة لكبرى بناته ، فأتته ، فقال : يا بنية هذا الحارث بن عوف
سيد من سادات العرب وقد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت أن أزوجه منه . فقالت :
لا تفعل لأنني امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمي ،
وليس ببارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره ، فيطلقني ، فيكون
علي في ذلك ما فيه ، قال : قومي بارك الله فيك ، ثم دعا الوسطى ، فأجابته بمثل جوابها
وقالت : إني خرقاء ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره ، فيطلقني ،
فيكون علي في ذلك ما تعلم ، ثم دعا الثالثة وهي بهيئة صغراهن ، فلما عرض عليها ،
قالت : أنت وذاك فأخبرها بإباء أختها ، فقالت لكني والله الجميلة وجهاً ، الصانع يداً ،
الرفيعة خلقاً ، الحسبية أباً ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير ، فزوجها الحارث وهيئت
له في بيت أبيها ، فلما خلا بها ، وأراد أن يمد يده إليها ، قالت مه أعند أبي وأخوتي هذا
والله ما لا يكون ، فارتحل بها حتى إذا كان ببعض الطريق وأراد قربانها ، فقالت كما يفعل
بالأمة الجليلة ، أو السبية الأخيدة ، لا والله حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو
العرب وتعمل ما يعمل لمثلي ، فرحل حتى إذا وصل ديار قومهم ، أعد لها ما يعد لمثلها ،
فلما أراد قربانها قالت له : أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها ، اخرج إلى هؤلاء
القوم ، فأصلح بينهم ، ثم ارجع إلى أهلك ، فلن يفوتك ، فخرج الحارث مع خارجة بن

سنان فأصلحا بين القوم وحملوا الديات ، وكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين .

فهذه الحكاية تدل على مكانة المرأة في نظرهم ، ومشاركتها لهم في جميع أمورهم ، وكيف كان الرجل لا يزوج بناته إلا بعد أن يستشيرها ويقف عند إرادتها . ولا يمكننا أن ندعي بأن هذا كان أمراً عاماً عندهم بحيث تكون المرأة محترمة الجانب في جميع الطبقات ، تعامل هذه المعاملة من جمهور الأمة ، ولكن الذي يمكننا أن نقوله هو : أن ظهور هذه المعاملة على ألسنة الشعراء الذين هم بمثابة لسان الحال من غير أن يقابلوا بالنكير يدل على أنه لم يكن عندهم بدعاً من العمل .

... أما معاملتهم لأبنائهم فكانت معاملة من يرى الولد ليكون له درعاً حصينة يتقي بها العدو ، ولذلك كانوا يتخيرون لهم شر الأسماء من كلب وأسد وثور وفهد وغر وما شاكل ذلك ، وكان لهم من الخنوع على الأولاد ما يعبر عنه قول أحدهم :

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

... أما معاملة الرجل لأخيه وبني عمه ، فتستدل بهذه الجملة التي قالوها (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) ، وكانوا يسيرون عليها بمعناها الحقيقي ، من غير التعديل الذي جاء به الإسلام ، لأن الإسلام فسّر نصرَ الظالم بكفه عن ظلمه .

أما هم فكانوا ينصرون إخوانهم وبني عمهم نصراً حقيقياً على كل حال في صوابهم وخطئهم ، وعدلهم وظلمهم ، والذي يتأخر منهم عن هذا الانتصار تقابله ألسنة الشعراء بما يغض من كرامته ، وينقصه من قدره ، وربما أصاب الذم القبيلة جمعاء من حادثة لم يقوموا فيها بنصر أحدهم ، كما قال شاعرهم :

لو كنت من مازن لم يستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقمنا بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذلوثة لانا... إلخ

وإذا دخلت قبيلتان منهم في حلف ، كان لكل فرد من إحدى القبيلتين النصرة على أفراد القبيلة الأخرى ، وهذا الحلف قد يعقده الأفراد وقد يعقده رؤساء القبائل ، والأمر واحد في الحلفين . وبينما هذه حالهم في بني أبيهم دنيا وفي حلفائهم ، إذا بك تراهم حين تتشعب البطون قد نافس بعضهم بعضاً في الشرف والثروة ، فتجد القبائل يجمعها أب

واحد ، وكل واحدة قد وقفت لأختها بالمرصاد ، تنتهز الفرصة للغض منها ، والاستيلاء على موارد رزقها ، وترى العداء قد بلغ منها الدرجة التي لا تطاق ، كما كان بين بطني الأوس والخزرج وبين عبس وذبيان ، وبين بكر وتغلب ، وبين عبد شمس وهاشم ، وكما تراهم في الجملة بين ربيعة ومضر ، وبين قيس وكنانة ، وبين القحطانية والزارية . فكانت روح الاجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة ، تزيدها العصبية حياة ونمواً ، ولكنها كانت مفقودة تماماً بين القبائل المختلفة ، فكانت قواهم متفانية في حروبهم . والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين :

الأول - التنافس في مادة الحياة بين بني الأب الواحد . فإننا نعلم أن حياة العرب كانت على مراعيهم التي يسمون فيها أنعامهم وعلى مناهلهم التي منها يشربون ، وهي محل نزاع دائم ، لأنه لم يكن يوجد عند العرب حقوق ملكية محترمة في الكلاً والماء . وأكثر ما يبتدئ ذلك بين رعاة الإبل القائمين بشأنها ، فإنهم قد يتنازعون فين يرد الماء أولاً ، أو في نفس المراعي ، فيتجاوزهم النزاع إلى ساداتهم ، فلا يجدون من الافتراق بدأ . فينزع أحد الأخوين عن داره مرغماً إلى مكان آخر هو وأولاده ومن يلوذ به ، ولا يكون ذلك إلا بعد أن يشعر الراجل بقوة منازعه فينزع ، وفي النفس أثر من الغضب يورثه الآباء للأبناء فيتناقلون بينهم أحاديث عن أسباب الخلاف والظلم يجسمها النقل ، وإذا تقارب مكان البطنين كان العداء أبقي .

السبب الثاني : تنازع الشرف والرئاسة ، وأكثر ما يكون ذلك إذا مات أكبر الأخوة وله ولد صالح يكون موضع أبيه ، فينازع أعمامه رئاسة العشيرة ولا يسلم أحد منهما للآخر فيورثها ذلك تباغضاً ، تزيده الأيام شدة ، وقد يفارق رئيس أحد البيتين الديار ، مضراً في نفسه ما فيها من العداوة والبغضاء ، وقد يبقيان متجاوران ، وفي هذه الحال يكون التنافر أشد ، كما كان بين الأوس والخزرج سكان المدينة ، وكما كان بين هاشم وأمّية بمكة ، وبين عبس وذبيان من قيس ، وبين بكر وتغلب من ربيعة ، وبين دارم ويربوع من تميم ، ولذلك نرى الحروب الهائلة والأيام المديدة إنما كانت بين القبائل المتقاربة في الأنساب المتقاربة في الأمكنة .

ولم يكن لهم نظام يلجؤون إليه في الحكم بين المتنافرين في الرئاسة والشرف ، وإنما

كانوا في بعض الأحيان يلجؤون إلى حكم منهم ، قد عرف بأصالة الرأي ، ويقدم كل من المتنازعين بين يديه ، بمساعدة مريديه ، ما يشرفه في النفوس ، ويعظم أمره من نحر الجزر وإطعام الطعام ، وكانت تكون المصيبة أشد إذا حكم الحكم لأحد الفريقين ، لأن ذلك إنما كان يزيد نار العداة ضاماً .

وإذا كان الحكم عارفاً بدخائل العرب ، سوى بينها في الفضل والشرف ، كما فعل قاضيهم حينما حكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريين ابني العم فإنه قال لها : أنتما كركبتي البعير ، وهذا حكم لا يحسم النزاع ولا يعدم كل منهما أن يبدله شعراً يلهبه ويزيد في نفسه نعة الجاهلية ، كما فعل الأعشى في هذه القضية ، فإنه قال القصائد الرنانة ، يفضل بها عامراً ، ويزعم أن الحكم قضى له . وما كان يزيد في هذه النيران شدة السنة الشعراء ، فقد كان هم الواحد منهم أن يرفع عشيرته بكلمة شعرية ، يعدد بها مفاخر قبيلته ، ومثالب القبيلة الأخرى ، وإذا زل أحد أفراد القبيلة زلة عدوها على القبيلة بأسرها ، ووسموها بتلك السمة ، حتى إذا قرأنا مجموعة من أشعار هؤلاء الغاوين وجدنا العرب كلها مثالب ونقائص . لأن كل شاعر يعدد مثالب القبيلة التي تعادي قبيلته المعترف لها بالتبريز في السيادة وفيها البيوتات الكريمة قد وسمت على لسان شاعر بما يستحي الإنسان من إنشاده ، ولم تسلم من ذلك الشر قبيلة واحدة .

ومتى وجد النفور بين جماعتين ، أو بين شخصين ، لا يحتاج شوب نار بينهما إلى أسباب قوية لا يمكن حلها بل أيسر نزاع بين فردين من أفراد القبيلتين كاف لشوب نار الحرب وتيتيم الأطفال وتأييم النساء . لذلك كانت الجزيرة العربية دائمة الحروب والمنازعات ، قلما يخلو منها زمان أو مكان ، وإذا رجعت إلى أسبابها المباشرة وجدتها في بعض الأحيان تافهة ، كما كان في حروب الفجار ، وفي البعض الآخر ، نراها أموراً يمكن حلها على أسهل الوجوه ، كالحروب بين عبس وذبيان ، وبين بكر وتغلب ، ولكن الأسباب الحقيقية سابقة على ذلك ، هي النفور المتأصل في القلوب كما ذكرناه .

... من الأخلاق التي كانت للعربي (سرعة الانفعال والإقدام على المكاره) تراه ساكناً مطمئناً ، فلا تحتاج في هيجه إلا إلى كلمة صغيرة ، أو فعلة حقيرة ، يتخيل معها أن قد مس شرفه ، فتجده زار كالأسد ، خرج من مكانه ، لا يترث حتى يستطلع جلية

الأمر بل يقدم منكباً عن ذكر العواقب جانباً . وهذا الخلق أكثر ما تراه في قبائل البادية الذين كانوا لا يخشون سجناً ولا أحكاماً من جراء أفعالهم بل هم بالعكس ينتظرون النصر المؤزر من أقوامهم وحلفائهم ، والنفس إذا أحست بما يضرها ، انفعلت وتهياً لها طريق الانتقام ، فإذا لم تخش العادية أقدمت ، ومن هنا كان من السهل تحريك عامتهم إلى السير في طريق الحروب ، بقليل من الكلمات . وكانت هناك كلمات تحرك قلب العربي ، كما في كل أمة وأرقاها ، درجة في التأثير يا لفلان ، وإذلاه ، وانصيراه ، شرف الآباء ! وما شاكل ذلك ، ولم يكن عندهم شيء من بلادة الطبع التي تجعل صاحبها يألف سماع ما يهين شرفه حسبها يتخيل ، ويتبع هذا الخلق : الجرأة على سفك الدم ، لأن النفس متى تهياً لها طريق الانتقام وقدمت ولم تخش عقوبة لم تكتف بدون الموت لمن تريد الانتقام منه ، ومن هنا كان خلق الحلم فيهم عزيزاً ، اللهم إلا في سادتهم ، وذوي الأسنان منهم ، ولذلك كان المعروفون بالحلم منهم قليلين .

ومن أخلاقهم (التعصب) ومعناه أن ينصر ذا عشيرته على أية حال يرون ذلك من مقومات حياتهم . وقد سمى القرآن هذا الخلق وما قبله حمية الجاهلية ، لأن فيها نتيجة من نتائج الجهل وعدم التثبت .

ومن أخلاقهم المتأصلة فيهم (الكرم) وقد استنفذوا فيه نصف أشعارهم بين ممتدح به ومثن على غيره . كان الواحد منهم يأتيه الضيف - في شدة البرد والجوع - وليس عنده من المال إلا ناقتة التي هي حياته وحياة ولده فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها ويدبجها لضيفه ، يخشون مذمات الأحاديث ويقول قائلهم :

وأعلم بأن الضيف يو ماً سوف يحمداً أو يلوم

ومن أخلاقهم الذي كانوا يمتدحون بها ويعيبون من خالفها (الوفاء بالعهد) فقد كان العهد عندهم ديناً يتسكون به ، ويستهنون في سبيل الوفاء به قتل أولادهم وتخريب ديارهم . انظروا إلى ما فعله هانئ بن مسعود الشيباني بسبب أدرع النعمان بن المنذر وأولاده ، حيث عرض نفسه وقومه لحرب أضخم دولة وهي الدولة الفارسية فأغضب ملكها ونائبه على الحيرة ، غير مبال بما يصيبه ويصيب قومه من جراء ذلك . ثم انظروا إلى ما فعله السموءل بن عاديا وهو عربي المقام والمولد حينما خيره الحارث الغساني بين

قتل ولده وتسليم أدرع امرئ القيس بن حجر الكندي التي كان أودعها عنده ففضل قتل ولده . ثم انظر إلى ما فعله حاجب بن زرارة التميمي سيد بني تميم كيف وفى للملك بما تعهد به بعد أن رهن على ذلك قوسه عند كسرى حتى ضرب المثل بقوس حاجب ، والقوس في الحقيقة لا يمنع رهنها من فعل ما يشاء إن كان من شيمته الغدر ، وإنما خاف السبة على بنيه من بعده إذا هو غدر . وما يبين لنا قيمة هذا الخلق في الأمة العربية أنهم كانوا إذا زل واحد منهم زلة فغدر بذى عهد أصلاه الشعراء ناراً حامية ، وقلما يفلح بعدها أو يرفع له رأساً بين العرب .

ومن أخلاقهم التي كانت بجانب الكرم والوفاء (الشجاعة) ، وهي قوة في النفس تحمل صاحبها على الإقدام على المكروه ، وباب الحماسة في أشعارهم أكبر من باب الكرم ، لأن الشجاعة خلق يظهر في جميع الأفراد . أما الكرم فإنه لا يظهر أثره بجلاء إلا عند أرباب الأموال الذين يمكنهم أن يعطفوا على الفقراء والمعوزين . وقد اشتهر من العرب كثيرون امتازوا على أقرانهم في شدة البأس وقوة القلب . وكان فيهم من نتائج حمية الجاهلية ضعف خلق الرحمة بمن يقع تحت أيديهم من أعدائهم .

وقد بقيت بعد ذلك أخلاق كانوا يتواصون بها في أشعارهم ، ولكننا لا يمكننا أن نقول أنها كانت أخلاقاً عامة لجمهورهم ، ومن يطلع على كلامهم في أبواب الأدب يجد من وصاياهم الجميلة وحكمهم الجليلة شيئاً كثيراً ، يذهب بنفس قارئه كل مذهب ، ويجعله يحكم أن هذه الأمة مع ما كانت عليه من البداوة وشظف العيش لم تخل من حكام أودعوا أشعارهم ما يفيد من بعدهم .

وقال أحمد حسن الزيات في (تاريخ الأدب العربي) :

إن لمناخ الإقليم أثراً طبيعياً قوياً في حياة أهله . فهو الذي ينهج لهم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم ، ويكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم . والعربية شبه جزيرة جافة قاحلة ، قلما يجودها الغيث ، وتوأتىها السيول ، فهي لا تصلح للزروع الدورية ، ولا تلائم الحياة الحضرية . ومن ثم كان أهلها بدواً^(١) بالفطرة يعيشون تحت الخيام على رعي

(١) يدل على أن البداوة خصيصة العرب في التاريخ القديم أن لفظ العرب يراد به في اللغات السامية معنى البدو والبادية .

الأنعام ، فيطعمون من لحمها ولبنها ، ويكتسون بصوفها ووبرها ، ويبتغون بها مواقع القطر ورياض الأرض ، ويسبون فيها ، ويرددونها بين أوديتها وفيافها إلا قريشاً ، فتحضروا لقيامهم على البيت الحرام وإيلافهم رحلة الين والشام ، وإلا القحطانيين لحظ ديارهم من الخصب والمطر ووفرة ما تفعله أرضهم من الحب والثر . فإذا أخلفت السماء وأحلت وجوه الأرض أكل بعضهم بعضاً بالإغارة والغزو ، وجريرة ذلك عليهم فساد القلوب ودوام الحروب وذهاب الأمن وتشعث الألفة . ولم ينكب الجاهليون بمثل الحرب والجذب . فهم لذلك يتمدحون بالبأس والساحة ، ويتجحون باللسن والفصاحة ، ويؤثرون الذكر ويثرون^(١) الأثنى ، ويتكاثرون بالنفر العديده ، ويعتزون بالقراية الواشجة .

ثم كان من إلفهم حياة الظعن والتجوال وتوزع همهم بين الجدال والقتال أن غلبت عليهم الحرية والمعصية والوحشية ، فلم تكن لهم مدينة اجتماعية ولا حكومة سياسية ولا أنظمة عسكرية ولا فلسفة دينية . وإنما كان المجتمع مجتمع القبيلة والخيرة ، لا مجتمع الشعب والأمة ، والحكومة كانت لرؤساء العشائر يملكون بالإرث ويحكمون بالعرف ، فلم تكن الجرشيّة^(٢) كحكومة الإغريق ، ولا ملكية كحكومة المصريين والفرس . اللهم إلا في الحيرة والشام ، فقد كان لهم ملوك متوجون ولكنهم غير مستقلين ، فاللخميون في الحيرة يتبعون الأكاسرة ، والفسانيون في الشام يتبعون القياصرة . وإذن فعاني الحضارة والرأي العام والأرستقراطية والديمقراطية والإقطاع لا ألفاظ لها عند العرب والساميين جميعاً ، والنظام العسكري حتى بعد الإسلام كان غير ثابت ولا منظم ، لأن نظام المرويسية والتجرد عن الشخصية - وهما الركنان الأساسيان في العسكرية - يضادان إعجاب العربي بنفسه واعتماده بشخصه ، والدين كان دين بساطة وسذاجة وتقص ، فلم يكن للعرب ما للإغريق من تعدد الآلهة وفخامة الهياكل وإقامة التماثيل ووفرة الأساطير وفلسفة العقائد ، وإنما كان بقية أثرية من دين إبراهيم جاءتهم من وراء القرون عن طريق الوراثة مشوهة لتطاول العهد وتحكم الجهالة وعدم القرار ، فحالت في نفوسهم إلى عبادة الأصنام وتعظيم

(١) لم يكن الواد عاملاً في جميع العرب وإنما كان خاصاً ببعض قبائل تميم وأسد يفعل من يفعله منهم خشية الفقر .
وإلى ذلك أشار الكتاب في قوله : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

(٢) الأفرشيّة oligarchie حكومة يحصر السلطان فيها في يد بعض الأسر القوية .

الأوثان^(١) ونصبها على الكعبة تقرباً بها إلى الله على زعمهم . وهذه الوثنية كان الكثرة من العرب ، أما القلة فكان بعضها على اليهودية في الين وفي يثرب وما جاو أرض خيبر وتيأ وبعضها على النصرانية بنجران والحيرة وفي قبائل طيء والغساسا . الشام^(٢) .

أما الأسرة وهي نواة القبيلة فقد كان حالها أشبه بحال المصرية الريفية اليوم . من الأبوين والأولاد والأحفاد والرقيق . وكان سلطان الأب مطلقاً على أهله ؛ يملك الموت والحياة والبيع والانتفاء . فربما وأد ابنته خوف الفقر ، وانتفى من ابن أمتة العار . وكان للزوجة المكانة السامية الثانية في الأسرة ، يحلها الزوج في نفسه ، ويشر أمره ، ويتغنى باسمها في شعره ، ويفخر الولد بنسبته إلى أمه كما يفخر بنسبته إلى وكان عقد الزواج هو الرابطة الغالب بين الرجل والمرأة ، وللرجل وحده حق الطلاق يشترط عند العقد خلاف ذلك . ثم كان لهم أنواع أخرى من الزواج هي أشب بالمسافحة لا يعقدها إلا أولو الدعارة من الشباب . ويقرب من هذه الأنواع زواج تعقده السيوف والأسنة ، وذلك أن أحدهم يلقي رجلاً معه طعينة وليس من قبيلته و أحلافها ، فيتقاتلان ، فإذا قهره أخذها منه سبية واستحلها بذلك . وكانوا يعددو الزوجات إلى حد غير معروف ، ويحلون التزوج من امرأة الأب ، ويحرمون البناء ب والأخت والعمة والخالة . أما علاقة أبناء الأسرة بأبناء القبيلة فجمعها مدلول هذه الجاهلية : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) على ما بين أبناء العم من تنافس وتباذ ولكن القبيلة للواحد والواحد للقبيلة .

وأما حالهم العقلية فقد كان التبابعة بالين والمناذرة والغساسنة في الشمال على من العلوم يدل عليه ما أقاموه من السدود وأحيوه من الأرض وعمره من المدن . درجة رقيهم وحقيقة علومهم لا تزال سراً مطوياً في جوف الأرض ربما كشف عنه الة عن الآثار بعد قليل .

(١) الصم ما كان على صورة إنسان من حجر أو فضة أو ذهب ، والوثن ما كان حجراً غفلاً من الصنعة .

(٢) ويهودية العرب ونصرانيتهم أيضاً كانت مشوهة غير تامة ، وكانوا يتبعون في النصرانية مذهب اليعاقبة على ضئيل .

أما العدنانيون فقد أكسبتهم قوة الملاحظة وكثرة التجارب واضطرار الحاجة طائفة من العلم المبني على التجربة والاستقراء والوهم . فعرفوا الطب والبيطرة والحيل لاتصالها بالحرب ، ولاحظوا الأنواء والنجوم والرياح لعلاقتها بالكلأ والغيث ، وليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر . وبرعوا في الأنساب والأخبار والأشعار ، محافظة على عصبيتهم وتحديثاً بمفاخرهم وتخليداً لمآثرهم . ومهروا في الفراسة والقيافة^(١) ووصف الأرض لكشف الدعيّ فيهم وطلب المهارب منهم . ثم قادم الجانب الروحي فيهم إلى الاعتقاد بالكهانة^(٢) والعرافة والزجر ففزعوا إلى الكهان في أمراضهم واستفتوا العرّافين في أغراضهم حتى ذهب الإسلام بكل ذلك .

وجملة القول أن المجتمع العربي خارج القبيلة كان مفككاً من الجهة السياسية والاقتصادية واللغوية مرتبطاً من الجهة الخلقية والعقلية والأدبية . ولو ساع لنا أن نحكم على العرب بمقتضى لغتهم وأديهم لوجدنا لهم نفوساً كبيرة وأذهاناً بصيرة وحكمة خبيرة ومعارف واسعة كوّنوا أكثرها من نتائج قرائحهم وثمار تجاربهم . فإن لغتهم وهي صورة اجتماعهم لم تدع معنى من المعاني التي تتصل بالروح والفكر والجسم والجماعة والأرض والسماء وما بينها إلا استوعبت أسماءه ورتبت أجزائه^(٣) ووضع اللفظ للشيء دليل على وجوده وعلمه . ولعمري ما يكون التمدن اللغوي إلا بعد تمدن اجتماعي راق في حقيقته وإن لم يرق في شكله ، عام في أثره وإن لم يعم في أهله .

وفي تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان في فصل (العصبية العربية قبل الإسلام) ج ٤ ص ١٠ ما يلي :

العرب جمهورهم من البدو ، والعصبية ضرورية لأهل البادية . لأن الناس

(١) الفراسة هي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية كالاستدلال بشكل المرء ولونه وقوله على خلقه . والقيافة قسبان : قيافة الأثر وهي الاهتداء إلى المهرب بأثار قدمه وقيافة البشر وهي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكل أعضائه على نسبه .

(٢) الكهانة والعرافة مطالعة الغيب والأخبار بالحوادث الماضية والآتية . وقد يخصون الكاهن بعلم المستقبل والعراف بعلم الماضي ، والزجر هو الاستدلال بصوت الحيوان وحركته وحالته على الحوادث ، فكان الرجل يعمد إلى الطائر مثلاً فيرميه بحصاة أو يصيح به . فإن ولاه في طيرانه ميامنة تفاعل به . وإن ولاه مياسرة تشاءم منه وتطير .

(٣) تجد الأمثلة على ذلك في كتاب فقه اللغة للثعالبي وكتاب الخصاص لابن سيده .

مفطورون على المطامع ودأبهم التخاصم والتنازع ، فأهل المدن يدفع عدوانهم الحكام وأهل الدولة من أن يظلم بعضهم بعضاً ، وهي أيضاً تدفع غارات الأعداء بما تقيمه من الأسوار وتعدده من الجند والسلاح . وأما البدو فيحكم بينهم مشايخهم وكبرأؤهم بما وقر في نفوس أهل القبيلة أو الحلي من الوقار لهم ، وإكرام السن من سنن البدو وإذا سطوا عليهم عدو في منازلهم قام في الدفاع عنها فتيانهم وشجعانهم ، وهؤلاء لا يصدق دفاعهم إلا إذا كان لهم عصبية تشتد بها شوكتهم ويخشى جانبهم .

وأهل البلد الواحد أو المصلحة الواحدة لا بد لهم من جامعة تجمع بين أفرادهم . والجامعة تختلف في الأمم باختلاف أحوالهم فبعض الأمم يجمعهم الوطن وآخرون يجمعهم الدين وغيرهم يجمعهم النسب أو اللغة . وقد رأيت أن البدو لا وطن لهم وكانوا قبل الإسلام لا دين لهم فلم يكن لهم ما يجمعهم غير النسب واللغة وهما متلازمتان خصوصاً في البداوة ، فعني العرب في حفظ أنسابهم وضبطها وتفاخروا بها وبالغوا في استقصائها حتى ردوها إلى الآباء الأولين .

فأقرب أسباب العصبية عندهم الأخوة والوالدية والعمومة ، ومنها تتألف العائلة أو الأسرة . ومن العائلات تتألف الفصيلة كآل أبي طالب وآل العباس مثلاً ، فإن كلاً منها فصيلة مؤلفة من عائلات وكلاهما من بني هاشم . ومن الفصائل تتألف الفخذ مثل بني هاشم وبني أمية وكلاهما من بني عبد مناف . ومن الأفخاذ تتألف البطن مثل بني عبد مناف وبني مخزوم وكلاهما من قريش . ومن البطون تتألف العمارة مثل بني قريش وبني كنانة وكلاهما من مضر . ومن العمارات تتألف القبيلة مثل ربيعة ومضر وكلاهما من عدنان . ومن القبائل يتألف الشعب وهو النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان .

عصبية النسب : وبين القبائل أو أفخاذها أو بطونها أو عمارتها عصبية النسب تجمعها بعضها على بعض ، الأقرب فالأقرب على الأبعد فالأبعد فتجتمع الفصيلتان من الفخذ الواحد على فخذ آخر ولو كانوا جميعاً من بطن واحد ، ويجمع البطنان من عمارة واحدة على عمارة أخرى ولو كانوا جميعاً من قبيلة واحدة على حد قول المثل : « أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب » فالحقطيني يتعصب على العدناني وهذه أوسع العصبيات . ثم إن القبائل تتعصب بعضها على بعض ، والعمار من قبيلة واحدة تتعصب

بعضها على بعض ، ويقال نحو ذلك في البطون من عمارة واحدة أو الأفخاذ من بطن واحد حتى تصل إلى الفصائل والعائلات فبنو العباس وبنو أبي طالب مثلاً تخصا وكلاهما من بني هاشم . وبنو هاشم وبنو أمية تخصا وكلاهما من بني عبد مناف وقس على ذلك .

وكل من القبائل أو البطون أو الأفخاذ يفاخر سواه بمجسبات قومه ويذكر مثالب الآخرين . ولهم في ذلك مفاخرات يطول بنا شرحها . على أن أشهر حوادث المنافسة بين العرب إنما هو بين القبائل القحطانية أو الينية والقبائل العدنانية .

... على أن العرب القحطانية والعدنانية يجتمعون على غير العرب من الفرس أو الترك ويسمونهم (العجم) ويفاخرونهم بالأنساب واللغة ويحتقرونهم ، شقوا من اسمهم لفظ الأعجم للدلالة على الخرس أو أن العجم مشتق من العجمة ، فللعجمي عندهم غير العربي ، والأعجم : الأخرس ، والأخزر عندهم : الذي في عينه ضيق ، وهذا وصف العجم وهو عند العرب من النقائص .

... والمنافسة بين العرب والعجم قديمة ، فإن الفرس في أيام دولتهم كثيراً ما كانوا يخرجون العرب من بلادهم بالسيف ، والعرب كانوا يسطون على مدن الفرس حتى في أيام سابور قبل الإسلام ببضعة قرون . وكان هذا قد تعمد أذى العرب وإخراجهم من بلادهم وخصوصاً من قبيلة إياد وفيه يقول الشاعر :

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب إياد حولها الخيل والنعم
... وما زالت الضغائن بين العرب والفرس إلى أن جاء الإسلام وتحول السلطان إلى العرب فتسلطوا على العجم فكبر ذلك عليهم وخصوصاً في أيام بني أمية لتعصبهم على غير العرب . ونشأت فرقة الشعوبية للطعن في العرب ، وبلغ من جسارة بعض الشعوبية في بعض ردوده على العرب أن قال : (فما الذي تفخر به العرب على العجم فإنما هي كالذئب العادية والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض ، فرجالها موثقون في حلق الأسر ، ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الإبل) .

الأمومة والحقولة : الأصل في العصبية عند العرب الأبوة أو الانتساب إلى الأب مثل سائر الأمم الراقية ، على أن الأمومة كان لها شأن كبير عندهم ، وكثيراً ما كانت

المزاوجة والمصاهرة سبباً كبيراً للعصبية ليس ذلك لعلو منزلة المرأة على الإجمال ، وإنما الفضل فيه للأُمومة فإن المرأة كانت لا تزال محتقرة حتى تصير أماً فتعلو منزلتها وقتئذ وتشتد عرى الاتحاد بها . فالرجل منهم يفضل أمه على امرأته ، لأن الأم في اعتقاده أبقى له من امرأته . وكانت العرب من أجل ذلك لا يعززون بالمرأة إلا أن تكون أماً . وقد نشأت من ذلك عصبية الخؤولة عند العرب وهي نصره عشيرة الأم لأولادها وبعبارة أخرى لعشيرة زوجها ولو كان الأب من قبيلة يمنية والأم من قبيلة عدنانية أو بالعكس .

وكان للخؤولة شأن عظيم عند العرب قبل الإسلام ، وأقرب الشواهد عليها نصره أهل المدينة للنبي في هجرته إليهم ؛ فإن الخؤولة كانت من أهم أسباب نصرتهم ، لأن أم النبي من بني النجار من الخزرج وهي قبيلة قحطانية وأبوه من قريش وهي قبيلة مضرية . وظلت الخؤولة مرعية عند العرب بعد الإسلام وكان لها تأثير كبير في العصبية وسياسة الدولة . فلما طلب معاوية الخلافة بحجة المطالبة بدم عثمان بن عفان نصره بنو كلب وهم يمنية ، لأن نائلة امرأة عثمان منهم وقد تلطخت أصابعها بالدم . وكان لنصرتهم دخل كبير في قيامه وتزوج هو واحدة منهم ولدت له ابنة يزيد . ومنها أن المأمون نصره الفرس لأن أمه منهم وكان أخوه الأمين ضده وحزبه عزي لأن أمه عربية فلجأ المأمون إلى خراسان وأقام عند أخواله فأخرجوا الخلافة من يد الأمين وسلموها إليه . والمعتمد كانت أمه تركية وكان ميله إلى الأتراك كثيراً وقد جندهم فنصروه على الفرس . وكان رجال السياسة والتدبير من الملوك والقواد يقودون أحزابهم بالتزاوج من القبائل المختلفة فيكتسبون عصبية قبائل نسائهم .

توابع العصبية العربية : فعمدة العرب في العصبية جامعة النسب من الأب ثم الأم على أنهم كانوا يجتمعون بأسباب أخرى كالحلف بين القبائل وهو يشبه المحالفات أو المعاهدات الدولية في هذه الأيام . وأشهر أحلاف الجاهلية حلف المطيبين وحلف الفضول . فالحلف يجمع بين القبائل ولو تباعدت أنسابها من القحطانية والعدنانية .

... ومن أسباب العصبية عندهم مما يشبه الحلف (الموأخاة) وقد تكون بين القبائل أو بين الأفراد ، ولا تزال هذه العادة شائعة بين البدو إلى الآن ، فإذا آخيت العربي أخذ بناصرك وحماك ودافع عنك كأنك أخوه .

سياسة الدولة في الجاهلية : إنما نريد سياسة الدولة عندهم القواعد التي كانت تدور عليها أحكامهم ومعاملتهم لحفظ علائقهم السياسية وآدابهم الاجتماعية مما يقوم مقام القوانين الإدارية والسياسية في الأمم المتقدمة .

فالرئاسة عندهم أو الإمارة إنما ينالها أهل العصبية والجاه ، وإذا تساوت العصبية في جماعة قدموا أكبرهم سناً ولذلك كان لفظ (الشيخ) عندهم يدل على الشيخوخة والرئاسة معاً ، وإذا أشكل عليهم الانتخاب لأي سبب عمدوا إلى الاقتراع . وكذلك إذا اجتمعت عدة قبائل في محالفة على حرب واحتاجوا إلى من يرأسهم جميعاً فإنهم يقترحون بين أهل الرئاسة فمن خرجت عليه القرعة رأسوه ، ذلك هو شأن بدو العرب وهم معظمهم . وأما حضرم في مكة فالرئاسة فيهم لسادن الكعبة . وكان في كل قبيلة بالجاهلية بيوتات تشتهر بالرئاسة والشرف فتنازر عن سائر القبيلة وتكون الرئاسة فيها كبيت هاشم بن عبد مناف من قبيلة قريش وبيت آل حذيفة بن بدر الفزاري من قيس وبيت آل ذرارة بن عدي من تميم وبيت آل ذي الجدين بن عبد الله بن همام من شيبان وبيت بني الريان من بني الحارث بن كعب من الهن . وقد امتازت هذه البيوتات على قبائلها بالشرف لتوالي ثلاثة أباء منها في الرئاسة على القبيلة . ولأهل البيوتات نفوذ على سائر القبيلة . وكان أهل السياسة من رجال المسلمين يلاحظون ذلك في تولية الحكام . ومن هذا القبيل وصية ابن عباس للحسن بن علي : (ول أهل البيوتات تستصلح بهم عشائركم) .

والأمير البدوي مع سلطته المطلقة قلما يستبد في أحكامه ، ويغلب أن يستشير أهل بطائنته وخاصته على أنه لم يكن ليحتجب عن أحد ولا يمتن أحداً . يجالس الناس ويخالطهم رفيعهم ووضيعهم وهم لا يعرفون ألقاب التفخيم ولا نعوت التليق فإذا خاطب البدوي أميره ناداه باسمه وطالبه بحقه بعبارات تشف عن عزة النفس وإباء الضيم أو هي أنفة البداوة ، على أنهم كانوا يتكلمون على الأسنان والأمير يخاطب رعاياه بألقاب الوقار كالأب والعم والخال والابن أو ابن الخال على ما تقتضيه الأنساب والأسنان وظل ذلك شأنهم في صدر الإسلام ينادون الخليفة باسمه - أو بأمر المؤمنين - ويحاجونه في شؤونه حتى إذا تخذروا احتجبوا وتكبروا فأتسع الفاصل بين المحكوم والحاكم .

مناقب العرب في الجاهلية : على أن العرب قلما كانوا يحتاجون إلى حاكم يفصل الخصومة بينهم لما فطروا عليه من المناقب الجميلة التي تقوم فيهم مقام الحاكم الصارم وتنزههم عن ارتكاب الدنيا بما يغنيهم عن القضاء . وسيد هذه المناقب « الوفاء » لأنه إذا تأصل في أمة أغناها عن القضاء . والحكومة إنما تقضي بين الذين لا يعرفون الوفاء . وكان الوفاء متمكناً في خلق العربي ويزيد تمكناً فيه كلما بعد عن المدن وأوغل في الصحراء . لأن الغدر والنكث لا يعيشان إلا في القصور الشام بين الحدائق الغناء .

ونرى (الوفاء) مطبوعاً في أقوال أهل البادية وأشعارهم وأمثالهم يتجلى في عاداتهم وأخلاقهم وفي سائر أعمالهم وهو فيهم سجية وفي سواهم صناعة وتكلف . وحكاية حنظلة الطائي والنعمان بن المنذر تمثل هذه الخلة أحسن تمثيل . فإن حنظلة وعد النعمان بالرجوع بعد عام لاستقبال الموت فطلب النعمان من يضمنه فضنه شريك بن عدي ، ولم يقدم شريك على ذلك إلا وهو يعتقد صدق البدو لاشتهارهم به . وقد وفي حنظلة فجاء في الوقت المعين لا جند يقوده ولا ضابطة تحفره مما حمل النعمان على العفو عنه وقصته مشهورة . وأغرب من ذلك وفاء السموءل (صموئيل) بن عادياء ، وكان امرؤ القيس الكندي قد استودعه سلاحاً وأمتعة تساوي ماله كثيراً وسافر إلى بلاد الروم ومات قبل رجوعه فبعث ملك كندة يطلب الأسلحة والأمتعة المودعة عند السموءل فلم يسلمها . ولما ألح عليه أجابه : « لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب عليّ » ، فجرد الملك عليه جيشاً وحاصره في حصنه ، فوقع ابن السموءل أسيراً عند الملك فهدد السموءل بقتل ابنه إن لم يسلم الوديعة فأبى التسليم وقال : « ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فافعل ما شئت » فذبح ولده والسموءل ينظر . فلما امتنع الحصن على ملك كندة عاد خائباً . وأما السموءل فصبر على ما تحمله من الشكول محافظة على الوفاء ، ولم يسلم الوديعة إلا إلى ورثة امرئ القيس . فمن كانت هذه مناقبهم قلت حاجتهم إلى القوانين واستغنوا عن الجند والضابطة ، وخصوصاً إذا أضفنا إليها علو الهمة وطيب النفس وقلة احتمال الذل والسباحة والكرم والنزاهة عن الدنيئة ، فهذه كلها من مناقب العرب أهل البادية .

الجوار : ومن قبيل الوفاء بالعهد وحفظ الذمام أيضاً (الجوار) فإن البدوي يحافظ على جاره محافظته على نفسه . والمقصود بالجوار في الأصل أن يحافظ الرجل على جاره

القريب ، وهو من قبيل التعاون الطبيعي حتى قيل : (جارك القريب ولا أخوك البعيد) ولكن العرب توسعوا في ذلك حتى شقوا منه الإجارة والاستجارة والجوار وكلها بمعنى الحماية والحفظ مع أن أصل المادة « جار » يفيد ضد ذلك . واستعاروا الجوار للحماية على الإطلاق فإذا خاف أحدهم سوءاً جاء إلى رجل يحميه ويكفي أن يقول له : « أجرتني » فيجيره بقدر طاقته ولا يفرط بجاره . ومن أمثلة ذلك أن الأعشى امتدح الأسود العنسي فأعطاه جائزة من الحلل والعنبر فرجع وطريقه على بني عامر فخافهم على ما معه من المال فألقى علقمة بن علاثة فقال له : (أجرتني) فقال : (قد أجرتك) قال : (من الجن والإنس) قال : (نعم) قال : (ومن الموت) قال : (لا) فتركه وأتى عامر بن الطفيل فقال له : (أجرتني) قال : (قد أجرتك) قال : (من الإنس والجن) قال : (نعم) قال : (ومن الموت) قال : (نعم) قال : (وكيف تجبرني من الموت) قال : (إذا متّ وأنت جاري بعثت إلى أهلك الدية) قال : (الآن علمت أنك تجبرني) . وقد يجيء بعضهم ليستجير برجل فلا يجده في بيته فيكفي أن يعقد طرف ثوبه إلى جانب طناب البيت فإذا فعل ذلك صار جاراً ووجب على المعقود بطنب بيته للمستجير به أن يجيره وأن يطلب له بظلامته . ومن قبيل تعظيم الجوار والمحافظة عليه أن عامر بن الطفيل لما مات نصبت بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل على قبره ، لا ينشرفيه ماشية ولا يرعى ، ولا يسلكه راكب و ماش ، إشارة إلى ما كان عليه من المحافظة على الجوار في حياته .

وما زال الجوار مرعياً عند العرب بعد الإسلام إلا من خالط الأمم الأخرى في البلاد المفتوحة . على أن تأييد الدولة اقتضى ضعف الجوار ، لأن أهل الوجاهة أصبحوا من أهل الدولة ، والرجل يومئذ إنما يستجير من حاكم يطلبه فإذا استجار به مظلوم قالوا : (إنما نجبر الرجل على عشيرته وأما على سلطانه فلا) خوفاً على مناصبهم . كما أصاب ابن مفرغ لما هجا بني زياد واستجار بالأحنف بن قيس على عبيد الله بن زياد وهو يومئذ أمير البصرة فأبى الأحنف خوف العزل وقال له : (إذا شئت أن أجيرك من بني سعد فعلت) فذهب إلى غيره من وجهاء العرب فأبوا إجارته لنفس هذا السبب .

ومن المناقب التي تغني العرب عن الوازع القهري أو القوة الحاكمة (الأريحية) وهي من مقتضيات العصور الجاهلية البدوية ، أو ما يجري مجراها من أحوال الفروسية التي يعبر

عنها الإفرنج بقولهم Chevalerie ومرجع ذلك إلى التفاخر بالشجاعة والكرم وحسن الأحذوثة . وكان للأريحية شأن عظيم عند العرب لدقة شعورهم وسرعة تأثرهم لأنهم أهل خيال وذوو نفوس حساسة يقيمهم البيت من الشعر ويقعدهم ، وقد يسمعون الكلمة فتطير لها نفوسهم ، وربما بذل العربي حياته في سبيل كلمة يسمعا ، ولذلك كثرت عندهم ضروب المفاخرة والمباهلة في المواسم والأندية ، مما يرغب في الفضائل ويغني عن زجر الحكام .

وقال الأب لامنس اليسوعي في مجلة المشرق ج ١ السنة ٢٣ في مقال له عن (الثأر عند العرب وصفته الدينية) :

« لم يقيم شعب من الشعوب بما قام به البدو في سبيل تعزيز صلات القرابة الدموية . وليس هذا لاهتمامهم بما وراء الحياة أو لأن الموت شغلهم أسرارهم الغامضة فطمحوا إلى معرفة الحياة الأخرى . إنما كانوا يعتقدون أن في الدم المبدأ الحيوي أو (النفس السائلة) كما قالوا (المسعودي : مروج الذهب ٣ : ٣٠٩) ولهذا فقد رأوا أن سفك الدم يتطلب الانتقام ضرورة . وأنه إذا لم يأخذ ولي الثأر بثأره أي إذا لم ينتقم قريب القاتل لقتيله فإن الدم المسفوح يقع إثمه على رأس الولي حتى آخر نقطة . وما زاد هذا الاعتماد رسوخاً في أذهانهم فرفعهم فوق الأنانية والفردية اللتين اتصفوا بهما هو تحقيقهم أن ظل الدم أو عدم الانتقام يفكك أواصر الأسرة وهي آخر الحلقات الاجتماعية بل الحلقة الوحيدة المعروفة في تلك الحياة الفوضوية في بلاد العرب .

ومن ثم فإن مصرع النسيب والجار يزيل حالاً ما يكون من الاختلافات بين أفراد الأسرة أو القبيلة ، فيعيد الاتفاق الظرفي ويوحد النزعات في سبيل طلب الثأر ، بل إن هذا الواجب طلب الثأر يفعل الأفاعيل العجيبة في تلك الطبيعة البدوية الجانحة إلى التواكل والكسل . إنه يحول الفتیان الضعاف بل الجبناء إلى رجال أشداء لا يتراجعون أمام عقبة . ولا يخرج النساء عن هذا المظهر الذي يكاد يكون قاعدة عامة . فإن أمهات القتلى وأخواتهم يعادلن الرجال حماسةً واندفاعاً في إظهار تلك العاطفة الانتقامية بأشعارهن وأنشيدهن المهوسة حتى يثرن ما كمن في صدور الرجال ، ويدفعنهم إلى الإسراع في طلب الثأر وهو الفرض الديني كما سرنى . أو لم يجعل هذا الفرض من امرئ القيس ، ذاك الشاعر

العابث ، معاقرة الخمره ورفيق الملاهي ، بطلاً تائهاً لا يرتوي ظمأه من الدماء ولا يهدأ اضطرابه إلا إذا أخذ بثأر أبيه .

ولا يخال القارئ أن الدافع إلى طلب الثأر فطرة دموية في البدوي أو غريزة انتقامية هائجة . لا إنما هو عاطفة بر بالأهل تهيب به إلى إرواء صدى القتل بدم القاتل حتى وإن كان ذاك القاتل قد نبذ ولي ثأره في حياته ، فطرده من أسرته كما فعل حجر الكندي بابنه امرئ القيس . فلم يمنع هذا ابنه أن يطالب بدمه قاتلاً : (ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً) . هو دين الأسرة يفهمه البدوي كل الفهم ولا يناقش فروضه بل يخضع لها كل الخضوع . بيد أنه لا يغفل عما تجره عليه هذه الفروض من اقتحام عقبات وتعرض للموت . فيقول :

أقول لنفس لا يجاد بمثلهما أقلي العتاب ، إنني غير مدبر

... ولقد أدى الأمر بالبدوي في هذا النزاع بين واجب الثأر ونفور النفس من القيام به إلى اختراع قيود مختلفة دخلت في طقسيات الثأر . الغاية منها مساعدة البدوي في تذكيره الدائم بواجبه وتقوية إرادته ودفعه إلى قتل القاتل ، من ذلك أنه عهد إلى نفسه المفطورة على الحرية بل على الفوضى فقيدها بسلسلة من التقشفات والتضحيات تضير أنانيته وشهوانيته معاً . بل تذهب إلى أبعد من ذلك إذ تبدل لديه وعليها مسحة دينية من « الإحرام » . بأن يمتنع ولي الثأر عن الكحل والدهن والطيب واللحم والخمر وألفة النساء والاجتماع إلى أفراد أسرته ... إلا أن العادة خفت شيئاً فشيئاً من هذه التحريمات فرفعت منها هجر النساء والأسرة ... ومن أوضح الحوادث دلالة على شريعة الإحرام هذه ما ذكره صاحب الأغاني عن ريحانة بنت معدي كرب من أنها قالت لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل أخيه : « يا بني ، إن كنت عجزت عن طلب ثأر أخيك ، فاستعن بخالك وعشيرته من زييد » فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدهن ولا يمس طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمرًا حتى يدرك ثأره . فغزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن أسماء فقتله بفنائها . وقال : هل بلغت ما في نفسك ؟ قالت : نعم متعت بك « (الأغاني ٩ : ٧) .

... وإذا قام الولي بنذره أي إذا وفي عهده وأخذ بثأره فإنه يعود إلى الحياة العادية ،

فخوراً بعمله محلاً لنفسه كل ما كان قد حرمه ، فيقول كما قال المثل بن عمرو الكندي مشبهاً واجب الثأر بالهم الثقيل كالجبل :

إني أرى الله أن أموت وفي صدري هم كأنه جبل
ينزع مني طعم الشراب وإن كان رحيقاً مزاجه عسل
حتى نفضت الوتر العظيم ودا نيت بيوتاً وبينها خلل

... البدوي ليس شرساً من فطرته ولا ميالاً إلى سفك الدماء على رغم ما ينسب إليه الحضريون من أعمال القسوة والهمجية . ولد البدوي في بيئة قاسية محرومة فنشأ فردياً أنانياً لا يتكل إلا على نفسه فكان أنه قدر كأفضل ما يكون قيمة الحياة البشرية ونفر على توتر أعصابه وسرعة تأثره من التسرع في إهراق الدم . هو يكره القتل ، ولا يلجأ إليه إلا فيما ندر ، وفي حالة الدفاع عن النفس وحدها . وما كان الثأر إلا من هذه الحالات تصبغه العادة بالصبغة الدينية فترتفع به إلى مرتبة المؤسسات والعقائد . وليس نفوره من إهراق الدم نتيجة التأثم والندم أو التوبة لا ، فإن البدوي إذا دفع إلى قتل مثيله ، لا يشعر بأنه ارتكب عملاً شائناً من تلك الأعمال التي يسميها الفواحش أو الخزيات . والجميع يرون في القاتل لا مذنباً بل شقيماً مسكيناً (حامل دم) تهور في اندفاعه ولم يتألمك أعصابه ، أو خائنه الأحوال فدفع إلى القتل . فيجتهدون كل على قدر استطاعته في تخليص ذاك المسكين من مأزقه ، وفي معاونته على تأليف الدية إذا مد يده مستعطياً جمعها وهم معتقدون أن كلاً منهم قد يصيبه يوماً ما أصاب هذا المسكين ، فيصبح بحاجة إلى معاونته أفراد القبيلة وحلفائها في جمع نياق الدية .

... هذا النفور من إهراق الدم ينتج عند العرب من شريعة الثأر ، تلك الشريعة القاسية التي أفهمت البدوي أن كل قاتل يقتل ، شعر بغريزته وعقله بمنفعتها الجمة ، وفهم أنه لولاها لكانت معيشتهم عرضة للأخطار الدائمة في ذاك القفر ، بل لكانت حياته مستحيلة . وهو ما أقره القرآن بقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(١) .

(١) الاستدلال بهذه الآية في موضوع أخذ الثأر فيه نظر . فالقرآن لم يطلب القصاص من الأفراد على الأفراد ، بل طلبه من أرباب الحكم والسلطان على أن يقاصوا بعد بحث وتروي .

في القصاص حياة وفي الثأر حقن للدماء ، ولا سيما إبان الغزوات المستديمة في الجزيرة . ولا يخفى ما يخفيها من مخاطر ومهالك يزيد هولها أن هذه الغزوات أصبحت على قدر عهدها من العادات المألوفة في كسب المعاش عند العرب . على أن حياة البدوي تضمنها شريعة الثأر حتى في تلك الغزوات . والعرب إذا تكلموا عنها قلما يذكرون القتل . إنما يلجؤون إليها طريقة للكسب ويتخذونها وسيلة ليسر مخرطة دون شك . ولكن قلما يصل خطرهما إلى الموت . وهذا حاتم الطائي إذا ما وجد نفسه عاجزاً عن أداء حقوق ضيفه صرفهم معتذراً طالباً منهم أن يعودوا إليه بعد الغارة .

ولينتبه الدارس إذا ما فكر بالثأر إلى ما يبذله المتعاركون من جهود في اجتناب الضربات القاتلة . هم لا يقصدون في غاراتهم إلا أموال المغار عليهم . أما حياتهم فليس من يرغب في الاعتداء عليها . ولا ينبغي للمهاجمين ولا للدفاعيين أن يصلوا إلى إهراق الدم . هو عراك على المواشي يقومون به بغاية ما يمكنهم من رباطة الجأش . ولنا من الأمثلة العديدة ما يؤيد هذا القول . فإن حوادث الجرح والقتل قليلة جداً في الغزوات حتى في أيامنا هذه ، بعد أن أخذ البدو يستعملون البنادق الحديثة . فهنالك كثير من دخان البارود ودوي الرصاص وقليل من الجرحى والقتلى . أما إذا أدتهم الحوادث إلى سفك الدم فيكون الحظ قد خانهم ، ففقدوا السكينة اللازمة في هذه المعارك ، واندفعوا باندفاع أعصابهم الشائرة فنسوا صفاتهم الأصلية ، وتحولوا إلى مقاتلين . على أن العادة الجارية حينذاك تفرض على الضارب ألا يجهز على الجريح وألا يسلب القتيل !

وعاطفة الثأر تسيطر وحدها على ولي الثأر أو الموتور وهو صاحب الحق الشرعي بالاقتصاص من القاتل . وتكون الغاية المثل أن يتمكن الولي من القيام بواجبه بسرعة . على أن هذه السرعة وهمية . فقد ير على الموتور الأشهر بل السنون قبل أن يدرك ثأره . وهو يقبل هذا الواجب كأثقل الواجبات الدينية . لأنه حمل باهظ يحول بين الموتور وملذات الحياة العادية . فيتحول ذلك الأناني الفردي إلى كائن اجتماعي يدفع على الرغم منه إلى التضحية بشهواته وبراحته في سبيل الأسرة والجماعة . ولهذا نراه يشجع نفسه ويحميها بكل ما لديه من وسائل شعورية فيقول لها تارة قول عمرو بن الإطنابة :

واقسداًمي على المكروه نفسي ، وضربي هامة البطل المشيخ

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي !

تصبح كل الوسائط التي يقوم بها البدوي في سبيل غايته صالحة لا إثم فيها ولا حرج
مهما كانت ومهما اشتملت عليه من غدر واحتيال . . . يجول الولي بكل طمأنينة في أحياء
العرب مفتشاً عن ضحيته حتى إذا ظفر بواتره انقض عليه على حين غفلة فقتله وإن كان
نائماً ، خلافاً لما كان قد تقرر في عاداتهم من التأثم من قتل النائم وإن كان عدواً . بيد أن
ولي الثأر قد يتردد في تنفيذ قصده إذا خاف أن يخالف مبدأ دينياً آخر ، كأن يخشى إذا
ما قام بثأره أن يحضر ذمة الجار أو ينتهك حرمة المعبد أو الأشهر الحرم أو حرمة قبر مكرم
جعل ملجأ وملذاً .

هذا ولا يمكن أن يموت الثأر بمرور الزمن . فإن هذه القاعدة الشرعية لا يعرفها
البدو . إنما يعرفون ويرددون :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات الصدور كما هيا

وتظل حقوق الثأر دائمة يورثها الآباء للبنين ، ولم يلبث هذا الفخر بإدراك الثأر أن
حور شيئاً فشيئاً نظر العرب إلى الدية فأصبحوا يعتبرونها حاطة بمن يقبلها ولا يرضون إلا
الدم بالدم . إلخ . . .

هذا ما كان عليه عرب الجاهلية أو بدوها ، أما في العصور الإسلامية المتوسطة
والأخيرة ، فقد اختلف الباحثون والمتكلمون عنهم ، وتضاربت أقوالهم في وصف أحوالهم
الاجتماعية وأخلاقهم ومزايهم ، فكل منهم وصفها بالعين التي نظر إليهم بها . فمن عين
سخط ومن عين رضا ومن قادح ومن مادح ومن معتدل . ولكل وصف قيمته وصحته
وبراهينه . وسندرج هنا أقوال كل منهم ليختار القارئ لنفسه خلاصة عنها .

من جملة من تكلم عن البدو ووصف أحوالهم ومزايهم في العصور المتوسطة المؤرخ
الفيلسوف الشهير ابن خلدون المغربي المتوفى في سنة ٨٠٧ هـ . إلا أن كلامه وإن كان عن
العرب عامة ، لكنه قد قصد البدو والعريقين في جلفة البداوة فيما يظهر من وصفه ، ومن
نظره إليهم بعين السخط . لأن كلامه لا يشمل حضر العرب ولا كرام بدوهم ، فهؤلاء
ليسوا في الدرك الذي رماهم فيه وحكم عليهم ، وهو قد خلط بين العرب والأعراب وأصدر

أحكاماً عامة قاسية ولم يميز فيها بين عرب العصور المختلفة والطبقات المتباينة ، خاصة وهو القائل بأن العربي كغيره من الناس يتغير بتغير الزمان والمكان .

ففي مواضع عدة من تاريخ ابن خلدون أقوال منثورة تنطبق على البدو الأقحاح خلاصتها فيما يلي بالفاظه :

« إنهم بطبيعة التوحش الذي هم فيه أهل انتهاب وعبث ، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ، ويفرون إلى متجمعهم بالقفر . والقبايل المتنعة عليهم بأوعار الجبال بمنجاة من عبثهم وفسادهم . وأما البسائط - متى اقتدروا عليها بفقدان الحماية وضعف الدولة - فهي نهب لهم ، يرددون عليها الغارة والنهب إلى أن يصبح أهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الأيدي وانحراف السياسة إلى أن ينقرض عمرانهم . وهم إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب لأنهم أمة وحشية ، فينقلون الحجر من المباني ويخربونها لينصبوه أثافي للقدر ، ويخربون السقف ليعمروا به خيامهم ، ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم ، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه ، وليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس عن المفاصد إنما همهم ما يأخذونه من أموال الناس نهباً أو مغرماً ، فإذا توصلوا إلى ذلك أعرضوا عما بعده من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم ، وهم متنافسون في الرياسة وقل أن يسلم واحد منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته إلا في الأقل فيتعدد الحكم منهم والأمراء ، وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام ، فيفسد العمران وينتقض ، وانظر إلى ما ملكوه من الأوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه . فالين - قرارهم - خراب إلا قليلاً من الأمصار ، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع ، والشام لهذا العهد كذلك .

وهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم ، من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة .

والمباني التي يخططونها يسرع إليها الخراب ، لقلّة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن ، في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي ، فإنه بالتفاوت في هذا

تتفاوت جودة المصر ورداءته ، والعرب بمعزل عن هذا ، وإنما يراعون مراعي إبلهم خاصة ، لا يبالون بالماء طاب أو خبث ، ولا قل أو كثير ، ولا يسألون عن زكاء المزارع والمنابت والأهوية . وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها إلا مراعي إبلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن ، فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ، ولم تكن لهم مادة تمد عمرائهم من بعدهم ، وكانت مواطنها غير طبيعية للقرار ، ولم تكن في وسط الأمم فيعمرها الناس ، فلأول وهلة من انحلال أمرهم ذهب عصبيتهم التي كانت سياجاً لها أقي عليها الخراب والانحلال .

وهم أبعد الناس عن الصنائع ، لأنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها . وهم أبعد الناس عن العلوم لأن العلوم ذات ملكات ، محتاجة إلى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع .

وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى ، لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق ، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة ، المتهيء لقبول الخير .

وهم أقرب إلى الشجاعة ، لأنهم قائلون بالمدافعة عن أنفسهم ، لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم . فهم دائماً يحملون السلاح ، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ، قد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية ، ونجد المتوحشين من العرب أهل البدو أشد بأساً من تأخذه الأحكام . « أ هـ

ووصف الطبيب المشهور كلوت بك حياة البدو على عهد محمد علي وسر تعلقهم بالبداءة قال^(١) :

ومن أخص صفات البدوي ولعه بالحرية والاستقلال يفاخر بأصله على الدوام ، ويعالي الشعوب الأخرى بصراحة نسبه العربي الذي لم يعرف فيه الشوب ، ولم يرأى قط لمذلة . يقنع البدوي بالقليل من لبن النياق ، ولا يأكل اللحم إلا في الأعياد الكبيرة وغالباً

(١) من كتاب « لحة عامة إلى مصر - لكلوت بك المتوفى سنة ١٢٨٥ - ١٨٦٨ تعريب الأستاذ محمد مسعود ، طبع مصر .

ما يقع النظر على نسائهم وهن مشغولات على متون المهجن يدرن الرحي لطحن الحبوب واتخاذ الخبز من دقيقها عجنًا ثم إنضاجاً على ألواح من حديد يوقدون النار تحتها ، كلما حطت القبيلة رحالها في مكان . تصون معيشة الصحراء أخلاقهم من الدنس ، والبدوي بطيمه يمتك الزنا ، والفتاة عندهم يستحيل على رب الحيلة إغواؤها ، واحترام الرابطة الزوجية والاحتفاظ بالشرف والكرامة عن غرائزهم وسجاياهم المخالطة لدمائهم ، والذين يجرؤون على انتهاك الحرمات ويخالفون ما ألفته القبيلة من العفة والطهر يعرضون حياتهم لخطر الموت ، وللمرأة عندهم من الحرية مثل ما للرجل ، ولها من هذه التقاليد الحارس الطبيهي الأمين .

فإذا نزلت قبيلة بمكان انتظمت الخيام على خط مستقيم واحد وعادة تكون هذه الخيام من الوبر الأسود والأصفر عدا خيمة الشيخ فتتاز بالوبر الأبيض^(١) ولكل قبيلة راية ترفع أمام خيمة شيخها ، وفي هذه الخيمة يكرم مثوى الغرباء ، وتطرح الآراء ، وتدور رحي المناقشات في شؤون القبيلة لتقرير ما يتفق مع مصلحتها .

ولكل قبيلة نصيب من الصحراء وحدود تنتهي إليها مراعيها الخصبة وخفارتها . وكثيراً ما تعتدي القبيلة على مراعي جارتها أو خفارتها فتقع الحروب بعد الإنذار دائماً . وهنا تظهر الشجاعة والإقدام على أساليب العصور الأولى ، والمرأة البدوية تشترك في الحرب ، وتستنهض البنات هم خطبائهن ويعدنهم قرب الزواج مكافأة على انتصارهم المأمول ، وتحرض أجمل بنات القبيلة الشبان المحاربين واعدة إياهم جميعاً بأن تهب نفسها لمن يحرز منهم في القتال أو في قسط من المجد والفخر .

يجهل العرب الاستعباد السياسي جهلاً تاماً ، خصوصاً إذا كانت بلادهم بعيدة عن المراكز الحكومية . أما نير الاستعباد الديني فكالأول تقريباً . إذ العرب إسلامهم على فطرته الأولى بعيد عن التعاليم الدقيقة ومذاهب أهل الكلام فهم يتخلصون من قواعد الدين بالسفسطة ، يقولون مثلاً : إذا لم نؤد فريضة الصلاة فلأن الماء ينقصنا للوضوء ! وإذا لم

(١) كذا ، وربما كان ذلك لدى أعراب مصر ، أما في بقية الأقطار العربية فخيمة الشيخ كغيرها تكون من الشعر الأسود ، ولا تمتاز إلا بكبرها ووفرة أعمدها .

تتصدق فلأننا فقراء أحق بالزكاة من غيرنا ! وإذا لم نصم رمضان فلأننا نصوم طول العام من الجوع ! وإذا لم نحج بيت الله الحرام فلأن بيت الله الحرام حيث يصلي الإنسان .

وليس في أذهان العرب شيء من العلوم ، لأن السواد الأعظم منهم أميون لا يقرؤون حرفاً ولا يكتبون ، لكن مواهبهم العقلية بالغة أقصى مبلغ من الاتساع وكذلك مواهبهم الجسمية التي يقوّمها نسيم الصحراء النقي من الشوائب ، وعلى هؤلاء العربان يعتمد السياح والمسافرون في اختراق الصحراء وهم خبراءها منذ أقدم العصور ، وبالنظر لحذقهم بالصيد ترى العربان أنبغ الناس في اصطياد حيوان الصحراء .

ولا ريب أن العرب كقطعة النقد ، إذا سرك منها منظر وجهه ساءك منظر الوجه الآخر ، لأن مكارم الأخلاق وحيد الشيم ليست تتوافر في القبائل جميعاً ، فهي لا تستطيع مقاومة ميلها الفطري للنهب والسلب . فكان اعتيادها قطع الطريق على السابلة واعتقادها أن الحكومة لن تنزل بها العقاب على سوء فعلها من بواعث خوف المسافرين على حياتهم ومتاعهم .

وأهل البادية يرون أنفسهم في حالة حرب لا يخمد ضرامها مع الحضر ، وهم يبيعون لأنفسهم كل ما يبيع العدو لنفسه من عدوه من ضروب التعدي والسلب والنهب ، وكان هذا على الدوام شأنهم معهم ، إذ يرون أن ما يسلبونهم إياه إنما هو من الغنائم الشرعية والفيء التي لم يحرمها الله في كتابه .

وطالما أزعجوا جيش الحملة الفرنسية على مصر بما تراءى للجنرال بوناپارت أن يكل لقتالهم وكبح جماحهم فرقة من المهجانة . كان كل هجين فيها يحمل رجلين قال ذلك الرجل العظيم في مذكراته : « إذا كان موقع مصر الغريب وهو البلد الذي يستد ثروته من فيضان النيل يقتضى حسن الإدارة لانتظام شؤونه واستقامة أحواله ، فإن ضرورة كبح جماح ٢٠ - ٣٠ ألفاً من اللصوص المعتصمين بفسيح الصحراء حيث لا تنالهم يد العدل تدعو إلى أن تكون تلك الإدارة من مضاء العزيمة ومتانة القوة بحيث توقع رهبتها في أفئدة أولئك الأشرار فلا يعيشون فساداً في تلك الأقطار » . وقد بر الفرنسيون بقول بوناپارت

فما كادوا يحتلون مصر حتى كسروا شكية البدو وقبضوا على ناصيتهم فلم يتادوا في باطلهم . وكذا هذا حذوهم محمد علي فآلزمهم الوقوف عند حدهم . وكانوا قد بلغوا في عهده من الجبروت والبأس حد النهاية ، حتى كانوا يفرضون الأتاوات على سكان مصر ، وكانوا يتهددون بالزحف على القاهرة نفسها ، وكان لا يجرؤ واحد على زيارة الأهرام بغير رضاهم وأمرهم ، وكانت القوافل التي تحتاز برزخ السويس تدفع لهم الفرض الباهظة من المال ، فسلك معهم مسلك المهادن أولاً وعقد معهم الاتفاقيات فهتكوا شعارها وخاسوا بعهودهم غير مبالين ولا هيايين ، فعول على قمعهم وتأديبهم ، وسير لقتالهم الفرسان والمشاة فأخذت عليهم الآفاق وسدت عليهم السبل حتى اضطرتهم إلى التماس الصلح واستنح العفو فاشترط في عقد الصلح معهم ؛ أن يسكن كبار زعمائهم وشيوخهم مدينة القاهرة كرهائن ، وأجرى عليهم الأرزاق والمرتبات لمعاشهم فهدأت حالهم .

ولما غامر محمد علي بحروبه في السودان وجزيرة العرب والشام عرض عليهم تشكيل فرق منهم ، واقتراح أن يدفع لهم الأجور مقابل خدمتهم على شرط أن يأتي كل منهم بفرسه وبندقية . وقد أفادت هذه الفرق المساعدة للجيش المصري من الوجهة العسكرية فكانت كفرق القوزاق غير المنظمين في جيوش روسيا ، وكانت عليهم مهمة استطلاع العدو ومطاردته أثناء الهزيمة أو معاكسته في أثناء انسحابه ، وهم من أصلح الناس لهذه المهمة . والعربان هم الذين أسروا رشيد باشا قائد الجيش العثماني في معركة قونية خلال الحملة الأولى على الشام^(١) .

ومما لا ريب فيه أن هذه حكمة تعذرت على علي بك الكبير^(٢) الذي عقد النية على

(١) هؤلاء هم أعراب الهناري الذين قدموا مع إبراهيم باشا بن محمد علي باشا وقد أبلوا وقتئذ بلاءً حسناً في الحروب التي خاض غمارها في فتح الشام والأناضول (١٢٤٨ - ١٢٥٦ هـ) كما وصف الطبيب كلوت بك . وقد ظل بعضهم في بلاد الشام الشامية واستقر . ومن أعقابهم الآن جمع غير يسير في محافظة حلب في أفضية منبج والباب وناحية صرين من قضاء جرابلس (انظر أبحاث عشائر هذه الأفضية) .

(٢) علي بك الكبير من عظماء الماليك الذين حكموا مصر في أواخر العهد العثماني . اشتهر بشجاعته ودرايته ؛ وأعانتة طروف تلك الحقبة فاستولى على إدارة القطر المصري في حدود سنة ١١٨٠ هـ وامتدت مطامعه إلى جزيرة العرب والقطر الشامي ففتحها ، وظل في الحكم سبع سنوات إلى أن قتله مماليكه .

إبادة العربان جميعاً للتخلص من شرهم ، ونكل ببعض القبائل ، وقضى عليها ، واضطر أكثرها إلى الفرار إلى الصحراء هرباً من المجزرة ، فقد كان علي بك غير مصيب لما هو ثابت من فائدة وجودهم ، وعلى الأخص في زمنه . لأن الجمل سفينة الصحراء ، والعرب هم ربانو هذه السفن وقادتها في هذا الأوقيانوس الأرضي الذي لا أفق له ، والعربان وحدهم هم الذين يسهل عليهم دون غيرهم اجتياز الفلوات الرملية المترامية الأطراف إلى أقصى مدى والخالية من السكان والكائنات الحية . والعربان هم الذين يقدرّون دون غيرهم أن يوثقوا عرى المواصلات السريعة بين البلاد على حفافها . فالاحتفاظ بهم يتم الاستفادة والمزايا المتوفرة فيهم والتي لا يجاريهم فيها مجاراً^(١) .

ومن الباحثين المعاصرين لنا الذين وصفوا أحوال البدو وأخلاقهم ومزايهم في عهدنا الأستاذ عباس العزاوي العراقي في كتابه المستطاب (عشائر العراق) وهو قد نظر إليهم بعين الرضا فقال :

ضيق المعيشة وضنك الرزق وقلة الموارد قد تجعل المرء في لبس من تصديق أن البدوي لا يكذب وأنه صريح القول ، ينفذ ما عزم على فعله وما قطع في أمره . وهو في هذه الحالة لا يشهد كذباً ولا يجابي ، وفيه من الشهم والإباء والعفة بمعناها الصحيح وإكرام الضيف وحى الجار والنزىل ما لا يوصف . شاهدنا وقائع اعترف فيها البدوي أنه قتل أو أنه أنكر القتل فلم يحلف ولم يخن أمانة ووفى بعهده وهكذا . وكم أخذتنا الحيرة في وقت لا نراه يقدم على الكذب وهو في أشد المواطن خطراً وأعظمها حراجاً . نرى أوصافاً كثيرة عند البدو ولا نجد لها عند غالب إخوانهم من الحضرة ، فكان البداوة ملازمة للصدق والأنفة من الخديعة ، والكذب ، وكان الحضرة غير منفكين من الأوصاف الرديئة إلا من عصم الله

(١) هذا الكلام كان صحيحاً ونافعاً قبل اختراع السيارات واستعمالها . أما وقد عمت السيارات وصارت تجوب الصحاري والبراري في طولها وعرضها لم يعد للعربان نفع زائد في ما ذكره كلوت بك . على أنهم وإن فقد نفعهم هذا أو قل هم منتجو سمون الحواضر ولحومها وأصوافها ومربو الخيل والغنم والإبل وبعضهم مربو البغال والخير والبقر اللازمة للعمران ، وهم راجدو الزروع ، وإذا استقروا وهدأوا منهم اليد العاملة للحرث والزرع وبهم يمتلأ فراغ الضياع والقرى ..

تعالى . ذلك ما دعا أن يأمن الحضري معاملته مع البدو ، وأن يتخوف من أهل المدن وحيلهم والطرق التي يتخذونها لسلب ما عنده فهو في حذر وخوف حتى إذا اشترى بضاعة يشترط أن تكون (سالمة مسلمة للمناخ) ، وهكذا . . . ونخشى في هذه الحالة أن تتطرق إليهم بعض صفات أهل المدن الرديئة وتنقل عدواها ، وأن القائلين بأمر إصلاح المجتمع يحتم عليهم الواجب أن يلاحظوا هذه المهمة وأن يتذرعوا بوسائل مانعة من التسرب إلى هؤلاء وأن يسيروا بهم إلى التربية الحقة .

نعم ، قد تكون في البدوي بعض الصفات التي اكتسبها من حاجته ومحيطه ، وبهزأ بمن يذمها أو يلومه من أجلها أمثال الغزو ولكن بالنظر إلى منع حوادث الغزو ، والاتفاق والتكاتف بين الدول المجاورة على منعه تغيرت هذه الحالة وماتت من نفسها ، وصار يشعر بأن ماله ما اقتناه من طريق مشروع . وستقوى هذه الخصيصة ويتعود مغزاها . ومهما كان الأمر فالبدوي يغزو وينهب ويقتل ولكنه لا يكذب ولا يخدع ولا يخون الأمانة ولا يقبل بذل ، يعيش بعز ولا يرضى أن يهان ، حر الضمير ، صريح القول وعفيف الذيل في غالب أحواله ، وهو أيضاً كريم بطبيعته ، شريف في نفسه ، أبي لا يتردد عن معونة ، ولا يحجم عن مساعدة . والقلم ليعجز أن يجري في بيان كل خصاله الحميدة المقبولة . والمرء ينجذب بل يكون مغرمًا بأوصافه هذه ، وأتمنى أن تكون هذه بصورة عامة عندنا ، وأن غضي على كثير منها . سجايا قوية ، عالية لا تفترق بوجه عن أوصاف العرب القدماء ، ولا تقل عنها ، ويعوزها ما أعوز تلك من إصلاح حقيقي وتهذيب اجتماعي ، لا يشبه ما نحن عليه اليوم . وهم كما نعتوا أنفسهم :

حنّا جمّا صافي الذهب وأنظف من الخام الحديد

ولا نريد أن يزيّف هذا الذهب ، أو تنال ذلك الخام نكتة تكدر لونه أو تودي بصفاته وجميل رونقه . فإذا كان :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

فالأخلاق فاضلة وعزيزة لم تدخلها التطرية ، حسنها طبعي وسالم من العذاريب
الكثيرة كما يصطلحون عليها . ١ هـ .

وقال الأب أنستاس الكرمل في كتابه (خلاصة تاريخ العراق) وقد اتخذ نحو البدو
عيناً متوسطة معتدلة : أخلاقهم غريبة كل الغرابة ، إذ تجتمع فيها المحاسن والمساوئ معاً ،
أو المناقب والمعايب معاً ، وهذا ينشأ من انفرادهم في البراري وضرورات الأزمان ، ومخاطرة
الحياة في البوادي التي احتلوها ، مما يجعل دمهم فواراً ، ومزاجهم متقلباً بتقلب أهوية
الفلوات ، وتخيلهم ميالاً إلى كل قوة طارئة ميل الكلال الذي يأنس إليه ، ويعيش في
وسطه ، ويأخذ عنه توجه عند أدنى حركة في النسيم . فن فضائل البدوي ومحامده أنه في
غاية الصبر ، حتى لا يكاد يجاريه فيه أحد فهو يحتل الحر والقر والجوع والعطش والتعب
والراحة والشغل والبطالة وكثرة الشيء وقتله بنفس واحدة بدون تهرم أو تضجر . ومع هذا
الصبر العجيب قد يثور فيه الغضب العظيم ، ويطلب الثأر الشديد ، إذا أهانه أحد أو
احتقره أو شتهه . البدوي طماع وسلاب ، فإذا رأى عندك شيئاً لماعاً أو رناناً أو حسن
اللون مال إليه وأراد أخذه منك ، لكن عند إكرام الضيف ينسى كل شيء ويجود لك بما
لديه . البدوي شديد الوطأة إذا أراد سلبك ونهبك ، ولكنه لا يقتلك وإذا احتيت به أو
نزلت خيمته أعزك وأبدى لك من الظرف وحسن المعاملة مالا تجد مثيلاً له في أوغل الناس
في المدنية . البدوي ينظر إلى السلب والنهب والغزو بغير العين التي تنظر بها إليها ،
والذي يميز له ذلك فقر الأرض التي وجد فيها فهو ينظر إلى عابر السبيل بمنزلة رزق
ساقه الله إليه ، إذ أن هذا العابر لابد أن يصل محلاً فيجد فيه ما يستغني عما خسره في
رحلته ، ولذلك يميز لنفسه أن يسلبه ولكن لا يتعرض لحياته البتة . وهو لا يميز بين
الحرب والخدعة فما يأخذه بقوة السلاح في الشبكة التي نصبها للمسافر ، أو في عثوره عليه
هو بمنزلة كسب أو ربح ، وعنده لا فرق بين سلب ابن السبيل وبين فتح مدينة أو بلاد
معادية هجم عليها وأخذها . والذي يميز البدوي كل التمييز ، ويفرقه عن سائر الخلق حبه
للحرية والاستقلال ؛ فقد بلغت به هذه الشاعرة مبلغاً لا يمكن للحضري أن يتصورها ،
فهو يفضلها على كل موجود على الأرض مهما كان عزيزاً أو ثميناً . ومن يحاول أن يقيد
البدوي بقيد من القيود كمن يحاول تقيد السنونوة في قفص فإنها لا تزال تضرب جدران
القفص برأسها حتى تموت مفضلة الموت على الحياة ، ولذا ترى البدوي يحتقر أبناء المدن إذ

البقاء فيها هو القضاء على حريته ، تلك الحرية التي احتفظ بها منذ خلق الخلائق إلى يومنا هذا . إذ أهل البادية وحدهم بقوا محافظين على معيشتهم بينما ترى سائر الأجيال خضعت للقيد والحصر والضيق .

البدوي سريع الخاطر متوقد الذهن ولو لم يدرس العلوم والفنون ؛ فإن ذكاءه فطري وسليقته سليمة من معايب التمدن وليس من بدوي إلا وتراه شاعراً يصف لك الأمور على حقائقها ودقائقها ، بليغاً إذ لا يكلمك إلا ويقنعك بسحر كلامه ، خطيباً لما يسرد لك من المبادئ الصادقة المغزى والمعنى والمبنى بصوت تسكر نغمته ونبرته .

البدوي يصدق كل ما تقول له من الخرافات والأقاويل الصبائية لسلامة نيته .

البدوي تجيش نفسه لأدنى وصف أو إغراء لكون خياله يضارع هواء باديته الذي يتقلب بين برد ودفء وحر ومد في النهار الواحد .

البدوي يحب الأحاديث الخيالية والأقاصيص الملفقة أو الشبيهة بالملفقة مما يكثر فيها الأوهام والمخالات .

البدوي قابل لكل شيء عظيم إذا ما عرف العاقل أن يسوسه ، أو أقنعه بفكر ظهر له فيه منفعة .

البدوي يتلون بلون الحرباء ، ويتقلب قلب الطفل ، تقول له شيئاً فيصدقه ، ثم يأتيه آخر فيخرجه من فكرة بالسرعة التي دخلها .

البدوي لا دليل له إلا سليقته الوقتية ، ويحكم على الأمور بموجب ظواهرها ولا يهيمه بواطنها ، وهو ينخدع بالبوارق وينقاد لما فيه جلبة وزخرفة .

البدوي وحده لم تتغير صفاته وإن تغير الزمان . طالع ما جاء في الكتب المقدسة من وصف أخلاقه وقابلها بما هو عليه الآن لا تجد فرقاً ، والعادات والسنن التي يجري عليها اليوم هي نفس العادات والسنن التي جرى عليها أجداده في سابق الزمن ، وعلى طبق ما نراها مدونة في أسفار الأقدمين الذين جاؤوه أو عاشروه . ولهذا تجد كثيراً من الأمور

التي أعضل فهمها على العلماء والمؤرخين ، زال عنها الأوهام وانتهكت أستاذها عندما وقفوا بأنفسهم على أهل البادية المعاصرين لنا . البدوي يحتقر الموت ولا يعده شيئاً ، فهو شجاع مستبسل منذ صباه فالموت عنده شرب كأس لا غير ، ولهذا كثيراً ما يموت قتلاً وهو الموت المرغوب لكل واحد من الأعزة . وقد نعتوا الموت بنعوت : منها الموت الأسود ، وهو الموت خنقاً لأن لون الخنوق يكون أزرق وهو عندهم أسود ، والموت الأحمر وهو الموت قتلاً لأن دمه يسفك ، والموت الأبيض وهو الموت فجأة لأن كثيراً ما يبقى لون المفاجأ بلونه الطبيعي ، وإذا مات البدوي حتف أنفه يقولون عنه فطس أو هلك .

والبدوي الضعيف الدنيء خوآن أو غدار ، وهو كثيراً ما ينضم إلى القوي من الناس ، ويقتل ويغتال من خفاه . فإننا نقرأ في التاريخ أن بطليموس السادس انتصر على صهره اسكندر بالاس فذهب هذا والتجأ إلى أهل البادية ظناً منه أنه يجد ملجأ فيهم منيعاً . إلا أن زبدئيل غدر بأداب الضيافة ، وضرب عنق زائره تقريباً من بطليموس وديتريوس ، ثم بعث برأسه إلى ملك مصر . ونرى سليمان باشا وزير بغداد القتل احتى في طريقه بقبيلة الدفاعة فنزل عند شيخهم ، فلما درى صاحب البيت أن المحتمي به مهزوم غدر به وقتله . وأقرب مثال شاهدناه هو ما رأينا في الحرب العامة الماضية فإن أعراب بادية العراق كانت تقتل دائماً فلول العسكر . فإن كان المكسورون أتراكاً قتلوا الأتراك وحاموا الإنكليز ، وإن كان المقهورون إنكليزاً قتلوا الإنكليز ودافعوا عن الأتراك . هذه كانت أعمالهم في مدة الحرب التي كانت تدور في هذه الأنحاء بين القومين المتقاتلين ، فتلک هي أخلاق البادية فهي حقيقة مجمع أصدقاء وملتقى محاسن ومساوئ على ما افتتحنا به كلامنا ، وهو من أغرب الأمور قلما يخطر على بال إنسان . ١ هـ .

وقال الأستاذ أديب وهبة من شرقي الأردن في كلمة له عن البدو مندرجة في خطط الشام (ج ٦) وهو من نظروا إليهم بعين الرضا :

« إن سكنى البدوي في بيت الشعر في البوادي المحفوفة بالأخطار والمشاق ، وبعده عن الحامية وانتبازه الأسوار ، قد ولد فيه عدة مزايا يمتاز بها على الحضري منها : الشجاعة والعصبية والكرم والوفاء والأنفة والنجدة . فتوغل البدو في البادية ، رتلوعهم بالغزو والغارات قد جعلهم في قتال واستعداد دائم للقتال ، فأصبحت الشجاعة فيهم طبيعية ،

وتعذر قيام الفرد مهما كان شجاعاً بمقابلة العدد العديد من العدو قد اضطرهم للالتجاء إلى العصبية ، وهي التضامن المطلق بين أفراد القبيلة حتى تطلب العشيرة بأجمعها بحق أفرادها وأقرب أسبابها لديهم الأخوة والأبوة والعمومة . ومنها تتألف الأسرة ، ومن الأسرة تتألف الفصيلة ، وتندرج بهذه الصورة إلى القبيلة والذي عليه عشائر شرقي الأردن أنها تطلب وتطالب بحقوق أفرادها إلى الجد الخامس من حدود الطالب والمطلوب ، أي كل فرد يتصل مع أيها بالجد الأول والثاني أو الثالث إلى الخامس له الحق بطلب حق قريبه ، وعليه أن يخضع للحق المطلوب ، رُفهم بذلك قوانين وقواعد موروثه . ثم إن ابتعاد البدو عن المدن وتفردهم في الأرض المقفرة . يضطرهم إلى إكرام الضيف والقاصد ، وحماية الضيف والملتجئ حتى إذا وقع أحد أفراد قبيلتهم بمثل هذا الأمر الذي يكثر حدوثه لديهم يتقاضى ما أسلفه . وإن مطاوي التاريخ العربي مستفيضة بأقاصيص كرماء العرب وكرمهم العجيب . والبدوي يعتقد أنه لا ذكر له ولا إرث أفضل من سمعة الكرم والجود ، وأن هذه المزية لا تزال عند بدو شرقي الأردن على ما كانت عليه في زمن أجدادهم الجاهليين فلا يحل ضيف بيت أحدهم غنياً كان أو معدماً إلا ويسرع لتهيئة كل ما يرضيه ويسره ، وإن الكثيرين منهم يضطرون إلى تحمل أعباء الدين الثقيلة لإرضاء قاصدهم . وإذا استأمنهم مستأمن على أمانة فداوا لحفظها أموالهم وأولادهم وأنفسهم ، وكذلك إذا التجأ إليهم خائف أو استجار بهم مظلوم ، أو نزل عليهم موتور مطرود « اهـ .

وقال الأستاذ حافظ وهبة الوزير المفوض للمملكة السعودية بلندن في كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين) : أما البدو فهم القبائل الرحل المتنقلون من جهة إلى أخرى طلباً للمرعى أو الماء ، والطبيعة هي التي تجبر البدوي على المحافظة على هذه الحياة . وحياة البدوي حياة شاقة مضنية ، ولكنه وهو متمتع بأكبر قسط من الحرية يفضلها على أي حياة مدنية أخرى . هذه الحياة الحشنة هي التي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل المرعى والماء ، وهي التي جعلت سوء الظن يغلب على طباعهم ، فالبدوي ينظر إلى غيره نظرة العدو الذي يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من المرعى ، إن البدوي في الصحراء لا يهيمه إلا المطر والمرعى فأزمته الحقيقية انحباس المطر وقلة المرعى ، ولا يبالي بما يصيب العالم في الخارج ما دامت أرضه مخضرة وبعيه سميناً وغنمه قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحاً . أما إذا أنما السكان وضافت بهم الأرض أو لم تجد أراضيهم بالمرعى ، فليس هناك

سبيل إلا الزحف والقتال أو الهجرة إن كان هنالك سبيل إليها . وكذلك القبيلة التي غلبت على أمرها وحرمت من مراعيها وأراضيها ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة ، وهذا يفسر الهجرة من وقت إلى آخر إلى العراق والشام ومصر واستعمار الجزء الشمالي الغربي من أفريقيا ، وتدفع شمر إلى ما بين النهرين وقبائل عزة إلى الحماة ، فكلها نتيجة تغلب غيرهم عليهم من القبائل واضطرارهم إلى ترك أراضيهم التي لم يعد لهم سبيل في الإقامة بها لضيق وسائل الحياة .

وقد جرى العرف أن القبائل تعتبر الأرض التي اعتادت رعيها والمياه التي اعتادت أن تردّها ملكاً لها ، لا تسمح لغيرها من القبائل الأخرى بالدنو منها إلا بإذنها ورضاها . وكثيراً ما تأنس إحدى القبائل من نفسها القوة فتهاجم بلا سابق إنذار على قبيلة أخرى وتنزع منها مراعيها ومياها . إن قبائل العرب ليسوا كلهم سواء في الشر والتعدي على السابلة والقوافل . فبعضها قد اشتهر أمره بالكرم والساحة والترفع عن الدنيا كما اشتهر بعضها بالتعدي وسفك الدماء بلا سبب سوى الطمع فيما في أيدي الناس .

ومع أن الدين الإسلامي أبطل كثيراً من العصبية القديمة وأحل محلها الأخوة في الدين ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ فقد عادت العصبية بشروورها في بلاد العرب مرة أخرى ، والفضل الآن في استتباب الأمن والضرب على أيدي المفسدين يرجع إلى جلالة الملك عبد العزيز وسهره ، وإقامة أحكام الشريعة وسرعة تنفيذها .

ليس للبديوي قيمة حربية تذكر ؛ ولذا كان اعتماد الأمراء على الحضر ، فهم الذين يصمدون للقتال ويصبرون على بلائه وبلوائه . وكثيراً ما كان البدو شراً على الأمير المصاحبين له . فإن ذلك الأمير إذا ما بدت منه الهزيمة كانوا هم البادئين بالنهب والسلب ، ويحتجون بأنهم هم أولى من الأعداء المحاربين ، ولقد جرى كثير مثل هذا في الحرب الإنجليزية العراقية مما كان يندعش له الضباط الإنكليز ، لأنهم لم يعرفوا أن صديقاً ينهب صديقاً ، ولكن البادية لا تعرف شيئاً غير النهب والسلب ، وعندها الغنية مقدمة على كل شيء . والبديوي لا يرى حياة أسعد من حياة البادية ويرى الحاضرة حبساً لحريته وتنقله

حيث يريد . كما أن أهل الحاضرة يرون البداوة شقاء لا يعادها شقاء ، ويصفون البدو بأنهم جفاة غلاظ القلوب .

والبدوي إذا لم يجد سلطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقه نهب الغادي والرائح ، فالحق عنده هو القوة يخضع لها ويخضع غيره بها . على أن هؤلاء قواعد للبادية معتبرة عندهم كقوانين يجب احترامها ، فالقوافل التي تمر بأرض قبيلة وليس معها من يحميها من أفراد هذه القبيلة معرضة للنهب ، ولذا فقد اعتادت القوافل قديماً أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل التي ستر بأرضها ويسمون هذا (رفيقاً) .

والبدوي يحتقر الحضري مهما أكرمه ، كما أن الحضري يحتقر البدوي ، فإذا وصف البدوي الحضري فإنه الغالب يقول : حضري تصغيراً لشأنه . ومن عادة البدوي الاستفهام عن كل شيء ، وانتقاد ما يراه مخالفاً لذوقه أو لعاداته بكل صراحة ، فإذا مررت بالبدوي في الصحراء استوقفك وسألك من أين أنت قادم ؟ وعن وراءك من المشايخ والحكام ؟ وعن المياه التي مررت بها ؟ وعن أخبار الأمطار والمراعي ؟ وعن أسعار الأغذية والقهوة وعن في البلد من القبائل وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم وبعض .

وبعض البدو لا يحلف كاذباً مهما كانت النتيجة . لقد شاهدت كثيراً من القضايا في الإحساء وغيرها كان البدوي ينكر إذا وجد مجالاً للإنكار ، ويفلت بمهارة من الإجابة عما يسأل ، ولكن إذا وجه إليه اليمين وكان لا مفر له اعترف بجرمه إذا كان مذنباً ولا يحلف بالله كاذباً وهذا أمر يدعو إلى الغرابة والإكبار أيضاً ، فإنه يدل على شعور عميق بالخوف من الله ، وإن هذا الشعور إذا أحيط بالعناية والرعاية فإنه ربما يوجه إلى الخير أو على الأقل إلى الإقلاع عن الشر .

...ومع وجود الروح الارستقراطية التي تتجلى فقط في الزواج ورياسة القبيلة والحكم ، فإنه لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى ، فالفرد وشيخ القبيلة والأمير يأكلون جميعاً الرز واللحم واللبن والتمر ، ويلبسون جميعاً الثوب والعباءة والعقال والقتل (الكوفية) ويتتبع أفرادهم بحرية لا حد لها فالبدوي يقف أمام الحاكم فيجادل في سبيل حقه ويستعمل كل الأساليب التي يراها موصلة إلى ما يريد . ا هـ .

وقال الأستاذ الشاعر خير الدين الزركلي في كتابه (ما رأيت وما سمعت) البداة هم البداة في كل عصر وجيل . يتطور المجتمع وتنقلب الدول ، وتكثر الاختراعات ويتقدم الإنسان ، وهم أولئك الحفاة الرعاة الشعث الغبر ، تغمزهم الحضارة غمزات فينقادون خطوات وتأبى عليهم طبائعهم إلا أن يعودوا القهقري فإذا سجايهم سجايهم وأخلاقهم أخلاقهم كأما جيلوا من طينة اسمها (سنة الله) لا تحويل لها ولا تبديل !

وهم على انفرادهم في خلاهم وعاداتهم انفراداً أوشكوا أن يكونوا فيه أمة وحدهم ، لها ما لها وعليها ما عليها ، فقد يشاركونهم في بعض مظاهرهم وتقاليدهم من كثير الصلة بهم أو قريب العهد في مساكنهم ومعاشرتهم من أبناء الحواضر المحفوفة بسكان القفار ، ولا سيما قطان القرى في الحجاز أخص منهم قروبي الطائف فإن جلهم بداءة يسكنون الدور بدل الحيام ، ويأكلون من خير زروعهم لا من لبن ضرعهم ، وفي هؤلاء من يغزو ويغزى كأصحاب المضارب لا فرق بين الفريقين ، إلا أن ساكن القرية أحرص على الاشتغال بحرث أرضه واستغلالها وساكن بيت الوبر أولع بالمغازي واحتياز الأسلاب بقوة الساعد .

ومن لطيف ما قاله هذا الأستاذ الشاعر في كتابه الثاني « عامان في عمان » المطبوع في مصر ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) وجرى حديث في الصلت عن البداة وطرائق النجاة من شر المعتدين منهم ، فكثير المتكلمون ، وكانوا جماعة ، فلخصت حديثهم الطريف بما يأتي : يمر السالك في البادية بالأعرابي ، فينظر الأعرابي إليه نظرة الطامع به الوازن نفسه ، هل يستطيع سلبه أم هناك ما يمنعه ، فإن رجح له الأول اعترضه وإلا تأوه ولوى وجهه ، وفي نفسه أن غنية عرضت له وفاتت . ولا يخلو سالك البادية من أن يكون أحد ثلاثة :

(١) إما عزيز الجانب

(٢) أو في قوته ضعف .

(٣) أو ضعيفاً ببادئ الإخلال . فإذا كنت الأول فلك أن تجري في الأرض مرحاً ، وعليك أن تسلم على من تلقاه في طريقك وإذا نزلت حياً من أحياء العرب أو قرية من القرى فتصدر المجلس تأمر وتنهى واطلب ممن أتت نازل عنده كل ما تحتاج إليه فإن المضيف الذي يسمونه (معزب) يلبيك مسرعاً ويرى الشرف في خدمتك وإن كنت الثاني فاتبع النصائح الآتية :

- ١ - لا تسلم على أحد في طريقك ما لم يبداً بالسلام فذلك أدعى للرهبة .
- ٢ - اهز جوادك لتظهر عليه علامة النشاط. والقدرة على الكر والفر . فإنهم إن استضعفوا دابتك طمعوا بك .
- ٣ - لا تكثر التلفت يميناً ويساراً وخلفاً ، فإنهم يشعرون بأنك خائف فيعترضونك .

٤ - كن جهوري الصوت إذا تكلمت مع أي كان .

٥ - لا تكن منفرداً .

٦ - إذا لقيت أناساً فتشاغل بالحديث مع رفيقك أو رفيقك .

٧ - إذا لاح لك عن بعد أناس فضع بندقيتك أمامك كالتهيء للشر .

٨ - إذا نزلت حياً أو قرية فلاطف المضيف (المعزب) ولا تكثر من كلامك . وإن كنت الثالث فخير لك أن تسلم من ترى فتسلم على الزاهب والآيب وتكثر من النزول في خيام العرب لتكسب مودتهم وإن اعترضك أحد بشي فلاطفه ، ولا تتعنت ، وأولى بك أن تلقي إليه بما يطلب فذلك أحفظ لحياتك . انتهى .

رأي الفرنسيين في البدو : من هؤلاء المقدم مولر المعروف بين العشائر منذ أن كان في تدمر ودير الزور وغيرها قائداً على المهجانة . فقد نظر هذا إلى البدو بعين السخط التي تبدي المساوىء دون غيرها ، وذكر لهم في كتابه أوصافاً كثيرة نجترئ ببعضها ليعرف بنو قومنا ماذا كان يقال عنهم أحياناً . فما ذكره هذا المقدم أن البدو إذا تكلموا كذبوا ، وإذا تناقشوا واربوا ، وإذا تقاضوا ما حكو ، وعندهم الطمع والجشع وحب السلب والنهب وقسوة القلب وحرمان الرحمة وضعف الدين مع الولع بالخرافات . وهم بخلاء إلا إذا وجدوا مأرباً في البذل ، وجبناء إلا إذا وجدوا خصماً ضعيفاً . وهم إن أظهروا شجاعة واندفاعاً للطعان والبراز فما هو في الغالب إلا للبخرة والمباهرة ، وإن تراؤوا أشداء فذلك للزهو وكسب الشهرة لا للإخلاص والتضحية ، لأن الإخلاص والتضحية وفكرة الواجب أمور تكاد تكون مجهولة لديهم .

وقد أول المقدم مولر حسنات البدو حسب رأيه فما قاله : إن كان البدوي قنوعاً وجلوداً فلأنه يعجز عن حمل مؤونته إلى أماكن بعيدة ، وإن كان راضياً بعيثه وزاهداً بدينه فلأنه لا يرغب شيئاً يجله . وإن كان بعض الأحيان كريماً مضيافاً فلأنه ينتظر أن

يقابل بالمثل من ضيفه أو غير ضيفه أو لأن في ذلك الكرم غرور شخصي ، وإن كان نهاباً سلاباً فلأنه يعد ذلك أسرع واسطة للغنى وأسهلها ، وإن كان ذا أنفة وخيلاء فلأنه لم يدخل بعد تحت سلطة ونظام ، وإن عطف على أولاده فعلى أمل أن يكونوا له أعواناً وحماة . لكن أولاد البدو لا يحملون عطفًا واحتراماً كافيين نحو آبائهم ، ومقام النساء عند البدو يأتي بعد المال والحلال إلا ما ندر ، وللبنات قيمة أكثر مما لأمهاتهن ، لأنهن سيعرضن يوماً ما للبيع ، وهم يفرحون لموت المرأة لأنه سيسبب تبديلاً جديداً في الحياة ، ويجزنون لموت البنت لأن فيه خسراناً لمورد لا يعوض إلى آخر ما هرفه وقذفه .

وقال كاتب فرنسي آخر أعدل حكماً وألطف لهجة من المقدم مولر في رسالة (العشائر البدوية ونصف البدوية في بلاد الانتداب الفرنسي) ما خلاصته : وفي صدد نوع المعيشة التي يقضيها البدوي تقول إن البدوي قنوع وذو صبر وجلد جديرين بالإعجاب . فغذاؤه القليل الذي لا يتغير جعله رجلاً عصبي المزاج نحيفاً وذو قوة عضلية قليلة في النسبة ، وهو يعيش من أول السنة إلى آخرها بحليب نعاجه وعنزاته وبالحب والبرغل والتبر ولا يرى اللحم إلا إذا زحف نحو مائدة الشيخ عند قدوم الضيفان . وموائد الشيوخ تتألف من المواد الآتية : يقدم الفطور في ساعات مختلفة جداً (بين الساعة ٨ - ١٢) وهو حفنة من التبر والحبز واللبن الرائب ، ويقدم العشاء (بين الساعة ٦ - ٩) وهو صحن من الرز وخروف وخبز ولبن . وقائمة الطعام هذه تتوالى دونما أي تبديل على مدى السنة كلها .

ومن خصوص المزايا والأخلاق فالبدوي لا يخلو من نصيب من الذكاء الذي يستعمله غالباً في الخداع ، وهو لا بد له بادئ بدء إذا سأله شيئاً أن يكذب ويرaug قبل أن يعلم القصد من الأسئلة الموجهة إليه . ثم هو قليل التعلق بالدين يؤدي صلاته على هون وحينما يروق له ذلك ، لكنه ورع جداً في صوم رمضان . ثم هو قليل الفتك وغير سفاك للدم . وهو وإن كانت حرفته الأولى السلب والنهب إلا أنه يجتنب القتل . وأساس مزاياه (الطمع) فهو لا يعرف فيه هواة . وخلافاً لما يروى عنه كحقيقة ثابتة فالبدوي ذو معلومات وذو استقامة . أما كرمه ووفاءه فهما في ذروة الشهرة التي نالها . وقيمة البدوي العسكرية نسبية . فهو لا يرغب أن يحارب في خارج البادية التي لا يعرف سواها . وهو حتى في أرضه إذا بدأ بمشروع حربي - كالغزو مثلاً - ينبغي لنجاح ذلك المشروع أن يحصل

على نتيجه بسرعه وفوراً . أما إذا شاهد أمامه دفاعاً قوياً ومقاومة مستمرة لا يلبث أن يترك المشروع ويهمله ولا يعود إليه بعد . والبدوي غير جدير بحرب المشاة ولا بالكمون واتخاذ الموضع مهما كان موضعه قوياً . ومن ثم كانت قيمة البدو العسكرية محدودة جداً لا ينفعون إلا في مطاردة عدو منهزم وملاحقته وإزعاجه كما كانوا يعملون في أواخر الحرب العامة الماضية وراء الجيش التركي الرابع . اهـ .

أما الرئيس رينو والطبيب مارتينه صاحب كتاب (البدو في مقاطعة دمشق) فقد كانا أكثر اعتدالاً وإنصافاً من المقدم مولر في بحثهم عن أطوار البدو وأخلاقهم ، وأجود وصفاً ورصفاً منه . فقد صوراً أدوار حياة البدوي من حين ولادته إلى طفولته فصبوته فشيخوخته فماته . وإلى القارئ تعريب ما قالاه :

الولادة عند البدو حادثة كثيرة الوقوع ، لأن البدوي كغيره من المسلمين يرى الزواج والاستيلاد واجباً . والعقم يعد من بواث المهانة والازدراء . وهذا هو السبب في أن البادية تحوي أماكن للزيارة تهرع إليها النساء اللواتي لم يلدن في تلك السنة فيتوسلن لربهن أن يحسن إليهن بولد . والحق أن هذه الحالة الروحية جديرة بالتقدير جداً ، لأنها تعوض وفيات الأطفال التي تقع لديهم بكثرة . ويكفي أن تمر بمقبرة بدوية حتى يثبت لك عظيم الخسارة في الأطفال . وإذن تكون هذه الحالة الروحية قد كفلت بقاء العرق البدوي وأمنت مستقبله إلى حد ما .

وبينا وضع المرأة حملها عندنا نحن الأوروبيين يعد عملاً مرضياً أو حادثاً مزعجاً ، يعد عند البدويات القريبات من الطبيعة حادثاً فيسيولوجياً وحركة عرضية بسيطة . فإذا كانت المرأة الماخض في الخيم يهرع بعض النساء المتقدمات في السن والقدر ويساعدها ، ولا تمضي ساعتان أو ثلاث على الوضع حتى تعود النفساء إلى أعمالها المنزلية المعتادة ، أما إذا أدركها المخاض في الطريق وهي راكبة ، وكان سبب إدراكه اهتزاز الرحول ، تنيخ المرأة بعيرها وتضع ولدها بنفسها وهي جالسة القرفصاء ، وتقطع سرتة وتربطها بيدها ، وتلف الوليد وتحمله على ظهرها ، وتستأنف سيرها كأن لم يحدث شيء . وإذا تعسرت عليها الولادة بحيث خرج رأس الوليد وحده تأخذ حبلاً وتربط أحد طرفيه برقبة ، وطرفه الثاني بأحد قدميها بعد أن تطوي فخذه وتشد عليه شداً قوياً ، بحيث أنها حيناً تمد فخذه المذكور قد يخرج رأس الوليد منفصلاً .

والعنايات الأولى بالوليد بسيطة ، يغسل بدنه بالرمل وقد يدهن بالزيت ، وهي طريقة حسنة لأن الرمل ذو قوة امتصاص كبيرة . ثم إن ذر الرمل على الأعضاء التناسلية للوليد يمنع العطن عن جلده ما زال في القباط . ثم يكحل وهذا الكحل (كبريتات الأنتهوان) الذي يحيط بالأحداق يؤثر في جلد الوليد الأصفر الذهبي ويظهره بلون الليمون . ثم يلف بخرق بالية مشدودة بخيوط القنب ويضعون على رأسه طاقية صغيرة عليها تائم . ويضيف الأغنياء منهم إليها ريشة من ريش النعام .

ولا يشهد أحد هذه الولادة أو يسجلها . إذ ليس للبدو سجل إحصاء للنفس ، ومن ثم يبقى الولد جاهلاً الزمن الذي ولد فيه . وإذا حاول أحد الفضوليين أن يعرف عمر أحد الأولاد وجاء يسأل أباه وأراد هذا الأب أن يجيبه يجهد فكرته ويستخرج تاريخ الولادة تقريباً من عدد سني النجعة التي تبدى فيها منذ نشأة ابنه وتعطي الأسرة إلى هذا الولد اسماً . واسم البدوي يتألف من اسم أولي مضاف إلى اسم الأب أو اسم الأسرة التي ينتهي إليها كنوري بن شعلان ، وإذا صادف مرور ضيف جليل القدر بهم أثناء جبل الأم يسمى الوليد باسم هذا الضيف^(١) . وأكثر أسماء البدو هي كما عندنا (الأوربيين) من أسماء الأنبياء الواردة في دينهم كحمد وأحمد وإبراهيم وعلي .

والبدو لا يحفلون إلا بولادة الصبي . أما البنت فليس لها محل من الذكر أو الاهتمام . وإذا سئل أب عن عدد أولاده لا يعد إلا الصبيان . وأطفال البدو يولدون ويتلمسون حياة البداوة وهم محمولون إما على ظهور أمهاتهم ، وإما في إحدى عيني الخرج الموضوع على ظهر حمار صغير . وهم يترعرعون رويداً رويداً لوحدهم مثل الجديان والحملان الراقدة في بيت الشعر وحول أولئك الأطفال ، لا فرق بين هؤلاء وأولئك .

ودور الطفولة شاق جداً ، فالطفل البدوي يترعرع في الغالب دون أن يرى أي أثر للعطف والحنان . لأن له إخواناً وأخوات كثيرين ، ودون أن يتمتع باللهو واللعب . لأنه ما أن يشتد جسمه ويرجى عمله حتى يوجه إلى غاية نافعة مثمرة . ولا يرى مسرات الطفولة ويفرح بها إلا القليل من أبناء الشيوخ والكبراء فحسب .

(١) حتى أنهم سمو بعض أولادهم لورنس وطوماس وأمثال ذلك .

ولا شيء يستحق التنويه في دور صبوة البدو إلا حادث الختان الذي يجري بين السنة الثالثة والخامسة . وإليك وصف حفلات الختان عند البدو :

قبل الحفلة بأيام عددها بعدد عمر الصبي تقام معالم الأفراح في كل الخيم ، فتمد الموائد وتذبح الذبائح ويبدأ بالرقص والهرج . والرقص يدار حول دمية يعملونها من وتد كبير ويلبسونها لباساً ضخماً ويركزونها في الأرض ، وتسمى هذه الدمية « الموسانا » وتأقي أجمل فتيات الخيم وأرشقهن قواماً وتحسر رأسها وتسدل شعرها وتشرع بالرقص حول الموسانا . ورقصها هو المعروف في هذه البلاد ، وهو عبارة عن حركات بدنية أخصها هز الأوراك والأرداف . ويلتف الرجال والنساء حول الفتاة ويعملون كما تعمل ، فيصير الرقص هكذا عمومياً تديره امرأتان تسمى كل منهما (اللافحة) . وفي ختام الرقص يدعى الحاضرون إلى الطعام ، وهو مؤلف من البرغل أو الرز واللحم . ولا بد أن يعمل في إعداد هذا الطعام كل النساء اللواتي لهن أولاد عمرهم ٣ - ٥ سنوات .

ويجري الختان في اليوم المعين وقت الظهر ، يقوم به رجل أخصائي لقاء مجيدي أو جزة وبرجل أو عدة جزات من صوف الغنم . ويسبق هذه العملية الهامة ولية أكبر من سابقاتها وأكثر دسماً ، لأنهم يذبحون لها عدة خرفان أو ناقة سمينة توضع فوق منسف كبير من الرز . ويعقب هذه الوليمة حفلة طراد الخيل مع إطلاق الرصاص وتمثيل الكر والفر والحرب وزغاريد النساء . وتظل معالم الأفراح بعد الختان أياماً عددها قدر التي احتفل بها قبل وقوعه .

والصبي المختون يستمر في نموه وترعرعه . وهو يمشي في الغالب عارياً في فصل الصيف . وإذا ألبسوه فن بقايا الثياب التي كانت لأبيه ، ورجلاه حافيتان أبداً ، وهي تتصلب وتعتمد على دوس الحصى والصوان . أما رأسه فمحلوق بالمره ؛ إلا من غديرتين طويلتين تتدلى الأولى على جبينه للبهرجة وتبقى الثانية في قمة رأسه ، وهي في زعمهم لأجل أن يسحب ربه بها إلى السماء إذا مات . لأن هؤلاء الأطفال المساكين يموتون في كثرة . ويعود ذلك إلى سوء التغذية ورواءة تقنياتها . ومن هنا ترى بطونهم منتفخة مثألة . ثم إن الليالي في البرية باردة جداً ، والخوف من الأمراض السارية كالحمى والحصبة

سائد . ومن ثم كان الانتخاب الطبيعي يعمل عمله هنا بقسوة وشدة . فهو يبيد من هذا النسل الكثير كل من يعجز عن تنازع البقاء في هذه الحياة .

وإذا ناهز الصبي البلوغ في سن ١٣ - ١٤ يحسب رجلاً . وحينئذ يغطي رأسه بخرقة ، ويربي شعره ويجعله يستطيل ، وتتدلى جدائله على كتفيه ، وتحيط بوجهه الصغير المقطب ، وهو يأخذ صغار الإبل وصغار الغنم إلى المراعي ويعيدها إلى البيت ويشترك في حلب الغنم وفي التقاط الأعشاب اليابسة وجمع برع الإبل للوقيد . وهو يبقى في الغالب مع النساء اللواتي يساعدهن ويسابقهن إلى العمل . وتراه أحياناً يدخل إلى الربة ويقبل أيدي الضيوف . ثم يندس في إحدى الزوايا محمداً في من حوله ساعات طويلة صامتاً صموت أبي الهول دون أن ينبس ببنت شفة ودون أن يفتر عن أصغر ابتسامة .

وسن الفتوة البدوي هو دور روائي ومبهرج وشعري . فالفتى البدوي يغسل وجهه ببول الإبل ليتقوى جلده ، ويمسح بدنه بعرق الخيل لتنشيط عضلاته ، ويمسده أيضاً بروت الخيل الذي يزيل الدهن جيداً . ولا يلبس الفتى البدوي إلا قليلاً من الحلي كخاتم من النحاس أو الفضة ، وإذا لم يجده يستعمل الوشم المشابه للأختام أو الأسورة .

والفتيات البدويات في باب التجميل والتزين أكثر تطلباً واندفاعاً من الفتيان فهن يحملن في معاصهن وأحياناً في كواهلهن عدة أسورة ودمالج من الفضة أو الذهب أو النحاس حسب ما تمكنهن ثروتهن فيسمع لها قعقة ترافق وقع أقدامهن ، ويعلقن بالبراغي في أرنبه أنفهن اليسرى ، وفي شحمة أذانهن كرية صغيرة بشكل وردة يدعونها (وردة) ، ويصبغن شعرهن وأظافرهن بالحناء ، وأخيراً يستعملن الوشم بكثرة تضطرنا إلى التحدث عنه : فالوشم يؤتى بالإبرة وذلك بأن يوخز الجلد بها حتى يخرج الدم في المكان المقصود وشمه ، ثم يدللك هذا المكان بمسحوق النيلج ، وهذا العمل تقوم به النساء ويعملنه بين السنة الثالثة والعاشر حسب عادة العشيرة ، وهو أمر محتم على الفتيات لا بد أن يقمن به ويعد من أكبر أسباب الزينة والتجميل لهن ، ويعتقد البدو أن الوشم يرد مرض المفاصل (الروماتيزم) والفتيات يرسمن في أصابعهن رسوم الخواتم وفي أيديهن نجوماً وعلى شفاههن حبات الجمال وعلى أعناقهن قلائد وعلى أثدائهن وأفخاذهن سلسلتين عرض كل منهما نحو

سنتيتر منفرجتين كالروحة وعلى بطونهن رسوماً متنوعة . هذه هي أخص رسوم الوشم التي تختلف حسب العشائر وحسب مقدرة الفتيات على تحمل آلام عملية الوشم .

واستعمال الفتيان للوشم أقل بكثير من الفتيات ، فالشبان يكونون سواعدهم ، والكي يستعمله البدو للتداوي وسيؤون استعماله بكثرة وفي أي مكان ، فهم يكونون سواعدهم بحديدة محمية ، أو بقطعة من الصوفان المحروقة ، ويجعلون الكية بقدر القرش ، فالجرح يتعفن والفتحة تتقيح وتبيض فتشبه قطعة من النقد .

والبدوي في سن العشرين يحب التارين الرياضية والعياقة والرشاقة . إلا أن شجاعته ليست زائدة ، وهي لا تخلو من التحذلق أو الفشار حيناً يتم واجبه أو يتحدث عما جرى له ، وهو من صغره يعود على الفروسية ، فيركبونه فرساً يسوقها برسن واحد مصنوع من الوبر ، ويكون السرج غالباً بدون ركاب ، وهو يتجول بها مسافات طويلة تنوف عن المئة كيلومتر دون أن يقف أو يعرج على حي ثافي ، وحيناً ترحل العشرة من مكانها يذهب للتفتيش على المراعي والمنازل وقبل أن يأتي رائد آخر ويسبقه إلى هذه المهمة . وحين الظعن يرافق القطعان وهو راكب ، لأجل أن يخبر عن هجوم قد يقع على هذه القطعان ، ولكي يدافع عنها أيضاً . ثم قد يذهب لكشف منازل الأعداء ، ولإرشاد الغزاة الذين يكون هو منهم أيضاً . وقد يقوم هذا الفتى ببضعة أعمال من البطولة ، وحينئذ تراه قد انشرح صدره انشراحاً عظيماً وزاد غروراً وافتخاراً حيناً تستقبل النساء الغزاة الراجعين الظافرين الغائمين ويتأهلن ويرحبن بهم ويزغردن .

والغالب أن يتزوج البدوي لأول مرة حيناً يبلغ سن العشرين ، وقد تشترط الفتاة المخطوبة على خطيبها أن يأتي بمأثرة أو مفخرة ، وقد اختصت بنات الشيوخ وحدهن بحق انتخاب الخطيب وحق فرض الشروط عليه ، ولذا ترى خطباءهن يقابلنهن أحياناً بعمل من أعمال الفروسية الخالدة ، وسن العشرين ليس سن محدد للزواج ومطلق ، لأن بعض البدو يتزوجون في الخامسة عشر ، وبعضهم قد يتأخر إلى الثلاثين . لأن مهور النساء غالية . وكثيراً ما يفضل الأب المعمر نفسه على ابنه فيتزوج هو بفتاة صغيرة ويدفع مهرأ باهظاً ويهمل ابنه . وعدد النساء اللواتي يتزوجهن البدو غير ثابت . ويذكر عن بعض شيوخ الجزيرة الفراتية أنهم قد تزوجوا ١٥ - ٢٠ امرأة . ويذكر عن آخر زواجه بثئة ، أما

البدو الذين نبحث عنهم فلا يجمع أحدهم أكثر من اثنتين سوية ، ولا يتزوج أكثر من خمسة مدى حياته كلها . والسواد الأعظم من البدو لا يحوي إلا امرأة واحدة .

وتجري الخطبة في هدوء وتكتم ، ولا يسمح للخطيبين أن يتبادلا أكثر من بعض النظرات وبعض الكلمات أثناء الطريق أو حول البئر ، وربما دام هذا بضع سنوات لعجز الزوج عن تأدية المهر .

وترسل بادئ بدء رسل الخطبة المنتخبون انتخاباً حسناً إلى البنت فيطلبها هؤلاء على ما يرام منها . وترسل رسل آخرون مؤتمنون لحادثة أهلها . وهذه المراجعات الرسمية مقررة ولا بد من تحقيقها حتى عند الفقراء ، فإذا جاءت الأجوبة بعكس المطلوب يبقى كل شيء مكانه . وإذا جاءت وفق المطلوب تجري الخطبة الرسمية بمعرفة كبراء العشيرة . يذهب هؤلاء إلى أبي الفتاة ويرجونه أن يخرج إلى خارج البيت ليتكن من الإدلاء بحرية عن رأيه ، فيعرضون عليه القصد من محبتهم . ومن هنا يفهم السبب في أن الأب لا يأخذ رأي البنت ، ذلك لأنها قد استشيرت في المراجعات الأولى وعرفت رغبتها . لهذا ندر أن يلاقي القادمون للخطبة الرسمية رفضاً . وإذا حدث الرفض يعد إهانة للقادمين المذكورين .

هذا وانتخاب الفتاة المخطوبة تابع إلى حد ما إلى تقاليد وقبوع . فالشيوخ أو أبناء الشيوخ لا يستطيعون أن يتزوجوا إلا بفتيات من طبقتهم وأمثالهم . وقد تتداخل الدواعي السياسية في هذا الانتخاب والزواج . لأن البدو يحتمون وجوب التماثل في الثروة والطبقة . ومن ثم كان الزواج محصوراً في الغالب بين أبناء الفخذ الواحد أو أبناء فخذين من العشيرة الواحدة ، وإذا كانت العشيرة المطلوب مصاهرتها بعيدة وجب أن تكون صديقة ، وهكذا يستمرمو العرق محتفظاً بالخصال الأصلية ، وهذه القضية حقيقية بحيث أنك بعد اعتياد قليل تصل إلى معرفة البدو الذين تلاقىهم ، وتستطيع أن تنسبهم إلى عشيرتهم ، وذلك إذا أمعنت النظر في وجوههم وأساريرهم ، ومن هنا تدرك السبب في أن شدة الغرابة الدموية بينهم هي الباعث للعيوب البدنية التي تكثر لديهم .

وإذا تم التراضي يدفع المهر إلى أبي المخطوبة أو أوليائها ، أما هي فلا ينالها منه شيء . ولكن إذا كانت من عشيرة أخرى يعطونها نصف المهر . وفي مقابل المهر تحمل هي

إلى بيت بعلمها جهازاً متواضعاً مؤلفاً من سجادة وفرشة ووسادة وصندوق ثياب وأدوات زينة . وندر أن يدفع البدو المهر نقداً ، بل يدفعون مقابله من الإبل والغنم ، وقد يدفعون بادئ بدء نصف المهر ويؤجلون النصف الثاني . ولكن لا يقع الزواج أبداً ما لم يدفع مقدماً نصف المهر على الأقل . ولا يمكن الشذوذ عن هذه القاعدة إلا حين التبادل ، أي حينما يأخذ أحدهم أخت الثاني ويزوجه هو أخته ، فيكونا قد تبادلا دون دفع شيء .

والأعراس أيضاً عند البدو بسيطة . وإذا كانت حالة العروس موآتية يركبونها هودجاً على بعير ويزفونها إلى بعلمها . وتقام معالم الأفراح حين وصولها وتولم الولائم ويدعى لها كبراء العشيرة ، وأساس هذه الولائم ذبائح الغنم أو الإبل . وإذا كان العرس لأناس أغنياء ، يضاف إلى ذلك الطبل والزمر والغناء والرقص وطراد الخيل .

ومظاهر الأفراح التي تجري في الأعراس ليست رهن السلام الدائم في الحياة البيتية . فالشقاق إذا ذرقه ، والبغضاء إذا تنفست لا بد أن يعقبها الهجر والطلاق ، وإذا طلق الرجل امرأته تحمل هذه معها كل ماأنت به من الجهاز وترجع إلى أهلها الذين يحتفظون بمهرها ولا يردونه . وإذا وقع الطلاق بطلب من الزوجة - وهو ما اعتادت عليه بعض العشائر - يحق للرجل أن يسترد المهر الذي دفعه .

والطلاق يتم إذا لفظ الرجل ثلاث مرات العبارات المعينة الآتية : أنت طالق ، يمكنك أن تتزوجي بمن تشائين ، أنت وشأنك يا فلانة ، لا أريدك بعد الآن .

بيد أن الطلاق نادر ، وأندر منه العزوبة ، لأن العزوبة عند البدو تماثل العقم ويشبهون الأعزب بالشجرة غير المثمرة ، ويرونه جديراً بالمهانة ، وأندر من هذا وذاك الزنا ، لأن أقل انحراف عن العفاف تقوم به المرأة عقابه القتل . ويقر الزوج هذا القتل بنفسه وينفذه بيده ويوافق الجميع على ذلك . والزوج لا ينحرف عن عفافه في الغالب ، ألم يهون دينه عليه الأمر ويسمح له بتعدد الزوجات ؟ ثم هو إذا لم يغش المدين كيف يتمكن من الزنا وسط نساء العشيرة العفيفات ؟

بل إن الأمر بالعكس ؛ فما أن يتم شهر العسل ، وما أن تظهر علائم الحبلى حتى تحتل المرأة مكاناً في فؤاد بعلمها ، ويفسر هذا المكان في أنها أي المرأة (مطية اللذة الجسدية وقالب إيلاد الذرية) .

وإذا تزوج البدوي سرعان ما تراه قد صار رب أسرة ، وسرعان ما تراه قد كبر وبلغ أشده ، أما لباسه في هذا السن فهو (وبعد أن وصف المؤلفان لباس الرجال والنساء بما ذكرناه في مكان آخر) قالا :

ولباس الرجال والنساء عند البدوي في أيامنا هذه لا يختلف قط عما كان عليه في العصور الغابرة . وهذا اللباس لا يفارقهم في النهار ولا في الليل . ولا يبدلونه إلا مرة في العام عقيب شهر رمضان ، وهو موافق كل الموافقة لحالة البادية . وماذا تريدون أكثر من الكوفية درءاً لعواصف الرمال ، وأشد من الفروة الفضفاضة في دفع برد السحر في الشتاء ؟ وهل هناك ألطف من الثوب العريض الملهل في تخفيف حرارة القيظ ؟

أما في الناحية البدنية : فالبدوي كبير الجثة ، رقيق القامة شديد السمرة ، وله شعر مضفر يحيط بوجهه متطاوّل منته بذقن مدورة أو مثلثة الشكل ، تحمل لحيةً مجمدةً مستدقة الطرف ، وخداه مقعران بينا وجنتاه بارزتان ، وأنفه أخنس وربما كان أقفى ، أما عيناه فسوداوان وصغيرتان ، ونظراته تعرف اللطف كما تعرف العنف ، وتظهر أحياناً من حدقة عينه المخدرة انعكاسات كانعكاسات الفولاذ الأسمر . أما أعضاؤه فنحيفة وقوية العضل ، وحينما تراه أثناء الطعام يعجن لقم الرز الضخمة ويدملكها في يده وبأصابعه النحيلة ، ويهيئوها للازدراء تلحظ تحت جلده الأسمر وتحت سواعده المفتولة بروز عضلاته ودورانها كأنها خيوط من الفولاذ ، ونساء البدو هن على الوتيرة نفسها وقد ألفن الأشغال الشاقة أحياناً أكثر من الرجال ، ومن ثم تراهن في نفس اللون والسياء والمظهر الذي لأزواجهن . والعضلات في أعضائهن المعصوبة تشبه حزمة من الحبال المشدودة .

أما في الناحية الأخلاقية : فالبدوي يكاد يكون مجموعة متناقضات ، كأن المزايا الحقيقية الموروثة عن أجداده قد كُتت وكهمت ، نتيجة المعيشة القاسية التي يقضيها في يومنا هذا ، فالبدوي غير خالٍ من الشجاعة ، لكن شجاعته سطحية وغير خالٍ من صدق الطوية ، ولكنه ينجح كثيراً إلى الخداع والمواربة ، وقد أكسبته التجارب أن اللف والدوران حول العقبات والمشكلات خير من مجاہتها مباشرة ، فهو إذا ما طرحت عليه سؤالاً يجيبك دائماً أجوبة غامضة ، بيد أنه يمكن استخلاص الجواب الشافي منه فيما إذا كانت المسألة لاتمس مصلحته الشخصية ومصلحة أقاربه الأذنين . لأن مصلحته ومصلحة عشيرته

ها أهم الأمور التي تحدد اتجاهه في المعاملة . والبدوي ميال إلى السلب والنهب ، وعنده في الوقت نفسه ميل إلى الكرم والسخاء ، كل ذلك حسب الظروف والحاجة ، والطمع رائد البدوي بحيث أن وسأوسه لاتمعه أصلاً من أن يتجه نحو الناحية التي يجدها أصح له ، بيد أنه تجده غيوراً ومنافحاً عن سمعته وحرية ، وهو سريع التأثر والغضب لكرامته ، وشديد الانفعال إذا أصابته إهانة أو عداوة ، لا ينسى ذلك أبداً حتى آخر عمره ، ولا بد له من أخذ الثأر ومحو العار . فالبدوي حقود وطلاب للثأر إلى حد أنه يورث حقه وثنأه إلى أعقاب .

وشطف عيش البدوي لا يحو الناحية المثالية من شخصيته ، فكلامه موزون ومعقول في عبارة صريحة وسرعة انطلاق نحو الهدف ، يزخره بضرب الأمثال وبالتشبيهات التي تصدر عن روية ومعرفة ، وفي السهرات يسمع البدوي ويصغي لما يقصونه عن سير الأبطال والفرسان من أبناء قومه وتترنح أعطافه طرباً حينما ينشد أحدهم أمامه أغنية بصوت مطرد الأوزان ترافقه دقات الربابة التي تتلاشى رناتها في الصمت الواسع للمخيم المستغرق في هجوده ، والبدوي يقدر قدر الدماثة واللباقة ، وهو يهوى السلاح ويحسن استعماله .

وإذ كان البدوي رقيق القامة ومتخلق بكل أوصاف جنسه وديوي النزعة حسب بيئته ، ترى دوره الذي يمثله في مسرح الحياة دوراً تزيينياً زخرفياً . ثم هو يلاحظ أعماله ويصدر أوامره ويتقبل الزيارات ويردها ، ثم هو إلى ذلك صاحب سلطة وقيادة ويعرف حسن القيام بها ، ومن ثم يكل إلى نسائه وأولاده أمر العناية بأعمال البيت وتربية الماشية وإرعائها وإسقائها . ولكن إذ كان هو روح أسرته وعماد بيته يعرف وقت هجوم الأعداء كيف يقف وينافح عنهما ، ويعرف أن من واجبه خدمة شيخه يوم الغزو .

والبدوي في حقيقته أقل فروسيةً وأنقص في المثالية (الكمال) مما يصوره الروائيون والقصاصون ، وهو خليط من الحاسن والمساوئ ، ولكن مهما كانت مزاياه يظل في نظرنا رجلاً مستحقاً كل الاستحقاق للاحترام والانجذاب والتودد نحوه .

وتتد حياة البدوي الفعلية مدة مديدة إلى أن يشيخ ، وتخلله قواه رويداً رويداً

ويعلموه الشيب ، فينوب عنه ابنه الأكبر في الأعمال . وحينئذٍ يشتري الأب عقلاً ضخماً ، ويلتزم الانزواء في بيته ويرجع كما كان في عهد الصبا للعيش بين النساء لا يزار في بيته ولا يخرج منه إلا حين الضرورة ، وتنسى العشيرة يوماً بعد يوم استشارته في مهام الأمور على أنها تحفظ له كل رعاية وحرمة ، ويبقى سنياً عديدة مثال السلف الصالح ممسكاً بدفة الأمور إلى أن يموت كما يموت المصباح المنطفئ .

وموتة البدوي كولاته تقع حسب ظروف الحل والترحال . وإذا مات يمزق نساءه ثيابهن الفوقانية ، ويثخن التراب على رؤوسهن ، وينتفن شعرهن ، ويرفعن أصواتهن بالولولة ، ومن علامات الحزن تنزيل أحد أطراف الخيمة ، ويتوافد كبراء العشيرة ويقدمون لورثة الميت تعازيهم بعبارات بالية اتكالية . ثم يحفرون له قبراً في ذروة أكمة مشرفة على منزل العشيرة ويجعلون اتجاهه نحو مكة ، ويحمل أبناءه نعشه وحولهم النساء الباقيات النادبات ويبلغون به الأرض التي طالما دافع عنها في حياته . وهناك يتلون بعض سور دينية بصوت منخفض ، ويفسولونه الغسل الأخير بالرمل وهذا الرمل الذي غسل جسمه الصغير العبل الأصفر صفرة ذهبية لما كان طفلاً يعود لغسل الهيكل العظمي للميت الأسمر اللون . ويضعون على القبر ركام التراب المستخرج من حفرة ويحيطونه بسور مستطيل من الحجارة دون أن ينقشوا عليها أي كلمة أو رسم .

ثم يستأنف الحي سيره نحو آفاق جديدة وأبعاد سحيقة ، ويعود الزمان إلى فعله ، ويمحو آثار القبور الرثة ويلاشيها . وتدوس أخفاف الإبل العريضة القبور المجهولة وهي سائرة دون علم ولا معرفة بها ولا بأصحابها ، وإذا مات البدوي فعنى ذلك أن حياة قد انتهت في كل بساطة ، كما بدأت ونمت في كل بساطة .

ونحن أهل الحضارة والتمدن لاندرك للحياة معنى مالم تكن محفوفةً برغد العيش في الدور الفخمة والموائد المزخرفة ومالم تكتمل بغشيان المقاهي والمسارح ، ولأجل ذلك نعد حياة البدو عديمة الألوان ونعتبرها قاسية شديدة ، ونراها كأنها دواعي عذاب الجسم وإرهاقه دون انقطاع ، أو كأنها قشافة وزهادة على غير جدوى .

على أن هذه الحياة في عين البدوي هي منتهى القصد وغاية المنى . أليس كل رغد في الحياة هو نسبي ؟ أليس الرغد حالة توازن بين الإنسان وبيئته التي يعيش فيها ؟ أليست

العادة أساس كل شيء والفكرة التي توحىها العادة هي مختلفة في نظر كل منا ؟ إذن هذا هو السبب في أن البدو قليلو الاكتراث بمطالبهم الجسمية طالما مطالبهم الروحية مؤمنة .

وجل ما يحتاجه البدوي هو النهارات المضيئة والليالي الصافية والآفاق الواسعة الممتدة في البعد ، والمساحات الشاسعة اللانهاية لها حيث الأرض يرثها أول من يطؤها .

وحياة البدو مبنية على عدم المبالاة بالغد بتاتاً وعلى الانفعال الموقت الساذج وعلى البطالة الطويلة تحت سقف الحية مع تدخين الناركيلة الخراة ، واحتساء القهوة نغبة بعد نغبة بالفناجين الصغيرة ، ثم إن حياة البدوي قد جبلت أيضاً وخاصة من الحرية الحقة . والبدوي جلود جلادة البعير ، وجسور جسارة الأسد ، ونشيط كنشاط الغزال ، إلا أنه أكثر من هؤلاء جميعاً حريةً واستقلالاً .

هذا هو البدوي وهذا هو ما يود أن يحرص عليه . ونفسيته المتعاطمة لاتقبل مطلقاً كل ما يشبه النير إذا حز الرقبة . فالحرية والاستقلال هما من الممتلكات التي يضعها البدوي فوق كل شيء ، ويبقى حريصاً على الاحتفاظ بها مدى الحياة .

وختاماً نقول إن عقيدة القضاء والقدر هي المتسلطة على كل شيء لدى البدوي . وكلمات (الله أكبر) و (الله أعلم) و (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (أينما تكونوا يدرككم الموت) وأمثالها هي القواعد التي يعتد عليها البدوي طول عمره وهذا هو السبب ، في أنه لما يتم البدوي حياته القاسية المتشردة وينقلب شيخاً هرمأ ترى وجهه الذي كان نشيطاً فعالاً صار يشع صفاء روحياً تاماً . (انتهى مقال الرئيس رينو ورفيقه) .



التقاليد والعادات

عند البدو

يتشابه البدو أينما كانوا في العادات والتقاليد والأزياء . لأنهم جميعاً في حالة فطرية أولية واحدة . هدتهم إليها الحاجة وما اقتضته طبيعة البوادي والقفار القاسية المتشابهة في كل مكان . فهم متماثلون في تكوينهم الاجتماعي وفي أمور معيشتهم ، ولا يختلفون إلا قليلاً من حيث العراقة في البداوة أو قتلها ، وقرهم من الحضارة أو بعدهم عنها وعن أهلها . أي من حيث كونهم من البدو الأصليين أو من البدو المتحضرين . وما سنذكره من القواعد والأصول والتقاليد والعادات يشملهم في الجملة . وإذا كان هناك بعض فروق بين عنزة وشمّر العريقين في البداوة وبين أعراب الديرة والشوايا أنصاف الحضار أو بين عشيرة في الشمال وأخرى من الجنوب فذلك ليس بجوهري ، ولا يزيد عن الفرق بين سكان دمشق وإحدى قرى الغوطة أو قلمون ، ولا يحتاج إلى استطراد خاص قد يضيق نطاق هذا الكتاب عنه وهانحن نبداً بذكر (التكوين الاجتماعي) لدى البدو ونتدرج إلى غيره :

التكوين الاجتماعي عند البدو

إن التكوين الاجتماعي عند البدو بسيط لا يتجاوز حد الأسرة (العائلة) قط . واسم الأسرة عندهم (الأهل) ومن الأسئلة الأولى التي توجه إلى البدوي إذا عثر عليه في الطريق منفرداً (أين أهلك ؟) . والأسرة تتألف من الرجل والمرأة ومن فروعها وفي بعض الحالات الشاذة من أصولها المنعزلة الطاعنة في السن أو المريضة ومن بعض الأيتام الصغار . ولا يزداد عدد الأسرة بفعل الزواج . لأن البنت إذا تزوجت تذهب إلى بعلها والابن إذا تزوج يتخذ لنفسه بيتاً قريباً من أهله في الغالب فيؤلف في العشيرة أسرة جديدة تلقب باسمه . والأب هو رئيس الأسرة وإذا مات يرثه في هذه الرئاسة ابنه الأكبر ، على أن هذا يجوز أن يتخلى عن حقه في الرئاسة إلى أخيه الذي يليه في السن ،

ولرئيس الأسرة على أسرته حق الحياة والموت دون منازع ، ويمكن الإفصاح عن هذا الحق بالقاعدة الآتية : إما الطاعة له أو الرحيل عنه ، وللأسرة على رئيسها حق الإدارة وتدير المعيشة وحل المشكلات التي قد تقع في داخلها والدفاع عنها بشدة إذا جاءها مكروه من خارجها .

والتضامن الكامل موجود في الأسرة البدوية بأوسع معانيه ، فإذا صدف أن ألقى بدوي في السجن لمنكر فعله ينبري أبوه وإخوانه وأعمامه وأبناء عمومته لتخليصه ، فإذا جرى التحقيق وثبت الجرم على السجين تمتد التبعة المشتركة إلى أنسابه المذكورين وتسري عليهم ، ومن هنا كان المكلفون بإدارة البدو إذا أرادوا تحصيل شيء من الأموال أو العروض من بدوي لا يستطيع القبض عليه تعويضاً عن أموال مسروقة ، أو دفع دية أو تأدية ضريبة ما ، جرت عادتهم أن يأخذوا أخاه بجريته كرهينة ويسجنونه ، فبعد بضعة أيام من إلقاء القبض على هذا الأخ يبادر المجرم الذي قد يكون بعيداً في أماكن قاصية جداً ويرسل الإبل أو الغنم أو الدنانير الذهبية المطلوبة . وعاطفة التضامن هذه في الأسرة من أجل نواحي الحياة البدوية .

إن تاريخ الأسرة البدوية ونشئها ونموها هو كما في كل الشعوب البدائية . فقد يبرز رئيس إحدى الأسر بشجاعته ومضاء عزمه وذكاء جنانه فتلتف حوله أسر أخرى وتلجأ إلى حماه ويتقدم رجالها لخدمته ، ويصيرون من ثم تبعاً لتلك الأسرة التي ارتأست .

وحقوق الأسرة داخل العشيرة تختلف بالطبع حسب مكانة تلك الأسرة وشكلها وعدد المقاتلين الذين يمكن أن تسوقهم إلى ساحة الحرب . وكلما كانت الأسرة قوية وغنية كلما ازدادت حرمتها وقويت مكانتها وعلت كلمة رئيسها . بيد أن الأسر الصغيرة أو الضعيفة والتي لا تتألف إلا من الأب والأم وولد أو ولدين تحتفظ بحقوق الملكية كاملة غير منقوصة ، وتظل في حمي الجميع ونصرتهم ، وإذا نكب الأعداء هذه الأسرة في غزو ينضم الجميع إليها ويؤازرها ، وتعد حينئذ شقيقة الجميع من حيث التضامن والتعاون ، فمن مناقب البدو التضامن في البلوى والتعاون على المصائب ، فتراهم يتسابقون إلى إمداد العزيز إذا ذل بغارة أو مصيبة . فالبدوي كثيراً ما يكون ذا ثراء في ربه عند الضحى إذا بك تراه عند المساء فقيراً مدقماً لاسبد ولا لبد بحكم الغزو الذي يداهم ، أو الجائحة التي تصدمه ،

وحينئذٍ هذا يجود له ببعير ، وهذا بكساء وحصير ، وذاك بنعجة أو نعجتين أو أكثر ، وذلك بقربة أو علبة أو قدر ، والآخر يرضخ له بدريهات يسترن مهتوك ستره ويرأبن مصدوع أمره ، وقد قامت قاعدة (التضامن البدوي) هذه عند البدو مقام (الحق العام) عند الحضار ، فإذا قتل بدوي يكون الألقى بالمقتول هم المطالبون بدمه من أقارب القاتل الألقى به . فإذا لم يطالب الأقرباء أو كانوا عاجزين عن المطالبة فإن أهل عشيرته يطالبون ، لأن المقتول عندهم هو ابن العشيرة وكل منهم هو (نائب عام) في دعواه .

النسب عند العرب

النسب في كتب اللغة مطلق الوصلة بالقرابة ، فيقال بينها نسب : أي قرابة . وجمعه : أنساب . ونسبته إلى أبيه نسباً من باب طلب . عزوته إليه وانتسب إليه اعتزى ، والنسب من كان أصله ثابتاً ، قال النويري في كتابه (نهاية الأرب في فنون الأدب) : ومعرفة أنساب الأمم مما افتخرت به العرب على العجم ، لأنها احتزرت على معرفة نسبها ، وتمسكت بمتن حسبها ، وعرفت جماهير قومها وشعبها ، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها ، واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها ، ومالت إلى أفخاذها وبطونها وعمائرها ، ونفت الدعي فيها ونطقت بملء فيها .

وقد كنا بينا في الصفحة ١٥٠ عند الكلام على (العصبية العربية قبل الإسلام) أن طبقات الأنساب عند العرب كانت كما يلي : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعائلة أو الأسرة ، وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة ، وعشيرة الرجل هم رهطه الأدنون .

وقد فسر القلقشندي في كتابه (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) هذا الترتيب فقال : وكأنهم رتبوا ذلك على بنية الإنسان ، فجعلوا الشعب بمثابة أعلى الرأس ، والقبائل بمثابة قبائل الرأس ، وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض ، والعمارة العنق والصدر ، وجعلوا الفخذ تلو البطن ، لأن الفخذ من الإنسان بعد البطن ، وجعلوا الفصيلة تلو الفخذ ، لأنها النسب الأدنى الذي يفصل عنه الرجل ، بمثابة الساق والقدم ، إذ المراد بالفصيلة العشيرة الأدنون بدليل قوله تعالى ﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ أي تضمه إليها ،

ولا يضم الرجل إلا أقرب عشيرته ، واعلم أن أكثر ما يدور على الألسنة من الطبقات الست المتقدمة القبيلة ثم البطن ، وقل أن تذكر العارة والفخذ والفصيلة وربما عبر عن واحد من الطبقات الست بالحي ، إما على العموم مثل أن يقال : حي من العرب . وإما على الخصوص مثل أن يقال : حي من بني فلان . اهـ .

قلت إن أكثر ما يدور في أيامنا على ألسنة بدو بلادنا الشامية من المصطلحات في تقسيم الأنساب هو كما يلي : إن العنصر الأول في المجتمع البدوي هو (البيت) ويعنون به العائلة أو الأسرة . فالبيوت أو الأسر القريبة بعضها من بعض تؤلف (الفخذ) أو (الآل) مثل آل مشهور من فندة الشعلان في الأرولة ، ومثل آل مهيد من فندة المنيع في الفدعان ، وتجتمع الأفخاذ فتؤلف (الفرقة) أو (الفندة) وجمعها فرق أو أفناد ، مثل فندة الشعلان وفندة المنيع المذكورتين ، والفندة في الأصل عدة أفخاذ من جد قريب ، لا يكاد يتجاوز الخامس في الغالب ، وتجتمع الفرق أو الأفناد فتكون (العشيرة) مثل عشيرة الأرولة وعشيرة الفدعان في عنزة ، وتجمع العشائر فتكون (الضناً) مثل ضناً مسلم وضناً بشر في عنزة ، وتجمع الضنات فتؤلف القبيلة مثل قبيلة شمر وقبيلة عنزة ، وقد يتساهل في التعبير فتسمى العشيرة قبيلة أو الفخذ فصيلة أو الفندة فرقة ، ويزعم رواة البدو أن القبيلة إنما تنشأ من جد عام يورث اسمه إلى قبيلته كبني صخر وبني خالد وغيرهم ، والعشيرة تعترف بشيخ واحد ، على أن اعترافها لا يتجاوز القضايا العامة ، وعدد بيوت العشيرة يختلف كثيراً ، فقد يكون ٣٠٠ - ٤٠٠ أو أكثر كما هو الحال في الفدعان والأرولة . وقد يهبط هذا العدد إلى ٣٠٠ - ٢٠٠ - ١٠٠ - ٥٠ كما هو الحال في عشائر القسم الثاني أو الثالث . وكلمة ضناً بمعنى نسل ، اختصت لقبيلة عنزة دون غيرها .

وقال القلقشندي أيضاً : في بيان أمور يحتاج الناظر في الأنساب إليها وهي تسعة :

- ١ - إذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوباً ، والعائلات قبائل ، والبطون عائلات . إلخ .
- ٢ - القبائل هم بنو أب واحد ، والأب الواحد قد يكون أباً لعدة بطون ، ثم أبو القبيلة قد يكون له عدة أولاد ، فيحدث بعضهم قبيلة أو قبائل ، فينسب إليه من هو منهم ويبقى بعضهم بلا ولد أو يولد له ولم يشتهر بولده فينسب إلى القبيلة الأولى .
- ٣ - إذا اشتغل النسب على طبقتين فأكثر ، كهاشم وقريش ومضر وعدنان جاز لمن في

الدرجة الأخيرة من النسب أن ينتسب إلى الجميع ، فيجوز لبني هاشم أن ينسبوا إلى بني هاشم وإلى قريش وإلى مضر وإلى عدنان فيقال في أحدهم الهاشمي ويقال فيه القرشي والمضري والعدناني بل قال الجوهري : إن النسبة إلى الأعلى تغني عن النسبة إلى الأسفل . ويرى بعضهم تقديم العليا على السفلى . وبعضهم يرى العكس مثل أن يقال في النسب إلى عثمان بن عفان : الأموي العثماني ، أو : العثماني الأموي .

٤ - قد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والموالة فينتسب إليهم فيقال فلان حليف بني فلان أو مولاهم .

٥ - إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى جاز أن ينتسب إلى القبيلة الأولى ، وأن ينتسب إلى القبيلة التي دخل فيها مثل أن يقال : التيمي ثم الوائلي ، أو ما أشبه ذلك .

٦ - القبائل تسمى في الغالب باسم الأب الوالد للقبيلة ، كربيعة ومضر والأوس والخزرج ونحو ذلك ، وقد تسمى القبيلة باسم أم القبيلة ، كخندف وبجيلة ونحوها . وقد تسمى القبيلة بغير هذا ، وربما وقع اللقب على القبيلة بحدوث سبب كغسان ، حيث نزلوا على ماء يسمى غسان .

٧ - أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب : أولها أن يطلق على القبيلة لفظة الأب ، كعاد وثمود ومدين وما شاكلهم ، وبذلك ورد القرآن كقوله تعالى : ﴿ وإلى عاد ﴾ ، ﴿ وإلى ثمود ﴾ ، ﴿ وإلى مدين ﴾ ، يريد بني عاد وبني ثمود ونحو ذلك ، وأكثر ما يكون في الشعوب والقبائل العظام ، ولا سيما في الأزمنة المتقدمة بخلاف البطون والأفخاذ ونحوها ، وثانيها أن يطلق على القبيلة لفظ البنوة ، فيقال بنو فلان ، وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأفخاذ والقبائل الصغار لا سيما في الأزمنة المتأخرة ، وثالثها أن ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام ، كالطالبيين والجعافرة ونحوها ، وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم . ورابعها أن يعبر عنها بآل مدين كآل ربيعة وآل فضل وآل علي وما أشبه ذلك وأكثر ما يكون ذلك في الأزمنة المتأخرة لا سيما في عرب

الشام في زماننا^(١) بالآل والمراد الأهل ، وخامسها أن يعبر عنها بأولاد فلان ، ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أفخاذ العرب على قلة .

٨ - غالب أسماء العرب منقولة عما يدور في خزانة خيالهم ، مما يخالطونه ويجاورونه ، إما من الحيوان كأسد وثر وحية وحنش وإما من النبات ، كنبت وحنظلة ، وإما من أجزاء الأرض ، كفهر وصخر ونحو ذلك .

٩ - الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحنظلة وضرار وحرب ، وما أشبه ذلك ، وتسمية عبيدهم بمحسوب الأسماء ، كفلاح ونجاح ونحوها ، والمعنى في ذلك ما يحكى أنه قيل لأبي الدقيس الكلبي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورياح فقال إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا يريد أن الأبناء معدة للأعداء فاختراروا لهم شر الأسماء ، والعبيد معدة لأنفسهم ، فاختراروا لهم خير الأسماء .

قلت ، ومن غريب الأسماء البدوية في عهدنا ما يصعب فهم مدلوله وإيجاد تفسيره في كتب اللغة ، كراكان وجدعان وهويدي وشواخ ومجول وهويش ودندل وهفل وفدعوس وأمثال ذلك ، والأغرب أن يبلغ الأمر ببعضهم إلى تسمية أولاده بأسماء الأجانب الذين قد يكونوا ضيوفاً عندهم أثناء الولادة ، كلورنس وطوماس ونحوه .

وقال فؤاد حمزة في كتابه (قلب جزيرة العرب) : ومع شدة عناية العرب بالمحافظة على أنسابها ، والتسك بأحسابها ، ومراعاتها لتسلسل فروعها وأقسامها ، فإنه من الصعوبة بمكان عظيم أن يتمكن الباحث من الوقوف على أصول جميع القبائل العربية الموجودة في الوقت الحاضر ، بسبب ضياع قسم غير قليل مما كتبه الأقدمون عن الأنساب ، وفقدان حلقات عديدة من سلسلة الأنساب في الأعصر المتوسطة ، أيام ضعف الدولة العربية

(١) يقصد الفلقشندي الذي عاش في القرن التاسع آل فضل الذين لا يزال لهم أعقاب في زماننا موجودين في قضاء الجولان ، كوجود أبناء عهم آل أبو ريشة أمراء عشيرة الموالي في قضاء المعرة ، أما آل ربيعة فهم أجداد آل فضل ، وأما آل علي فهم كانوا من أقارب آل فضل المذكورين ثم انقرضوا أو اندمجوا بغيرهم ، وقد فصلنا ذلك في بحث تاريخ البدو .

واختلاف قبائلها وأمرائها ، ومن الواضح أنه حصلت خلال تلك الحقبة هجرات قبائلية متعددة ، حلت فيها الواحدة محل الأخرى أو غلبتها على أمرها ، وأجلتها عن ديارها وشردتها بين القبائل فنسيها الناس وجعلوها ، ومن أجل ذلك فإننا لم نحاول في كتابنا هذا أن نرد الفروع إلى أصولها القديمة إلا في المواضع التي تثبتنا من صحتها ، وتركنا تحقيق ما عدا ذلك إلى محبي البحث والتدوين ، واكتفينا بما هو موجود في زماننا هذا من الفروع فسميناها بأسمائها المشتهرة فيها ، وما تجب الإشارة إليه أننا شاهدنا بعض حالات تحدر فيها فروع القبيلة الواحدة من أصول مختلفة يبعد بعضها عن بعض ، وقد نشأ ذلك على ما نعتقد عن تحالف الفروع في زمن مضى لا نستطيع تعيينه .

ونظراً إلى أن الصعوبات التي اعترضتنا في إرجاع فروع القبائل الحالية إلى أصولها القديمة تعترض كل باحث في الأنساب ، والعلم بها مفيد من حيث إيضاحه طريقة تحول القبائل عن أسمائها الأصلية إلى أسماء منتحلة ، ونشوء الفروع وصيرورتها قبائل مشهورة ، رأينا أن نذكرها (أي الصعوبات) فيما يلي إتماماً للفائدة التي توخيناها من وضع هذا الكتاب :

١ - تباعد الأنساب وصيرورة القبائل شعوباً ، والعنائر قبائل ، والبطون عنائر (صبح الأعشى : م ١ ص ٣٠٩) .

٢ - صعوبة الوقوف على التسلسل الصحيح للأنساب ، لقدم العهد وعدم وجود المدونات .

٣ - إمكان اشتهاار قبيلة من القبائل باسم فرد مشهور منها يغلب اسمه الاسم الأصلي .

٤ - انضمام أفراد إلى قبيلة غير قبيلتهم بالحلف والموالة .

٥ - دخول أفراد قبيلة على أفراد قبيلة .

٦ - تابعة أفراد معينين لقبيلة كالموالي والأرقاء ، واشتهارهم باسم القبيلة الأصلية وهم غرباء عنها .

٧ - اشتهار القبيلة باسم جديد لسبب من الأسباب .

٨ - تشابه أسماء القبائل ، بالرغم من تباعد أصولها واختلاف أنسابها .

العشيرة

تتألف العشيرة من أسر (بيوت) و فرق وأفخاذ يختلف عددها كثرة وقلّة ، والعشيرة قد تكون من نجار واحد أي متحدرة من جد واحد أعقب ذرية كثيرة أنجبت العدد الذي كونها ، كما هو الحال في عنزة المتحدرة من (عنز بن وائل بن أسد بن ربيعة) الصافية في أصولها وفروعها ، على كثرة هذه الفروع وتوزعها ، وكما هو أيضاً في عشيرتي بني صخر وبني خالد اللتين يعتقد بنشأة كل منهما من جد عام أورثها اسمه ، أو لا تكون العشيرة من نجار واحد ولا من موطن واحد بل مؤلفة من فرق عديدة ينتهون إلى أصول ومواطن مختلفة كل الاختلاف أو بعضه ، جاؤوا واجتمع بعضهم إلى بعض بسائق الرهبة من شيء أو الرغبة في شيء ، ولتشابه الحاجات والمنافع ، وتشابك الميول والآمال ، وتعاقدوا وألفوا اتحاداً أو حلفاً عشائرياً على النحو الذي يدعوه الإفرنج : كونفدراسيون ، كما هو الحال لدى أكثر العشائر التي سيأتيك ذكرها ووصفها في القسم الثاني من كتابنا هذا ، وينقاد هذا الحلف العشائري ويباع أسرة كريمة المحتد طيبة الفعال كما هو حال شمر الجزيرة الملتفين حول الشيوخ آل الجرباء ، وطيء الجزيرة الملتفين حول الشيوخ آل عساف ، والموالي في جنوبي حلب الملتفين حول الأمراء آل أبي ريشة ، والفضل في الجولان الملتفين حول الأمراء آل فاعور ، والعقيدات والأبي شعبان في وادي الفرات الملتفين حول بعض الأسر وأخصها أهل هفل وآل ناصر وغيرهم ، أو ينقاد إلى شخص قوي الفهم وشديد العزم كالخديدين الملتفين حول الشيخ نواف الصالح الجرخ وأسلافه آل إبراهيم من قبله .

ومهما يكن ، فالعشيرة هي أمة في مقياس صغير ، وهي أمة متنقلة تنقل معها في غدواتها وروحاتها فروعها وأعضاءها ، الذين لا تحصرهم أي حدود أرضية ولا تقيدهم أي ملكيات عقارية ، فكما ينبغي أن يكون للأمم ماض وتاريخ ، ولملوكها ولرؤساء جمهورياتها أنساب وأحساب أو كفاءات ، يكون للعشائر أيضاً ماض وتاريخ ، ولشيوخها أنساب وأحساب أو كفاءات يذكرون بها ، وكذلك ينبغي أن تكون مصالح العشيرة

ومعايشها ومنازلها واحدة ، وفي حالة الحرب يتحد أبناء العشيرة كما يتحدون في السلم ، وحينئذ ينضم بعضها إلى بعض تحت عاطفة وطنية حقيقية ، لكن هذه العاطفة ليست في المعنى الذي نفهمه نحن الحضريين المؤدي إلى تعلقنا بأرض آبائنا وأجدادنا ، بل هي في نظر البدو في معنى التعلق بالعنعات وذكريات الآباء والأجداد ، وبالدفاع عن سلامة هذا المجموع المتنقل المسمى (عشيرة) . والعشيرة لا تدافع عن أرضها ، لأنها لا تملك هذه الأرض ، بل هي تدافع عن حقها في الحياة في تلك الأرض أي عن حقها في الرعى والمنهل . ويقول المقدم مولر في كتابه (في الشام مع البدو) : إن أكثر جموع البدو - وإن كانت من نبعة واحدة - لا تجتمع على قضية قومية بل على غاية تبتغيها ، فالبدو لا يبقون مجتمعين إلا بسائق الاستقرار ، أو كلما حالت المصالح المادية دون انفرادهم الشخصي ، لأنه متى رأت إحدى كتلهم نفسها قوية في قليل أو كثير أو مطمئنة إلى حد كاف تنفصل وتنفرد وتعيش لوحدها ، وأعتقد أن الأمن في البداية كلما استتب ، والطائفة كلما سادت وصل هوى الانقسام والانفراد هذا إلى الأفخاذ والبيوت في داخل الفرق .

فالعشائر سائرة في طريق الافتراق ولا سيما في أيام السلم والاستقرار ، فكل عنزة أصلهم قبيلة واحدة ، ولكن حينما نزحوا من نجد نحو بلاد الشام ساروا في حالة فرق ، وحينما استقرت هذه الفرق في بلاد الشام واقتطعت لنفسها منطقة نفوذ اكتسبت شكل عشائر منفصلة ، كالأرولة والولد علي والأحسنة والأسبعة والقدعان ، وهم على قراباتهم واتصالهم بنجار واحد ، إذا حدث بينهم فتن على منافع أو إذا شجر نزاع على مراعي ومنازل انقلبوا أعداء ، وقاتل بعضهم بعضاً ، كما جرى بين الأرولة والولد علي قديماً ، وبين الأرولة والأسبعة حديثاً ، ودام مدة مديدة . وأمر الانفصال والافتراق ما برح دائماً ، فالأسبعة قد افتترقت إلى جذمين كبيرين : البطينات والأعبدة . والقدعان إلى ولد (بضم الواو) وخرصة . وقد أزعجت فتنهم ديار الفرات حتى سنة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م التي أجبرهم الفرنسيون فيها على الصلح ، وها أن الخرصنة سينقسمون إلى ضناً خريص وضناً كحيل ، بحكم ضعف القيادة لديهم .

العصبية العشائرية

بيد أن هذا الافتراق يؤتى مع الاحتفاظ بالقرابة أو النسابة أو بما يدعونه العصبية

القبلية أو العصبية العشائرية ، وللعصبية سيطرة قوية على عواطف البدو ، فهي تجمع بين الأقارب والأنساب الذين يمكن أن توجه إليهم المسؤوليات في حالة أخذ الثأر ودفع الدية ومنتهائها الجد الخامس ، وهي تجمع أيضاً بين الفرق المختلفة في حالة إعلان العداء وإشهار الحرب (رد النكا) على عدو مشترك ، والبدو إنما يتعارفون بهذه القرابة ويتسمون ويتنادون بالنخوة التي يتباهون بها ويتعارفون عند الكريمة وكلمات (ضناً مسلم) و (ضناً ماجد) مستعملة بقدر كلمات الأرولة والخرصة .

ولشدة اعتناء البدو بالعصبية تجد انتصار بعضهم إلى بعض على نسبة درجة القرابة ، فكما كانت العشيرة أقرب إلى العشيرة كانت أولى بنصرتها ، لا يختلف ذلك فيهم إلا لعوامل غير معتادة ، ومهما اشتدت العداوة بين أبناء فخذ واحد فإنهم يجتمعون بطناً واحداً على بطن آخر يناوئهم بينما هو من ضنئهم ، وكذلك تجتمع البطون المنتسبة إلى ضناً لمقاومة ضناً آخر بينما هو من عشيرتهم ، وهلم جرا ... ولا بد أن ينزع عرق النسب في البدوي فيميل به إلى الأقرب مهما كان هذا الأقرب بعيداً في الحقيقة ، وقد كان القحطاني قديماً ينتسب إلى شعب طويل عريض يعد بالملايين ، والعدناني كان ينتسب إلى شعب لا يقل عن ذلك في العدد والمدد ، ولكن إذا اختصا في موقف من المواقف وجدت عرق العصبية نزع في كل عربي ، فمال القحطاني إلى قبائل اليمن ، ومال العدناني إلى قبائل الحجاز ونجد أي مضر وربيعة ، وقد يواخي الفريق منهم من كان يعاديه بغضاً بفريق آخر أشد عداوة لأنه أبعد نسباً ، وعليه قول شاعرهم :

وذوي ضباب مضرين عداوةً قرحى القلوب معاودي الأفنان
ناسيتهم بغضاءهم وتركتهم وهو إذا ذكر الصديق أعادي
كما أعدهو لأبعد منهم ولقد يجاء إلى ذوي الأحقاد

على أن روابط النسابة ووشائج القرى لا تجمع بين البدو جمعاً كاملاً وتصهرهم في بوتقة واحدة ، بل قصاراهم أن لا تفرق ولا تفصم ، فأنت لست أمام عناصر مندغة اندغاماً تاماً ، بل أمام عناصر لم ينفصم عراها بعد ، والطمأنينة التي يتمتع بها كل بدوي هي من وفرة العدد في عشيرته وذوي عصبية ، لا من اضطرابه أو إقباله على الدفاع المتقابل ، إذ ليس ما يجبر البدوي على نجدة أقرب جيرانه إذا نال الغزاة من هذا الجار ، ما لم يكن ثمة

نفع مادي له أو يكون تجاه مجيء الغزاة غداً إليه ، ولا يكون الدفاع عاماً ما لم يقترب العدو من البيوت ، فحينئذ يجبر كل منهم على الدفاع ، ويسوغ للرئيس أن يقصره على ذلك ، حتى إذا تخلف أو تمتنع قتل فرسه أو أباد غنمه .

وتكافل أفراد العشيرة وتضامنها يوجبان على رؤسائها أن يحافظوا على آداب أبنائهم المنتسبين إليهم ، ومن ثم إذا أتى أفراد العشيرة أمراً لا تريد هي أن تأخذ تبعته على نفسها ، أو إذا أذنب نحوها كلها ينفي ذلك الفرد حينئذ من وسطها ، وإذا لم تقبله عشيرة أخرى حاق به البلاء لا محالة ، فالعصبية هي التي تسوق البدو إلى التضامن والتكافل ، أو إلى الدفاع عن الحقوق واتخاذ الوسائل المؤدية إلى خير العشيرة ونفعها .

والنسابة أو العصبية العشائرية تربط الأفراد إلى حد الجد الخامس ، وذلك عند دفع (المدة) أي دية الدم ، ولا يدفعها أحدهم إلا للملاحظة وقوعه هو يوماً ما في حادثة قتل يطالب بها فلا يجد من يعينه ، وما خلا هذه الرابطة بين الأقارب فإن الروابط الإدارية والسياسية في عالم البدو ضعيفة جداً لا تقويها إلا سلطة الشيخ (الرئيس) وحسن قيادته ، فهذه الروابط منوطة بهما ، ثم إن عظمة كل عشيرة بالعدد تختلف جداً من مقدار قليل من البيوت إلى بضعة آلاف منها ، وإذا علت شهرة الشيخ (الرئيس) بسبب انتصار في الحرب ، أو إصابة في الرأي ، أو مقدرة في القضاء ، أو حنكة في الإدارة ، أو مهارة في النفوذ إلى أولياء الأمور ولا سيما في الشجاعة والأريحية ووفرة الأقارب والأتباع وكثرة الأموال والثمرات حينئذ يزداد عدد البيوت الملتفة حوله وتكثر حواشيه ، كما هو الحال في الأرولة حول الأمير فواز الشعلان الذي ورث ذلك عن جده النوري ، وفي الفدعان حول الأمير مجحم بن مهيد ، وفي الأسبعة حول الشيخ راكان بن مرشد ، وفي شمر حول الشيوخ آل الجربا وغيرهم . وبالعكس إذا ساءت إدارته ، أو طغت فظاظته ، أو نقصت كرامته ، أو ذابت ثروته لسبب ما ، ينفضون من حوله تباعاً ويلحقون رقبته ومنافسه إلى أن لا يبقى حوله إلا بضعة بيوت من أنسابه الأقربين ، كما هو الحال لدى بعض العشائر كالولد علي والفدعان الأخرصة والأسبعة الأعبدة وغيرها .

الطبقات في العشيرة

ينقسم البدو في وسط كل عشيرة إلى أربع طبقات :

١ - طبقة الشيوخ : ويسمون شيوخاً ولو كانوا حديثي السن ، وهم أصحاب الرأي الراجح والقول النافذ على سائر الطبقات ، وهم عماد العشيرة وملاذها ، وبهم سؤدها ورفعة شأنها ، وفيهم يفترض وجود الشائل والمناقب التي سيأتي شرحها .

٢ - طبقة الرواسي أو الكبراء : وهم يلون الشيوخ في المنزلة الاجتماعية ويمثلونهم أو يقربوا منهم في الشائل والمناقب ، وهم يرأسون فرقهم ويسوسون أفرادها .

٣ - طبقة العامة : وهم السواد الأعظم من أفراد العشيرة والحاملون أعبائها ، والمكلفون بضرائبها ، والمقاتلون في سبيلها ، وبكثرة هؤلاء أو قوتهم أو عدتهم يعظم نفوذ الشيوخ والرواسي .

٤ - طبقة العبيد : وهم أحط الطبقات ، ولا يزال اسم العبودية لاصقاً بهم ، ولو أن أسيادهم أعتقوهم فصاروا أحراراً يتصرفون بأنفسهم وأموالهم كما يشاؤون ، وأفراد العشيرة لا يصاهرون هؤلاء ، بحكم أنهم ليسوا في مستوى اجتماعي مماثل لهم ، وليس كل العبيد سود البشرة ، بل إن بعضهم بيض ، كالذين يكثر وجودهم في عشيرة طيء أو النعيم ، وهؤلاء العبيد رغم انتعاقهم ما برحوا متعلقين بشيوخهم وأسيادهم ، لا ينفكون عن ولائهم ، وخدمتهم وبذل النفس والنفيس في سبيلهم ، لولا صفة بارزة تتجلى أحياناً في بعضهم ، وهي نكران الجميل ، فأحدهم يبقى على الولاء ما دام يرى إحساناً ومعروفاً ، أما إذا قصر عنه مولاه ولو قليلاً بسبب عسر أو سهو تنكر واقعنسس . وقد قدمنا أن البدو يسمون العبيد بأحب الأسماء لديهم : كلؤلؤ ومرجان وسرور وسالم وغراف وأمثال ذلك ، وهم يخاطبون ساداتهم بيا عمي وسيداتهم بيا عمتي .

إدارة شؤون العشيرة ، المشيخة وشروطها : إن الطبقات الاجتماعية التي عدناها يتساوى أبنائها في جميع الحقوق مهما اختلفت مراتبهم ، فلا فضل في عالم البداوة لأحد على أحد ، إلا أنه يكون على رأس كل فرقة رئيس يدعى شيخاً ، وشيوخ الفرق خاضعون لشيخ العشيرة ، وشيوخ العشيرة لشيخ القبيلة المعروف عندهم بشيخ المشايخ أو العليم ، ولا يمتاز الشيخ إلا بكونه مقدماً على الأقران ، ومكلفاً بالإدارة والقيادة ، وله حق إعلان الحرب أو عقد الهدنة أو إبرام الصلح مع مشايخ العشائر الأخرى ، والمشيخة عندهم تنتقل بالإرث إلى الأولاد فالأحفاد ، وكثيراً ما يكون ولي عهد الشيخ طفلاً وهو شيخ ،

ويبقى تحت وصاية أحد أقاربه المتنفذين حتى يبلغ سن الرشد ، على أن المشيخة ليست بالإرث وحده ، بل بالاستحقاق أيضاً فلا يصير ابن الشيخ شيخاً ما لم تتوفر فيه الشروط ، ولا يستحق المشيخة وينالها إلا من كان بين رجال الأسرة المتشيخة أو العشيرة أذكاهم جناناً وأكثرهم معرفةً وسداداً ، وأطلقهم لساناً وبياناً وأفرسهم يوم الطعن والنزال ، وأغناهم بالرزق والمال ، وأبسطهم يداً بالكرم وإقراء الضيف ، وأقدرهم على رفع الضيم والحييف ، وأوفرهم بعدد الأقرباء والأنساب والحواشي والمواشي ، وأعرفهم بمخاطبة الدول والحكام ، وأقدرهم على حل المشكلات لدى أولياء الأمور ، والشيخوخ أو رؤساء العشائر الرحل كانوا يعينون بقرار من المفوض السامي الفرنسي (والآن من وزير الداخلية في الجمهورية السورية) ، وتنص المادة ٣٤ من القرار رقم ١٣٢ بأنه : يمكن عزلهم إذا أدخلوا بالأمن العام ، أو تردوا على القوانين والأنظمة النافذة ، أو استبدوا وعتوا حتى قيام العشيرة كلها لطلب عزلهم .

والمقام الأول عند البدو في المشيخة للجدارة الشخصية . روى الأب جوسن الدومينيكي في هذا الصدد أنه سأل ذات يوم أحد كهراء البدو كيف يصيرون شيوخاً عندهم ، فأجابته وهو يهز سيفه : بالفهم السوي والزند القوي .

هذا ويصعب تحديد سلطة الشيخ ونفوذه الفعلي ، إذ ليس ثمة أي دستور مقرر أو قانون محرر ، بل كل ذلك يتبع العرف المشروع والشرع المعروف ، ويمكن أن يقال أحياناً أن الشيخ هو المرجع في كل شأن ، والملاذ في كل خطب ، أو هو كل شيء ، كما يمكن أن يقال - إذا كان ضعيفاً أو مأفوناً - أنه ليس بشيء والقاعدة العامة أن تتناول سلطة الشيخ الأمور الآتية :

١ - يأمر الشيخ بالرحيل والنزول إذا نزع قومه وطمعنوا ، فهو يعين مقدماً مواعيدها حسب الفصول أو حسب مراعي الكلاً أو موارد الماء ، ويراعي في ذلك العادات البدوية المتعلقة بحقوق الرعي ومناطق الجولان الخاصة بالعشيرة وما إليها . وهو ينظر في هذه الأمور إلى سلامة عشيرته أو اطمئنانها من وجود أخصام لها أو عدمه ، فيستطلع لأجل ذلك أخبار الحالة السياسية في البادية ، وحينما يظهر له أن الأوان قد آن يأمر بالرحيل ويكون هو البادئ بتقويض البيت وتحمله .

٢ - يراقب الشيخ أمر الألفة والوئام بين أبناء عشيرته ، وهو المرجع في حل المنازعات وتسوية الخلافات التي لا تحتاج لمراجعة القضاة (العوارف) ، وهو الذي يوقف القتال بين المتخاصمين بقوله : (وجهي بينكم) فهذه الكلمة الصغيرة يحقن الدماء ويحفظ النفوس ، ثم هو الذي يجير الدخيل أو الطنيب إذا استجار ويسترد الأشياء المسلوقة ، ويكشف السرقة ، ويقسم الغنائم إذا عاد الغزاة ، ويحمي الفقراء والضعفاء ، ويوافق على عقود الزواج والطلاق .

٣ - يمثل الشيخ عشيرته لدى الحكومات وذوي السلطات ، ويتحمل تبعه ما يفعله ؛ هو وأتباعه من السيئات المندرجة في المادة ٣٤ من القرار ١٣٢ .

٤ - يعلن الشيخ الحرب ، وإعلان الحرب معروف عندهم بـ (رد النكا) ، أو يقر الصلح والسلام بعد أخذ رأي المجلس المؤلف من شيوخ العشيرة ورؤساء فرقها ، وعند حدوث ما يدعو للحرب أو السلم يدعو الشيخ هؤلاء فيجتمعون في بيته ويتشاورون ويقررون ما فيه صالح العشيرة ، وعلى الشيخ أن يذعن لقرار هذا المجلس ، ومن العادة أنه حينما تعلن إحدى العشائر الحرب على عشيرة أخرى يرفع الشيخ راية سوداء أو يربطها في رقبة فرسه أو بعيره ويطوف بين البيوت منادياً بما معناه : (لقد أشهرت الحرب على العشيرة الفلانية استعدوا) فيهب كل واحد حينئذ إلى سلاحه ويلبي الدعوة ، ومن لا يلبي يحق للشيخ أن يضربه ، أو يطرده من المنزل ، أو يسلب سلاحه وحلاله . والواقع أن إعلان الحرب من عشيرة على أخرى أمر ذو خطر كبير ، ولا بد أن تكون ثمة دواعي حقيقية تسيغ ركوب هذا المركب الحشن ، كالغزو والتعدي المتكررين ، أو سلب حقوق الرعي أو الشرب ، أو أمثال ذلك . وحينما يقرر الشيخ إعلان الحرب على عشيرة أخرى يبعث إلى شيخها كتاباً ، أو رسولاً محايداً أميناً يقول فيه : مردود عليكم النكا ، حلالكم حلالنا ومالكم مالنا ، وبعد ذلك لا تكون إحدى العشيرتين مسؤولة عما يقع على الأخرى من الغزو ، أو السلب والنهب ، لأن كل ما يحدث من ذلك بعد (رد النكا) يعد أمراً قانونياً شريعياً ، وأما ما يقع قبل إعلان الحرب فيكون تابِعاً للضمان والغرامة .

هذا والبدو من حيث الطمع والإذعان جامعون بين الضدين ، فإذا غلت أيديهم عن التحامل وضاعت بهم الحيل قنعوا باليسير ورضخوا كل الرضوخ ، وإن تبينوا سبيلاً إلى الاستطالة هبوا إليه . ويطلق هذا الحكم على الرفيع منهم والوضيع ، وهو نتيجة كل سلطة

مطلقة . ومن ثم لم يكن الشيوخ في مأمن من فتك أقاربهم أو منافسيهم ، إلا إذا استتب لهم الأمر وأكثروا من وسائل الإرهاب والترغيب معاً .

ومن العادة أن يكون في بيت كل رئيس كبير أو شيخ جليل أنساب وذوو قرى مخلصون ، وحاشية وعبيد معتقون أو شبه معتقين ، هم مكلفون خاصةً بخدمة الشيخ وصيانتة ، ويؤلفون شرطته أو حرسه الخاص ويسمون (بيري) عند عنزة الجنوب (ضناً مسلم) و (ذكرد)^(١) عند عنزة الشمال (ضناً بشر) وكذا عند بدو العراق ، ويكون وراء هؤلاء أسر وبيوت ممن لا تصلها بذلك الشيخ وشيعة قرى ، لكنهم متعلقون بولائه ووداده لا يفارقونه قط .

ومن المفروض أن يمتاز الشيخ بالأريحية والنجدة والبسالة ورجاحة الفكر مع طلاقة اللسان والوجه والحلم عند الغضب وطول الأناة ورباطة الجأش ، ودواعي الأريحية تقضي على الشيخ أن يكون بيته أوسط البيوت ، وأعظمها وأعلاها ليراه الطارق ليلاً ونهاراً فيقصده ، وأن تكون ربعته أي مكان اجتماع الضيوف كالمندى العام مفتوحة في وجه كل قاصد ، لا تنقطع منها القهوة والتبغ والطعام والفرش ، وعليه قول شاعر بدوي في صحراء سينا :

الشيخة ما هي بالجوخة ولا بكبر العباية يا بنية
الشيخة صب القهاوي زي العيون المروية
الشيخة جر المناسف في السنين الرديّة

ومن عادة الشيوخ في العشائر الكبيرة (شمر وعنزة) أن يتكفلوا ببياية ضرائب الإبل والغنم التي تفرضها الدولة على عشيرتهم ، وعلى الغرباء اللاجئين إليهم لسبب ما ، فيتولى الشيخ توزيعها على الأفراد مباشرةً . وهو يجيها ثم يدفع ما جباه إلى الدولة ويحتفظ بالزائد منها لإنفاقه في سبيل المصلحة العامة للعشيرة ، وهذه الطريقة أي تسيط الدولة للشيوخ باب مغنم كبير لهم فوق الراتب السنوي الذي يتقاضونه من الدولة ، إلا أن أكثر الشيوخ ينفقون ما يأخذونه بحكم أن ما لهم يكاد أن يكون مشاعاً ونفقاتهم طائلة وبذخهم غير يسير ، ومن عاداتهم أيضاً أن يرسلوا أحد عبيدهم فير بالفرق التابعة لهم ،

(١) ربما كانت تصحيف كلمة escorte الافرنسية وهي بمعنى جنود الحرس .

ويجمع غناً وماعزاً ، من كل واحد بحسبه ، وذلك لقاء صيانة رزقهم من السرقة أو السلب .

وفي العشائر الكبيرة ، ولا سيما في تلك التي على رأسها بيوتات كريمة المحتد وجيلية القدر (كآل الجرباء في شمر وآل عبد الرحمن في طيء) وأمثالها يكون الشيخ محترماً جداً ، لا ينبغي لأحد أن يستغيبه بسوء أو يعترضه بقول ولو شته أو انهال عليه بالضرب ، ثم إن مال الشيخ محرم لا يجوز لأحد أن يختلسه أو يغتصبه ، وإن فعل ذلك عن غفوة وعلم به أعاده بسرعة معتزلاً ، ومن المزاي التي يفترض وجودها في الشيوخ : الصدق في القول ، والبر في القسم ، والوفاء في العهد ، والمتانة في الذمة ، والبعد عن النقض والنكث والغدر ، وتقدير درجة النبل والسؤدد عند الشيوخ بنسبة مالهم من هذه المكارم ، وكونهم عفيفي اللسان عزوفين عن الشر والأذى مترفعين عن الدنيا وعن أموال أبناء العشيرة وأعراضها ، لا يتقاضون أجراً عن معروف أتوه ، ولا يتحزبون لأحد ، ولا يتوانون في مدافعة حقوق العشيرة ، ودرء المفسدة عنها ، وجلب المنفعة إليها ، يمدونها إذا عضتها سنو الجذب والحل ، ويأتون لها بالخطباء الأتقياء والمعلمين الصالحاء إذا أخى عليها الجهل بأمور الدين والدنيا ، ويرشدونها ويوجهونها نحو العمل الصالح والرزق الحلال من سبيل الزرع والضرع وما إليها .

وقد جرت العادة أنه إذا عجز الشيخ بسبب التقدم في السن أو المرض ، وشعر بحاجته إلى الراحة والتخلص من أعباء الرئاسة وهومها ، ينتخب من بين أخوته أو أولاده أو أحفاده ذاك الذي يرى فيه هو الكفاءة في النيابة عنه ، وقبل أن يحمله الإمرة كلها يحمله بعضها ، كحل الخلافات والنيابة عنه في المؤتمرات ونحو ذلك ، وإذا اشتد عليه المرض وشعر بدنو الأجل يقلد نائبه المنتخب الرئاسة كلها ، وقد جرت هذه الحالة عقيب الحرب العامة الماضية عند عشيرة شمر ، فإن رئيس شمر العاصي بن فرحان كان قد بلغ من العمر ثمانين حولاً أو أكثر وانزوى إلى أراضي دمبرقو في قضاء ديرك من محافظة الجزيرة التي أقطعها له الترك وقتئذ ، فعهد بالرئاسة إلى حفيده دهام بن هادي العاصي على ما كان له من الأبناء الشبان الشيطيين .

أما إذا لم يظهر هذا الخلف الجدارة الكافية ، ونفرت العشيرة منه تنتخب غيره ، وإذا حصل تبدل الرئاسة على غير انتظار كالموت الفجائي أو لمصيبة داهية أو أزمة عضالة ،

فرواسي العشيرة أي كبراؤها ينتخبون غيره ، وقد يصل الأمر إلى نقل المشيخة من يد الأسرة التي كانت متوليتها إلى يد (العقيد) الذي يكون له أوسع شهرة في ذلك الحين ، لأن شيخ العشيرة ليس من المحتم أن يكون عقيد الحرب ، والأمثال عند البدو على ذلك كثيرة ، كجدعان بن مهيد في الفدعان ، فقد انتخبته عشيرة الأسبعة عقيداً للحرب في معاركها مع الأرولة حول سنة ١٢٩٢ هـ ، وفي عهدنا لم يكن عقيد الحرب عند عشيرة الموالي أحد أمرائهم من آل أبو ريشة ، بل كان رجلاً من طبقة تالية يدعى فارس العطور توفي منذ بضع سنوات ، وقد نال هذا الرجل بفروسيته وحسن قيادته ووعورة خلقه مقاماً جعل السلطات تعتمده رئيساً للموالي الشماليين في جانب الأمير شايش والأمير عبد حتى مات وخلفه ابنه أحمد في العقادة وربما خلفه في الرئاسة على الموالي القبليين ، على أن الشيخ إذا لم يكن عقيداً ولم يقد الحرب بنفسه له الامتياز الخاص في إعلان الحرب أو عقد الصلح ، وهو في الحالتين مكلف بأن يراعي الحالة الروحية في عشيرته ، لذلك تراه في أغلب الأحيان يوفق الأمر الواقع بما يلائمه ، أما إذا تقدم الشيخ لعقد الصلح أو إتمام المحاسبة والمقاضاة مع الأخصام حينئذ لا مرد لكلامه ولا تبديل أو تقض لما سمح به في أمر (الحفر والدفن) . وإليك هذا المثال الذي ذكره المقدم مولر : في مؤتمر الصلح الذي عقد بين شمر الجزيرة وفريق الولد من الفدعان في سنة ١٩٢٦ م لإنهاء الفتن والغارات التي دامت بينهما سنين عديدة ، قام الأمير مجحم بن مهيد ودفن ألفاً وخمسمئة بعير لفرقة العجاجة إحدى فرق الولد (بضم الواو وسكون اللام الثانية) وقد كانت شمر اغتصبت هذه الأبقار في إحدى غزواتها ، وثمنها أكثر من ثلاثين ألف ذهب عثماني ، فقصى الأمير مجحم بذلك على أكثر من مئة بيت اضطرت إلى أن تبقى عالية على بقية العشيرة في حلها وترحالها ومعاشها ، ذلك لأن غزاة شمر لم يبقوا لها شيئاً . ولا ريب في أن مكانة الأمير مجحم وشخصيته وسلطته التي يتمتع بها على عشيرته والمعونة التي كان ينتظرها وقتئذ من الحكومة حملته على قبول هذا الحل المجحف .

والرئيس في العشيرة هو المسؤول عن أعمالها تجاه الحكومة وبقية العشائر ، وقد يكون هذا غير الرئيس الذي وظفته الحكومة واعتمدت عليه ، كما كان الحال لدى شمر الزور (الخرصه) حينما كان يرأسها رسمياً مشعل باشا الفارس وفعلياً ميزر العبد الحسن . فكانت العشيرة لا تقر على أي أمر يبرمه مشعل ما لم يقر به الشيخ ميزر إلى أن نحي مشعل في

سنة ١٩٢٧ م ، واستقرت الرئاسة في يد ميزر ، وثمة عشائر لا يعتبر ختم رئيسها إلا إذا انضمت إليه أختام بعض الرؤساء التاليين الذين يدعون (أرباب الأختام) ، ذلك أن معظم رؤساء البادية كرجالهم أميون ، يتخذون أختاماً لتوقيع رسائلهم التي يبعثونها وهذه يكتبها لهم كتابهم إذا كانوا أغنياء ومتخذين كتاباً ، أو يكتبها لهم أحد التجار العابرين ، وطلب توقيع أرباب الأختام يظهر في العشائر التي خرجت السلطة فيها من يد الأسرة المترسة إلى رئيس آخر لم تلتف كل القلوب حوله بعد ، فبقيت متعلقة إلى حد ما بالأسرة السابقة ، كما هو الحال في الأخرصة من الفدعان التي نبغ فيها مزود بن قعيشيش الملقب بالنمر واغتصب الرئاسة من أسرة ابن غبين ، فما من توقيع كان يضعه مزود إلا وينبغي أن يقر عليه عبيد بن غبين كبير الأسرة المذكورة ، وهذه الحالة موجودة أيضاً في الأسبعة في جذمي الأعبدية والبطينات فلكل منها أرباب أختام عديدون كابن عايد وابن الصايد وابن موين وغيرهم من رؤساء الفرق .

ثم إن الرئيس فيما خلا مكانته الشخصية لا يمكنه أن يحل أو يبرم أمراً في أمور الحل والترحال والحرب والسلم ما لم يشاطره الرأي رجاله الملتفون حوله وخاصة الشيوخ المعمرين والرواسي المنظورين . فهو مضطر إلى أخذ موافقة الجميع لا سيما أولئك الذين ربما انقلبوا عليه وصاروا رقباء ومزاحيه بفضل ذكائهم أو مكانتهم وهو إذا كان غنياً يسير على طريقتين : إما أن يربط القلوب حوله بجوده وكرمه ، وإما أن يتخذ لنفسه عبيداً أو (زكرد) أي رجالاً مسلحين يقضون ما يبرمه وينفذونه ، وهذه الطريقة الثانية تظهر للوهلة الأولى أحسن ؛ لأن فيها فائدة تحميل قسم من النفقات المصروفة على رجال العشيرة ، ولكن يبقى هناك حصة كبار الرؤساء ، فالبدوا يرضون بخدمة أحد يحسبونه أقل نبلاً منهم ولو لقاء جعل ، وليس ثمة مجال للضغط ، لأن من يجد نفسه مغدوراً ليس أسهل عليه من أن يقوض خيامه ويذهب بأهله نحو رئيس آخر يرى الانضواء تحت لوائه أنسب له ، وهذه الحالة كثيرة الوقوع ، ولطالما حدثت من جراء سوء التوزيع الذي كان يجري حين فرض الضرائب (كالودي والأغنام) وجبايتها ، فن الفرق من لم يدفع إلا القليل ولم يستطع شيوخها مراجعة السلطات ، خوفاً من إفلات الفرقة من يدهم ، وكثيراً ما كانت هذه الحالة تدعوهم للمطالبة بتخفيض الضرائب بحجة النقص الحاصل في العشيرة من جراء مغادرة بعض الفرق وانفصالها ، وآخر تدبير يلجأ إليه الشيوخ هو مراجعة

الحكومة واستدعاء معونتها لتنفيذ سلطتهم على عشيرتهم ، لكن هذه المعونة دقيقة جداً ينبغي على الشيخ أن لا يتعدى فيها الحدود ، وعلى ضابط القوة المرسله لمعونته أن يجتنب كل ما يوجب الإقلاق والضجة .

هذا وكما زادت أفراد العشيرة حول الرؤساء والشيخ كثرت أعمدة بيوتهم ، وكثر عدد عبيدهم ورجالهم ، وازداد بذخهم وترفهم بركوب السيارات الفخمة وغشيان الحواضر والمدن ، ويصير عند كل من نساء الشيخ فراشة وهي امرأة تقوم بواجب الفرش والحل والظعن ، وعند الشيخ نفسه طبّاخ يذبح الذبائح ويطهي الطعام ، وحطاب يجمع الوقود ، وراو يهيئ الماء ويحلبه ، وسفراوي ينقل الصحون والمناسف للموائد ، ووكيل مكلف بدعوة الضيوف وإجلّاسهم وتوزيع الطعام عليهم ، هذا إلى ثلاثة أو أربعة سواس وراعي إبل وسائق سيارة ورعيان غنم لكل ٣٠٠ - ٤٠٠ رأس منها راع ، ثم صانع أو حداد لإصلاح السلاح ولجم الخيل ونعالها ، وبواردي لأجل الصيد ، وصقائري لخدمة الصقور وأمثالها من الجوارح ، وبعض هؤلاء الخدم من العبيد الذين أعتقهم أجداد الشيخ حينما حضرتهم الوفاة وبقوا في الخدمة لدى أولاده أو أعقابه وهم يستمدون المعونة أو الحماية في كل سانحة من (أعمامهم) الذين يكتونهم من أن يمتنعوا وسط العشيرة بأرضى عيشة ، ويكون قرب بيت الشيخ بعد ذلك بيت خاص للخطيب أو الملاً ، المكلف بإقامة الصلاة والأذكار والوعظ ، وإذا كان هذا الخطيب صالحاً ودراكة يتمتع بحزمة كبيرة ونوال غير يسير .

الانفصال أو تبديل التبعية

يستطيع من يشاء من العشيرة أن ينفصل عن عشيرته ، وينضم إلى عشيرة أخرى إذا راعى الشروط التالية : عندما تقع مشكلة يتعذر حلها بين أحد الناس وبين أسرته ، أو عشيرته ، أو بين عشيرتين ، أو بين فريقين ، ووجد الشخص أو العشيرة أو الفرقة الواحدة أنها مغلوطة للأخرى ، وغير قادرة على نوال الحقوق التي تطالب بها ولم تجد سبيلاً للتفاهم ، يسعى ذلك الشخص أو تلك العشيرة أو الفرقة المغلوطة بالمفاوضة مع عشيرة أخرى للانضمام إليها ، وبعد أن يتم الاتفاق مبدئياً يقيم المغلوب وليمة كبيرة ، يدعو إليها الأعيان والشيوخ ، ويعلن انفصاله من عشيرته بحضور الجمع المدعو ، ويرحل بعياله وحلاله ، وينزل على العشيرة التي كان قد تفاوض معها وأعلن الالتحاق بها ، فتلاقيه رجال تلك

العشيرة ، وتولم له ولدويه ، وتكرمهم ، وفي اليوم التالي يدعو هو في دوره رجال العشيرة إلى وليمة يقيمها في بيته ، ثم يرفع راية بيضاء معلناً انفصاله التام عن عشيرته وانضمامه للآخرى ، ويقدم الراية لشيخ تلك العشيرة ، وهذا يعلن قبول الشخص أو العشيرة أو الفرقة في عداد أتباعه ، بعد ذلك يصبح ذلك الشخص أو تلك العشيرة أو الفرقة في عداد العشيرة الأخرى مساوين لهم في جميع الحقوق والامتيازات .

الصدقة بين العشائر

إذا كانت عشيرة صديقة الأخرى صارت مساوية لها في الحقوق والواجبات كأنها فرقة من فرقها ، فكل من العشيرتين يحتفظ باستقلاله الناجز ، لكنها إذا تنازعا على الآبار وموارد المياه في مناطق النجعة والرعي ونحو ذلك ، يفصل الرؤساء في الأمر بأعظم ما يكون من المسالمة والتسامح .

وإذا ازدادت هذه الصداقة انقلبت إلى تحالف حقيقي ، وفي هذه الحالة إذا أصابت أحد الفريقين المتحالفين غارة أو عداوة من عشيرة غريبة على الفريق الأول أن ينجده (يفرج له) ويقف بجانبه .

إن هذه المحالفات لا تكتب لها عقود وصكوك ولا تختم بتواقيع ، وهي موجودة ومسترة بطبيعة الحال وبدقة تامة بين العشائر التي بينها عصبية نسب واحد كعشائر عنزة مثلاً ، رغم النفور الذي قد يكون بينها ، ومن ثم ترى العشيرتين المتنازعتين إذا أصيبت واحدة منها بغارة عشيرة غريبة تختمان النزاع الناشب بينهما مؤقتاً ، وتتضامنان للوقوف في وجه العشيرة الغريبة .

وإذا توثقت عرى الصداقة بين عشيرتين إحداها أقوى من الثانية تصير الضعيفة من أتباع القوية ولواحقها ، كما هو الحال بين الولد علي والأرولة ، وبين الفواعة والأحسنة .

إن أعمال العداء والتطاول على عشيرة صديقة تحاكم دائماً بعقوبات أشد وأقسى من التي ترتكب في حق عشيرة معادية ، والقاعدة المتبعة هي أن العشيرة المعتدية لا يصح لها أن تطالب عند المقاضاة بأي تعويض عن الأموال المنهوبة ، ولا الأنفس المقتولة ، وإذا هوجمت عشيرة صديقة صدفةً أو خطأً فالمنهوبات ترد بكاملها وبلا إبطاء ، وكثيراً

ما يضاف إليها هدايا لتلافي الضرر المعنوي الذي حدث .

الحرب بين العشائر

قلنا إن إشهار الحرب على عشيرة أخرى أمر عظيم وخطر ، ينبغي أن لا يقدم عليه إلا بعد تفكير وترو ، وعلى كل ينبغي أن يسبقه بادیء ذي بدء إرسال إنذار وهو ما يدعونه (رد النكا)^(١) وإلا فإن رئيس العشيرة الذي يقصر في ذلك ويغدر حينما يقف في موقف الحكم ، تصدر في حقه أحكام قاسية عادلة ، ويعرض نفسه إذ ذاك لخذلان حلفائه وانفضاضهم من حوله ، بحكم أن عمله كان مخالفاً للمروءة والتقاليد العربية .

وإذا أعلن الرئيس الحرب بعد تفكير وترو واستشارة كبراء العشيرة تفتتح أبواب العداء والشروع ، وتبدأ الغارات بين الفريقين ، وقد تصل هذه إلى معارك حقيقية ، وهي في يومنا صارت خطيرة جداً ، لأن البدو الرحل الذين بينهم عسكريون قدماء شرعوا يتخذون الأسلحة الآلية كالرشاشات والبنادق السريعة الطلقات كما جرى بين الولد والولدة في عام ١٩٤١ م .

وفي المعارك الحربية قواعد لا بد من مراعاتها ، وإلا كان الناقضون لها عرضةً لمواخذة القضاة الذين لا بد من استدعائهم يوماً ما حين تسوية النزاع ، وخلاصة هذه القواعد هي :

١ - الجرحى سواء أكانوا من الأصدقاء أم من الأعداء يحملون إلى الخيمات ويعتنى بهم ريثما يرسلون إلى أهلهم .

٢ - الجرحى الخطرين يمكن الإجهاز عليهم فوراً لتخليصهم من الآلام . وذلك بعد موافقة خطيب العشيرة وطبيبها اللذين يجب عليهما عادةً أن يرافقا الشيخ أو عقيد الغزو .

٣ - يؤخذ سلاح الأسرى ويساقون إلى مكان بعيد عن المعركة ، ويطلق سراحهم .

٤ - يقسم الشيخ الغنائم بعد أن يأخذ حصة قدرها في الغالب الثلث .

(١) في أقرب الموارد ؛ نكا القرحة قشرها قبل أن تبرأ فنديت ، ونكا العدو قتل فيهم وجرح وأثخن ، فالمل ثلثتهم (رد النكا) من أحد المعنيين .

ويمكن إنهاء النزاع فوراً خلال المعركة ، أو حين الخروج منها والوصول إلى صلح سريع ، وذلك في حالات خاصة ، صارت نادرة جداً ، وهي :

١ - إذا وجد أحد الفريقين نفسه ضعيفاً وقصد التخلص بأقل مصروف ، يبعث نحو المهاجمين فتاةً جميلةً راكبةً على ناقة بيضاء ، وحينئذ يقف إطلاق النار من كل جهة ، ويضطر رئيس المهاجمين بحكم المروءة إلى أن يذهب بنفسه للقاءها ، أو يرسل أحد أبنائه ، وحينئذ يجب على هذا الابن أن يتزوج تلك الفتاة . وحينئذ يعقد الصلح فوراً ويعود كل امرئ إلى منزله .

٢ - إذا وجدت العشيرة المعتدى عليها نفسها ضعيفة جداً ، يحق لها عقيب حدوث الغارة أن ترسل وفدًا من نساءها إلى رئيس العشيرة المعتدية ليستعطفنه بأمر الغنائم ، وتحم المروءة على هذا الرئيس أن يرد كل ما أخذه ويقبل بالصلح ، وهذه الحالة أيضاً نادرة الوقوع كسابقتها .

بيوت البدو

كلما تجول المرء في البادية وضرب في آفاقها في فصلي الخريف والربيع ، لمح عن بُعد ، قُرب التلال ، وبين الأودية ، لطخات سود تشبه شامات ذوات القدود . وهي تبدل أحياناً منظر السراب وتهدي التائه وتنعش السائر بمرآها وأمل وجود المأوى والقرى فيها . وهذه اللطخات هي بيوت البدو المصنوعة من شعر المعز . واجتماع هذه البيوت يؤلف : الحواء أو الحلة أو النجع أو الدوار ، وفي اصطلاح الافرنج : الخيم ، وكلها بمعنى قرية البدو أو منزل البدو ، إلا أن هذه القرية موقتة متنقلة ، ومعدة إلى أن تزول بسرعة كما نشأت بسرعة ، والحلة لا تحوي العشيرة كلها ، بل تحوي في الغالب رهطاً أو فرقة من العشيرة ، وأهل الحواضر إذا رأوا جمعاً من بيوت البدو قالوا رأينا : فريق عرب أو نجع عرب ، ويندرجداً أن تجتمع العشيرة كلها في حلة واحدة ، والبدو لا يستعملون كلمة خيمة ولا مضرب ولا فسطاط ولا غيرها مما جاء في كتب اللغة بل كلمة : بيت أو بيت شعر فقط . وقد ورد في الكتاب العزيز وصف مساكن البدو وأثاثهم وأمتعتهم بعبارة في منتهى الرقة والجزالة وهي ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ .

وبيوت الشعر حارة في الصيف ، باردة في الشتاء ، ولا تقي من الرطوبة والمطر كما ينبغي ، تخفق فيها الرياح وتهزها ، وقد تسقطها العواصف على رؤوس أصحابها ، لكن هذه البيوت على علاقتها المذكورة ما برحت منذ آلاف السنين مأوى البدو ومسكنهم ، يطوونها وينشرون ، ويقوضونها وينصبون ، ويهيجون بها ويمدحون ، فن المادحين لها :
 ميسون بنت بحدل الكلبية زوجة معاوية بن أبي سفيان ، وذلك رغم الترف والنعم اللذين غمرها بهما زوجها في قصرها المشرف على غوطة دمشق ورياضها فقد دخل عليها يوماً فسمعها تنرم في خدرها فأنصت إليها فإذا هي تقول :

أحب إلي من قصر منيف	ليت تخفق الأرواح فيه
أحب إلي من لبس الشفوف	ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إلي من قط ألوف	وكلب ينبح الطراق دوني
أحب إلي من أكل الرغيف	وأكل كسيرة في كسر بيتي
أحب إلي من نقر الدفوف	وأصوات الرياح بكل فج
أحب إلي من بغل زفوف	وبكر يتبع الأظعان صعب
أحب إلي من عليج عنيف	وخرق من بني عمي نحيف
إلى نفسي من العيش الطريف	خشونة عيشتي في البدو أشهى
فحسبي ذاك من وطن شريف	فما أبغي سوى وطني بديلاً

فلما سمع معاوية ذلك منها قال : ما رضيت بنت بحدل حتى جعلتني عليجاً عنيفاً ثم ردها إلى أهلها .

وتنسج بيوت البدو من شعر المعزى الذي يجعل لها هذا اللون الأسود مع تموجات كستنوية غامقة ، وهي تتألف من مستطيل كبير مؤلف من قطع طويلة تدعى : شقق جمع شقة تخطط الواحدة بجانب الأخرى ، ويتكون منها : السقف ، ونساء البدو يصنعن الشقاق بأيديهن ، وقد تشتري من بعض بلاد الشام التي اختصت بصنعها كقرية الشجر القديمة غربي حلب وبيروت شمالي دمشق والكرك في شرقي الأردن وغيرها . وللبیوت حبال - مرس - من القنب ، وأطناب جمع طناب ، ويقوم السقف على أعمدة جمع عمود علوها يتراوح من المتر الواحد في الخربوش إلى الثلاثة أو الأربعة أمتار في بيوت الرؤساء الكبار ،

وهي توضع في الخط المتوسط بامتداد الطول الأعظم للبيت ، ويتألف البيت أيضاً من الرواق وهو قطعة طويلة من نسيج شعر المعزى أو وبر الجمل ، وعندهم أسياخ كبيرة من الحديد : الخلال شكلها كحرف S الافرنسي يربطون الرواق بها بطرفي السقف أو بطرف واحد منه حسب هبوب الرياح أو ورود أشعة الشمس ، ومنه كان لا بد أن يظل بيت البدوي مفتوحاً من إحدى الجهات .

والشقق تكون من شعر المعزى ، لأن هذا الشعر لا يمتص الماء وإذا كان بيت الشعر ثقيلاً في الأصل فلو ابتل نسيجه يصبح غير ممكن الحمل والنقل لو أنه من غير شعر المعزى ، ونسيج هذا الشعر في محته وسداه ذو خيوط غليظة يؤلف حزماً متراسة جداً ، ويزداد تراصها حين هطول المطر حتى تصبح غير قابلة النفوذ والرشح ، بيد أنه مر للنور ، وحين سطوع الشمس بشدة يظهر للأشباح ظلال ، ولذا يتعذر حصر الرأس تحته ، وهذا ما دعا بعض البدو أنصاف الحضر أن يتخذوا بيوتاً بيض من نسيج القطن الخاص بالخيام ، وهي أقل حرارة ، إلا أنها لا يمكن اتخاذها في الشتاء ، وتترك في المعمورة إلى حين العودة من نجعة الشتاء ، وبيوت التجار والباعة الملتحقين بالبدو تكون من نسيج القطن الأبيض ومخروطية السقف وعمودية الجوانب ، وهي التي يسمونها (خيام) جمع خيمة ، وهم يضربونها في الغالب قرب بيت الشيخ ، ومن ثم كانت من علامات الاستهداء إليه . وللأعمدة قيمة عظيمة لدى البدو ، وهي تعد روح البيت في البادية وقوامه . ومنها قولهم فلان عماد بيتنا ، وهي أيضاً كلما طالت وكثرت دلت على الثروة ، والرفعة وعلى أن صاحبها طلبة الأضياف والزائرين ، وفي اللغة : فلان طويل العماد أي بيته معلم لزائريه ، وفلان رفيع العماد أي شريف لرفعة عماد بيته ، وأهل العماد أصحاب البيوت العالية الرفيعة ، ومن فوائد الأعمدة أن الرجل في البادية إذا أجرم وطورد فدخل بيتاً وقبض على عموده سلم وصار في حنى هذا البيت .

وأصغر البيوت ما ليس لها سوى عمود واحد ، وهذه هي بيوت الأرامل والطاعنين في السن الوحيدين والمنقطعين وبيوت الدخلاء والمستجيرين ، وأكثر ما تضرب هذه البيوت الصغيرة في جوار بيت الشيخ لتبقى في كنفه وعلى مقربة من إحسانه . ويكون لكل أسرة بيت واحد ، إلا كبار الرؤساء ، فإن لهم عدة بيوت عظيمة وينتج مما ذكر أن مكانة البدوي وسعة حاله تعرف من عظمة بيته ، فإذا أقبلت على منزلة من منازل البدو

وقصدت أعظم بيت فيه ، وقعت حتماً على بيت الشيخ أو على بيت كبير يماثل الشيخ .

وعدد الأعمدة يكون بحسب كبر البيت ، ولا يدخل على كل حال في الحساب العمودان اللذان في طرفي البيت ، وهما قلما يستعملان ، لأن الطرفين يكونان في الغالب مائلين نحو الأرض بالأطناب ، بينما أعراب الديرة أنصاف الحضر يجعلونها مرفوعين والسقف تمتد باستقامة ، وهذا ما يجعلك أن تعين أصحاب هذه البيوت إن كانوا بدواً أم من أعراب الديرة ، وثمة علامة لتمييز البدو الرحل عن أولئك هي أن بيوت أعراب الديرة تكون أكبر وأوسع وأكثر أعمدة وأقساماً ، ثم إن بيوت البدو ذات أروقة . لأن البدو لا يبيعون أوبار إبلهم ، بل يستعملونها لنسج الأروقة . ونسيج وبر الإبل يكون أوسع خلايا منه في نسيج شعر المعزى . فوجود هذه الأروقة علامة أن البيوت بيوت بدو أقحاح . وقد امتازت عشيرة الأسبعة بأن أروقتها من وبر الإبل وذات خطوط بيض في الغالب . وعلامة أخرى هي أن أعراب الديرة يتخذون لتفريق خدور النساء عن مكان الضيوف نسيجاً من القصب اسمه (ذرب) ، وهذا لا يوجد عند البدو ، إلا لدى بيوت الكبراء ، وعيدان القصب تربط ببعضها بخيوط من الصوف ملونة وتجعل عالية ، والمسافات بين الأعمدة هي أطول منها لدى أعراب الديرة .

وبيت البدوي المتوسط الحال ذو عمودين ، وبيت الفقير والضعيف منهم ذو عمود واحد ، يستثنى من ذلك عشيرة الأرولة التي أكثر بيوتها ذات عمود واحد مما يجعل لخلهم منظراً كئيباً . وليس ذلك لقصر ذات يدهم ، فهم أغنياء يملكون عشرات الألوف من الإبل ، بل لأنهم لا يعنون بتربية الغنم إلا قليلاً ، واتساع بيوت البدو في شمال الشام من علائم تمايلهم نحو الحضارة ، وتدرجهم لتقليد أعراب الديرة الذين يربون الغنم ، وهي تدر ريعاً أكثر من ريع الإبل ، لا سيما بعد أن شاعت السيارات ، وزاد الإعراض عن أكل لحم الإبل في مصر .

وأكثر رؤساء عشائر الفرات تكون بيوتهم أوسع وأطول من بيوت كبار رؤساء البادية ، وليس ذلك لأنهم أغنى وأرفه حالاً بل لأنهم لا يأوون إلى بيوت الشعر إلا في الشتاء ، أما في الصيف فإنهم يطوونها ويقومون قرب الفرات في السبايط جمع سباط المصنوعة من سوق الأشجار وأغصانها ، لاسيما وأن نجعة هؤلاء وترحالهم قليل وغير ذي

بال ، أما الحالة عند البدو الرحل فهي مختلفة جداً ، فالبيت لا بد من تجزئته إلى قطع عديدة كلما قوض ، ومن إعادة تركيبه كلما بني ، والبيت إذا صارت أعمدته أكثر من ثلاثة يغدو نقله متعذراً على بعير واحد . وهذا الحل والربط يحتاجان كما لا يخفى لعدة أياد عاملة لا يحواها إلا الرؤساء والكبراء في العشيرة ، وهذا ما جعل وجود البيوت التي يتجاوز عدد أعمدتها الثلاثة في حكم النادر ، ويحتاج كل بيت ذي الأعمدة الثلاثة إلى اثني عشر جبلاً طولها ثلاثمائة متر بست أو سبع ليرات ، مما يبلغ مجموعه خمس وأربعون ليرة ذهبية .

وتختلف أسماء البيوت باختلاف عدد الأعمدة وقلتها وكثرتها ، فالبيت ذو العمود الواحد باستثناء العمودين الجانبين يدعى : قطبة ، وإذا كان صغيراً ورثاً وبدون عمود متوسط يدعى : خربوشاً ، كما هو لدى الأرولة وأمثالهم ، وذو العمودين يدعى : مقورن وفي بعض العشائر : جرين أو مدوبل ودوبل الشيء بمعنى كبره وزاد حجمه ، وإذا كان له ثلاثة أعمدة : مثولث أو خمسة : مخومس وهكذا ، مسويح ومتوسع ، وأكثر رؤساء العشائر الكبيرة بيوتهم من صنف المسويح ويبدو أن هذا العدد هو الحد الأقصى لدى عشائر الشام طراً ، وبيوت الذين يلونهم من الكبراء من صنف المخومس أو المثولث وهكذا . ومساحة هذه البيوت من ٦٠ - ١٠٠ متر مربع .

وقيل إنه كان لإبراهيم باشا الكردي رئيس عشيرة الملي بيت ذو ستة عشر عموداً لا يزال ابنه محمد باشا يتخذة أحياناً ، وازدياد عدد الأعمدة أو نقصها يدل على تبدل حال صاحب البيت من العسر إلى اليسر أو بالعكس ، ويلحظ الناظرون ذلك فوراً .

وللبيوت أوتاد ، ويفلق البيت من ورائه بالرواق ، وفي الأماكن الباردة في شمال الجزيرة وخاصة عند العشائر الكردية يكون للبيت رواقان ، وفي الجهة اليمنى واليسرى في البيت لا يكون رواق ، بل أطراف تدعى : الرفة ، وتجمع على : رفاف مؤلفة من قطع قديمة من مختلف الشقق ، أو من الأقمشة المتنوعة مخيط بعضها بجانب بعض ، وفي القطبة أي البيت ذو العمود الواحد يدعى هذا العمود بالواسط وفيه عمود الإمام أو المقدم ، وعمود آخر من الخلف يسمى : منيحر .

وهم إذا أرادوا أن يركبوا بيت الشعر يمدون شقق السقف على الأرض ، ثم يغرزون الأوتاد على بعد ١٠ - ١٥ متراً عنها ، وذلك لأجل أن يصلوا بينها وبين البيت بالحبال

المدودة ، فإذا تم ذلك يدخلون تحت شقق السقف ، ويرفعونها بالأعمدة ، وهذه الأعمدة تبقى طليقة بدون ربط ، ثم يعلقون الأروقة الجانبية بالسقف ، أما هدم بيت الشعر أو تقويضه فيجري على العكس مما عددناه ، وتركيب بيت الشعر على هذا النحو لا يحتمل أكثر من بضع دقائق ، ثم يقسم إذا كان صغيراً إلى قسمين : الربعة والمحرم ، وإذا كان كبيراً يقسم المحرم إلى عدة أقسام ، لكل من الزوجات قسم ، إذا كان صاحب البيت ذا عدة زوجات أو له أم أو أخوات يرى لزوماً للتفريق بينهن ، وهذا التقسيم يكون بواسطة الحواجز المصنوعة من القصب أو المنسوجة من الشعر ، وهي المسماة بالقطع أو الساحة .

وجملة القول أن للبدو كل الحق في المباهاة ببيوتهم والتعلق بحبها ، وأن يقولوا :

بيت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر مشيد

لأنها أنسب مكان في البادية العاتية القاسية وأصلح مأوى للعيش القلق الذي يقضيه البدو ، لأن الحبال إذا شدت يبقى السقف ممتداً مهما بلغ علوه ، والبرد إذا قسى يميلون الأعمدة فيهبط السقف ويقرب من الأرض ، والحر إذا طغى يوقفون الأعمدة بانتصاب ، ويرفعون الشقة الجانبية (الرواق) وحينئذ يهب الريح ، ويحدث جرياناً ينعش الأنفاس ، والقاعدة العامة أن يوجه البيت نحو الشمس المشرقة ، وإذا كان هذا الاتجاه رديئاً بسبب الرياح مثلاً يسدون الشرق برواقه ويفتحون جهة الغرب ، وإذا شعروا بهبوب عاصفة رملية يدقون الأوتاد ، ويقوونها ، ويضعون جميع الأثاث فوق الحبال ، ليزاد وزنها فلا تعد العاصفة قادرة على العبث بشيء .

داخل البيت

وينقسم داخل البيت إلى قسمين : الربعة أو الشق للرجال ، والمحرم أو الخدر للنساء ، ويفصل بين هذين القسمين حاجز من القصب اسمه : زرب وفي بعض بيوت الكبار يسدل فوق الزرب قطعة كبيرة اسمها : خدر أو ساحة منسوجة من الصوف الملون أو الشعر الأسود النظيف ، ويتخللها نقوش بيضاء من القطن ، وتتفنن النساء في نسج هذه الحاجزة تفناً غريباً ، والزرب الذي يفصل بين الربعة والمحرم يكون علوه قدر قامة إنسان ، وهو يحول دون رؤية الضيوف لنساء البيت ، وعند البدو الرجل يفصل هذين القسمين : النضيد ، وهو حاجز يعمل بأمتعة البيت . وهذه الأمتعة إذا كانت حين تنزليها

عن ظهور الإبل غير مرتبة تدعى : حلة ، وإذا رتبت وجعلت كحاجز تدعى : نضيد ، وهي تتألف من العدول (الأكياس) المحتوية على المؤنة من الحب والطحين والسمن والبصل والتمر وأمثالها ، وعلى الفرش كاللحف والأغطية والغفور جمع غفرة والبسط ، والقطيفات وهي ضرب من السجاد ، ومن الشف وهو غطاء ظهر الفرس ويكون من الصوف الرقيق ، والخدات أي : الوسائد وغيرها . وفي بيت الشيخ يكون الحاجز بين الربعة والمحرم جدار من الوبر يدعى : القطع ، وفي منتهى قسم النساء وهو القسم الأيسر في الغالب يوضع الحوض والضروف ، وأحياناً يوضع القتاب ، وبين العمودين تعلق الهزاة وهي أرجوحة الطفل ، وأمام البيت تحفر حفرة النار وعلى جانبها يكوم الرماد ، وفي قسم الرجال أو أمامه تحفر حفرة القهوة ويدعونها : النقرة ، وتعد في داخله البسط واللحف للضيوف ، وتوضع الخدات والرحال للاستناد والاتكاء ، هذا ويمتد تحت شقاق البيت على رأس الأعمدة شقة يبلغ عرضها اثني عشر سنتماً وتعرف تلك بالطريقة يربط في أطرافها حلقات موصولة بحبال ثخينة وطويلة من المرس ، وهذه الحبال تشد إلى أوتاد من الخشب الصلب تثبت البيت من جميع أطرافه في الأرض .

وعندهم القرب وهي أنية الماء المشهورة ، وتصنع من جلود المعزى ، وهي أفضل أنية لتبريد الماء ، والمجارب جمع مجربة ، وهي أكياس التبغ تصنع من جلود الغزلان وجداء المعز والغلايين لشرب الدخان ، أما عودها فيصنع من شجر الأثل ، وهم يعلقون في الغليون سلسلة وفيها مبرد يدعى الإبرة لتنظيف الحجر وملقط صغير لالتقاط الحجر ، وقد قل استعمال الغلايين عما قبل ، أما أسرجة الإبل والخيل والحير فسرج الفرس يعرف عندهم بالسرج أو المرشحة أو المعركة ، وسرج الحمار بالبردعة وسرج بعير الحمل بالوتر أو الحوية ، وسرج بعير الركوب بالغبيط أو الشداد ، وللغبيط حزامان من الشعر وهما البطان ويحزم بطن البعير والحقب ويحزم مؤخر بطنه ، وعندهم الخراج جمع خرج وهي أهم أثاثهم ، ولا بد لهم منها في أسفارهم ، يصنعونها من الصوف الأبيض والمللون أخضر وأصفر وأحمر ، ويصنعون لها شراريب من الصوف والشعر ، والمزاود جمع مزودة تشبه فروة الخرج ، وتصنع مما يصنع منه الخرج ، وتستخدم في السفر لحمل الدقيق ، والخالي جمع خلاة تصنع من الصوف أو الوبر ، وكل هذه الأنسجة الصوفية تحاك عندهم بأنوال بسيطة ، يشغل بها النساء أو يشترونها من المدن .

حلال البدو أو منازلهم

الحلال جمع حلة ، والحلة في اللغة جماعة بيوت الناس ، والمنزلة موضع النزول ، وهما تقابلان كلمة (مخيم أو معسكر) المستعملة في الجيوش . وهي تنصب عادة في صفين ، وإذا كانت كبيرة في صفوف متعددة ، ويسمى الصف الواحد سباط ، وقد اعتادوا نصب بيت الشيخ في الصف الغربي أو الصف الأوسط ، ويمتاز برفع شارحته عن بقية البيوت . والشارعة هي العمود الأمامي من الرتبة ، لهذا يستطيع الضيوف أن يهتدوا إلى الرتبة دون دليل ، لأن الشارعة هي الدليل ، أما بقية أفراد العشيرة فتنصب بيوتها على جانبي بيت الشيخ ، وإذا كان بينهم غريب أو طنيب كما هو معروف عندهم فإن أحد أفراد العشيرة يتنازل له عن موقع بيته ، فيقيم ذلك الطنيب قرب بيت الشيخ معزراً مكرماً ، وتسمى بعض العشائر مضرب البيوت : الدوار ، والفسحة التي بين صفوف البيوت : المراح ، حيث ترح مواشيهم وفي الحل والترحال لا تنصب بيوت كبار رؤساء بتمامها في كل مرحلة ، وفي حالة الاستعجال في السير لا تنصب العشيرة بيوتها بتاتاً .

هذا ولا يستعمل البدو مصابيح وفوانيس للاستنارة إلا ما ندر عند بعض كبار الشيوخ والرؤساء ، وذلك لعجزهم عن حمل هذه الأدوات السريعة العطب ، وعن حمل صفائح النفط التي تحتاجها ، وهم يكادون يعجزون عما هو أهم من ذلك ، فالحلم ولزيادة الثقل ، ومن ناحية أخرى إن المكوث في الظلام أدعى للاستتارة عن أعين الرقباء والأعداء في الليل ، ولحفظ النظر ورؤية الأشباح في الظلام عن بعد ، وهم إذا أحوجتهم الضرورة كورود رسالة هامة في الليل لا بد من قراءتها - هذا إذا وجد من يقرأ - وضعوا قليلاً من السمن في إناء وأغمسوا فيه خرقة كالفتيل وأشعلوها فتشع نوراً ضئيلاً قد يكفي للتلمس والعثور على شيء صغير .

كذلك هم لا يستعملون وقوداً للتدفئة ، فالنساء يدفئن أنفسهن نهراً بالحركة ، وليلاً بنار الطعام الذي يطبخه ، أما الرجال فلا يرون الدفء إلا عندما يعمد طابخ القهوة إلى قبضة من الشوك أو القش أو الحشيش اليابس فيلقبها فوق الضرم الذي قد يكون تحت المفورة من قبل . لكن هذه النار سريعة الهبوب والزوال لا تدفئ ولا تغني من برد ، وإذا كنت عندهم ضيفاً مكرماً يستمرون على تغذية الضرم بهذا العشب ويقولون لك (النار

فاكهة الشتاء ، ومن لم يصدق يصطلي) ، ولكنك لا تستفيد سوى الدخان الذي يعمي الأبصار ، وقد يحمى وجهك ويحمى ويبقى ظهرك متجلداً إذا لم تكن متدثراً بمعطف سميك أو بفروة ثقيلة ، ووقود البدو لا يتعدى الأغصان والفروع اليابسة التي يلتقطها النساء وجذور بعض الجنبات والأنجم الصغيرة التي يقتلعنها بالفؤوس ويجلبنها على رؤوسهن باسم حطب ، وإذا طال مكوث العشيرة في مكان ما يوقدون بعر الإبل ، وهو وقود جيد ومستمر وعديم الرائحة وقليل الدخان .

لباس رجال البدو

البساطة غالبية على لباس البدو وخاصة أهل الطبقة الأولى كعزرة وشمّر ، ولا فرق عندهم بين لبس الصيف والشتاء ، إلا أن الغني منهم يلبس عباءة رقيقة في الصيف اسمها (مزوية أو حسوية) ، وفي الشتاء يزيد عليها كساء مبطناً أو جلدأ من جلود الغنم المدبوغة يسمونه (فروة أو صديرية) ، ويتدارك البدوي لباسه مخيطاً خالصاً من البائع الشامي أو الكبيسي (نسبة إلى بلدة الكبيسة في العراق) ، وهؤلاء الباعة يلتحقون بالعشائر ويبيعونها أكثر حاجاتها المجلوبة من المدن ، يتألف لباس البدو من قيص واسع وطويل ثم فوقه قيص أطول وأوسع حتى القدم اسمه الثوب وهو ثوب أبيض أو ثوب مروون ، ذو أكمام عريضة طويلة ، فضفاضة مشقوفة تدعى الردون جمع ردن ، ولون الثوب أبيض أو تراي ، مدبوغ بقشر الرمان في مدن الشام أو عندهم ، ونسيجه من القطن وكل حواشيه مكشوفة ، وكلما كانت الردون طويلة دلت على عراقية لابسها في البداوة ، فردون العنزي أطول منها عند عربان الديرة ، وإذا وقف لابسها وألقى يديه إلى جنبه يكاد ردنا ثوبه يمس الأرض ، ولكنها في الغالب يعقدان وراء الظهر ، والسروال هو سروال فضفاض مما يلبسه كل القرويين وبعض عربان الديرة ، أما البدو الأتقاح فلا يلبسون سراويل قط ، وربما عابوا لابسها ، رجالهم ونساءهم في ذلك سواء ، ويزعمون أنها تحبس الهواء ، والبدوي لا يغسل ثيابه إلا كل شهرين أو ثلاثة مرة إذ ليس لديه غيرها ، وقد يكون ذلك من ندرة وجود الماء عنده في أغلب الأحيان ، وقد يلبس البدوي فوق الثوب (الصاية أو الزبون) وهو عبارة عن قنباز من القماش الرقيق المصاع ، ويكون مفتوحاً من الأمام ، ومشقوقاً من أسفل الجانبين ، وأكمامه أو ردونه أقصر منها في الثوب ،

وله في كل جانب جيوب تدعى مخبأ ، ويلبس البدوي فوق الصاية زناراً ، وهو حزام من الصوف عرضه نحو عشرة سنتيمترات وطوله بقدر ما يلف الخصر مرتين أو ثلاث وهو أبيض أو أحمر ، وإذا كان مزدوجاً ويسمح بوضع النقود وحفظها فاسمه كمر . ويلبس أيضاً فوق الصاية (محازم أو جنادات) تمر من فوق الأكتاف ، وهي من الجلد ، وفيها بيوت لوضع خرطوش البنادق ، وهم لا يرفعون هذه الجنادات عنهم حتى ولا حين النوم ، ومن عادة البدو نساءً ورجالاً أن يناموا بشياهم كلها .

أما غطاء الرأس فيدعى : قضاضة وتجمع على قضايض ، وهي قطعة مربعة من نسيج القطن الأبيض تطوى وتوضع على الرأس تحت العقال ، وقد يكون تحتها طباقيّة ، والقضاضة تقابل الكوفية المعروفة والمعمولة من الحرير ذات الشراريب الطويلة المستعملة لدى أعراب الديرة ، والقيطية كلمة تدل على غطاء الرأس وجمعها قياطي ، وهي تصنع من القطن السميك ذي اللون الأصفر أو الأسمر ويستعملها أعراب الديرة كثيراً والرحل ، ولا سيما الأسبعة منهم نادراً . وغطاء الرأس يختلف عند كل عشيرة بلونه ونقشه واسمه العقال ويدعوه : (المعصب والبريم) وهو ضفيرة ضخمة قليلاً أو كثيراً ، سوداء اللون في الغالب توضع على الرأس فوق القضاضة لتسكها ، ويكون للعقال ذوائب من خلفه منتهية بهدبات ، وطريقة لبسه ووضعها على الرأس مستقيماً أو مائلاً إلى جنب تدل على معاني الرزاة والبغض ، أو الحب أو عدم الاكتراث . والعقال يكون عند عربان الديرة غليظاً ، بينما هو عند عنزة رقيقاً^(١) . هذا ومعظم البدو يمشون حفاة وبعضهم ينتعل الحدوة ويتمنطقون بالحقو وهو سير من الجلد مضافور ، ويلبسون العباءة التي تنفعهم دثاراً ولباساً وفراشاً ، ولوضع الخطب وعلف الدواب ولغير ذلك . وفي الشتاء يلبسون الفروة وبعض

(١) في كتاب قبائل العرب في مصر لأحمد لطفي السيد ص ٣٥ : ويختلف زي العرب الأفريقية عن زي العرب الآسيوية . فالعرب الأفريقية يضعون على رؤوسهم طربوشاً أحمر لا يعتنون عليه وبرنساً تحته قميص ، وقد يلبس بعضهم صديرياً . ويكاد الحرام يسود عرب المغرب جميعاً ، وتصنع هذه الملابس في المغرب ويشتريها العرب من الاسكندرية . أما أثاثهم من خيام وبسط فيغزله نساء العرب وينسجته . أما العرب الآسيوية فالسائد في لباس رأسهم الكوفية والعقال مما يصنع في بلاد الشام أو بلاد العرب ولهذا يمكن التفريق بين المشاركة والمغاربة لأول وهلة ، ويتلاقى كلاهما في أثاثهما من بسط وخيام ويطلق على الجميع حين يسكنون الخيام عرب الحيش وحين يسكنون القرى عرب الحيط ، وهؤلاء الآخرون كانوا في أول أمرهم بدواً ، ثم زحفوا على الأراضي الزراعية وسكنوها في خيامهم أولاً ، ثم ابتنوا المساكن كما بينها الفلاحون . اهـ .

الرؤساء والأغنياء يلبسون تحت الفروة (الدامر أو القطشية) ، وفي الشتاء وحين ركب الخيل أو حضور الحفلات . والدامر معطف قصير واسع من الجوخ الأزرق أو الأسود ليس له رقبة ، أكمامه واسعة ومتدلّية ، وفي بطائنه جيب لوضع كيس النقود أو مامائله ، وأجمله ماصنع في مدينة حماة ، وقد يكون مطرزاً أو مزركشاً بخيوط ذهبية أو فضية ، والنساء يلبسن ما يشبهه ويدعونه : دراعة جوخ .

لباس النساء

أما النساء فلهن عبي وفروات كالرجال ، ولكن لا يستعملنها إلا في فصل الشتاء . وهن يلبسن على أبدانهن جلباباً من القطن يدعونه ثوب أسمر ، يكون أسود اللون أو نيلياً حتّى ويكون طويل الذيل في الغالب مجروراً على الأرض حين المشي ، وهن لا يغسلنه إلا كل عدة أشهر مرة ، ولذلك يكثر القمل عند البدو ، وهم لا يأنفون منه ويعمدونه من دلائل الصحة وجواذب الدم . وفتيات البدو يشددن منطقة غليظة من الصوف يدعونها شويحي يلففنها فوق الثوب الأسمر ، والنساء يشددن الكمر الأحمر اللون ، وتلبس الفتيات منهن دراعة جوخ زرقاء اللون أو سوداء قصيرة الكمين ، ويضعن على رؤوسهن المقرونة وهي تقابل كوفية الرجال ، وتكون أوسع منها ومن الحرير الأسود ، وأطرافها ملونة وذات أهداب سود يجعلنها بشكل عمامة ويدعونها (عصبة أو قطعة) ويلبسنها تحت الشبر وهو ضرب من المناديل الملونة يضعنه في مؤخرة الرأس ، ليظهر من بين قطعتي القماش قسماً من خصال الشعر ، ويعقدون المقرونة وراء الرأس ، وهذا عند عنزة ، أما فتيات عربان الديرة فلا يلبسن الشبر بل يضعن على رؤوسهن كوفية أو مقرونة بدون أن يدورونها بشكل عصبة ، والشبر قريشة عصبة طويلة عريضة من القطن أو الحرير الرقيق يلبسنه على رؤوسهن بشكل قطعة فيتدلّ ذات اليمين وذات الشمال على الصدر وعلى الظهر . وهن يتنطقن بكر مطاط يضعن فيه نقودهن .

وأكثر النساء يمشين حفاة ، أما في الشتاء فيلبسن حذاء كبيراً يدعى جزمة أو زربول من الجلد الأصفر أو الأحمر ، له من الأمام هدبات زرقاء ومتدلّية ، وفي نعله مسامير ضخمة ، وهو لثقله يزحفن به زحفاً ، ويحدثن به قرعة خاصة إذا سرن في شوارع المدن ،

ولكل امرأة مكحلة ومرآة ، وحين العمل في الأشغال التي توسخ يلبس قب أصفر وهو كالشوب إلا أن أكامه أقصر ولونه أخضر ، ثم يسود ويتلوث بسرعة ، ويدخن النساء بالغليون الذي يصنعه الرعاة من الطين .

حالة المرأة في البادية

النساء في البادية أكثر من الرجال عدداً وبالطبع هن ألين جانباً وأرق طبعاً ، ولسن مع ذلك دون الرجال نخوة وشهامة ، يطقن التعب وتحمل المشاق وتحشم المصاعب ، ويشاطرن رجالهن كل ضروب المتاعب فيقمن بكل إدارة بيوتهن ، ويعنهن حتى في غزواتهم ، ولهن بهم تعلق شديد ، وقد يؤثرنهم على الوالدين والإخوان بخلاف الرجال ، فأول مقام عندهم لأخوتهم ووالديهم ، وعلى ذلك يقولون إذا ذهب الولد والمرأة معاً فلها عوض ، وأما الأخ فلا عوض له . والبدويات أشد تعلقاً بالبدواة من الرجال ، وعندهن من الأحكام السائرة أنه إذا طلبت إحدى بناتهن لرجل من الحضر أن تقول : صكك باب ما أريدته ، أي أنه : إذا نام أغلق باب بيته فهو إذا جبان لا يليق بها . وعندهن الزي (المودة) على نمط واحد يكاد لا يتغير ، فالبنيات العذارى في أكثر الأوقات يقصصن الغرة أو الطرة ويبرزن شعورهن ما فوق الجبين إلى قرب قمة الرأس ، وإذا تزوجن أرخينها وسترن شعورهن بالمنديل ، وهي علامة فارقة بين البكر والثيب ، ويستعملن بلا تكلف أموراً كثيرة لو خطرت ببال نساء المدن لصفقن لها الأيدي ، فالأردان المتسعة مستعملة في البادية ، وكذلك الأردن الضيقة ذلك ليجمعن بين الهيئتين ، فالنساء المثرىات يلبسن الثوب الضيق الأردن ويرتدين فوقه بكساء متسع الأردن ضافي الحواشي ، أما الذبول الطويلة المنحصر استعمالها بين بنات المدن في ملابس العرس فلها استعمال شائع في البادية ، وجر الذبول في لسان الشعراء لا يخلو منه كلام منظوم ، وقد يلبس العباءة والزبون ، ولبس العباءة لا يزال مستعملاً عند نساء العراق المدينيات والقرويات والبدويات على السواء ، والبدويات ومثلهن نساء العراق أيضاً يلبسن من الحلي الضخم الثقيل كالخلاخل والحجول الكبيرة ، يصفنها ذهباً وفضة كل على ما وسعته حاله ، ويعلقن الخزامات المتسعة في أنوفهن ، وأكثرها مصنوع من الذهب مرصع بفصوص الفيروز الصغيرة ، ولهن أقراط طويلة عريضة ، ويضعن الذهب والفضة عقوداً وقلادات طويلة على ضروب شتى ،

ويكثرن في القلادات من النقود المضروبة القديمة ، كالغازي والمحمودي ، ينظمها صفوفاً ، ويدلّينها من العنق إلى الصدر .

والجمال في البدويات قليل في أكثر العشائر ، وموجود في بعضها وقد يكون زائداً عند الأقل ، وهو إذا وجد تراه طبيعياً جذاباً ، وقدماً اقتتن به الشاعر الشهير المتنبي فقال :

ما أوجه الحضرمستحسنات به كأوجه البدويات الرعايب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب .. إلخ

وفي قول المتنبي هذا مبالغة ظاهرة . لأن نساء البدو ما خرجن عن كونهن من بنات حواء اللاتي يتوسلن لإظهار محاسنهن بالتزيين والتطرية . وهن وإن لم يبلغن شأواً الحضريات بذلك تجد عندهن من أنواع التزيين : الحناء ، فهي شائعة الاستعمال يصبغن بها الأكف والأصابع والأظفار وأخص الأقدام ، وقد يزججن حواجبهن ، ويكحلن عيونهن بالإثمد ، ولهن ولع خاص بالوشم ، يحلن بالصبغة الزرقاء جلود أيديهن ، بنقوش مختلفة من ظهر الكف إلى المعصم إلى الكوع ، ويجعلن تقوطاً صغيرة في منتصف الجبهة وطرف الأنف والذقن ، وربما وشن الشفاه السفلى والوجنات والصدر والهود والأقدام .

أما أخلاق البدويات فهي حسنة في الجملة ، وخير ما يزينهن عزة النفس ، وشدة التعلق بالأهل والأزواج ، وقيامهن مقامهم في أكثر الأعمال ، ولا يقوم الرجال بشيء من أعمالهن ، فاشتغال البدوي مقصور على الغارات والغزوات أو على الأعمال الخارجية ، والمرأة رفيقة له ومعيّنة في كثير منها ، وجميع ما بقي مفروض على المرأة بحيث لو انقطع الرجل مدة عن طلب الرزق لكانت هي ربة البيت مكلفة بكل ما تستلزمه إدارة المعيشة والتربية ، فاعتماده عليها تام أو يكاد يكون ، واعتمادها عليه ناقص ، ومع هذا كله تراه متبرماً وغير راضٍ في الغالب ، وقد يضرها أو يلكها أو يشتمها لأتفه الأسباب ، ولا ينظر إليها في الغالب إلا أنها مطية الشهوة ومثابة المتعة والخدمة ، عليها له الطاعة العمياء .

والمرأة بنظر البدو محترمة مصونة من التعدي ، لا يجوز أن تمس بأذى بالغاً ما بلغت الخصومة بين العشائر ، وقد درجوا على اتخاذ النساء رسلاً بين الفريقين المتحاربين ، وكان

من حق المرأة أن تذهب إلى العشيرة المعادية لعشيرتها ، وتتعرف لجرحاهم وقتلاهم وتبلغهم ما أتت لأجله ، وما هي رغائب عشيرتها ، وترجع إلى ذويها بسلام بدون أن يتعرض لها أحد بسوء ، وبناءً على هذه الحرمة فإنه لا يكتفى بالانتقام للمرأة إذا ما قتلها القاتل بقتل أحد أو بأخذ دية واحدة ، بل إن المرأة المقتولة تودى بأربع إلى ثماني ديات ، بالنسبة إلى حالة الجريمة .

ولا شك في أن العفاف في البادية أكثر منه في الحواضر وأشد ، ويزداد في بعض العشائر ويقل بنسبة اتصالها بالحاضرة وبعدها ، والمرأة تسير وحدها في البراري مسافات طويلة ، ولا أحد يعارضها ، أو يتعدى عليها ، ومن فعل ذلك يناله العقاب الذي ذكرناه في بحث الزنا في فصل : القضاء عند البدو ، على أن حوادث الإجهاض كثيرة عند نساء البدو تؤتى بحركة خارجية عنيفة أو ببلع بعض الأعشاب التي أسرارها عند بعض العجائز ، وتنشأ إما لستر جريمة أو لمنع الولادة التي لا تنقطع كل ١٠ - ١٢ شهراً .

ونساء البدو مشغولات تعبات أبداً ، فبينما ترى الرجل طول النهار وجزءاً من الليل تحت خيمته يتقهوى (أي : يشرب القهوة) ، مضطجماً يقص أقاصيصه ، أو ينعم ببطالته ، ترى نساءه وبناته يشتغلن أشغالاً كثيرة شاقة ، يجلبن الماء على ظهورهن إن كن فقيرات ، أو على ظهور الحمير إن كان رجالهن من ذوي اليسار ، وقد يكون ذلك من مسافات بعيدة أو يحتطنن الخطب ، ويجمعن العشب وينقلنه ، ويحملن المواشي ويرعينها أحياناً ، ويمخضن السمن أو الزبدة ، ويطحنن الحبوب ، ويطبخن الطعام ، ويخبزن الخبز ، وإذا وجدن وقتاً يغزلن الشعر والصوف ، وينسجن شقق الخيام والغرائر والفرش ويخطن الثياب ، هذا فوق الحمل والوضع والإرضاع وهن يقمن بكل ذلك عن طيبة خاطر واعتياد ، لا يظهرن فيه أثراً للتبرم والضجر .

والرجال والنساء في البادية قليلو الاعتناء بأنفسهم ، ولا يضرهم عدم الاعتناء ، حتى أن الحوامل لا يتخذن إلا القليل من الأسباب والمداواة ، وقد يجيئهن المخاض وهن سائرات فيضعن في الطريق وليس من يعولهن بشيء فيجربنه بأنفسهن كما تجربيه القوابل ، ويلفنن المولود ويسرن به ، لكن أولادهن تعيش كالسائمة في البرية بدون عناية ، ويهلك معظمهم قبل الخامسة من العمر ، ولهذا تكون أجسام من يفتنون منهم من الموت قوية

تبعاً لقاعدة بقاء الأنسب . والأولاد الذين يفلتون من الموت يربون في بيت أبيهم ، أو مع أمهم إذا كانت مطلقة ، ويبقون في أحضانها سبع سنوات إذا كانوا صبياناً ، وتسع سنوات إذا كن بناتاً ، ثم يأتون إلى بيت أبيهم ولا يخرجون منه إلا أن تتزوج البنت فتلحق بعلها أو يتزوج الصبي ويروح بانياً لنفسه بيتاً جديداً يترأسه هو في دوره .

والبدوية وإن لم يكن لها محل في مجالس زوجها ، ولا يباح لها البهو والريعة المخصصة للرجال ، ولا يجوز أبداً أن يسأل الغريب عنها وعن حالتها ، إلا أن ذلك لا يعني أن ليس لها أي محل من الاشتراك أو إبداء الرأي ، فيما إذا باع زوجها من حلاله أو تصرف في ماله مما لا يرضيها ، والبدوية شريفة لها منزلة رفيعة في قلوب الجميع ، وكثيراً ما تجزم السيدات منهن في أمور كثيرة مهمة ، مما يدل على أن لكلمتهن في البيت أو العشيرة شأناً خطيراً .

والبدويات سافرات بالطبع لا يستعملن البرقع ، يتجولن في الخيمات وفي البراري بكل حرية ، والسجوف التي توضع على هوداجهن ليست لحجابهن بل لرد الشمس والمطر عنهن ، والضرورة أو الحاجة في حياة البدو تدعو إلى الاتصال الدائم والاختلاط المستمر بين الجنسين سواء في حلهم أو ترحالهم ، وفي الأفراح والأعراس يختلط القوم ويشتركون جميعاً ، وهم في هذه الحالة بمنزلة عائلة واحدة ، وكذا في الأتراح والرزايا العامة ، كالغزو وهجوم الأعداء أو موت عزيز وقتله ، وفي الجيرة وسكنى الخيام التي لا سبيل لحجبتها وتغطيتها ، كل هذه من دواعي الاختلاط وسبل التعارف والتحابب في الزواج مع العلم أنه محاط بسياس قوي من الصون والعفاف والخوف ، وإلا تعرض الرجل أو المرأة إذا شذا لأخطار قد تشترك فيها جميع أفراد العشيرة بالتناطح والتطاحن ، أما تربية الأولاد في بيوت البدو ففي نهاية القصور ، غير أنهم يعودون احترام الوالدين ، وإكرام الشيوخ والكهول ، ومن آدابهم أن لا يدخن الولد أمام أبيه ولا يأكل أو يتكلم أو يعترض ، إلا أن كثيراً منهم أصبح لا يراعي هذه القواعد الحسنة .

صحة البدو :

يداوي البدو مرضاهم بما تعلموه من أجدادهم بالوصفات ، وتثقفوه بطول الزمن في مداواة الجروح ، ويداونون أكثر الأمراض المستعصية بالكلي وعندهم آخر الدواء الكلي ، أو

بأدهان وحشائش لهم يعرفونها ، وأحذق أطبائهم : من عشيرة الصليب ، فعند هؤلاء وعند بعض العشائر أهل خبرة في الطب من النساء والرجال ، وجميع هؤلاء لا يعرفون من الطب إلا المعالجة بمخ عظام البعير وبالكى . فالملخ يستعمل بمنزلة دهان أو مروح أو مرهم لأنواع الأمراض الخارجية ، أو الأدوية الباطنية ذات الأثر الخارجي ، كداء المفاصل والرتية والنقرس والحضار ونحوها ، وكل ما لا يعالج يداوى بالكى ، وطريقة الكى عندهم أن تؤخذ قطعة صغيرة من ثوب أزرق صبغ بالنيل - لا من غيره - ثم تلف هذه القطعة على نفسها لفات متعددة حتى تغدو كالأنبوبة دقيقة الرأس ، ثم يشعل هذا الرأس ويكوى المريض بالخرقة في أنحاء شتى من جسمه معلومة عندهم ، بموجب نوعية المرض وموطنه ، فالداء الفلاني مثلاً يكوى المريض في كتفه وذراعه وظهره ، والداء الآخر من ساقه وظاهر قدمه ومقدم صدره إلى غير ذلك بموجب قواعد يعرفها الكاوي ، وربما كان هذا الكى في فسحة معلومة من الجسم فيقوم مقام حرقاة أو لزقة أو لبخة ، أو نحو ذلك من مصطلحات الطب الحديث ، فيحدث هذا الحرق حويصلات ممتلئة ماءً ، فإذا نضجت وسال ما بها شفى المريض ، وقد تبدل الخرقة النيلية بحديدة حارة ، فيتصرف بها الكاوي تصرفه بالخرقة الزرقاء ، وقد تبدل الحديدة بالصوفان أيضاً ، ومن نظر إلى شكل الحديدة أو الخرقة أو الصوفان علم بأن آثار الكى تكون مختلفة الشكل والهيئة والقدر ، فمنها مستديرة أو مستطيلة أو مستعرضة أو غير ذلك .

على أن أمراض البدو قليلة بالنسبة لخشونة عيشهم وجشوبة طعامهم ، وذلك لمكان الهواء النقي والشمس المطهرة في أجسامهم ، ولندرة ما يطعمون من الأطعمة المركبة من حامض وحلو وحار وبارد ، ولحفاظتهم على العفاف وعنايتهم بالزواج الباكر ، ولقلة الهموم التي تساورهم ، وما تساور في العادة إلا سكان المدن والقرى ، ممن يفقهون واجبات الحياة ، ويكدحون في طلب المعاش ، ولا يزالون مأخوذين بحب التقليد . والبدو أسنانهم وأضراسهم سليمة براقية ، للطف أخلاطهم وتخليطهم ، ولو راعوا النظافة وسائر شروط الصحة ، وخلصوا من القمل الذي لا يفارقهم لعاشوا بلا مرض وعمرؤا أكثر . ومن الغريب أن البدوي يشيخ ويهرم سريعاً ، فيتغضن جلده ويتشنج قبل أوانه في الهواء الطلق ، ولا يناهز الأربعين سنة إلا وقد خطه الشيب ، وإذا بلغ الخمسين هرم هرمماً بيناً ، ولا يبلغ أدهم الستين إلا نادراً . ولقناعتهم ورضائهم باليسير من الطعام ، وقلة أمراضهم ، وغلبة

الصحة والجلد عليهم ، يكون فكرهم دائماً رائقاً ، وحافظتهم واسعة ، وخواطرهم متنبهة ، وقد تعلموا منذ نعومة أظفارهم اتخاذ الأرض فراشاً ، واحتمال حرارة الشمس المتوقدة ، والنوم غراراً ، والصبر على الجوع والظما ولو في حماوة القیظ ، وهم لا يتعاطون المسكرات ، وأغلب شربهم الشنين واللبن الحقين الذي يهز معاطف الإنسان بدون أن يسكره ، وهم في الغالب لا يأكلون إلا مرة واحدة في النهار ، هي الوجبة وقدرها شيء زهيد ، بالنظر إلى ما يأكله أهل الحضرم من كثرة الألوان وغيرها ، ومن المؤسف أن يكون المرض الأفرنجي (الزهري) منتشراً جداً بين عشائر الفرات المعروفين بالشوايا ، وتكاد تكون نسبته ٨٠ بالمئة فيما ذكر ويسمونه (البجل) ، إلا أنه على توالي الأجيال قد قلت فاعليته في أجسام المبتلين منهم به ، وخف ظهور أعراضه الخارجية في أبدانهم عما قبل ، ويذكر المقدم مولر أن البدو إذا كانوا عطلاً عن كل صناعة وحركة ، فهم يجهلون الرياضة البدنية (الاسبور) فيخسرون رشاقة الشباب بأقرب وقت ويكونون عديمي الحذاقة بطيئي الحركة ، وعامة البدو يكونون هزلئ ، نحاف الأبدان ، وخاصتهم سمان من قلة الحركة والرياضة التي يعدونها محطّة بكبريائهم . ثم إن البدو على خلاف ما يشاع عنهم ضعيفو البصر ، ولعل ذلك من وهج الشمس ، أو ذرات الرمل أكثر من أنه مرض . ومن ثم إذا وجد بينهم من هو حديد البصر ، نال شهرة ومكانة ، لا سيما في الغزوات ، ولأجل هذا أيضاً يقتني رؤسائهم النظارات الحربية ويعدونها من أثمن ما يهدى إليهم . وفي البدو جراخون يعالجون الجراح التي يصابون بها في غزواتهم ، فهم يخيطنونها ويغسلونها كل يوم بمستحلب بعير الحمير مدة أربعة أيام ، ويغسلون البصل بالماء ويصفونه ، ويغسلون به الجراح ، ويسقون القليل منه لمنع نقض الجرح ، ودفع أذى الرائحة ، ثم يغسلون المر بالسمن ، ويجعلونه دهاناً ، فيدهنون الجرح أربعين يوماً حتى يبرأ .

ومما يخشاه البدو في بعض السنين الأوبئة الخبيثة التي تنتشر في البادية أحياناً بسرعة غريبة ، ومن أمراضهم الطاعون والهواء الأصفر والجذري فتهلح لها قلوبهم رعدة وجزعاً ، ويفرون من مضاربهم تاركين مرضاهم في سكرات الموت ، يتقلبون على فراش المنون ، بعد أن يضعوا لهم ماء وزاداً ، وقد يعهدون بالمریض إذا كان عزيزاً إلى إحدى العجائز لتعنى بأمره ريئاً يشفى أو يموت . وبينما نراهم أسوداً في الحروب قساة القلوب على احتمال نكبات الدهر ، إذ نجدهم في الأمراض العامة أجبن الخلق وأسرعهم إلى الهرب ، ولشدة ما هم عليه

من الخوف يلجؤون إلى الذبائح كي يستنهضوا عزائم الأرواح لمساعدتهم ، وتلك الذبائح ذبائح القدو أو الفداء لأنهم بها يفدون أنفسهم من الموت الزؤام .

الزواج :

يتزوج البدوي بين سن ١٥ و ٢٥ ؛ وقلماً يتأخر إلى ٣٠ سنة ، بل ربما سبق الزواج هذا الأجل ، والبدوي ينتخب خطيبته خلال الصدف التي تبعثها حياة الحل والترحال ، واختلاط الجنسين ، وتعارفها منذ الصغر ، والبنات البدويات يتزوجن في سن مبكر جداً ، وقبل الحضرية بكثير ، لأن عيش البداوة وإقليم البادية ينيانين بسرعة ، وينضج استعدادهن في وقت وجيز ، وحتى أنها يعجلان بشيخوخة المرأة وهرمها ، وعلى كل حال لا تستشار الفتاة البدوية في زواجها ، ولا تُسأل حين خطبتها . لأن الرأي لوليها يعطيها لمن يشاء ويبيعها بيع السلع لمن أراد أو لمن يدفع له أكثر .

والزواج يتم بعقد ينطبق على القاعدة الشرعية بإيجاب وقبول ، وعلى الصورة الآتية : وهي : حينما يرغب أحد الناس الزواج من ابنة الآخر يرسل إليها أشخاصاً يستزجون والديها وأوليائها ، فإذا قبلت طلبته مبدئياً يستصحب جماعة من ذوي الوجاهة ، ويذهب بهم إلى منزل والد البنت أو وليها ، ومعهم ما يلزم للطعام من ذبيحة وبرغل وطحين وسمن وقهوة . وهناك عقب الوصول والنزول يفتح متقدم الجماعة البحث مخاطباً والد البنت أو وليها هكذا (حيناك طالبين ، ومن عندك إن شاء الله ما نعود خايبين) فيجيبه والد البنت (حياكم الله ، القمراء أمامكم ، والظلمة قفاكم) وعندها يعلنون الموضوع الذي جاؤوا من أجله ، وهو على الأغلب يجيبهم إلى طلبهم ، وأنه وهبها الخاطب فيجيبه أولياء الخطيب ، إننا نقابل عملك هذا بكافأة كذا من المال أو الحلال (الماشية) ، ويطول الحديث على المهر وهو ثمن الابنة . والمهور عند البدو غالية جداً يا للأسف ، فالعروس تشتري بأثمان باهظة ، وربما بلغ ثمنها لدى الأغنياء منهم ٦٠ - ١٠٠ ليرة ذهبية ، ونحو نصف ذلك عند الفقراء ، وقد يدفعون ما يعادل هذه النقود من الغنم أو الإبل أو الخيل أو الحبوب أو البنادق ، وقد يحتدم الجدل على المهر ، فكان ولي الخطيب يشتري بهيمة وذاك يبيعها ، هذا يطلب كثيراً وذاك يدفع قليلاً ، فإذا تم الاتفاق يكلفون

أحد الحضور بتلاوة الفاتحة ثم يضع ولي الخطيب يده بيد ولي البنت ، ويقول أحدهم للآخر أزوجت ابنتك فلانة إلى فلان على سنة الله ورسوله فيجيبه الثاني زوجته فيبارك لهم الحاضرون ، ويقوم أقارب الخطيب ويندجوا رأس الغنم الذي أحضروه فيقال حينئذ « فلان ذبح على فلانة » أي خطبها من والدها ، وعند الشرارات والروالة ينضحون رأس المرأة ويدها بالدم . ثم يهينون الطعام والقهوة ، ويقدمونها إلى الحضور ، وبعد أن يأكل الجميع ويشربون ، يربط الخطيب ليرة ذهبية في طرف كوفية حريرية ويقدمها لخطيبته دلالة على أن روابط المحبة استوثقت عراها ، فلا يفكها إلا الموت ، ثم ينصرف كل إلى بيته ويستعد الخطيبان للزواج .

ويذكر عن الشرارات وأمثالهم المتوغلين في البوادي إذا أرادوا أن يقرنوا بالزواج لا يندجون ذبيحة بل يضع الخطيب في قبضته اليمين حنطة وتطبق الخطوبة يدها فوقها ، (فيقول الشاب : أتقبلني لك رجلاً على سنة الله ورسوله فتقول : قبلتك ، ثم تعد هي السؤال نفسه : أتقبلني لك امرأة على سنة الله ورسوله ، فيجيب : قبلتك فيقول : بحق البر وخالق البر لا توق ولا نوق ، هي سنة الله ورسوله ، ورباط العيش ورب العيش ، أنا لك زوج وأنت لي حليلة) . والبدو يعتبرون الذبيحة ضرورية في عقد الزواج ، لأنها تصد الأب عن طلب الزيادة في المهر .

هذا والمهر الذي يتفق عليه يأخذه أبو البنت ، وهي لا يصيبها شيء ، وفي حالة زواج الفتاة خارج العشيرة تأخذ هي نصف المهر ، ولا يتم عقد الزواج ما لم يدفع نصف المهر مقدماً ، والعروس تأتي معها بجهاز يختلف حسب ثروتها ، ومبلغ المهر عند عنة يختلف كثيراً من بعير إلى عشرة أباعر مع عدد من الغنم ، فهو لا يكون عندهم نقداً ، أما عند أعراب الديرة فهو بالنقد كما قدمنا ، وذكرنا مقداره الباهظ أحياناً ، وقد يكون بالغنم والإبل معاً ، ويلحظ أن المهر عند عنة لا يعين إلا فيما ندر ، لأن تعيينه عندهم يعد معيباً . ويهدي العريس أم العروس هدية تختلف من بعير إلى عدة أباعر . ولا يدفع أي مهر إذا تبادل رجلان أختيهما ، وإذا كان للعروس ابن عم فله حق الرجحان ، أما إذا كانت هي تفضل غيره عليه فلابن العم حق بطلب المهر لنفسه ، ويعد هذا ثأراً لحرمانه .

الطلاق

أغلب ما يكون للبدوي امرأة واحدة ، ولا يتزوج عليها إلا إذا كانت عاقراً ولا يريد أن يطلقها ، فتعدد الزوجات عند البدو أكثر ما يقع عند كبار الشيوخ ، فلهؤلاء في أغلب الأحيان ثلاث نساء أو أربع ، وذكر عن بعضهم أنه كان لديه ١٠ - ٢٥ زوجة . وهم يفعلون ذلك لأسباب منها سياسية ليتصلوا ببيت شهير مثلاً ، ومنها كثرة ما يحتاجونه من أماكن النزول والحل والترحال إلى هنا وهناك ومن ثم تجد لهم عدة زوجات لدى فرق مختلفة أو عشائر متباينة كلما زاروها نزلوا عند زوجتهم الباقية قرب أهلها .

ويقول بركهارت في كتابه (رحلة في بلاد العرب) « أن أكثر الأعراب يكتفون بـ زوجة واحدة بيد أنهم مغرمون جداً بتكرار الزواج تخفيفاً لوطأة الزواج الموحد ، وتغييراً للفرش في زعمهم وهم ينتهزون القاعدة الإسلامية التي تجيز لهم الطلاق ، ويسببون استعمالها كثيراً ، فهم يبدلون زوجاتهم على التوالي . فإذا غضب الزوج منهم على زوجته ولو لسبب تافه ، وأراد أن يطلقها ، يكفي أن يقول لها (أنت طالق) فيعطيهما حينئذ ناقة ويبعثها إلى بيت أهلها ، وهو لا يجبر على ذكر السبب الذي دفعه لعمله هذا ، كما أنه هو في التالي لا يعزي أي فضيحة للمرأة أو لأهلها . وكل الناس يعذرون الزوج بقولهم لم يحبها ، وقد يتزوج هذا الرجل امرأة أخرى في اليوم ذاته . وحوادث الطلاق عند عزة كثيرة جداً حتى في إبان الحمل . والمرأة يمكن أن تتزوج وتطلق ثلاث أو أربع مرات دون أن تمسها أدنى ريبة أو قولة . وقد صادفت من الأعراب في سن الخامسة والأربعين من تزوج أو طلق خمسين امرأة ؛ وكل امرئ منهم في مقدوره أن يستغني عن ثمن بعير إلا ويطلق ، ويبدل من النساء بالقدر الذي يشتهي ، وتسمح الشريعة للمرأة أيضاً إذا لم تجد نفسها سعيدة في بيت بعلمها بأن تطلب طلاقها وتلجأ إلى بيت أبيها وأهلها ، ويمكن للزوج حينئذ أن يعيدها إلى بيته إذا وعدا وأرضاها بإعطاء ثياب أو حلق أو سجاد ذي قيمة . أما إذا رفضت لا يحق له أن يقسرها لأن القسر في نظر أهلها يعد تجاوزاً وإهانة . وفي هذه الحالة جل ما يستطيع الزوج أن يعمل هو أن لا يلفظ كلمة الطلاق فتبقى متباعدة عن الزواج بغيره . ويجربون وقتئذ إقناع الزوج للطلاق بأن يهدوه إبلاً ، ولكنه إذا ظل معانداً يحكم على المرأة أن تعيش وحدها ويسمون المرأة التي على هذه الحالة طموحاً ، ومثل

هؤلاء النساء كثير لدى البدو . لكن لا يمكن قط أن يوجد عندهم بنات أبكار عوانس ، وإذا مات رجل وترملت امرأته يتقدم غالباً أخوه لزواجها . لكن العادة لا تجرب هذا الأخ ولا المرأة على الزواج ، والأخ لا يمكنه أن يمنع أرملة أخيه من الزواج برجل غيره ، على أنه من النادر أن ترفض الزواج به ، لأن ذلك يحفظ ثروة العائلة من الضياع ، وللجار حق الرجحان في زواج جارتها ، وإن كان غير مجبور على الزواج بها . لكنها هي لا تستطيع أن تتزوج غيره إلا برضائه ، إن سهولة الطلاق التي ذكرناها قد أدت إلى انحلال روابط الأسرة . وإن تبديل الزوجات كراراً قد أدى إلى أن تهتك في العشيرة أسرار الآباء والأولاد ، وأن ينتشر الحسد والبغضاء بينهم ، ولا حاجة بعد إلى سرد النتائج التي تحدث في الأخلاق من جراء ذلك ، ومع هذا كله ، فإن البدو يبدون احتراماً زائداً نحو والديهم كما أن لهم عطفاً خاصاً نحو أمهاتهم ، وإذا حدث شجار عائلي ، كثيراً ما يقفون بجانبهن ضد آبائهم ؛ وكثيراً ما يطرد الآباء أبناءهم من جراء هذا الوقوف . « ا هـ .

وفي كتاب عشائر العراق لعباس العزاوي « أن البدو يعنون كثيراً باختيار الزوجة ، ومراعاة أصلها وعراقة نسبها ، وعندهم من الأمثال : (العرق دساس وثلاث الولد لحاله و بنت الذلول ذلول) وعندهم الأمثال التي تحض على الزواج ، والإكثار من تكراره ، ليكون للمرء أولاد يكيد بهم أعداءه ويقهر أخصامه فيقولون : (خذ من النساء وكيد العدا) ، وهم يلتزمون الأصل الصريح ولا يراعون الحسن والحب بقدره . ويقولون : مضرباً ، لمن أخواله ليس من أعمامه أو من أصل رديء ، وهو المعروف بالمهجين « ا هـ .

الخطف

إن خطف النساء والبنات كثير الوقوع بين البدو ، ومن لا يزال على سنتهم من الحضر في بلاد حوران وشرقي الأردن ، ولا ير شهر إلا ويسمع خبر كهذا بينهم ، ويقولون (فلانة خطفت فلان) ولا يقولون فلان خطف فلانة ، لأن أكثر الخطف يكون برضاء الطرفين ، وكثيراً ما يخطفون ذات الزوج ، وقد يقع الخطف جبراً .

الخطف الجبري

هو أن يترصد الخاطف المرأة أو الابنة التي يعشقها ويرغب الزواج بها دون رضاها ،

وعندما تسنح له الفرصة يسحبها جبراً ، أو بالتهديد وإشهار السلاح ويفتتت على عرضها ، ويهرب بها إلى أبعد العشائر ، ويعيش معها ريثما يتمكن من مصالحة ذويها ، وهذا النوع من الخطف ، لأولياء المخطوفة أن يستعملوا ما لهم من حقوق الانتقام كما يجري في أمر الزنا الجبري ، وأما الزوج فليس له حق الانتقام بل له أن يستوفي مبلغاً من المال يعادل مهر زوجته ، وذلك عند وقوع الصلح .

الخطف بالرضا

وهذا يكون نتيجة التعارف بين الرجل والمرأة ، وتبادل الحب بينهما وتقرير كيفية الزواج إذا رفض أولياء المرأة السماح لهم بالزواج من بعضها ، فعندئذ يقرر العشاقان الخطوة التي يجب السير عليها ، ويضربان موعداً للملاقاة ، حيث يكون برفقتها شخصان من الأصدقاء ، فيذهبون معاً إلى أقرب العشائر ، وينزلون عند شيخها ، ويعرضون عليه أمرهم ، فيقوم الشيخ أولاً باستجواب المخطوفة ، وعندما يتأكد رضائها بالزواج من خاطفها ، ويتحقق من الصديقين أن لا زوج لها ، يستدعي بالحال إمام العشيرة ، ويكلفه لعقد نكاحها ، وإذا لم يكن للعشيرة إماماً يجري العقد بذبح رأس غم يذبحه الخاطف قائلاً (اللهم حلل لي هذه الأنثى ، كما حللت لنا هذه الشاة) وبعد ذلك يخلي لها الشيخ خبة من مضارب العشيرة ويزفها فيها كمروسين ، وبعد ذلك يقوم الشيخ بجميع الوسائل لعقد الصلح بين الخاطف وأولياء العروس ، حتى ولو اقتضى الحال إلى أن يدفع بدل الصلح من جيبه الخاص ، باعتبار أن عمله هذا من نوع البر والإحسان الممتاز ، نعم إن أولياء المخطوفة وعشيرتها يثورون فور علمهم بخطف ابنتهم ، ويطاردون أقارب الخاطف ، ويعتدون على أموالهم وأملأهم في غضون الثلاثة أيام وثلث اليوم إن لم يحل بعض العشائر الحيادية دون أعمالهم ، إلا أنهم عندما يتحققون أن الخطف وقع برضاء ابنتهم ، يسكن غليانهم ، ويتداخل العقلاء بالصلح بين الطرفين ، ويكون بدل الصلح غالباً مقداراً من المال أكثر من المهر المعتاد ، فإذا كانت المخطوفة طموحاً (أي ناشزة) يعطى منه إلى زوجها مقدار المهر الذي دفعه ، وما زاد عن ذلك يكون من حق أوليائها ، وإذا تعنت أولياء المخطوفة عن المصالحة ، فللشيخ الذي التجأ إليه الخاطف أن يستدعيهم إلى القضاء ، وله أن يستعمل

جميع الوسائل لإرغامهم على المقاضاة ، وغالباً يكون حق القضاء عبارة عن إلزام الخاطف لدفع مبلغ يزيد عن المهر المعتاد بعض الزيادة .

إن هذه العادة المنكرة إن كانت مغفورة وخفيفة الوقع في صدد البنات المخطوبات اللواتي يخطفن برضائهن ، ولأجل أن يتزوجن وينسترن بحكم غلو آبائهن بالمهور ، أو لئمنع هؤلاء الآباء عن الإيعطاء تمنعاً لا مبرر له ، فإنها أي هذه العادة منكرة مردولة إذا جرت في النساء المتزوجات ، مما هو واقع بكثرة يالأسف في بلاد حوران الباقية على جاهليتها الجهلاء وقد نشر الشيخ محمد صالح الحلبي إمام بلدة درعا الجديدة - أجزل الله ثوابه - رسالة خاصة في هذا الموضوع دعاها (صرخة الإيمان لأهل حوران) طبعها في سنة ١٣٥٥ هـ فما قاله فيها « إن هذه العادة تعدت من البنات إلى النساء المحصنات ذات الأزواج والأولاد ، فكم من امرأة خطفت : أو خطفت وهي في حجر أبيها : أو دار زوجها وبين أولادها ، وكم من امرأة تواطأت مع رجل على ارتكاب هذا العيب الفاضح ، كأنها لم تك بغياً ولم تأت شيئاً فرياً ، فهذه مصيبة أخلاقية وويلات عائلية ، لم تألفها الجاهلية ولم تجر عليها الأمم الوحشية . وهي عادة لا تتلاءم وكرامة العرب ، ولا تتوافق مع شرف الإسلام ، كم سببت للأبدان جروحاً وعن الأوطان نزوحاً ، وكم حمل المخطوفات (أو الخاطفات) أولاد (أبناء زنا) بطريقة السفاح الممقوت الذي يردله الإسلام وينهى عنه رب الأنام ، وكم سبب خطف النساء من شهادة زور وكذب وفجور وإماتة حق وإحياء باطل ، فبينما المرأة ترتكب هذه الرذيلة ، يتخذ وليها أو زوجها عملها هذا ذريعة لاقتناص المال من الخاطف بصورة بعيدة عن الرحمة والمروءة ، وبهذه الطريقة الوسخة يتثمل الطمع بأفطع مظاهره ، فإن دفع الرجل (خاطفاً كان أو مخطوفاً) ما يفرضه عليه ذوو المرأة تحسن الحال وزال الإشكال ، فعادت المخطوفة (أو الخاطفة) إلى حجر أبيها أو دار زوجها كأنها لم تأت خطية ، وعندها يغض الطرف عن تلك المدة التي قضتها بالزنا مع ذلك الرجل ، وإلا لعبت الخناجر في المناحر ، وتقرحت من البكاء المحاجر ، وأسرجت الخيل ، وعظم الويل ، وانزعج الأنام ، وسلبت راحة الحكام ، كل ذلك لا انتصاراً للشرف ولا دفاعاً عن العرض ولكن طمعاً في المال الذي أصبح معبود الجميع » .

وقال عن أسباب هذه العادة المردولة أنها : ١ - عدم مراعاة أحكام الإسلام في

التزويج مثل التكافؤ بين الزوجين ، والتساوي في السن والتجانس في الأسرة ، والتقارب في السوية النفسية والأخلاقية .

٢ - إكراه ولي المرأة على التزوج بمن يريد هو لا بمن تريد هي ، وذلك طمعاً بالمال .

٣ - إكراه ولي الفتاة ذات العمر ١٨ عاماً على الزواج بكبير السن ذي العمر ستين فأكثر ، وذلك طمعاً بالمال أيضاً .

٤ - جعل المرأة سلعة في المزايدة العلنية ، فأى خاطب يزيد في مهرها لوليها فهي له سواء يريد قلبها ، أو لا .

٥ - إفساح المجال للمرأة بأن تتصل بالرجال في أي واد ومكان ، فتجد الرجل قابلاً في داره خوراً منه وكسلاً ، وتجد المرأة مجبورة على القيام بالأعمال البيتية والأعمال الخارجية العائدة على الرجل بجميع فروعها .

٦ - غلاء المهور ، فلو اعتدل أهل البنت بمهرها وتساهلوا به لما حصل شيء من هذه القبائح .

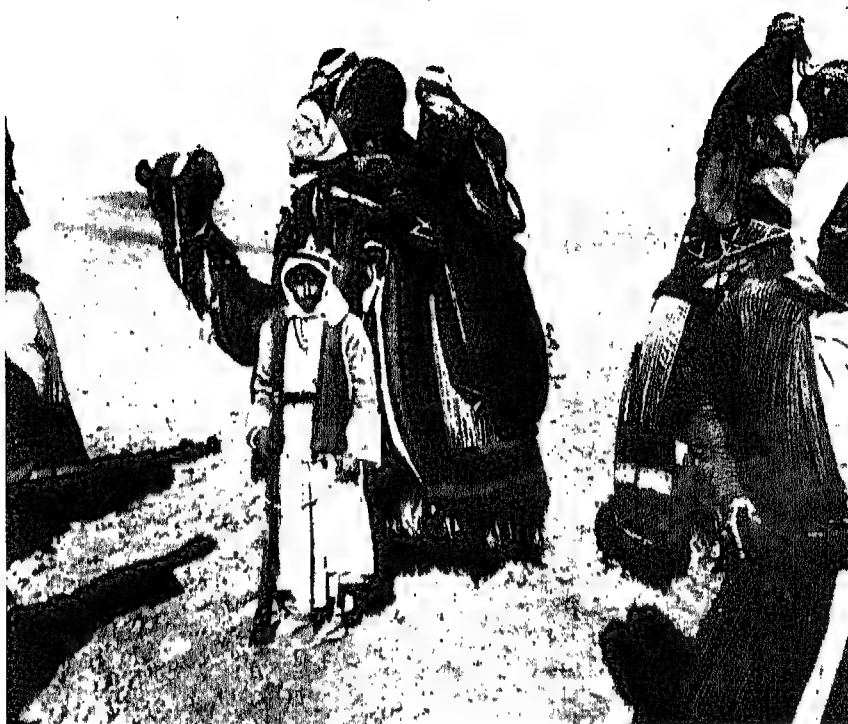
٧ - إيواء بعض من الشيوخ والمتنفذين للمتخاطفين ، وحمايتهم إياها ، طمعاً بنوال المال من الفريقين ، لكي ينصبوا أنفسهم بصفة حكام لحل ما ينجم عن هذا الخطف من المشاكل بين عشيرتي الخاطف والمخطوف ، توصلاً لمنفعتهم المادية ، وربما وسعوا شقة الخلاف من وراء ستار ، توصلاً لهذه الغاية الخسيسة ، والأغرب أن يزعم هؤلاء الشيوخ والمترعين أن عملهم هذا مكرمة ، لأن فيه حماية الدخلاء واللاجئين . وقد فاتهم أن حماية المتخاطفين طعنة في كبد الشرف ، وإيواء للرديلة ، وحماية للفحش ، وتنشيط للزنا .

العرس

بعد أن تتم استعدادات العرس يعلنون في أول الأسبوع أي يوم الأحد مباشرة الأفراس ، فيجتمع في كل مساء الرجال والنساء يغنون ويدبكون معاً حتى يوم الثلاثاء ، تؤلف قافلة من رجال ونساء راكبين على خيولهم والبعض مشاة ، والنساء على هواجهن من الإبل . فيذهب هذا الموكب إلى منزل أهل العروس ، وهم يرحون على ظهور الخيل والنساء تغنين ، ويطلقون الرصاص بالفضاء ، وقبل أن ينزلوا في بيت والد العروس

يقابلهم أول من يصادفهم ، ويدعوهم إلى ضيافته ، وبعد إكرامهم وإطعامهم يذهب النساء بنشيد إلى بيت أهل العروس ويدخلن إليه فيستقبلهن أهل البيت بالترحيب ، ومن ثم يأتون بالعروس التي تكون اختفت من الوجه خجلاً ، يجلنّها ويلبسنها أثواب العرس ويعطرنها ، كما هو المعتاد ، وهن يغنين وينشدن ، ويدبح أحد أقارب العريس لهن ذبيحة خاصة ، ويعد لهن الطعام ويكرم كل من كان موجوداً هناك من النساء ، وفي مساء ذلك اليوم يأتي النساء من محارم العروس أعني والدتها وشقيقتها وخالاتها وعماتها ومن يدلي إليها بقزابة ويحمنها ، ويزينها بأجل ما أمكن من أنواع الزينة ، ويسمين ذلك (تنيق الحبايب) ، وفي الصباح يأخذن العروس ومعها أمها وإحدى خالاتها ويذهبن بها بالنشيد والأغاني ، وبين رمح الخيول وإطلاق الرصاص ، إلى بيت العريس ويسمون هذه القافلة (قطار العرس) ويدخلونها رأساً إلى بيت العريس الذي يكون دعاء أحد الأصدقاء من الشبان ودعا معه أقرانه ولدانه للاستحمام والطعام وزينهم وأكرمهم ، وهناك يزفونه إلى العروس في خيمة أحدثت خصيصاً في مكان منفرد متوسط يسنونه برزة ، ومن المعتاد أن يقدم العريس في الليلة الأولى هدية للعروس أو شيئاً من النقود تسمى نقوطاً ، وصباح اليوم الثاني يتوارد الأصدقاء لتهنئة العريس ، وتقديم الهدايا ، وأهل العريس يهتون بذبح الذبائح وإعداد الطعام ودعوة الأصدقاء والخلان ، وبعد أسبوع تذهب العروس لزيارة أهلها ، وتأخذ معها من عند عريسها شيئاً تقدمه إلى أهل ، وبعد أن تصرف المدة التي ترغبها تعود مزودة بالهدايا .

وهذه الأعراس أكثر ما يعنى بها ويتفالى ، هم أهل القسم الثاني « أعراب الديرة والشوايا » وبعض الرؤساء الأغنياء من أهل القسم الأول ، وعلى كل حال لا تجري هذه الأعراس إلا لدى من يتزوج للمرة الأولى ، أما في المرة الثانية وما بعدها ، وفي زواج الأرامل والمطلقات ، فلا يجرون شيئاً في ذلك ، وعند أعراب القسم الأول أي البدو تكون الأعراس بسيطة جداً ، فهم يكتفون يوم الزواج بغداء يطعمون فيه الأصدقاء والأنسباء وكفى ، وربما غنوا ورقصوا وأظهروا فرحاً وابتهاجاً ، وحينئذ يدخل العريس إلى الحرم وهو المكان المخصص للنساء ، ويكون قد هيء وأخلي لأجله ، وبينما تكون الضوضاء وطلقات الرصاص صاعدة من بنادق بعض الأصدقاء ، بقصد إظهار الفرح ، أو إحداث جلبة خاصة ، يفترع العريس عروسه وينتهي .



قضاء الوقت واللهو عند البدو

أصاب المتنبي في وصف عيشة البدو وكيفية قضائهم الوقت بالأبيات الآتية ، فقد قال عن لسانهم :

إن أعشبت روضة رعيناهها	أو ذكرت حلة غزوناهها
أو عرضت عانة مقزعة	صدنا بأخرى الجياد أولاهها
أو عبرت هجمة بنا تركت	تكوس بين الشروب عقراهها
والخيل مطرودة وطاردة	تجر طول القنا وقطراهها
يعجبها قتل الكاة ولا	ينظرها الدهر بعد قتلاها

هذا ما كان عليه البدو قديماً ، أيام السيف والسنان والخيل والعنان ، رعي رياض ، وغزو وركوب جياد ، وصيد وقنص ، وطراد وجلاد ، أما اليوم ، وبعد انقطاع سبل الغزو ، وتطور ظروف العيش ، أصبح البدوي لا يكاد يعمل عملاً مذكوراً إلا إذا رعى الإبل أو الغنم أو جلب الغلال وفرش البيت ، وفي الغالب يرى ماشيته ترعى أمامه ، أو على مقربة منه ، يراقبها الرعاة ويدارونها من دونه ، وكل أعمال البيت تقوم بها النساء ، أما الرجل فلا شغل يدوي يلهيه ، ولا صناعة أو حركة تسليه ، ولا كتاب أو صحيفة يقرأها ، فما له إذا سوى الاضطجاع والاستمتاع بمنظر البراري الشاسعة ، وأشعة الشمس الساطعة ، وهو يترقب مجيء الضيوف إلى بيت الشيخ ، فيسعى لحضور مجالسهم ، ويصغي إلى ما يأتون به من الأخبار والحوادث الطريفة .

وأحاديث البدو لا تخرج عن موضوعات الغنم والإبل والماء والجو والأمطار وبعض الأمور المتعلقة بحياتهم اليومية ، أو العائدة إلى العشيرة الفلانية أو الشخص الفلاني ، يتخللها نقد حيناً وتقريض حيناً آخر ، ثم موضوعات حل المشاكل الحادثة بين أفراد العشيرة لخطف امرأة ، أو اعتداء شخص على شخص آخر ، أو فرار فتاة ، إلى ما يماثل ذلك ، تتخللها مناقشة حادة تارة وهادئة أخرى .

والبدوي المعروف بأنه أذكي وأنبه من الفلاحين أهل القرى يعرف من الأخبار التي تهمة من أنباء العالم ما ينبغي الإحاطة به ويتناقله بسرعة البرق ، حتى أن ما يحدث في الحجاز أو العراق كان يصل خبره إلى ابن بادية الشام وما وراءه من الأعراب قبل أن تصل القوافل أو البريد ، فينقل الخبر في الأفواه من قم إلى قم ويسمون الأخبار (العلوم) ، وأول ما يسأل البدوي في البادية أو المعمورة عن العلوم ، وإذا لم يكن عند البدوي ما يتسلى به من القصص والأخبار التي تكون في العادة غمطاً واحداً يأخذ شاعر العشيرة ربابة يضرب عليها ، ويفكههم من مخفوطه أو نظمه ، بأشعار يدور أكثرها حول المآثر والمفاخر التي جرت لمشاهير الفرسان والغزاة ، والانتصارات التي أحرزوها في ميادين البطولة والبسالة ، أو الكرم والأريحية ، كما يدور بعضها حول وقائع الحب والهيام ، ينشد هم كل ذلك بلهجتهم البدوية ، وأنغامهم الفطرية ، بأسلوب لطيف شجي يأخذ بمجامع قلوبهم ، وتترنح له أعطافهم حماساً وطرباً ، وما عدا هذا النشيد أو القصيد الذي يسمونه ، فإن لديهم ألعاباً كثيرة يتسلون بها ، كما أنهم يتسلون أحياناً بسباق الخيل يطلقونها فيروا الفائز منها ، أو بالعراضة وهي أن تجتمع الخيل مستعرضة تلعب أمام نساء العشيرة ، ويتسلون تارة بالرقص الذي يجرونه في الأعراس وحفلات الختان وفي أيام الربيع وأوقات المتعة والراحة ، والرقص معروف عند البدو واسمه (الدحة) يقابله عند عربان الديرة وأهل القرى (الدبكة) و (السحجة) . والدحة رقصة بأوضاع خاصة ، وأصول مألوفة ، تقوم بها بنات العشيرة ، تتقدم الواحدة تلو الأخرى ، وتلعب دورها فتمسك سيفاً في الغالب والمتفرجون في الجانبين ، ويقال لهذه اللاعبة (الحاشي) وتوصف بأوصاف جميلة فتتقدم والقوم حولها كحلقة طولانية وتكون هي في الوسط ، وهناك قصائد (منشدون) ودحاحة (هم الذين يرددون مع القصاص ويختون كل دور بكلمة : دحي ، دحي ،) وخلال هذا الرقص لا يقع من أحد قط ما يخالف الآداب ، لا في الفعل ولا بالقول .

والمنتدى الوحيد لرجال العشيرة هو بيت الشيخ لا سيما إذا قدم ضيف من الحضر ، فإذا ما رأوه انسلوا من كل حذب ، وجأؤوا لرؤيته ، وقعدوا حوله يرهبون آذانهم لأقواله وأخباره (علومه) الطريفة .

شرب القهوة عند البدو

يتعاطى البدو في مجالسهم قهوة البن ، وهم يجيدون طبخها لفراغهم وتوفرهم على

معالجتها ، وقد يستغني البدو عن الأكل أو يقلل منه كثيراً ، ولكنه لا يستغني بحال عن تعاطي القهوة في كل ساعة ، فهي نقله وحلوائه وشرابه المنعش ، وقد يصرف أحدهم ثمن بن في السنة أكثر مما يصرف على طعامه ولباسه ، وأحب الهدايا إلى قلب البدوي أن تحمل إليه مقداراً من البن ، فمن أدوات القهوة عندهم (النجر) وهو جرن القهوة ، ويكون في الغالب من خشب البطم ، أو الزيتون المشغول المزخرف بمسامير النحاس ، أو يكون من النحاس الأصفر ، وحجم النجر يختلف ، فقد يبلغ علوه أحياناً ٥٠ - ٦٠ سم وكذا قطره ، والأداة التي يدق بها البن في النجر تدعى (مهباج) ، واستعمال المهباج ودق القهوة في النجر له صنعة خاصة تحدث رنات مختلفة شجية ، حسبها يكون الضرب في قاع النجر أو في حوافيه ، ولصناعة دق القهوة أناس خاصون ، وأكثرهم حذاقة بذلك هم العبيد خدم كبار الرؤساء المكلفون بطبخ القهوة وتقديمها ، ودقات النجور وسماعها من علامات الاجتماع ودلائل الجود والكرم لمن يحدّثها لديه ، ومن أدوات القهوة عندهم : (الدلال) جمع (دلة) وهي من النحاس الأصفر ، وكبيرتها تدعى (مفورة) من التفوير ، والصغرى (مصب) .

والنقرة تحتوي دائماً قليلاً من الضرم ، فإذا أرادوا إيقادها ألّقوا فيها من القش أو العشب اليابس أو بعر الإبل الجفف ، وهُوَّوها بطرف العباءة ، وكلما شبت النار ودامت في البيت دلت على كرم صاحبه وجوده ، ويضعون فوق الجمرات عدة دلال من النحاس الأصفر ملآنة بالماء كما يضعون فوق اللهب الداخن دائماً محصة من الحديد ذات مقبض طويل يحمصون فيها كمية من البن الأخضر . وهذا العمل يقوم به أخو الضيف أو أحد أولاده أو أحد عبيده . والقائم بهذا العمل يقلب بدقة متناهية الحبات المحمصّة بواسطة مطنة إلى أن تحمر الحبات وتسد وتندخن قليلاً ، ثم توضع داخل النجر وتدق بالمهباج إلى أن تسحق وتنعم ، ودقيق البن الذي يحصل يوضع في دلة خاصة تدعى (المفورة) ذات ماء غال فينقع البن فيه ويغلى ، ويتناول طابخ القهوة كيساً معلقاً في زناره ويستخرج منه بضع حبات من (الهيل) فيدقها ويضعها في المصب ، ويسكب فوقه البن المغلي في المفورة ويضع على فم المصب من الليف أو مصفاة معدنية ذات ثقوب لتصفية السائل ومنع مرور الشغل والرمل . فإذا انتهى طبخ القهوة على هذا النحو يذوق الطابخ قليلاً منها ليتحن جودتها ونكهتها ، وليعلم الحاضرين أن ليس في الفناجين المقدمة إليهم أي أثر للسموم . ثم يشرع بتدوير القهوة على الحاضرين ، ومن عاداتهم في الدورة الأولى إسقاء

القهوة للضيوف الممتازين ، وفي الثانية يدورون بها من اليمين دون تمييز ، ومنها قولهم (أول القهوة خص وثانيها قص) . والكمية المقدمة لا تتجاوز بضعة سنتيمات مكعبة في كل فنجان إلا أنهم يشربون منها بضعة مرات متتالية . ويمكن للزائر أن يرفض الفنجان الثاني ، أما رفض الفنجان الأول فلا يجوز ، وبحسب إهانة عظيمة أو إنذار بشر أو عرض حاجة يراد قضاؤها فتقضى حتماً لكي يشرب الضيف القهوة بهناء ، وهم لا يبرحون يصبون ويناولون حتى يهز الضيف الفنجان بيده . ورب البيت هو آخر من تقدم إليه القهوة في الدورة ، وهذه القهوة مرة ، لأنها محرومة من السكر ، والهليل ينفعها نكهة ذات حموضة وحلاوة معاً .

طعام البدو :

من أدوات الطبخ عند البدو تنجرة كبيرة ذات ميزاب يسمونها (مثعبة) ويجمعونها على مشاعيب لترويب اللبن وغلي السمن ، وعندهم (القدر) وهو من النحاس الأحمر لطبخ الطعام ووضع الماء و (المجنا أو المشوط) وهي ملعقة كبيرة من الخشب . وعندهم (المنسف) وهو جفنة كبيرة مستديرة من النحاس ذات حلقات يقدمون فيها الطعام للضيوف ، ويبلغ قطر بعض المناسف الكبيرة متر ونصف بحيث يتسع لناقة بكاملها فوق أكمة من الرز والبرغل . و (القدح) وهي إناء من خشب في شكل مربع مستطيل ولها يد وفيه تستعمل لحلب الإبل وشرب الماء .

إن هذه الأدوات كافية بحكم أن طعام البدو بسيط لا يحتاج لأكثر منها ، وأسباب هذه البساطة عديدة : أولاً فقرهم النسبي الذي يضطرهم إلى اختصار أثاثهم وخرثيهم وإقلاله ، ثانياً قلة الوقود التي تمنعهم من إكثار الطبخ والنفخ وإطالتها ، ثالثاً وهو الأهم عسرة نقل المؤونة الوفيرة وأدوات الطبخ الكبيرة المحتاجة إلى عدد كبير من الأباعر لا يتيسر وجوده دائماً ، وعلى افتراض وجود هذه الأباعر هنالك عسرة التحميل والتنزيل اللذين يحتاجان إلى أيدي عاملة قوية قد لا توجد ، ومن هنا كان طعام البدوي المتوسط الحال مقتصر على (الكسرة) أي الخبز الفطير فحسب ، يضيف إليه في الصيف قليلاً من الزبد أو السمن ، وفي الشتاء قليلاً من التمر الذي يأكله رطباً أو مغلياً ، ويتونه من بلدة

شتاتة في جنوب العراق وغربي الفرات ، أما إذا انتهى الشتاء وبرز ربيع الأرض يكثر دَرّ الغنم والإبل فيتغذى به وهو يظل زهاء خمسة أشهر على هذا الغذاء اللطيف أعني به حليب النوق وزبده اللذين لا يبيعهما قط ، ثم اللبأ والشينة والسمنة المستخرجة من حليب الغنم والمعز ، ثم الخاثر وهو اللبن الرائب المعروف ، وإذا حل الصيف واقترب البدو من المعمورة يحصلون بادئ بدء على (الفريكة) وهي حبوب القمح الطري الأخضر المشوي ، ثم بعد انتهاء الحصاد والدراس في القرى يحصلون على (البرغل) ويحصل كبرائهم على الرز فيقتاتون بهما ، إلا أن هذا القوت لا يناله البدوي كل يوم ، ولا يحمل البرغل ويتمونه للشتاء إلا المترفين منهم ، فالبرغل هو أساس مؤونة البدوي وحملته في نجعة الشتاء وكانوا قبلاً يحملونه حباً فتطحنه النساء في طريقهن ، أما الآن فقد صاروا يأخذونه مطحوناً جاهزاً في أكياس الشعر الكبيرة (العدول) التي تنسجها نساؤهم في أوقات فراغهن .

وهم يطحنون الحبوب بالرحى ، ويعجنون الدقيق في قدر أو قصعة ، ويخبزونه فطيراً على الصاج أرغفة رقائقاً ، أو يخبزونه على الجمر أقراصاً وهو أكلهم في السفر ، وذلك أنهم يطحنون الحب بهاون من خشب إذا لم يوجد رحى ، ثم يعجنونه في قصعة صغيرة ويجعلونه قرصاً ثخيناً ، ويوقدون الحطب على الأرض حتى يصير جراً فيزيلون الجمر عن الرماد ويطمرون القرص في الرماد ثم يردون الجمر عليه إلى أن يجف وجهه الأول فيكشفونه ويقلبونه ويعيدون الرماد ، ثم الجمر عليه حتى يجف وجهه الثاني فيقسمونه كسراً صغيرة ويأكلون ، ولا يستغرق عمل القرص بهذه الطريقة أكثر من ساعة ويدعى (قرص الملة) وهم يأكلون خبزهم بلا إدام ، أو بإدام من القمر الدين أو اللبن أو السن أو الزيت أو اللحم ، وأطعمتهم بسيطة للغاية متشابهة تركيباً وطبخاً ، وقوامها كلها أو أكثرها الحليب والسمن والدقيق والخبز والتمر والمهقط وأشهرها (الجريشة) وهي أنهم يجرشون القمح بحجر الرحى حتى يصير برغلاً خشناً ، ويسلقونه جيداً ، ثم يسكبونه في قصاع ويصبون عليه من الأدام اللبن أو السمن أو الزيت ، (والعصيدة) يغلون الماء في حلة ويصبون عليه الدقيق شيئاً فشيئاً وهم يحركونه حتى يكون له قوام ، فيصبونه في القصاع ويأكلونه ، أو يغلون اللبن أو الحليب بدل الماء وهو (الثلبانة والخبيعة) وهو فتات الخبز (الثريد) يصب عليه بدلاً من اللحم حليب و (الدفنية) وهي الثريد أو مسلوقة الرز برمقة اللحم واللحم منشوراً قطعه فوقها ، وهم لا يتخذون البهارات في أطعمتهم ، وأكلهم للخضر والفاكهة

قليل ، وكذلك أكلهم اللحم والسّمك . وفي أيام الربيع ينبت في بواديهم كثير من الأعشاب التي يأكلونها ، وهم يأخذون أغصان الشجر والجرجير والقريص والريّان والزعر وأمثالها ، ويحفظونها ويطحنونها بججر الرحي ، ويمزجونها ويغمسون قرص الملة بها ويأكلونها .

والخمر لا أثر لها في البادية ، هذا ولشظف العيش عندهم يعدون في الأعياد اليوم الذي ينزل على شيخهم ضيف يجب أن ينحدر له شاة ، فإنهم في تلك الوجبة مدعوون كلهم بالبداية ، فينسلون من كل حذب ويصطفون داخل بيت الشيخ ، وعندها يأكلون اللحم ، وترى وقتئذ السواعد مشمرة ، والأيدي ممتدة تمزق اللحم ، وتضغط على الرز أو البرغل ضغطاً قوياً حتى يصبح كتلة واحدة ، والدهن يسيل على سواعدهم ، ويقبلون هذه اللقم الضخمة في الأكف ، ويعصرونها ويكورونها ثم يقذفونها في الخلق ، دون مضغ وبسرعة خاطفة ثم يتناولون إناء الشنينة يضعونه على فهم ويشربون ، وهكذا بينا الأيدي العديدة صاعدة هابطة تسمع عندها تعريق اللحم عن العظم وقرعته ، والقوم إذ ذاك حول المنسف يتزاحمون بالمناكب ، وجاثقون على ركبة واحدة لتسع دائرة المنسف أكبر عدد منهم ، وكلما شبع فوج كبير تلاه فوج أصغر قادراً إلى أن يأتي دور الصبيان ، وفي أقل زمن ممكن وأسرعه يصبح المنسف في خبر كان .

ومن عادة المضيف أن يتناول اللحم ويقطعه بيده ويقدمه لضيوفه ، ويعد عمله هذا من دلائل الكرم وحسن القرى ، ومن أصول الطعام في البادية أنهم يسكبون المرق على الطعام كلما قل المرق عنه ، وذلك ليسيفونه هنيئاً مريئاً ، وإذا طلبوا المرق نادوا (اللّيان يا عيال) بتشديد اللام الثانية من ليان كأنهم ينحتونه من الليونة ، وإذا شبع أحدهم قام يلحس أصابعه ، وبعض البدو يمسخون أصابعهم وأفواههم بأهداب البيت من جهة العامر وذلك لندرة الماء والصابون ، ويعرف القسم الذي يمسخون به أيديهم بالرفه ، ولا يمسخون بلحاهم كما قيل ، وقول بعضهم (صابون العرب لحاهم) يستعمل للهزل فقط ، وإذا كان هناك رجال لم يتح لهم الجلوس على المنسف لعدم وجود محل فإن بعض متناولي الطعام ينضحونهم بعظمة عليها بقية من اللحم يتلهون بها حتى يأتيهم الدور ، ومن عادتهم أن لا يقوم أحدهم عن الطعام قبل أن يشبع الجميع ، فهم يقومون عن الطعام سوية .

وفي صدد طعام البادية يقول الأستاذ عز الدين علم الدين في رحلته إلى وادي

السرطان والجوف ما نصه : (عن المقتطف ، أكتوبر سنة ١٩١٧ م)

لا يزال البدو مقتصرين - كما ذكر ابن خلدون - على الضروري من الأقوات والملابس وسائر الأحوال والعوائد ، ومقتصرين عما فوق ذلك من حاجي أو كالي ، ويتناولون أقواتهم بعلاج أو بغير علاج ألينة إلا ما مسته النار ، وذلك لاضطرار البدوي إلى التنقل في كل حين ، فاخترت بحكم معيشته الأيسر تناولاً ، فتأنق الحضارة أمر لم يعرفه البدوي ، فإنه إذا أقام أياماً في منزل وأكل العصيدة ، عد ذلك من النعيم ، وهذه العصيدة عبارة عن اللبن الحليب يغلى ، فيذرون عليه الدقيق تارة ، ويضعون عليه البر الجريش (البرغل) وقليلاً من الدهن ، ويقال لها حينئذ الجريشة ، وإذا ضيف رجلاً عزيزاً ذبح له نجة أو خروفاً ، ودعا إحراماً للضيف كثيراً من البدو لمؤاكلته ، فكنا نفرح إذا ما حل بنا ضيف حظنا من لحم لا ندوقه في البادية إلا قليلاً ، أما في الأعياد والأفراح فيذبجون الإبل الكوماء لأن لحم البعير عند البدوي سيد اللحم كله ، وكان بريكان الصليبي إذا أراد أن ينعمني بطعام العشاء طبخ الأرز ويسمونه الثمن ، وبعد أن ينضج بأوساخه يضعه في باطية ، ويحف في وسطه حفرة يضع بها الزبدة التي تذوب بحرارة الطعام ، فليك الأرز بالزبدة ونزدرده ازدرداً . وكان شاهر الخريشة الصخري يذيب السمن ويأتينا به بمقلاته فنغمس في خبز الصاج الفطير ، وقد يخرج لنا السحلب الأقط^(١) وبقينا هكذا أياماً لا نتغذى إلا بالخبز والسمن ، ولا يزال البدو على آثار أسلافهم في صنع خبز الملة ، وذلك بأن يلقوا الدقيق بالماء ويعجنوه عجنًا خفيفاً ، ثم يخبطوا ويوقدوا فيفرشوا الحجر ، ويطرحوا عليه الرغيف الثخين ، ثم يغطوه بما بقي من النار فإذا نضج الرغيف تقاسموه ، وأكثر ما يصنع خبز الملة في السفر ، وأما في الإقامة فيأكلون خبز الصاج ، وفي كلتا الحالتين لا يذوقون الخبز الخمر لأنها من الرفاهية التي حرم منها البدوي ، فإذا ما ظفر بها شكر الله على تلك النعمة كثيراً ، وقد كان سلف هؤلاء البدو الصالح يعد الخمر من فاخر القرى ، فيما رواه لنا عبد الله بن مصعب قال : وقف معاوية على امرأة من بني كنانة فقال لها : (هل من قرى ؟) قالت : نعم ، قال : (وما قراك ؟) قالت : (عندي خبز خمر ولبن)

(١) الأقط : يقال له اليوم القمح ، وقد شاهدتهم يسمونه من اللبن الحامض ، ويتخذون من جبنه أقراصاً صغيرة يعمروا بها السمن ليدخلوها مؤونة لهم في الأسفار .

فطير وماء نير) . وفي حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : « الحمد لله الذي أطعمنا الخبز وسقانا النير » .

وسيد طعام القرى البدوية كدومة الجندل (الجوف) وسكاكة هو (الدفينة) وهو الثريد الذي كان العرب قديماً إذا أرادوا أن يفضلوا رجلاً قالوا : فضل فلان على سائر قومه كفضل الثريد على سائر الطعام . وتعد الدفينة من بذخ العمران البدوي ، وقد أكلتها في دومة الجندل مراراً فألفيتها لذينة شهية ، ولا تصنع إلا في الولائم أو قرى ضيف كريم ، وطريقتهم في عملها أن ينضدوا في طشت كبير (منسف) من رقائق الخبز نضداً يكفي المدعوين ، ثم يغطون هذا النضيد بطبقة من الأرز ، ثم يأتون بالذبيحة ناضجة ، فيسقون بمرقها الثريد ويكومون اللحم فوقه تكوياً .

والصابون الذي نعهده من مرافق الحضارة لا يوجد في البادية إلا نادراً ، فما كان صابوناً بعد الطعام إلا أن نسمح أكفنا من الدهن الكثيف بطرف الشقة من بيت الشعر ، وما استغنى البدوي عن الصابون إلا اقتصاداً في الماء القليل في البادية كاستغناء الشارع بالتييم عن الوضوء ، وهم إنما يدخرون الماء للطبخ ، أو إطفاءً للعطش الذابح كما يعبرون ، ولم أر بدوياً يمسح يديه بلحيته بعد الطعام وإن كنا نسبح في بلاد الشام أن (صابون العرب لحاها) .

لا ينزل قدرهم عن أثافي الموقد ، ويصب الطعام في الجفان إلا ويحدق بها البدو أحداق الخوارج بأبي نعمة ، يلحقونه وهو يكاد لشدة حرارته يفور ، فكنت ورفيقي نطلي جدار الجفنة بالطعام تبريداً ، فنستطيع نوعاً ما أكله . وكثيراً ما كنا ننزع من طعامهم أيدينا بسرعة ، ونحرك في الهواء أصابعنا ملدوغة ، مستعيزين بالله من النار والطعام الحار ، ولذلك كنا أبطأ القوم أكلأ ولم نكن بأعجلهم ، ولما قت من الجفنة إلا جائعاً لأن يدي ما كانت لتصل باللقمة إلى في مرة ، إلا وتكون يد البدوي قد وصلت كما يشهد الله عثراً ، ولهذا كان أهل الذوق من الأعراب يلاحظ ما يصيبنا من الغبن الفاحش بمشاركتنا إياهم في الأكل إذ (سباق المذكيات غلاب) فيضعون بصحفة لأكل على حدة ، ونشبع على رسلنا . والله ما أصدق ذلك البدوي الذي قيل فيه : ما اسم المرق عندكم قال : السخين ، قيل : فإذا برد ، قال : لا ندعه حتى يبرد .

وقبل أن ندرك الجوف اصطاد بعض صحابتنا حيواناً صغيراً أبيض البطن رمادي الظهر يداه أقصر من رجله خلته فأرة برية فسألته عن اسمه فقالوا جربوع ، فعلمت أنه اليربوع المذكور في كتب اللغة . ثم أمرع الصائد وشواه وتقاسمه وصحبه ، وازدردوه سريعاً كما يزدرد الحضري الفالودج ، وعثر بدوي آخر على أثر قنفذ فاقتفره وعاد بعد هنيهة بصيده ، وكأنه أب في جوف الفرا فأضرم النار ورماه بها حياً ، ولما تمكن من القبض على عنقه المنقبض حذر النار ، ذبحه وأكله ورفاقه بعد تمام نضجه بجشع غريب ، ولقد باركت لهم ورفيقي بحصتنا من القنفذ واليربوع .

ورأى عرب السرحان في رائحة النهار ضبعاً طاردوها بخيلهم ، والفرس أسرع من الضبع ، فأدركوها وأصموها رمياً بالرصاص ، وذبحوها ، وأولموا تلك الليلة بها ، ويزعمون أن لحمها علاج من الحمى ، وللبدو غرام بأكل الجراد ، ولعله حل أكله توسلاً لإبادته ، على أن له في السنة المجدبة نفعاً في البادية جزيلاً .

ذكر ياقوت في معجم البلدان نقلاً عن بعض الرواة قال : لقيت أعرابياً فقلته ممن الرجل ، قال من بني أسد ، فقلت : فمن أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، قلت : فأين تسكنها ؟ قال : مساقط الحمى حمى ضرية^(١) بأرض لعمر الله ما نريد بها بدلاً ، ولا نبتغي عنها حولاً ، قد حففتها الفلوات ، ونفحتها القدوات فلا يملوح تراها ولا يعر جناها ، ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم (البرسام) ، ونحن فيها بأرفه عيش وأرقى معيشة . قلت : وما طعامكم ؟ قال : بخ بخ الهبيد (الحنظل) والعنكت والعلهز والضباب واليرابيع ، وربما أكلنا والله القد واشتوينا الجلد ، فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً ، فالحمد لله على ما رزق من السعة ، وبسط من حسن الدعة ، أو ما سمعت بقول قائلنا :

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة	وخمس تيرات صغار كنائز
فنحن ملوك الناس شرقاً ومغرباً	ونحن أسود الناس عند الهزاهز
وكم متن عيشنا لا يناله	ولو ناله أضحى به جد فائز

(١) ضرية أرض بنجد ينسب إليها حمى ضرية ينزلها حاج البصرة ، لها ذكر في أيام العرب وأشعارهم (عن ياقوت) .

وللبدو عامة صبر على الجوع والعطش ، وإذا جاع أحدهم ولم يجد طعاماً شد حجراً مستطيلاً على معدته واحتمل الجوع بصبر غريب ، واكتفى بأكل العشب . ومن بات بلا عشاء سمي (المقوى) ومن لم يأكل طعام الصبح سمي (المريوق) .

قرى الضيف :

قرى الضيف أمر قد اشتهر به البدو منذ القديم ، وتذكر الرواية أن حاتم الطائي كان يشعل ناراً عظيمة أمام بيته ليستهدي بها المسافرين والجانحون ، ولا تزال آثار هذه العادة جارية في يومنا هذا لدى كثير منهم ، وقد ذكر عن الأمير مجحم بن مهيد رئيس الفدعان (الولد) أنه يأمر مؤذنه أن يصيح عقب أذان العشاء (العيش يا جوعان) ، وتأخير الطعام إلى بعد العشاء يقصد به انتظار من قد يكون متخلفاً من الزوار والمسافرين .

والواقع أنه لولا عادة قرى الضيف وإكرامه لما طيقت البادية المحرومة من الفنادق والمطاعم ، ومن هنا نشأت هذه العادة عندهم وصارت من الواجبات التي لا مناص لهم منها ، والمسافر أو النزير يغدو معزراً مصاناً منذ حلوله بيت مضيفه ، وإقراء الضيف من المكانة بحيث أنه لو لجأ المسافر إلى بيت رجل فقير ليس لديه ما يقدمه للضيف ، على هذا الرجل أن يذهب إلى جيرانه من البدو ويطلب منهم ما يكفيه للقيام بواجب الضيافة ، وليس له أن يحيل ضيفه إلى بيوت الآخرين ، ويقعد الضيوف في الربرة إما متجهين نحو مدخلها في جانب المضيف (المعرب) ، أو يجعلون ظهورهم إلى الحواجز القصبية (القطع ، الساحة) والضيف ينال في الربرة ويأكل فيها ويسمر ويسهر ويقم في الضيافة ثلاثة أيام ، فإذا انقضت هذه المدة يغادر البيت ، ويظل هذا الضيف في حى المضيف إلى بعد ثلاثة أيام من سفره ، وحينما تزار منازل البدو لا يجوز للضيف أن يغير البيت الذي نزل فيه ، وإذا فعل ذلك يكون قد أهان مضيفه إهانة عظيمة ، كما لا يمكنه أن يقبل أي دعوة مالم يدع إليها مضيفه أيضاً . ومن هنا جاء المثل : (الضيف أسير المعرب) .

ومن عادة البدو أنهم يحتفون بالضيف حين قدومه أكثر من حفاوتهم به حين ذهابه ، ويكرمونه ما وسعهم الجهد ، وعلى الضيف أن يكون أديباً ومراعياً لعاداتهم ، وعليه إذا

قدم منزل العشيرة أن ينحرف ما أمكنه ، ويقصد الربعة مباشرة كي لا يقع نظره على الحريم أو أماكن النساء ، لذلك يأتي الضيف من طرف المنازل حتى يصل إلى بيت الشيخ أي إلى (الربعة) فينزل عن مطيته ، ويربطها بأحد الأوتاد أو الأطناب ، وإذا دخل يحيي الحاضرين ، وينتظر قليلاً ريثما يعدون له محلاً للجلوس ، وهم يسرعون لإنزاله عن دابته ويربطونها ، ويأخذون منه أسلحته وحوائجه ، ويأتون بالفرش والمساند ، ويدعون للجلوس ، ثم يبادرون لإعداد القهوة والطعام ، وعلى الضيف أن يحترم المنزل وكل من فيه ، ويقبل كل ما يقدم له من طعام ، وليس له أن يرد أية خدمة تقدم إليه . ويحظر عليه إلقاء نظره إلى ما وراء (الساحة) ، أو الإصغاء إلى محاورات النساء ، أو الانتباه لأصواتهن وحركاتهن مهما قلت أو كثرت ، كما أنه من العيب أيضاً أن يتغوط أو يبول أمام البيوت ، وعند الرحيل لا يجوز للضيف الخروج إلا من أمام البيت ، ثم يمتطي راحلته إذ يكون أحد المعازيب أي المضيفين قد أعدها له وأمسك بلجامها حتى يركب الضيف ، فيشيعونه بسلام يكون أقل من الاستقبال فيما يقال ، كي لا يذكر الضيف أنهم سئوه وملوا وجوده بينهم .

أسلحة البدو :

كانت أسلحة البدو قديماً السيوف والرماح والسهام ، أما اليوم ومنذ نصف قرن فقد انتشرت البنادق ويدعونها بواريد جمع بارودة ، وصار أعمها بعد الحرب الماضية بنادق موزر الألمانية مما تركته الجيوش التركية ، وهذه البنادق موجودة بكثرة في كل مضارب البدو ، أما السيف فقد دالت دولته وهجر بالمرّة ، إلا عند الرؤساء والشيخوخ الذين يحملونه للزينة أو ذكرى لما خلفه الآباء ، وعند البدو من الأسلحة اليدوية البيضاء الخناجر والساكريات والشباري المعلقة بالمناطق ، وقد يشدون على حقوهم الرداني جمع ردية ، وهي المسدسات على اختلاف أشكالها ، وعند أعراب الديرة والشوايا (الكلنك) وهو شبه المطرقة ذو رأس حديدي دقيق من جهة ، وغليظ من أخرى ، وله مقبض خشبي طوله نحو نصف متر ، والقنا أو الجنا وهي كرة تكون من الحديد أو من خشب البطم القاسي ولها مقبض خشبي ، وهي الدبوس عند الحضر ، وصبيان البدو يقاتلون بالقلع المعروف ويقذفون به الحجارة .

الرحيل :

أحب شيء إلى البدوي الغزو والرحيل على حد قولهم :

لشرط البداوة كل يوم مغزى وعز البداوة كل يوم رحيل

والرحيل هو انتقال حلة البدو من مكان إلى آخر ، وقد قدمنا أن البدو لا يستقرون في مكان ، ولا يطيلون الإقامة في أرض ، فهم دائماً يتنقلون من أرض إلى أخرى ، ومن منزل إلى منزل ، يرتادون الكلاً ويفتشون على مراعي وموارد لإبلهم وغنمهم ، ثم هم يرحلون من منازلهم لتراكم الأوساخ حول المحلات التي يقيمون فيها ، فيتركونها ليتخلصوا منها ومن الروائح المنبعثة بسببها ، وهم متى أرادوا الرحيل يجتمع كبراء العشيرة في بيت الشيخ فيتشاورون وكل واحد منهم يذكر المكان الذي يراه مناسباً ليكون مرتعهم الجديد ، فيختارون من الأعراب رواداً يرتادون الأماكن الكثيرة الكلاً والماء ، فيذهب هؤلاء على الخيل أو في السيارات إذا كان لديهم سيارات ، فيتحررون المنازل والمناهل في المواقع التي اعتادوها في كل عام ويعودون ويخبرون عن المحل الذي أعجبهم ، فيعين مجلس كبراء العشيرة يوم الرحيل ، ويعلم أبناء العشيرة ليتأهبوا له ، وفي اليوم الموعود قبل طلوع الشمس تقوض النساء الخيام ويحملنها مع سائر الأثقال على الإبل ، ويسرح الرعاة بالغنم قبل الفجر نحو المحل المقصود ، وتقوم الضجة أثناء الحمل والترحيل ، وبعد أن يتم تحميل الأثاث يسير شيخ العشيرة وكبرائها في الطليعة ، ثم تتبعهم الرجال والنساء مشاةً وركباً ، وزرافات ووحداناً ، وبدون أي ترتيب أو انتظام ، وتعلو النساء الغنيات الهوادج ، أما الفقيرات فيسرن وراء الخمر المحملة مشياً ، وهكذا يسير الركب إلى أن يصل إلى المحل المقصود ، وتنزل الأحمال ، وتنصب البيوت ، وتشد إلى أطناها ، وتوقد النيران ، وتطبخ القهوة والطعام .

وقد وصف الشاعر الجاهلي الحرث بن حلزة الشكري أهبة البدو للرحيل بأجمل ما يمكن من الإيجاز ، قال :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن محيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

٢ - من مناظر البادية القفراء



ويسمى البدو الفرسان الذين يتقدمون الأظعان (السلف) أي المقدمة وهم حاة الأعراض والأموال ، وتسير الأباعر الحملة وغير الحملة خلف (السلف) . والنساء لا يركبن الهوداج إلا أيام الرحيل ، أو يوم الحرب بين العشيرة وأعدائها ، ليحرضن قومهن على الحمية وتضحية النفس . وهذه الهوداج هي بمثابة الوطن للبدوي ، فيضحي بنفسه ولا يترك العدو يصل إليها قبل أن تطأ سنايك الخيل جثته .

والهودج من الأثاث الخاص بالمرأة ، وهو يعمل من أعواد الصنصاف ، أو من سعف النخل ، أو من أي خشب خفيف ، يوضع على ظهر البعير وتجلس فيه المرأة وتكون (المزاود) أي أكياس حاجاتها معلقة من الجانبين حفظاً للتوازن ، وإذا كانت المرأة غنية تجعل هودجها حسب مقدرتها ، مزخرفاً بالصدف والأقمشة والأشرطة الملونة ، والهودج إذا كان كبيراً طويلاً بشكل الهلال ، وذو قرون بارزة للعلاء يدعى (قتباً) وإذا كان بسيطاً مستطيل الشكل ، وموضوعاً على حداجة البعير يدعى (باصوراً) . والهودج إن كان فيها نساء أو لم يكن تدعى (طعينة) وجمعها طعائن وطمعن وأطعان ، وطمعن طمعاً في اللغة بمعنى سار وارتحل ، والطمعينة في الأصل وصف للمرأة في هودجها ، ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها ، وكل امرأة بدوية ميسورة الحال لها هودجها ، تركبه وتحمل معها أشياءها الخاصة وأولادها ، فضلاً عن بعض أثاث بيتها وأدوات مطبخها ، وهي تستره بالسجوف ، وبما يشبه الكلل اتقاء الشمس والبرد والمطر ، لا بقصد التحجب .

والبديويات ماهرات في امتطاء الأباعر ، يتسلقنها برشاقة دونما حاجة إلى إناختها . وحركة الطمعون هذه واهترازها وتهاديها في السير ، ومنادمة النساء فوقها وحدوهن ومناغاة الأولاد على ظهورها ، وحوها الفرسان والمشاة الزاحفة والإبل الحملة والمتلاحقة بعضها وراء بعض ، والمننتشرة على مسافات دون انتظام ... كل ذلك من أروع الحياة البدوية . لاسيما إذا كان ذلك في صفو الربيع ونمو الأعشاب ، وفوحان الشيخ والقيصوم والخزامى ، وفي هدأة الفجر أو ضوء القمر ، وسكون الطبيعة في البراري والصحاري المترامية الأطراف .

والحق أن هدأة الفجر أو السحر لا تبدو على أتمها إلا في البادية ، فلا ليل في الجلال كليل البادية ، ولا صبح في الجمال كصبحها ، ولا نهار في الشدة كنهارها ، وما أجمل قول زهير بن أبي سلمى في معلقته حينما تمثلت في خاطره طعائن الحبايب ، متحلمات تغشيهن

سدول صفيقة النسيج وكلة وردية الحواشي ، فتبعهن ببصره الحزين وقلبه الواله ، ووصف
ما سلكنه من طرق ، ونزلنه من منازل ، حتى بلغن المنزل الذي أردنه ، وما أحلى أسلوبه
في استحضار هذه الذكرى حتى لكأنها ماثلة للعيون فلو تبصر صاحبه قليلاً لرآها :

تبصر خليلي هل ترى من طعمائني	تحملن (بالعلياء) من فوق (جرثم)
علون بأئساط عتاق وكيّة	وراد حواشيهامشاكهة الدم
بكرن بكـــــوراً واستحرن بسحرة	فهن وادي الرس كاليسد للفم
وفيهن ملهى للصديق ومنظر	أنيق لعين الناظر المتوسم
فلما وردن الماء زرقاً جامه	وضعن عصى الحاضر المتخيم

☆ ☆ ☆

أعمال البدو

الرعي ، الصيد ، الغزو ، التجارة

إن الأعمال التي يعتبرها البدو جديرة بهم هي الرعي ، أو تربية الماشية ، والصيد والغزو والتجارة .

أما الصناعة فإنهم يأنفونها كما يأنفون الأعمال اليدوية ، وقد شاهدنا بعض أعيانهم المتحضرين لا يزوجون بناتهم من أرباب الصناعات والحرف ، مهما نبه قدر هؤلاء ، وضخمت ثروتهم .

أما الزراعة فقد كانوا أيضاً يزدرونها ويمتحنون أهلها ، ويدعونهم فلاليح جمع فلاح ، لأنها فيما زعموا تربطهم بالأرض ، وتجرحهم إلى الخنوع والذل ، وتفقدتهم الحرية والانطلاق للذين هما غاية مناهم ، ومن أقوالهم في ازدراء الزراعة (الذل بالحرث والمهانة بالبقر) ، ويقابلون هذه الأقوال بكلمة (العز بالإبل والشجاعة بالخيول) ، إلا أنهم منذ أن انقطعت سبل الغزو ، ونضب معين السلب والنهب ، وتوالت سنو المحل والجذب ، وكثر موت الحلال (الماشية) ، أكرهوا على الميل نحو الزراعة ، وشرع رؤساؤهم وكبراؤهم منذ عشرين سنة ، يقتنون الأرضين ، ويتوسعون بالمساحات ، ويتنازعون على الحدود ، ويعنون بالحرث والزرع والري ، ومن ثم صاروا يعتبرون الزراعة ، ويعتبرون أهلها إلى حد ما ، ولو أنهم لم يوفقوا بعد لتعويد أعرابهم على أعمالها وأتعايبها ، فاعتمدوا في الغالب على سواعد الحضر من أرباب القرى ، ويرجى أن يوفقوا إلى هذا التعويد ، وأن يسري إلى صغارهم الميل والهوى ، والللذان نشأ في كبارهم .

الرعي :

إن أكثر عناية أهل البادية وهوام هو في الرعي ؛ أي في تربية الماشية من الإبل

والغنم والمعزى والخيول ، لأن معيشتهم في الأساس متوقفة عليها وبدأوتهم ناشئة منها ، ولولاها لما كانوا ولولاهم لما كانت . وهم يربونها إما لحسابهم الخاص أو لحساب شركائهم ، من أهل المدن لقاء قسمة معينة من النتاج . وهم يستخرجون من حليب الماشية اللبن والزبدة والسمن والقشطة ، أما صنع الجبن فغير معروف عندهم ، ومن العناية بالماشية يحصل للبديوي صوف من الغنم وأنسجة من شعر المعزى ، أو من وبر الجمال فيذهب بها إلى المدينة لبيعها مع الزبد والسمن ، وقد يبيع شيئاً من ماشيته التي رباها ، وإذا كان يحسن تربية الخيل فهو يبيع من ذكورها ، بقدر ما يحتاج إليه من النقود ، ويشتري بدلها تماًرًا وحباً وثياباً وأدوات للبيت .

الغنم :

إن أكثر الأغنام التي يستثمرها البدوي للحضر ، أي لأهل المدن الشامية ، ولؤلؤاء طرق عديدة في الاتفاق مع البدو وعقد شركات متنوعة للاستفادة من نواتج هذه الأغنام . والشركة على شكلين ، الشركة الأولى (الغنومية) وهي أن يشتري الحضري الأغنام ويسلمها للبديوي ، فيتنقل هذا بها بين المعمورة والبادية حسب الفصول والمواسم ، وتقوم أسرة هذا البدوي بكل ما تطلبه الأغنام من عناية وخدمة وحلب نعاها الرغوث ، وتحويل ألبانها إلى زبد وسمن وخاثر ، ويتناول الحضري عن كل نعجة رطلاً من السمن علاوة على حملها الصغير ، ويأخذ البدوي ما زاد عن الرطل ، والنعجة الواحدة قد تعطي في سنة الحصب من الرطل إلى الرطل والنصف إلى الرطلين من السمن ، أما الصوف فيرجع كله إلى البدوي لقاء تعبه ، وأما الرسوم الأميرية المتحتم دفعها عن الأغنام ، فالحضري يدفع رسوم الأغنام الرغوث ، والبدوي يدفع رسوم الحائل ، وعلى البدوي أن يدفع أيضاً كل النفقات من ضمان الماء وضمان الحقول المحصودة مما يسمونه (فراز) وخلاف ذلك ، والبدوي مسؤول أيضاً عن إدارة الغنم وجلب الماء إليها من الأماكن البعيدة ، وإذا ما أراد الحضري إبدال هذا الشربك فإن ذلك يكون في موسم (الفراز) أي زمن نزوب اللبن أو قبيله ؛ ويقدر أن ربع البدو لا يقومون بأمانة في هذه الشركات ، إذ يعبثون بما عهد إليهم من الغنم ويدعون أن الذئب أكلها ، أو أن البرد أو المرض انتابها إلى ما هنالك من الأعذار الملفقة ، لكن الحضري لا يتقيد بذلك ، فيتلف بتدبير يرد به غنمه ، ويودعه إلى بدوي آخر .

والشركة الثانية (شركة العظم أو الشركة الحلبية) هذه تكون على شكلين : الأول ؛ يتتاع كل من البدوي والحضري عدداً متساوياً من الأغنام ، فيأخذ البدوي بتربيتها واستثمارها ، وفاقاً لما ذكرناه في الشكل السابق ، وتقسّم الحسائر والأرباح مناصفة كما تقسم النفقات بينهما على السواء ، إلا أن هذه الشركة قد أصبحت نادرة جداً ولا تزيد نسبتها على ٥% بين الشركات . الثاني ؛ يشتري الحضري مثلاً مئة نعجة بمئتي ليرة ويسلمها للبدوي بعد أن يأخذ عليه سنداً بالقيمة وتعهداً بوفاء أثمانها من نواتجها ، فيبدأ البدوي بأداء جانب من أثمانها كل سنة ، فلا تمضي سنتان أو ثلاث حتى يكون قد أدى القيمة بتمامها ، فتصبح الغنم متناصفة بين البدوي والحضري ، فإما أن تبقى الشركة شركة عظم أو أن تستغل كل منها على حدة .

الخيـل :

أما الخيل ففخرة البدو ومبعث مجدهم ، عليها يقطعون السبابس ويهاجمون العدو ، ويردون صدمات الغزو ، وفيها يعودون كاسبين ، وللخيـل إكرام كبير ، ومنزلة رفيعة في المضارب ، تراها مربوطة في أكرم أرض أمام البيوت كأنها من أفراد الأسرة ، يحيطها كبيرهم وصغيرهم بكل رعاية ، وقد يؤثرونها على أنفسهم في الماء والغذاء والتدفئة ، وإذا أنتجت الفرس مهرة حل الهناء في الخيام ، وعم السرور وذبحوا ذبيحة ونضحوا بدمها بطن الفرس والمهرة وقوائها وناصيتها ، وإذا ابتاعوا فرساً أو كسبوها في الغزو ، يذبحون لها نعجة قبل إدخالها إلى البيت .

هذا والبدوي قلما يحب الاحتفاظ بذكور الخيل ، فهو يسعى إلى بيعها وهي صغيرة ، وهذا البيع الباكر يوفر على نفسه مشاقاً ونفقات ، وهو يفضل اقتناء إناث الخيل للولادة والربح ، ومن النادر أن يبيع البدوي الفرس صفقة واحدة إلا إذا أطمع بالمال الكثير ، وكان بحاجة إليه ، والعادة أنه يرضى ببيع النصف فقط ، ليكون له في نتاج الفرس حصة . فإذا ما أتت الفرس بمهرة جميلة ، وأراد أحد الشريكين فسخ الشركة حق له ذلك ، فتثن الأم ومهرتها ، بمعرفة أهل الخبرة والاطلاع ، ويتقاصرا أي يستقل أحدهما حسب الاتفاق بالمهرة أو بالفرس الولود .

وللبدو في بيع الخيل طريقتان : الأولى (المثاني) يأخذ البائع ثمن الفرس المتفق عليه كاملاً ، وله حق في نتاج الفرس ، وهو مهترتان ، الأولى منها وهي المهرة الأولى التي تضعها الفرس ، يأخذها غب مضي أربعين ليلة من الولادة وإذا تأخر عن ذلك فالمصروف عليه ، والمهرة الثانية يأخذها إما من نتاج الأم أو من نتاج المهرة الثانية التي تكون أنتجتها الفرس ، وتدعى الثانية التي يأخذها البائع فلو العامود ، أما الأحصنة فكلها للشاري .

والطريقة الثانية هي (المناصفة) يأخذ البائع نصف ثمن الفرس ، وهذه الطريقة أكثر شيوعاً من الأولى بين البدو ، ويقدم البائع للشاري إذا شاء الأخير حجة خطية تثبت أصل الفرس ، مهوراً من وجوه العشيرة وشيوخها ، وتكون الحجة سنداً صحيحاً في رسن الفرس وأصلها . لأن كل فرس لا يثبت انتسابها لإحدى سلاسل الخيل المعروفة ، لا يعتبرونها أصيلة بل يدعونها (كديشة) مهما كانت مستوفية الأوصاف الممدوحة في الخيل ، وعندما يصادف وجود فرس جيدة كهذه نسبها مجهول يدعونها (شمالية) فيسفدونها (يشبونها) من حصان أصيل ، ويسترون على تلقيحها وتلقيح نسلها من الحصن الأصيلة إلى أن يبلغ البطن الخامس ، وعندها يحق لهم أن يعتبروا ذلك البطن أصيلاً ، وأن يسموا هذه الفصيلة باسم الحصان الذي لقحوا منه أول فرس من هذه الفصيلة .

وللعرب عامة من بدو وحضر عناية كبرى في تربية الخيل ، وحفظ أنسابها (أرسانها) ، وأشهر السلاسل المعروفة هي : الكحايل والصقلاويات وأم عرقوب والهدب والعبيات والشويمات والمعنكيات والجدرانيات والنواقيات والشرقيات .

والبدو يفوقون الحضر في ترويض أفراسهم ، وتعويدها العادات المفيدة في العدو والكر والفر . ولهذا تنشأ الأفراس عندهم أكثر جمالاً وجلداً وعدواً وفعلاً في الحروب ، خاصة وهي تعيش في الهواء الطلق والفضاء الفسيح دائماً .

ويوجد لدى عشائر عنزة وشمرو وبعض عربان الديرة أكثر سلاسل الخيل ، وتعنى عنزة بصورة خاصة في تربية الكحائل أكثر من غيرها ، والكحيلة يضرب المثل بعراقة أصلها ، فإذا وصفوا امرأة بنجابتها قالوا (كحيلة) وهي ذات أثواب مختلفة الألوان ، ويذكر أنه عند الأسبعة البطيئات كحيلة الأخرس والنواقيات الشقر والعبيات ، وعند

الأسبعة المواجهة الصقلاويات وأغلب أثوابها صفر ، وعند الأسبعة الأمسكة أمهات عرقوب الشقر ، وعند ابن سبيل من الرسالين المعنكيات الحدرجية والسبيلية . وعند الفدعان الأخرصة الكحيلة الحدرجية والكحلية المضبة والكحيلة الأخدلية والدينسيات والشيخات والصقلاويات ، أما الأرولة فعندهم أجمل عتاق الخيل من كحايل وصقلاويات جدرانيات ومعنكيات وشرقيات وشويهات أم عرقوب ، ومثلهم بني صخر في شرقي الأردن ، وقد اشتهرت عشيرة طيء بالمليحيات ، وعشيرة الموالي بالصقلاويات والمعنكيات السبيليات ، وبني خالد بالمعنكيات الحر ، وثمر بالشنيعة وبهدبة انزحى وبالجدرانيات ، وهي عند حسن العامود ، قالوا : وصلت إليه من الفرجة من الأرولة ، وعنده الصقلاويات أيضاً ، وعند غيرهم غير ذلك من المرباط والسلائل المختلفة الطيبة ما يضيق نطاق بحثنا عنه ، فاكثفينا بما ذكرناه .

هذا وقد كان للخيل دولة واعتزاز لمضي ٢٠ - ٢٥ سنة في البادية والحاضرة ، إلى أن حظرت الحكومات الغزو ، وقطعت مورد السطو والسلب على البدو ، وانتشرت السيارات في كل دانية وقاصية ، واقتناها رؤساء البادية لسرعتها وحسن بلغتها ، وغالوا بها فدالت دولة الخيل وقلت العناية والرغبة بها ، حتى لم يعد يركبها إلا القليل ، والفروسية التي كانت إحدى مفاخر البلاد العربية أوشكت أن تضمحل ، والبيوتات القديمة في مدن الشام المعتادة على اقتناء الصافيات الجياد ، قد أقفرت إصطبلاتها وصارت مرائب للسيارات ، ولم يبق للخيل قيمة إلا فيما كان منها صالحاً للسباقات الدولية وعقد المراهنة والمقامرة ، كما يجري في ميادين السباق في بيروت وبغداد وأمثالها ، مما فيه خراب كثير من البيوت وانحطاط كثير من أركان الخيل الأصيلة يا للأسف .

الإبل :

وأما الإبل فهي صديقة البدوي الحمية ، ولولاها لزال البداوة ، وهي كما قال الأستاذ عباس العزاوي في كتابه (عشائر العراق) قوام حياة البدوي ووسيلة بقائها . فمنها لبنه ، ومنها وبره ، ومنها لحمه ، وجلدها نافع له ، وهي واسطة نقله من مكان إلى آخر ، وحمل أثقاله ، فهي في نظره (سفن البر) ، ولولاها لكانت حياته منعصة ، وعيشته مرة ، وآماله ضيقة ، وهذه فيها غناؤه وثراؤه ، بل من أعظم ثروته له ومن أهم تجارته ، لا تعيش

للبدوي أنعام وهو في حالة غزو وتنقل سريع من مكان إلى مكان ، إلا إذا كانت كهذه الإبل تتحمل المشاق ، وتتقبل الصعوبات والأراضي الوعرة ، والفيافي البعيدة عن العمران ، فهي بحق تعد أعظم نعمة ناسبت أوضاعه ، فكأنها خلقت لأجله ، وقدرت له في أصل الخلقة وفي آية ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ ﴾ دليل الامتنان بهذه النعمة . ولولا الإبل لما تمكن البدوي أن يبلغ المكان الذي يريده إلا بشق الأنفس وصعوبتها ، والعرب في آثارهم الكثيرة من كتب الأدب واللغة تعرضوا للكلام عليها ، وأوسعوا المباحث كما عمل الأصمعي في رسائله وابن سيده في مخصصه ، فيما قالوه : الإبل مراكب العرب وطعامهم ، وهي أكثر البهائم شحوماً ، وأطيبها لحوماً ، وأرقها لبناً ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مضغة ، وهي من أرخص وسائل النقل في الأسفار ، وتحمل الأثقال ، ورجاد الزروع من الحقول إلى البيادر ، وإن كانت بطيئة .

والإبل أنواع كثيرة ، وأشهر المعروف منها ؛ مما ينتفع منه للحليب وللحمل ويسمى (البعير) فمنها (الخواوير) وأحدها خوار ، وهي أباعر عنزة وشمروغالب البدو بصورة عامة ، وهذه إبل بادية الشام تصبر على العطش ، وتستخدم للغزو ، وتعيش خارج المياه في البادية الجرداء ، والمعروف منها (بنات وضحان) التي أصلها من إبل الشرارات ، وقد سميت بذلك لأن لون قوائمها الأربع وأسفل بطنها أبيض وضاح ، وباقي الجسم أصفر مشرب حمرة كلون الغزال و (بنات عجلية) و (البجانيات) وهناك قسم آخر يستفاد منه للركوب غالباً ويقال له (الذلول) ومن أنواعه (التيهية) وهذه صغيرة ، ولها رسن تفيد للسرعة وللمغازي ، وتقطع مسافات بعيدة ، وهي عند الشرارات والحويطات في جنوبي بلاد الأردن ، وهذه تطرح النعام والغزال وهي للركوب خاصة ويقال إن أضلاعها سبعة في كل جانب ، (والحرة) تعيش في البادية وتصدر على الماء ، وهي عند شمر وعنزة وعند الشرارات والحويطات ، وبها يتمكنون من اللحاق بالخيول و (العمانية) وهي جميلة ووافية ، وغالب ما تكون عند عشيرة المنتفق في العراق ، وقليلة في سائر الأنحاء ، ومواطنها على ساحل الخليج العربي .

ويذكر أن إبل الحرة تتحمل أخفافها الأرض المحصاة ، وتعرف ببروز قصبه أنفها ، أما الإبل التيهية فإن أصلها من السودان ، وهي ترد فلسطين والبلقاء مع القوافل الآتية

من مصر ، وقد كانت إبل الجيش الإنكليزي في الشام من هذا الصنف خلال الحرب الكبرى الماضية . وأما الإبل العمانية فأصلها من عمان (مسقط) وهي ذوات رأس نحيف وقد أهيف ومزاج عصبي ووبر دقاق ، ومنها الصبورة على العدو في الفلوات ، والحساسة كالخيل العرب ، وكان الجيش الهندي في الحرب الكبرى المذكورة يبتاع منها ما يلزمه ، أما في الحرب الكبرى الثانية فقد استعاضت الجيوش عن الإبل بالدبابات والسيارات المصنوعة خاصة للصحارى ، فزالت دولة الإبل كما زالت دولة الخيل .

هذا وللإبل عند كل عشيرة أو فرع من فروعها علامة يسمونها بها لتعرف ، وهذه تختلف أشكالها بالنظر لما تتخذه العشائر ، ولا تجد تقارباً في الوسم إلا قليلاً ، وكذا يقال للشاهد وهو من نوع الوسم إلا أنه لا يعول عليه في التفريق وإنما هو أشبه بالإشارة الخاصة ، والوسم يكون على اليمين أو على اليسار أو على الرقبة ، والشاهد يكون على يمين الوسم أو يساره ، وقد يكون الوسم على اليد اليمنى أو اليسرى ، والشاهد على الرقبة ، ويكون قريب الخشم ويصير محاذياً للعين ، أو نازلاً إلى الفك ، وعلى كل لا يعول على الشاهد ، ومن الوسوم ما هو بشكل X أو كحرف T أو غير ذلك .

والبدو يطلقون إبلهم في البرية ، فتقتات من نباتها كالشيخ والروثة وغيرها ، ويوردونها الماء مرتين في الأسبوع في الصيف ، أما في الشتاء فهي تظل أياماً عديدة دون أن تعطش ، أما الحضر فيسقون الإبل التي يستعملونها مرة في كل يوم من أيام الصيف ، والحضر في بلادنا يسيؤون تغذية الإبل فلا يطعمونها أكثر من ثنية (أي نحو اثنين كيلو غرام) من الحب في اليوم من (الشعير أو الكرسنة أو الجلبان أو الفول أو البقية) على أن تكون مجروشة ومنقوعة في الماء لأنه ليس للبعير قواطع في فكه الأعلى ويضاف إلى ذلك مقدار كاف من التبن ، هذا إذا كان يشتغل ، وإلا فيقصر عن غذائه على التبن وعلى ما يصادفه من الأعشاب ، والإبل إذا كانت بالغة وطعامها كافياً تحمل ٢٠٠ - ٢٥٠ كيلو غراماً في اليوم ، أما إذا كان طعامها سيئاً فهي لا تحمل أكثر من ١٠٠ - ١٥٠ كيلو غراماً ، هذا ووبر الجمل أنعم من صوف الضأن ، وتصنع منه عباءات الوبر العراقية الشهيرة ، كما ينسج الفرنج منه نسجاً رقيقة غالية الثمن ، ويحشي البدو لحفهم ووساداتهم به ، ومتوسط ما ينتف من الجمل في كل ربيع ٢ - ٣ كيلو غرام من الوبر ، وقد يبلغ ذلك خمسة كيلو

غرام ، ويصنعون من جلده قرباً عظماً ، منها التي تتسع ٢٠٠ ليتر من الماء كما يصنعون من عظم يديه أمشاطاً ، ويعمدون إلى جلد ركبته وغيرها من أعضائه التي تحتك بالأرض وهو جالس ، فيصنعون منها نعالاً غاية في المتانة ، ولحم الإبل لا يقل عن لحم البقر ، بل إن لحم سنامه ألد من لحم البقر ، لكن البعير متى كبر يصير لحمه قليل اللذة لا يأكله سوى الفقراء ، ونسبة لحم الصافي إلى مجموع وزنه ٥٥% تقريباً . هذا وركوب الهجن الأصايل المروضة على الجري يفضل على ركوب أية دابة كانت ، لأنه مريح للغاية ، خصوصاً في البوادي الفقراء . ولا يصفو الأصل عند البدو إلا في الجيل الخامس ، وذلك بأن تلقح ناقة من هجين أصيل فإذا أنتجت ناقة ولقح هذه هجين أصيل ، ثم تكرر هذا التلقيح إلى الجيل الخامس فهو الأصل الصافي ونتاجه أصيل ، ومنهم من يؤصلون إبلهم إلى الجيل السابع أو الجيل العاشر . ولإبل عنزة خاصة صبر عجيب على العطش ، ففي أيام الربيع تبقى شهرين أو أكثر بلا ماء ، أما في أيام الصيف فالتى تشتغل منها تطلب الشرب كل يوم أو يومين وقد تصبر إلى اليوم الثالث والرابع ، وهم يردون بها الآبار أذواداً كل ذود في حوض ، ويروونها على نغم الحدو ولطيف الأشعار .

ومصطلحات الإبل في بلاد نجد على ما جاء في كتاب (قلب جزيرة العرب) هي ما يلي : (الجمال) تفيد النوع مطلقاً (الإبل) تطلق على الإناث التي لا تتركب ، وهي التي تلد وترضع صغارها ولكنها لا تحلب ، (الناقة) واحدة من الإبل سواء أكانت تحلب أم لا ، (المسح) الإبل التي يستدر حليبها وهي غير التي يرضعها ولدها ، (الجيش) أنثى الجمل التي تستعمل للركوب فقط ، (الذلول) واحدة من الجمل ، (الزمل) الذكور من الجمل إجمالاً ، (البعير) لا يستعمل إلا للذكور ، (الهجين) لا تستعمل في نجد ولكنها تعني الذلول ، وتسمى الناقة الحبلى (اللحاء) ، والتي تجرد وراءها ولدها (الخلفة) ، والتي يسحبها ولدها الذي لا يزيد عمره عن عشرة أشهر (عشرة) .

وقال : ولصغار الإبل أسماء مختلفة بحسب السن التي تبلغها ، فيقال للذي عمره أقل من سنة وقبل أن يظم (حوار) ، ويتم السنة بعد الفطام (المفرد) أو (الفصيل) ، وفي السنة الثانية (لبني) ، وفي السنة الثالثة (مربوط) ، وفي السنة الرابعة (حق) ، وفي السنة الخامسة (جدع) ، وفي السنة السادسة (رباع) ، وفي السابعة (سداس) ، فإن كبرت من الرباع فصاعداً فهي (ناقة) والذكر (جمل) .

قلت ، إن أسماء صغار الإبل بحسب السن تختلف في كتب اللغة قليلاً عما ذكر ، فهي تقول : إن ولد الإبل يسمى في السنة الأولى إلى أن يفطم (حوار) ، وفي السنة الثانية (ابن مخاض) ، لأن أمه تكون حامل ، وفي السنة الثالثة (ابن لبون) لأن أمه تكون ذات لبن ، أي ترضع أخاه ، وفي الرابعة يسمى (الحق) لاستحقاقه أن يحمل عليه ، ومتى دخل الخامسة يسمى (جذع) ، وفي السادسة (ثني) ، وفي السابعة (رباع) ، وفي الثامنة (سداس) ، وفي التاسعة (بازل) ، وفي تلك السن يكون البعير قد بلغ أشده وصار صالحاً للشراء ، ومدة الحمل في الإبل ١٢ شهراً ومن النادر أن تكون ١٣ أو ١٤ شهراً ، ومدة الرضاع تختلف من خمسة إلى ثمانية أشهر ، قالوا إن ولد الناقة يقف في اليوم الأول من ولادته ، ويمشي في اليوم الثالث ، ويرافق أمه للمرعى في اليوم السابع .

إن انقطاع الغزو وشيوع سيارات الركب السريعة التي صارت تطوي البيد طياً ، يكاد يبيد الخيل ، كما أن السكك الحديدية وسيارات النقل الضخمة أبادت قوافل الإبل العظيمة التي كانت تنقل نواتج الهند والعجم والعراق من بغداد إلى دمشق ومصر ، ومصر التي كانت أكبر سوق للإبل المعدة للذبح قل فيها عدد أكلي لحمها ، فلم تعد تربية الإبل راجحة كما كانت من قبل ، مما اضطر العشائر الكبرى إلى الإقلال منها ، فبعد أن كان عدد ما يباع منها مثلاً عند الروالة حين اصطيفافها في الجولان ٣٠ - ٣٥ ألفاً في سنة ١٩٢٢ م ، هبط عدد المبيع إلى ١٢ ألفاً في سنة ١٩٢٧ م ، وإلى أقل من ثمانية آلاف في سنة ١٩٢٨ م ، وبينما كانت هذه العشائر لا تربي نعجة واحدة صار عدد الغنم لدى الروالة ٣٠ ألف رأس في سنة ١٩٢٩ م ، ولدى الأسبعة ٥٠ ألف ، ولدى الفدعان ٦٥ ألف وهكذا .

وعلى كل حال ، فالإبل كما قلنا في بحث التحضير من أرخص وسائل النقل وإن كانت بطيئة ، وهي ثروة لا يستهان بها ، فإهمالها دون العناية بأمورها غير صحيح ، ومن أهم ما يعرض للبدوي قلة المراعي لها ، ومن الوسائل الفعالة إفساح المجال له للترحال في براري وصحاري لا يستفيد منها سواه ، وفي هذا تخفيف لشظف عيشه ، وترفيه لحالته ، وربح لتجارة البلاد ، وموارد لخزينة الدولة .

الصيد :

وأما الصيد وإن كانوا مغرمين به إلا أنهم لا يميلون إليه إلا في أيام الربيع بقصد اللهو

واللعب ، ولبعض شيوخ البدو ولع في قنص الغزلان والأرانب والحبارى والحجل والقطا وأمثالها ، يخرجون إليها فرساناً بالبازي والشاهين على أيديهم وفوق أكف من الجلد لئلا تؤذيهم الخالب ، وتتبعهم الكلاب السلوقية ، فإذا تراءت الحبارى للبازي وهو يلحقها قبل الناس طلب الانفلات من يد صاحبه ، فيطلقه ويغير وراءه حتى يدركه فوق الحبارى ، يمتص من دمها ويأكل من لحمها ، فينزل عن فرسه ويأخذه ويأخذ الحبارى ، ويستأنف المسير ، أما الأرانب فتقتنصها الكلاب والطيور معاً ، فينطلق عليها الطير ينقرها في رؤوسها وعيونها ، حتى يعمي أبصارها وتتأثرها الكلاب وتبشش بها ، ولهم طريقة أخرى في قنص الغزال لا يطيقها غيرهم ، وهو إذا قل الماء في البر في الصيف حفروا حفراً عميقة عند موارد المياه ، واستكنوا فيها بينادقهم دون أن يستروها بشيء من حرارة الشمس ، لئلا تنفر الطيباء ، فإذا قاربت الشمس الهاجرة واشتد القيظ طلبت الطيباء الموارد لتروي ظمأها ، وأنتها أفواجاً فيرمونها وقد يطرحون منها عدة بطلق واحد ، وغالب صيد البدو الغزال ، وباقي الصيد لاقية له عندهم ، وقد صاروا بعد انتشار السيارات يطاردونه بها ، بمنتهى القسوة والجور ، ويرهقون هذا الحيوان المسكين ، وهم يكادون يقرضونه رغم وجود قرارات بمنع ذلك ، لعدم إمكان تنفيذها في الفيا في الشاسعة .

وقد يصطادون النعام والوعول والوضيحي والأروية والمها أو بقر الوحش وحمير الوحش أو الفرا ، وهذه الحيوانات أيضاً تلاحق بالسيارات ، وترهق بالمطاردات وطلقات الأسلحة النارية السريعة ، وتعرض للانقراض ، وربما جاء يوم تقفر بادية الشام منها ، فهل يلحقها راغبوها إلى النفود في وسط الجزيرة العربية أو إلى الربع الخالي في جنوبها ؟

وبدو الصليب وأبناء عمومته المهتم والشرارات قد اتخذوا لهم الصيد حرفة يصطادون بالأفخاخ ، أو بينادقهم الششخانة القديمة ، أنواع الطيور والحيوانات الوحشية التي ذكرناها ، وفوقها اليرابيع والضباب والوبر الذي يشبه الأرنب .

وعلى ذكر القطا نقول إن هذا الطير يقيم في البراري والقفار ، وهو شديد الطيران يبعد إلى مسافات شاسعة في طلب الغذاء والماء ، والعرب قديماً أحبوه وأكثروا من ذكره في أقوالهم وأشعارهم ، ووصفوا جثومه على بيضه في عشه ، ونهوضه من مجثه ، ووصفوا سراه ليلاً ، ووروده الماء وسيره إليها متدافعا وصدوره عنها ، وعقدوا لوصفه المجالس

والمباريات ، وقد حكمت في إحداها الشاعرة ليلي الأخيلية ، وضربوا بصفاته الأمثال ، وجعلوا تركه طيب النام دليلاً على مزعجات الليالي ، وجعلوه شريك المحب في حبه ، والغريب النازح في غربته ورحلته ، وقد رأى مجنون ليلي سرباً منه فهاجت شجونه وقال :

أسرب القطا هل من يعرني جناحه لعلني إلى من قسده هويت أظير
والقطا من فصيلة الحمام ، وهو يشبه الحجل بلونه ومشيه ، وله أربعة أنواع (الكدري) ذو البطن الأسود والظهر الأرقش الأشهب ، ومنه ضرب يدعى الجوني يكون بحجم الحجل ، والنوع الثاني (الحر) وهو غير حر الصيد بطن القطاة منه بني فاتح وظهرها بني مرقط ، والثالث (المطوق) وهو مخطط بخطوط هلالية الشكل بعضها سوداء أو رمادية وبعضها كستنائية ، والرابع (الصباح) أو (القطقاط) يصيح قطا قطا يشبه الحجل في لونه غير أن لون بطنه بني ، وهو كثير في البادية يهاجر بالملايين في سني المحل إلى القرى الشرقية الواقعة في طرف المعمورة ، وبعض عشائر البادية وأهل القرى يعيشون مدة من الزمن على بيصه المنتشر في البادية ، وترى الصبيان يطوفون في البراري والآكام يلتقطون بيوضه ، وكثيراً ما ترى الآكام وقد حط عليها القطا ، وهي تكاد تحجب الشمس وتسمع صوت أجنتها فوق رأسك كأزيز الطائرات ، والقطا تبيض مرة في السنة ببيضتين وقد تبيض ثلاث ، وهي ولوعة بشرب الماء وإذا لم تجده في البادية تهاجر هي وفراخها إلى القرى التي في شرقي المعمورة حيث ترد الماء أسراباً أسراباً ، وهي لا تغشى المعمورة إلا في سني المحل ، ومن ثم يقول الفلاحون (سنة القطا بيع الغطا) دليل المحل والفاقه وطريقة صيد القطا هي : أن الصيادين يحفرون حفرة عند مصب الأودية أو الغدران ، بحيث يكون قطر الحفرة نحو متر وعمقها نحو نصف متر ثم يبنون حولها حائطاً من الحجارة في ارتفاع نصف متر ، يسدمن ثقوبها بالطين عدا ٣ - ٤ ثقوب في كل جهة ، يتركونها كمزاجل يسددون بنادقهم منها نحو القطا ، حين ورود الماء ، ويسمون هذه الحفر (نوجة) . ويرتدي الصياد ثياباً صفراء ، أو غبراء ليختفي عن القطا المارة .

التجارة :

أما التجارة فلم يكن للبدو عناية خاصة بها ، وإنما كانت عنايتهم من باب المعاونة

لأصحابها، بمعنى أنهم كانوا ينقلون البضائع والأموال على أباعرهم ، ويحامون عن القوافل التي كانت تنقل تلك البضائع ، وهذا كان دأبهم منذ أقدم الأزمان إلى أن ظهرت سيارات النقل الضخمة ، واكتسحت الصحارى والبراري بسرعتها وسهولتها وسلامة منقولاتها ، فانقطع رزق البدو من هذه الناحية ، وقد كان أصحاب القوافل فيما مضى يدفعون إلى حماة القوافل المدعوين بـ (المبرقة) أجرة يسمونها (الخفارة) ، وهذه العادة كانت جارية إلى قبل نصف قرن عند العشائر النازلة على طرق النقل ولا سيما طريق الحج ، فإنهم كانوا يتقاضون مبالغ من الحكومة العثمانية تعرف باسم (الصرة) . وإذا أراد أهل الحضر أن يروا بأرض عشيرة يجبرون على دفع بدل لمرورهم يسمى (الخوة) ، وسيأتي الكلام على هذه الخوة في مكانها .

الغزو :

وأما الغزو فهو في عرف البدو يطلق على عدة معاني ؛ فهو يطلق على الكتيبة المسلحة نفسها ، وعلى الفرسان الذين يؤلفون هذه الكتيبة ويسيطرون للقتال ، ويطلق على القتال نفسه ، وفي اللغة غزا العدو غزواً ، سار إلى قتالهم وأنتهزم في ديارهم ، والغازي اسم فاعل وجمعه غزاة ، والمغازي مناقب الغزاة ، والقصد من الغزو السلب والنهب ، أو أخذ الثأر وكشف العار .

والغزو عادة قديمة توارثها البدو منذ عصر الجاهلية ، فقد كانوا اتخذوها وسيلة من وسائل العيش ، يغيرون على عشائر معادية - وما أكثر المعاداة عندهم - فيأخذون إبلهم وغنهم ويسبون نساءهم وأولادهم ، وتترصد بهم العشيرة الأخرى ذلك فتفعل ما فعلوا ، بل هم إذا لم يجدوا عدواً من غيرهم قاتلوا أنفسهم ، ولعل خير ما يمثل ذلك قول الشاعر القطامي :

فمن تكن الحضارة أعجبتـــــــــــــــــه فأبي رجال البادية ترانا^(١)
ومن ربط الجحاش فإن فينا قنأ سلباً وأفراساً حساناً^(٢)

(١) يقول إن كل ما أعجبك من رجال الحضر فهو أكثر بيننا منهم وإن كنا أهل بادية .

(٢) وإذا رضي أهل الحضر بربط الجحاش واقتنائها ، فإننا لا نرضى إلا بما عندنا من الرماح الطوال التي تسلب النفوس ، والخيول الحسان التي تعين على دفع الأعداء .

وحسنت إدارتها وسيرتها استقر الأمن والسلام في البادية ، ونجا أهلها من الفناء والشقاء ، واضطروا إلى ترك الغزو والنهب والسلب والاتجاه نحو التحضر والزرع والضرع ، وهو غاية مايشده ويرجوه لهم كل محب .

كان البدو دائماً بين مهاجم ومدافع ، وكل عشيرة على حذر تام من الأخرى ، تتلقف الأخبار عن حركاتها ، وتجهز نفسها بالعتاد ، وتحتاط للحرب أشد الاحتياط ، وكان في ذلك حكمة تدفعهم إلى حصر النمو والتكاثر ، لئلا تضيق دونهم أرضهم فالخليف عندهم يعرف (بالصديق) ، والعدو بالقوم أو (القوماني) ، والغزو أقسام حسب قتلته أو كثرته ، فمن قليلة (الحنشل) وهو يتألف من ٢ - ٣ رجال مشاة ، يياغتون أبناء السبيل المنفردين العزل ويسلبونهم ، و (السرية) وهي تتألف من ٥ - ١٠ فرسان ، و (السربة) هي أكبر من السرية وتتألف من ٢٠ - ٣٠ فارساً ، ومن الغزو القليل ما يسمونه (الخواف) وهم ثلة من اللصوص المغامرين يتسللون ليلاً إلى حلال البدو وهم نائمون ، ويسرقون ماتصل إليه أيديهم ، إما إذا زاد العدد عن السربة تكون العشيرة كلها قد نازلت عشيرة أخرى وقتلتها ، فهناك يقع ما يسمونه (الحرب) . فالغزو تشكيل تام التجهيز ، مؤلف من فرسان وهجانة ، لا يقل عددهم عن ٥٠ - ٦٠ ، والهجانة يؤلفون ثلثي المجموع أو ثلاثة أرباعه حسب المسافة التي يجتازونها ، لأنهم يحملون الزاد والعتاد أيضاً ، ويكون على رأسهم قائد يسمونه (العقيد) ، قد مارس كل ضروب الغزو من الحنشل وما فوق ، وعظمت مهارته وخبرته ، وعرفت شجاعته وحظوظه ، وهو وحده يقرر الحركات التي يسيرها وينظم أصولها وفروعها ، ويكون هو وحده المسؤول عنها ، يعاونه في ذلك (المنيوخ) الذي يأتي بعد العقيد في القيادة والإشراف على الركوب والنزول والزاد وحفظ خط الرجعة ، وقد يستشير العقيد كبراء حملته ، لكن السلطة المطلقة له دون غيره ، وللبدو في الغزو والحروب فنون خاصة اتخذوها منذ القديم ، ونحن نذكرها ونتتبعها من حين بدؤها إلى أن تنتهي :

إذا تاق البدو إلى الغزو وحنوا إلى السلب والكسب ، أرسلوا (السوابير) جمع سبور من سبر بمعنى عرف واختبر ، أو (الطراريش) بمعنى طارش وهو بنفس المعنى وهم الرقباء أو الكشافة أو الجواسيس ، يكشفون منازل العشيرة المعادية ، ويستطلعون ماهي عليه من

الاحتياطات والتبصر فيما إذا كان لديها علم بقدوم الغزو ومتهيأة نحوها ، وحينما يقترّبون منها ينبطحون على الأرض ، ويتسترون وقد يغامر بعضهم ويدخل بصفة ضيف أو عابر سبيل ، يتفحص عدد البيوت والبنادق والماشية ، والحالة الروحية ثم يعود ويخبر جماعته عما رآه وتحققه ، ويجري كل ذلك سراً ، فإذا أتت (العلوم) أي : الأخبار بما أنسوا منه خيراً ، يعلن الشيخ الغزو ، ويضرب موعداً لاجتماع الغزاة في وقت معين ، ثم يتفقد جنوده ، فمن كان منهم غير مجهز بالسلاح والعتاد الكافيين ، أو كانت راحلته هزيلة لا يركن إليها فرزه من بين الغزاة وأمره بالرجوع ، ومن ثم يقسم الغزو إلى فرق كل فرقة يرأسها عقيد ، فإذا اكتمل العدد المطلوب سارت الفرق بين ركبان ومراديف ، ولا يعلم سبيل الغزو وهدفه في الأكثر إلا العقيد وحده ، ويبقى رفاقه جاهلين ذلك إلى أن ينتصف الطريق ، وحينما يطلع العقيد رفاقه على بغيته يخرج من الفرسان (طليعة) إلى الأمام ، ويتأخر الجزء الأكبر وراءها بضعة كيلومترات ، ومن عادة الغزاة أن يتحاشوا الطرق المألوفة فهم يسيرون سيراً متعجلاً حلزونياً ، ولا يردون المناهل إلا في الليل ، ولا يسيرون منفردين كي لا يلحظهم أحد ، فإذا صاروا على مقربة من الحلة المقصود غزوها وقفوا وأرسلوا السواير واستطلعوا حالتها بدقة ، فإذا جاءت (العلوم) وقرروا الهجوم اقتربوا حتى يترأى لهم (الزول) وهو العدو المقصود حينئذ ينيخ العقيد هجائته ويعبئهم في طريق الرجعة .

ثم يقسم فرسانه إلى قسمين يسمى الأول (الغوار) وهو القسم النشيط الخفيف الحركة ، وواجبه أن يسطو على الماشية ويجفلها بإطلاق الرصاص ويسوقها بسرعة ، ويسمى الثاني (الكمين أو الملمزة) وهو قسم يتألف من أحسن الرماة وأشجعهم ، وواجبه أن يقابل المدافعين (الفازعين) الذي يهبون للدفاع واسترجاع الماشية المنهوبة ، ويشاغلهم معها أمكن من الوقت ، ريثما تصل هذه الماشية إلى الهجانة فيستلمها هؤلاء ويسوقونها ، لأن المدافعين يهاجمون الغزاة فوراً ويتهاكون في الدفاع ، ويستمتتون عند أموالهم وحلالمهم ، فكل الثبان والكهول في الحلة التي هوجمت وكل القادرين على حمل السلاح والزود عن المال والحلال يكلفون بالدفاع ويهرعون للقتال ، فإذا قدروا أن يصلوا إليها قبل أن تؤخذ أو قبل أن يسوقها الهجانة فازوا وردوا الغزو ، وإن تأخروا أو ضعفوا عادوا

خاسرين ، وفي القتال الفرسان تتبع الفرسان فن قتلوه أو أسروه أو طرحوه عن ظهر فرسه ، وهو (القلعة) عندهم يحسبونه خير مغنم .

وإذا كان الغزو سائراً وصادف (خباً زولاً) لم يتحققه عن بعد ، أطلع من فرسانه طليعة قليلة تغير بخيلها ، وهم يتبعونها خباً حتى تدنو إليه دنواً تتحققه به ، وبين الفريقين مرمى طلقة ، فتتحرف الطليعة شرقاً أو غرباً أو جنوباً أو شمالاً على غير الطريقة المتخذة ، ولكل من هذه المراكض معان معلومة عندهم ، وهي التي يدعونها (العرض) ، وعرض الجيوش مأخوذ منها ، فإذا عرفوهم حلفاء (أصدقاء) عرفت الحملة كلها وتدانوا دون أن يتأسوا بضر ، وإلا افترقوا فرقاً ، أو ساروا فرقة واحدة حسب اقتضاء الموقف والكثرة ، فينشب القتال بينهم ، فإن ظفروا بهم تولوهم ، وخلفوا جماعة تسوق ما يصيب الإبل والماشية .

ومن عوائدهم أن يقسم كل الكين والغوار إلى مينة وميسرة وقلب ، ويتشabكون على ظهور الخيل بالبنادق ، وكل فارس يطارد آخر من العدو ، وفي الغالب ينادي الطالب المطلوب بقوله (خيال يا خيال) وينتخي كل منهم بقوله أنا أخو فطيم أو راعي البلهاء أو العليا أو الحمدانية وغير ذلك ، ليعرفه بنفسه ولينبه المطلوب ، حتى لا يكون فعله غدراً أو لإخافته ، فإن اعتمد المطلوب على قوته أو فرسه يخبه بقوله (تحسه : إخساً ، أنا أخو فلانة راعي كذا) وإن أحس بضعفه ، أو ضعف فرسه عن الدفاع يخبه بقوله (امنع يا خيال) أي امنع أذاك عني ، وليس ذاك جبناً إذا كان ثن اضطرار لمعذرة ، فيقول له الطالب (على رويحك) أي أنني أضعفك عن نفسك فقط أو (على فرسك وسلاحك) أي إذا سلمت تنجو بروحك وسلاحك وفرسك ، فيكون الأمر مساومة حتى إذا قبل المطلوب نزل عن فرسه فيكون منيع الطالب ولا يحق لأحد معارضته ، ولو بقي سلاحه في يده ولا أن يشترك في الحرب .

هذا ولكل مبارز شعار ينادي به في ميدان الحرب ، وهذا هو المسمى عند الماضين بالاكثناء من الكنية وعند المعاصرين بالنخوة ، وهي في اللغة العظمة والفخر ، ويقولون انتخي عليه أي افتخر وتعظم ، وإذا كان المنتخي أكثر ما ينتخي على طريق الكنية كأن يقول (أنا أبو فلان أو أخو فلانة) جعل هذا الفخر في ساحة القتال اكثناء وسمي هذا

الاكتناء انتخاء ، وفي الانتخاء يعرف الفارس بنفسه في ساحة الوغى بلقب من الألقاب ، أو وصف من الأوصاف يصير عليها علماً ، فالشعلان رؤساء الروالة ، ينتخي أحدهم (خيال العليا وأنا ابن نايف) ومتى قيل (رعاة العليا) علم أنهم الشعلان عند كل البدو ، ولهم نخوة أخرى وهي (أخو صيته) ولم نعلم ما أصل هذه التكنية فهل هي من الصيت ، ونخوة ابن سمير شيخ ولد علي (خيال الملحمة ولد علي) وقيل (أخو عذرا) وعذرا قرية في شرقي قضاء دوما ، يظهر أنه كان لأبناء سمير عليها خوة سنوية فتكنوا بها . ونخوة ابن الطيار (أخو ثنية) ولعلها ثنية العقاب شالي عذرا ، ونخوة السردية (أخو ذبيبة) ، ونخوة الفايز من بني صخر (أخو بلها) ، ونخوة الحامد من بطونهم (أخو عشاء) ، والزبن (أخو وضحاء) ، ولم نعلم مرادهم بالبلهاء ، ونخوة الأسعة (عرفة سبيعي) ، ونخوة العمارات (أخوة بتلة) ، ومن الأقوال الشائعة (أخوة بتلة أنسب الحمايل) ، ونخوة شيوخ الأحسنة آل ملح (خيال البويضة أحسن أخو فضة) ، ويقولون حين العرضة (خيال البويضة صاعدي) ، ولم يفسروا معنى صاعدي ، ونخوة الشيوخ من آل مهيد في الفدعان (أخو قطنه) ، ونخوة أمراء الموالي (خيال البلهاء ولد الأمير) ، ونخوة أعراب الموالي (الدواخلة) ، ولم يفسروا معنى هذه الكلمة ، هل هي من أنهم دخلاء على الأمراء ؟ ونخوة الدنادشة (أخو زرقاء) ، وهكذا لكل عشيرة نخوة وكنية ، تتعرف بها لا يكاد يأخذها عد ، فاكفينا بهذا المقدار ، وهذه النخوة من أكبر أسباب التكتاف عندهم ، ويقال لها (العزوة) أيضاً ، وفيها تتشارك العشائر التي تمت إلى نجار واحد ، وغالب العشائر تعرف القرى بينها بسبب هذه النخوة ، وهي حسنة إذا صرفت في سبيل اتباع الحق ونصرة المظلوم ومقاومة الشر .

ومن عوائدهم أن يغير الغزو صباحاً قبل الفجر ، أو قبل طلوع الشمس على الأقل حينما تكون مواشي العدو في حظائرها ، والإبل معلقة والخيل مقيدة ، ورجال الحرب نائمون أو غافلين بعيدين عن أسلحتهم ، فيمكن الغزو من الإحاطة بالعرب على حين غرة ، فينهب المواشي والأموال ، وإذا أمكن بيوت الشعر برمتها . ولهذا قالوا (إن العقيد الفلاني غزا العقيد الفلاني وخلق عمدها تفرع) أي تمكن من اغتنام مواشيتها وأموالها حتى بيوت الشعر ، ولم يترك في المنازل إلا أعمدة البيوت تفرع بعضها بعضاً ، وكثيراً ما ينتصر أفراد قلائل من العشيرة المهاجمة على الغزاة المهاجمين ، ذلك لأن موقف الدفاع يكون أقوى من

موقف الهجوم . ويذكر الناس كثيراً من الغارات التي ردها عن المغزوين شخص واحد أو بعض أفراد قلائل ، ليس هذا فحسب ، بل إنهم تمكنوا من قتل كثير من الغزاة وأسر من يبقى منهم ، وإذا قصر أحدهم في الحرب ، أو هرب من الميدان ساءت سمعة والده أو ولي أمره ، فكان لوالده أو ولي أمره الحق في إرغامه على لبس ثياب امرأة ، ولا ينزع ذلك حتى يبدي شجاعة فائقة في غزو آخر .

هذا وإذا رجع الغزاة إلى قومهم ظافرين غانمين لاقتهم النساء بالهلاهل والأهازيج ، وخرج إليهم من تخلف من قومهم ، يهنئونهم بالظفر ويصرخون (الحذية الحذية) وهي ما يعطيه السالب لصاحبه من السلب ، فيعطونهم ولا يبخلون ، وربما أعطى السالب سلبه فما كفاه ، فأعطى شيئاً من سلاحه أو ملابسه ، والغالب في قسمة السلب أن يأخذ الشيخ أو الأمير خمس المسلوب كله عملاً بالآية الكريمة : ﴿ وَعَلَّمُوا أَنَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَةٌ ... ﴾ وقد جعلت العادة شيخ العشيرة مقام الرسول ، ويوزع باقي السلب للفارس سهمان ولسواء سهم واحد ، إلا القلائع فهي لأصحابها ، وقد يرجع الغزاة مخدولين ، فتلقاهم النساء بالشتائم والأقسام ويصرخن « العودة العودة » كي يرجعوا ويأخذوا بالثأر ، فيرجعون ويقاتلون شر قتال حتى يظفروا أو يتلاشوا ، وقد ترافقهم النساء أيضاً تنشطهم (تنخيهن) وتضمد جراحهم وتسقيهم الماء وربما قاتلن معهم ، والدفاع يختلف عما ذكر ، فإذا أتتهم علوم عن محي غزو وأنسوا بأنفسهم قوة لدفعه ، قاموا على ما ذكرنا أنفاً ، وعهدوا إلى فريق منهم أمر حفظ الحرم والمواشي والبيوت بما فيها واندفعوا للملاقاة ، وهناك يشتهر بالشجاعة من يشتهر ، وهؤلاء المدافعون كثيراً ما يصدون الغزاة ويردونهم على أعقابهم خائبين ، لذلك يتحاشى الغزاة كثيراً الحرب عند الظعون أو الهجوم على العدو عند البيوت .

إذا رأى المدافعون في أنفسهم العجز والخور لقلة في العدد ونقص في العتاد أسرعوا إلى نزع الأوتاد ، والرحيل ببيوتهم وذرائعهم ونعمهم ، ويتخلف فرسانهم ومقاتلوهم للدفاع والإشغال .

ومن عادات البدو القديمة اتخاذ العطفات جمع عطفة بضم العين وذلك أنهم يأتون وقت الحرب يبنن من أكرم بنات العشيرة وأجلهن وأنشطهن وأطلقهن لساناً ، والغالب أن

تكون بنت الشيخ أو العقيد ويركبتها ناقة عليها هودج ذو شكل خاص ، يدعونه العطفة يغطونه بريش النعام ويدعون هذه البنت (العمارية) ؛ وهي تكون من العارفات برجال الحي ومزايا كل منهم ، فتسوق ناقةها إلى الأمام وتكشف رأسها وتتايل وتنخي القوم بكلام مؤثر يفعل في النفوس فعل الكهرباء ، وتحرضهم على القتال ، وتمتدح المتقدمين وتقرع المتراجعين وتلوم المنهزمين ، وتصيح فيهم ، العودة العودة ، عليهم عليهم ، فيكر هؤلاء ويستيتون في الهجوم والدفاع ، ويقصدها العدو خشية أن تشجع ذويها ، وكثيراً ما تصاب المسكينة قبل كل أحد ، وكثيراً ما يناضل ذووها عنها ، وهي تتقدم نحو العدو فيشتد الحرب حولها ، ويقوى الصراع وتتجندل الأبطال إلى أن يتم النصر لأحد الفريقين ، وفائدة هذه العمارية أو العاريات استحاث الهمم وتقوية العزائم ، بصوت العذارى الجميلات ودعوتهن وتحسيسهن .

ومن عادة البدو أن من خسر عطفته وأوقعها في يد عدوه ، لا يمكنه أن يتخذ بدلها ، مالم يأخذ هو عطفة من عدو ويغنها ، ومن ثم فقدت العطفات من جميع العشائر إلا من آل شعلان في عشيرة الروالة أكبر عشائر عزة عدداً وقوة ، فاقصروا على العاريات أي الفتيات المحرضات بدون عطفة ، وهؤلاء يقفن على أباغر أو في مكان عال ويصحن ويثرن الهمم كما قلنا .

وما قاله الرحالة السويسري (بركهارت) في كتابه (رحلة في بلاد العرب) في بحث الغزو : وكلما قامت عشيرة بحملة يرأس الكتيبة رجل يدعونه العقيد ومن مزايا البدو أنهم خلال الحرب تبطل عندهم سلطة الشيخ بتاتاً ، وينقاد المحاربون منهم إلى العقيد وحده ، فلكل عشيرة عقيد غير الشيخ ، ومن النادر جداً أن تجتمع الوظيفتان في شخص واحد ، أو أنني لم أسمع بذلك قط ، ووظيفة العقيد وراثية في عائلة معينة ، وتنتقل من الأب إلى الابن . وإذا التحق الشيخ بالكتيبة ينقاد إلى العقيد ، حتى يعود الغزاة إلى أهلهم وحينئذ تنتهي إمرة العقيد وتعود إمرة الشيخ كلها .

وشخص العقيد وخاصة وظائفه تحترم جداً ، وينظر الأعراب إلى وارث هذه الوظيفة ، كنظرهم إلى الفال أو الطالع أو شيء مقدس ، وكثيراً ما يقررون الحرب بناء على حلم رآه أو إلهام أتاه أو حدس خطر له ، وهو يحدد اليوم الذي يرجحه للهجوم ،

والأيام التي يخيل إليه أنها نحسة وحينما يشتهر العقيد بشجاعة وفطانة يحتفظ حتى في أوقات السلام بنفوذ كبير في عشيرته ، ورأي العقيد وإن لم يعلو على رأي الشيخ ، لكنه يستشار في الحالات الحرجة ويكون لأقواله اعتبار كلي ، وإذا نجح أي بدوي بمعونة أصدقائه الخالص في بضع غزوات يلتف حوله الأنصار ، وإذا توالى نجاحه يذيع صيته بأنه مبروك في تشبثاته وهكذا يحوز مرتبة عقيد ثانٍ ، هذا وإذا كبس البدو مخيلاً ونهبوه في الليل أم في النهار يعاملون النساء باحترام في الغالب ، وأستطيع أن أقول أنهم يراعون شعورهن ، ولم أسمع بحادثة مخالفة لذلك قط ، إلا أنه يحدث أحياناً إذا كانت العدواة محتدمة بين الفريقين أن يسلبوهن الحلي ، وذلك بأن يأمرورهن بأن يشلحن الحلي بأنفسهن . وهذه القاعدة متبعة بدون تغير لدى الوهابيين ، فهم بينها يغيرون على حي من أحياء البدو يأمرور النساء أن يشلحن ثيابهن وحليهن الثمينة التي يحملنها ، وحينما يصدرن هذه الأوامر يقفون على بعد كاف عن النساء ويدبرون لهن ظهورهم ، اهـ .

حقوق الغزاة :

هذا ومن عوائد البدو في الغزو أنه إذا طعن أحدهم فرداً من الأعداء وأرداه قتيلاً أو جريحاً تكون مطيته ملك الطاعن . وتعرف تلك المطية (بالقلاعة) أي مقلوعة من كان منصوباً عليها وليس للعقيد الحق في أخذ شيء من القلائع ، وكثيراً ما يطعن أحد الغزاة شخصاً بعد أن يجندله عن فرسه فتهرب تلك الفرس وتقع في يد آخر من الغزاة فلا تكون من حق الذي أخذها بل من حق الذي أخلى سرجها . وإذا وقع أحدهم جريحاً أو قتلت فرسه وسقط عنها وجب على كل من رآه طريحاً أن يبادر إلى نجدة ، فيردفه وراءه على فرسه ، وينقذه من هول المعركة ويعرف ذلك أن الجريح عندهم (بالرديف) ، وللشخص الذي ينقذ الرديف شأن عظيم عند قومه ، وله من الغنائم مثل ما للمجاهدين في المعارك ، ولو كان فعله فيها قليلاً . أما الغنائم فيأخذ العقيد الأكبر لنفسه ما يراه مناسباً وقدره الثلث في الغالب ، ويوزع الباقي مراعيّاً جهود كل فرد حين القتال ، وليس أعدل من البدو في تقسيم الغنية حتى قد يتلفون الشيء تحرياً للعدل ، فيقسمون السجادة بينهم كما يقسمون القميص والسرّوال ، كل هذا إرضاء لضائرتهم ودفعاً للظلم ، وهم يعرفون بيوت الشعر حق المعرفة ، لأنها بيوتهم التي يعيشون فيها ، ومع ذلك فهم يقسمونها مراعاة للعدل ، أما الإبل

والغنم فإنهم يقسمونها إذا أمكن القسمة ، أو يقومونها بئمن إذا لم يكن هنالك سبيل للقسمة . وإذا وقع أحد المتحاربين أسيراً في قبضة العدو اعتنوا به وأكرموا وفادته ، وإذا وجد العدو بين الأسرى جريحاً عالج جراحه حتى تشفى ، وإذا مات دفنوه باحترام ، وإذا كان الميت من عيون قومه رثاه العدو ، وأخيراً يقدم العدو للأسرى زاداً ومطايا تحملهم إلى مواطنهم .

التضامن البدوي :

إن ثروة البدوي في هذا الغزو سريعة الزوال ، ولا تستقر على حال فهي تحاكي ثروة القمارين في المصفق (سوق البورصة) إذ بينما ترى البدوي يضحى وهو ذو ثراء في ربه إذا بك تراه يمي وهو لفقره المدقع كأن قد ضرب على سمعه وبصره ، لكن البدو من مناقبهم التضامن في البلوى ، والتعاون على المصائب وقد قدمنا أنهم يتسابقون إلى إمداد العزيز إذا ذل ويتعاونون على إقالة عثراته . والعشيرة أو الفخذ أو الأقارب بمنزلة أسرة واحدة بينهم (تضامن وتكاتف) وهم إذا لم يشتركوا في جريمة ما ، متضامنون في السراء والضراء ، ويلبسون عند الدعوة ويحييون النداء ، يغضبون لغضب قريبهم دون أن يعلموا السبب .

ومعيشة البدو قلقة ومعرضة لكثير من الأخطار ، والمهددات للكيان لاسيما في أيام فوضى الأحكام ، وغفلة رجال الأمن وضعفهم ، ولذا ترى البدو يتخذون وسائل عديدة لدعم التضامن بينهم ، والتأهب لدفع الطوارئ ، وأهم هذه الوسائل الاجتماعات المتوالية في ربعات الشيوخ والكبراء ، والمذاكرة في كيفية حراسة الأموال والأنفس وترديد الوقائع السابقة واللاحقة ، وحكايتها وتهيج العداة والحاس بالهوسات والأهازيج والخطابات المقترنة بالأشعار .

وإذا رأت عشيرة نفسها في ضعف عمدت إلى التحالف مع العشائر الأخرى المجاورة ، مذكرة لها بقرابة ونسابة مهما كانت بعيدة أو بوقائع مماثلة أعانتها بها في يوم مضى ، أو بأن الخطر مشترك وسينالها ما ينال هذه وأمثال ذلك ، وبعد هذا التهويل والاستنهاض أو الاستعطاف يحصل الاتفاق أو التحالف الدفاعي أو الهجومي أو يتدخل في أمر الصلح ، وكل هذا يشبه ما يقع بين الدول التي تسع بعقدها محالفات ثنائية أو ثلاثية أو أكثر ضد حلف مماثل لها ، حفظاً للتوازن ودرءاً للأخطار المشتركة في معترك الحياة .

القضاء عند البدو

التشريع البدوي - أصول العشائر

القضاء عند البدو يتبع العرف والعادة ، وليس ثمة قوانين مكتوبة ولا خطط مرسومة ، وهذا القضاء في أيدي شيوخ العشائر ، وهم حريصون جداً عليه ، ولا يقبلون به جدلاً ولا يرضون بتعديله بـ (القضاء المدني) الذي يسلبهم سلطتهم ويخفف شوكتهم ، وهؤلاء الشيوخ هم إما قضاة في الدعاوى التي تقام وسط العشيرة ، أو هم محكمون في التي تقام بين العشائر المجاورة ، وهم إذا لم يتولوا القضاء بأنفسهم ينيبون عنهم رجالاً أخصائيين في القضاء البدوي يدعونهم (عوارف) جمع عارفة ، والشيخ أو العارفة يحكم من بنات أفكاره ، بما اكتسبه من الاختبار والتعامل القديم والوقائع السابقة الماثلة ، ولهذا القضاء أنصار ومحذون كما له أخصام ومعتضون ، ولكل من الفريقين آراء وبراهين ، وها نحن نذكرها ونترك الحكم فيها للقارئ .

يقول أنصار القضاء البدوي أن هذا القضاء سريع في مرافعاته عاجل في أحكامه التي لا استئناف فيها ولا تمييز ، وأن فيه ميسرة تمكنه من تقدير (المسؤولية المشتركة) في العشائر المعتادة على التنادي والتناصر والتطاحن عند حدوث (الهوشات و الطوشات) التي يخوض غمراتها العشرات منهم وأحياناً المئات ، فيتعذر تحديد الفاعلين و تمييزهم ، وأن هذا التنادي والتناصر الناجمين عن (العصبية العشائرية و الحماية البدوية) لا بد منها لإقرار السلام وحفظ التوازن في هذه البوادي المترامية الأطراف البعيدة عن مراكز الدول ومحاكمها وقوانينها ، ويقولون إن في القضاء البدوي مجالاً للبدوي الضارب في تلك البراري ، يمكنه من أن يترافع ويبلغ حقه عند أقرب قاض ، وفي أسهل أسلوب وأقصر زمن ، وأن في (القضاء المدني) تحقيقاً وتعقيداً وتطويلاً بينما البدو يرغبون قضاء مفهوماً لديهم وحكماً عاجلاً ، لا تؤجل جلساته من وقت إلى آخر ، ولا تبطئ إجراءاته ، وأن يحكم لهم أو عليهم في جلسة أو جلستين .

ويقول أخصام القضاء البدوي أن الإسلام قد أزال العرف العشائري الجاهلي في القضايا العامة ، وأمر باتباع الشرع ، وصرح بأن الحكم بمقتضى هذا العرف مخالف للآية ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ وللآية ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وأن هذا العرف العشائري لم يعد إلى الجزيرة العربية بعد منع الإسلام إلا عقب أن ضعفت سلطة الخلفاء وقلت عنايتهم بالعزب والعروبة ، وانكشفت العشائر في باديتها ، ورجعت إلى كثير من العادات التي كانت عليها في جاهليتها كالغزو وما إليه ، وتولد التكاتف على الحق والباطل معاً ، واتسع المجال للحزبية والعصبية القبلية (العشائرية) ، وصارت العشائر لا تعمل بالشرع إلا في الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ، أما في الأمور الحقوقية والجزائية فشرعها هذا القضاء العشائري أو العرف البدوي الباقي من عهد عاد وثمود ، وهو نتيجة أثره وتحكم وقوة في جهة ، وضعف واستكانة في أخرى .

والمعتضون يقولون إن على الحكومة أن تحدد من قانون العشائر ، وتجعل غالب الدعاوى الشخصية مما لا مساس له في السياسة العشائرية في حمها تابعة إلى القضاء المدني والحكم النظامي ، وأن توزع الحكومة إلى المحاكم النازرة في دعاوى البدو أن تسرع في بحثها وتحقيقها وحكمها ما وسعها الجهد ، كي لا يبقى ثمة حجة لهم في الإعراض عن هذه المحاكم ، وهم إذ يذكرون القضاء البدوي يصفونه بأنه قضاء جاهلي ، وأن له المآخذ والنقائص الآتية :

أولاً - استعجالهم في الدعاوى : وعدم رويتهم ، ولا سيما في الكبرى منها التي تتطلب بحثاً واستقصاءً وتقديراً وتكراراً ، فيأتي حكمهم مبسراً قد يؤدي إلى ضياع حقوق وانتهاك حرمان .

ثانياً - أن كل عقوبة في القضاء البدوي مهما كان سببها من قتل أو ضرب أو سرقة أو غيرها إنما هي في (المال أو الجزاء النقدي) دون غيره ، ومعلوم أن الغرم في المال ليس بالوازع الذي يزر المرء عن المفسد ، بل ربما كان باعثاً على زيادة المفسد ، لاستسهال الغرم في جانب الحصول على الغرض ، فيبقى القوم فوضى ، مستطيبة أيدي بعضهم على بعض ، فلا يستقيم لهم عمران ولا يقرون على أمان ، ومن هنا كان لا بد من إدخال العقوبات البدنية في الأحكام ، كالإعدام والسجن والأشغال الشاقة لتكون الوازع الكافي للصغير والكبير والضعيف والقوي .

ثالثاً - أن في هذا القضاء البدوي هدم لكثير من الأحكام الشرعية الإسلامية ، فيما يتعلق مثلاً بمؤاخذه الأقارب حتى الجدد الخامس بجريمة قريههم الجاني واعتبارهم مدانين بقبول أخذ الثأر منهم ودفع الدية ، وفيما يتعلق باستحصال الحقوق عن طريق ما يدعونه (الوسقة أو الوساقة) ممن لا ناقة له ولا جمل في الأمر ، وفيما يتعلق بـ (البشعة) أي تلحيس المتهم قضيب الحديد المحمي بالنار أو إطعامه لقمة الزقوم وأمثالها من وسائل التعذيب والهريرية التي لا تكشف جرماً ولا تحمي غرماً ، وفي إجحافه بحقوق النساء ، وحرمان المرأة من نصيبها الشرعي في الإرث ، وفي تزويج البنت البكر البالغ من أي رجل اختاره لها أبوها أو وليها بدون أخذ رأيها .

فما ذنب أقارب الجاني الأبرياء حتى البعيدين عنه إلى الجدد الخامس الذين لا دخل لهم ، وربما ولا علم في جريمة القتل أو الزنا أو الخطف حتى يهاجوا على حين غرة فيقتلون وتخرب مساكنهم ، وتتلغ أمتعتهم ، وتذبح ماشيتهم ، وتحرق بيادرهم خلال مدة (فورة الدم) ، وما معنى إجبار هؤلاء المساكين على الجلوة إلى عشيرة أخرى قريبة أو بعيدة ، فتعطل أعمالهم ، وتقطع أرزاقهم ، وتسلب أمتعتهم ، ويكرهون على توسط ذوي الوجهة والنفوذ وبذل الأموال لأخذ الهدنة التي يدعونها (عطوة) ، ثم إلى إجراء الصلح ثم إلى دفع الدية عن قريههم الجاني ولو كانوا بعيدين عنه ، مما ينطبق عليه قول الشاعر :

وجرم جره سفهاء قوم فأودى بغير جارمه العذاب

وأي فائدة ومفعول زجري إذا لحق كل من الأقارب حينما يكونون كثيرين بضعة دنانير من أصل الدية ، وما قيمة هذه الدنانير القليلة في نظر من لا يتورعون ولا يجدون سبيلاً للاهتمام والاسترشاد ، وهل هذا ما قصدته الآية الكريمة ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

رابعاً - أن أحكام العشائر كثيراً ما تكون عرضة للنقص وعدم الاتباع من كلا الطرفين المتناحرين ، لفقدان العنصر الحقيقي الذي يتمكن معه الحاكم ذو السلطة المختصة من تنفيذه وممارسته .

ويقول المعارضون على القضاء البدوي أخيراً : أن دواعي الإنسانية والواجبات الدينية والقومية تقضي بتحضير البدوي وبتعويده على الأحكام الشرعية والقوانين المدنية ،

المطابقة للتقدم العلمي والأدبي بين البشر لا لإبعاده عنها وبإبقائه في حكم الجاهلية ، لأجل هذا أصبح من الواجب أن تصفى هذه (الشريعة البدوية أو الحقوق العرفية العشائرية) وتخفف غلوؤها إن لم يكن دفعة واحدة فتدريجياً وبقرارات وتعاليم خاصة ، تعدل دوراً بعد دور كي يتجه هؤلاء البدو نحو الصلاح ، ولا سيما أولئك الذين استقروا منهم وتحضروا وتملكوا وحرثوا وزرعوا ، وكي يرضخوا للأحكام الشرعية والقوانين المدنية وتحسم قضاياهم في المحاكم النظامية ، وترفع أيدي المشايخ والعوارف واللجان الخاصة حتى لا يكون هناك رجعة إلى الوراء ، وعودة إلى أساليب القرون الأولى في هذا القرن العشرين ، وكي تتخلص البلاد من تشنية القضاء من جعله في البادية على خلاف الحاضرة .

وقد سمع الفرنسيون هذه الاعتراضات الموجهة إلى القضاء البدوي ، فحصره في البدو الرحل وفي الموجودين في البادية فقط من نصف الرحل (نصف الحضر) ، وأتبعوا البقية إلى ما دعوه (قواعد الحق العادي) فقالوا في القرار الأخير الذي أصدره في ٤ حزيران سنة ١٩٤٠ م تحت رقم ١٣٢ ل ر فيا يتعلق بالجنايات والجناح التي يرتكبها البدو أن قواعد العرف العشائري تخضع إليها العشائر الرحل في علاقاتهم فيما بينهم سواء أكانوا في البادية أم في المعمورة ، وتخضع إليها العشائر نصف الرحل (نصف الحضر) إذا كانت موجودة في منطقة الرحل أي في البادية ، أما إذا كانت العشائر نصف الحضرية في المعمورة فإنها تخضع إلى قواعد الحق العادي كما تخضع إلى هذا الحق أيضاً العشائر الرحل في علاقاتها مع الحضر ونصف الحضر . لكنهم أجازوا مراجعة العرف العشائري إذا أراد المغدور ، ووضعوا في القضايا العائدة للرحل معاقبة الجناة بالسجن من سنة إلى خمس سنوات عدا العقوبات التي قد تفرض بمقتضى العرف .

بعد هذه المقدمة التي اضطررنا إلى إيرادها نشرح بسرد خلاصات عن كيفية المرافعة والجرائم التي تستدعي الحكم والحسم في الأمور الحقوقية والجنائية عند البدو ، ولا بد من القول أن هذه الخلاصات التي ذكرناها قد تختلف بعض الشيء من عشيرة إلى أخرى ومن منطقة إلى منطقة ما زالت التقاليد والعادات مختلفة أيضاً بحسب الأماكن والأوساط ، ونسبة العراقة في البداوة والبعد عن الحواضر والحضارة ، لهذا قد يكون في ما ذكرناه قواعد متباينة عما درجت عليه بعض العشائر نرغب شموله بسعة الفكر والصدر ، وإننا اعتمدنا في بعض ما بيناه على ما كتبه المرحوم السيد عودة القسوس أحد رجال القانون في

شرقي الأردن في مقالاته المندرجة في المجلة القضائية الأردنية سنة ١٩٣٦ م ، وقد كان حجة في موضوع القضاء البدوي .

المحاكمات الحقوقية لدى البدو :

يتقاضى البدو المتخاصمون عند رجال اختصوا بمعرفة (القضاء العشائري) وهؤلاء القضاة هم من شيوخ العشائر ورؤسائها ، امتازوا بتوقد الذهن وسرعة الخاطر وحياد الحكم ، وخبرة عميقة في العرف والعادات البدوية ، وفي فصل الخصومات ، وكشف حجج المتخاصمين ، وتمييز الحق من الباطل ، وفي قياس الدعوى الحاضرة على دعاوى سالفة مثيلتها ، كان غيرهم حلها حلاً مرضياً ، وبعض هؤلاء القضاء أناس من أفراد العشيرة شبه فقهاء يدعونهم (عارفة) من المعرفة ولو كانوا أميين كما هو حال أكثرهم . وفي عشائر أنحاء دمشق وحوارن والبلقاء لا يوجد عارفة ، والقاضي هو شيخ العشيرة ، والعارف اختصوا بعشائر الشمال ولا سيما أنحاء الفرات والجزيرة ، ويقول رؤساء شمر نحن الذين نصبنا عوارفنا واخترناهم من جهة أننا نظراً لأشغالنا لا تقدر أن نرى الخصومات بأنفسنا فأودعناها إلى من اعتدنا ، وبمرور الأيام صارت موروثه فيهم ، ولا يعتبر عارفة إلا من كان أبوه عارفة ، إذ يشاهد الدعوى من الصغر ويسمع بما يحكوا به ويتناقلونه ، وهو ينظر وعنده قلب واع ، وماذا بعد ذلك ؟

وللقاضي البدوي سلطة واسعة ونباهة قدر ، فإذا تكلم انقطع الحديث وباد الاعتراض وصمت المتخاصمون ، وكثيراً ما يحدث بعد الحكم اعتراضات ومجادلات ، غير أن القاضي يلبث بين تلك الأصوات الصاخبة ساكن الجأش هاديء البال ، وربما شطوا في الكلام ، ولكن لا ينتهي جدالهم إلى الشتم والإهانة لأنهم يكرمون بيت القاضي ويقدمونه ، وقد يطول الجدل بينهم والقاضي يتحمل جدلهم بصبر عجيب ، فلا تخرج من فمه كلمة نابية ، وللقضاة البدو منطق موزون ، وبيان مرغوب ، يخلبون به ألباب سامعيهم ، فيأتون بالتشابه البديعة ، ويضربون الأمثال ، ويوردون الحكايات عن ألسنة الحيوانات أو الجمادات ، مما يطرب له الحاضرون .

وأحكام القضاة والعارف واجبة التنفيذ فوراً ، إلا أنه إذا لم يرض أحد الفريقين بحكم القاضي له أن يعارض حكمه ويطلب أن يرجع إلى (المنهى) وإلى قاضي المناهي ، وهو

آخر محكمة أو بمثابة (محكمة التمييز) . وهؤلاء المناهي لا يختلفون عن أولئك إلا في أنهم أكثر شهرة وشأناً وإذا عارض المنهى الحكم السابق يشترط عليه أن يأتي بشهادة من قاضي آخر كان قد حكم بما خالفه .

حينما يترتب لبدوي حق ما (كالدين) عند آخر يمانعه في إعطائه إياه فإن صاحب الحق (الدائن) يرسل إلى المدعي عليه وفداً من سراة الناس يطلبون منه باسم موفدهم أن يخاصم صاحبهم في حضرة قاض يتفقان عليه وينتخبانه .

فإذا تمتع المدين يعاوده الدائن بإرسال وفد ثانٍ وقد يرسل وفداً ثالثاً ، والمقصود بذلك أن يبدأ الدائن مدينه بطلب حقه طلباً مجرداً حتى يعرف منه رأي خصمه في موضوع الدعوى ، فإذا أذعن المدعى عليه لمقترحات الوافدين ضرب للوفد ميعاداً في يوم بعينه ، ليجتمع فيه إليهم في بيت أحد الشيوخ وهذا ما يسمونه (الوجه) للاتفاق معهم على تعيين القاضي الذي سيختصم المدعيان إليه ، أما إذا رفض المدعي مقترحات غريمه التي حملها الوفد حول التقاضي يلجأ صاحب الحق إلى طريقة (الوساقة) إن كان قوياً ، وإلا فإنه يستجير بأحد الزعماء والأقوياء طالباً إليه أن ينوب عنه في إرغام خصمه على الرضوخ للحق فإن قبل المستجار به بعث إلى المدعى عليه وفداً يكلفه إلى مقاضاة دخيله ، فإن أصر على رفضه استعمل الزعيم قوته في إكراه المدعى عليه وذلك بالإغارة على ماشيته وأخذ ما يتيسر أخذه منها والاحتفاظ به إلى أن يذعن للطلب الواقع .

انتخاب القاضي :

يجتمع المدعي والمدعى عليه في اليوم المضروب للحضور في بيت الشيخ الذي سبق تعيينه ، ومع كل منهما رهط من ذويه ، ويشرعون في انتخاب القاضي فيسمى المدعى عليه شيخاً أو زعيماً ، من العشيرة التي ينتسب إليها المتدعيان إن كانا من عشيرة واحدة ، وإلا تنتخب من مشايخ أو زعماء عشيرة أخرى محايدة ، ثم يليه المدعي فيسمى شيخاً ثانياً ، ويعقبه المدعى عليه فيسمى ثالثاً ، ثم يسأل المجتمعون المدعي أن يسقط اسماً من الثلاثة ثم يسألون المدعى عليه مثل ذلك فيفعل ، ويكون صاحب الاسم الثالث هو القاضي الذي له حق الفصل بين المتخاصمين في القضية .

وإذا اختلفا في تعيين القاضي يرجعان إلى أحد القضاة الذين يدعونهم (المعتضة) ،
فينتخب لهم القاضي الذي من حقه أن ينظر إلى قضيتهم ويصدر حكمه فيها .

القضوة :

إذا اتفق المتداعيان وانتخبا أحد القضاة يراجعانه ويترافعان أمامه ، وهذا ما يدعونه
(قضوة) .

وطريقتها أن يدخل بيت الشيخ (القاضي) حينما يكون جالساً في صدره للقضاء ،
ومن حوله وجوه العشيرة ، وبعد شرب القهوة يقوم أحد المتخاصمين وهو المدعي ، ويجلس
في وسط البيت بين الحاضرين ويلتفت إلى القاضي ويقول ، وهو عندهم بمثابة الاستدعاء
يفتحون به الدعوى (وايش بك يا قاضينا ، ياللي حقتك تراضينا ، جيتك هدي ومشياً
قدي ، أفلح وصلي عالني - فيقول الجميع : الصلاة والسلام عليه - حظي وحظك يدخلان
على أربعة وأربعين نبي من الفوط والنوط والحق الردي ، وأنا داخل عالالم والعيال من
شيء مبين علي ، وعليك غبي ، وأنا حاحططلها بعيونك السود وربحك القعود وبالإمرأة
وما تحيب ونسافات العسيب) . ثم يذكر ما جرى معه بصوت جهوري ، بحيث يسمعه
الحضور من أطراف البيت ، ويورد البراهين في ذلك ، إلى أن ينتهي ويعود إلى مقامه
الأول ، فيقوم المدعى عليه ويجلس في وسط المجلس ويكرر المقدمة نفسها (وايش بك يا
قاضينا إلى آخر الديباجة التي أتينا على نصها بألفاظهم ولغتهم الدارجة في البادية ، ثم
يفصح عن أدلته) ولا أحد يعارضه في شيء ، والقاضي بين كل ذلك صامت لا يبيدي
كلمة ، وفي ختام ذلك يلتفت القاضي إلى المتخاصمين ، ويقول : أفلحوا وأصلحوا خير لكم ،
فإذا أبيا إلا إظهار الحق فيقول : قدموا الرزقة .

الرزقة :

الرزقة هي رسم المحاكمة الذي يدفعه أحد الخصمين للقاضي تقدر بربع قيمة ما يخاصم
عليه ، وقد يجري في هذا التقدير جدال طويل يدوم ساعات من أجل تعيين مقدار
الرزقة ، إن نقوداً أو عروضاً كفرس مثلاً أو سيف أو بعير ، وربما لم يقبل بها القاضي ،

فيرفض الحكم إلى أن يستحسن ما يقدر له ، والرزقة أنواع كثيرة ، منها رزقة المبطل ومنها رزقة الحق ، فرزقة المبطل هي التي يدفعها المجرم أو المفتري للقاضي ، ويستثنى من ذلك دعاوى الدم والعرض والوجه والدخالة ، ورزقة الحق هي التي يدفعها صاحب الحق ، وإذا استأنف المحكوم عليه دعواه إلى قاض أكبر وحكم له بالحق وكان قبل ذلك قد دفع رزقات عديدة يردها له المحكوم عليه ، لأن المستأنف الكاسب حقاً بجميع الرزقات التي يكون قد دفعها للقضاة من قبل^(١) .

الكفلاء :

بعد أن يتفق الخصمان على الرزقة يجب عليها أن يقدم كل واحد كفيلاً ، يتعهد أمام الشهود بدفع الرزقة إذا أبى الآخر تقديمها ، فيقولون : (ترى يا شيخ فلان هذه المسألة في وجه فلان) أي أنه يتعهد بدفعها أو يحمل المتخاصمين على دفعها ، ويقول القاضي للكفيل : (عندك الشيء الفلاني ؟) فيجيب (عندي ما تطلب ، وحق الله ورسوله أي ما أبوق) أي : لا أخون العهد .

وأينا أن الكفيل نوعان : غائب وحاضر ، فالغائب هو الذي لا يحضر مجلس القضاء حينما ترفع الدعوى فيختاره الحاضرون والقاضي لإنفاذ الأمر ، والحاضر هو القائم بين الحضور في أثناء الدعوى ، على أن لكل منهما واجبات خاصة تختلف عن واجبات الآخر ،

(١) في كتاب المقدم مولر أن العوارف المصادق عليهم هم ابن سعدي من شمر ، وابن الطيار من الولد علي ، وابن سويط من الظفير في العراق ، أما الأمير مجحم بن مهيد رئيس قسم الولد من الفدعان فهو أكبر العوارف ، ومن العوارف الخصوصيين في قضايا الدم الأمير مجحم وقريبه ابن زرعة ، ثم ابن البجلي من الأرولة ، ومحمود العبد القادر من بني خالد ، وفي قضايا الخيل والمواشي محمد الصايد من الأسبعة ، وابن جروان من الأسبعة الأعرف ، وكذا ابن موينع وفانوس وهو حضري من دير الزور وأخصائي في قضايا الخيل ، ومثله جابر من العقيدات وابن علي من آل حرييس وغيرهم . وفي كتاب عشائر العراق أن عوارف عشائر عزة هم في (ضنابشر) ابن زرعة من المهيد ، وابن هيازع من الحبلان ، ويرى كافة الدعاوي ما عدا حقوق النساء وقضايا الخيل ، ويقال لهذه المكندات (المقلدات) ، وابن جلعود من الجلاعيد الدهامشة والسحالي من المطارفة من السلقه ، وهذا يرى المقلدات ، وابن عبده من الرسالين من الأسبعة والجعيب من الزينة ، وفي (ضنابسر) ابن الطيار وابن جندل وابن معجل وابن كويجب من الكواجبة ، وكيان بن دغمي رئيس المهنا ، وموينع رئيس النصير ، وبشيشان بن بنه وعويضة الأخضع رئيس الفرجة ، والققعاق من الأرولة والأان مونس وشاجي من رؤسائهم .

فالغائب مضطر إلى قبول الكفالة ، والحاضر له الخيار في قبولها أو رفضها ، ولا بد للكفيل من صفات ، أخصها أن يكون معروفاً بين العشيرة بصدقه واقتداره على الدفع .

والذين يحرّمون حق الكفالة هم النساء في جميع العشائر ، إلا عند عشائر النصارى في شرقي الأردن ، ويحرّمون شهود الزور والجبناء والحائنين وهاربي الثلاثة ، والشيخ البخيل والعبيد الذين لم يعتقوا ، والمعتادون على الفواحش والمنكرات ، وغدوا يطمحون إلى النساء يطردون من العشيرة ويحرّمون كل الحقوق ، هؤلاء كلهم مردولون عند البدو لا يقبلون في مجالس الكرام ، ولا يشربون القهوة في بيوت الرؤساء ، ولا تقبل لهم شهادة ، وإذا جلس أحدهم في هذه المجالس صب له الشيخ القهوة ، وبينما هو يرفع الفنجان إلى فيه ينزعه الشيخ بعنف منه ويهرق القهوة على التراب ، ويقول : أنت لا تستحق القهوة ولا لك مقعد بين الرجال .

الشهود في الدعاوى :

بعد تعيين الكفيل يتجه القاضي نحو المدعي ويقول له : يا فلان إذا كان عندك شاهد لا يكذب ، ولا يوجد عليه اعتراض ، فليتقدم وليشهد ، فيجيب : عندي يا قاضي العرب فلان وفلان وفلان . فليتفت القاضي إلى أكبر الحاضرين ويسأله : وايش تقول يا شيخ عن فلان ؟ فإن كان مقبول الشهادة يقول : والله إنه مقبول الشهادة ، ما أنا خابر عليه الذرب الذي يذربه عن الشهادة ، وإن كان مرفوض الشهادة يقول : والله إنه غير مقبول .

وقد تقع الخصومات في اختيار الشاهد ، فمنهم من يرفضه ومنهم من يقبله ، ويطول الكلام بينهم إلى حد يسأم منه الحاضرون ، إلى أن يقر رأيهم على شاهدين ، فيقفان ويقسمان القسم البدوي ، فيقول كل واحد على حدة (والله العظيم والرب الكريم ، وحياة العود والرب المعبود ، والكاذب ما له مولود ، لا غيظ شافيه ولا طمع راجيه إلا حق الله من رقبتي مؤديه ، إن هذا الرجل قد فعل كيت وكيت ، وهم يقصدون بالعود كل نبات من السنبلة الصغيرة إلى الشجرة العظيمة ، وبكلمة لا غيظ شافيه ولا طمع راجيه أي أنه لا يحلف لأخذ الثأر بل لإظهار الحق ، ولا يحلف لأجل المال ، وللشاهد حق في طلب هدية ما ، إذ لا بد له من القسم ، والبدو كما سنذكره في بحث القسم ، يرهبون القسم ولو كانوا

صادقين في كلامهم ، فلذلك يقدمون للشاهد هدية بدوية كسيف أو عباءة وغير ذلك ، ونصاب الشهادة في الأمور العادية رجلاً ، وفي الهامة جداً أربعة ، وتقدير الفرق بين العادية والهامة يعود إلى القاضي .

الحكم :

بعد أن تنتهي المحاكمة ينطق القاضي بأمثال يبين فيها أحكام القضاة من قبله ، في أمور جرت من عهد قديم ، فيروي حكايات واقعية أو خيالية ، يذكر فيها الحكم بمبهم الكلام ، وربما أتى بأمثال عن الحيوانات تنطبق على الأمر الواقع ، حتى يدرك الحاضرون الحكم المراد قبل أن ينطق به ، وأخيراً يفوه بالحكم القاطع بقوله : (أنا من عندي ومن عند القضاة الذين قبلي ، ومن عند أجاويد الله مثلكم أن فلاناً هو المجرم وفلاناً هو البريء) ويورد في ذلك الأدلة والبراهين والأسناد كي لا يبقى في الأمر ريب ، وهنا ينتهي الحكم فيقوم الحاضرون وينصرفون إلى بيوتهم ، وهم يرددون الحكم المبرم ، وخلال المحاكمة يسود السكون بين الحاضرين ولو بلغ عددهم المئة ، فما منهم من ينسب بينت شفة إذا لم يطلب منه الشيخ ذلك ، وكل الحالات والقضايا الحقوقية تعالج على هذا النسق ، كمسائل الإرث والطلاق ، وقسمة الغنائم والشركات . إلخ ...

ويخول العرف البدوي المدعى عليه رفض الشهود وتحليف المدعي اليمين ، فيكلف القاضي المدعي ، فإذا حلف كسب الدعوى ، وإذا رفض سقطت دعواه وحكم القاضي بردها ، ويعنعه من معارضة المدعى عليه ، وكذلك إذا عجز المدعي عن إثبات دعواه يكلف القاضي المدعى عليه أن يحلف اليمين على الصورة التي يرسمها له القاضي ، فإذا حلف أو استنكف المدعي عن تحليفه حكم القاضي برد دعوى المدعي ومنعه من معارضة المدعى عليه .

الحلف أو القسم :

القسم من أرباب الأمور عند البدو وأقدسها ولا يقدمون عليه إلا مضطرين ، لأن البدوي لسذاجته تملك قلبه الخيالات المختلفة والتصورات المربعة ، لذلك يتجنب الحلف ولو كان به صادقاً ويهاب اتخاذ المولى الكريم أو أحد أوليائه وأنبيائه شاهداً على صحة قوله ولو كان من قطاع الطريق .

والقسم عند البدو أنواع مختلفة : منه ما يسمونه القسم الجاري أو القسم الصغير ، ومنه قسم اليد ، والقسم الكبير ، ومنه قسم العشبة ، ومنه قسم النلة والشملة . ففي القسم الصغير ، يقوم الشيخ وسط البيت ويقول : أقسم عليك بالله وبصلاة محمد هل فعلت الأمر الفلاني ، فيقول : والله وصلاة محمد لم أفعل ، وفي قسم اليد ، يضع الحلف يده على رأس الحلف ويقول : أناشدك الله بما تحوش وتنوش - أي : بما تملك في هذه الدنيا فإذا صدقت في جوابك يبقى لك مالك وإذا كذبت يهلك جميعه - مجلابات الحليب - هي الغنم والنوق والمعزي وأمثالها - ونسافات العسيب - هي عتاق الخيل ، والعسيب ذنب الفرس - وبالنساء وما تجيب ، داخل عليك ، وعلى المال والعيال من الحل والاستحلال - أي أنني أرجوك بحق أسرتك وأولادك أن لا تتكلم بالغش - اليوم بين عينيك وبأكر بين متنيك - أي : أنك تراني اليوم وغداً ستحملني على النعش وأقف أنا وأنت أمام الديان العظيم - بغيبة علي وبينة عليك - أي : الشيء المكتوم والشيء الجلي - أن أطلعته تسرك وإن خيبتها تضرك أما صار كذا وكذا ، فيجيب : إي بالله ورسوله صار كذا وكذا . أو لا بالله ورسوله ما صار ذلك .

ويقولون أيضاً في أقسامهم : أنا حاضر بحضارك وموقد نارك ، أما صار كيت وكيت . ويقولون في حلف العشبة : بحق هذه العشبة الملوية والكاذب ماله ذرية . ولهم قسم عظيم يسمى قسم النلة والشملة ودونكم وصفه . حينما يكون البدو وكبرائهم ملتئين في الربة ، وقد طال الجدال بين الفريقين على أرض أو فرس أو غير ذلك ، يقوم صاحب البيت ويخرج من مجلسه إلى خارج البيت ، ثم ينتضي سيفاً ويخط به دائرة كبيرة ويضع في وسط الدائرة حبة حنطة وغللة . فالحنطة تدل عند البدو على أكرم ما خلق الله تعالى ، والنملة تمثل الحكمة والفطنة والإدراك ويمدون السيف في منتصف الدائرة ، فيدخل المتهم في وسطها ، ويضع يده على نصاب السيف ، ويقسم قائلاً : والله العظيم والسيف الكريم ما فعلت الشر ولا سرقت ولا قتلت إلخ ... وقبل أن يدخل في وسط الدائرة ، ينزعون عنه كل أسلحته ، وهو كثيراً ما يرجف رعدة وهيبة ، وربما نكل عن الحلف وأقر بما فعل .

والحلف بالمقامات عند البدو يعد عندهم من الإيمانات المغلظة ، وربما أقسم البدوي الله مراراً عديدة ، وأبى أن يقسم بالأولياء والمزارات المقدسة المعلومة لديه ، وكثيراً ما يصير

التحليف على قبر أحد الأولياء المشهورين بجهاتهم ، وطالب اليمين عندما يتأكد عزم الآخر على الحلف يعفيه على الأغلب من اليمين ، لأن البدو أجمع يتشاءمون من الحلف والتحليف ، ويقولون (ياويل حالف وتحلف) ، ولذلك لا يجوز عمل الخطبة والتحليف فيها في مراح العشيرة ، أي بين دائرة المضارب ، بل يجب أن تكون خلف المضارب مهما أمكن وفي مكان بعيد ، وكثير من القضاة يرسل المقرر تحليفهم إلى محل آخر بعيد عن أعرابه ، ليحلفهم فيه بناء على السبب المذكور ، ولا يجوز عندهم تحليف أحد الخصمين إذا كان المنازع عليه من الكسب والغنائم ، ومن حلف لاتتوجه عليه مطالبة ويبرأ من الدية ، وفي الغالب لا يحلف البدوي إذا كان قاتلاً أو فاعلاً ، وهو يخشى أن يصاب بأذى في أهله أو ماله إذا حلف كاذباً .

البيع :

لا يتم البيع إلا بالعقد والتسليم معاً ، ولا يكون العقد ملزماً لأحد الطرفين ، ولذلك حينما يبيع أحد الناس مالاً غير منقول ، فإنه يتم البيع بعد المساومة عليه بين البائع والشاري والاتفاق على الثمن وتسليم المبيع للمشتري ، وتجاوز الشفعة في بيع الأموال غير المنقولة والجياذ من الخيل ، والشفيع في الدرجة الأولى : الأقارب ثم الشركاء ثم الجيران ، ومن العوائد أن يذكر المتعاقدان في الشروط ، حالة البيوع الحاضرة ، ويجب على البائع أن يعرف حالة المبيع ، ويقول : إنني أبيعك هذا المال في جميع العيوب ، فإذا وافق المشتري واستلم البيع على هذا الشرط لا يحق له الرجوع مهما ظهر من العيوب في المبيع ، وإذا قال بعتك (صاغ سليم) أي خالي من العيوب ، وظهر بعد أن المبيع معيباً ، وتبين أن العيب قديم يحكم برده على البائع ، وظهور ذلك يتوقف على البيّنات ، وبفقدانها يحلف المشتري بأن العيب لم يحدث عنده .

الشفعة :

الشفعة ويدعونها (البداية) تشمل كل شيء من الأموال المنقولة وغير المنقولة ، والحق الأول فيها إلى أقارب البائع ثم إلى المجاور ، وحق الشفعة يتناول حتى الزواج ، ويدعونها (النهوة) وهو إنذار الأقارب لطالب الزواج ومنعهم إياه . ولذلك إذا تقدم خاطب غريب إلى إحدى بنات العشيرة فإن للأقارب حق النهوة والشفعة بنسبة درجات القرابة ،

وإذا لم يظهر طالب من الأقارب فالحق لأفراد العشيرة ، فإذا لم يظهر من هؤلاء طالب فلأفراد أقرب عشيرة موالية لتلك العشيرة ، والأصول في طلب الشفعة هو أن يعلن الشفيع حالاً عند سماعه بعقد البيع أو الخطبة أنه أولى بتملك المبيع أو بزواج الخطوبة ، ويشهد الحضور على إعلان هذا ، ثم يجب عليه بالحال أن يحمل الثمن الذي علم بدفعه من قبل المشتري نقداً كان أم عروضاً أم ماشية ويتوجه إلى محل المشتري ويعيد إليه الثمن الذي دفعه ، معلناً له أنه أبدي . أي : أولى منه بشراء المبيع أو بخطبة الخطوبة ، لأنه قريب البائع من الدرجة الأولى أو جار للعقار أو خليط أو شريك ، ولا ريب في أن الخليط أو الشريك أولى من الجار الملاصق ، فإذا قبل المشتري وعدل عن المبيع قضي الأمر ، وإن رفض يلجأ الشفيع لجلبه إلى القضاء بالأساليب المار ذكرها ، وإذا كانت الحالة تقتضي اتخاذ الاحتياطات السريعة مثلاً لو كان الخاطب قد شرع بإتمام الزواج ، فللشفيع أن (يجير) الخطوبة من الزواج على أحد المتنفذين بقوله أمام شهود : إنني أجير فلانة من الزواج على الشيخ فلان نتيجة دعوي ، وهذا القول يكون بمثابة الحجز الاحتياطي ، إذ يصبح الحجز أي المتنفذ الذي انتدبه المدعي وأجار البنت به من الزواج ، ملزماً بتنفيذ الحجز الاحتياطي ، ولو كان الحجز غائباً عند إعلان المدعي حيرة البنت ، فعلى الخاطب أن يتوقف عن الزواج حرمة لحيرة ذلك المتنفذ ، فإن لم يفعل عرض نفسه لغرامة كبيرة يدفعها إلى ذلك المتنفذ الحجز إذ يحق له أن يطالب الخاطب عنها بأربعة بنات لقاء الغرامة ، وكثيراً ما قضى بذلك قضاة البدو ، ولا سيما أنه لا ينظر في الزواج إلى رضا العروس من عدمه .

الميراث :

ليس للميراث قاعدة عند البدو ، وهم لا يعملون في تقسيم الإرث بالقاعدة الشرعية ولا بالقوانين المدنية ، بل لهم في ذلك اصطلاحات خاصة تتركز على قاعدة حرمان الإناث من التركة ، بل هم يعتبرون البنات من جملة التركة التي تقسم بين الورثة ، وغالباً تقسم التركة على الصورة الآتية : (توفي) عن أولاد ذكور وإناث وزوجة ووالدة وأخوة فالميراث ينحصر بالأولاد الذكور ، (توفي) عن بنات وزوجة وأخوة وأعمام فجميع الميراث محصور بالأخوة بشرط أن يقوموا بنفقة والد المتوفى وزوجته مالم يتزوجن بآخر ، وعند زواجهن

لا يبقى لمن أدنى علاقة بتركة المتوفى ، وعلى الأخوة أن ينفقوا أيضاً على بنات المتوفى حتى يزوجهن ويستوفوا مهرهن ، وإذا كان للمتوفى أخوة قد توفوا قبله عن أولاد ، فيقوم الذكور من أولادهم مقامهم بجميع مآذكر (توفي) عن والد وأخوة فالإيراث جميعه يحصر بالوالد ، وإذا (توفي) عن والد وأولاد ذكور وإناث وعن أخوة ، ومن ثم توفي والده فليس لأولاده أن يشتركوا بإرث والدهم ولا أن يقوموا مقامه ، (توفي) ولم يكن له أب أو أولاد ذكور ولا أخوة ذكور فينتقل حق الإرث إلى أعمامه وأولادهم وإذا لم يكن له أعمام وأولاد أعمام ، فللعصبة الأقرب فالأقرب ، إذا (توفيت) امرأة بدون أولاد ذكور كان الوارثون لها إخوتها أو أولادهم ومن بعدهم أقرب عصبة من الذكور .

الوثيقة (الوسقة) :

هي الطريقة للوصول إلى المال المغصوب أو المسروق ، فكل شخص يكون له غريم (مديون) يعسر عليه تحصيل دينه منه ، أو كل من يكون قد سلبه شخص وعجز المسلوب عن استرداد أشياءه المسروقة ، أو عندما يرفض المدعى عليه طلب المدعي مقاضاته ، فإن هذا المدعي أو مجيره يعمدان إلى مصادرة أموال المدعى عليه (بضاعة ، ماشية ، إلخ ..) العائدة إلى أي فرد من الأسرة أو العشيرة التي ينتسب إليها ذلك الغريم العاجز أو المتنعم عن الأداء ، وهي طريقة مخالفة للشرع ، فقد صرحت الآية : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

وقد نشأت هذه الطريقة من كون أفراد العشيرة أو الأسرة متكاتفين ، وهم وإن لم يشتركوا في تلك الجريمة ، متضامنون في الخير والشر ، يلبون عند الاستصراخ ويحييون ، عندما يندبهم دون أن يسألوا أخاهم على ما قال برهانا ، والوسقة يطالب بها لحد خمسة جدد ، ولا يواخذ من هو أبعد ، وحينما يحصل صاحب الحق على أي شيء مما يصلح لاستيفاء الحق ممن تمكن سواء من السارق أو من غيره من أقاربه ، يودعه فوراً عند أحد أفراد عشيرة المطالب ، ممن هو فوق الجد الخامس ويضعه في جبرته ويدعوه إلى إيصاله إليه فيكون هذا ملزماً بذلك ، وما يلحظ أن الوسقة من أكبر دواعي النزاع بين العشائر والفرق والأسر ، لأن الشخص الثالث الذي يرغب الدائن تطبيق حق الوسقة عليه يحتج وكثيراً ما يدافع بالسلاح .

وإذا وقع قتل يحدث الشر ، وتنجم معارك حقيقية من جراء تنفيذ حق الوسقة ، وفي المعاهدة التي عقدت بين الحورانيين والدروز في سنة ١٩٢١ م ألغي حق الوسقة ، كما أن المحاكم العشائرية في شرقي الأردن - على ما علمت - صارت ترفض سماع دعاوى الوسقة .

الحشم (نسبة إحدى النقائص) :

ليس للشم العادي أهمية إذا لم ينشأ عن ذلك شجار يؤدي إلى الضرب أو الجرح ، وإذا بقي الأمر مقصوراً على الشتم أو التحقير البسيط ، ينتهي عادة بالصلح أو الاعتذار . أما إذا كان الشتم قبيحاً أو وصم أحدهم آخر بعبء علناً وبمواجهته ، كالسرقة والشرذ من القتال ، أو قذف بحقه عبارات تثلّم الشرف والعرض ، أو يكون قد نهى عن امرأة يريد التزوج بها من أقاربه فلم يلتفت إلى نهيه ، كان للمعتدى عليه الحق بأن يطلب المعتدي للمحاكمة عند القاضي ، وأن يحكم عليه بتضمينات كبيرة ، وأن يجبره على تقديم الاعتذار ، برفع راية بيضاء بين مضارب العشيرة ، وهذا الحق يدعي (الحشم) فإذا ترتب على المعتدى عليه وجب فصله ، فإن أبى عرض نفسه لخطر العقر وهو أن يقتل المعتدى عليه حيوانات المعتدي ، أو يقطع قوائم إبله وأطناب بيته بثلاث هجمات متعاقبة ، وهذا العقر يعدونه انتصاراً للإهانة اللاحقة .

البشعة :

هي تلحيس النار المتهم ، أعني عندما تنفذ جميع الأدلة الثبوتية لإظهار المجرم ، يقرر القاضي إرسال المتهم إلى رجل من أهل الطرق الصوفية كالرفاعية وأمثالهم يدعون (المبعش) . وهذا الرجل يأتي بقضيب عريض من الحديد ويحميه بالنار بحضور المدعي أو وكيله حتى يبلغ أقصى حد من الحرارة ويمسح به لسان المتهم بكل سرعة ولباقة ، ثم يناوله في الحال شربة ماء ، فإذا حصل ضرر في لسانه أعلن المبعش أن لاحس النار مجرم ، وإن لم يحصل ضرر يعلن براءته ، وحينئذ يرفع من تبرأ راية بيضاء وينادي قائلاً (بيض الله وجه المبعش وبيض الله وجه الكفيل) وهو يعني كفيل المحاكمة . وهذه البشعة من أغرب الأعمال وأوحشها وأبعدها عن العقل والشرع ، وقد جرت مرة في الكرك (شرقي الأردن) أمام أحد الأجانب ، فرفع آلة التصوير وصورها وبعث بها إلى صحف بلاده لنشرها وتشويه سمعة الأمة العربية بها . فحبذا الإعراض عنها بتاتاً .

الحقوق الجزائية لدى البدو

الانتقام في البادية :

الانتقام أو أخذ الثأر عند الأعراب من العوائد الشريفة يقيمون له وزناً رفيعاً ، ويعدونه من الفرائض التي لا يسعهم إهمالها ولو طال عهدها . وما كان يعرف عن أعراب الجاهلية في هذا الصدد - وقد ذكرناه في الصحيفة ١٤١ - ينطبق على أعراب زماننا ، ومن المأثور عنهم أن البدوي يأخذ ثأره بعد أربعين سنة ويقول إنني تعجلت أخذه ، لأن الضغينة تبقى كامنة في صدورهم كالنار تحت الرماد ، وهم إذا راجعوا قضاتهم وأخذوا حكماً على غرمائهم ، قد لا يعجبهم الحكم فيرون ظلمهم بدم الغرماء ويثأرون بأيديهم ، وهم ينتظرون بصبر عجيب الفرصة المواتية لنيل أمانيتهم ، ويقدمون على جريمتهم هذه بنفس هادئة وإنشراح كبير ، وعندهم النفس بالنفس ، والسن بالسن ، والعين بالعين ، أي أنهم يعتدون على الغريم بمثل ما اعتدى عليهم ، ومن تأمل في هذه السنة من أهل الحضارة استنكرها بادية ذي بدء ، ولكن العارفين بشؤون البادية والعاشرين لأهلها يقولون : أن لولا وجود هذه السنة عند البدو لغدت البادية دار حرب مستمرة ، لأن سنة الدم بالدم ، تصد المجرمين والأشرار عن جرائم كبرى ، والبدو يتجنبون القتل حتى في الغارات والغزوات ، ما وسعهم الإمكان لثلا تنزل بهم الضربات الهائلة التي تأمر بها شريعة الانتقام ، وهذه الشريعة تجعل البيداء في أمن وسلام ، يسافر فيها المرء غير خائف من صولة أشرار البدو وإن سلبوه ماله ، ولذلك يندر القتل في البادية ، والبدوي لا يهدر دم المسافرين خوفاً من العقاب ، بل يسلبهم ثيابهم وأموالهم ودوابهم ، وشأن البدوي شأن معظم البشر عبد القوة لا يحاذر غيرها ، ولطالما كان الجنود من أبناء بلاد الشام أيام كانوا يفرون على عهد الترك من الين والحجاز ، ويقطعون جزيرة العرب من الجنوب إلى الشمال مشياً يطيل البدو عليهم أيدي الاعتداء تارةً ، ويكسونهم ويطعمونهم تارةً أخرى ، وهكذا كان الفار يعرى ويكتسى مراراً حتى يصل إلى وطنه ، على أن عواطف الشفقة والحلم غير

يسيرة عندهم ، تتغلب فيهم ميراث عديدة على حب الانتقام وتحملهم على الصفح ، وفي كتب التاريخ والأدب القديمة حكايات وفيرة تشير إلى شهامة أنفسهم وكرم خلقهم ، ولا يزال يقع في أيامنا حوادث كثيرة من هذا القبيل ، فمنهم من أكرم قاتل أبيه أو خاطف ابنته أو حارق بيادره ، ومنهم من يكونون في أشد سورة الغضب ، فيقوم شيخ وقور بينهم يحاجزهم ، ويوادعهم ، ويصلح ذات بينهم ، فيزول كل شيء ، وبمثل هؤلاء الشيوخ والمصلحين ، وبفضل تودتهم وحكمتهم تسكن الغلواء في البادية في الغالب ، ويسود السلام والاطمئنان .

الرزقة :

في القضايا الجزائية يأخذ القاضي قسمته من الرايح ، وذلك أنه إذا كان الرايح المدعي يدفع قيمته الرزقة مما حكم له به في التضمنات والغرامة ، وإذا كان الرايح المدعى عليه يكون دفع الرزقة بمثابة رسم براءته من التهمة .

أنواع الجنايات :

أنواع الجنايات لدى قضاة البدو :

- ١ - القتل : مهما كان أنواعه وتعطيل العضو .
- ٢ - الزنا : مهما كانت أنواعه ولو كان بالرضا وخطف البنات أو النساء .
- ٣ - قطع الجيرة : أي التجاوز على المحجوز عليه بدخالة زعيم ما .
- ٤ - التجاوز على الدخيل : أي المستجير .
- ٥ - التجاوز على رفيق الطريق .
- ٦ - تقطيع الوجه : أي التجاوز على الخصم ، بعد أن تم بينهم عقد الصلح ، أو عقد الهدنة بكفالة آخر .
- ٧ - التجاوز على الضيف .
- ٨ - التجاوز على الطنيب .
- ٩ - التجاوز على الناصي : الذي قدم من ديار بعيدة ، وأعلن أنه قادم على زيد من الناس .

القتل :

لا يكون القتل عند البدو موضوعاً للمحاكمة إذا كان فاعله غير معلوم لدى الجمهور ، أما إذا كان القاتل معلوماً عمد ذووه إلى ما لهم من الحقوق على الوجه الآتي : إذا قتل شخص آخر كلاهما من عشيرة واحدة ، يثور أقارب المقتول ويهاجموا فرقة القتاتل ، وإذا صادفوا من يجمع بقرابته مع القتاتل حتى الدرجة الخامسة بالنسبة للجد الجامع بينهم ، سواء أكانت قرابتهم مع القتاتل بالخط المستقيم أو الخط المنكسر ، يقتلونه ثأراً لقتيلهم ، وإن لم يتمكنوا من أخذ الثأر ، فلهم أن يتلفوا أو يخربوا ما تصل إليه أيديهم من أموال منقولة أو غير منقولة ، تخص القتاتل وأقاربه حتى الدرجة الخامسة ، وذلك في غضون ثلاثة أيام وثلاث اعتباراً من ساعة القتل ، وبعد مرور هذه المدة لا يحق لهم أن يتلفوا شيئاً من مال القتاتل ، ما لم يترد القتاتل وذووه عن الانصياع لأصول العشائر فيما يتعلق بالدم ، ومن المعتاد عند وقوع قتل أحد الناس ، أن يسارع رجال إحدى العشائر المجاورة لحماية أموال القتاتل وأقاربه ، من تجاوز ذوي المقتول ضمن المدة المنوه عنها ، وهذه المدة أي الثلاثة أيام وثلاث يسمونها (فورة الدم) وكثيراً ما يتدارك عقلاء المشايخ الأمور ، بحضورهم دفن القتيل وإسداء النصح لآله ، وتخفيف غلواء صدورهم ، لأن حماسهم في ذلك الحين يكون بالغاً أشده ، ومن المعتاد أن يحتشدوا ، ويزحم بعضهم بعضاً وهم مسلحون ، ويهزجون الأهازيج الحماسية ، ويسيرون خبياً ، قاصدين مهاجمة فرقة القتاتل ، وقد يدفعهم الحماس للخطأ بآخرين ، ثم يجتهد عقلاء المشايخ المحايدون للتوسط بعقد هدنة لمدة فورة الدم المذكورة ، وتدعى هذه الهدنة القصيرة (عطوة المهربات المقربات) أي هدنة تكفي لتهديب القريب . والعطوة تكون مؤيدة بكفالة أحد الزعماء ، حيث يذهب الوسطاء ويبلغون ذلك إلى أقارب القتاتل ، حتى يتمكنوا من الرحيل من وجه أقارب المقتول ، ويساعد الوسطاء وغيرهم من المحايدون أقارب القتاتل على سرعة الرحيل ، خلال مدة العطوة .

وبعدئذ يتحتم على أقارب القتاتل حتى الدرجة الخامسة أن يجلوا ، أي أن يرحلوا ببيوتهم ومواشيهم وأثاثهم عند إحدى العشائر المحابية لعشيرتهم ، أي التي يربطها اتفاق حسن الجوار معها ، ولا يجوز لهم أن ينزلوا عند عشيرة أخرى ، تدخل تحت علم شيخ

عشيرتهم ، وبعد أن يتكامل نزولهم يرسلون ويطلبون من مشايخ العشائر الأخرى التواسط مع فرقة المقتول ليقبلوا منهم (المعادد) أي تنسيب درجة القرابة والنسب بينهم وبين القاتل ، فيهتم الشيخ الذي كلف بهذه الوساطة ، ويراجع أقارب المقتول ، ويطلب منهم أن يعينوا موعداً للاجتماع لبيان درجات أنساب أقرباء القاتل حتى يطبق بحق كل فرد من ذوي القاتل ، بحسب درجة قرابته ما يتوجب عليهم ، وفقاً لأصول العشائر ، وفي اليوم المعين يصير الاجتماع ، ويأتي الشيخ الوسيط بشخص خبير في نسب فرقة القاتل يسمونه (العداد) ، فيجلس بين المجتمعين ، وبعد أن يحلفوه اليمين بأنه يقول الحقيقة ، يأخذ بيده اليمنى خنجرًا مسلولاً ويقبض على نصابه بكامل يده ، وبيتيه بذكر أنساب القاتل درجة درجة اعتباراً من الجد الجامع ، حتى يعرف أبعاد كل واحد منهم عنه ، وهم يزعمون بالقبض على الخنجر المسلول بأن ذوي الدم قابضون على خنجر الانتقام ، قاصدون ذبح من يسوغ قتله من أقارب القاتل ، وأن أصابع اليد تمثل درجات القرابة ، باعتبار أن من كان قابضاً على الخنجر المسلول يمكنه الذبح ، وعند رفع أحد الأصابع تنقص قوة اليد ، وهكذا دواليك حتى ارتفاع آخر أصبع حيث يسقط الخنجر من اليد ، فعندما يكون أحد أقارب القاتل بعيداً عنه في الدرجة الأولى يرفع العداد أصبع الخنجر عن الخنجر ويعلن بأن هذا الشخص يمكن ذبحه ، ويجب أن يبقى بعيداً عن أقارب المقتول ، ثم يرفع أصبع البنصر ويعلن أيضاً أن فلاناً القريب من القاتل بالدرجة الثانية يمكن ذبحه أيضاً بالخنجر المقبوض عليه بثلاثة أصابع ، ثم يرفع الأصبع الأوسط ويعلن أن فلاناً الذي في الدرجة الثالثة يمكن ذبحه أيضاً بالخنجر المقبوض بأصبعين ، وعلى كل أولئك أن يبقوا في الحلي (المهجر) بعيدين عن وجه ذوي المقتول ، ثم يرفع السبابة ، فيبقى الخنجر يمسه الباهم مع جانب الكف حيث لا يبقى إمكان للذبح فيه ، إنما يمكن أن يخرج من يصيبه ولو جروحاً خفيفة ، عندئذ يعلن العداد بأن فلاناً الذي في الدرجة الرابعة لا يمكن ذبحه بل يتوجب عليه أن يتقي أضرار الخنجر التي بالإمكان نهشه بها و (أن يدفع بعير النوم وينام) أي أن يدفع لذوي المقتول بعير ثني قيمته خمسة قرش ، ويرجع من المجلس ، وينزل بين عشيرته وبعد كل ذلك يرفع الباهم لأن جميع الأصابع تخلت عنه ، فيعلن العداد أن فلاناً الذي في الدرجة الخامسة وقع عنه الخنجر ولا يؤذيه بشكل ما ، ولذلك يحق له أن يرجع من المجلس ، وينزل بين عشيرته من غير غرامة ، إلا أنه عند وقوع الصلح يكلف بدفع

ما يصيبه من الدية ، ثم يعلن نسبة أقارب القاتل مع أقاربه وعددهم ، ويكون تنفيذ ما يترتب على كل منهم وعلى فرقة المقتول من الحقوق ، مضموناً بكفالة أحد الرؤساء .

وبعد الانتهاء من ذلك ، يتوسط مشايخ العشائر الأخرى ، لأخذ عطوة عمومية بين الطرفين ، فيذهب هؤلاء وينزلون في بيت أهل المقتول (جاهة) أي ملتسين ، وهناك يرفضون أن يتناولوا القهوة والطعام حتى يلبي طلبهم ، ويعطوا مبتغاهم ، وهو عطوة تشل القاتل وجميع أقاربه ، ومن ثم تعين لهذه الهدنة شروط وحدود تربط بكفالة أحد المتنفذين من العشيرة المنسوب إليها القتل ، وعندها يصبح القاتل وأقاربه بمأمن على أنفسهم وعلى أموالهم ، بشرط أن لا يتجاوز الشروط والحدود التي تعينت عند الهدنة ، وبأثناء هذه الهدنة ، يسعى المصلحون لإقناع أقارب المقتول على قبول المصالحة ، فإذا تمكنوا من إقناعهم على الصلح طلبوا منهم بواسطة - جاهة - أخرى تتألف من عدة مشايخ (عطوة إقبال) ، وعندما يعطى أقارب المقتول عطوة الإقبال هذه ، يكونوا أسقطوا حقهم بأخذ الثأر ، ولا يبقى لهم أي حق إلا أخذ الدية ، وإذا تعسر إقناع أقارب المقتول بقبول الصلح ، يذهب إليهم بعض المشايخ ، ويجددون العطوة مرات متعددة ، حتى يتمكنوا من إقناعهم بقبول الصلح وإعطاء (عطوة الإقبال) وهي تعني الهدنة التي يسعى في غضون أقارب القاتل ، لإقناع أهل المقتول بالصلح ، وقد جرت العادة بأن يدفع رسم على هذه العطوة ، ويكون مبلغه محسوباً من أصل الدية عند تعيينها .

الصلح بين الأفراد :

يعين المتوسطون بالصلح يوماً لإجراء الصلح ويعلنونه للطرفين ، وحينئذ يهتم أقارب القاتل لجمع عدد من المشايخ ذوي الوجاهة والحرمة ، في العشيرة ومن غير مشايخ العشيرة إن أمكن ، ويلتمسون من أحد المشهورين في حسن البخت والحظ ، أن يعيرهم بيت الشعر خاصته ، وبعد إعارته يحملونه سراً ويرسلونه ليلاً مع أشخاص لا علاقة لهم بالدم ، فيأخذونه هؤلاء ، وينصبونه سراً قبل طلوع الفجر وراء بيت عائلة المقتول ، ويجلسون فيه يعدون الخطب والنار لحضور (الجاهة) ، وعندما يفيق أقارب المغدور من النوم ، ويشاهدون البيت المنسوب وراءهم ، يجمعون رجالهم الحنكين ويستعدون للمذاكرة بأمر عقد الصلح ، وعند ضحى النهار يقبل وفد المشايخ ، ومعهم عدة أشخاص من أقارب

القاتل العقلاء ، وثلاثة أو أربعة من عاقلات النساء . ويتقدم هذا الجمهور كله كفيل (عطوة الإقبال) إشارة إلى أنه يحمي أقارب القاتل ذهاباً وإياباً ، ثم الصلح أم لم يتم ، وينزل هذا الجمهور في بيت الشعر الذي نصب ، ويكون أقارب القاتل قد أحضروا معهم جميع ما يلزم من الذبائح والطحين والسمن واليرغل والرز لإطعام الجموع ، وقهوة ودخان أي كل ما يقتضيه إكرام الضيوف ، هذا فضلاً عن عدة ثياب جديدة لإكساء ذوي القتييل .

وبعد أن يستقر المقام هؤلاء ، يتولى أمر المفاوضة أكبر المشايخ الموجودين ، فيرسل من قبله أحد المشايخ الآخرين ، ويستدعي أقارب المقتول إلى بيت الشعر المنسوب للمصالحة ، وحينئذ يأمر ذلك الشيخ أكبر أقارب القاتل أمام الحاضرين أن يتقدم إلى أقرب شخص من أقارب المقتول ، ويطلب منه الصلح ، فيقوم الأول ويجعل عقاله في عنقه ويستل خنجرأ بيده ، ويتقدم ويجلس بين يدي قريب المقتول ، ويسلمه طرف عقاله المعلق بعنقه مع الخنجر ، ويخاطبه قائلاً إنني بالإضافة عن فلان القاتل أعترف بأنني قتلت قريبك فلاناً ، وها أنا أسلم روحي ليدك ، فإن شئت اذبحني بهذا الخنجر ، وإن شئت اعف عني ، وأقبل فدية حياتي الدية التي تفرضها علي ، وعندها يمسك قريب المقتول العقال المعلق بعنق ذاك ، ويسأله ثلاث مرات من هو القاتل فيعترف هذا ثلاثاً بحضور الجميع ، أنني أنا القاتل مضيفاً إقراره إلى القاتل الذي لا يجوز له الحضور عند عقد المصالحة ، وبعد أن يتم الإقرار بهذه الصورة ، يختار أقارب المقتول أحد الأمرين ، فإما أن يتنازلوا عن دمهم ويترفعوا عن أخذ الدية ، فيقابل أقارب المقتول كرمهم هذا بمثله ، كأن يهدوهم بعض بناتهم أو عقاراتهم ، وإما أن يعين أهل القاتل ما يرغبون بأخذه من دية . وإذا تقرر الأمر الأخير ، يبتدئ الشخص القابض على طرف عقال قريب القاتل هكذا : هل تدفع لي البنت الفلانية من عائلتك (غرة) لدية فلان ، وهل تدفع العقار الفلاني (طلبه) ، وهل تدفع كذا من الدراهم ، وكذا من الخيول ، وكذا من الإبل ، وكذا من الأغنام والأبقار وغير ذلك ، إلى أن يذكر عدداً ضخماً من المال والمواشي ، ونائب القاتل يعلن رضاه واستعداده لدفع جميع ما طلب منه ، وعندما ينتهي الطالب من سرد طلباته ، يعلن بأنه يعفيه من دفع النوع الذي يختاره من أنواع الأموال التي يشترط دفعها عليه ، فيقف هذا ويعلن بأنني اخترت أن أقوم وأنا معفى من دفع الخيول مثلاً ، وعندما يعود إلى محل

جلوسه يسأل قريب المقتول ، وبماذا تجلسني ؟ أعني ماذا تُعفي عني من أنواع الأموال التي طلبتها حتى أتمكن من الجلوس ، فيجيبه الطالب اجلس ، معفى من الإبل مثلاً ، أو أي نوع من الأموال المطلوبة التي يختار المتنازل عنها . وبعد أن يجلس يتولى رئيس الحضور من المشايخ إكمال المفاوضة ، فيخاطب أقارب المقتول ، إنني بلسان الحاضرين ، أشكركم لأنكم احترمتمونا وتنازلتم عن دمكم ، وقبلتم عنه الدية ، ولذلك أسألكم عما تسمحون به من الأموال التي طلبتها إكراماً لله ، فيعلن متقدم عائلة المقتول إنني أتنازل عن هكذا ، مقدار من النوع الفلاني من الأموال التي طلبتها إكراماً لوجه الله ، ثم يخاطبه رئيس الجلوس ، وماذا تسمح لرسول الله ؟ فيجيبه أيضاً : بالتنازل عن مقدار معين ، ثم يخاطبه أيضاً : وماذا تسمح لخاطري ؟ وهكذا يتكلم كل واحد من المشايخ الحاضرين ، ويطلب السماح عن شيء من الأموال المطلوبة إكراماً لخاطره فيسمح هذا لكل واحد من المشايخ بمقدار من الأموال المطلوبة . وعند ختام ذلك يعلنون أنه قد تم الصلح ، فيطلب القاتل كفالة أحد الزعماء لتنفيذ أحكام الصلح بعدم المعارضة لهم فيما بعد ، ويسمونه (كفيل الدفا) وأقارب المقتول يطلبون من أولئك كفيلاً ، لتأدية بدل الصلح ويسمونه (كفيل الوفا) وبالحال يقوم الشخص المتقدم من أقارب القاتل ، ويرفع راية بيضاء ويعلن بها شكره لأهل الدم ، ويقدم هذه الراية ويسلمها لكفيل الدفا ، وبعد أن يستلمها هذا ، ويعلن حمايته لجميع عائلة القاتل يسلمها لكفيل الوفا الذي يعلن استعداده لتأدية جميع ما تم عليه الصلح ، وحينئذ يأمر شيخ المجلس بتقديم القهوة التي تكون أعدت من قبل أقارب القاتل ، ولما يتناول كل شيخ فنجانهم يطلبون من أقارب المقتول أن يسمحوا بمقدار من الدية إكراماً للقهوة ، فيسمحوا لهم بما يشاءونه ، وعقيب شرب القهوة يأتي أقارب القاتل بالثياب الجديدة التي أحضروها ، ويلبسوها أقارب المقتول ويباشرون الذبائح ، وطبخ الطعام ، وتقديمه لجميع الحاضرين ، وبعد أن ينتهوا من الطعام ، وهموا بالانصراف تقف مقدمة النساء وتسأل من أقارب المقتول ، وبماذا تصرفونا ؟ وما الذي تتنازلون عنه من الأموال المطلوبة إكراماً لنا ؟ فيتنازل ذوو المقتول عن جانب من الدية ! إكراماً لخاطر النساء ، ثم عند قلع بيت الشعر يتكلم أحد الحضور مخاطباً أحد أقارب المقتول ، وبماذا تودعون هذا البيت وصاحبه صاحب البخت وحسن الحظ ، فيجيبونه بالتنازل عن مقدار معلوم ، ويكون الباقي هو صافي الحساب للدية ، ويعلنوا أن ما بقي من الأموال المطلوبة هو

الواجب التأدية بكفالة كفيل الوفا ، كما يعلنون أنه لا يجوز التنازل أو السماح عن الطلبة والغرة من الدية . ثم ينصرف المجموع شاكرين كرم أقارب المقتول ، برفع الراية البيضاء التي يركزونها في كل عشيرة ، يرون بها برجوعهم .

تقسيم دفع الدية واستيفائها :

إن الدية ترتب على جميع أنواع عشيرة القاتل ، بالنسبة لعدد الذكور الذين كانوا أحياء بعد وقوع القتل ، وإذا كان سبق انفصال إداري بين العشيرة ، فالدية تدفع من قبل أقارب القاتل حتى الدرجة الخامسة من القرابة ، وكيفية دفع الدية وتوزيعها يتم على الوجه التالي : يدفع القاتل مستقلاً الطلبة والغرة وثلث الدية ، ويدفع باقي أفراد العائلة من الذكور الأحياء والذين وجدوا عقب تاريخ القتل حتى تاريخ عقد الصلح ، بما فيهم شخص القاتل الثلثين الباقيين من الدية ، وتوزع عليهم بالتساوي ، وعلى أساس هذه القاعدة يقسم أقارب المقتول الدية بينهم ، أي أن ورثة المقتول يأخذون الطلبة والغرة وثلث الدية بأجمعه ويحتصون به أنفسهم ، وثلثي الدية الباقية يقسم على الذكور من الأقارب لحد الدرجة الخامسة بما فيهم ورثة المقتول ، وتعتبر الابنة التي تعطى غرة للمصالحة من المسؤوليات حيث لا يمكنها ترك زوجها الذي يكون من أقارب القتل ولا بوجه من الوجوه ، ومهما جار عليها زوجها لا يمكن لأهلها الانتصار لها إلا إذا ولدت أولاداً ذكوراً وبلغوا درجة الرجال فعندها يزود أولادها عنها .

جرمة المرأة :

إن جريمة المرأة تعود مسؤوليتها على ذويها ، بحسب درجة القرابة الخمسة ، ولا يسأل زوجها أو أولادها عما أوقعته من الجرائم ، ولا يضمنون عنها أي بدل ، فلو قتلت المرأة شخصاً عمداً أو خطأ أو جرحته أو أتلفت مالا لأحد الناس يدفع ذووها الدية أو التضمينات التي يتوجب دفعها ، ويكون موقف زوج المرأة وأولادها كموقف أحد الجيران ليس إلا . والمرأة إذا قتلت تودى بدية ٤ - ٨ أشخاص بالنسبة إلى وصف الجريمة ، فإن كان مقتلها وقع تسهلاً للتعرض لشرفها يحكم القاضي بأقصى درجات الغرامة .

الجرح وتعطيل العضو :

إذا نشأ من الجرح تعطيل عضو أو عاهة دائمية ، يتوجب على الجارح أن يرسل من يأخذ له عطوة أي هدنة من المجروح وأهله لمدة مناسبة ، وإذا لم يرسل ويطلب عطوة يعد مستهيناً بالمجروح ، وفي أثناء العطوة عليه أن يبادر إلى استصحاب بعض الوجوه ويذهب إلى منزل المجروح ويصالحه ، إما بعفو المجروح بدون عوض ، أو بمقابل شيء من النقود ، أو العروض يقدر بمعرفة هيئة المصالحة واتفاق الطرفين ، وإذا رفض المجروح أو تغالى في بدل المصالحة يستجير الجارح بأحد الزعماء ، وهذا يرغم المجروح على المحاكمة ، أو يبعث بها رأساً إلى القصاص ذي الاختصاص بتقدير التضمينات التي تجب على الجارح ، مراعيًا قيمة المعالجة ومدة العطل عن العمل ، وأما إذا استهان الجارح بالمجروح ولم يرسل له من يأخذ منه عطوة ، ولم يسرع للمصالحة ، فلمجروح أن ينتقم لنفسه بأي طريقة كانت ولا يعد مسؤولاً ، ومن عوائد البدو إذا كان الجرح مشوهاً أو معطلاً لعضو أن تؤخذ نصف الدية فما دون ، وفي المحاكمة يحال المجروح إلى القصاص الحبير ، فيقف المجروح على مقربة منه ، بحيث يتمكن القصاص من رؤية كافة أطراف الجرح بعد شفائه ، ومن ثم يبتدئ بالتباعد عن المجروح شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ نقطة لا يمكن منها أن يتبين التشويه الذي تركه الجرح في وجه المصاب ، ويتخذ من المسافة التي بينه وبين الجرح قاعدة لتقدير قيمة الجرح ، وذلك بأن يقيس هذه المسافة بالخطوات ، ويحكم بتقدير الغرامة والتضمينات ، بالنسبة لكل خطوة من البعد .

الدخالة :

إذا وقع شخص في ظلامة وخوف ، وأيقن أنه سوف يدرك إذا هرب ، ولا يتمكن من النجاة ، يلتجئ إلى أحد المشايخ ويقول له : (أنا دخيلك) ، فيصبح بهذا ذلك الشيخ مكلفاً بحمايته ودفع الطالبين عنه ، ويسمى ذلك الشخص (دخيلاً) . فإذا تجاوز أحد هؤلاء على أموال الدخيل ونفسه ، يحق لذلك الشيخ أن يستدعي المتجاوز إلى المحاكمة ، وأن يطلب منه تضمينات شخصية ، بنسبة ما لحق دخيله من أضرار وتضمينات معنوية ، تتناسب مع شرف الشيخ ، وكثيراً ما يقع أحد البدو في جناية قتل أو جرح ، ويركن إلى الفرار من وجه ذوي المقتول أو المجروح ، فيدخل إلى أقرب بيت ، حتى ولو كان صاحب

البيت من أقرباء القتيل ، فيكون صاحب البيت مجبوراً حيةً وعادةً على حماية هذا الملتجئ ، ويحذر على المطاردين اللجوء بالجاني ، بعد أن يدخل ضمن البيت حتى ولو كان بيت أرملة فقيرة لا تعتر بشيء من القوة .

الصلح بين العشائر :

مهما بلغت درجة العداوة والخصومة بين عشيرتين ، لا يكون الأمل بالصلح بعيداً بل هو يحتل المبادهة والشروع في كل وقت ، فإذا ضغطت الحوادث الخارجية السياسية أو الاقتصادية ، أو حدثت مفاجأة أثرت في الفريقين المتنازعين ، أو فرضت الحكومات والسلطات رغبتها وأكرهت ، في مثل هذه الحالات يعرض الصلح ، ثم يدرس ويبحث فيه ثم يقبل ، وما نحن ذاكرين أمثلة على ذلك :

في شتاء ١٩٢٤ - ١٩٢٥ م ، كلب البرد واشتد المحل بما لم يسبق له نظير ، وضاق ذرع البدو ، ورأت العشائر ضرورة قصوى لتجاوز مناطقها المعتادة خوف الجوع والتلف ، فاجتمع الرؤساء وقتئذ وتفاهموا وهبوا لعشائهم ميادين للنجعة ، دون أن يحدث بينها نزاع ما ، ثانياً : في سنة ١٩٢٤ م ، شعرت عشائر عنزة بخطر عشائر نجد ، وقرب هجومها على بادية الشام ، فتصالح نوري الشعلان ومن ورائه عشائر (ضناً مسلم) كلها مع ابن هذال شيخ عمارات العراق وتأهبوا للقاء الخطر المدهم ، ثالثاً : في حزيران سنة ١٩٣١ م تصالح الخصمان اللدودان الموالي والحديديون في مؤتمر عقد في سلمية بإكرام السلطات الفرنسية ومداخلتها ، وانتهى الحرب الذي كان مزمناً بينهما ، على ما سنذكره في بحثها .

والمصالحات يعقد لها مجالس ومؤتمرات ، وهي أعمال طويلة جداً ومملة ، تؤدي إلى مناقشات ومداورات لا تعد ولا تحصى ، وقد تنقطع هذه المجالس أو المؤتمرات ، ثم تستأنف ويعاد الحديث مراراً ، ومن أراد الحصول على نتيجة صالحة في هذه المصالحات ، ينبغي أن يكون طويل البال إلى أبعد مدى صابراً حازماً ، لأن طول البال والصبر والحزم صفات تؤدي إلى تعب الفريقين المتخاصمين وسبهما واضطرابهما إلى المسامحة والمصالحة . وعند شيوخ البدو القائلين بأعمال المصالحة قدر وافر من هذه الصفات .

أما كيفية وقوع الصلح : فهي أنه حينما تنهك قوى إحدى العشيرتين المتخاصمتين ، سواء أكان ذلك من خسائر في الأنفس أو الماشية أو من الاضطراب الذي يعترها من جراء

ترك مناهلها ومراعيها المعتادة ، تتقدم بواسطة شيخها إلى شخص ثالث ، من الشيوخ المحايدين ذوي الكلمة النافذة . فيفتح هذا أبواب المفاوضة سراً وبلباقة ، إلى أن يوفق لعقد هدنة بين الفريقين ، تعرف عندهم بالعطوة ، وتبقى لمدة معلومة ، يمتنع في خلالها تجاوز أحد الفريقين على الآخر ، وذلك بكفالة ذلك الشيخ المحايد أو أمثاله ، ثم ينتخب كل فريق محكميه من الشيوخ البعيدين عن الفريقين ، ومن المعروفين بمحبتهم وحسولهم وطولهم ، على أن يقبل كل فريق محكمي الآخر بالتقابل ، وقد يحتاج الأمر لانتخاب حكم مرجح ، ثم إن مكان اجتماع لجنة التحكيم يجب تعيينه والاتفاق عليه ، وهذا أيضاً يؤدي للنقاش ، لأنه وإن كان ذلك من حق السلطات واللجنة نفسها ، إلا أن أخذ موافقة ذوي العلاقة فيه أمر مرغوب ، وحينما تجتمع لجنة التحكيم في الوقت المعين ، يدرس أعضاؤها الاختلافات وعواملها وتأثيرها ، ويبحثون عن البادئ بالتعدي ، ويستنطقون شيوخ العشيرتين المتخاصمتين على انفراد ، وهم يحاطون إذ ذاك بكل التأمينات الممكنة ، ثم ينظم المحكمون قائمة مفصلة بالخسائر الواقعة لدى كل عشيرة ، ويقدرون قيمها ويقررون ، ومن النادر أن لا تقبل العشائر مقررات هذه اللجنة ، وهم يعلمون نتيجة قرارهم للفريقين ، ويصفون بكل تودة إلى الاعتراضات المقدمة من هذا وذاك ، وبعد أن يعيدوا المفاوضات والاستشارات ، ويقلبونها مراراً ، يتوصلون في الآخرة إلى حل نهائي يرضى به الجميع . فإذا تم ذلك يطلبون شيوخ العشيرتين المتخاصمتين وأعيانها ، ويجمعونهم في بيت الشعر الذي استقر فيه المحكمون ، وبعد تنزيل قسم من التضمينات المفروضة على النحو الذي ذكرناه في (بحث أصول الصلح عن دم أو هتك عرض) يتم الصلح نهائياً ورسمياً ، وحينئذ تتصافح الأيدي ، وتتعانق الوجوه ، وتقبل اللحى ، ويتناول الجميع الطعام سوية ، ولا بد من أن يكون هذا الصلح حقيقياً ومادياً ومؤيداً بكفالات قوية ، وإلا لا يكون طويل المدى والنفوذ ، لاسيما إذا كان نتيجة الضغط والإكراه .

هذا وكلما كانت الخصومات قديمة طالت المفاوضات والمساومات ، ومثل ذلك كلما كانت أسماء الفاعلين في الخصام غير معينة قليلاً أم كثيراً ، وكذا كلما كانت الأضرار والخسائر عند الفريقين فادحة ، وما يلحظ أيضاً أن المصالحات التي تجري تحت ضغط الحوادث ، يمكن أن تنفسخ حينما تزول الحوادث التي أوجبت عقدها ، وهذا نحن الآن نذكر الأسس التي يعقد عليها الصلح ، فهذه ذات شكلين :

١ - التعويض المتقابل .

٢ - الحفر والدفن .

١ - فالمصالحة على أساس التعويض المتقابل ، لا يمكن أن تتم ما لم يكن العداء حديثاً ، والأضرار التي أوقعها المتخاصمان طفيفة ، وإذا حدث عداء بين عشيرتين على أثر حادث ما ، كقتل أو خطف فتاة أو سرقة وما إلى ذلك ، وإذا كان هذا العداء أوقف في حينه بتوسط أشخاص آخرين أو بحوادث فجائية ، يمكن أن يتم الصلح بسهولة ، وكل عشيرة تحسب دية الرجال الذين قتلوا بما يعادل ٣٣٣٣٣ قرشاً ذهبياً للرجل المقتول ، ونصف هذا المبلغ للفرس أي أن كل فرسين برجل ، وتحصى الإبل والغنم والحمر إلخ ... المسروقة حساباً دقيقاً ، ويقسم ممثلو الفريقين على صحة الأرقام التي يدلون بها ، فقوائم الحساب تعرض على المحكمين ، وهؤلاء يقومون بعملية الجمع والطرح ، ويسمون العشيرة المكلفة بدفع الفرق الزائد على قاعدة (هفا من وفي) ، وفي الغالب تعاد الأغنام المسروقة عيناً ، لاسيما وأن كلاً من البدو يعرف وسم فرقته ، فإذا أعيدت الأموال ، ودفعت ديات القتلى ، تجري حفلة الصلح الرسمي ، هذا وكل ما يقع من القتل والتلف خلال مدة (فورة الدم) وقدرها ثلاثة أيام وثلث اليوم لا يدخل في حساب الصلح ، بل يدخل ما يهدر ويتلف منذ اليوم الرابع .

٢ - أما (الحفر والدفن) فعناه السماح العام أو ما يسمونه (حفار ودفان عن كل ماغي وبان) ، ومعناه تناسي كل ما وقع بين الفريقين المتخاصمين ، ودفن المطالبات والسماح بها ، وهذا النوع من الصلح يقبل في الغالب ، حينما تكون الضغائن قديمة العهد ، والمحاصمات امتدت زماناً طويلاً ، وأصبح الصلح على أساس التعويض المتقابل غير ممكن الإجراء .

وإذا كان ميزان القتلى مائلاً كل الميل إلى جانب واحد ، وأهمية المنهوبات وكمياتها التي نهبها هذا الفريق أو ذاك ، بلغت حداً لا يمكن تعويضه أو حسابه ، وعلى كل حال تربط شروط الصلح بكفالة ، إذ يقدم كل من الفريقين كفيلاً من زعماء العشائر الأخرى ، يضمن تنفيذ شروط الصلح بحق عشيرته ، وبعد ذلك يتبادلون الزيارات والمعاملات دون خشية بعضهم بعضاً . والبدو الرحل ليس من عاداتهم أن ينظموا وثائق خطية ، بل

يكتفون بشهادة الشهود الشفهية ، أما البدو نصف الرجل والحضر فهم بالعكس يطالبون بوثيقة تبقى حجة لمدعياتهم فيما إذا أخل أحد بشروط الاتفاق والصلح ، وطريقة إنشاء هذا العقد أو الوثيقة ، تفتح مجالاً لمباحثات عديدة ، وأحياناً توجب كلمة أو جملة واحدة الرجوع إلى المناقشة والمباحكة في الموضوع من أوله .

السرقه :

السرقه سواء سميت سرقه أو غصب ليست عملاً مخجلاً ، كما يتصوره الحضر ، ويتلقونه بل تعد من ضروب البطولة ، والسارق الذي يقبض عليه ويده في الجيب ، ويعرف عقيب وقوع الجرم ليس عليه إلا أن يؤدي ماسرقه ، ويعوضه على صاحبه بما سوف نذكره ، وبعد تأدية ذلك يظل شرف السارق سالماً من كل تعرض . وفي السرقه يسترد المتضرر ماله بادئ بدء بطريقة الوسقة التي تقدم ذكرها ، وعند الحاكم يحكم على السارق إذا كان قد سرق من الأقارب أو من النزيل بإعادة المسروق ، وتعويض ما يترتب على هذه السرقه بأربعة أضعافها إذا كانت من الحيوانات أي على عدد قوائمها ، وإذا سرق شخص حيوانات وأموالاً تعود إلى شخص من عشيرة أخرى صديقه أو حليفه ، لا يكون التعويض إلا بالمثل الواحد (بعير لقاء بعير) ، ويأخذ الوسيط في هذه الحالة لقاء أتعابه رأساً واحداً عن كل خمسة رؤوس ، ولا حاجة للقول أن السرقه التي تقع ضد عشيرة عدوة لاتتحمل أي تعويض ، ومن عادتهم إذا سرق ناقة أو فرس أو نعجة أي كل أنثى عشار وردت إلى صاحبها الأصلي بعناية شخص ثالث يكون لهذا الشخص حق الحصول على الحوار أو المهر أو الطلي المولود .

التجاوز على رفيق الطريق :

من الحقوق التي يجب على أبناء العشيرة رعايتها حماية رفيق الطريق ، الذي لا ينتمي إلى تلك العشيرة من كل أذى ، يصيبه من أفراد تلك العشيرة أثناء وجوده بصحبة رفيقه ، وإلى أن يبلغ الحل الذي يكون أميناً فيه على نفسه وماله ، فإذا ما تجاوز أحد أفراد تلك العشيرة على ذلك الغريب ، كان لرفيقه حق الدفاع عنه بجميع الوسائل ، والحق بأن يستدعي المتجاوز للمحاكمة ، وللقاضي أن يحكم عليه بتضمينات الغرامة الشخصية وبتضمينات رفيقه المعنوية .

تقطيع الوجه :

من القواعد عند الصلح بين الفريقين المتخاصمين أن تربط شروط المصالحة بكفالة أحد المشايخ البارزين ، لكل من الفريقين ، ليقوم هذا الشيخ بتنفيذ شروط الصلح المتوجبة على ذلك الفريق ، فإذا كان المصالح عليه أموالاً منقولة أو غير منقولة ، فعلى الكفيل أن يطلب من المكفول تأدية بدل الكفالة ، فإذا تقاعس وجب على الكفيل دفع هذا البدل أو ما يماثله ، بشرط أن يعلن ذلك المكفول ويشهد شهوداً ، ويحق للكفيل أن يطالب المكفول بأن يعيد له أربعة أمثال ذلك المال الذي دفعه عن بدل الكفالة ، وإذا كانت المصالحة على أساس جزائي ، فتكون الكفالة عبارة عن تأمين الطرفين المتعاضدين من اعتداء أحدهم على الآخر ، مثال ذلك : لو قتل أحد الناس شخصاً آخر وجرت المصالحة على الأصول ، فلا بد من ربطها بكفالة شخصين أحدهما (كفيل دفا) والآخر (كفيل وفا) ، فأولياء القتيل يختارون شخصاً ويطلبون كفالته لتأمين استيفائهم الدية ، والقاتل يختار كفيلاً يحميه من تعدي أقارب المقتول ، ولكل منهما أجره ، فكفيل الوفا له أن يستوفي واحد من تسعة من مجموع بدل ما كفل عند التحصيل ، وأما كفيل الدفا فله أن يأخذ من الشخص الذي كفل حمايته جذعاً من الإبل أو ما يعادل ثمنه من الدراهم (والجذع البعير عند أول تحميله) .

فإذا أخل أقارب المقتول أو المجرع بالكفالة ، وتعدوا على القاتل أو الجارح أو على أحد أقاربه ولو بإطالة اللسان أو بما يستشم منه رائحة التهديد ، يعتبر ذلك تقطيعاً لوجه الكفيل ، وعندئذ يحق لهذا أن يستدعيهم للمحاكمة ، والقاضي يحكم عليهم بتضمينات شخصية للمتجاوز عليه وبتضمينات معنوية للكفيل ، كما أنه عند عقد هدنة (عطوة) بين فريقين متحاربين أو متخاصمين ، فعلى وسطاء الهدنة أن يربطوها بكفالة كفلاء يختارهم الوسطاء ، ويرضى بهم الفريقان ، وبعدئذ إذا أخل أحدهم بشروط الهدنة يعتبر أنه قطع وجه الكفيل ، وأصبح عرضة للحكم بالتضمينات الباهظة .

التجاوز على الضيف :

إن الضيف يبقى بحماية المعزب (المضيف) إلى أن ينقض الملاح ، ويراد بقولهم ينقض الملاح : إلى أن يأكل طعام مضيف آخر ، وكل تعد يقع على الضيف أثناء ضيافته ،

أو بعد ذهابه وإلى أن ينقص الملح يكون المضيف ملزماً بتلافيه ، إما بضمان الضرر من نفسه ، أو بتحصيله من المعتدي عن طريق الطلب إلى المحاكمة . هذا وإن وجود شخص في بيت أحد الأعراب يجعله في حماية صاحب البيت ، ولو كان مرتكباً لأكبر الجنايات ، وتكون حماية الضيف أوجب إذا تمكن من أن يذوق قليلاً من طعام المضيف ، وهذا ما يهيب بالكثير من الأعداء للدخول إلى بيت أحد أفراد عشيرة معادية بقصد الإجرام ، حتى إذا انتبه إليه رجال تلك العشيرة وقبضوا عليه ، وأيقن أن ليس أمامه إلا الموت بذل كل ما في براعته وجهده ليرمي بنفسه إلى الحدر حيث النساء ، وسارع بالتقاط ما تبلغه يده من طعام والتهمة ، وحينئذ يصبح في نجوة من الموت ، ويجب على صاحب الطعام الذي ذاقه ذلك المقبوض عليه أن يبذل أقصى جهده لإنقاذه ، وإيصاله إلى أقرب مكان يأمن فيه على حياته ، وإذا كان صاحب الطعام غائباً فعلى مطاردي ذلك الشخص أن يكفوا عن مطاردته وأن يفسحوا له المجال ليفلت سالماً ، وإلا حق لصاحب الطعام أن يسوق من تجاوز على ذلك الذي ذاق من طعامه إلى المحاكمة ، وأن يطالبه بتضمينات مادية ومعنوية باهظة .

حقوق الطنيب :

الطنيب هو الشخص الذي ينزح من بلاد نائية تقضي عليه الظروف بأن ينزل في عشيرة ليس لها ارتباط ما مع عشيرته ، فينصب الطنيب بيته وراء بيت شيخ العشيرة ، فيكون هو وعياله وعرضه بحماية تلك العشيرة التي ينزلها ، فإذا وقع عليه أو على ماله أو عرضه تعد من إحدى العشائر التي بينها ارتباط ، فلشيخ العشيرة التي هو طنيبها ، ولكل فرد من أفرادها أن يطلب المتجاوز إلى المحاكمة بالطرق التي سبق بيانها ، وإذا تمرد المعتدي عن الحضور يلجأ المدعي إلى طريقة الوساقة لإخضاع المعتدي للرضوخ للمحاكمة ، وكثيراً ما سبب التجاوز على الطنيب إعلان الحرب بين العشائر ، فالتهمت نارها الأخصر واليابس ، ويعتبر التجاوز على الطنيب من أكبر الجرائم الجنائية في عرف البدواة ، ومحاكمة مثل هذه الجريمة تجري أمام أحد قضاة المناهي ، ويحكم بغرامة وتضمينات باهظة ، للطنيب ولشيخ العشيرة ، وقد تناهز هذه التضمينات دية المقتول ، ولا يواخذ الطنيب على أي خطأ ارتكبه ، أو جرم اقترفه في أثناء نزوله طنيباً ، ولا ينادى للمحاكمة بل يقوم

مقامه شيخ العشيرة التي يكون طنبياً عليها ، ويدفع ما يلحقه من تضييعات ، وجملة القول أن للطنب عند البدو مكانة كبيرة جداً يحوطونه بمنتهى الشهامة والمروءة .

التجاوز على الناصي :

الناصي هو الشخص الذي يقدم من ديار بعيدة قاصداً أحد المشايخ أو الزعماء ، لأمر يرتجيه منه ، أو يؤمل فيه ، ويشترط لاعتباره ناصياً أن يعلن حين عزمه على السفر بأنه يقصد العشيرة الفلانية أو البلدة الفلانية ، أو الشيخ أو الزعيم الفلاني ، فيصبح بذلك من ذلك التاريخ بحماية الشيخ المنصي ، وإذا حصل له أدنى تعدي في أثناء قدومه من أحد أفراد العشائر ذات الارتباط مع العشيرة التي ينتسب إليها الشيخ المنصي كان مكلفاً بتلافي أضرار ناصيه ، وله أن يطلب المعتدي إلى المحاکمة ، ويتقاضاه الغرامة والتضييعات الأدبية والمادية ، والحكم بذلك يتوقف على ثبوت علم المعتدي بأن ذلك القادم كان ناصياً للشيخ أو الزعيم المدعي ، وعند انتهاء المحاکمة يعود الناصي إلى أهله شاكراً عناية المنصي ، ورافعاً له راية بيضاء لدى كل عشيرة يمر بها .

أحكام الزنا الجبري :

إذا تعرض أحد الناس لامرأة فافترسها نهراً وغصباً بينما كانت مارة في الطريق وحدها ، أو ذاهبة للاستقاء أو الاحتطاب كما هي عادة نساء البدو ، ورجعت تصرخ وتستثير حمية عشيرتها وكانت دلائل الغصب متوفرة عليها ، أصبح لعشيرتها ولأقاربها الحق بتخريب أموال الجاني خلال ثلاثة أيام وثلث اليوم ، وبقتله أو قتل أحد أقاربه حتى الجد الخامس انتقاماً لمرضهم ، وإذا وجد هناك ما يستدعي الصلح أو مراجعة القضاء يحكم القاضي بدفع غرامة تكون غالباً أكثر قيمة من دية القتل ، ويعتمد القاضي في مثل هذا الموضوع على تغريم الجاني بما يكون لونه أبيض من الأموال والحيوانات ، لأن الجاني سود العرض . أما إذا كان التعدي قد وقع خارج منزل العشيرة وبعد المساء فلا يعتد بصراخ المرأة بل يعق لأوليائها أن يقتصوا منها باعتبارها زانية بالرضا ، وأنها خرجت للقاء معشوقها ، وما كان صراخها إلا ستراً لعييها الذي يحتمل أن يكون قد اكتشفه بعض الناس ، ويسمون المرأة من هذا القبيل (عاقبة السرح) أي التي تأخرت عن الرجوع لبيتها

بعد رجوع الماشية ، وتطبق عليها أحكام الزنا بالرضا ، والسبب في ذلك أنه يتمتع على النساء الخروج من المنزل بعد مجيء الماشية من المرعى ، وتغدو المرأة التي خرجت ، قد أقدمت على ذلك بقصد الزنا ، أما إذا وقع التعرض على امرأة نهاراً ولم يستطع الفاعل افتراسها ، لأسباب مانعة حالت دون إتمام فعلته ، فيحكم القاضي بغرامة تتناسب مع شرف المرأة ومركز أسرتها .

الزنا بالرضا :

إن الزنا بالرضا يجعل الزاني غير مسؤول عن فعلته ، ما لم يقتص أولياء المرأة الزانية الذين يتحم عليهم بعد التحقق من زناها بالرضا أن يقتلوا جهاراً ، وإلا ظلت وصمة عار لا يمحي للعشيرة ، يعيرهم به جميع الناس بقولهم لكل واحد من عشيرتها (أنت الخاير وأنت الصابر) أي أنك خبرت عيب من أنت من أوليائها ، وصبرك عليها دليل رضاك على فعلتها ، ولذلك لا يسعهم إلا قتلها ، وقد يقتلون البريئة لشدة الحماسة التي لا تجعل لديهم مجالاً للتحقق عن صحة جرمها من عدمه ، وعلى ذوي الزانية أن يقتلوا ، وأن يندروا عشيرة الزاني بها ، ليقتلوا صاحبهم بأيديهم ، أو يعلنوا للملأ أنهم خلعه عن عشيرتهم وغير مسؤولين عنه فلا يطالبون به ، وعندئذ تتولى عشيرة المرأة الانتقام من الزاني بنفسها ، أما إذا لم تخلع الزاني عشيرته ، فالمعنى أنها تؤيده ، ويصبح عندئذ الحق لعشيرة المرأة أن تطارد كل واحد من أفراد عشيرة الزاني إلى الجذ الخامس ، وخلا ذلك يحكم لهم القاضي بغرامة قدرها دية أربعة رجال ، فإذا انتقموا وقتلوا شخصاً من أقارب الزاني ، يكون لهم الحق باستيفاء ثلاثة مقادير الدية المقدرة للرجال ، فضلاً عن الشخص الذي قتلوه ، وذلك جزاءً لعشيرة الزاني التي لم تخلعه وتنصل منه .

خطف النساء والبنات

هذا أمر كثير الوقوع بين البدو ، والبلاد العربية التي لا تزال متأثرة بعوائدهم كحوران وشرقي الأردن ، وأكبر الخطف يكون برضاء الطرفين ، وكثيراً ما يخطفون ذات الزوج وأم البنين ، والخطف إما جبري أو بالرضا ، وقد ذكرناها بالتفصيل في (الصحيفة ٢١٥ - ٢١٨) .

جرائم الجنح في عرف البدو

- ١ - الجرح الذي لم ينشأ عنه تعطيل عضو .
- ٢ - إطلاق الرصاص ولو لم يصب جرحاً .
- ٣ - الضرب العادي سواء أكان بعضاً أم بحجر ، أو باليد أو بمادة أخرى لم تسبب جرحاً .
- ٤ - نتف شعر الذقن أو الشارب .
- ٥ - الطعن بالعرض .
- ٦ - القدح بنسبة إحدى النقائص المحجلة عادة بين البدو إلى المقدوح فيه .
- ٧ - الشتم بأنواعه ، أو شتم الوالدين .
- ٨ - العداية .
- ٩ - التعدي على شخص آخر يكون حاضراً في بيت آخر .
- ١٠ - قتل الحيوان . وإليك شرح هذه المواد :

١ - الجرح الذي ينشأ عنه تعطيل أو عاهة دائمة : يتوجب على الجارح أن يرسل من يأخذ له عطوة أو هدنة من المجروح وأهله لمدة مناسبة ، وإذا لم يرسل ويطلب عطوة يعد مستهيناً بالمجروح ، وفي أثناء مدة العطوة عليه أن يبادر لاستصحاب بعض الوجوه ، ويذهب إلى منزل المجروح ، ويصالحه إما بعفو المجروح بدون عوض أو بمقابل شيء من النقود أو العروض يقدر بمعرفة هيئة المصالحة واتفاق الطرفين ، وإذا رفض المجروح أو تغالى في بدل المصالحة يستجير الجارح بأحد الزعماء ، وهذا يرغم المجروح على المحاكمة ، أو يبعث بها رأساً إلى القصاص حيث يقدر التضمينات التي تجب على الجارح مراعيها بدوره قيمة المعالجة ومدة العطل عن العمل .

وأما إذا استهان الجارح بالمجروح ولم يرسل له من يأخذ منه عطوة ولم يسرع للمصالحة ، فلمجروح أن ينتقم لنفسه منه ولو بطرق خارجة عن أصول العشائر ولا يكون بذلك مسؤولاً .

٢ - إطلاق الرصاص : ينظر القاضي غالباً إلى إطلاق الرصاص نظره إلى جريمة كبرى ، ويعتبر الجرم من نوع الجنائية ، ويحكم على مطلق الرصاص بتضمينات كبيرة ،

تناهز أحياناً نصف الدية ، وإذا ثبت أن إطلاق الرصاص لم يكن بقصد القتل ، بل كان بقصد الإخافة ، فيعتبر القاضي ذلك من قبيل الإهانة ، ويحكم على الفاعل بتضمينات تتناسب مع مركز المتجاوز عليه ، ويجبر الفاعل على الذهاب إلى بيت المعتدى عليه وتقديم الاعتذار له .

٣ - الضرب العادي : يفصل فيه غالباً بالمصالحة وبالاعتذار ، وإذا لم تنجح هذه الوسائل يقدر القاضي للمضروب تضمينات بسيطة جداً .

٤ - نتف شعر الذقن : إن نتف شعر الذقن أو الشارب من أهم المسائل عند البدو ، إذ أنه يمنع المتشاجرين أن يستعملوا أنواع الضرب والملاكمة والمشادة على أن لا يمد أحدهم يده إلى ذقن الآخر ، وإذا مد يده ونتف ولو قليلاً من ذقن خصمه أو شاربه ، كان لمتضرر أن يطلب الفاعل إلى المحاكمة ، وكان للقاضي أن يحكم له بتضمينات باهظة ، تقدر بنسبة عدد الشعر المنتوف ، ومن المتعارف عليه بين العشائر أن قيمة كل شعرة منتوفة من الذقن خمسمئة قرش ، وكل شعرة منتوفة من الشارب ألف قرش ، وذلك لأن للذقن والشارب حرمة ممتازة ، ومن عوائدهم أن يحلف الواحد بذقنه أو بشاربه .

٥ - الطعن بالعرض : الطعن بالعرض كقول أحدهم أنت الخاير أنت الصابر^(١) ، أو كقوله لخصه : أنت ابن العائبة أو أخ العائبة أو أمثال ذلك من العبارات التي تشين سمعة العرض ، من غير أن يذكر الطاعن مادة يعينها من الجرائم التي للمتجاوز عليه معها أن يدعو المتجاوز إلى المحاكمة ، وأن يحكم عليه بتضمينات كبيرة ، وأن يجبره على تقديم الاعتذار علناً^(٢) وكثيراً ما تجر مثل هذه الحقارة إلى عدة جرائم إن لم يتمكن القضاء من تنفيذ أحكامه .

٦ - نسبة إحدى النقائص : إذا وسم أحد الناس الآخر بعيب علناً وبواجهته ، كما لو قال لآخر : أنت شرود أي أنت هربت من وجه خصمك في ميدان القتال ، أو قال له : أنت سارق وسادتك أي سرت مضيفك ، أو أنت بائق أي غدرت بمن يأتمن جانبك ، أو

(١) راجع فصل الزنا بالرضا .

(٢) يرفع راية بيضاء .

قذف بحقه بمثل عبارات تثلم الشرف كان للمعتدى عليه أن يطلب المعتدي للمحاكمة ، حيث يطلب القاضي من المعتدي أن يثبت ما نسب له للمدعي من الطعون ، فإذا أثبت ذلك تخلص من المسؤولية ، وإذا عجز عن إثباتها حكم عليه بتضمينات باهظة مع إكراهه على الاعتذار العلني للمقذوف بحقه ، برفع راية بيضاء بين الجمهور .

٧ - الشتم العادي : ليس للشم العادي أهمية إذا لم ينشأ عن ذلك شجار ، يؤدي إلى الضرب أو الجرح ، وإذا بقي الأمر مقصوراً على الشتم أو التحقير البسيط ، ينتهي عادة بالصلح والاعتذار .

٨ - العداية : العداية مشتقة من عدا يعدو عدواً أي وثب لأخذ شيء ما ، فكلمة عداية المصطلح عليها بين البدو تعني خطف شاة من غنم الآخر علناً وذبحها ، غير أن لها شروطاً تبرر عمل الفاعل وتجعله غير مسؤول أدبياً ، وذلك إذا ضاف العادي أناس لا مندوحة له من إكرامهم بذبح رأس من الغنم ، إذ من المعروف بين العشائر بأنه لا يكفي لإكرام الضيف تقديم ما يكفيه من الطعام بل لا بد من ذبح عدد من رؤوس الغنم ، بنسبة مكانة الضيف وكرامته وكثيراً ما يذبحون له جزوراً^(١) وعليه عندما يكون أحدهم في موقف اضطراري كهذا ، لا بد له فيه من إكرام ضيفه ، وليس في وسعه أن يأتي بذبيحة من مواشيه لبعدها عنه ، أو كان ضيق الوقت غير مساعد على شراء الذبيحة من أناس آخرين ، وكان لغيره أغنام على مقربة منه كان له أن يأخذ منها رأساً أو أكثر بقدر ما يكفي لقرى^(٢) ضيفه ، شرط ألا يستعمل الجبر والشدّة مع الراعي ، لأنه عندما يكون الراعي ممن يدركون هذه الواجبات يقدم ما يلزم من الذبائح عن طيبة خاطر للعادي ، الذي عليه أن يعيد إلى صاحب الأغنام مثلها عند أول فرصة تسنح ، وإذا لم تتوفر هذه الشروط ، أي إذا أخذ العادي من غنم الغير دون أن يكون عنده ضيوف يستحقون الذبيحة ، أو كان عنده مثل هؤلاء الضيوف إلا أن أغنامه كانت قريبة منه ، ويمكنه أن يأتي منها بذبيحة ، وأن يجhez الطعام ويقدمه إلى الضيف بأوانه ، أو كان هناك أغنام لآخرين هي أقرب إليه

(١) جل كبير وسمين أو سبعة رؤوس غنم .

(٢) لولية ضيفه .

من الأغنام التي أخذ منها حاجته ، كان لصاحب هذه الأغنام أن يطلبه للمحاكمة ، وللقاضي أن يحكم عليه بتضمينات قد تبلغ أربعة أضعاف ما أخذ .

٩ - التعدي على شخص وهو في محل آخر : إذا تجاوز أحد الناس على آخر وهو في بيت شخص ثالث ، ولو كان وجوده فيه من قبيل الصدف ، وليس من قبيل الدخالة فضربه أو جرحه أو أهانه أو سلب منه شيئاً ، كان لصاحب البيت أن يطلب محاكمة المعتدي ، وللقاضي أن يحكم عليه بتضمينات تتناسب مع كرامة صاحب المحل ، مع إجباره على إرضاء المعتدى عليه إرضاء يعلن معه شكره لصاحب المحل ، برفع راية بيضاء بين الجمهور .

١٠ - قتل الحيوان : إذا قتل شخص حيواناً آخر عمداً وبدون ضرورة ملجئة لا يمكن دفعها إلا بقتل ذلك الحيوان فيضمن قاتله أربعة أمثال قيمته ، وإذا كان المقتول كلباً يحرس الغنم أو البيت فيكون الضمان أكثر من ضمان قيمة إحدى الحيوانات الباقية ، ويعود تقدير ذلك لحكمة القاضي ، وقد سبق أن حكم أحد القضاة بتضمينات عن كلب مقتول بشكل غريب جداً وهو أن يربط الكلب من ذنبه ويدلّى من النافذة حتى يصل الأرض ، ويكلف قاتله بأن يأتي بحنطة ويهيلها عليه من تلك النافذة حتى يغيب الكلب بتمامه عن الأنظار ، وهذه الحبوب تعطى لصاحبه ضماناً عنه ، ولذا كان هذا العقاب الشديد خير رادع للكف عن التعدي على الكلاب .

قطع الجيرة :

من الجنايات التي فاتنا إلحاقها بالصحيفة ٢٨٨ (قطع الجيرة) ، والجيرة لغة الحماية ، يقال أجار فلان فلاناً أي : حماه وجعله في جواره ، وقطع الجيرة في العرف البدوي هو التجاوز على الجوار والإخلال بحقوق الحماية ، التي ضمنها أحد الزعماء أو الكفلاء لآخر احتى به ، مثاله : إذا وقع اختلاف بين فريقين من الناس على مال منقول أو غير منقول ، يحتل معه المحذور ، ففي مثل هذه الحالة يحق لأحد الفريقين المتنازعين ، أو لشخص آخر أن يضع المال أو الشيء الذي هو موضوع الخلاف تحت حماية أحد الزعماء أو المتنفذين ، فيعلن قائلاً (إنني أجير هذا المال بالشيخ الفلاني) وهذا يعني أنه يضعه تحت حماية هذا الشيخ وفي جواره ، إلى أن يفصل في الأمر قضائياً ، ويترتب على الفريقين

المتنازعين بمجرد اطلاعهما على إعلان الجيرة ، أن يرفعا أيديهما عن الشيء المتنازع عليه ، وأن يكفيا عن معارضته ، ويعملا على المناهضة في الحجة والمقاضاة ، أو المراضاة لحل الخلاف بينهما ، بموضوع المال أو الشيء المحار ، بإعلان الجيرة هو قريب الشبه بحجز احتياطي لصيانة المنازع عليه إلى نتيجة المحاكمة ، ويمكننا أن نعتبره أيضاً عملاً إدارياً ، يراد منه الحيلولة دون وقوع ما يمكن وقوعه من المحاذير ، ما لو ظل المنازع عليه محلاً للتشادد بين الفريقين المتنازعين ، يتعاوره كل منهما بما تطوله يده من الأسباب والوسائل .

إن هذا النوع من الحجز يكون نافذ المفعول حتى ولو كان المجير (وهو الشخص الذي وضع الشيء المختلف عليه تحت حمايته) غائباً ، فإذا تجاوز أحد الطرفين على الشيء المحجوز ووضع يده عليه ، أو تصرف به بأي وجه كان ، عد ذلك منه إساءة للمجير يعبرون عنها بقولهم : (إن فلاناً قطع جيرة فلان) ويصبح الطرف المتجاوز على الشيء المحار ، مجرماً بحق المجير ، جريمة جنائية يحق معها للمجير أن يستدعي المتجاوز على ما هو في جواره للمقاضاة ، وأن يعمد إلى أسلوب البداة أو الوساقة اللتين سبق تعريفهما لإحضار خصمه لدى قاضي من قضاة المناهي ، ينتخب حسب الأصول التي جئنا على ذكرها ، فيحكم القاضي على المعتدي أي الذي تجاوز على جوار المعتدى عليه بغرامة وتضمنات باهظة ، تتناسب مع مركز الشيخ الذي انتهكت حمايته ، ويحكم فوق ذلك بإلزام المعتدي بإرضاء المعتدى عليه ، إلى حد أن يعلن بين الناس بياضه ، وذلك بأن يرفع راية بياض ينادي فيها بالشكر والامتنان ، لذلك الشيخ الذي أوصله إلى حقه ، وليس بخاف ما يكلفه مثل هذا التجاوز على الشيء المحمي من غرامة وتضمنات ، قد تعادل دية قتيل أحياناً ، كما وأن استرضاء الطرف الآخر حتى يعلن البياض ، ربما يكلف ذلك الطرف التنازل عن حقوقه على الأقل ، ولذلك كانت الجيرة قاعدة محترمة ، ولها فوائد جمة للإدارة والحفاظة على الأمن .

الخوة (الجزية ، حق الإخاء) :

هو حق يتناوله الأقوى من الأضعف لقاء تحمله كلفة حمايته ، وهذا الحق تجبیه العشائر الكبيرة من الفرق الصغيرة ، أو من سكان القرى والحواضر ، أو من القوافل

والقطعان والماشية ، ففي الحالة الأولى تدفع الخوة في الغالب من الإبل أو الغنم أو نتاج الأرض ، ودفعها يكون لشيخ العشيرة الكبيرة ، لقاء تعهده صيانة أموال الفرقة الصغيرة وأعراضها وأرواح أفرادها وحمايتهم من بقية العشائر ، وإذا حدث تعدي من هؤلاء يذهب ذلك الشيخ بنفسه ، أو يرسل من ينوب عنه لمراجعة المتعدي ، واسترداد المنهوب منه ، ويعرف من يقوم برد الاعتداء واسترداد المنهوب (بالحسيب) ، أما المفدى (فبالكسيب) ، ويعرف المقدر الذي يتسلمه الشيخ من الفرقة أو العشيرة المحتية (بالخوة) وهذه في الغالب سنوية وتدفع بانتظام ، وفي حالة رفض الدفع يأخذها المطالب بالتهديد والقسر ، وحينما تؤدي الخوة يبقى الخوي (الأخ) مكلفاً بحماية المحمي ، ويكفل كل الإهانات والغزوات والسرقات التي قد تصيبه ، ويتداخل للدفاع عنه كأخ حقيقي ، وفي الحالة الثانية تدفع الخوة بعضها من الغلات وبعضها نقداً ، وهذا النوع من الخوة على القرى ليس له في الغالب مدئ ، سوى للدفاع عنها ضد النهب والسلب اللذين قد تأتيهما العشيرة القابضة لهذا الحق دون أن تتضمن أي حماية أخرى ، وهذا ما كانت تدفعه قرى المناظر كتدمر والسخنة والقريتين وغيرها مما هو في وسط البادية ، إلى أن أزالته قوى الحكومة فاتسع المجال لعمران هذه القرى واستغلال أراضيها .

ومن دواعي الأسف أن بعض القرى المتطرفة في شرقي بلاد الشام لا تزال تؤدي هذه الخوة ، للملاحظة ضعف الدرك وتراخيه أحياناً ، أو حدوث انقلابات فجائية يتضائل فيها نفوذ الحكومة ، ومبلغ هذا واحد عن كل مئة رأس ، وفي الحالة الثالثة تؤخذ الخوة من القوافل وتدعى [خفارية] كما قدمنا ، وهذه زالت الآن بفضل انتشار السيارات ، واستتباب الأمن في البوادي ، وكان مقدارها في عهد المجدييات مجيديان عن كل بعير ، وهذا ما كان يتقاضاه ابن هذال شيخ العمارات عن كل بعير ذاهب إلى العراق لاكتيال التمر ، وما كان يتقاضاه الأمير نوري الشعلان شيخ الأرولة عن الأباعر القادمة إلى الشام من العراق ، وقطعان الغنم تدفع أيضاً خوة يختلف مبلغها حسب المساومة ، لكنها ما كانت تتجاوز البرغوث الكبير عن الرأس ، وكان فيما مضى السياح الأفرنج المجتازون مناطق بعض العشائر يدفعون الخوة ، ومقدارها كان ليرة ذهبية عن كل شخص ، وكان كبار التجار في عهد القوافل التي تجتاز الصحراء يدفعون لكل العشائر خوة سنوية ، تختلف مقاديرها حسب مكانة العشيرة ، وحسب القوافل العائدة لذلك التاجر ، ومنهم الحاج محمد

البسام المتوفى في سنة ١٣٥٣ هـ ، فقد كان يدفع الخوة لجل عشائر الجزيرة العربية .

هذا والعشائر الصغيرة أو الضعيفة تحتمي بأكبر منها وتتبعه تبعية حماية (قوي يحمي ضعيفاً) ، لا تبعية قرابة أو عصبية ، إلا أن هذه الحماية تخلق واجبات أقرها العرف ، يمكن تحديدها بأن الغنم بالغرم ، فالتابع يدفع للمتبوع (الخوة) ، ويساهم في الدفاع عن منطقة النفوذ ، فيما إذا هددت هذه باجتياح ، وقد أصبحت هذه الصلة (الخوة) في عصرنا بغليظة إلى كل مخوى ، لأنها تعبر عن ضعفه وذله ، وهي سائرة إلى الزوال ، لأنها تتشى مع قوة الدولة وهيبتها طرداً وعكساً . والعشائر الصغيرة تكره أن تكون خاضعة لسلطتين في آن واحد ، سلطة الحكومة وسلطة المشيخة ، لذلك فهي تتبع القوي منها .

النجدة :

من أكبر العار عند البدو أن يفر الرجل من القتال ، أو يجبن عن نجدة رفيقه ، أو يسرق مطمورة جاره ، أو يغض على قذى امرأته أو بنته ، فمن فعل هذه الجرائم أو واحدة منها احتقر ورذل ، ورفضت البنات زواجه ، قالوا وإذا دخل مجلساً ووزعت القهوة على الجلوس مد الساقى يده بالفنجان موهماً أنه يقدم له القهوة ، حتى إذا مد يده لتناول الفنجان ، كبه الساقى في الأرض استخفافاً به ، واحتقاراً لشأنه ، فينصرف الرجل من المجلس من غير أن ينس بنت شفة ، فيأما أن يذهب ويفسل عاره بالدم ، وإما أن يقوض بيته ويرحل إلى بلاد لا يعرف أحد فيها بجنايته ، والأدلة على ذلك كثيرة .



المعارف عند البدو

ليس عند عامة البدو ولا خاصتهم شيء من (المعارف) يا للأسف ، فالقراءة والكتابة مجهولتان في البادية إلا ما ندر عند بعض أبناء الشيوخ ، لكن البدو أذكياء يدركون أموراً كثيرة بالسليقة ، وإذا أُلقيت عليهم مسألة تعلموها وفهموها حالاً ، وبعض الشيوخ النبهاء الذين عرفوا فضل العلم على الجهل يستقدم من المدن معلمين لتعليم أولاده تعليماً ، وإن لم يزد عن قراءة القرآن ، وكتابة رسالة بسيطة ، لكنه نافع على كل حال ، ومن ختم من أولادهم القرآن الكريم فرح أهله ، وأدبوا له مآدبة ، واحتفلوا به كاحتفال الزفاف .

وقد شرعت الحكومات العربية في العراق والشام ففتحت مدارس أولية سيارة لدى بعض العشائر الكبيرة ، يتنقل المعلم معها في تجوالها ويعلم صغارها ، لكن عدد هذه المدارس لا يزال أقل من الحاجة ، وكفاءة بعض معلميها لمعيشة البادية ومخالطة أهلها ، لا تزال سبب التردد والتلكؤ وشكوى (إدارات المعارف) من عسرة إيجاد المعلمين المستعدين لتعليم العشائر والإقامة بينهم ، ومن الموانع الواقفة في هذا المشروع تفرق بيوت العشيرة وراء المراعي وعسرة اجتماع عدد كاف من الأولاد لدى المعلم ، وإذا اجتمعوا لا يداومون بانتظام ، وكثيراً ما يزيدون وينقصون بين يوم وآخر ، فلا يتأتى للمعلم أن يسير على وتيرة واحدة مع الكل ، وكثيراً ما يبقى بدون تلامذة ، أو مختصاً بأبناء الشيخ فقط ، فيقعده في الربعة كخطيب أو كاتب أو ضيف يعد الأيام وينتظر الراتب ، وإذا لم يسعفه الشيخ بنفوذه ، ويضغط على آباء التلامذة ويحضهم على إرسال أولادهم ، تضيع الفائدة من وجوده .

وعلى افتراض وجود المعلمين والتلامذة ومشايرتهم على الدوام والاجتهاد ، يجب أن لا يقتصر التعليم على القراءة والكتابة فقط ، بل على مبادئ العلوم الضرورية أيضاً ،

كالحساب والديانة والتاريخ العربي والإسلامي والجغرافيا ودروس الأشياء والزراعة ، كل ذلك على أبسط وجوهه ، وبالطرق العملية الجذابة التي تقبلها أذهان أبناء البادية ، وهو ما يكفيهم ، وليسوا في حاجة إلى أكثر من ذلك .

ولأجل هذا أرى أن يكون المعلمون المكلفون بتعليم أبناء العشائر من أبناء القرى ، ومن بيئة معتادة على حياة البادية وعشرة البدو ، ومن خريجي دور المعلمين الريفية وأمثالها ، وأن يكون وقت التعليم في فصل الصيف ابتداءً من شهر حزيران ، أي حينما ترجع العشائر من نجبتها في البادية أي إلى مقايضها داخل المعمورة ، أو على مقربة من المعمورة ، لأنها تكون وقتئذ متكتلة إلى حد يسمح باجتماع عدد كافٍ من أبنائها لدى المعلم ، ويسمح أيضاً بإيجاد المعلمين الذين قد يفضلون خدمة الصيف قرب ديارهم على خدمة الشتاء في أقاصي البادية . ومدة تقيظ العشائر في المعمورة لا تقل عن ستة أشهر ، وهي كافية لتعليم أولادهم لو كان العمل متقناً من الجهتين والدوام مؤمناً .

وحبذا لو سلكت الحكومات العربية سبيل السلطان عبد الحميد العثماني ، فقد رأى بشاقب حنكته أن من جملة السبل لتحضير العشائر وإصلاح حالها هو العلم ، ففتح في الأستانة مدرسة خاصة أسماها (مدرسة العشائر) جمع فيها نخبة من أبناء شيوخهم ورؤسائهم ، فعلمهم وثقفهم حتى إذا أكملوها كان يدخل بعضهم في الكلية الحربية ، فيخرجون منها ضباطاً برتبة رئيس ، وينحهم لقب (مرافق فخري) لجلالته ، وبذلك كان يجب إليهم التمدن والتنور وخدمة الدولة من جهة ، وخدمة أنفسهم وعشيرتهم من جهة أخرى ، وكان يدخل بعضهم في (الكلية الملكية) فيخرجون موظفين إداريين وقوام مقام ، وقد تنقف في تلك المدرسة العشائرية رجال كثيرون ، سمعنا بخبر بعضهم وأدركنا آخرين ، فمنهم تركي النجس ورمضان الشلاش والمرحوم عبد المحسن المهفل ، وهؤلاء الثلاثة من رؤساء عشيرة العقيدات الفزاتية ، وعيسى الفحل من السبخة الأبي شعبان ، والمرحوم برجس بن هديب شيخ الأسبعة الأعبدة ، ونواف الصالح شيخ الحديديين ، وفايز الغصين شيخ سلوط اللجا الشماليين ، وقد صار هذا بعد قاضياً ومحامياً . ومن جبل الدروز علي الأطرش ومحمد عز الدين الحلبي وغيرهم ، ممن ترأسوا عشائرهم بعدما كبروا ، ونفعوها كل النفع بدرايتهم وثقافتهم .

ومن هذا الرعيل المثقف نعد المرحوم طراد الملحم شيخ عشيرة الأحسنة ، فهو وإن لم ينشأ من مدرسة العشائر ، لكن أباه الشيخ فندي الملحم كان علمه في إحدى مدارس حص الأهلية ، فشحن بذلك ذكاه الفطري وصار طراد من بعد خطيباً لسنأ ، ومحامياً منطقياً في مجلس النواب السوري ، كلما طرحت قضايا العشائر ومطالبها لبساط البحث ، وعندنا أن أحسن عمل تقوم به الجمهورية السورية فوق المدارس الأولية التي تقدم ذكرها هو فتح مدرسة في تدمر ، بحكم أن تدمر عاصمة الصحراء وقطب دائرة منتجعات العشائر وممر أكثرها من رحلي الشتاء والصيف ، على أن تكون هذه المدرسة الخاصة داخلية مجانية مستوفية الشروط يتعلم فيها أبناء شيوخ العشائر وكبرائهم تنشيطاً لهم وجذباً لقلوبهم ، لأن هؤلاء الأبناء الذين سيخلفون يوماً ما آباءهم إذا تعلموا وثقفوا أو نالوا على الأقل الشهادة الابتدائية يرجى أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم ، ودعاة التحضير والاستقرار والتهديب لعشيرتهم .

وأحسن عمل يقوم به شيوخ العشائر ورؤساؤها الميسورون أن يبعثوا بأبنائهم إلى العواصم والحوضر ، ويضعونهم في المدارس الداخلية الراقية ، ويعينوا بتعليمهم وتثقيفهم ، كما فعل بعضهم من الذين عرفناهم كالمرحوم الشيخ عجيل الياور شيخ شمر العراق الذي علم ابنه وخليفته صفوق في جامعة بيروت الأميركية ، و خليل بك إبراهيم باشا رئيس عشيرة المليية الذي علم ابنه محمد علي في مدارس حلب وأنابه عنه في رئاسة العشيرة ، والحاج مصطفى شوبطية شيخ عشيرة الأبوليل الذي علم ابنه وخليفته نوري في تجهيز حلب .

وليت عدد المقتدين بهؤلاء والمدركين بأن عصرنا الحالي هو عصر المعرفة والثقافة يكثر ، وأن من لا إلمام له بمبادئ العلوم على الأقل - ناهيك باللغات والقوانين - ومن ليس له لسان يحسن الإفصاح ، وجنان يجيد الدفاع عن مطالب عشيرته وحقوقها تجاه الحكومات والسلطات وقضاة الحاجات لا تسمع كلمته ، ولا تحفظ حرمة كما ينبغي ، مهما كرمت نبعته ، وكثرت شيعته ، وكبرت ثروته ، ورحم الله من قال :

العلم يرفع بيوتاً لا عماد لها والجهل يخفض بيوت العز والكرم

☆ ☆ ☆

الدين عند البدو

قال الأستاذ عز الدين التنوخي في هذا الصدد : الإنسان ابن البيئة والمربي ، والبدوي لحشوته وعنجهيته ، في أخلاقه شراسة وقسوة ، فهو لا يشعر بما يشعر به القروي المتحضر من عواطف الرحمة والحنان ، أو ما تجمل به من محاسن الحضارة ، كاللين والعطف ورقة الطبع وخفة الظل إلا قليلاً ، وما حفظته كتب الآداب لنا أن رجالاً من وفد تميم نادوا النبي ﷺ باسمه من وراء الحجرات فقال الله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » فالبدو لحشونتهم وتوحش بواديهم جفاة الطباع قساة القلوب ، وأشد الناس حاجة إلى ما يشذب من أخلاقهم ، ويثقف من أميالهم ، وينبط ماء الحنان والشفقة من قلوبهم ، والبدو لفقد الوازع بين ظهرائهم وفقد انتشار العلم بين قبائلهم بحاجة كبيرة إلى الدين البسيط الخالي من الخرافات ، وهم أشد الناس خضوعاً للدين إذا عرفوه ، وله في نفوسهم تأثير شديد جداً .

في القرون الأخيرة عم الجهل بالدين جزيرة العرب اللهم إلا بعض جهاتها كعمان واليمن ، ولم يستفك العرب من سباتهم ولا انقضت عنهم ظلمات الجهالة إلا بعد قيام محمد بن عبد الوهاب وآل السعود بثورتهم الدينية والسياسية والقومية ، فترى اليوم عربان نجد والقصيم أقل من عربان بادية الشام وسواد العراق شروراً وجهلاً بأمور الدين ، فعربان شمر مثلاً يصلون ، وأما الأرولة فلا يعرفون إقامة الصلاة ، ومثلهم بنو صخر والسرحان وأكثر عربان بادية الشام .

وقال المطران بولس سامان يصف بدو شرقي الأردن : البدوي له دين ويعتقد بوحداية الله عز وجل ويسلم برسالة نبي الإسلام فيقول دائماً في كل خطوة من خطواته (الله و محمد رسول الله) ، وأما باقي الفرائض الدينية كالصلاة والزكاة والحج والعيام فلا يقر لها وزناً ولا اعتباراً ، قال : وهم يأنسون إلى المعتقدات الطبيعية ، ويكرمون الأحجار

المقدسة ، والأشجار المورقة ، والمياه الرفيعة التي يعزون إليها شفاء الأمراض ويقدمون إليها ذبائح شكر ، وقال : وكثير من أهل البادية لا يعتبرون ماهو مسطر من الصلوات ، بل يعرفون غيرها فيوردونها قائلين (يارب فرشت عباقي اقبل صلاقي) .

وقال الأستاذ عباس العزاوي : العقيدة عند البدو قليلة الكلفة بسيطة ، وأساسها قبول ماكان قريباً من أذهانهم وأحق بالأخذ ، ومن حين دخلهم الإسلام زالت منهم عبادة الأصنام والأشخاص ، وحل التوحيد فلا يميلون إلى الرسوم والأوضاع الزائدة ، ومن المعلوم أن الإسلام أعلن عقائده بأوجز عبارة ، وهي إيمان وعمل صالح واستقامة ، والبدوي لا يريد أن يعرف غير ذلك ولا يشغل ذهنه بأكثر ، والبدو أقرب إلى التوحيد الخالص ، وتراهم في نفرة من مراقد الصلحاء ، وغالبهم على مذهب السلف بسبب المجاورة لنجد أو هم قريبون منها ، وقال : ومن حاول إصلاح هؤلاء وجب عليه أن يلقتهم العقيدة من ناحية تفكيرهم ، دون أن يدخل فيها ما لا تقبله أفهامهم ، بأن تلخص له أساسات العقيدة بلا توغل في تفرعات زائدة ، وأن لا يعرف بأصحاب المذاهب إلا أنهم علماء معروفون لأكثر ، وأرى أن يكثر له من تدريس القرآن الكريم ، وأن لا يعدل عنه ، وأن يسترشد بأحكامه ، وهم في الغالب مالكية أو حنابلة ، ويجب أن يلقتهم العبادات على مذاهبهم بما لا تصح بدونها ، وأن يلاحظ تقليل التكاليفات قدر الإمكان والدين يسر ، وأرى من الضروري تدريسهم مجمل التاريخ الإسلامي ، وذكر الغزوات والملاحم الإسلامية بحيث يتجلى لهم النشاط وصفاء الأخلاق ، والتفادي في سبيل هذا المبدأ الجليل ، وأن لا تنسى العلاقة وأن يحل هذا التاريخ محل القصص الخرافية والحكايات التي لا يؤمل منها نفع تهذيبي .

قلت : وبعض شيوخ العشائر العاقلين المتدينين يستقدم من المدن رجالاً من منتسبي العلوم الشرعية ، ويجعله في العشيرة إماماً لإقامة الصلاة وتلاوة الأوراد والأذكار ، وربما كلفه تعليم الأولاد القرآن والقيام بعقود النكاح ، ويدعون هؤلاء في براري الشامية خطباء جمع خطيب ، وفي براري الجزيرة ملالي جمع ملا ، وهي كلمة تركية بمعنى فقيه ، ويكون هؤلاء قدر واحترام في العشيرة ، ويبتهم منصوب قرب بيت الشيخ ، وإذا كانوا من ذوي الورع والعرفان نفَعوا نفعاً جزيلاً ، في بث روح التقى والصلاح بين البدو .

وحبذا لو يكثر عدد هؤلاء الخطباء والملالي في كل عشيرة ، وفي معية كل شيخ ، على

شريطة أن يكونوا من ذوي المبادئ والمعلومات الدينية الصحيحة ، المؤدية لإشراق البدو أسس الدين وحب البر والتقوى واجتناب الإثم والعدوان ، وعلى أن لا يكونوا من المزمتمين أو الحشويين لئلا يفسدوا ويضروا بدل النفع .

وليت (دوائر الإفتاء والجمعيات الدينية الإسلامية) في عواصمنا وحواضرنا تتنبه لهذا الأمر ، وتهيء خطباء ووعاظاً من خريجي المدارس الشرعية ، تدربهم وتضع لهم تعليمات وبرامج ، وتنشرهم بين العشائر ليعظوا ويرشدوا ، ويبشوا روح الفضيلة والعبادات الإسلامية الصحيحة .

ومن المؤلم أن يكون في أوروبا وأمريكا جمعيات دينية تجد شبيهاً وشباناً من الرهبان والراهبات ، تقذف بهم إلى أي مكان في الأقطار البعيدة عن الأمان والعمران في مجاهل أفريقية وصحاري آسية حتى بين البرابرة والمتوحشين ، فيذهب هؤلاء ويعيشون في غاية من الضنك والحرمان ، وخطر الأمراض والثورات ، وراء الدعاية لدينهم ومذهبهم ، بينما لا يكون عند المسلمين دوائر شرعية رسمية ، ولا جمعيات أو طرق دينية تقوم بهذا العمل الضروري ، نزولاً عند أمر الآية القائلة ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ، ولا فتیان من منتسبي العلوم الشرعية أو العصرية يضحون بنعيم المدن ، ويقبلون على إرشاد أبناء قومهم ودينهم من العشائر ، وقد تكون العشيرة التي يرافقونها غير مقصرة في تسهيل مقامهم وتوفير غذائهم ، فهل من مجيب ؟



الشعر عند البدو

إن هذا البحث يضطرنا إلى أن نأتي بادئ ذي بدء ببضع كلمات عن الشعر البدوي الجاهلي ، ثم عن الشعر البدوي العصري ، ونقارن بينهما ماوسعنا الجهد والإحاطة - وإن لم نكن من فرسان هذا الميدان - فنقول :

الشعر عند بدو الجاهلية :

للبدو في كل زمان ومكان عواطف كالتي لكل الناس ، والعواطف كما هو معلوم هي مبعث الشعر ومصدر العلم والنظم ، تتكون حسب البيئة التي ينشأ فيها الإنسان ، وتشكل بشكل المعيشة التي يعتادها ، والبدو في الجاهلية كان لهم شعر من أبداع الشعر ، خضع لناموس النشوء والارتقاء ، ومازال يتدرج حتى بلغ إلى مابلغه شعراء المعلقات السبع وأمثالهم ، من نظم منسجم ونفس طويل ووحدة في القافية ، ويقال أن هذا الشعر بدأ في وزنه بالرجز ، مناغمة لسير الإبل ووقع أقدامها أو نحو ذلك ، ثم تدرج بعد في أوزانه من البسيط إلى المركب ، وهكذا .

وكان في الجاهلية لكل عشيرة شاعرها أو شعرائها هم من أكثرهم شعوراً ، وأحدهم عاطفة وأقدرهم على تصوير عواطفهم القومية ، وأحاسيسهم الشخصية ، وكانوا كذلك من أعلم قومهم بما تتطلبه هذه المعيشة من معرفة بالأنساب والأخبار ، وفنائل العشيرة ومثالبها ونحو ذلك ، وفي كل مايجول بنفسهم ، وما يحدث لهم ولعشيرتهم ، قالوا شعرهم مشتقاً من بيئتهم التي نشؤوا فيها ، وتنوع شعرهم بتنوع العواطف التي تحسسوها .

وشعراء البدو في الجاهلية ماكانت تقع أعينهم إلا على البراري والقفار الشاسعة والوحوش والغزلان السارحة ، وظواهر الجو العابسة وعوارض الأرض اليابسة ، ناهيك

الطعن والضرب والخيل والنوق والنساء ، فإذا سار أحدهم وحده وراح يطوي البید الخالية خاطب مهرته أو ناقته وناجها بشعر موزون على وقع أقدامها ، فتجاوبه بهممتها وأنتها ، كأنها واعية والهة وتنشط وتغذ السير .

وإذا كانت باديتهم محدودة المناظر ، مطردة المشاهد ، قد كفوا مشاغل المدينة ، فأكثرُوا من وصف مطاياهم ، وهي الإبل إذ هي صديقتهم في رحيلهم ، ومادتهم في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ، فأكثرُوا القول فيها من كل نواحيها ، وكما وصفوا الإبل وصفوا الخيل والطير والظباء وغيرها من حيوانهم ، ووصفوا الصحراء الجذباء والخضراء أي أن شعرهم كان صورة صادقة لحياتهم ومناظرهم وعواطفهم .

وأمثلة هذا الشعر البدوي القديم كثيرة لا تحصى ، تجدها في كتب الآداب والدواوين يضيق مجال كتابنا عن إتيانها .

ثم ما أكثر ما كانت المرأة تعبت بعواطفهم ، لكثرة فراغهم واتصال حياتهم بحياة النساء ، يشاركنهم في الحل والترحال ، فإذا رحل أحدهم فلا يعدم في الطريق بيت شعر يضيفه ، يرى فيه نساءه ، ويحدثن ويحدثنه ، فتتهيج عواطفه بالحب والذكرى ، كل هذا ونحوه ملأ حياته بالمرأة ، يشعر فيها إذا حل معها ، ويشعر فيها ألماً لفراقها ، ويستفتح بذكرها قصيدته ولو لم تكن موضوعها ، وربما خطرت في ذهنه في أخرج مواقف القتال ، أو إذا هبت الريح من جانبها ، أو ناحت حمامة بجانبه ، فكل شيء يذكره بها ، فيأتي من الشعر بقول لا تعمل فيه ولا كلفة ، يلائم أمزجتهم وطباعهم ، ويناسب بيئتهم وسداجتهم ، وقد يكون لهم مع ذلك النكتة البارعة ، والكلمة الجميلة مما يصيب الطرب والإعجاب ، وكل هذا من الوحي والإلهام الذين تنزلها الفطرة القوية ، لا من نتاج العلم والتعلم .

قال الجاحظ في البيان والتبيين « وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هنالك معاناة ولا مكايده ولا إجابة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر ، أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة والمناقلة ، أو عند صراع ، أو حراب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذي إليه قصد ، فتأتيه المعاني أرسالاً وتنثال عليه الألفاظ أنشالاً » اهـ .

والشاعر الجاهلي كان أكثر ما ينظم الشعر لحاجة في نفسه من حماس أو غرام أو افتخار وما أشبه ، تهيج فيه قوة التصوير ، فينشد ويتغنى بشعره ، فيحفظه بعض الأعراب عرضاً أو عمداً ، فيسير من حي إلى حي ، ومن ماء إلى ماء ، حتى إذا ما اشتهر اسمه ، أتت وفود العشائر تهنيئ عشيرته ، وتطرب معها وتفرح ، وكان الشاعر الجاهلي دليل قومه ، والمدافع عنهم ، يفتخر بنفسه وقومه أحياناً ، فيقول :

إننا نعف فلا نريب حليفنا	ونكف شح نفوسنا في المطمع
ونقي - بأمن مالنا - أجسامنا	ونجر في الهيجا الرماح وندعي
ونخوض غمرة كل يوم كريهة	تردي النفوس وغناها للأشجع
ونقيم في دار الحفاظ بيوتنا	زمناً ويظعن غيرنا للأمرع

وقد يجعل الشاعر من المعاييب محاسن ، كما فعل الخطيئة ببني أنف الناقة حينما قال :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنب

ولم يفت سياسة العرب الانتفاع من هذا المورد العجيب ، فكانوا يدفعون به بين العشائر ، لتهيئة أفكار الجمهور لانقلاب مفاجئ ، أو لإعداد صلح ، أو لإشهار حرب ، أو لنشر ماثرة . فكان الشاعر كثير النفوذ ، شديد التأثير ، حتى شبهه بعض الباحثين المتأخرين بقوله : (هو صحافي تلك الأيام) ولكن صحافي تلك الأيام لم يكن ليتزلف ، فيخدم رأياً لا يراه ، ومبدأ لا يسلم به ، ولم يكن لينال إلا بالعاطفة والرغبة .

الشعر عند بدو زماننا :

أما بدو زماننا فهم يشبهون أسلافهم الجاهليين بقرض الشعر وحفظه وسماعه ، ولهم في صفاء جوهم ، وخلو بالهم ، أكبر عون على ذلك ، ولا يزال يظهر بينهم شعراء يقولون القصيد الذي هو من صنف الشعر الغنائي ، ويتفننون به ، فيتغزلون ويفخرون ، ويتحمسون ويشببون ويمدحون ، ويهجون ويرثون ، وهم يستخدمون التشبيه والمناظر ، كما كان يراها أسلافهم في البادية ، ويستعملون المعاني والاستعارات التي كان الجاهليون

يأتون بها في عصرهم ، لكنهم لا ينطقون مثلهم ، ولا يبلغون شأوهم يالأسف في امتلاك ناصية اللغة الفصحى ، وإجادة التصوير ، وسمو المعاني ، وبلاغة الألفاظ والمباني .

فالشعر عند بدو زماننا ليس فيه على الجملة مزايا ماسلف ، ولا وضاحة مامضى وانصرف ، لأنه يقال بلهجة مشوبة بالحوشي والغريب من الكلام ، طافحة باللحن ، محرومة من الأعراب ، بعيدة بعداً كبيراً عن الصورة الناصعة ، ورقة اللفظ وحلاوة الجرس التي للشعر البدوي القديم ، كما تشهد على ذلك المنتخبات التي سردناها في خاتمة هذا البحث ، وأكثر شعراء الماضي كانوا من علية القوم والبارزين ، فكانوا لا يقولون الشعر للتكسب ، بل لحاجة في أنفسهم ، أو لدافع فطري ، أو لمنظر حماسي أو غرامي ، بينما أكثر شعراء البدو في زماننا أناس مرتزقة ، فقراء في الغالب ، يتجولون بين الأحياء ، ويتكسبون من شعرهم ، وجل هؤلاء من عشيرة الصليب ، وهم مقبولون أكثر لغلبة البدواة الصرخاء على أخيلتهم وألسنتهم ، فتجدهم عند البدو الأقحاح من شمر وعنزة ، وبعضهم من طائفة النور ، وتجد هؤلاء عند البدو المتحضرين (أعراب الديرة) ، ولكل عشيرة الآن شاعر خاص ، يتبعها في حلها وترحالها ، يمدح الشيوخ والرؤساء ، ويثني على كرمهم وجودهم ، ويصف الغزوات وأفعال الأبطال الكماة ، ويشهر قدرهم ، ويعلي ذكركم .

على أن الأستاذ الشاعر خير الدين الزركلي الذي خبر شعر البادية في الحجاز ، يعذر بدو زماننا في مارجونا أن لا يكون ، فقد قال في كتابه (مارأيت وما سمعت) تحت عنوان (أدب البداية) ما يلي « ليس من الخطأ في شيء أن يقول قائل : إن عرب الجاهلية وصدر الإسلام وما بعد هذين العصرين اللذين أينعت فيهما ثمار الأدب والشعر وأتت قرائح أبنائهما بالمعجب والمطرب لم يبرحوا يراهم من يرى عرب هذا الجيل في الكثير من عاداتهم أو أخلاقهم وآدابهم إلا مافقدوه ، وهو الخسارة الكبرى أعني (الأعراب) في لغتهم ، والاحتفاظ بفصيح البيان في منشورهم ومنظومهم ، فهذا لا مجال للمقابلة بينه وبين العهدين . أما الشعر من حيث هو شعور في النفس يترجم عنه اللسان فإنه لم يزل مما تحافظ عليه البادية ، وتتفرد بالإبداع فيه عن الحواضر ، دع ما بين سكان المدن وسكان الخيام من الفرق في قدرة الأول على الاختراع ، وقوة الثاني في الرصف والصنعة ، يقف الشاعر البدوي اليوم فيسامر الآثار ، ويصف السحاب ، وينعت الجبال ، أو يحن إلى

حبيب ، أو يبكي لرفاقه ، أو يرثي كريماً ، أو يمدح عظيماً ، فترى فيه روح ذلك الشاعر البدوي الذي كان يقصد عكاظاً قبل أربعة عشر قرناً ، حاملاً في صدره ماقال من وصف ، أو حنين أو رثاء أو مديح .

وبالجملة فإن الشاعرية الفطرية ما انفكت تصحب الكثيرين من البداة حتى اليوم ، ولا أرى ما قد يراه سواي من انتقاص هؤلاء أو بخسهم أدبهم ، لشيوخ العامية فيهم ، أو لاعتمادهم عليها في شعرهم ، فما كان الشاعر الجاهلي لينطق بغير اللغة الشائعة المتداولة في أيامه ، وما كان - ولن يكون - من الإنصاف أن نطالب ابن هذه الصحراء القاحلة بالتعبير عما يحيش في صدره بلغة غير لغته التي تلقاها عن أمه وأبيه وعشيرته وأهله . فالبدوي الجاهلي قبل الإسلام والبدوي المعاصر من أبناء هذا العهد سواء من حيث الإفصاح والإبانة عن كوامن النفس بلغته المعروفة المألوفة ، فما كان ذلك بالمتكلف إعراباً غير إعرابه ، فتكلف هذا وما كان ذلك بمتلق عروض الخليل أو نحو سيبويه ، فنعيب على هذا اجتنابها .

على أن من يكثر من سماع شعر البادية في عصرنا الحاضر ، وينعم النظر فيه لا يعدم العثور على كثير من مبتكر المعاني والتشابه ، مما لو أعرب ونسج على منوال ما ألفناه من الأوزان ، لرأينا فيه حسنات غير يسيرة ، ولئن عد من أعظم خصائص الشعر في الجاهلية تأثيره في النفوس ، ولعبه بالعقول ، وتخليده الوقائع ، جرى شعر البادية في عصرنا مع شعر الجاهليين في ميدان واحد ، وصحت المقابلة بينهما من هذه الوجهة لا غير ، ذلك لأن شعر البدوي اليوم يؤثر في عقول البداة ، كما كان يؤثر الشعر الجاهلي في الجاهليين ، وقد يخلد الحوادث العظيمة فيهم كما كان يخلدها شعر ابن تلك العصور الخالية ، ولو أقبل أهل الحواضر من المعاصرين والمتقدمين قليلاً على تدوين شعر البداة لحفظ لهم تاريخ هؤلاء ، كما حفظ تاريخ أولئك ، ولما ذهب ضياعاً ما لمجاورينا في صحرائهم من خبر أو أثر أو معنى مبتكر .

بل لو ولع العربي في هذا الزمن بأخبار بداة العرب في الأزمنة المتأخرة بعض ما كان له من الولوع بأخبارهم قبل العصر الإسلامي وبعده بقليل لا اضطر إلى رواية شعر هؤلاء ، كما يروي شعر أولئك ، ولأضيف إلى الأدب العربي أسلوب جديد ، اختارته هذه البداة ،

كما اختارت ذلك تلك ، ومعاذ الله أن أقول بإحلال هذا منزلة ذاك ، أو بالرضى عن قبول هذا الأدب المشوه بالعجمة واللحن ، يتغلغل بين حنايا الأدب الصحيح أدب العرب الخالد ، فإن في ذلك لجنانية على لغة القرآن ، وسهماً في كبد البيان .

وإن المختلط اليوم بالبداة ليعجب مما لبضاعة شعرهم فيهم من الرواج ، ويراهم في تعلقهم بها وإقبالهم عليها ، يفوقون الحضر في عنايتهم بشعرهم الصحيح وأدبهم القويم ، ينظم الشاعر المبدع من أهل مصر أو الشام أو العراق القصيدة ، وينشرها في إحدى الصحف مشكولة كلماتها ، مفسرة ألفاظها ، موضحة معانيها ، ثم ينظر إليها عن بعد ، يتقرب ما يكون لها من الأثر في نفوس القوم فإذا قارئوها ثلاثون في المئة من قراء الصحيفة ، وفاهوها عشرة في المئة منهم ، ولا يحفظها واحد في الألف . ويرتجل الشاعر البدوي القصيدة ارتجالاً لا يتعمل فيها ولا يتكلف ، ولا يرجع إلى قاموس ، فيتناقلها الحفاظ من بعيد القبائل ، يتناشدونها ويتغنون بها . ولا أغالي إذا قلت أنها تعيش في أدمغة هؤلاء قبل أن تكتب ، أكثر مما تعيش تلك في أدمغة أولئك ، وقد نشرت وكتبت « اهـ .

وقال الأستاذ طه حسين في رسالته (الحياة الأدبية في الجزيرة العربية) طبع دمشق سنة ١٣٥٤ هـ « إن في جزيرة العرب أديبن مختلفين ، أحدهما شعبي ، يتخذ لغة الشعب أداة للتعبير ، لافي جزيرة العرب وحدها بل في البوادي العربية كلها ، في الشام ومصر وأفريقيا الشمالية ، وهذا الأدب - وإن فسدت لغته - حي قوي ، له قيمته الممتازة من حيث أنه مرآة صافية لحياة الأعراب في باديتهم ، وهو في موضوعاته ومعانيه وأساليبه يشبه كل الشبه للأدب العربي القديم الذي كان ينشأ في العصر الجاهلي ، وفي القرون الأولى للتاريخ الإسلامي . ذلك لأن حياة العرب في البادية لم تتغير بحال من الأحوال ، فحياة القبيلة الاجتماعية والسياسية والمادية الآن كما كانت منذ ثلاثة عشر قرناً ، فطبيعي إذن أن يكون الشعر المصور لهذه الحياة كالشعر الذي يصور الحياة القديمة ، وأن يكون موضوعه : ما يقع بين القبائل من حروب ومخاضات ، تدعو إلى الفخر والمدح والهجاء والرثاء ، وما يشور في نفس الأفراد من أنواع الآلام واللذات ، التي تدعو إلى الغناء والشكوى حيناً ، والحب حيناً آخر ، والعتاب مرة ثالثة ، والقصيدة العربية الشعبية الآن كالقصيدة العربية

القديمة ، تبدأ بالغزل القليل البسيط المؤثر ، ثم تنتقل إلى وصف الإبل والصحراء ، فتطيل في ذلك ، ثم تطل إلى غرضها من مدح أو فخر أو غيرهما من فنون الشعر . ومثل ذلك يقال في الخطابة ، فالبدوي الآن فصيح كالبدوي القديم ، حلو الحديث ، محب للسمر ، والقصص إذا اطمأن واستراح ، خطيب بليغ ، إذا كان بينه وبين غيره خصومة أو جدال ، وهذا الأدب الشعبي العربي يرويه في البادية جماعة من الرواة ، يتوارثونه عن آبائهم ، ويورثونه لأبنائهم ، ويكسبون بروايته حياتهم المادية ، ومكانتهم الممتازة أحياناً ، ولسوء الحظ لا يعنى العلماء في الشرق العربي بهذا الأدب الشعبي عناية ما ، لأن لغته بعيدة عن لغة القرآن ، وأدباء المسلمين لم يستطيعوا بعد أن ينظروا إلى الأدب على أنه غاية تطلب لنفسها ، وإنما الأدب عندهم وسيلة إلى الدين « ا هـ .

قلت : إن بين البدو أناساً كثيرين واسعوا الحفظ يستظهرون على صفحات قلوبهم ما يسمعون مرات أو مرة واحدة ، وهم أميون لا يعرفون من القراءة والكتابة حرفاً ، فيحفظون قصائد سمعوها من دهر بعيد لا يخلون بكلمة واحدة منها .

وقد قدمنا أن أكثر شعراء البدو في زماننا من المرتزقة ، ومن مزايا الشاعر عند البدو فوق اتساع الخيال وكثرة الحفظ أن يكون نقاداً لأحوال العشائر ، عارفاً بأذواق الأعراب وطبائعهم ، وما يحل في صدورهم محل الرضى والاستحسان ، بارعاً في وصف المواقع والحروب ، ومن مزاياه أيضاً أن يكون ذا صوت رخيم واضح ، لأن الشعر عند البدو مغنى ، والأصوات الرخية عندهم هي القوية المرتفعة ، والأصوات الناعمة المائعة التي يجبها أهل الحواضر لا تنال عندهم استحساناً ، بل ربما اسهجنوها وكرهوها ، وهم يعدون أنغام المرمين والمطربين في المدن ألحاناً شاذة مملة لا يجدون بها لذة ، ولا تبعث في أعطافهم هزة ، وكذلك أهل الحواضر إذا سمعوا غناء البدو لا يدركون له معنى ، ولا يفهمون أكثره ، ذلك لأن البدو كما قدمنا لا يراعون في أشعارهم قواعد العربية ، فعندهم ألفاظ كثيرة شذت عن منقول العربية الفصحى ، فأنزلت في غير منزلها ، وعندهم أغلاط كثيرة صرفية ونحوية ولغوية تحتاج لمعجم أو ترجمان يفسر الغامض منها ، ويأتي بما يقابلها من العربية المعروفة في الكتب أو المألوفة في الحضر ، فهم يكسرون أواخر الأفعال المضارعة للقفائية ، ويضعون نون المضارعة على الأفعال الماضية ، وينصبون المبتدأ في كثير من



الأحوال ، كما ينصبون الفاعل كنصبهم للمنادى المفرد وللمبتدأ أو يجرونها كما يجرون المفعول به ويسكنون أو آخر الكلمة للوزن ، ويدغمون الأسماء ، وشعراء البدو يستعملون الكلام الحوشي الذي قل أن يفهمه أهل الحواضر ويستسيغونه ، خاصة أولئك الذين لم يألفوا معايشة البدو ومطارحتهم ، وعلة هذا الاستعمال ذوقهم الخشن ، وما اعتادوه وألفوه ، وشعرهم اليوم خص كالشعر الجاهلي ، بالبداهة والسذاجة ، وفقدان التكلف ، مع المغالاة أحياناً في الوصف .

هذا ويكون الشاعر عند البدو مجيداً إذا ضرب على الرباب ، وأتقن الضرب ، فتأتي الرباب تارة بصوت حزين وتحن وتئن أنات الأسى عند إنشاد مرثية محزنة ، وتارة تهب بصوت عاصف كصوت الأبطال في الحروب ، فتترنج أعطاف الحاضرين طرباً واستحساناً ، وتارة تجري كسيل هادئ في مدح الشيوخ وأهل الكرم ، وتارة تمثل سير النياق والظعنون وهكذا ، والشيوخ يعلقون الرباب وسط مضرهم يعدونها للشعراء في أوقات الأفراح ، كمولد أو عرس أو ختان أو عيد ، والشعراء يكرمون ويعززون مها كانوا أذلاء أو فقراء ، وتخشى العشائر لسانهم وهجاءهم ، ولو كانوا من طائفة النور ، أو من عشيرة الصليب المعدودين من الخشارة في المجتمع البدوي ، والمحترفين حرفة الشعر والتكسب منه .

وكما كان للعرب في جاهليتهم أسواق كسوق عكاظ لإنشاد القصائد الغراء والتفاخر بها على مسامع الجماهير المجتمعة ، كذلك لهم الآن ما يشبهها في بيوت الشيوخ ، فترد الشعراء من أطراف البادية إلى بيت الشيخ ، ويأخذون الرباب المعلق في العمود ، ثم يضربون عليها ، وينشدون وإذا حضرت هذه المجالس ترى السامعين قد ترنحوا نشاوى حيناً يغنيهم أحد المنشدين شعراً جميلاً على نغمت الرباب ، فإذا كان حماسياً قلقته بهم المقاعد وأقضت ، وإذا كان تشبيهاً تمايلت الرؤوس وتسارعت الأنفاس ، وإذا كان في التوجيع والشكوى سكبت الدموع وهطلت الزفرات .

ومن راق أشعاره حكموا له بالفضل وعلو القدر ، فتتناقلها الألسن وتحفظها الصدور ، وتنشرها العشائر ، ويتغنى بها البدو دهرًا طويلاً ، وتبقى أثرًا جليلاً ، ويأمر الشيخ للشاعر المحيد بالجوائز السنية ، والبدو أهل بصيرة نقادة يميزون بين جيد الشعر ورديئه .

وقد كنا ذكرنا في المقدمة أن المستشرق المسيو مونتاني الفرنسي أحد أساتذة معهد الدراسات الشرقية في دمشق كان من المولعين بأدب البدو وشعرهم ، حريص على التقاطه وتدوينه ، قبل أن تعبث به دواعي التحضير وعوادي الزمان ، فتضيعه وتغيره ، فذهب إلى مضارب عشيرة شمر في الجزيرة ، وتجول بضعة أسابيع ، وأشهر من فريق إلى فريق ، واستنطق المعمرين والمدركين ، وتسقط منهم قصصاً حربية وحماسية وغرامية وغيرها ، مما يتداولونه ويترنم به شعراؤهم ، وقد كتبها بنصها وفصها ، وترجم كلماتها وجملها بالفرنسية ترجمة دقيقة وشرحها ، وبعد هذا التعب خرج بمقالة ضافية غاية في الجود والمتعة ، درجها في (مجلة الدراسات الشرقية) للمعهد المذكور (ج ٥ سنة ١٩٣٥ م) ، تشبه ما عمله أبو الفرج الأصبهاني في كتابه (الأغاني) ، تنبئ لو أن أحداً من الناطقين بالضاد ، والمولعين بالأدب والشعر ، يقرأها وينسج على منوالها ويأتي بمثالها .

هذا وأنواع القصيد عند البدو متعددة ، فمنها (السرحي) الباحث عن السرح ، أي عن السفر إلى الغزو والحرب ، و (الهجيني) الذي يرافق سير المهجن ، ويحثها على السير ، و (الحدو أو الحداء) وهو غناء الراعي حينما يسوق الإبل والغنم ، ويغني لها كما هو غناء الفرسان وهم يغذون السير ، والأمثلة على ذلك كثيرة درجنا بعض المختارات مما عثرنا عليه ، وغرضنا من ذلك إلفات النظر وإلا فلا حد للاستقصاء والاختيار ، ومجال كتابنا لا يتسع لأكثر من ذلك .

إن شعراء البدو في زماننا إما أن يستهلوا قصائدهم بذكر المولى عز وجل وصفاته الكريمة ، وبالاستغفار إليه ، والاستغاثة بلطفه ، كقول (أدكيس) وهي امرأة من الصليب اشتهرت بقرض الشعر والظرف :

يا الله يا عايد على كل ديرة يا رب يا منشي مزن مصادير
يا الله عسى ما تكره النفس خيرة يا والي الدنيا عليك التدابير
وكقول أحد شعرائهم :

أبدي بذكر إلهي على الكل منان يا رب يا خلاق عرشاً بسمايا
نطلبك يا رب يا رافع الشان ترفع عبيدك من جميع الدهايا

وإما أن يستهلونها بنداء (يا راكباً أو يا راجباً) فيخاطبون راكبي النوق والخيل المغيرات الذلولة السبابة ، ويصفون هذه النوق أو الخيل وهي سائرة براكبها نحو مضرب الشيخ الذي وجهت إليه الرسالة ، كقول شاعر من عشيرة الأحسنة يعاتب (الموالي) وأميرهم ، ويفتخر بقومه لما ردوا الموالي في إحدى غزواتهم ، وقد حملوا فيها البنادق أول طلوعها ، وجروا معهم بعض الحديديين ، ولعل الأمير المقصود هو أحمد بك الذي قدمنا ذكره في بحث التاريخ (ص ٩٦) ، ولعل هذه الغزوة حدثت قبل الأخيرة التي قتله الأحسنة فيها . وقد سمعنا هذه القصيدة من المرحوم الشيخ طراد الملحم :

يا راكباً من فوق موما العلوي	عليه من ياخذ خفيف الرسالة ^(١)
تلفي لـذبحاح الغنم والفروي	وسلم عليه وسأيله كيف حاله ^(٢)
يا ميرليه الشاة رايد تبوكي	وفرشت وجهك لتحديدي عتاله ^(٣)
أنتم عليكم البوك والرب فوكي	واحننا علينا ردهم بالجمالة ^(٤)
ركبوا عليكم مخضبين العروكي	عيال الحسيني كل أبوهم جهالة ^(٥)
من يوم بطلتوا شيلكم للعروكي	بارودكم سوى عليكم رزالة
بارودكم بخشوم ربعي نشوكي	عطر البنية الي تنثر جدالة

وكقول أحد شعرائهم في وصف الناقة التي حملت قصيدته إلى المرسل إليه ، وهم يسمون هذا المطلع (مشد القصيدة) ، والناقة كما تعلم صديقتهم في الحل والترحال ، ومادتهم في المأكل والمشرب والملبس ، فمن حقها أن توصف وتمدح :

يا راجب الي سولع الذيب	رمله ولا عمر الحوير غذى به
تجري بذرعان سوات الدوايب	وحده تقلطها ووحده جنبه

(١) العلوي : العلائق المربوطة بشداد البعير .

(٢) الفروي : الجزور .

(٣) تبوكي أو تبوق : تشرق .

(٤) بالجمالة : بالحنى .

(٥) العروكي : الرماح المخضبة بالدم .

شذب عليها مظلم الليل تشذيب
جأن الشجر عنها عداله جناديب
العين حمرة لون ضوء المشاهيب
ريحمة عرقها عنبر من هلو جيب
لو درهمت شدة ملاوي العصاليب
أبوها منفلها على الفطر الشيب
سبيها يكسي متان العراقيب

ومثلها قصيدة مدحية قالها كنعان الطيار من رؤساء عشيرة الولد علي في حق مطلق
الجربا وشيوخ شمر :

يا راجباً هجيناً إليا شوملن
سلم على نزل (السيفاة) تحية
يشدا هدا ج ليا كثر وردو
قاصين الرجل عن بيت جارهم
أدهانن إذا كانن ما يلحق الضد جيلهم
ياما تقضوا من حجي مخفى عداوه
قهارة المظهرور بوجه ضدم
يغطن برغام العجاج وينثن
محمل ركاب الصبايا لوجه ضدم

جن السفن والأنعام الهوارب
ملفاك (أخو جوزة) عفيف الشوارب
سوى بزاد البيت مثل النهايب
ما يدخنوا قاصين أليا غائب
عيان إلى لوا مقلقين الطلايب
وما دبحوا من شايشن بالحرايب
وإن هلهلن بالكون حمر الأشايب
ويطلعن معجلات الجنايب
غاجين الهوا بي مجل الترايب .. إلخ

تفسير هذه الأبيات - يا راكباً هجيناً سبوقاً إذا عدا تحسبه سفينة في البحر أو نعامة
هاربة سلم على من هم في منزل السيافة (يعني الخرصه ورؤساءها) ، الملقبين بالسيافة تلفى
أخو جوزة ذا الشفاه العفيفة (أخو جوزة نحو مطلق الجربا) - وهو يماثل بئر هدا ج (بئر
في تيماء مشهور بغزارة مائه) حينما يكثر الورد حوله ، وتخال أن في بيته نهياً وسلباً ،
حينما يسوي الزاد لضيوفه ، وآل الجربا يقصون أرجل كل من يحاول الدخول لبيوت
جيرانهم ، حتى ولو كان هؤلاء الجيران غائبين ، وهم ذوو دهاء وذكاء يعجز عدوهم عن
إحباط خططهم الحربية ، ويعارضون في كل شكوى ومطالب ترفع إليهم ، كم فرقوا مجل

الكلام الذي يخفي عداوة وم ذبحوا من الأبطال المغاوير ، وهم قهارو الظعون في وجه أعدائهم ، ولا سيما حينما تهلل لهم نسائهم اللابسات العصائب الحجر ، وخيولهم تخوض رغام العجاج ، وتنشئ فتعود بالجنايب المسلوقة ، وهم يرخون أعنتهم أمام أضدادهم ، ويطعنون بالرماح ظهور هؤلاء الأضداد الهاريين .

مثال التشبيب : قصيدة لشمري يصف بها ما جرى بينه وبين محبوبته دون أن يصرح بالاسم ، وهي لا تعدو التصوير ، وتشبه قصائد عمر بن أبي ربيعة ، وقد اقتبسناها من كتاب عشائر العراق لعباس العزاوي قال :

غاب الخليل وشفت بالترف ميلاح	وجيت أنخطى جن أهلها نسابه
كالت تكلع لأرهج النزل بصياح	مالي من اللي بالردى ينهكي به ^(١)
مكت انبطح له وأديره بالمزاح	لأن الحبيب وكام يضحك بنابه
ثار الحبيب وطبك البيت بسياح	وكشفت عن نايف الردايف ثيابه
غطيت بالثوب الحر زين الملاح	لما شعاع الصبح بين سرابه ^(٢)
كالت تنكل هذا الصبح بساح	ووداعتك عرضها والحزابه ^(٣)
كلت ماني ولد عف على السر نباح	الي ليا كفي رفيجه حجابه ^(٤)

وأراد أن يبعد المرمى ويزيل الشبهة ، فقال :

علمي بهم يا غنيم يوم المطر طاح	واليوم مدري وين ربي دوابه ^(٥)
مدري مع الي سندوا يم السياح	والا ويالي فيضوا يم طاباه ^(٦)

مثال الحدو عند بعض العشائر :

(١) ينهكي به : يؤمل به .

(٢) لما : لما أن .

(٣) احزب على نفسك : تأهب .

(٤) الي : الذي ، اليا : إذا .

(٥) دوابه : رمى به .

(٦) ويا : مع ، يم : عند .

تَكْبَرُ وَأَصِيرُ خِيَالَهَا
تَكْبَرُ وَأَصِيرُ خِيَالَهَا
طَلِي وَشَوْفِي خِيَالَنَا
وَحْنَا نَغَاوِي بَفَعَالِنَا

يَسَارِبُ تَخْلِي مَهِيرَتِي
وَأَشْرِي لَهَا بِرْشَمِ ذَهَبِ
يَا بَنْتِ يَا لِي عَالْمِصِفِ
وَأَنْتِ تَغْفِغَاوِي بِشَعْرِكِ

مثال آخر :

غَوَيْتِ يَا غَادِي الدِّلِيلِ
دَمَسُو عَلَى الشَّلْفِي يَسِيلِ
تَسْمَعُ رَزِيْزَ مَهَارِنَا^(١)
بَالْمِيزِ نَاخِذَ ثَارِنَا^(٢)

يَا لِي تَمْنَا حَرْبِنَا
كَمْ وَاحِدٌ مِنْ ضَرْبِنَا
مِنْ شَاعِرِ جِينَا صَايِلِينَ
وَإِنْ سَاعَفَ اللَّهُ الْكَرِيمِ

وقد يخاطب شعراء البدو قلمهم الذي يكتبون به ، ويأمرونه بأن يحسن تنميق الكلام ، وتغليف الخطاب ، وإيداعه لرسول أمين ، كما قال جابر بن الصباح من منفاه في الأناضول يخاطب محبوبته :

سِرْ يَا قَلَمُ وَاكْتُبْ لَنَا مَا نُرِيدُهُ
بِمَزْرِفِ الْقَرْطَاسِ ضَمُّهُ وَزَيْدُهُ
وَلَهُ رَسَلْتُهُ مَعَ بَرْقِ الرَّعِيدِ
بَاهِيَهُ يَا بَرْقاً تَلْعَجُ^(٣) وَقِيْدُهُ
سَلَاماً مَقْطُوعَ لَدِيَارِ بَعِيدِ
سَلَاماً مِنْ وَرِيدِ^(٤) لَوْرِيدِهِ
مَنْ لَمْ يَنْظُرْ عَيْنِي وَرِيدُهُ
الصَّوِيْحْبُ إِلَيَّ عَذْبَنِي بِقَصِيدِ

(١) شاعر اسم جبل في غربي تدمر وشرقي البلعاس .

(٢) الميزر : بنادق معمل ملوزر الألمانية .

(٣) تلْعَجُ : تشعل .

(٤) ورِيدُ : محب .

(٥) زَوْمِلْنِ : أسرعن .

أبو عيون تقول عين الفريضة
الي يا صرت تنشد وين نجم السعيدة
عين الفهود الي على القناع وارد
تلقاه في برج الحمل بان ما حاد ... إلخ
ومن وصايا البدو التي تدل على أخلاقهم :

احفظ وصاتي يا ولد يوم بوصيك
أوصيك عن جارك وضيفك واللي بعانيك
أوصيك عن بنت اللاش لو كان تهنيك
أوصيك خذ بنت سبع لو كان يعاديك
إن غلقت اليبسان يفتح ويعطيك
ومن أقوالهم في تكريم النسب :

أنسب وليدك أنسبه
والعز في أورك النسب
والخيل في أسداسها
والنار من مقباسها
الي بعيده ساسها
والجري في ربع النضا « الإبل »

ومن أقوالهم في وصف النجعة (التشاريق) ، وهو يشبه ما قلناه في الصحيفة ٢٢٤ :

وتبشيران يبيان قلبي بالفراح
ياما حلا المشراق يوم البرق لاح
ياما حلا المسلاف برياض شياح
يا ما حلا زهوة العشائر بالمراح
يا ما حلا ريحة عبسهن لا فاح
على عريب تحططوا بالنزيلي
ويوم العرب تقضت من المكيلي
ويوم الركائب عند وجه الرحيلي
ولبينهن عالرريق يشفي الغليل
وعشرة مع عشرين رحلة تشيلي



تحضير البدو

ذكرنا في الصحيفة ١١٧ أن أقسام البدو ثلاثة : رحل ونصف حضر وحضر ، وقد بسطنا هناك أوصاف كل من هؤلاء ، وما بينهم من فروق .

فالتحضير هو سوق القسم الأول والثاني ، وحضها على التطور والتدن ، والإقلال من الطعون والأسفار ، ومغادرة بيوت الشعر المتنقلة ، وسكنى بيوت الطين والحجر المستقرة ، وامتلاك الأرضين ، وتفجير الينابيع والقنوات ، والتوفر على الحرث والزرع ، والعيش بكد اليمن وعرق الجبين ، وما إلى ذلك مما فيه خبز حلال وماء زلال ، ونحن وكل محب لهم وغيور على مصالحهم نود لو أن الزمان يفعل فعله هؤلاء البدو ، ويكرهمهم رويداً رويداً على قبول هذا التطور والانتقال ، وهو أمر طبيعي ، نفذ في كل الشعوب التي كانت قبلهم على فطرتها وبدواتها ودفعها شاءت أم أبت ، والبراهين على ذلك كثيرة في تاريخ البشر عامة والعرب خاصة ، وقد بسطنا في بحث تاريخ البدو ص ٦٦ مافيه الكفاءة من ذلك .

والبدو كانوا في الماضي القريب يعتمدون على (الغزو والسلب والنهب) ، ويعدونه بعد الرعي مرتزقهم الطبيعي ، ويهتبلون الغرر من فوضى الأحكام وضعف السلطان ليستبيحوا حمى المعمور ، ويمعنوا في أذى الغير ، إلا أن هذه الفرص لم تعد تواتيهم كالأول ، ويجب أن لا تواتيهم ، فسبيل الغزو قد انقطع أو كاد ، بفضل دوريات المهجانة وحراس البادية داخل الحدود العراقية والأردنية والشامية والسعودية ، وسيارات الركب والتحميل ضربت الخيل والإبل ، وسدت أبواب الرزق منها إلى حد بعيد ، ومن أجل ذلك أصبح البدو في حاجة كلية إلى التطور ، أي إلى إيجاد مورد عيش جديد ثابت في المعمورة ، أو في قريها ، وإلى الانصراف نحو الحراثة والزراعة واستثمار خيرات الأرض ، وهو التحضير الذي نرومه لهم .

لكن البدو قوم حائرون بائرون ، لا يحبون الحراثة والزراعة ، لأنها فيما يزعمونه متعبة لأجسامهم ، مقيدة لحريتهم ، مانعة لعبثهم ، حائلة دون اشتتاقهم الهواء الطلق ، وانسياحهم في البر الفسيح ، وهم يكرهون خاصة الأعمال اليدوية والأتعاب الجسمية والملاحظة والملاحقة اللتين يقوم بهما الفلاح الريفي ، وقصارى أحدهم أن يضطجع طول نهاره يشرب قهوته ، وينعم بجموله وبطالته ، مازالت امرأته ساعية كادحة لأجله ، وماشيته مكتفية برعائها ، مطمئنة في فضاءها ، وماذا بعد ؟

فالببدو لا ينصرفون للحراثة والزراعة ، ولا يرضخون للتطور الطبيعي مالم يفرض عليهم فرضاً ، ويضطروا إلى اعتناقه قسراً ، وهم لا ينجحون للسكون والاستقرار ، والارتباط بالأرض واستثمار خيراتها إلا متى عرفوا أن (الحق سيف قاطع) ، ومتى وجدوا فوق رؤوسهم حكومات قوية ، وقوانين صارمة تردعهم عن إظهار نزوات أنفسهم المتحفزة للوثوب .

والبادية لا تفهم لغة الرفق وإطالة البال ، فهي بعد أن توارى ظل الفرنسيين ، صارت تتخضع بالمطامع والنزوات بعضها على بعض ، كما جرى سنة ١٩٤٥ م بين عشيرتي الأحسنة والنعم في براري حصص ، وأدى إلى قتل عدد من الفريقين أجلهم قدراً الشيخ طراد الملحم وأخوه بذر ، وكما جرى بين عشيرتي شمر والبقارة في شمالي الجزيرة ، وأدى ذلك إلى قتل عشرات الرجال والأطفال والنساء وخراب عشرات القرى .

ولا حافز لهذه الوقائع إلا العوامل النفسية التي بينها أنفأ ، فيعمل المحافظون في الألوية على قمع هذه الحركات بوسائلهم الضئيلة ، ويحلون الخلافات بتدابير مؤقتة واهنة ، ثم لا تعدم هذه الغارات والخلافات حتى تتجدد متأثرة بالمؤثرات ذاتها ، لأن الذين قاموا بها لم يعاقبوا عقاباً شديداً يكفي لزجرهم عن الاعتداء ثانية ، ولم تعالج الخلافات معالجة عملية صحيحة ، تزيل الأسباب وتجتث الأحقاد .

قلنا في بحث سابق (ص ١١٦) أن مناطق النجعة لكل عشيرة هي ثابتة غير متغيرة ، وإذا جاءت عشيرة أخرى وهمت بأن تتبدى في منتجات غيرها ، تعرض نفسها فوراً للمهاجمة والمطاردة ، وكما اختصت كل عشيرة بمنطقة للنجعة في البادية ، اختصت

أيضاً في المعمورة بمنطقة نفوذ واستقرار ، أو بما يدعى (المدى الحيوي) ، وهذه المنطقة تكبر وتصغر لقاعدة (التوازن العشائري أو توازن القوى العشائرية) وعملاً بهذه القاعدة لا تكون حياة الاستقرار الكلي أو الجزئي دائمة عند البدو ، وإن هي دامت ، فدوامها لا يكون إلا لبعض الوقت ، مالم تشرف عليها (الصرامة والسرعة) .

تختلف العشائر على ملكية بئر أو مرعى ، تعده كل منها داخلاً ضمن مداها الحيوي ، فتمنع الأخرى عن ارتياده وينشب النزاع بسببه ، ثم قد يكون هناك بعض الأراضي الموات يقوم بإحيائها بعض العشائر ، فتحدهو المطامع البعض الآخر ، لمزاحمتها واستخلاص الأرض منها ، أو لمشاركتها فيه ، فتندلع نار الفتنة بين الفريقين ، ثم قد تكون هنالك ثارات متأصلة في بعض النفوس ، تحين الفرص للأخذ بها فتهتلها ، وتهاجم وتسلب المواشي ، وتهرق دماء من يقاومها وتعود إلى مضاربها ، بعد أن تكون قد عاثت في الأرض فساداً .

وهناك الخلافات بين بعض عشائر القسم الأول (الرحل) والثاني (نصف الرحل) ، ومرد هذه الخلافات جميعها يكاد يكون منحصراً بالتطور ، فقد كانت العشائر الرحل الكبيرة تفرض على العشائر المتحضرة أتاوة (خوة) لقاء حمايتها من غزو الآخرين ، وحماية مواشيها وزروعها ، غير أن هذه العشائر بعد أن تطورت وتحضرت ودخلت تحت حماية الحكومة والقانون أمسكت عن تأدية هذه الأتاوة ، وخلعت عنها نير استعبادها ، فساء ذلك العشائر الكبيرة التي ما فتئت تحن إلى استعادة سلطانها عليها متى وجدت الغرة ، وهو نزاع تطوري بين المتحضر والدخول في حمى القانون ، وبين البقاء تحت رعاية الأتاوة والسيطرة البدوية القديمة .

ولا يمكن القضاء على هذه الخلافات إلا بإحقاق الحق ، وتنفيذ مواد القرارات المتعلقة بمنع الغزو والعدوان ، وعقاب المعتدين عقاباً صارماً سريعاً ، والعدول عن قاعدة (الحفر والدفن) وتبديلها بقاعدة قانونية ، تنقذ غليل المظلومين وتقطع أيدي الظالمين ، لأن قاعدة الحفر والدفن ليس فيها قصاص زجري يكفي لاجتثاث الحزازات ومنع تكرار العدوات ، وينبغي على العشائر المعتدى عليها في حقوق مرعى أو بئر أو ملكية أرض أن تلجأ إلى الحكومة ، لا أن تستحصل حقها بقوة السلاح ، وعلى الحكومة أن تسرع بحل الخلاف في غير تردد أو إطالة بال ، ودون أن تتأثر بالعوامل الكثيرة التي يتذرع بها

بعضهم لتبرير مواقفهم ، ولا يتم ذلك إلا حينما يكون لدى الحكومة جنود كافية من حرس البادية ، وأسلحة آلية وسيارات ومصفحات ، وحتى طائرات تقطع نياط كل من تحدته نفسه بالشذوذ والخروج على أوامر الحكومة والمصلحة العامة ، كما عملته كل الدول التي تعاورت الحكم على البادية ، من أقدم عهود التاريخ حتى يومنا هذا ، وقد بيناه في بحث التاريخ في الجزء الأول .

ومن المستحسن أن تحدد لكل عشيرة منازلها في رحلتَي الصيف والشتاء ، وتعين الآبار والمناهل التي تستقي منها ، ويثبت ذلك على خريطة أصولية لا تتعدها عشيرة من العشائر إلا لأسباب قاهرة ، كوقوع جذب في المراعي أو شح في مياه المناهل ، وعندئذ تفصل الحكومة في الأمر ، وتعين لها منطقة ترتادها مع العشيرة التي تقع تلك المنطقة ضمن مداها الحيوي .

إن تنفيذ التدابير الصارمة السريعة هو من صالح البدو الذين يعمي الجهل والطيش بعضهم أحياناً فيبعدهم عن محجة الصواب ، ومن ثم كانت هيبة الحكم وصرامة العقاب في البوادي ضرورة حيوية للبدو أكثر منها للحضر - كما يقول بذلك كل عاقل منهم ويطلبه - ليرتدع جهلتهم عن العدوان والأذى ، وينصرفوا نحو الاستقرار والتحضر انصرافاً كافياً ، وليفعل الزمان وتطوره الطبيعي فعله فيهم ، فيخضعهم إلى ماجرى على أسلافهم الذين تركوا البداوة والجفوة ، واستقروا واطمأنوا ، وعنوا بالرزق الحلال ، فصار قسمهم الأول ثانياً ، وقسمهم الثاني ثالثاً ، على ما يسطناه في الصحيفة .

ومما يبعث السرور أن انقطاع الغزو وظهور سيارات الركب والنقل وبوار سوق الإبل والخيل منذ ربع قرن وجه البدو أهل القسم الأول ، فضلاً عن الثاني إلى الغاية التي نشدناها لهم ، وظهرت من ذلك الحين بادرة جديدة عندهم .

فشيوخ العشائر الكبيرة بعد أن كانوا ينظرون إلى الزراعة وأربابها بازدراء ، انصرفوا منذ ١٥ - ٢٠ سنة إلى اقتناء الضياع والأرضين من أملاك الدولة وغيرها ، وصاروا يزاخمون بعضهم بعضاً على امتلاكها ، ويختلفون ويتناحرون على حدودها ، وقد توافروا على إحياء الحرب الدائرة في براري حصص وحماة الجزيرة ، وعلى تفجير القنوات الغائرة ، وشرعوا

يهتمون بالزراعة ويجنون ثمراتها ، ويتجهون إلى سكنى المدن والقرى وبناء الدور وغشيان المجتمعات والمنتديات ، ولا سيما أن جل هؤلاء الشيوخ عضو في المجلس النيابي يسمع خطبه ، ويشترك أحياناً في نقاشه ، فيكتسب أخباراً وعلوماً جديدة تنوره وثقفه ، والمأمول أن تنتقل عدوى هذه البادرة من الكبار إلى من بعدهم ، ومن هؤلاء إلى عامتهم ، مازال الناس على دين ملوكهم .

ولو أتبع هؤلاء الشيوخ أن يعلموا أولادهم في المدارس الراقية ، كما عمل بعضهم ، أو لو فتحت لأولاد هؤلاء ومن يليهم مدارس خاصة ، على طراز مدرسة العشائر التي كان السلطان عبد الحميد فتحها ، ولو زيدت مدارس المعارف المختصة لعامتهم أيضاً وأتقنت إدارتها . قلت : لو تم هذا ، وسير فيه بترتيب واستمرار ، لتعجلت حضارة البدو وحسنت أطوارهم ومعيشتهم ، وعمرت براريننا الغامرة ، وصاروا أعضاء نافعين في جسم الأمة العربية .

وبمناسبة البحث عن بادرة التملك واقتناء الأرضين والانصراف نحو الحرث والزرع ، نقول إن هذه البادرة يجب استغلالها بشكل واسع ، والدعوة لها ، لينفتح باب التحضر والاستقرار لهؤلاء البدو جلهم ، إن لم يكن كلهم ، على أن يكون الاستلاك والاستثمار للجميع بالعدل والمساواة ، وبشكل ملكيات صغيرة ، وليس على شكل ملكيات كبيرة يختص بها الشيوخ والرؤساء ، ويحرم غيرهم ، فيمتلك الواحد منهم ألوف الهكتارات ، ويحرم الألوف من مساحة أشبار ، هذا على أن يعتمد إلى إقرار الأراضي الصالحة من التي ليس فيها حق ، أو سبق وضع يد لأحد من البدو والحضر ، فتقسم هذه الأراضي على فرق العشيرة وأفخاذها تقسيماً عادلاً ، تقوى فيه الملكية الصغيرة المذكورة ، وبهذا نجتاز بهم خطوة مباركة نحو الحضارة والسعادة اللتين نتمناها لهم .

ولرب قائل يقول : أين تضع هؤلاء ، وهل في ديار الشام متسع ؟ فنجيبه : إن براريننا الصالحة للحرث والزرع كافية وزائدة ، فأمامنا سهول الجزيرة الفراتية ، وضاف البليخ والجفجج والخابور ذات التربة الذكية ، والمساحات الواسعة ، والأنهار والسدود والترع العديدة التي تقدم الكلام عنها في بحث الجزيرة (ص ٢١ - ٢٤) ، تندب مجدها الدائر حينما كانت تطعم أضعاف سكانها الحاضرين ، وتستغيث طالبة سواعد قوية وهم

علية ، لاستثمار خيراتها الدفينة ، وهي لو انصرفت إليها العشائر الحاضرة برمتها ، واستعمرتها بجملتها ، لما كفتها ولقالت : هل من مزيد ؟ ومثل ذلك يقال عن أراضي أملاك الدولة في مشارق الأنديين والحمراء وسعن وسعين وعقيربات وجب الجراح والفركلس وجبل البلعاس والجبل الأبيض ، وحول القريتين وتدمر والرصافة وغيرها ، مما أكثره الآن خواء قواء ناهيك وادي الفرات من حدود جرابلس إلى أبي كمال غير المستثمر كما يجب ، لو أتيت له وسائل الري الميكانيكية المستعملة في العراق ومصر ، لأروى من المساحات أضعاف ما تستغله عشائره الحاضرة ، ولاحتاج لمئات الآلاف من الأنفس أو الأيدي العاملة فوقها . ومن عرف جغرافية بلاد الشام ، ودرس استعدادها يقر بأن المجال لا يزال رحباً لإعالة جميع عشائرننا الحاضرة ، بل لأكثر منها لو صارت الزراعة زراعة حقيقية ، تجيد الحرث والعزق والري والزرع والغرس كما ينبغي .

هذا ونحن في حضنا على التحضير والتعلق بالأرض والحرث والزرع ، لا نرمي إلى ترك البداوة بتاتاً ، ولا نوصي بإهمال هذه البادية الشاسعة التي فيها مراعيها ، ما زلنا في حاجة لأعشابها وحتى أشواكها لتتحول عن طريق الإبل والغنم إلى الدفء والمنافع التي نوه بها الكتاب الكريم .

وبهذه المناسبة : لا بد من كلمة نصح بها فكرة من يظنون أن البداوة زائدة عن حاجة الإنسان ، ينبغي القضاء عليها بتاتاً ، أو الأصح على خصيصتها الكبرى وهي الإبل ، وحجتهم في هذا الظن أن البدوي لا يتحضر ، ولا يستقر ما دام وراء إبله ، ويرهنون على إمكان الاستغناء هذا بأن أوروبا وأمريكا ذات المواشي الوفيرة ، ليس فيها بدو ولا من يرحل وينتقل ، وهم ينظرون إلى التحضير الذي نشده ، بأنه توجيه البدو نحو القرى كلياً ، وإخلاء البادية بتاتاً .

وجوابنا على ذلك : أن قياس بلادنا بأوروبا وأمريكا قياس مع الفارق ، فساوينا صاحبة ، وصيفنا طويل الأمد ، وهواؤنا جاف إلا في الأقل ، وأمطارنا قليلة ، ومراعيها وأعشابها غثة ضئيلة في النسبة ، كل ذلك على خلاف أوروبا وأمريكا اللتين تهطل الأمطار في أكثر أقطارها حتى في فصل الصيف ، وتظل سهولها وهضابها خضرة نضرة في أكثر

الفصول ، وهي تقيت قطعانهم الوفيرة ، دونما حاجة للارتياح والابتعاد ، فأين نحن منهم ، وأين هذه المنحة السماوية من سني المحل وشح الأمطار التي تتوالى عندنا ؟

لهذا لا بد لنا من البداوة ولا بد من بدو و بيوت شعر ، شريطة أن تكون هذه البداوة هادئة وديعة منصرفة إلى الخير ، بعيدة عن الشر على النحو الذي نسمع بوجوده في المملكة السعودية . ولا بد لهذه البداوة من الإبل التي توصف بأنها سفائن البر ، وقوام الحياة والحركة في البر ، ويخطئ من يحكم عليها ، ويتنى زوالها ، ما زالت لا تعبث بزرع الحضر ، وغرائسهم ومنشأتهم ، ويخطئ أكثر من لا يفكر بعمران البادية ، وتوفير أسباب العل والنهل للأنعام السارحة فيها ، ودرء شدائد العطش والجوع عنها في السنين الشديدة ، يحكم أنها من أجل ثروات البلاد وأرزاق العباد .

فالإبل ، وإن دالت دولتها إلى حد بعيد منذ أن شاعت سيارات الركب والنقل ، إلا أن أهمها لا يزال من أرخص اللحوم التي تأكلها الطبقة الفقيرة في المدن العربية ، كما أنها من أرخص وسائل النقل في الأسفار ، وتحميل الأثقال ، ولا سيما في رجاد الزروع من الحقول إلى البيار ، في بلاد مثل بلادنا ذات أوعار وأحجار ومسالك متشعبة ومجاري مياه أو مروج ومستنقعات ، لا يستطيع الحركة والتجوال فيها إلا الإبل . وإهمال الإبل التي هي ثروة البدوي دون عناية بأمرها أو التفكير بمحوها من عالم الوجود بحجة أن الإبل والتحضير لا يلتزمان غير صحيح .

فالإبل ترعى عشب البادية البعيدة (الحاد) كما ترعى الغنم عشب البادية القريبة إلى (المعمورة) ، وينقلب هذا العشب إلى لحم وجلد ووبر من الإبل ، ولحم وسمن وصوف وجلد من الغنم ، فهل يجوز الإعراض عن هذه الثروة المنتزعة من البوادي الشاسعة ، وهل يسوغ إهمالها وعدم الاستفادة منها ؟ وهل خلا عصر من أقدم عصور التاريخ من بدو متنقلين وراء إبلهم وغنمهم ؟ حتى يخلو عصرنا ، وإذا خلت بادية الشام يوماً ، على افتراض تحضر البدو الذين يضربون في أرجائها ، ألا تأتي موجة جديدة من أواسط الجزيرة العربية ، وتحتل هذا الخلاء ، كما جرى مراراً من أقدم عصور التاريخ إلى يومنا هذا ، وقد قدمنا شرحه في بحث التاريخ .

إذا تقرر هذا ، وتقرر معه أن البداوة لازمة للحضارة والضرع لا غنى عنه للإنسان ، كما لا غنى له عن الزرع تكون العناية بالإبل ضرورة لا مناص منها ، وإفساح المجال للسرْح بها في براري الجزيرة والشامية وفيافي الحماد التي لا يستفاد منها للزرع ، بل لرعي الماشية من غم وإبل فحسب ، أمر نافع لا مناص منه ، وفي تلك العناية يحصل توزيع مناطق للعيش وتفريق أعمال بين أناس اختاروا هذا النوع من العيش على صعوبته وشظفهِ .

هذا مع العناية بتحضير من يقبل التحضير التام منهم ويتهيأ له ، ولندع الزمان يفعل فعله فإنه آخذ بتلايبيهم نحو الحضارة ، وقصارانا أن نستعجل هذا الزمان ، بأن ندعوهم إلى الرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ، دعوة الآباء الناصحين للأبناء الجامحين ، مع الصرامة المانعة للنزاع والعدوان ، ومع التدريب والتثقيف جهد الإمكان ، والله الهادي إلى سواء السبيل .



إصلاح حال العشائر

١ - لما كان للبادية والعشائر حالات شاذة وحاجات خاصة تختلف عما في المدن والقرى وجب أن يكون في العاصمة (مديرية عشائر) ، وفي المحافظات فروع لها ملحقة بالمحافظين ، من واجبها الاختصاص بشؤون البادية ، ونفسية البدو ودرس حالاتهم وحاجاتهم وحركاتهم ، والعمل على ما فيه خيرهم وصلاحهم ، وإبداء مشورتها بذلك إلى المراجع ذات الحل والربط ، ومنه العناية بتحضير العشائر ، وتهيئة سبل هذا التحضير ، من تقسيم مناطق وتوزيع أراضي ، وإيجاد قرى ومساكن ، والحض على الاستقرار والزراعة والتعليم والتربية والصحة وما إلى ذلك ، مما هو مذكور في المواد التالية .

٢ - توطيد الأمن في البادية ومنع الغزوات والغارات منعاً باتاً ، بحيث يطمئن النازلون فيها والعابرون على أرواحهم وأموالهم اطمئناناً تاماً ، ووسيلة هذا الأمن اتخاذ الصرامة أساساً في معاملة أهل البادية ، وقصاص المعتدين قصاصاً عاجلاً حاسماً ، ومنع اعتداء الكبير على الصغير ، والقوي على الضعيف منهم ، ولا يتم ذلك إلا بتقوية سرايا الهجانة ، وتكثير السيارات المصفحة والمخافر المحصنة في البادية ، وربط نقاط البادية ومفارق طرقها ومناهلها بالدوريات المتجولة ، وتحميل رؤساء العشائر تبعة ما يحدث في مناطقهم ومن أتباعهم .

٣ - تصغير حدود البادية ، وتكبير حدود المعمورة التي وضعها الفرنسيون في القرار رقم ١٣٢ وإبعادها إلى أقصى مدى في الشرق والجنوب ، كي تحصل طمأنينة في نفوس القاطنين في القرى النائية ، والراغبين بإعمار الخرب الدائرة والأراضي البائرة .

٤ - تجريد البدو الرحل من السلاح حين رجوعهم من نجمة الشتاء ودخولهم

المعمورة ، لأن بقاء الأسلحة لدى هؤلاء يحفزهم إلى التنازع بعضهم مع بعض ، أو مع الحضريين وإيقاد نار الفتنة ، لأدنى سبب .

٥ - تغيير القرار رقم ١٣٢ المذكور بما هو أنسب للروح القومية وتخفيف وطأة القضاء البدوي أو الأصول العشائري ، وعدم اللجوء إليه ما لم يكن ثمة ضرورة قصوى ، ورفع الفوارق الموجودة فيه ، أو تخفيفها إلى أدنى حد .

٦ - حمل المحاكم النظامية و الدوائر الإدارية التي تعرض إليها قضايا البدو على الإسراع في رؤية هذه القضايا ، واجتناب الإطالة والتأجيل في الجلسات ، والاستعجال بإصدار الأحكام وتنفيذها ، لا سيما في المسائل التي فيها مميّز يخشى ضرامه .

٧ - تسجيل أفراد العشائر في سجلات النفوس ، وتحميلهم تذكرة النفوس أو ورقة الهوية ليشعروا أنهم جزء من أبناء الوطن ، لهم ما لأبنائه ، وعليهم ما عليهم ، ويمكن تسهلاً للأمر أن يمنحوا التذاكر بلا بدل في بادئ الأمر .

٨ - حض البدو على الاستقرار والتحضر ، وحثهم على بناء القرى والمساكن ، والعمل على الزراعة ، وإرشادهم إلى منافعها ، وتعليمهم ما يجهلونه من أساليبها ، وتعويدهم على مزاولتها .

٩ - تفويض الأراضي البائرة والحرب الدائرة من أملاك الدولة ، وتقسيماها على أفرادهم بالعدل لا على مجموعهم ، كي لا يستبد أناس بها دون أناس ، على شريطة أن لا يتركوها مراعي وفيافي ، أو يسلموها إلى شركاء أو أجراء من أبناء الخواضر ، بل يبنون فيها ، ويستقرون وينصرفون بأنفسهم وأيديهم نحو الحرث والزرع والرزق الحلال .

١٠ - منح المحتاجين منهم إعانات لشراء الأدوات الزراعية والبذور ، ودواب العمل وفتح قنوات الري ، وإقراضهم لأجل ذلك رؤوس أموال بشروط خفيفة ، على أن تربط هذه الإعانات والقروض بكفالات قوية ، تؤمن إنفاقها في سبيلها لا في سبيل البذخ والترف .

١١ - تزييد عدد الآبار الحديثة التي حفرتها مصلحة الري ، وتنظيف الآبار القديمة ، وترميم جدرانها ، وتسهيل سبل الامتياح منها .

١٢ - إيجاد الملاجئ الصالحة لإيواء الماشية في فصل الشتاء ، وحفظها من الصقيع والثلج عند حدوثها ، وذلك وقاية لثروة البدو وشركائهم في الحواضر ، ومن وراء ذلك وقاية مورد كبير لخزينة الدولة .

١٣ - تأسيس مستوصفات نقالة محمولة على سيارات كبيرة ، يذهب بها أطباء وممرضون ، ويلحقون البدو إلى أماكن نجعتهم في الحماة ، ويداوونهم ويلقحونهم ، ويعالجون البجل والجذري والتراخوما وأمثالها من الأمراض التي تفتك بهم وبذرائعهم ، ويخشى أن تنتقل بالعدوى إلى الحواضر أيضاً .

١٤ - تجفيف المستنقعات في الأماكن التي يقطنون فيها في المعمورة ، وتخليصهم من حمى الملاريا التي تصيبهم دائماً .

١٥ - إيفاد معلمين يتنقلون مع العشائر ، ضمن الشروط التي ذكرناها في بحث المعارف في البادية .

١٦ - فتح مدرسة داخلية في تدمر ، لأبناء رؤساء العشائر ووجهائها ، للأسباب والمنافع التي ذكرناها في بحث المعارف .

١٧ - إيفاد وعاظ وخطباء من أهل الحمية الدينية ، والعقيدة الصحيحة ، لإرشاد البدو إلى ما يجهلون من العبادات والمعاملات ، ويدعون إلى الخير ، ويأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر .



القرار رقم ١٣٢ ل . ر

الصادر في شأن إدارة العشائر ومحاکمتهم

كانت المفوضية الفرنسية العليا في بلاد الشام أصدرت في سنين مختلفة عدة قرارات بشأن إدارة البدو ومحاکمتهم ، وعقوبات الغزو والغزاة ، ثم بدلتها كلها ، ودجتها في قرار واحد رقمه ١٣٢ وتاريخه - ٤ حزيران ١٩٤٠ م رأينا درجه هنا إتماماً لموضوعات كتابنا ، وتأريخاً لشغل الحزم ، ومبلغ الاهتمام اللذين كانت تقوم بها المفوضية المذكورة في حق أهل البادية وقد انتقلت في العهد الوطني صلاحيات المفوضية المذكورة المدرجة في هذا القرار إلى وزارة الداخلية السورية ، وصلاحيات دائرة مراقبة البدو الفرنسية إلى مديرية العشائر ، ونرجو أن يصدر في هذا العهد الوطني قرار في هذا الموضوع ، أكمل وأدعى لدرء المفسدة وجلب المنفعة ، وحفظ الكرامة القومية .

الفصل الأول - أحكام عامة

- المادة ١ - يتألف قانون العشائر الرحل في سوريا من أحكام هذا القرار .
- المادة ٢ - يعتبر رحلاً في سوريا بالمعنى المقصود من هذا القرار :
- ١ (الأفراد التابعون للعشائر المعينة في الملحق رقم ١ من هذا القرار .
- ٢ (الأفراد التابعون لعناصر جميع العشائر التي لم تذكر في هذه القائمة ، وذلك في كل مدة أقامتها في منطقة الرحل ، كما هي محددة في المادة ٣ أدناه .
- المادة ٣ - تتألف منطقة الرحل بمقتضى أحكام هذا القرار من الأراضي الواقعة شرقي منطقة (المعمورة) ، يمين الخط الفاصل بين منطقة الرحل والمعمورة بالتخوم المحدودة في الملحق رقم ٢ من هذا القرار يدخل في منطقة المعمورة المزروعات القائمة في مختلف الأماكن المذكورة ، كتخوم لهذه المنطقة .

المادة ٤ - يعتبر نصف حضر بالمعنى المقصود في هذا القرار العشائر المذكورة في الملحق ٣ من هذا القرار .

المادة ٥ - إن مجرد قيد أحد الأفراد التابعين لعشيرة من عشائر الرحل أو نصف الحضر في سجل الأحوال الشخصية ، لا يفقده مطلقاً صفة الرحل ولا صفة نصف الحضري .

المادة ٦ - يخضع الرحل مبدئياً لقواعد العرف من حيث علاقاتهم فيما بينهم ، ولقواعد الحق العادي من حيث علاقاتهم مع الحضريين أو نصف الحضريين ، يطبق المبدأ المذكور أعلاه ضمن الشروط والتحفظات الناتجة عن أحكام هذا القرار .

المادة ٧ - إن القضايا المتعلقة بالرحل التي لا تطبق عليها أحكام الحق العادي يبت فيها كما يلي - حسب نوع كل قضية منها - أولاً : إذا كانت خاضعة للعرف ؛ فصل فيها رؤساء العشائر تحت إشراف ضباط مراقبة البدو .

ثانياً : إذا كانت خاضعة لأحكام خاصة ، فصل فيها المفوض السامي ومندوبوه ، أو المندوبون المعاونون عاملين عند الاقتضاء بمعاونة الحكومة السورية والسلطات الإدارية الصلاحية ، يؤازر المفوض السامي في تطبيق هذا القرار لجنة تدعى لجنة الرحل ، ويعين المفوض السامي كل سنة أعضاء هذه اللجنة .

المادة ٨ - إن القضايا التي لا تطبق عليها أحكام الحق العادي بمقتضى هذا القرار لأنها خاضعة للعرف ، أو لأنها من صلاحية السلطة العليا ، أو لجنة تحكيم لا يجوز في أي حال من الأحوال إحالتها إلى المحاكم العادية ، إذا رفعت إلى المحاكم العادية دعوى من هذه الدعاوي وجب على هذه المحاكم أن تقرر في الحال عدم صلاحيتها ، وحالاً بعد صدور القرار بعدم الصلاحية تحول إضبارة الدعوى إلى السلطة ذات الصلاحية ، تسترجع في الحال مذكرات التوقيف الصادرة بحق المتهم أو الظنين إذا لم تكن قد نفذت عند صدور القرار بعدم الصلاحية . إذا كان المتهم أو الظنين موقوفاً نقل مهمة الدرك إلى مركز ضابط مراقبة وسلم إليه .

(الفصل الثاني - في القضايا العائدة للرحل)

القسم الأول - في قضايا الرحل بعضهم مع بعض

المادة ٩ - إن الجنايات أو الجنح التي تقع بين الرحل يفصل فيها حسب قواعد

العرف ، تحت سلطة الشيوخ وإشراف ضباط مراقبة البدو . أما الاعتراضات على الأحكام الصادرة فينظر فيها مندوب المفوض السامي ، وهو بيت فيها في الدرجة الأخيرة وبدون مراجعة .

المادة ١٠ - يمكن الحكم على مرتكبي الجنايات المقترفة بحق الأفراد وعلى شركائهم أو المتدخلين فيها بالسجن من سنة إلى خمس سنوات ، عدا العقوبات التي قد تفرض بمقتضى العرف ، يصدر الحكم من المفوض السامي بناء على اقتراح مندوبه لدى الحكومة السورية ، يحق للمفوض السامي أن يمنح عفواً عن كامل العقوبة ، أو عن جزء منها .

القسم الثاني - في القضايا بين الرحل والحضر

المادة ١١ - تخضع الجنايات أو الجنح المرتكبة بين الرحل والحضر أو نصف الحضر للحق العادي .

المادة ١٢ - على أنه يجوز بناء على طلب من المغدور البت في الجنايات ، أو الجنح المرتكبة بين الرحل ونصف الحضر وفقاً للعرف ، ضمن الشروط المنصوص عليها في المادة التاسعة أعلاه ، يبلغ المندوب أو المندوب المعاون هذا الطلب إلى مدعي عام المنطقة ذات الشأن ، وهذا المدعي العام يتخذ بلا إمهال التدابير اللازمة لاستصدار قرار من المحكمة العادية بعدم صلاحيتها وفقاً للمادة ٨ - أعلاه .

القسم الثالث - في بعض الجنح الخاصة

المادة ١٣ - ما عدا الجنح المنصوص عليها في العرف ، تعتبر جنحاً بمقتضى نص هذا القرار :

- ١ - التزوير واستعمال التزوير في الاستدعاءات الإجمالية .
- ٢ - التقاضي بالقوة من الرحل أو نصف الحضر أو الحضر (الخوة أو المنحة) ، أو أية فريضة أخرى مزعومة قديمة ، من أي نوع كانت .
- ٣ - تقاضي رسوم عن الورد من الآبار العائدة للدولة .

المادة ١٤ - تعاقب الجنح المذكورة في المادة السابقة بالعقوبات التالية :

عشائر الشام (٢٢)

- ١ - فيما يتعلق بالفقرة الأولى تعاقب مجزاء نقدي من ٥٠ إلى ١٠٠ ليرة سورية ، وبالسجن من خمسة عشر يوماً إلى ثلاثة أشهر ، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط .
- ٢ - فيما يتعلق بالفقرة الثانية والفقرة الثالثة تعاقب مجزاء نقدي من ٥٠ إلى ٢٠٠ ليرة سورية مع استرداد المبالغ المستوفاة بغير الحق . يصدر الحكم المفوض السامي بناء على اقتراح مندوبه لدى الحكومة السورية ، وبعد أخذ رأي لجنة الرحل .

القسم الرابع - في الغزو

المادة ١٥ - يعد غزواً ويعاقب كغزو كل سرقة أو نهب يقوم به في الصحراء عدة أشخاص مسلحين مجتمعين تابعين لعشائر رحل ضد عشائر أخرى رحل أو نصف حضر .

المادة ١٦ - إن الجنايات أو الجنح التي يرتكبها الرحل في أثناء الغزو تظل خاضعة للقواعد العامة المعينة في هذا القرار .

المادة ١٧ - إن التابعين للقبائل نصف الحضر إذا اشتركوا في غزو بصفة شركاء أو متداخلين يعتبرون رحلاً ، من حيث قع الغزو ، ويقعون بهذه الصفة تحت طائلة عقوبات العرف ، وكذلك تحت طائلة العقوبات الخاصة المفروضة في هذا القرار .

المادة ١٨ - إن الأشخاص الحضريين الذين يشتركون في غزو ، بصفة شركاء أو متداخلين يقعون تحت طائلة عقوبات الحق العادي ، يحق للسلطة التي ترفع إليها الدعوى في بادئ الأمر - أي ضابط مراقبة البدو أو مدعي عام المنطقة (أن تقرر التمييز بين المتهمين الرحل والمتهمين الحضريين ، وأن تلاحق القضية في الأمر الذي يتعلق بصلاحيتهما ، وأن تحولهما للسلطة ذات الصلاحية لملاحقتها فيما زاد عن ذلك .

المادة ١٩ - إن المرتكبين أو شركاءهم أو المتداخلين في الغزو التابعين للقبائل رحل أو نصف حضر يقعون تحت طائلة العقوبات التالية ، أو تحت طائلة عقوبة أو أكثر من هذه العقوبات ، ولا يمنع ذلك تطبيق عقوبات العرف ، وكذلك تطبيق العقوبات التي يتعرضون لها بسبب الجنايات أو الجنح التي ترتكب بمناسبة الغزو .

١ - رد المسلوبات .

٢ - مصادرة الأسلحة والذخائر والمطايا وبصورة عامة جميع المعدات التي استعملت في أثناء الغزو .

٣ - غرامة نقدية ، أو غرامة من أسلحة حربية ، أو غرامة من دراهم وأسلحة حربية معاً ، وأقصى غرامة تطبق تكون ضعفي السلوبات المسترجعة .

٤ - السجن من شهرين إلى سنتين .

المادة ٢٠ - يصدر المفوض السامي الحكم ، بناء على اقتراح المندوب لدى الحكومة السورية ، وبعد أخذ رأي لجنة الرحل ، يجب على اللجنة في كل مرة أن ترسل رأيها معللاً ، وأن تتخذ الآراء بأكثرية الأصوات ، يحق للمفوض السامي أن يمنح العفو عن جزء من العقوبة ، أو عنها بكاملها .

المادة ٢١ - المطايا والسيارات والمعدات المصادرة بمقتضى المادة ١١ أعلاه تباع بالمزاد العلني ، ويدفع حاصل البيع بمجملته لصندوق الغرامات ، لصاحب الشيء المصادر أو لمؤجره الحق التام في أن يقيم أية دعوى قضائية كانت على رئيس العشيرة المتهمه بالغزو .

المادة ٢٢ - إذا لم يتم التنفيذ في المهل المعينة في الحكم الصادر ، يحق لمندوب المفوض السامي بعد مصادقة المفوض السامي أن يقرر حجز القطعان ، وأن يشرع ببيعها ضمن الشروط المنصوص عليها في النبعة الأولى من المادة السابقة .

القسم الخامس - في لجان التحكيم

المادة ٢٣ - جميع النزاعات التي تتولد بين الرحل والحضر أو نصف الحضر بشأن أعمال السلب والنهب التي يرتكبها أحد هذين الفريقين تكون من صلاحية المحاكم العادية .

يجب بصورة إجبارية أن يؤخذ رأي ضابط من ضباط مراقبة البدو ، أو ضابط الدوائر الخاصة في المنطقة في جميع المسائل ، سواء كان الأمر يتعلق بتسوية حبية أو بتحكيم ، وسواء أكان ذلك في أثناء التخمينات التي يقوم بها الفريقان نفسها ، أو محكوم ، أو خبراء معينون من قبل السلطة القضائية .

المادة ٢٤ - بالرغم من أحكام المادة السابقة ، يحق للمغدور سواء أكان الأمر يتعلق بسرقة أو نهب أو تخريب مهما كان ، أن يرفع طلبه المتعلق باسترداد الأموال المسروقة أو بإصلاح الضرر المسبب إلى لجنة التحكيم .

المادة ٢٥ - يرسل الطلب إما إلى المدير ، أو قائممقام المنطقة ، وإما إلى ضابط الدوائر الخاصة ، أو ضابط مراقبة البدو ، وفي هذين الحالين الأخيرين يحول الضابط الذي ترفع إليه القضية الطلب بدون إهمال إلى القائم مقام ، ليجمع لجنة التحكيم في الحال .

المادة ٢٦ - يجب أن يشتمل حكماً طلب التحكيم الاعتراف بصلاحيات اللجنة دون سواها وبقرارها النهائي ، يجب على القائم مقام في الوقت نفسه الذي يدعو فيه اللجنة للاجتماع أن يبلغ الطلب إلى مدعي عام المنطقة ذات الشأن ، وهذا المدعي العام يتخذ بدون إهمال التدابير اللازمة لاستصدار قرار من المحكمة العادية بعدم صلاحيتها وفقاً للمادة ٨ أعلاه .

المادة ٢٧ - تؤلف لجنة التحكيم كما يلي :

قائم مقام المنطقة التي ارتكب الضرر فيها رئيساً ، رئيس عشيرة من عشائر الرحل ، أو فخذ من عشيرة رحل غير العشيرة التي ينتمي إليها المدعون أو المدعي عليهم ، ويجب أن تكون العشيرة أو الفخذ من أقرب العشائر إلى القرية الأقرب إلى المحل الذي ارتكب فيه الضرر ، مختار القرية الأقرب إلى محل الضرر . يشترك عدا ذلك في مذكرات اللجنة ويكون لها صوت استشاري : ضابط الدوائر الخاصة ، وضابط مراقبة البدو ، أو أحد هذين الضابطين ، وجيه ينتخب بالاتفاق بين الفريقين ، أو في عدم الاتفاق ينتخبه رئيس اللجنة بصفة خبير .

المادة ٢٨ - يعين في الدعوات المرسلة إلى المتداعيين مهلة كافية ، ليتكثروا من الحضور أمام اللجنة ، أو إرسال من يمثلهم أمامها في الوقت المناسب .

إذا لم يحضر المدعي أمام اللجنة ، أو لم يرسل من يمثله في اليوم المعين في الدعوى ، فجرد ذلك يعني حكماً تركه كل حق في التعويض ، ما لم يبرر عدم حضوره أو تمثيله بظروف قاهرة .

المادة ٢٩ - تصدر اللجنة حكمها بأكثرية الأصوات وتبت بإصلاح الضرر ، وبالاسترداد والتعويضات المقدم بها الطلب ، ولها أيضاً أن تقترح إذا رأت ذلك مفيداً عقوبات إضافية ، وأن تقترح إذا اقتضى الأمر سجن المجرمين ، وفي هذه الحالة الأخيرة يعين مدة السجن المفوض السامي ، بعد أخذ رأي لجنة الرحل إذا كان الأمر يتعلق بأحد الرحل ، وبعد أخذ رأي مندوب المفوض السامي إذا كان الأمر يتعلق بحضري أو نصف حضري .

تكون عقوبة السجن من شهر إلى ثلاث سنوات .

المادة ٣٠ - تعين في حكم اللجنة شروط تنفيذه ، ويوقعه من صوت له من أعضائها ، يكون الحكم غير قابل المراجعة ، ويصبح نافذاً حالاً بعد مصادقة المحافظ عليه ، ويكون له قوة الحكم الصادر عن محكمة عادية .

القسم السادس - في العلاقات مع الدول المجاورة

المادة ٣١ - يبت في النزاعات التي تقع بين عشائر رحل سورية ، وعشائر رحل موضوعة تحت مراقبة الدول المجاورة ، وفقاً لاتفاقات معقودة أو تعقد بين سورية والدولة ذات الشأن .

المادة ٣٢ - كل شخص تابع لبلد عقدت معه سورية بهذا الشأن اتفاقاً على قاعدة التعامل بالمثل ، لحقه ضرر ما في الأراضي السورية ، يحق له أن يطالب بتطبيق أحكام المادة ٢٤ والمواد التي تليها فيما يتعلق بالبت بطريقة التحكيم في النزاعات بين الرحل والحضر أو نصف الحضر ، وتتبع القاعدة نفسها بشأن الرحل الذين يلحق بهم ضرر في الأراضي السورية حضريون أو نصف حضريين أو رحل تابعون لدولة مجاورة ، عقدت معها سورية بهذا الشأن اتفاقاً على التعامل بالمثل .

المادة ٣٣ - كل تابع من الرحل للحكومة السورية يرتكب في خارج الأراضي السورية جريمة يعاقب عليها القانون السوري يمكن ملاحقته ومحاكمته في سورية ، إذا كانت قوانين البلد الذي ارتكب فيها ذلك تعاقب عليه ، ويكون الأمر كذلك إذا كان

المتهم قد حصل على التبعة السورية بحق الجوار ، والتجائه إلى قبيلة سورية (دخيل) بعد ارتكابه الجناية أو الجنحة .

على أنه سواء أكان الأمر يتعلق بجناية أو جنحة ، فلا تجري أية ملاحقة بحق المتهم إذا أثبت أنه حوكم محاكمة نهائية أو عفي عنه في الخارج ، وإذا كان قد حكم عليه فعليه أن يثبت أن العقوبة قد نفذت فيه ، أو أنها أسقطت بمرور الزمن ، أو أنه نال عفواً عنها ، إذا ارتكبت جنحة بحق أحد السوريين أو الأجانب فلا تجري الملاحقة إلا بناء على شكوى من الفريق المتضرر ، أو على شكوى رسمية تقدمها إلى السلطة السورية سلطة البلد الذي ارتكبت فيه الجنحة ، لا تجري أية ملاحقة قبل رجوع المتهم إلى سورية .

الفصل الثالث - في أحكام تتعلق بتنظيم العشائر

ونظام مراقبة السلاح وبعض تدخلات السلطات العمومية بشأن الرحل .

القسم الأول - في رؤساء العشائر

المادة ٣٤ - يعين رئيس كل عشيرة من عشائر الرحل بقرار من المفوض السامي .

يمكن عزل رئيس العشيرة لأحد الأسباب التالية :

١ - الأعمال التي من شأنها الإخلال بالأمن العام .

٢ - رفض الخضوع الاختياري ، وبصورة مكررة للقوانين والأنظمة النافذة .

٣ - أعمال العنف المتكررة التي تؤدي إلى طلب عزله من قبل جميع أعضاء العشيرة .

يقرر المفوض السامي عزل رئيس العشيرة بعد تحقيق دقيق بناء على اقتراح معلل من مندوب المفوض السامي لدى الحكومة السورية . كل طلب يقصد منه الحصول على عزل رئيس عشيرة مسند إلى ادعاءات غير صحيحة أو إلى أعمال ليست هي من الخطورة بمكان يقع صاحبه تحت طائلة جزاء نقدي من ٢٥ إلى ١٠٠ ليرة سورية والسجن من ٥ أيام إلى شهر أو إحدى هاتين العقوبتين فقط ، يصدر المفوض السامي قراراً بهذا الشأن بناء على اقتراح المندوب لدى الحكومة السورية .

القسم الثاني - في حيازة الأسلحة وحملها

المادة ٣٥ - إن الرجل الذين يتنقلون منفردين أو عشائر في منطقة من مناطق الرجل ، يرخص لهم في أن يظلوا مسلحين بدون أن يجبروا على الحصول على رخصة لحمل السلاح ، وعند وصولهم إلى المعمورة يجب عليهم أن يحضروا لنزع سلاحهم عند ضابط مراقبة البدو ، أو معاونيه المرخص لهم ترخيصاً رسمياً بذلك ، لا يجوز للرجل أن يقيموا في المعمورة إلا بشرط خضوعهم للقوانين والأنظمة النافذة بشأن حيازة الأسلحة وحملها ، يرخص مبدئياً للرجل المقيمين في الأراضي المزروعة الداخلة في منطقة الرجل في أن يظلوا مسلحين ، على أنه يجب عليهم أن يعملوا بمقتضى الأحكام الخاصة التي يمكن تقريرها بأمر إداري من مندوب المفوض السامي أو مندوبيه معاونين ، ولا يجوز لهم بأي حال ما عدا في حال حصولهم على رخصة معطاة بصورة قانونية لهذه الغاية أن يظلوا مسلحين في الأماكن الأهلة التي هي مراكز لمنطقة إدارية (المحافظات والأقضية والنواحي) وإن تكن هذه الأماكن في منطقة الرجل ، إذا كان من بلدية في هذه الأماكن الأهلة ، فتكون حدودها حدود منطقة بلديتها .

القسم الثالث - في الأوراق القضائية العائدة للرجل

المادة ٣٦ - تبلغ للرجل بواسطة الدرك الأوراق القضائية العائدة لهم ، فإذا لم يكن بوسع الدرك أن يؤمن تبليغها حولها إلى ضابط مراقبة البدو ، المكلف بالإشراف على القبيلة التي ينتمي إليها الشخص المبلغ ، وعندئذ يقوم ضابط مراقبة البدو بالتبليغ ، إما بهتمته وإما مهمة رئيس العشيرة ، ويرسل وصل التبليغ بالتاريخ نفسه إلى السلطة المبلغة ، يلفت ضباط مراقبة البدو نظر قواد وحدات الدرك إلى الأحوال التي يطلب منهم بصورة غير قانونية مساعدتهم لتأمين إيصال التبليغات .

المادة ٣٧ - يجب في الأوراق القضائية المتعلقة بالرجل أن يذكر بصورة جلية وبأكثر ما يمكن من الدقة جميع المعلومات عن اسم المرسلة إليه والقبيلة المنتهي إليها ، يجب أن تصل مذكرات الجلب أو الحضور إلى مخفر الدرك المكلف بتبليغها إلى ضابط مراقبة البدو قبل شهر على الأقل من التاريخ المعين للدعوة أو الحضور .

المادة ٣٨ - يجوز أن يدعى ضابط مراقبة البدو ضمن الشروط نفسها المذكورة أعلاه لتقديم مساعدتهم في سبيل تنفيذ مختلف المذكرات أو القرارات القضائية التي يقصد منها إلقاء القبض على شخص تابع لعشيرة من عشائر الرحل ، فإذا أوقف شخص مطلوب سلمه ضابط مراقبة البدو مع المذكرة أو قرار المحكمة لأول مخفر درك أو شرطة .

المادة ٣٩ - يمكن بصورة استثنائية تماماً أن يدعى ضباط مراقبة البدو لتقديم مساعدتهم في تبليغ الأوراق القضائية أو تنفيذ المذكرات القضائية العائدة لحضريين أو نصف حضريين مقيمين في منطقة الرحل .

يجب أن يرسل لهم الطلب كتابة ، وأن يذكر فيه بصورة صريحة أن الشخص المبلغ المذكور ليس من عاداته أن يأتي بصورة منتظمة إلى منطقة الحضر ، وأنه لا يمكن مادياً تأمين التبليغ أو التنفيذ بالرسائل العادية .

القسم الرابع - في الأوامر بالسجن

المادة ٤٠ - يكون للأحكام الصادرة من المفوض السامي تطبيقاً لهذا القرار جميع مفاعيل الأحكام القضائية ، وتكون قابلة للتنفيذ في الحال ، يترتب على ضباط مراقبة البدو القيام بالبحث والتحقيق في الدعاوى وتنفيذ الأحكام ، للمندوبين والمندوبين المعاونين الصفة اللازمة لتوقيف المتهمين الموقت أو سجن المحكمين ، وهم أنفسهم يعطون الأوامر بالسجن أو يفوضون لهذه الغاية ضباط الدوائر الخاصة أو ضباط مراقبة البدو .

القسم الخامس - في الضرائب والتهريب

المادة ٤١ - يخضع الرحل فيما يتعلق بالضرائب الأميرية للقوانين والأنظمة النافذة .

أما الأحكام الخاصة المتعلقة باستيفاء ضريبة الأغنام فتقرر لها قبل ابتداء كل موسم إدارة الواردات ، بعد الاتفاق مع دائرة مراقبة البدو . يجوز لدائرة مراقبة البدو أن تتدخل في سبيل جباية الرسم بناء على طلب صريح من مديرية المالية .

المادة ٤٢ - يخضع الرحل فيما يتعلق بالتهريب ولاسيا بتهريب الملح للقوانين

والأنظمة النافذة ، يعطى علم بالحجوز التي تجري إلى دائرة مراقبة البدو ، ويجب أن يؤخذ رأي هذه الدائرة قبل اتخاذ كل قرار بشأن تعيين العقوبات ، وكذلك بشأن تعيين طرق تنفيذ هذه العقوبات .

القسم السادس - في الإعانات

المادة ٤٣ - يجوز إعطاء إعانات لرؤساء العشائر الرحل الميعنين بقرار من المفوض السامي ، تعين مبلغ هذه الإعانات كل سنة الحكومة السورية بعد الاتفاق مع مندوب المفوض السامي لدى الحكومة السورية ، وتدفع هذه الإعانات مباشرة .

المادة ٤٤ - يمكن إجراء محسومات من الإعانات لاستيفاء ديون للخزينة أو للأفراد .
لا يجوز أن تتجاوز المحسومات لاستيفاء الديون المعدلات التالية :

الخمس من القسم الأول البالغ ٣٣٠ ليرة سورية من الإعانة السنوية ومن جميع المبالغ التي دونه ، الربع من القسم الثاني الكائن بين ٣٣٠ ليرة سورية و ١٠٠٠ ليرة سورية .
الثلث من القسم الثالث الذي يزيد عن ١٠٠٠ ليرة سورية مهما بلغ .

يحق بصورة استثنائية للمندوب لدى الحكومة السورية أن يرخس في حسم مبالغ تزيد عن المعدلات السابقة ، يحق دائماً للمديون أن يدفع ما عليه من الدين بصورة أسرع إذا فضل ذلك .

المادة ٤٥ - يجب حتماً أن تحسم من الإعانة الديون العائدة للخزينة . على الأمر بصرف الإعانات أن يمسك سجلاً خاصاً للإعانات الممنوحة لرؤساء العشائر ، ويفتح في هذا السجل حساباً خاصاً للمحسومات الواجب إجراؤها في كل حساب ، مع ذكر نوع المحسومات ، وبيان الحوالات والأوامر بالدفع العائدة لها ، إذا كان ثمة نزاع على مبدأ الدين أو مبلغه فلا يجوز إجراء الحسم إلا بعد موافقة مندوب المفوض السامي لدى الحكومة السورية .

المادة ٤٦ - يجري الحسم لاستيفاء ديون الأفراد بناء على اعتراض أو حجز احتياطي ، تجري الاعتراضات أو الحجوز الاحتياطية بين يدي مندوب المفوض السامي لدى الحكومة

السورية ، وهذا المندوب يرى إذا كان من الواجب تحويلها إلى الدائرة التي تأمر بصرف الإعانات .

المادة ٤٧ - يجوز أن يؤخذ من الإعانات محسومات مؤقتة أو نهائية كلية أو جزئية بصفة عقوبة عن أعمال من شأنها الإخلال بالأمن . يفرض المفوض السامي هذه المحسومات بناء على اقتراح المندوب لدى الحكومة السورية أو المندوبين معاونين .

المادة ٤٨ - يجوز وقف الإعانات بجملة أو وقف جزء منها عن رئيس عشيرة لا يقوم بمساعدة كافية في تحقيق ضريبة الأغنام وجبايتها عن قطعان عشيرته ، يتخذ هذا القرار مجلس الوزراء بعد الاتفاق مع مندوب المفوض السامي لدى الحكومة السورية ويذكر فيه صريحاً المبلغ الواجب دفعه ، تلغى الإعانة عن كل رئيس عشيرة يجعل محل إقامته في أراضٍ أجنبية مع جملة عشيرته ، أو مع قسم منها في أثناء التعداد وجباية ضريبة الأغنام ، في هذه الحالة تلغى الإعانات ابتداء من يوم رحيله ، بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء وبعد الاتفاق مع مندوب المفوض السامي ، وعند رجوعه يتخذ مرسوم جديد ضمن الشكل نفسه يقر فيه إما إعادة الإعانة بكاملها أو إعادة جزء منها ، وإما إلغاؤها نهائياً .

القسم السابع

في الأراضي الممنوحة للرحل من أملاك الدولة

المادة ٤٩ - تعين في نظام خاص المناطق التي يجوز أن يمنح فيها أراضٍ من أملاك الدولة خارج المعمورة ، وكذلك زيادة الأراضي الممنوحة الموجودة الآن خارج المعمورة ، لا تمنح أية أرض من أملاك الدولة للرحل بدون أن يستشار في الأمر مسبقاً ضباط مراقبة الرحل ، وهؤلاء الضباط يعطون رأيهم عن ملاءمة منح الأراضي ، وإذا كان رأيهم بالإيجاب أعطوا رأيهم أيضاً بشأن عدد الأشخاص الذين يستفيدون من الأراضي الممنوحة ، وعن مواردهم ، وعن المساحة التي يمكنهم إحياءها . يجب في تقدير موارد الأشخاص الذين يستمنحون الأراضي أن تحسب المبالغ النقدية التي يشتون وجودها لديهم ، والأدوات الزراعية والبنار ، وكذلك الضمانات التي يمكنهم تقديمها ، للحصول على قرض من المصرف الزراعي .

المادة ٥٠ - إذا منحت الأرض قامت دائرة أملاك الدولة بتحديد لها تحديداً مؤقتاً ، وبعد انقضاء مدة سنتين من هذا التحديد الأولي تحدد ثانية تحديداً نهائياً ، يقتصر على الأراضي التي أحيائها بالفعل الأشخاص الممنوحة لهم .

المادة ٥١ - لا يمكن منح أرض بصورة نهائية إلا ضمن الشروط التالية :

١ - لا تمنح الأرض إلا في منطقة جولان العشرة التي يكون الطالبون منتجين إليها .
٢ - لا يمكن أن تشمل الأراضي الممنوحة على قطع جرى من قبل استلاكها بصورة قانونية .

٣ - يجب أن يجري إحياء الأرض الممنوحة بواسطة عملة أكثرهم من البدو .
٤ - نقط المياه سواء أكانت آباراً أو خبرات أو أقنية قديمة أو غير ذلك لا يجوز منحها مهما كانت الحجة المتدفع بها ، بل يجب أن تبقى لاستعمال أي كان . إذا كانت الأرض الممنوحة قريبة من ماء ، وجب أن تحفظ بمنطقة قياس نصف قطرها اثنين كيلو متر حول الماء ، وكذلك يحتفظ بمنفذ إلى الماء بعرض اثنين كيلو متر ، يحدد موقع هذا الممر مهمة دائرة مراقبة البدو بناء على طلب من دائرة أملاك الدولة ، أما الآبار التي يفتحها ذوو الشأن أنفسهم ، فيمكن إدخالها رغم الأحكام السابقة في الأرض الممنوحة بدون أي قيد يتعلق بمنطقة المياه المذكورة أعلاه والمنفذ إليها .

المادة ٥٢ - تبت لجنة مؤلفة كما يلي في كل نزاع يتولد عن أضرار سببتها القطعان في غير المعمورة في مزروعات الأراضي الممنوحة :

ضابط مراقبة البدو رئيساً ، رئيسان من رؤساء عشائر أو أفخاذ عشائر غير العشائر أو الأفخاذ التي يكون المدعون والمدعى عليهم منتجين إليها .

المادة ٥٣ - يوضع هذا القرار موضع التنفيذ بتاريخ ٤ حزيران سنة ١٩٤٠ م .

المادة ٥٤ - تلغى جميع الأحكام السابقة المخالفة لهذا القرار .

المادة ٥٥ - أمين السر العام في المفوضية العليا مكلف بتنفيذ هذا القرار .

بيروت في ٤ حزيران سنة ١٩٤٠ م
المفوض السامي
الإمضاء : بيو

« ملحق رقم ١ »

- قائمة العشائر الرحل -

الروالة وتوابعها ، الأشاجعة ، السوالمة ، العبد الله ، الولد علي ، البذور ،
الأحسنة ، الأسبعة البطينات ، الأسبعة الأعبدة ، الفدعان الولد ، الفدعان الخرصة وولد
سليمان ، شمر الزور ، شمر خرصة ، بني خالد ، الفواعة ، الحديدديون (الكومة ،
الغناطسة ، الجملان ، البوحسن) الموالي (الشماليين والقبليين) العمور ، البوخميس ،
اللهيب ، الكيار ، الوهب ماعدا فخذ السياد ، الغياث ، النعير ، النجاد ، الصليب ،
الحسن ، المساعيد ، الشرفات ، العضيات ، الشنابلة ، السردية .



« ملحق رقم ٢ »

الخط الفاصل بين المنطقة المعمورة ومنطقة الرحل

١ - من الحدود التركية إلى مسكنة القديمة :

- نقطة الابتداء : كول تبه (٦٠ كيلو متراً شرقي جرابلس على الحدود)

- خط الآبار المشتل على : بير حيش ، مرقى كوي ، يدى كوي

- نهر الكيبو ، بير كوله كيتي ووادي تل تورلا ، قنطرة

- طريق كبرد إلى حياله ، بيرج - ماراً بالنقطة ٨٨٢

- طريق سرج إلى عبدا ، حفيان ، يوجاك ، الفرات

- مجرى الفرات (الضفة اليسرى حتى مسكنة القديمة)

٢ - مسكنة القديمة ، خناصر ، أندرين ، سعن وسعين

- مسكنة القديمة ، الطريق الشرقية الغربية التي تمر على مسافة اثنين كيلومتر جنوبي

تل فضه حتى التقائها بالوادي الذي يصب في جبل الغول على بعد ٤ كيلو متر شرقي الحمرا .

- من هذه النقطة : الوادي الشمالي القبلي حتى التقائه مع الوادي الآتي من عين زبيد
- طريق عين زبيد إلى خناصر ماراً بتل الزبيد وعازو كارومينوتش
- طريق خناصر إلى رملة وعيطة
- عيطة إلى بو خرايج
- طريق أبو خرايج إلى الإفدرين (على مسافة ١٠ كيلو متر) إلى قصر ابن وردان
- قصر ابن وردان إلى سروجة عند افتراقه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حتى

سعن وسعين

- ٣ - من سعن وسعين إلى عقيربات
- طريق المركبات التي تمر بقرى العمياء وماش العلباوي وجنا العلباوي وتل
علباوي وفايا وعقيربات .
- ٤ - من عقيربات إلى جب الجراح
- طريق المركبات من عقيربات إلى سوحة ، طريق الإبل التي ترى من سوحة إلى
جب الجراح مارة في زغيلة توينة ومسعدة وجب الجراح .
- ٥ - من جب الجراح إلى فرقلس
- طريق المركبات التي تتخللها قرى جب الجراح ومكسر الحصان وأم الصهريج
وهبرة الشرقية وهبرة الغربية .
- طريق الإبل حتى مرتفعات جبل الشومرية الجنوبية مارة بعلامة جبل الشومرية
والمهاشم وأم الطيور والصوانية والحمرات ومرتفعات جبل الشومرية الجنوبية وفرقلس .
- ٦ - من فرقلس إلى الغنثر وحوارين ومهين
- طريق المركبات التي تمر في هذه النقاط
- ٧ - من مهين إلى عدرا بملاحات جيروود عدرا
- طريق الإبل من مهين مارة شرقي مهين إلى علامة خان الأبيض - خان الجلاجل -
الحدود الشرقية لملاحات جيروود . الرأس الجنوبي لملاحات جيروود

- وادي ضمير حد التقائه بطريق عدرا ، ضمير على بعد ٥ كيلومتر غربي ضمير ،
طريق عدرا .

٨ - من عدرا إلى حدود جبل الدروز عن طريق المسمية
- طريق عدرا ، ميدعة حتى قبالة الضفة الشمالية لبحيرة العتيبة
- ضفتا بحيرة العتيبة الشرقية والجنوبية إلى الكفرين
- طريق الكفرين ، جديدة الخاص ، بيطارية
- طريق الإبل من البيطارية إلى بلای - بویضان - المسمية والحدود السورية
الدرزية

٩ - حدود سورية .. شرقي الأردن
الحد الفاصل بين منطقة الرحل والمعمورة هو خط الحدود :

☆ ☆ ☆

« ملحق رقم ٣ »

قائمة العشائر نصف الحضر

منطقة دمشق : حرب ، الصياد ، الجملان ، النعيم ، الفضل ، السلوط .
منطقة سلية : نعيم حمص وحماه ، البشام ، الخراشين ، التركي العقيدات (أبو سيف ،
أبو هرموش ، أبو عساف ، الدهامشه ، بوسرايا ، بوسلامة) طوقان رعية ، مشارفة
رعية ، بني عز رعية .
منطقة حلب : النعيم ، البوليل ، الساطية ، فرقة السیاد من عشيرة الوهب ،
العقيدات البوشيخ ، المشاهدة ، الولدة ، البقارة
منطقة دير الزور : العقيدات والبوسرايا ، بقارة الزور ، البوشعبان ، العفادلة ، السبخة ،
البوعساف ، البوسبيع ، الولدة) .
منطقة الحسجه : بقارة بومعیش ، ملي ، محمود بك ، طيء ، الجبور ، الشرايين .

« ملحق رقم ٤ »

- قائمة ضباط مراقبة البدو مع ذكر العشائر الموضوعة تحت إشراف كل منهم -

منطقة دمشق : ضابط مقيم في تدمر .

عشيرة الرولة وتوابعها : الأشاجعة ، السوالمه ، العبد الله ، ولد علي البدور ، السبعة بطينيات ، الحسنة ، العمور (الجرباء ، الملحم ، الخرسان ، أبو حربة ، سعد الديرة ، الغياث ، النعير ، النجاد) الصليب .

منطقة الدير : ضابط مقيم في الدير

القدعان ولد ، القدعان الخرصه وولد سليمان ، عمور الجراح - السبعة عبدة .

منطقة الحسجة : ضابط مقيم في الحسجة

شمر الزور ، شمر الخرصه

منطقة حلب : ضابط مقيم في معرة النعمان

الحديدين (الكومة ، الغناطسة ، الجملان ، البوحسن) الموالي (الشماليين ، القبليين) البوخيس ، اللهيب ، الغيار ، الوهب ماعدا فخذ السيد ، العمور المهارشة منطقة سلمية : ضابط من الدوائر الخاصة مقيم في سلمية : الفواعرة ، بني خالد .

وتعود إليه مراقبة العشائر النصف حضر التالية :

العقيدات (الدغامشة ، البوسيف ، البوسلامة ، البوهرموش ، البوعساف ، البوسرايا ، البوشعبان ، البوبكير) التركي ، الخراشين ، بني عز الرعية ، البشاكم ، المشارفة الرعية ، نعم حمص وحماة ، السماطية ، طوقان الرعية .

منطقة جبل الدروز : ضابط مراقبة البدو مقيم في السويداء : الحسن ، الشرفات ، العضيات ، المساعيد ، الشنابلة ، السردية .

☆ ☆ ☆

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني الباحث عن أنساب
كل من العشائر المتبدية والمتحضرة وأوصافها
وأخبارها في كل محافظة وقضاء
من بلاد الشام الشمالية

الجزء الثاني

أنساب العشائر المتبدية والمتحضرة
وأوصافها وأخبارها
في كل محافظة وقضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لقد تم بحوله تعالى نشر الجزء الأول من كتابي هذا ، وفيه الأبحاث العامة المتعلقة بجغرافية بادية الشام وحدودها ومناطقها المختلفة ، وجوّها ومائها ، وسهولها وجبالها ، ونباتها وحيوانها ونعيمها وشقائها ، ومبانيها الأثرية ، وعمرانها القديم والحديث .

ثم تاريخ البدو ، وتقسيم قبائلهم وعشائريهم من أبعد عصور الجاهلية إلى أيامنا هذه ، وهجراتهم وأفاعيلهم في بلاد الشام خاصة ، ثم مالدى البدو إجمالاً من الأوصاف والخلال ، والحالات الاجتماعية في الماضي والحاضر ، وما قاله فيهم مادحهم وقادحهم ، ثم عاداتهم في المعيشة والملبس ، والمسكن واللهو ، والزواج والأعراس ، والضيافة والغزو والحرب ، ثم التشريع البدوي ، وكيفية التقاضي والمرافعة وأصول المحاكمات الحقوقية والجزائية ، وأساليب الصلح بين الأفراد والعشائر ، ثم الدين والشعر والمعارف عند البدو ، وختمت هذه الأبحاث بفصل خاص عن كيفية تحضير البدو ، وإصلاح أحوال العشائر والقرار رقم ١٣٢ المتعلق بمعاملة البدو .

إن كلمة البدو في الاصطلاح الدارج ، وإن كانت خاصةً في أهل القسم الأول من العشائر الذين وصفتهم في الجزء الأول المذكور (ص ١١٧) ، أعني البدو الأفحاح من شمر وعنزة وفروعها فقط ، إلا أنني شرحاً للأبحاث التي عاجلتها وسعت شمول هذه الكلمة ، وعنيت بها كل من كان أعربياً بدوياً في أصله ، ومعيشتهم ونزعتهم ، وعشائرياً قديماً في جمعيته وعصبيته ، سواء أكان من أهل القسم الأول (البدو الأفحاح) ، أو القسم الثاني (عربان الديرة) ، أو القسم الثالث (العربان الفلاليح) ، فقد شملت الجميع في هذه الأبحاث لعدم إمكان التمييز أو تعذره ، وتركت للقارئ اللبيب أن يأخذ ماصفاً منها ، ويطبقه على من حوله من العشائر ، أو أشباه العشائر .

وفي هذا الجزء الثاني الذي أنشره الآن شرحت الأوصاف الخاصة بكل عشيرة ،
كأنسابها وأحسابها ومنازلها وفرقها وفصائلها وأخبارها الماضية وأحوالها الحاضرة ، كل ذلك
حسب المناطق الجغرافية ، أي المحافظات والأقضية التي نزلت فيها واستقرت ، وقد بدأت
من الجنوب وتدرجت نحو الشمال ماراً بدمشق فحوران فجبل الدروز فحمص فاللاذقية
فحماة فحلب فالفرات فالجزيرة ، وتطرقت في الأخير إلى ذكر العناصر غير العربية كالكرد
والشركس والتركان المتوطنين في بعض المحافظات والأقضية ، لما لهم من الأوضاع والأخبار
العشائرية ، ولحاجة قراء العربية إلى معرفتهم بحكم قلة المصادر الباحثة عنهم أو نقصها .

واسم كتابي (عشائر الشام) ، وإن كان يجب أن يشمل عشائر بقية الأقطار
الشامية ، أعني فلسطين وشرقي الأردن أيضاً ، إلا أن هذه العشائر سبق لبعض الفضلاء
الذين ذكرت أسماهم في الجزء الأول في فصل (مكتبة البدو) ص ١٣ أن كتبوا عنها ،
ووصفوها وصفاً محموداً ، وكفوني هذه الناحية ، لذلك اقتصر على عشائر بلاد الشام
الشمالية (سورية الحاضرة) التي عدتها أنفاً ، وأقحمت بها عشائر لبنان أيضاً على قلتهم ،
لأن لبنان يدخل جغرافياً ضمن هذا النطاق .

وفي سبيل الله والعروبة ما بذلت من الجهد ، وما لاقيت من العناء في الحصول على
أوصاف كل عشيرة ، وأخبارها القديمة والحديثة ، وجغرافية منازلها ومنتجعاتها ، والسبل
التي تسلكها في التشريق والتغريب ، وأسماء بطونها وأفخاذها ورؤسائها ووجهائها ، وسيرة
هؤلاء أو بعض هؤلاء ، وما لدى كل عشيرة من قرى وقرىات وماشية ، لأن كل ذلك غير
مدون في اللغة العربية عند أحد ولا محفوظ في ذاكرة أحد إلا فيما ندر ، وهذا النادر يقع
في بيانه كثير من الناقض والمنقوض ، والاجتماع به والتقاط الأخبار والأحاديث منه
لا يتيسر في أي زمان ومكان ، وإن كان شيء من أخبار العشائر معروفاً أو مدوناً ، فهو في
الأكثر عند الأجانب فقط ، ذوي المآرب الخاصة من تبشيرية واقتصادية واستعمارية ،
فهؤلاء قد توغلوا في بوادينا ، وخالطوا عشائرننا وتسقطوا أحوالهم وأخبارهم ، دأبوا على
ذلك منذ أمد بعيد ، وهيمنوا على أقدار بعضهم وسيروه على هوام^(١) ، وبحثوا وألفوا ونشروا

(١) كما فعل خلال الحرب العامة الماضية الكولونيل لورنس نافخ ضرام الثورة العربية الحجازية ، وكما فعل بعده
الميجر كلوب المعروف بأبي حنيك قائد قوى البادية في شرقي الأردن في يومنا .

ماجموعه في مختلف اللغات الإنكليزية والفرنسية وحتى الألمانية ، وقد عدت في الجزء الأول في فصل (مكتبة البدو) أسماء المؤلفين منهم ومؤلفاتهم الكثيرة ، وهي على علّات بعضها جديرة بالإعجاب ، لكثرة الجهود المبذولة في سبيلها .

أجل ؛ لم يوضع حتى الآن عن عشائرنّا في شمالي بلاد الشام أي كتاب ، ولم يفكر أحد أن يدون لها أنساباً ويسجل أحساباً ، ناهيك إحصاء نفوس وقيد أصول وفروع وعد أرزاق ، وناهيك التحضير والتثقيف والإرشاد ، بغية الاستفادة من هذه القوى الاحتياطية لجيش العروبة وتعبئتها (ليوم كريمة وسداد ثغر) ، ومن أجل ذلك ظل المجال مفتوحاً أمام الحدس والتخمين ، وظلت الروايات عن تاريخ العشائر وأخبارها الماضية والحاضرة ، والأرقام عن نفوس العشائر وأرزاقها ، وأسماء بطونها وأفخاذها تتأرجح بين التنقيص والتزديد ، تبعاً لدفع المغارم أو جلب المغنم ، كل ذلك بحكم انتشار الأمية في باديتنا ، وعدم المبالاة بهذه الأمور في حاضرنا .

من جملة العناية في تأليف هذا الجزء ما لقيته في إلحاق العشائر المعاصرة لنا بالعشائر القديمة التي كانت في عصور الجاهلية والإسلام ، فقد اعترضني في ذلك الموانع الذي ذكرتها في الجزء الأول (ص ١٨٠) . لأن كتب الأنساب والتاريخ العربية اختصت بالعصور السابقة ولم تبلغ المتأخرة ، وقد فقدت حلقات تلك العشائر في مطاوي الأجيال أيام ضعف الدول العربية ، واختلاف قبائلها وأمرائها ، وفي الحروب والفتن والأوبئة والمجاعات الكبيرة ، فلم يبق لها ذكر ، فأنت لا تجد الآن أثراً لأكثر العشائر التي كانت مثلاً في القرن التاسع الهجري من التي تحدث عنها ابن خلدون في تاريخه الكبير ، والقلقشندي في كتابه الأول (صبح الأعشى) وكتابه الثاني (نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب) وابن فضل الله العمري في (مسالك الأنصار) وغيرهم في كتب أخرى ، وإذا وجدت بين عشائرنّا من يظن أنها من بقايا التي ذكرها أولئك المؤرخون (وقد بحثنا عن كل منها في مكانه) تجدها غير عالمة بما حملته وورثته من الذكريات ، وربما نسيت صلتها بأسلافها المذكورين ، وانتسبت إلى غيرهم ، ولبست اسماً وكياناً جديدين ، وقد سبق أن قلت في الجزء الأول (ص ٩٠) : أن العشائر تتشعب وأسماءها تتبدل في كل قرن أو قرنين أو ثلاثة تبعاً لمتأمر عليها ، وقد تسمى العشيرة باسم أميرها أو شيخها ، ثم باسم ابن هذا أو

ذاك بعد وفاته إذا انفصلت عن الأرومة وبعدت ، فالعشائر التي كانت معروفة حين فتوح الشام في القرن الأول ، تغيرت في القرن الثالث والرابع ، وما عرف من أسائها في القرن السادس والسابع تبدل في التاسع والعاشر ، وهلم جرا .

ومن الأمور الجارية في العشائر أن بعضها قد ينشق عن عشيرته الأصلية لوقوع مشاكل يتعذر حلها ، فيبدل تابعيته وموطنه ، ويرحل إلى بلاد أخرى ، ويستقل باسم جديد مأخوذ من اسم رئيسه ، أو يلحق عشيرة غريبة عنه ، ويندغم بها ، أو يتعاقد مع عشائر أو فرق منشقة مثله ، فيؤلف منه ومنها عشيرة متحالفة ، يأخذ مجموعها اسماً جديداً ، أو تكون إحدى العشائر قوية مستقلة فيخني الدهر عليها ، أو تسوء قيادة رؤسائها فتصبح ضعيفة محكومة إلى من هو أقوى ، وهكذا تدعو هذه الأسباب إلى ضياع الاسم والمنشأ القديمين بمرور الزمن وإلى نسيانها ، بحكم الأمية وعدم التسجيل ، وإلى ظهور أسماء جديدة لا تجد لها أثراً في كتب الأنساب والتاريخ القديمة .

وهذه الحالات ما برحت تحدث في يومنا هذا ، كما تراه في عشائر الولد علي والعبد الله والأشاجعة والسوالملة التي بعد أن كانت إلى عهد غير بعيد قوية مستقلة ضعفت وتمزق صدعها وخسرت استقلالها وصارت من حواشي عشيرة الروالة الكبيرة ، وكما جرى في عشيرة العمور التي بعد أن كانت متوحدة منيعاً انحلت ولحق كل فريق منها بإحدى العشائر الكبيرة مما سوف تقرأه في بحثها ، وكما جرى في عشيرة السكن ، الساكنة في جبل الأحص جنوب حلب المؤلفة من فلول عشائر شتى قديمة .

قلت في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ١١٧) ما خلاصته : أن عشائر زماننا في بلاد الشام تنقسم من حيث عراققتها بالبداوة وبعدها عن الحضارة إلى ثلاثة أقسام :

الأول - أهل الإبل : البدو الأقحاح ، ذوو النجعة البعيدة والأعرابية العريقة ، وهؤلاء يحلون ويرحلون دائماً ، ويقتنون الخيل ، ويعيشون في الغالب من تربية الإبل ، وينجعون أي يتوغلون لأجلها في قفار البادية البعيدة المعروفة بالحماد ، وليس في بلاد الشام من هذا القسم ، أو من هؤلاء البدو الأصليين الذين اختصت كلمة البدو بهم دون غيرهم ، إلا قبيلتان كبيرتان ذات فروع عديدة هما : عنزة في الشامية ، وشمّر في الجزيرة ،

وكل القبائل أو العشائر الباقية التي لبعضها عدد كبير وصيت بعيد إنما هي من القسم الثاني أي نصف بدوية كما سيأتي ، وإن جمع قرار الفرنسيين رقم ١٣٢ بعض هؤلاء مع أولئك وسمى الجميع : رحلاً .

الثاني - أهل الغم أو الشياه : نصف البدو أو نصف الحضر ، ذوو النجعة القريبة ، والأعرابية المحدودة الذين يسمون حسب المواقع ، تارةً بعربان الديرة ، وتارةً بالرعية ، وتارةً بالشوايا ، ويسمون أمثالهم في العراق العشائر الريفية ، وهؤلاء يعيشون في الأكثر من الضرع ، أي من تربية الغم وفي الأقل من الزرع ، وهم وإن كانوا رحل ويقتنون الخيل والإبل أيضاً ، ويحلون ويرحلون ، ويقطنون بيوت الشعر كأهل القسم الأول ، وينجعون البادية ، لكنهم في هذه الأمور أقل من أولئك ، وبمقدار يكفي للظعن وراء الماشية فلا يتوغلون في الحماة ، ولا يبعدون في الشامية إلا لمسافات محدودة ، تناسب مقدرة الغم ، يضيفون إلى ذلك ممارسة الفلاحة والزراعة في المعمورة ، وامتلاك الأراضين والقرى بمقدار كثير أو قليل .

وأنت لست بواجد بين القسمين من الفوارق والميزات في المعيشة والحالة ما يلفت النظر في بادئ الأمر ، غير أن السبب الذي من أجله أصبحا قسمين هو : الإقامة أو الفلاحة والزراعة عند العشائر نصف البدوية ، والرحيل الدائم ، والتجوال الأبدي عند العشائر البدوية الأصلية ، أما من حيث الخلال والتقاليد والعادات والعرف والاصطلاحات التي فصلناها في الجزء الأول من كتابنا ، فيكاد القسمان يتفقان ، إلا في أمر واحد ، هو شدة التسك ، والمحافظة على اللهجة ، والعادات العريقة في جفوتها وعيشتها البدوية ، وفي عزتها وأمجادها الأعرابية ، عند القسم الأول (البدو) ، والتساهل في شيء منها عند القسم الثاني (أنصاف البدو) .

على أن هذه الفوارق أخذت منذ ٢٠ - ٢٥ سنة تتناقص يوماً بعد يوم ، بنسبة التدرج في سلم التطور والتحضر ، فالبدو أهل القسم الأول أنفسهم قد دب فيهم التساهل بقوانينهم ، وتراخى الحماس في تطبيقها ، واتجه كبراء هذا القسم ورؤساؤه نحو الاقتداء بالقسم الثاني في تربية الضرع ، والعيش من الزرع ، وامتلاك الأراضين والمزارع ، وركوب السيارات بدل الخيل ، وسكنى المدن والدور بدل بيوت الشعر ، كما أن القسم الثاني قلل

الأباعر والأبعار والظعون والأسفار ، وانصرف نحو إعمار الخرب الدائرة ، وشق الأراضي ، وفتح القنوات ، وسكنى القباب والدور الثابتة ، وارتداد معالم الحضارة .

الثالث - أهل البقر : أو البدو الحضر المعروفون بـ (الفلاليح) الذين هجروا بيوت الشعر ، وقطنوا قباب الطين ، أو بيوت الحجر ، وانصرفوا إلى الفلاحة والزراعة أكثر من الماشية ، وهؤلاء أيضاً كثر عزوفهم عن البداوة وشقائهم ، وزاد تعلقهم بالزراعة وأسبابها ، واقتربهم من أبواب الحضارة والثقافة بالنسبة لما كانوا عليه قبل ربع قرن ، مما يبشر بأنه لن تمضي فترة طويلة من الزمن إلا وأمواج التطور والتحضر سوف تغمر هؤلاء البدو كلهم ، أي أن الزمان - وهو أبو العجائب - سوف يفعل فعله فيهم ، ويخضعهم إلى ما جرى بأسلافهم في العصور الغابرة الذين عزفوا عن البداوة والجفوة تدريجياً ، واستقروا واطمأنوا ، وعنوا بالرزق الحلال ، فصار قسمهم الأول ثانياً ، وثانيهم ثالثاً ، وهكذا ، لا سيما وقد انقطعت في زماننا والله الحمد سبل النهب والسلب والغزو ، أو كادت واجتاحت سيارات الركب والنقل مسالك الصحراء ، وبارت سوق الإبل والخيول ، ولم يعد للإنسان إلا ما سعى .

ولأجل هذا ، ولزوال الفروق إلى حد بعيد بين تلك الأقسام الثلاثة ، لم أراعي في هذا الجزء التقسيم المذكور عند وصف العشائر وشرح أحوالها ، بل راعيت أوضاعها الجغرافية الحالية ، وتحدثت عنها بحسب المحافظات والأقضية التي نزلت فيها واستقرت ، سواء أكانت من البدو أو نصف البدو أو المتحضرة. بتاتاً ، وسواء أكانت كبيرة أو صغيرة ، وجعلت العبرة لوحدة العشيرة واستقلالها عن غيرها .

وتنقسم أيضاً عشائرننا الشامية في يومنا من حيث التاريخ وقدم العهد أو قربيه إلى قسمين : فالعشائر الرحل أهل الإبل (البدو الأقحاح) ونخص بالذكر شمر وعنزة ، هي حديثة العهد بالورود من نجد ، ولا يبعد وجودها لدينا إلى أكثر من ٢,٥ - ٣ قرون .

أما العشائر نصف الرحل (المتحضرة) فبعضها حديث العهد ، ومعروف المنشأ والتاريخ إلى حد ما ، كطيء في أنحاء الجزيرة ، والعقيدات والأبي شعبان في أنحاء الفرات ، فإن هؤلاء جاؤوا منذ ثلاثة قرون وقبل شمر وعنزة ، منهم من جاء من نجد

مباشرة كالعمور والعقيدات ، ومنهم من جاء من العراق كالأبي شعبان والكيار والأبي خميس .

وبعضها قديم العهد ومجهول المنشأ والتاريخ ، والظن الغالب أنه من أنقاض العشائر التي كانت في عهود الدول الأيوبية والسلطين المالك التي ذكرها مؤرخو العرب وأدباؤهم في القرن السابع والثامن والتاسع ، فمنها - وهو الأقل - من استطعت العثور على أسماء أسلافه ، وأخبارهم وآثارهم في كتب التاريخ والأنساب والآداب ، فمن هؤلاء (آل فضل) الذين كانوا في براري حماة وحمص ودمشق وحووران ، وتشعبوا وقتئذ كثيراً ، وتحدرت منهم أسرتان كبيرتان ، أسرة آل أبو ريشة أمراء عشيرة الموالي في جنوبي حلب ، وأسرة آل فاعور أمراء عشيرة الفضل في جنوبي دمشق .

ومنها - وهو الأكثر - من لم أستطع العثور على اسمه ورسمه في الكتب القديمة المذكورة ، هل هو من بني كلب أو من بني كلاب أم من آل بشار الذين كانوا في براري حلب حتى القرن التاسع ، أم من أنقاض آل فضل المذكورين أيضاً ؟ لأن عشائر هذا القسم قد مزقت صدعها ، وبدلت صقعها بحكم الحروب والفتن ، وتوالي الأوبئة والحن ، وتقلب الدول وتعاقب الأجيال ، وكرور الأيام والأحداث ، وصارت من العشائر المتحيرة التي نسيت اسمها ومنشأها وتاريخها ، وراحت تظن ظنوناً ، وتزعم مزاعم فاقدة الحجة ضعيفة السند ، فأكثر العشائر عندنا هي من هذا القبيل إذا سألتها لا تحرجواً عن حسبها ونسبها ، وإن أجابت وانتسبت أعوزتها الحجج والأسناد ، كما هو الحال أيضاً عند أكثر الأسر في مدننا .

أما عدد النفوس في العشائر ومقدار ماشيتها من خيل وإبل وغنم وما عر إلخ .. فقد تضاربت فيه الأقوال وكثرت الادعاءات ، وهو يقل إلى حد التفريط في حالة ترقب المغارم ، ويكثر إلى حد الإفراط في حالة استدراغ المغام ، وكان الفرنسيون المكلفون بمراقبة العشائر وضعوا إحصاءات نشروها في كتبهم الباحثة عنها ، لكنها تخمينية ضعيفة لا يوثق بها ، وفي خلال الحرب الكونية الأخيرة نشروا قوائم جديدة كانت أضعف من سابقتها ، بحكم الإفراط الذي لحقها ، لأنها وضعت تحت ضغط طلبات الشيوخ والرؤساء من الدقيق

والسكر والأقشة وأمثالها من مواد الإعاشة باسم عشائريهم ، وعلى كل سوف أذكر في بحث كل عشيرة ما وصل إليه استقصائي وسؤالي من الأرقام التقريبية .

وبعد ، أعيد هنا ما قُلتُه في مقدمة الجزء الأول ، من أنني لا أدعي الاستيعاب وبلوغ الغاية في هذه البحوث والدراسات الكثيرة التضارب والشذوذ ، لأن التجوال في البادية والاتصال بالعشائر أو النبهاء من العشائر العارفين لهذه المسائل في كل زمان ومكان أمر غير يسير ، والتقاط الأخبار واستقراء الحقائق منهم دونها مشقة وكلفة ، وكل واحد يحدّثك حديثاً يختلف عن الآخر ، فرواياتهم وإسناداتهم قلما تتفق وتصفو ، ومن ثم قد يكون في هذا الجزء بعض أوصاف وأخبار سردها في زيادة أو نقص ، وأسماء أشخاص قد تبدلوا أو انتقلوا إلى رحمة الله ، أو أسماء أماكن ومواقع وبطون وأفخاذ ، أو أعداد رجال ومشاة لم أدونها أو دونتها على غير الضبط ، وحسبما قرأت عنها أو سمعت . كل ذلك أرجو من القارئ المنصف أن يشمل به بالمعذرة ، ويقدر ما في هذه الموضوعات من وسعة المجال وعسرة الكمال ، ويعلم أن غايتي من هذا التعب والتضحية المبذولين في الجزء الأول الذي صدر ، وفي هذا الجزء الثاني الصادر الآن إنما هو لسد قصور المكتبة العربية عن عمل عاناه مؤرخو العرب وأدباؤهم في الماضي ، وعاناه المستشرقون الأجانب في الحاضر معاناة كبيرة ، فأدون كل ما يتعلق بباديتنا وبدونا قبل اندثاره ونسيانه ، وأعرّف ذلك إلى حاضرتنا وحضرنا من أهل الجيل الحالي والآتي ، ما زال أهل البادية هم أصل العرب ومادة الإسلام كما قال سيدنا عمر وأوصى بهم ، وما زالت المعرفة أصل التقارب والتوَادد ، فإن وفقت فهو غاية منائي ، وإن زللت فحسبي من وحدتي وانفرادي في هذا العناء وحسن نيتي ووعورة موضوعي وتشعبه شافعاً ومقيلاً .

دمشق ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م

أحمد وصفي زكريا

تعداد العشائر ووصفها

عشائر محافظة دمشق

قضاء دوما

أجل عشائر محافظة دمشق هي عشيرة الروالة العزبية وما يلحقها من العشائر الصغيرة المسماة بالأحلف (الأحمف) ، ذلك لأن إقامة رئيس الروالة الحالي الأمير فواز الشعلان وقبله جده الأمير نوري الشعلان هي في دمشق غالباً ، وخيم الرئاسة الكبير في فصل الصيف هو في قرية عدرة الواقعة في منتهى قضاء دوما شرقي دمشق ، ومن ثم حق لنا أن نعد هذه العشيرة العظيمة من عشائر محافظة دمشق ، ونخصها بقضاء دوما دون غيره من أقضيتها .

ولكي يحيط القارئ علماً بعشيرة الروالة ولواحقها ، وجب أن نبث بادئ ذي بدء عن قبيلة عنزة التي تفرعت منها الروالة ولواحقها ، وأن نشرح تاريخها ماوسعنا الجهد ، ثم ننتقل إلى بحث الروالة المقصود .

عنزة

أعظم القبائل العدنانية بل العربية عدداً وأعلاها شأناً وأمنعها جانباً وأكثرها انتشاراً ، ويرتقي نسبها إلى عنز بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معبد بن عدنان ، والمعروف بين البدو أن جد عنزة هو عنز بن وائل ، أخو بكر بن وائل وتغلب بن وائل ، وأن بني وائل هم بطن من ربيعة من العدنانية ، ومن هنا كانت تسميتهم ببني وائل ، ويخطئ من ينسبهم إلى قبيلة تغلب المعروفة في الجاهلية ، إذ لا علاقة بين ديار هؤلاء وأولئك ولا صلة بين ماضيها ، وهم كثيرون لا يكادون يحصون ، وكل فرع منهم يماثل في عدده أكبر العشائر ، ومن هنا جاء المثل (عنزة دود الفرث) مبالغة في ذكر

عددهم ، وفي أسطورة يتناقلونها عن سبب تسميتهم بعنزة أن جدهم الأعلى قتل رجلاً بالعنزة ، وهي الرمح القصير ، ويتناقلون أيضاً أن لعنزة من القبائل أخوات هي جديلة وعميرة .

إن مواطن عنزة في الأصل بين أواسط نجد وشالي الحجاز . وقد قدمنا في بحث تاريخ البدو (الجزء الأول ص ٧٠) أن قبيلتي عنزة وأسد متصلتان بحي ربيعة ، وأنها كانتا متحدتين ومتجاورتين كل التجاور في شالي وادي الرمة^(١) وكان طريق الحاج من البصرة إلى المدينة يمر بأرض القبيلتين المذكورتين . وكانت عنزة قد احتفظت بالسيادة بعد أن طردت قضاة من ديار العرب في عهد سابق ، وفروع عنزة الآن كثيرة انتشرت في سائر البلاد العربية واستقرت أقسام منها في الشام والعراق وشالي الحجاز ، ومنها فروع تحضرت واستقرت في بلاد معينة من نجد وساحل خليج البصرة ، وأكثر عنزة مازال على بداوته الصرخاء ، مثل الروالة والأحلف والولد علي والعمارات والأسبعة والقدعان والأحسنة ، وبعضها قد انتقل إلى حياة الحضارة ، ففي نجد وساحل الخليج ثلاث عائلات حاكمة من أصل عنزي ، آل السعود في نجد وآل صباح في الكويت وآل خليفة في البحرين .

ويقول فؤاد حمزة في كتابه (قلب جزيرة العرب) إن من عنزة بعض العشائر المتحضرة في نجد ، وأهمها في العارض والحريق والحوطة والأفلاج والسدير والداخلية وفي القصيم وبريدة ، وأن بعض عنزة يقطنون في هجر (جمع هجرة بمعنى مستعمرة) ، أنشأها لهم الملك عبد العزيز آل سعود .

وهم عشائر عديدة لا يؤلفون وحدة سياسية بينهم ، وليس لهم نخوة عامة وإنما هم متفرقون في المنازل لكثرتهم ومتباعدون ، ولا ينفكون عن التخاصم والتناحر ، إلا إذا مست الحاجة .

وهم يرجعون إلى جذمين كبيرين يدعونها (ضناً) والضناً بمعنى نسل ، ويقولون أن

(١) وادي الرمة أطول أودية الجزيرة العربية يبدأ من قرب المدينة المنورة ويمر من مقاطعة القصيم ، وإليه تنحدر سيول جبل شمر في نجد ، وعليه بلدتا عنزة وبريدة .

جذهم الأعلى وأهل أعقب ولدين عز ومعاذ ، فعز هو أبو عزة الذين نحن في ذكرهم ، ومعاذ أبو قبائل حرب التي لاتزال في الحجاز ونجد ، ثم يقولون إن عز أعقب ولدين هما مسلم وبشر ، فسلم أبو (ضناً مسلم) ولهذا الضناً بطنان الجلاس والوهب ، فن بطن الجلاس أفخاذ أو عشائر الروالة والمخلف ، (بتسكين الميم وفتح الحاء) هم عشائر الأشاجعة والعبد الله والسوالة الذين حالفوا الروالة ، ومن بطن الوهب أفخاذ أو عشائر الولد علي والمنابهة ، فبعض الولد علي في بلاد الشام ، وبعضهم واسمهم (الأيدة) في شمالي الحجاز وغربي نجد ، وليس من الأيدة في بلاد الشام إلا أفراد طارئون يذهبون ويحيئون للتجارة ولبعض المصالح الشخصية ، ولا يقيمون إلا وقتياً ، وبعض عشيرة الأحسنة المعدودة من المناهبة في الشام (شرقي حمص) .

ثم إن بشر هو أبو (ضناً بشر) ، ولهذا الضناً أيضاً بطنان عبيد وعمارة فن بطن عبيد أفخاذ أو عشائر الأسبعة والقدعان وولد سليمان ، فالأسبعة والقدعان في شمالي الشام (شرقي حماة وحلب) ، والولد سليمان في شمالي الحجاز ، ومن بطن عمارة عشيرة العمارات التي انحازت إلى العراق وصارت تعد من عشائره ، وتظهر آثار عصبية النسب أحياناً بين عزة عند النزاع والخلاف ، فقد يتعصب السبيعي للقدعاني ضد الروالي ، كما يتعصب هذا للأحسني ضد المذكورين ، كما أنهم قد يلتقون جميعاً لمداغة أي عداء يأتهم من شمر أو من عربان الديرة ، إلا أنه من المؤسف أن تكون الشحنة منذ أمد بعيد ، ولا سيما منذ سنة ١٣٤٨ هـ مستحكة بين ضناً مسلم وضناً بشر .

أما الشرف بين عشائر عزة فقد قالت عنه السائحة الإنكليزية الليدي بلانت التي جالت بين العشائر في سنة ١٢٩٣ هـ « إن البيوتات الشريفة في عشائر بادية الشام عامئذ كانت ابن مزيد (الأحسنة) وابن جندل (السوالة) وابن الطيار (ولد علي) وابن هذال (العمارات) وابن سمير (ولد علي) ، ثم يأتي بعد هؤلاء ابن صفوق (شمر الجربا) وشيوخ طيء (آل عساف) وابن هديب (المواجعة من الأسبعة الأعبدة) والمهيد (القدعان) وابن مرشد (الأسبعة البطينات) ، وقالت : أما ابن الشعلان فليست شرافته إلا عرضية أخذها بالسيف ، وعراقه نسب شيوخ طيء وشيوخ شمر الجربا لاتقل عنها في البيوت الخمسة الأولى » . وأضاف المقدم مولر الفرنسي على ذلك قوله : « ومن الغريب أن هذا

الترتيب لا يزال على التقريب ، كما كان قبل نصف قرن » قلت : إن أكثر الأقوال التي استقيتها توافق الليدي بلانت في مذكرته ؛ إلا أنها تجعل آل هذال كبير العمارات في ذروة التقدم على جميع رؤساء عنزة ، وآل محمد (الجربا) على جميع رؤساء شمر . وتجعل آل غبين في الفدعان الولد من عنزة أقدم بيت في عنزة ، وكما أن هذا البيت رؤساء ضناً كحيل هم رؤساء ضناً بشر قاطبةً من قبل .

وقال السائح الدانماركي نيبوهر الذي زار بلاد الشام في حدود سنة ١١٨٠ هـ عن عنزة ما تعريبه : « أما عنزة فتعد أكبر عشائر بادية الشام ، ولعلها أيضاً أكبر عشائر نجد أو الجزيرة العربية كلها ، وهي تأخذ أموالاً وفيرة من ركب الحج الشامي ، وإذا ما نهب هذا الركب يكون فاعلوه حتماً من عنزة ، وهذه العشيرة في قتال دائم مع حكام هذه البلاد ولا سيما مع والي دمشق ، وقد نهبوا من مدة قافلة كبيرة كانت قادمة من بغداد على بعد يوم من دمشق ، كنت أرسلت معها صندوقاً لي فنهبوه في الجملة ؛ إلخ ... » .

وقال السائح السويسري بركهاردت الذي زار بلاد الشام في حدود سنة ١٢٢٤ هـ ما خلاصته : « أما عنزة فأكبر عشائر بادية الشام وإذا جمعت مع أقاربها في نجد صارت من حيث العدد أكبر العشائر العربية طراً ، وهي وإن كانت قد اعتنقت المذهب الوهابي في حدود سنة ١٢٠٩ هـ ، لكنها ظلت على صلات حسنة مع الولاة العثمانيين بحكم الفوائد التي تستدرها من قوافل الحجاج ، وهذا ما حملها على عدم تأدية الضرائب المفروضة إلى رئيس الوهابية ، إلا أنها إذا انقطعت مواردها من قوافل الحجاج سرعان ما تنقلب على أولئك الولاة وتنحاز إلى الوهابيين للغارة على مشارف الشام » ، اهـ . وقد عني هذا السائح بعنزة كل العناية ، وجعل المجلد الأول من كتاب رحلاته إلى بلاد العرب^(١) خاصاً في الغالب بأوصافهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وكتابته هذا ترجم إلى الفرنسية وطبع سنة ١٢٥١ هـ ، ومثله عمل من بعد السائح الشيكوسلوفي موزيل ، الذي جاء في حدود سنة ١٣٢٥ هـ وألف كتاباً خاصاً بعشيرة الروالة^(٢) كما سنذكره في بحث الروالة .

أما كتاب العرب ومؤرخوهم ونسابوهم فلم يذكروا مواطن عنزة ولا تاريخها في القديم

JeanLuisBurckhardt, Voyages en Arabie

(١)

Aloes Musil, The manners of the Rawala, 1928

(٢)

ولا في الحديث ، ولذا لا نجد لها في مصادرنا العربية إلا نبذاً مبعثرة لا تروي غلة ، ومن ثم كان جل ما عرف عن تاريخ عنزة آتياً من المصادر الأجنبية ، وهو يتلخص في أنها كانت كما قلنا بين الحجاز ونجد في شمالي وادي الرمة من جنوبي غربي تباء حتى خيبر ، وكان يحاددها من الشمال عشيرة بني صخر ، فأدى هذا الجوار إلى عداء شديد بين الفريقين ، ظهر أثره في الحوادث التي أعقبت خروج عنزة من مواطنها إلى الشام .

وكانت هجرة من وفد من عنزة إلى بلاد الشام طبيعية ، وبسبب الجذب والضغط ، وبالتتابع على مثال الهجرات البدوية العديدة ، التي قلنا في بحث تاريخ البدو الجزء الأول (ص ٦٦) أن سيلها لم ينقطع ، وقد اختلفت الأقوال في تاريخ وفود عنزة إلى بلاد الشام ، فمن قائل إنهم قدموا في القرن الثاني عشر في حدود سنة ١١١٢ هـ على ما جاء في كتاب (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها) ، ونحن اعتمدنا على هذا القول في الجزء الأول من كتابنا هذا (ص ١٠٧) ، إلا أنه تبين لنا بعد من مراجعة كتاب (تاريخ الأمير فخر الدين المعني) طبع بيروت سنة ١٩٣٦ م ، أن مجيء عنزة أقدم من ذلك بما لا يقل عن قرن ، فقد أورد مؤلف هذا الكتاب الشيخ أحمد الخالدي اسم عنزة في سياق حوادث سنة ١٠٣٠ هـ ، كما أن عبارة المعلمة أو دائرة المعارف الإسلامية تؤيد ذلك ، وتجعل مجيئهم في القرن الحادي عشر . ولما جاء بركهاردت المذكور آنفاً في سنة ١٢٢٤ هـ وجد عشائر عنزة ولا سيما الأحسنة منها منبسطة في بلاد الشام منذ زمن بعيد لم يستطع هو تحديده ، وهذا مما يؤيد ظن مجيئهم في القرن الحادي عشر .

واختلفت الأقوال أيضاً في من كان أول عنزة في القدوم إلى بلاد الشام ، والغالب أنها عشيرتا الأحسنة والولد علي ، ثم بعد مدة لحقتها عشائر الفدعان والأسبعة والعمارات وآخر من جاء الروالة ، وفي (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها) أن عنزة حينما جاءت مرت شمالاً في طريقها بالجوف ، فاصطدمت بالسرحان إحدى عشائر الشام القديمة ، وقد كانت السرحان نزحت من حوران على أثر حربها مع السردية وانكسارها ، وجاءت قبيل ذلك وتدير الجوف . فدحرت عنزة السرحان وبني صخر الذين هرعوا إلى نجدتها بحكم عداوتهم القديمة لعنزة ، وما زالت حتى أخرجت السرحان من الجوف ، وأكرهتها على الرجوع إلى حوران ، عدا نفر قليل منها لا يزال لهم هناك أعقاب .

وبعد أن مكثت طلائع عنزة في الجوف زمناً يصعب تحديده ، رأت أن الجوف يضيق بها ولا يكفيها ، فاستأنفت زحفها نحو الشمال ، وبلغت براري البلقاء وحوران ، وهناك اصطدمت بعشيرة السردية إحدى عشائر الشام القديمة أيضاً ، وكان للسردية شيخ يدعى المحفوظ السردى ، له سطوة ورفعة كبيرتان ، وجرت معركة حاسمة في جوار المزيريب ، أسفرت عن اندحار المحفوظ وحلفائه (أهل الشمال) ، وتفرقهم في فلسطين وغور بيسان ، وبذلك انتقلت إلى عنزة سيادة البلاد الممتدة في شرقي دمشق وحوران إلى البلقاء ووادي السرحان والجوف ، أما أنحاء عجلون فقد كانت خاضعة آنئذ إلى ظاهر العمر صاحب عكا (١١٤٩ - ١١٨٩ هـ) فلم تجسر عنزة على دخولها ، وقد وقع انتصار عنزة هذا على المحفوظ السردى فيما يظن في حدود سنة ١١٦٤^(١) .

وكان السردية في تلك الحقبة زعماء حلف بدوي مؤلف من عشائر تدعى (أهل الشمال) ، هي السردية والسرحان والعيسى والفحيلية^(٢) . وقد ظل هذا الحلف الرباعي ضعيفاً متفككاً ، بعد أن صدمته عنزة حتى أواخر القرن المذكور ، حينما تولى قيادته مشايخ بني صخر الذين صاروا أقوى عضو فيه ، فبعد أن استعادت هذه العشائر مكانتها الأولى بهذا التحالف ، أخذت تتحدى عنزة وتغير على مواشيتها وتكرهها على مغادرة براري شرقي الأردن ، وكانت الحرب سجالاتاً فيما يظهر ، ودامت إلى أواخر القرن الثاني عشر ، والجموع

(١) في مخطوط عنوانه (حوادث دمشق اليومية من سنة ١١٥٤ إلى سنة ١١٣٦ هـ) جمع الشيخ أحمد البديري الشهير بالخالق الدمشقي ذكر لوقائع جرت في سنة ١١٦٠ هـ قال : وقع حرب بين بني صخر وعرب عنزة في بلاد حوران بسبب الاستيلاء على أغنام بعض القبائل .

(٢) كانت عشيرة السرحان أقوى عشائر حوران وأعظمها شأنًا منذ القرن العاشر ، وقد كانت على رأس حلف عشائري كبير يدعى (أهل الشمال) ويضم السرحان والعيسى والفحيلية والسردية ويظن أن بني صخر كانت من الجلة ، وحوالي عام ١٠٦٠ هـ نازع السردية سيادة السرحان ، واقتتل الفريقان مراراً إلى أن غلبت السردية وأكرهت السرحان على الرحيل عن حوران إلى الجوف ، فانصرفوا فيه إلى الحرث والزرع ، ولكنهم ما أن استقروا مدة حتى فاجأهم عنزة في القرن الحادي عشر ، وأرجعتهم إلى حوران فعادوا بادية ، إلى أن كان قبل الحرب العامة الماضية أقطعتهم الدولة في شرقي إربد ثلاث قرى هي المشرفة والسويلمة والصرة فاستقروا فيها ، ويذكر بركهارت أن نساءهم مشهورات ببياض البشرة ، أما عشيرتا العيسى والفحيلية فقد اعتراها من الضعف والانحلال أيضاً ما اعترى السرحان وبقي منها بقايا ، فن العيسى بقايا في شرقي الأردن تتردد إلى أنحاء درعا أحياناً ، ومن الفحيلية أيضاً بقية ضئيلة في جنوبي قضاء الزوية بين سمخ وفريق .

التي تقاتل عنزة وتكرهها كانت تستعين بشيعة جبل عامل أيضاً ، وعشيرة عنزة التي كانوا يقاتلونها هي (الأحسنة) و (الولد علي) القادمتان في قيادة آل مزيد (أي آل ملح) شيوخ الأحسنة ، فقد جاء في مقال عنوانه (جبل عامل في قرن من سنة ١١٦٧ إلى سنة ١٢٤٧ هـ) منشور في مجلة العرفان الصيداوية (المجلد ٢٨) عبارة خلاصتها أنه في ربيع الأول سنة ١١٩٣ هـ ركبت خيل المتأولة أجمع من الصقر والسردية وبني صخر على عرب عنزة رعية (فاضل المزيدي) فالتقى الجمعان ، فقتل شيخ المتأولة ، وسلبت العرب جميع خيولهم ، وما ألفت عليهم شيئاً يستأبدانهم ، فمات معظمهم من البرد ، إلخ ... ويبدو أن النصر قد حالف عنزة في آخر الأمر ، فزحفت (الولد علي) نحو حوران والجولان ، واتخذت لنفسها منازل ومقايظ ، وزحفت (الأحسنة) شمالاً وبلغت ديرة الشنبل حيث المجال أوسع والمرعى أخصب ، وكانت عشيرة الموالي ذات الحمد والبأس رابضة هناك منذ قرون ، إلا أنها كانت تعبئة من مدافعة شمر القادمة من نجد ، ومن مدافعة طيء التي كانت تغير من الجزيرة ، ومن مدافعة بني خالد القادمة من الإحساء ، مما لا تزال قصائد معاركهم مع الموالي تدور على ألسنة شعراء البوادي وقصائدها .

ولما بلغت الأحسنة ديرة الشنبل - في حدود سنة ١١٧١ هـ على ما يظن - اخترقت حد الموالي ، ونازعتها على مناطقها ، وأكرهتها على الجلاء عن مواطنها القديمة في أنحاء سلمية ، وعلى التراجع نحو ناحية العلا حيث استقرت فيها حتى يومنا ، كما نازعت بقية عشائر ديار حص وحماة وأخضعتها وفرضت عليها الخوة ، ثم توالى أمواج عنزة المتدفقة ، ونعني بها عشيرتي الفدعان والأسبعة ، وقاتلتا الأحسنة ، واحتلتا براري حماة وحلب ، وقد عجز ولاية الترك في تلك الحقبة عن صد هذه الحركات الخطيرة ، فأصبحت عنزة سيدة بادية الشام دون منازع ، حتى وادي الفرات وأطراف العراق ، وأخلت بالأمن ، وشلت كل عمل في التجارة والنقل ، ومنعت كل عمران في القرى الشرقية .

وكانت شمر رجعت وقتئذ من نجد ثانية في نفس الوقت الذي بلغت فيه عنزة براري الشام الشمالية ، ولنفس السبب الذي خرجت به عنزة وهو الجذب والضييق واستفحال الحركة السعودية ، ووصلت شمر إلى منطقة الوديان ، كواذي حوران ووادي عامج ، وبدأ التزاحم بين القبيلتين العظيمتين على المراعي والمناهل ، فاضطرت شمر إزاء خصومها الكثر

إلى ان تعبر الفرات ، وتنتقل إلى الجزيرة الفراتية كما فصلناه في بحثها الخاص ، ومن ثم صارت تغير على عنزة من حين إلى آخر ، وتنتقم كلما وجدت سبيلاً إلى ذلك .

ومن وقائع عنزة في تلك الحقبة ما جاء في تاريخ حيدر الشهابي في أحداث ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م أن جموعاً عظيمة من الفدعان والأسبعة والعمارات وأمثالها من عشائر عنزة قدمت من نجد هرباً من الجذب والضيق ، وانتشرت في شرقي العاصي في أماكن تسمى الشطيبي والمحدي وتل طوقان ، وأن والي الشام سليمان باشا السلخدار خشي وقتئذ أن يستبيحوا حمى المعمور ، فأمرهم بالخروج ، فاعتذروا وامتنعوا ، فساق عليهم جيشاً اشترك فيه منها الفاضل شيخ عشيرة الأحسنة لعداء سابق بينه وبين الفدعان ، وأن المعركة حدثت حول مياه سلمية التي كانت خراباً يباباً وقتئذ ، ووقع القتال بينهم وبين أولئك العربان مدة خمسة عشر يوماً ، وكانت خيالة العربان لابسين الدروع وزلهم يضربون في البارود ، وكان لهم خبرة عظيمة في ذلك وانتهى باندحار الجيش .

وفي حدود سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م كانت فتن شمر في العراق استفحلت وأقلقته الحكومة أي إقلاق ، ورأت عجزها عن دفعهم ، فأقر والي بغداد علي باشا على أن يستدعي عنزة لتعينه على شمر وتردهم ، فهرعت عنزة (الروالة منها) بعدد عديد ، جعل الوالي يستوحش منها ، ويخشى شرها ويندم على ما أقره ، وبعد أن سوى هذا الوالي أمره مع شمر ، حاول أن يرد عنزة بحجة عدم لزومها ، فطلبت منه عنزة أجراً جزيلاً ، لقاء ما تكبدته في زعمها من المشاق في قدومها ، من مكان سحيق كبادية الشام ، وضربت خيامها في ضواحي بغداد بانتظار ذلك ، فأهاج الوالي شمرأ على عنزة ، ورمى الحديد بالحديد ، وجرت معركتان كبيرتان في سنتي ١٢٣٨ و ١٢٣٩ هـ ، كان النصر في الأولى لشمر ، وفي الثانية لعنزة على شمر ومعها جيش الدولة النظامي ، وراحت عنزة على أثر هذا النصر تفحش وتخرب وتحاصر بغداد إلى أن استنجد الوالي بعشائر العراق الريفية ، فنهدت هذه لمقارعة عنزة ، ونجحت في ردها على أعقابها .

وبعد أن استقرت عشائر عنزة كل منها في ديرة ، شرعت تتنازع وتتناحر على مناطق النفوذ ، وقد كان أولى ضحايا هذا التناحر عشيرة الأحسنة التي سقطت أمام حلف الأسبعة والروالة حول سنة ١٢٦٧ هـ ، ثم شرعت الروالة تنازع الأسبعة ، فاستنجدت

الأسبعة بالفتح ، وانضوت تحت لواء عقيد الفدعان المغوار جدعان بن مهيد ، فكانت الدبرة على الروالة رغم نصره جيش الدولة لرئيسها سطم بن شعلان .

وفي المعركة الإسلامية في مادة عنزة أن القلاقل التي أثارها عنزة وقتئذ في بادية الشام وطريق الفرات إلى العراق ، ودامت دهرأ طويلاً ، لم تهدأ إلا بعد سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م ، وذلك على أثر التجريدات القوية التي ساقها ثريا باشا والي حلب ومدحت باشا والي بغداد ، وهما اللذان خفضا غلواء عنزة إلى حد ما ، وقالت هذه المعركة أيضاً أن عنزة كانت في نزاع دائم مع دروز حوران ، ذلك لأن هؤلاء الدروز كانوا يردون غارات عنزة رداً قوياً ، ويشدون أزر العشائر الصغيرة (أهل الجبل) في دفاعها وغاراتها على عنزة ، ومن أجل ذلك أعانت عنزة الحكومة التركية خلال ثورة دروز حوران الكبرى في سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م .

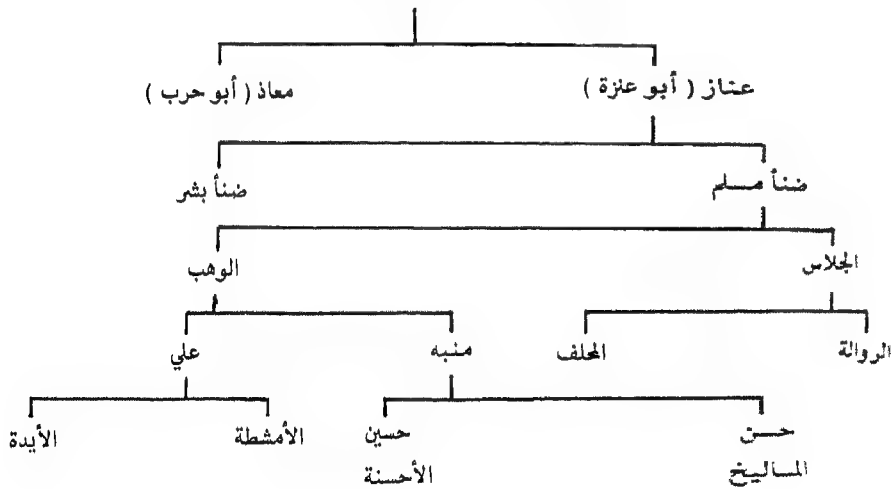
منازل عنزة : تشغل قبيلة عنزة في الشامية براري حلب وحماة وحصص وتدمر ودمشق ؛ وفي الجزيرة الفراتية براري قضاء الرقة ويصل نفوذها إلى جبل عبد العزيز والخابور من الشرق ، إلا أن هذا الامتداد تنازعها عليه قبيلة شمر ، ولبعض رؤسائها (كالأمير مجحم بن مهيد) قرى عديدة وأملاك واسعة في أنحاء حلب ، وفي الشرق الأقصى من قضاء جبل سمعان ، فأصبحت هذه الأنحاء أيضاً منطقة نفوذ لعنزة .

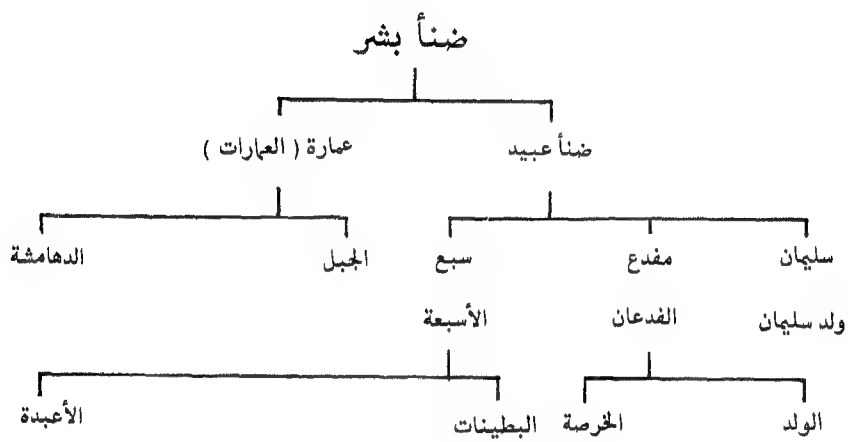
وكانت العشائر الشامية نصف البدوية كلها أو جلها تدفع الخوة إلى عنزة ، ثم انتقضت عليها الواحدة تلو الأخرى ، وتخلصت من نفوذها ، وأول العشائر التي صارت عنزة (ونخص بالذكر العمارات) هي عشيرة العقيدات التي سنأتي على ذكرها في بحث عشائر الفرات ، ثم تبعها عشيرة البوشعبان وهكذا ، أما العشائر الصغيرة التي لم تزل تسير في ركاب عنزة فهي : اللهيب والوهب والبوخيس والكيار والعمور والأبو جرادة وغيرها في شمالي الشام ، وأكثر عشائر ألوية دمشق وحوران وجبل الدروز وعجلون في جنوبي الشام ، ويمثل عنزة في المجلس النيابي الشامي خمسة نواب ، هم عن ضناً عبید مجحم بن مهيد وعبد العزيز الكعيشيش وراكان المرشد ، وعن ضناً مسلم فواز الشعلان وثامر اللحم ، وليس لغير عنزة في بلاد الشام من النواب مثل هذا العدد ، فشم مع أهميتها لها نائبان في المجلس ، ومن الفروق بين عنزة وشمر أن أصغر رعاة عنزة يجير على أعظم سيد من سادات

تقبيلة ، بينما في شمر لا يجسر أي شمري أن يجير على كبرائهم المعروفين بآل محمد (آل
خزرج) .

هذا يجعل ما استطعنا أن نعثر عليه من تاريخ عنزة وجغرافيتها في الجملة ، على رغم
قلة المصادر ، وندرة الحافظين والعارفين لهذا التاريخ وأمثاله ، واختلاف أقوالهم ، وإلى
تقارن في الأبحاث الآتية وصف خاص لكل من عشائرها التي تقدم الكلام على تفرعها ،
مع ما وصل إليه علمنا واستخبارنا من ترجمة رؤسائها ، وسيرتهم وأثرهم في خدمة
عشيرتهم ، ذلك لأن تاريخ كل عشيرة تابع لعمل هؤلاء الرؤساء تبعية غير منفصلة ، ويعلو
هذا التاريخ بحسن هذه السيرة ويهبط بعكسها ، وفي الأسطر التالية جدول يشرح أصول
عنزة وفروعها .

جدول نسب عنزة بن وائل





تقسيم عنزة بحسب مواقعها الجغرافية :

عنزة العراق - العمارات (الجبل والدهامشة) ، عنزة الفرات والجزيرة - الفدعان (الولد والخرصة) ، عنزة حماء - الأسبعة (البطينات والأعبدة) ، عنزة حمص - الأحسنة ، عنزة دمشق وحوارن - الروالة والولد علي والمخلف ، عنزة الحجاز - الأيدة والفقرا .

الروالة^(١)

عشيرة عنزية من ضناً مسلم ومن بطن الجلاس . وهي تعد أكبر عشائر عنزة عدداً وأعظمها قوةً ، وأوسعها جاهاً ونفوذاً لدى الحكومات والسلطات في بلاد الشام ، ولها صلات وثقى بالملكة السعودية ولاسيا بعد المصاهرات التي جرت بين آل سعود وآل شعلان ، وهي آخر من هاجر ووصل إلينا من عشائر عنزة ، ويقال أن منها بقية لاتزال في مواطنها في شمالي الحجاز ، لذلك ما برحت أحفظ العشائر للتقاليد البدوية وأعرقها في القشافة ، وشظف المعيشة ، وأشدها تعلقاً بالأباعر والقفار ، وأكثرها توغلاً في النجعة والأسفار .

قال عنها محمد البسام المتوفى في سنة ١٢٤٦ هـ في كتابه (الدرر الفاخر) : « ومنهم الروالة شيخهم الدريعي المشهور ، وهذه القبيلة أطول باعاً في الكرم ، ورعي الذمم والمساواة للعائل ، ولارتكاب الفضائل ، والطعن في المضائق ، والضرب في المفارق ، أولئك المجد عليهم أجمل ، وأخبارهم في المكرمات أعرض وأطول ، وكل هؤلاء من بصرى إلى الشام » ، اهـ .

وأكثر بيوت الروالة من نوع الخربوش ذي العمود الواحد ، مما يجعل لحلالهم منظرأً وضعياً ، ذلك لأنهم أهل إبل أقحاح لا يربون الغنم ماعداً فرقتي الفرجة والشعلان منهم ، وتربية الإبل تجعل أماكن نجعتهن شاسعة ، بعيدة من مفاوز الحماد ، التي لا تلائم تربية الغنم ومقدرتها ، وهو ما أبقاهم حتى الآن كما قلنا على الفطرة البدوية القديمة ، حتى أن أكثر طعامهم من التمر وحليب النوق .

(١) الروال في كتب اللغة اللعاب وخاصةً لعاب الخيل ، والبرؤل معناه الرجل كثير اللعاب ، ولعل كلمة الروالة تشير إلى هذا المعنى أي أنهم قوم مرولون ، ويلفظها البدو (الرؤلّة) بدون لفظ اللام .

ذكر السائح السويسري بركهارت الروالة في سنة ١٢٢٤ هـ فقال : « عشيرة قوية كبيرة ، خيلها أكثر من كل العشائر ، وفي سنة ١٢٢٤ هـ حاربت جيشاً مؤلفاً من ستة آلاف جندي أرسله باشا بغداد وغلبته ، وهي تنزل البادية الممتدة من جبل شمر قرب الجوف إلى جنوبي حوران ، لكنها كثيراً ما تذهب شرقاً نحو العراق ، وهي قد رفضت دفع الضرائب إلى رئيس الوهابية بعد أن اعتنقت مذهبه ، إن دفاعها القوي ضد باشا بغداد قد أدى للتصافي بينها وبين ابن السعود المذكور ، ففي سنة ١٢٢٥ هـ رافقت الروالة ابن السعود في غارته على حوران ، وأوصلته إلى أغنى القرى ، وفي كل ربيع تأتي الروالة وتزور ابن سمير لكي تتوسط وتحصل على إجازة من والي دمشق لشراء مؤوتها من الغلال ، وليس للروالة أي حق في قبض الصرة ، ولا شيء من قوافل العراق ، إلخ ... » .

وفي كتاب (الدرر المفار) للشيخ محمد البسام أن شيخ الروالة في زمنه (١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م) كان الدريعي المشهور ، والسائح الإنكليزي دوتي الذي جاء في سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م ذكر الروالة وقال : إنها أكثر العشائر عدداً ، وأشدّها قوة ، وأن شيخها وقتئذ هو فيصل الشعلان ، وقد ذكرنا في بحث عشيرة الولد علي أن العداء والتناحر كانا شديدين بين الروالة والولد علي ، على أنها من ضناً مسلم ومن عزة ، وذلك بسبب وقوف الولد علي في وجه الروالة ومنعها من النفوذ إلى براري حوران ، التي صارت منازل الولد علي ، منذ أن وفدوا وحصلوا عليها بالجهد والدم .

وكان التناحر على أشده بين فيصل الشعلان المذكور وخصمه محمد بن دوخي بن سمير شيخ الولد علي ، وفي معركة سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م قتل من الطرفين نحو خمسمئة ، وفي سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م استعان محمد الدوخي بالقائد العثماني مصطفى باشا المرباط في اللجاء ، وانجلت المعركة عن قتل فيصل الشعلان مع ولده ، فعظمت صولة محمد الدوخي وقتئذ ، إلا أن الروالة ذات العدد الوفير استظهرت بعد وطغت ونفذت إلى أنحاء حوران والجولان ، وفي سالنامة ولاية حلب لسنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م أن شيخ الروالة عامئذ كان هزاع بن نايف الشعلان وهو أبو النوري ، ثم جاءت السائحة الإنكليزية الليدي بلانت في سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م ورددت ذكر الكثرة والقوة للروالة وأن شيخها آنئذ هو سطاتم بن أحمد بن منيف الشعلان ، ولسطاتم هذا وقائع مع بني صخر ، فقد أنجد سميّه سطاتم بن فائز

رئيس بطن الفائز من بني صخر ، ونصره على بطن الزين من بني صخر أيضاً وهزمهم إلى غور الأردن ، ثم كال هؤلاء له الصاع مراراً ، وغنموا منه غنائم جمة ، وقد ظل سطاتماً رئيساً على الروالة نحو تسع عشرة سنة ، ثم مات بحلول أجله ، في موقع اسمه الشاخي وسط الحماد ، فخلفه في سنة ١٨٩٠ م فهد بن هزاع الشعلان ، ثم بعد مدة في سنة ١٨٩٤ م قتل فهد غيلة ، فقتل النوري العبد الذي قتله ، لكن هذا الاغتيال نسب إليه ، ومن ثم تقلد النوري رئاسة الروالة ، وظل فيها نحو نصف قرن (١٣١٢ هـ / ١٣٦٢ هـ) دون منازع ، وقد حفل عهده بالأحداث الجسام ، فحق لنا أن نصفه في فصل خاص ، وقد قضت الروالة القرن الثالث عشر الهجري كله في التطاحن والتناحر مع العشائر النجدية والشامية ، إلى أن دخل القرن الرابع عشر الذي لم يكن أقل من سلفه جلبة وأحداثاً ، وقد كان الروالة خصوم شمر بن الرشيد ، استخلصوا منه بقيادة نواف بن نوري الشعلان واحة الجوف ووادي السرحان وقرىات الملح ، وسادوا ونعموا كثيراً ، وظل الشيخ نواف مدة مديدة يتقاضى أربعة مجيديات عن كل جمل ملح ينقل إلى جبل الدروز وحوارن وشرقي الأردن ، فجمع من ذلك ثروة كبيرة ، ولكن في سنة ١٣٣٧ هـ عادت شمر واستردت هذه الأماكن منه عقيب معارك كانت الغلبة فيها على نواف ، ثم عاد الروالة بعد ثلاث سنوات ، واستردوا ما فقد منهم ، لكنها لم تبق في أيديهم أكثر من سنتين ، إذ طلبها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عقب انتصاره في الحجاز ونجد وقضائه على بيت الرشيد فتخلوا له عنها ، ولم يبق هناك منهم سوى فرقة الدغمان التي يرأسها درزي بن دغمي ، وهي فرقة هجرت بلاد الشام منذ سنة ١٣٤١ هـ واعتنقت المذهب السلفي ، وفي سنة ١٣٤٥ هـ انفصل فخذ المشهور من فرقة الشعلان عن العشيرة ، وكان عدده زهاء ١٥٠ - ٢٠٠ بيت والتحق بدرزي بن دغمي ، وكان رئيس هذا الفخذ فرحان بن مشهور شاباً مسعراً للوثوب والحروب ، انضم في سنة ١٣٤٩ هـ إلى فيصل الدويش شيخ عشيرة مطير النجدية حينما ثار على ابن سعود وأخفق ، فاضطر فرحان إلى الاستسلام للحكومة العراقية ، لينجو من ضغط الجيش السعودي ، ومازال حتى اغتيال سنة ١٣٥٣ هـ .

وحاربت الروالة أيضاً وخاصمت عشيرة العمارات العنزية حتى سنة ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م ، إلى أن تصالح ابن هذال رئيس العمارات ، وابن الشعلان رئيس الروالة ، بحكم اضطرارها إلى مقاومة نفوذ الوهابيين الذي كاد يغمرها ، وكان أيضاً بين

الروالة والأسبعة عداء قديم زال في الصلح الذي قرره مؤتمر رؤساء العشائر المنعقد في حماه سنة ١٣٤٣ هـ (حزيران ١٩٢٥ م) ، لكنه تجدد بعد ثلاث سنوات عقيب غزو قام به الأشاجعة والسوالة (أحلاف الروالة ولواحقهم) على الأسبعة ، وزاده تفاقماً هجوم مجرم الشعلان وطراد الملحم على بيوت الشيخ راكان المرشد رئيس الأسبعة ، خلافاً لعادات البادية ، واتسعت الفتنة ، وأنجد ابن هذال وابن مهيد الأسبعة ، فعم الخصام كل ضناً بشر (الأسبعة والعمارات والفدعان) على ضناً مسلم (الروالة - والأحسنة والمخلف) واستطال الشر عدة سنوات ، وقتل عدد من كبار الضنّين كسامي بن طراد السطام وهاشم أخو فارس الشعلان وعبد الكريم الملحم هؤلاء من ضناً مسلم ، أما في ضناً عبيد فقد قتل ابن شتيوي ، إلى أن صالحهما المفوض سامي الافرنسي ، لكن هذا الصلح الرسمي لم يقطع دابر الغارات ، وظل الكر والفر بين الروالة والأسبعة البطينات وحدهما في براري الحماد حتى شتاء سنة ١٩٣٢ م ، وخسر الفريقان كثيراً من الأنفس والإبل ، إلى أن عقد مؤتمر عشائري كبير في قرية عدرا شرقي دمشق في مضارب الأمير نوري الشعلان ، وتم الصلح نهائياً وصفا الجو بين ضناً مسلم وضناً عبيد صفاء تاماً ، بفضل حكمة الأمير نوري وساحته ، أما بين الروالة والعمارات فقد ظلت الغارات متواصلة أثناء نجعة الشتاء وداخل الحدود العراقية ، وعاقبت الحكومة العراقية الروالة وتقاضتها سبعة مئة بعير .

وخاصمت الروالة أيضاً عشائر جبل الدروز والصفاء واللجاة ودام شن الغارات والنهب والسلب بين الفريقين مدة مديدة إلى أن عقد الصلح أيضاً وساد الوئام في يومنا .

وما يذكر في تاريخ الروالة أن خديوي مصر عباس باشا الأول بن طوسون كان أرسل أحد أولاده إليهم ليتبرن عندهم على معيشة الخشونة والفروسية ، ولعله كان يرمي بذلك إلى الاقتداء بما ذكرناه عن الخلفاء الأمويين (الجزء الأول ص ٨٢) ، لكن هذا الولد توفي حينما كانوا في الحماة بصرى حوران فأمر والده أن يدفن في مسجد مبرك الناقعة في بصرى المذكورة ، وأن يرمم المسجد لأجله ، بعد أن كان خراباً فتم ذلك في سنة ١٢٧١ هـ .

والمستشرق التشيكوسلوفاكي موزيل الذي قدمنا ذكره قد عاش الروالة وعاش بين ظهرانيهم عدة سنوات ، وسلك سبيلهم في خشونة العيش والحل والترحال ، حتى صار

يدعى بالشيوخ موسى الرويلي ، وألف عنهم بالإنكليزية كتاباً جليلاً ذكرنا اسمه في بحث مكتبة البدو^(١) ، وحبذا لو وجد من يعربه ليستفيد أبناء الضاد من محتوياته .

منازل الروالة - الروالة أهل إبل في الأكثر ، وحاجة الإبل تضطرهم في فصل الصيف إلى عدم النفوذ إلى المعمورة ، بل إلى البقاء في أكنافها ، ولما مال بعضهم إلى تربية الغنم صاروا يدخلون بها ويأبلهم إلى غربي درعا وإلى قضاء الزوية في حوران ، حتى وقعت في حدود سنة ١٣٤٨ هـ حادثة أخافتهم ومنعتهم من العودة إلى هذه الأنحاء ، ذلك أن قطعاناً من إبلهم وقد كانت لفرقة الكواكبة ، جفلت ذات يوم من بعض خيالة من عشيرة الدياب ، وراح بعضها يدفع بعضاً نحو أودية الجولان الغربية ، ويتساقط ويتكدس في هوة عميقة من تلك الأودية ، فهلك نحو عشرات منها يومئذ ، ومن ثم صاروا يقيظون نحو قرية عدرا شرقي دمشق ، وتكاد هذه القرية تصبح عاصمة رؤساء الروالة ، بعد أن تملكوا حول خمس مساحتها ، ودفنوا فيها عييدهم الأمير نوري ، وأهل الغنم منهم ما زال يقيظ في غربي حوران حول قرى الشيخ سعد والمزيريب ونوى وتل الجابية ، وفرقة مجحم الشعلان تتقدم إلى قضاء الزوية ، وتنتشر في قرى الجوخدار وخسفين وعال وفيق ، وبعض الروالة يذهبون شمالاً إلى أنحاء حص حول الفرقلس وحسيه وبحيرة قطينة وأنحاء القمقوم وأمثاله من آبار سهل الدو ، أما شتاؤهم ففي الحماة (منطقة الخبرات والوديان) ، وهم يدخلون الحدود العراقية والحدود الأردنية ، ويبلغون في شرقي وجنوبي جبل عنزة وداخل الحدود السعودية خبرات البساتين والرويشيد وخفايا اللاهه والهجم والبردويل والطريفاي ، وإذا طاب لهم المرعى وزخر الماء ربما انحدروا جنوباً ، وبلغوا حدود الجوف والنفود ، وتلتقي الفرق القادمة من حص مع فرق حوران والجولان في القريتين حيث يكون مخيم العشيرة الكبير ، فتأتي الأولى من ناحية الفركلس وسهل الدو ، والثانية من الجولان والجيدور وضفاف نهر الأعوج وشرقي مرج الغوطة ، وتقف برهة في ضواحي قرية عدرا وفي سهل رمدان شرقي بحيرة العتيبة ، فإذا تحطت إبلهم مراعي هذه الأنحاء تقدمت نحو خان أبو الشامات وتل الدكة وجبل سيس وتل هدلة والبساتين ، أو تقدمت نحو الضير وجيرود والناصرية والقريتين والبصري والهلبا والتنف والبساتين ، ومن ثم تزحف العشيرة

Aloes Musil, The manners estoms of the Ravaia, 1928

(١)

كالجراد المنتشر انتشاراً رائعاً يستحق النظر والتصوير ، وتتجه نحو الجنوب إلى أن تلتقي في الحماة في الأودية والخبرات التي ذكرناها ، التقاءً تختلف كثافته بين قلة وكثرة ، وفي الربيع تعود من المسلك نفسه وتتقدم نحو أماكن التقيظ التي ذكرناها رويداً رويداً ، ريثما ينتهي الحصاد والرجاد في المعمورة ، ويأمن أهل القرى على زروعهم من مدهامة إبل الروالة وعيهم .

أقسام الروالة - تنقسم الروالة بادئ ذي بدء إلى أربعة بطون كبيرة وهي : الجمعان والكواكبة والقعاقة والفرجة ، وكل واحد من هذه البطون ينقسم أيضاً إلى أفخاذ ، وكل فخذ إلى فصائل ، وكل فصيلة إلى بيوت ، أو فروع عديدة .

١ - الجمعان : ينقسم هذا البطن إلى أفخاذ المهنا والدرعان والدغمان والصوالة والمرعش ، فالمرعش وهو أشهر فخذ ينقسم إلى فصائل الشعلان والسبته والنصير والنواصرة والموسرين والعلمة ، والشعلان من هؤلاء وهم أشهر فصيلة يتفرعون إلى البيوتات الآتية : الهزاع والروضان والمشهور والزيد والمجول والمهل والصبيح والبنية ، ولبنية الأفخاذ فروع عديدة أضربنا عن ذكرها لكثرتها ، ورئيس الجمعان هو فواز الشعلان .

٢ - الكواكبة : ينقسم إلى العرضان والوهيب والختام والكويكب والوكلان والخسي والعرضان والشريفات والمدلوشة والشكير والمزاهية . ورئيس الكواكبة رفع بن عسكر الكويكب .

٣ - القعاقة : وتلفظ (الكعاجة) ، ينقسم إلى المانع والعطية والرشيذ والرشيذان والغشوم والمصطفجة والحاميد والمعيرير والوقيت والجرزي والعوينان ، ورئيس القعاقة غازي القعقاع .

٤ - الفرجة : ينقسم إلى الخضعان والفلثة والمطلان والبادي والسمران والسباح والمشيظ والرماح والعزول والجدران والسواحلة ، ورئيس الفرجة عودة الخضع .

وبيت الرئاسة على جميع الروالة هو في فدة الشعلان من فخذ المرعش وبطن الجمعان ، وبطن الكواكبة المعدود من أقوى بطون الروالة قد بقي بين نجد والجوف ، ولا

يغشى بلاد الشام ، ومثله فعل أخيراً بطن الفرجة الذي نرح إلى نجد ولم يعد إلى بلاد الشام منذ خمس عشرة سنة . ومن الشخصيات البارزة في الروالة على ما نقله البارون أوبنهايم في كتابه البدو هي : فدعاش بن جربية في العلة ، وبشيتان بن بنية في البنية ، وقريص بن نصير في النصير ، وجرو بن سبتة في السبتة ، ودرزي بن دغمي في الدغمان ، وشبك بن سليمان في الصوالحة ، وظاهر بن حلات في الهكشة ، ورشاش بن مسلط في المهنا ، ونجيم الحضعان في الحضعان ، ومغير بن غازي في الفلثة ، ومريح بن برمان في المشيط ، ورشيد بن سعدي في الجدران ، ودارك أبو سرير في السواحلة ، والمطارح بن عياط في العطية ، ومشور بن غشم في الغشوم ، وحشاش بن بطحة في اليزد ، وقعيم بن سلامة في الجرذي ، وضبعان بن الوكل في الوكلان ، وسلمان الوهبي في الوهيب ، وغيرهم وغيرهم .

أما رئاسة الروالة : فهي ما برحت منذ قرن أو أقل في بيت آل شعلان ، بعد أن كانت في يد آل قعقاع ، وقد تركزت الرئاسة في آل شعلان فلا ينازعهم فيها منازع ، وبلغ من شدة النفوذ التي لرئيس الروالة أن سائر العشيرة لم يعد لها مكان خارجي إلا في بيت الرئاسة ، وقد كان الرئيس إلى عهد قريب نوري بن هزاع بن نايف بن عبد الله بن منيف آل شعلان (١٢٦٧ - ١٣٦١ هـ) . وقد قضى هذا الشيخ أربع وثمانين سنة حياة حافلة بأعمال وأحداث كثيرة ، وتشبه سيرته إلى حد ما سيرة الأمير مهنا بن عيسى أمير آل فضل وكبير رؤساء بادية الشام في عهد السلاطين المماليك المتوفى في سنة ٧٣٥ هـ (راجع الصحيفة ٩٣ من بحث التاريخ في الجزء الأول من كتابنا هذا) ، وقد رافق النوري أهم الوقائع التي مرت ببلاد الشام خلال نصف قرن أو نحوه في عهد السلطان عبد الحميد والسلطان رشاد والاتحاديين ، وسامي باشا الفاروقي وجمال باشا قائد الجيش الرابع ، والملك فيصل بن الحسين ، وعهد الجنرال غورو الفرنسي ، وعهد الحكومات السورية المحلية على اختلاف ألوانها . واشتهر النوري بديارته وحنكته بالفتن في موالاة جميع الذين تعاوروا الحكم المدني والعسكري في ديار الشام ، ففي عهد الترك كان يتقاضى لنفسه نحو نصف ضريبة الودي المفروضة على عشيرته الكبيرة ، وهذا فوق الهبات والهدايا من أشياء وتقود وفيرة كانت تصله من الترك ، إلا أن سامي باشا الفاروقي قائد حملة جبل الدروز سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م اعتقله مرة ونفاه إلى الأناضول ، لكنه عاد بعد مدة وجيزة وزادت منعتة

وعلت كلمته من يومئذ ، وفي خلال الحرب العامة كان قائد الجيش الرابع أحمد جمال باشا ينقده نحو ٢٠٠٠٠ ليرة ذهبية في كل شهر ، ويحاول بذلك أن يستنصره ، ويشركه في حملته على قناة السويس وفتح مصر ، لكنه لم يوفق لجذبه كما أراد ، وكان الشيخ نوري رأى هبوب ريح الغلبة نحو الإنكليز ، فانحاز في أواخر الحرب المذكورة إلى جانبهم ، وصار يحتج منهم مبالغ طائلة ، فاقت منح جمال باشا ، وغطت على زيارته له في مضاربه ومحاسنته إياه ، واجتمع بعد حين بلورنس الإنكليزي نافخ ضرام الثورة العربية وبالشريف تسنح له الفرصة . ولما شرع الجيش التركي بالتقهقر من جنوبي بلاد الشام وصار الجيش العربي الفيصلي يتقدم ، مثنى النوري وشارك هذا الجيش مع بعض أتباعه من خيالة الروالة وغيرهم إلى أن دخل دمشق في أيلول سنة ١٩١٨ م/١٣٣٧ هـ على أثر جلاء الترك ، وكان المرحوم الملك فيصل يمنحه في كل شهر فيما قالوه نحو ٣٠٠٠ ليرة ذهبية ، وهذا غير المنح الجسدية التي كان يستدرها منه من حين إلى آخر ، وغير ما كان يجنيه من أحمال الملح الخارجة من قرى الملح حينما كانت في حوزته ، ومن هذه وتلك عد النوري من عظماء الممولين ، وكان يحضر المجالس المنعقدة أمام المرحوم الملك فيصل واللجان الأهلية المجتمعة لمعالجة القضية الوطنية ، والمذاكرة في دفع خطر الجنرال غورو الفرنسي عن الدولة السورية الناشئة في سنة ١٩١٩ م/١٣٣٨ هـ ، ولما نفذ المقدور واحتل هذا الجنرال مدينة دمشق في سنة ١٩٢٠ م/١٣٣٩ هـ زاره النوري وقدم له سيفاً عربياً جليلاً ، وقال له (في رواية صاحب جريدة ألف باء - أنا نصحت فيصل ما سمع ، ترى العقل زين) .

وبعد أن تم الاحتلال عقد الشيخ نوري مع المندوب الفرنسي الكولونيل كاترو اتفاقاً تعهد فيه بحراسة طرق القوافل في البادية ، وحماية السكان الحضر ، وتأمين السلام بين العشائر ، وتجنيد قوة من خياله أو هجائه لقاء تأييد رئاسته على الروالة وتوابعها ، وعشائر جبل الدروز وحوران ووادي السرحان ولقاء ألفي ليرة ذهب عثماني راتباً شهرياً ، ولقب في ذلك الحين بالأمير ، ولما اشتعلت الثورة الشامية الكبرى سنة ١٩٢٥ م وما بعدها ، أبرق النوري إلى المفوض السامي الفرنسي يستنكر هذه الثورة ويعرض ولاءه ومعاونته ، (تقويم البشير لسنة ١٩٢٩ م ص ١٨٣) ، وقد ظل على هذا الولاء طيلة انتداب الفرنسيين .

ومن أجل ذلك كان يلقي منهم أكبر رعاية وأجل حرمة فوق كل رؤساء البادية ، ومنحوه في سنة ١٩٢٧ ، وسام جوقة الشرف من درجة فارس ، ثم رفعوا هذا الوسام إلى درجة كوماندور ، وجعلوا الأمير نوري ممثلاً لعشيرته في جميع المجالس التشريعية والنيابية في دمشق ، ورفهوه إلى حد جعل جريدة ألف باء في العدد المؤرخ في ٢٤ تموز ١٩٣٠ ، تشكو سياسة الفرنسيين في إعزاز البدو وتدليلهم ، وجوح هؤلاء واستصغارهم شأن الحكومات المحلية والأهلين ، وتقول في الأخير (حتى صار يخيل للشيخ نوري مثلاً ، أنه لا يقل مركزاً عما كان عليه قنصل روسيا في دمشق في عهد الدولة العثمانية ، يوم كانت هذه الدولة في أوج عظمتها ، وحتى صارت سيارته ترفع علماً ، فلا يجسر على توقيفها وتفتيشها المأمورون أثناء خروجها ودخولها الخ ...) . وقد أوثق النوري في أواخر أيامه صلته بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فزوجه حفيدته ، ابنة نجله الأمير نواف المتوفى ، وكان يلقي من جلالته حفاوة كبيرة كلما زار مكة أو الرياض ، وبهذه المصاهرة ازداد نفوذه ونفوذ آل شعلان كثيراً ، والأمير نوري رغم أساريه المهيبة ووجهه الملثم في الأكثر إلى حد عيونه الرهيبة ، كان في ساعات أنسه جميل المحاضرة محب للدعابة يقرض الشعر البدوي ، وله قصائد في شرح ما عاناه من الجهد في حياته الشاقة الطويلة ، وكان يكثر للفرنسيين وغيرهم من الأجانب الحفلات الساهرة والولائم الفاخرة تارة في داره الكبيرة في حي الشعلان الذي ورث اسمه ، وهو في غربي صالحة دمشق ، وتارة في مضاربه في البادية ، وقد ظل في أواخر عمره في داره المذكور متقاعد لا يبرحها إلى البادية إلا في الأقل ، وانقلب صالحاً تقياً محبوباً بعد أن كان في شبابه مرهوباً ، وعهد بإدارة غنيمه الخاص إلى حفيده فواز بعد أن فجع في سنة ١٩٢١ م بولده نواف أبو فواز ، ولما توفي في ٢ تموز سنة ١٩٤٢ م (١٣٦١ هـ) احتفل الفرنسيون بجنائزه ، ونقلوه بسيارة عسكرية إلى مدفنه في قرية عدرا المذكورة .

وكان الأمير نوري فوق حنكته في موالة حكام البلاد وذوي السلطان النافذ فيها من وطنيين وأجانب ، يحسن قيادة البدو وإدارتهم إلى أبعد حد ، وكان صارماً في فرض جاهه ونفوذه عليهم ، وفي فض خلافاتهم ومشاكلهم ، والوقوف كحكم غير مردود الكلمة بينهم ، وكانت أحكامه تنال أجوراً باهظة ، سئل أحد الروالة وهو يحتضر ، ماذا تقول إذا

جاءك منكرو نكير؟ فقال : ويش مدريني ، النوري يسولف عني ، أي لا أعلم ، النوري يجيب عني ، وفي هذا دليل على ما كان له من النفوذ البالغ على جماعته ، وقد فعل في آخر عمره من المبرات مسجداً صغيراً شاده لصق داره في دمشق ، وسبيلاً من ماء الفيحة جعل اسمه يتردد بالرحمة ، كما تعلق أيضاً بالزراعة وامتلاك الأرضين فاشترى قسماً من قرية عدرا التي دفن فيها ، واقتنى مزارع في حوران في قرية الشيخ سعد ، وفي البادية في مكان جنوبي تدمر ، وفي السكري والباردة والبصري شرقى القريتين ، واستأجر من أملاك الدولة أرضين في محافظة حمص في موقعي أبي قاطور وجب جبل في شرقي جبل الشومرية .

وفي كتاب (بادية العرب) للمستشرق الشكولوفافي موزيل الذي قدمنا أنه كان عشير الروالة وصديق الأمير نوري الشعلان ، فصل رأيناها جديراً بالنقل هنا ، لعلاقته بترجمة هذا الأمير ، وبذكر بعض ما جرى له خلال الحرب العالمية الماضية ، (عن تقريره كتاب موزيل لأمين الريحاني في مجلة المجمع العلمي مجلد ٢٨ ص ١١٨) : قال :

« في الرحلة الثالثة (١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م - ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م) حينما جاء الأستاذ موزيل دمشق كان نوري الشعلان معتقلاً في الضمير ، فتوسط لدى الحكومة التركية من أجله ، فأطلقت سراحه بعد أن تواعدت وإياه على الجهاد والحملة على مصر وحرب الإنكليز ، وعدها النوري وعداً كان الشوق إلى البادية أكبر ما فيه ، وأسرع بعد ذلك بالرحيل ، دون أن ينتظر صديقه ومنقذه الشيخ موسى ، فسافر الشيخ موسى وهو ينشد شيخ مشايخ الروالة ، وظل يطوي عشرين يوماً في البادية قبل أن يظفر به في خيمه بخبرة المهجم جنوبي اللاهة في قلب الصحراء (داخل الحدود السعودية) . وقد جاء الشيخ موسى كمنسوب عن الترك والألمان لنصح النوري والروالة وعشائر البادية الأخرى بأن يثوروا بنادقهم على الإنكليز بدل أن « يثوروها » بعضهم على بعض ، وكان الأمير نوري قد خرج من دمشق والحكومة تظن أنه سيسعى والشيخ موسى لإنجاح المشروع ، ولم تعلم أن البدوقلما يفتحون قلوبهم في غير البادية ، وكانت قافلة الشيخ موسى هي ضعف ما كانت عليه في سفرته الأولى ، وفي أحمال الهدايا لشيوخ البدو .

وما أجمل ما كان من استقباله في خيم النوري ، جلس أخو العرب الشيخ موسى إلى

بين الأمير ، وكان في سلامه وفي شوقه وفي أسئلته كواحد من العرب بل كواحد من بيت الشعلان ، وقد حزن حزن واحد منهم عندما سئل عن بعض أصدقائه الغائبين وسمع الجواب :

« وممدوح بن سطاتم ، وعذوب بن مجول ، وسعود بن الأمير نوري أين هم ؟ فأجاب الأمير بكلمة واحدة (راحوا) . ثم أخبر أخاه الشيخ موسى كيف قتل عذوب في الغزو ، عادت فرسه ملطخة بالدم ، وكيف قتل ممدوح في غزوة بعض عربان شمر نجد ، غزاهم بالنفود ، فغنم جملهم ، وغرب هارباً ورجاله ، فكن له العدو ، ووقع ممدوح بيد الشامرة في شبيب العاه ، جانا بجزره من نجوا وحنا بتل العامود ، وابنه سعود ذهب فريسة الغدر ، قتله كلاب بن جازي عند ملتقى وادي النعيم بوادي السرحان شمالي قراقر ، جاؤوه غادرين يقولون : أنهم بإمرة عودة أبي تايه - وعربان ابن جازي يلبسون مثل عربان عودة - فصدقهم سعود ، وأنزلهم عليه فغدروا به ، ثوروا البنادق مفاجأة على سعود ورجاله فقتلوه وقتلوا معه أربعة ، وشردوا ، ولكن الباقين من رجالنا لحقوا بهم ، فأدركوهم صباح اليوم الثاني وساقوهم إلى المكان الذي سال فيه دم سعود ، فذبحوهم ورؤوسهم إلى القبلة ذبح النعاج » .

وظل النوري يتدرب بالسياسة ، ويتملص من الاشتراك بمحنة مصر إلى أن ظهر في الحجاز الكولونيل لورانس ، فغلب الحصان الإنكليزي النسر الألماني ، وظفر لورانس بما لم يظفر به الشيخ موسى ، فجمع شمل العربان وفي مقدمتهم الروالة والحويطات وضمهم تحت لواء الشريف ولواء الحلفاء ، وكان الفضل الأكبر في فوزه للذهب الإنكليزي الوهاج ، إلخ ... » ، اهـ .

هذا وقد أنجب الأمير نوري ابناً اسمه نواف ، كان عقيد الحرب في الروالة ، ومحبباً للغاية لشجاعته وأريحيته وتقواه ، ومعرفته بشؤون البادية ، وكان قد ورث جاه أبيه وحرمة من قبل ، إلا أن صحته كانت مختلفة ، فمات في سنة ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م في القريتين ، ودفن فيها ، وأعراب الروالة كلما مروا بالقريتين يشترتون حلواء ويهرعون إلى ضريحه ويخاطبونه قائلين : (يا شيخ نواف تراها ما من قيمتك) ويزدردون الحلوى

ويرجعون ، وكان له عدة أنجال بقي منهم الأمير فواز ونايف ونواش ، فنواش مع بدو الروالة دائماً ، ونايف أمه بنت سطاتم الفائز وأخت مثقال الفائز شيخ مشايخ بني صخر ، وهو موظف عند جلالة ابن السعود .

وأما الأمير فواز الذي أمه بنت سطاتم الشعلان ، فهو عصري مدني في معيشته ، حسن الطلعة ، أنيق البزة ، ورث عن جده رئاسة العشيرة العظيمة والثروة الجسيمة ، والنباهة والحرمة البالغة لدى العرب والفرنج ، في بلاد الشام وغيرها من البلاد التي يزورها ، فقد زار الحجاز ومصر وأوروبا مراراً ، كما زار في عام ١٩٤٦ م أمريكا يرافقه الأمير فاعور الفاعور وعلي بك الأطرش ، فلقى هو ورفيقاه احتفاءً وترحاباً كبيرين من الأمريكيان ، ولا سيما من الجوالي العربية التي كانت تتقاطر من كل الولايات المتحدة لرؤيتهم وإكرامهم ، والأمير فواز ذو قدر كبير عند الشخصيات الأجنبية من فرنسيين وإنكليز الذين يترددون عليه ، فيقيم لهم الولائم والحفلات في مضاربه الفخمة في قرية عدرا أو في وسط الصحراء ، فيرون عنده من بذخ الإمارة وكرم البداوة ، وجمال المضارب والصحاري وروعيتها ، ما يدهشهم ويطلق ألسنتهم بالإشادة ، وأقلامهم بوصف هذه المشاهد والذكريات العربية ، وتسجيلها في مختلف الصحف والمجلات المصورة وغير المصورة في أوروبا وأمريكا .

نسب آل الشعلان : الجد الأعلى شعلان ومنه منيف ، ومن منيف عبد الله ومشهور ، ومن عبد الله زيد ومجول وعبد الله ، ومن مجول جاء عويديس ومنه سالم ومنه حجر ومنه فرحان ، ومن عبد الله جاء طلال وفيصل ونايف وبرجس ، ومن نايف جاء فواز وهزاع وحمد ، ومن هزاع جاء كردي ومشحن ونوري وفهد ومشعل ومحمد ، ومن كردي مشرف ومتعب ، ومن مشرف بن كردي سلامة وعافت ورافع ، ومن مشحن بن هزاع جاء صقر وجدعان ، ومن نوري بن هزاع جاء خفاجي وسعود ونواف ومن نواف بن نوري جاء لورنس وسعيد ونايف وفواز (الأمير الحالي) ونواش ، ومن الأمير فواز متعب ومحمد وسلطان ونواف ونوري . ومن فهد بن هزاع جاء فارس وحاجم ومجيد ، ومن مشعل بن هزاع جاء بندر ومن محمد بن هزاع جاء مناور ومجهم ، ومن مناور متعب ومن مجهم محمد وتركي .

أما مشهور بن منيف بن شعلان فقد أعقب الدريعي ومنه الحميدي ومنه أمهورة وساحم ، ومن أمهورة سطام ومنه خالد وطراد وممدوح ومشعل ، ومن طراد بن سطام جاء لورنس وحمود ، ومن لورنس منصور ومنيور ، ومن ساحم بن الحميدي جاء فهد ومنه فرحان الذي قتل سنة ١٩٣٥ م ، وهذا ما استطعنا جمعه في هذا النسب فإن كان هناك زيادة أو نقص فالعهدة على الرواة .

المُحَلِّف

بتسكين الميم وفتح الحاء واللام ، هؤلاء هم الفرع الثاني من عشائر الجلاس ومن ضناً مسلم ، وفي هذا الفرع ثلاث عشائر صغيرة تعد من لواحق الفرع الأول ونعني به الروالة ، وهي تذعن برمتها إلى الأمير فواز (وقبله جده نوري) وتتبع سياسته ، قيل إن سبب تسميتهم بالمحلف « الامُحَلِّف » لأنهم تحالفوا أن يكونوا مع الروالة على أخصام ضناً مسلم .
وهؤلاء هم :

الأشاجعة

عشيرة صغيرة عددها ٥٠٠ بيت وليس لها تاريخ خاص ، بل هي كانت وما برحت من أتباع الروالة في وقائعها ، وقد تبعثرت هذه العشيرة فلحق قسم منها آل الشعلان مباشرة ، وذهب قسم آخر إلى شرقي الأردن ، أما فرقها وشيوخها ، الخليفات لخنيفس بن سكين ، والبلايس لجديلان بن بديم ، والبدور لمنيطر الشوقي ، والمهيوب لعلوش الكوسان ، وكل هؤلاء مخاتير بعية آل الشعلان ، وقد كانت رئاسة الأشاجعة لعهد قريب في يد فرحان بن جاسم بن فارس بن حمود آل معجل من فرقة الخليفات ، لكن سوء إدارته ومرضه وتردده بين المنطقتين الشامية والأردنية ، أدت إلى عزله ونصب ابن عمه مطرد آل معجل مكانه ، وربما لم يدم هذا أيضاً وتلتحق العشيرة بالأمير فواز بتناً .

يقيظ الأشاجعة في حوران ، وخاصةً في غربي قضاء درعا . فإذا قضاوا على مراعي هذه الأنحاء انتقلوا إلى المريج (قضاء دوما) حول قرى تل مسكن والغزلانية والهيجانة ، أما



الأمير نوري الشعلان في مضارب به وحوله بعض حفدته وذوي قرابته وحاشيته



الأمير فواز الشعلان رئيس الروالة

في النجعة فيلتحقون بالروالة بنفس المراعي والمناهل في الحماة حول جبل عنزة ، والغنامة منهم يبلغون حرة الراجل ووادي السرحان ، ولا يتورعون عن شن الغارات على عشائر جبل الدروز التي تنجع تلك الأماكن أيضاً .

السوالمة

عشيرة صغيرة عددها ٢٠٠ بيت ، ويقال عن تاريخها مثلاً قيل عن الأشاجعة ، أي أنهم أتباع الروالة في أحداثها ، وهم أيضاً مبعثرون ؛ فالقسم الأكبر منهم مع آل شعلان ، والقسم الأقل في شرقي الأردن ، ولا يعد رئيسهم إلا مختاراً في معية الأمير فواز ، وفرقهم التي لا رابطة بينها هي : الفرايدة والملهاج والهلبي والجندل ، ورئاسة الجميع في بيت جندل المعروفين بأنهم من بيوتات عنزة الرفيعة النسب ولو أن الدهر قد أخنى عليهم ، وكان لهذا البيت صداقة قديمة مع أهالي دير الزور ، وكان أهل المهن والتجارة قديماً في مدينة الدير يقصدون دمشق في حامية ابن جندل من بين عشائراً مسلماً كلها ، والرئيس الحالي هو عافت بن جندل ، إلا أنه قد هجر عشيرته ، وقطن في قرية جبرود ، وشرع يعمل في زراعة أرض صغيرة قيل : أن أغوات الجواردة أهدوها له ، بحكم قرابتهم المزعومة مع آل جندل ، فانتقلت الرئاسة الفعلية بذلك إلى خالد بن جندل ، وتعد السوالمة كالأروالة من أهل الإبل ، وهم يقيظون في أنحاء بير القمقوم وبير جحار وبير جزل في براري حمص ، ثم ينتقلون إلى حوران والجولان ، وفي الخريف إلى مرج الغوطة حول قرية العتيبة ، أما في النجعة فهم كالأشاجعة ، أهل الإبل في الحماة مع الروالة ، وأهل الغنم في حرة الراجل ووادي السرحان ، وإذا كانت المراعي مبدولة في البادية لا يدخل هؤلاء ولا الروالة المعمورة ، بل يبقون حول آبار بادية حمص المذكورة .

العبد الله

وتلفظ لفظة الجلالة برقة زائدة ، عشيرة صغيرة ، عددها ١٥٠ بيتاً ، ويقال عن تاريخها مثلاً قيل عن الأشاجعة والسوالمة ، بل إن هذه العشيرة قد تشتتت أكثر ولحق كل جمع منها بفرقة من ضناً مسلم ، فأصبحت العشيرة معدومة الوحدة والرئاسة ، وتوشك أن

تنقرض من الوجود ، وكان رئيسها جدعان المجيد سيء الإدارة ، يتقاضى ضريبة الودي المفروضة على عشيرته أضعافاً مضاعفة ويحتجها لنفسه ، وقد أدى ذلك لامتعاض عشيرته وانفصاف فرقتها من حوله ، ولحقها بعشيري الروالة والأحسنة ، ولهذا فقد اضطر جدعان إلى الهجرة والانخراط في الجيش الأردني برتبة عريف ، أما فرق هذه العشيرة فهي : الناجي والحرة والمشاخرة والشاهين والقشوش .

نتقل الآن إلى وصف العشائر الصغيرة الموجودة في قضاء دوما ، وهي تعد من العشائر الغنامة ، أما أسماؤها فهي : الجملان والصيد وحرب والعقيدات والغيث ، وهام بحثها بالتتابع :

الجملان

الجملان أكبر عشائر الديرة في قضاء دوما ، وهي عشيرة وديعة ، وعلى صلات حسنة مع كل العشائر ، لأنها في حصانة أي لا تغزو ولا تغزى ، لاعتقادهم بشرف محتدها ، فهي تدعي الانتساب إلى الأشراف ، وإلى جد اسمه الشيخ جميل ، وأنها بعد أن نزلت من قلب الجزيرة إلى سقي الفرات ، في زمن لم تعد تذكره ، لم تقو على مناهضة عشائر تلك الأنحاء ، فجاءت إلى ديار حماة ، واستقر قسم منها في شمالي سلمية حيث لا يزال ، وسيأتي ذكره في بحث (عشائر محافظة حماة) ، واستمر القسم الآخر في طريقه إلى دمشق ، ونزل في شرقي مرج الغوطة ، وأكثر الجملان رحالة وشركاء الدمشقيين في تربية الغنم ، وبعضهم حراثون أو أجراء حراثة ورعاة بقر ، وهم يقيظون حول قرى المريج الجنوبية كقريحتا والغزلانية ، أو حول القرى الشرقية كالعتيبة والعبادة وحران العواميد والكفرين وجديدة الخاص والمهيجانة والبيطارية ، وفي الشتاء يبلغون في نجعتهم شمالي حرة الصفا وديرة التلول إذا كانت السنة مقبلة ، أو يبلغون في الحماد جبلي اللاهة وعنزة وخبرة رمانة إذا كانت السنة مدبرة ، وعدد بيوتهم نحو ٢٥٠ وعندهم نحو ٦٠٠٠ شاة أكثرها للدماشقة ، وفرقهم : الجسم والحدود والعودة والشواحنة والجلاغة والضواهرية والناصر والشمالات ، وشيوخهم ضاهر المسعود آل حمد ، وهو من فرقة الجسم التي في يدها الرئاسة منذ القديم ، وهو ذو نفوذ في عشيرته ، وله ثلاثة أولاد مسعود ومحمد وأحمد . والجملان دمشق بعض قطع أراضي في مكان

اسمه خربة الشقرانية شرقي قرية بلاي التابعة قضاء إزرع ، كما أن منهم زرافات في حوران ، وآخرين في الجولان غربي القنيطرة ، وفي قرية صبرة من قضاء قطنا ، وللضواهرة منهم مزرعة باسمهم في المرح جنوبي القصير .

الحمامرة

الحمامرة من فرق النعيم المنفصلة ، عددهم ٣٥ بيتاً ، ينزلون قرى حوش خرابو والبلاية والقاسمية ، شيخهم بركات الكحلان ، وهؤلاء يؤثرون العزلة ، ويجتنبون الاتصال مع البدو والحضر ، ويحافظون على تقاليدهم البدوية .

الحسيكات

الحسيكات من فرق النعيم المنفصلة ، عددهم ٤٠ بيتاً ، ينزلون شرقي عدرا في أراضي المعصرة ورمدان ، جاؤوا منذ نصف قرن لهذه الأراضي ، وقد يبلغون شمالاً قضائي القطيفة والنبك ، شيخهم فنخ ، بنوا بيوت مدر وقطنوها ، وانصرفوا للحرث والزرع مع تمسك بالتقاليد البدوية .

الوهيب

الوهيب لعلمهم من فرق النعيم المنفصلة أيضاً ، عددهم عشرة بيوت ، وهم أقل الفرق مالا ورجالا ، أخفى عليهم الدهر حتى أصبح أكثرهم أجراء عند فلاحي قرى المرح ، شيخهم حسان المحيلي .

الصياد

الصياد عشيرة صغيرة مستقلة وإن عددهم البعض من فرق النعيم ، عددهم نحو ٨٠ بيتاً ، وهم مثل الجملان في حصانة ، أي لا يغزوهم أحد . وقد ذكر الشيخ أبو الهدى الصيادي نديم السلطان عبد الحميد في رسالته (الروض البسام) المطبوعة في سنة ١٣١٠ هـ أنهم شرفاء ومن أعقاب السيد فاتك الحسني ، وذوو شهرة في بوادي دمشق ، ونحن نستغرب هذه الدعوى ، وكيف ينقلب الأشراف الحضر بدواً ورعاة ، وهم منتسبون إلى الطريقة

الرفاعية ، ومن ثم يعمل بعض أفرادهم بالخرقة بين البدو والفلاحين ، فيداون المرضى بداء الكلب أو العته أو الفالج وما إليه ، وعيشتهم بدوية صرفة ، وهم محتفظون بالتقاليد البدوية ، وأكثرهم أصحاب ماشية وشركاء الدماشقة في تربيتها ، وإذا نجعوا يبلغون نفس الأماكن التي تبلغها الجمالان في الحماة ، ومنازلهم في المرج نفس منازل الجمالان ، ولا سيما حول قرية العتيبة في موقع يدعى الخزار ، وقرعهم السليم والأبو حمد والبارك والبريدات والرملة والحماة والعبد الرزاق ، وشيخهم فواز السليم .

حرب

حرب من فرق النعيم المنفصلة ، انفصلوا منذ أمد بعيد ، واستقروا في الغوطة حول حوش البحدلية ، وقرى شبعاء وسكاء والغزلانية ، واشتركوا برعي غنم هذه القرى وغيرهم ، وهم لا يبعدون عن منازلهم هذه إلا قليلاً ، وربما بلغوا حول بحيرة الهيجانة فقط ، وقرعهم السليم والأبو شجر والخالد والراضي ، وعددهم نحو ١٥٠ بيتاً ، وعندهم نحو ٥٠٠٠ شاة و ٢٠٠ بعير ، وشيخهم فارس الحسان وعلي الدلي ، وفي محافظة الجزيرة عشيرة صغيرة أخرى اسمها (حرب) تزعم الانتساب إلى قبيلة حرب الحجازية ، ولم يتحقق لنا إذا كانت قريبة (حرب) الدمشقية أيضاً .

عقيدات الغوطة

عقيدات الغوطة أصلهم من سقي الفرات من عشيرة العقيدات الكبيرة التي تشتت كثيراً ، وسيأتي ذكرها في بحث : عشائر محافظة الفرات ، وهؤلاء الذين في قضاء دوما لا يعرفون متى جاؤوا إلى منازلهم الحالية ، وكيف جاؤوا ؟ ومنازلهم الآن هي في شمالي المرج ، حول قرى عدرا وميدعة وحوش الفارة وحوش نصري وتل الكردي وحزرماء . يراعون ماشية هذه القرى ، ويؤجرون أنفسهم أحياناً للحرث والحصاد والرجاء ، أما نجعتهم فقصرية لا تتعدى الضير ، وربما بلغوا بحيرة الصيقل وخان المنقورة والسبع آبار فقط ، وعددهم نحو ٤٠٠ بيت ، وعندهم ١٢٠٠٠ شاة نصفها للتجار الدمشقيين و ٢٥٠ بعيراً ، أما قرعهم وعدد بيوتها فهي الضامن ٢٠٠ والحمودي ٥٠ والمعاضيد ١٠٠ والمشاهدة ٢٥٠ ، وثمة فرقة حمد إدريس المستقلة عن الجميع .

فرقة (الضامن) تنزل نهر الميدعاني ، وشيخها ممدوح الجاسم أكبر شيوخ العقيدات جاهاً ونفوذاً على الجميع ، وهذه الفرقة تمتاز بأخلاقيها وثروتها ودأبها وراء الكسب عن طريق التجارة بالماشية ، ولا يوجد فيها رجل عاطل عن العمل إلا العاجز المعدم الذي يتسابق أغنياءها لإعانتته ، وفرقة (المعاضيد) تنزل حوش الضواهرة وحوش نصرى ، وشيخها جاسم الحمد ، إلا أنها ثابتة في منازلها لا تفارقها إلا في أيام النجعة إلى الشرق ، وفرقة (المشاهدة) تنزل تل الكردي وشيخها محي الدين العون ، وفرقة (حمد إدريس) تنزل قرية عدرا ، وشيخها كامل الفارس وقد تحضرت هذه الفرقة وسكن كثير منها بيوت المدر ، على أنها لا تزال محتفظة بعاداتها البدوية ، ومثلها في هذه الحالة فرقة المشاهدة .

الغياث

في أقصى الجنوب الشرقي من قضاء دوما وعلى بعد سبعين كيلومتراً عن دمشق حرة بركانية تدعى الصفا ، شديدة الوحشة والوعوثة والجذب ، إلا أنه في جنوبها سهل يدعى الرحبة وافر الخصب والعشب ، وينزل في حرة الصفا وسهل الرحبة أعراب يدعون الغياث ، أو عرب الصفا ، يقال أن أصلهم من عشيرة العمور ويقال من شمر ، انفصلوا قبل قرنين بغية النزول في الصفا والرحبة ، وهؤلاء قليلو الظعن ، يقيظون في المنحدرات الشرقية من جبل الدروز الشمالي ، ويشتون في سهل الرحبة ، وهم يزعمون هذا السهل الفسيح المنقطع النظير في زكاء تربته التي تخلص بانصباب أودية جبل الدروز عليه ، والغياث على ما وصفهم البارون أوبنهايم يختلفون عن بقية البدو بجهومة وجوهم ، وبصيص عيونهم ، ونحولة أبدانهم ، ورفع أعناقهم ، ورثاة ملبسهم ، وقذارتهم ، وعري رؤوسهم ، وتشعث شعورهم ، وهم فتاكون سلابون من الطراز الأول .

وعشيرة الغياث كغيرها لا يعرف من تاريخها سوى ما تلوكة ألسنة البدو ويقصونه ، وخلاصته أن هؤلاء منذ قدومهم اعتصموا بحرة الصفا وبحرة الراجل التي في جنوبها ، وهما أمان ملجأ وأعسر ملاذ إذا ما تغللو فيها ، فتعجز كل قوة عن اللحاق بهم والعثور عليهم ، وتاريخ هذه العشيرة سلسلة متصلة الحلقات من الفتكات والغارات التي كانت تبقى دون عقاب ، وكانت شرورهم وفضائعهم في الماضي تصل إلى قرى الغوطة

وجبل قلمون وجبل الدروز ، وإلى القوافل السائرة بين دمشق وتدمر والعراق ، وحتى إلى العشائر المجاورة دون أن يستثنوا عنزة ذات الطول والحول .

وقد كانوا في الماضي يعيشون في الصفا مستقلين كل الاستقلال ، ولم يحاول الترك في عهودهم الأولى اقتحام الصفا والضرب على أيديهم ، ولا فكروا في بناء مخفر وإقامة درك بين ظهرانيهم ، كما عمله الرومان في القصر الأبيض المبني وسط سهل الرحبة . فالترك لم يبعدوا في حراسة البادية عن الضمير ، إلى أن انتبهوا لهذا الأمر في القرن الماضي ، فجاءوا في حدود سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م إلى الشيخ عياش النعير رئيس فرقة النجاد من العمور (عمور الديرة) - وقد كان له في هذه الأنحاء النائية حرمة واسعة - وكلفوه أن يجهز سرية متطوعة من الفرسان ، ويتعهد بحفظ الأمن ويرد عيث الغياث عن حدود الصفا ، فأقام هذا الشيخ في الخان المسمى باسمه وهو شمالي قرية عدرا على يمين طريق السيارات إلى حمص ، ووطد الأمن بنفذه الشخصي لا بقوته القليلة ، وظل على ذلك إلى أن مات في سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م . ولم تكلف الدولة أحداً غيره بتلك المهمة وأهملتها ، فاهتبل الغياث هذه الفترة وظلوا بعده سنيّاً عديدة ينعمون بأبعد حدود السلب والنهب ، إلى أن جهزت الدولة في سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٧ م حملة كبيرة بقيادة اللواء الدركي المغوار المرحوم خسرو باشا الشركسي ، المشهور بمساعيه في توطيد أمن البادية ، كان دليل الحملة أحد أبناء النعير ، فبلغت سهل الرحبة وفتكت بالغياث في حاوي الصفا ، فتكة قوية وصادرت ماشيتهم كلها ، وأخضعتهم إخضاعاً تاماً ، وخلال الحرب العامة الماضية بدا للدولة أن توطد الأمن على النحو الذي سبق ، فكلفت الشيخ خلف بن عياش النعير الذي ورث في هذه الأنحاء ما كان لأبيه من النفوذ ، فجهز هذا الشيخ الهام سرية على غرار أبيه ، ووطد الأمن توطيداً كاملاً ، وظل على عمله في عهد المرحوم الملك فيصل أيضاً ، وكان الأمن يستتب بنسبة نحو الأعطيات المخصصة للشيخ خلف ويقل كلما ضلّت .

ولما دخل الفرنسيون في سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٠ م) لم يكلفوا الشيخ خلف بتلك المهمة ، ففض سريته ، وعاد الغياث لديدنهم ، فساق الفرنسيون عليهم قوةً من الهجانة في سنة ١٢٤٢ هـ (آذار سنة ١٩٢٤ م) يعضدها مدفع جبلي وسيارات رشاشة ، وضربتهم على مقربة من جبل سيس ، وكبدتهم عشرين قتيلاً ، لكن هذه الضربة والضربتين اللتين

أعقبتها خلال ثورة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) لم تؤثر ، وظل الغياث يقطعون الطريق على السيارات العاملة بين دمشق وبغداد ، ونهبوا مرة بريد بغداد وفازوا بثلاثين ألف دينار ، وانضم إليهم زرافات من النجاد والرييدات والبدور الذين هم من فرق العمور . وعقدوا اللواء للشيخ خلف العياش النعير القائد المغوار ، ثم اشتركوا بالثورة السورية وصاروا يؤوون العصابات الدرزية والدمشقية وفلول الثوار الزاحفة من الجنوب أي من شرقي الأردن والأزرق إلى غوطة دمشق ، واستطالوا في هذه البرهة كثيراً ، وبلغت ضرورهم جبل قلمون ، ونهبوا نحو ٥٠٠٠ رأس من ماشية النبك وجيروود وغيرها ، كما نهبوا بيادر بعض قرى المريج شرقي دمشق ، وحاول الفرنسيون وقتئذ رد بائقهم ، فقام الرئيس كاربنتيه قائد سرية المهجانة يحرس قافلة سيارات بغداد ، لكنه أصيب في ١٢ أيلول ١٩٢٥ م في تلعة الساعي من يد أحد المساعيد المنضمين إلى الغياث ، فشاد الفرنسيون له وسط شارع بغداد في دمشق قبة تحتها سبيل ماء وسجلوا عليها اسمه وتاريخ وفاته^(١) ، ومن ثم صارت الطائرات تراوح الغياث القصف ، وقوى المهجانة تحاصرهم ، إلى أن عجزوا واستأمنوا ، وسلم الشيخ خلف العياش نفسه علامة لهذا الاستئمان ، وانفصل عنهم الرييدات والبدور ولجؤوا إلى عشيرة الولد علي ، فظل الغياث وحدهم مع النجاد والنعير ، وتعهد الشيخ خلف بتسليم عدد من البنادق والغنم ، وبالسماح للجند الفرنسي باحتلال الصفا لقاء العفو العام عنه وعن الغياث وأعوانهم جميعاً ، وبعد أن وطد الجند الفرنسي أقدامه بين ظهرانيهم ، وأقام مخفراً في موقع الزلف أخلدوا إلى السكينة ، وثابوا ولم يعد يسمع عنهم حادثة ما .

أما فرق الغياث فهي القلابنة لعائد الطالب الشويني ، والعطقة لعل العشابن والروس والحرير لمحيدان الأقرع ، والخواش لعطيوات الخواش ، ويذكر أن أول فرقة منهم احتلت الصفا ، وألفت العشيرة ، وقبضت على الرئاسة هي القلابنة ، ثم انتقلت الرئاسة إلى بيت الخواش ، وكان أشهر شيوخهم محمد الأقرع من صناديد البادية وفرسانها المغاوير ، وكان مرهوب الجانب مسموع الكلمة في المؤتمرات والمجالس ، وقد أدى قتله في سنة ١٣٤٩ هـ

(١) بحيت هذه الكتابة عقيب حوادث عدوان الفرنسيين في ٢٩ و ٣٠ و ٣١ أيار سنة ١٩٤٥ التي انتهت بإجلائهم وقطع دابرهم من بلاد الشام .

(١٩٣٠ م) إلى ضعف الغياث وتشتتهم وانفراد كل فرقة لنفسها بدون رئيس عام ، ويقال أن عطيات الخواش أذكى الجميع وأقدرهم على الرئاسة لو وسد الأمر إليه ، كما يقال أن عدد الغياث ٢٦٠ بيتاً .

أما منازل الغياث ففي حرة الصفا الممتدة من صلب جبل الدروز الشمالي إلى الجوف من جهة ، وإلى الدكوة في حدود شرقي الأردن من جهة أخرى ، وإذا جاءتهم أعوام ماطرة ينقلبون فلاحين ، يزرعون سهل الرحبة الأبطح الخصب ، وهم في الصيف يصعدون إلى جبل الدروز ، ويقبضون حول قرية طربة ، وفي الربيع يتجهون شمالاً نحو ديرة التل ، ويبلغون تل الدكوة وجبل سيس ، ويستعجلون في التهام مراعي هذه الأنحاء قبل وصول غزاة من نجد وشرقي الأردن ، وفي آخر الربيع إذا كانت السنة ممطرة وبرك حرة الصفا مترعة بالماء ، يهبطون الرحبة ويقبضون فيها ، وهم وقتئذ يتقاسمون الماء قسمة صارمة ، ويعنى رؤسائهم بعدم استعمال ماء البرك إلا حينما تحف الغدران والخبرات بتاتاً ، فإذا جفت هذه يتجهون للبرك ، ويؤخرون منها بركة العلكة إلى آخر الموسم ، لأنها أحسنها ، وإذا كانت السنة ماحلة جافة يضطرون إلى التقيظ في أعالي جبل الدروز ، في أنحاء قرية طربة ، حيث يجدون مراعي طيبة بين أوعارها وأحجارها ، وهم يبلغون جبل الدروز من ثلاثة أودية هابطة من الجبل ، هي وادي بركات وهو في الشمال على طرف القرائم وادي عرار ثم وادي الشام . والغياث يسرون زرافات متفرقة ، غير آبهين بأي عشيرة ، خاصة وهم أصدقاء الدروز لا يبخشون بأحد .

أما في الشتاء والربيع والخريف فإقامتهم في الصفا دائماً ، إلا أن مقامهم فيها مرتبط بوجود الماء والمراعي ، والقاعدة هي أنهم في آخر الصيف يهبطون من أعالي جبل الدروز ، وريثاً تهطل الأمطار ينهلون من آبار منطقة النارا والزلف ، وتسرح ماشيتهم في الحرة ، وقد تبلغ أنثى شرقى الصفا (تل وتيد) ، ومق هطل المطر الموسمي تشفرق العشيرة وتنتشر زرافات من بيتين إلى ثلاثة بيوت ، ويملؤن أصباب الضرس والغراب في الصفا التي فيها مراعي طيبة للإبل .

والمناهل التي يردونها خلال نبعثهم هي في الخريف وادي الشام ، وادي غرز ، بير زلف ، بير قصب ، وفي الشتاء مياه خبرات الضرس ، وفي الربيع والصيف خبرات الغدير

(غدير حاوي عواد) ، غدير حاوي الصفا ، غدير غمارا ، غدير محمود شرقي تل وتيد ، غدير بزاعة في وادي الشام ، غدير العجل في وادي الشام ، وهم بعد أن يقضوا على مياه الخيرات والغدران ، ينهلون من بركة الرحبة التي تأخذ مياهها من وادي الشام ، وأوسع هذه البرك وأهمها بركة حاوي الصفا ، وهي تنتهي بحوض حقيقي من الحجر قطره نحو ١٥ متراً .

قضاء وادي العجم (حرمون)

في هذا القضاء قسم كبير من (النعيم) وقسم صغير من (الفضل) أما النعيم فقد ذكرناهم في بحث قضاء الجولان ، وذكرنا القرى التي يقيمون فيها هناك وهنا ، أما قسم الفضل فيقيم في قرية مرانة غربي الكسوة ، وهو في مشيخة حمدي شبيب وعدد بيوته نحو ٤٠ .

قضاء قلمون

ليس في هذا القضاء الجبلي الأجرد سوى بعض بيوت من فرق الطويل والعويشات والحسيكات المنتسبين إلى (النعيم) ، واللويسات المنتسبين إلى الحروك ، وبعض بيوت من النجاد والبدور ، وهما من فرق عشيرة العمور التي سنذكرها في بحث محافظة حصص ، فالنجاد نحو ٨٠ بيتاً في مشيخة خلف العياش النعيم ، وبعضهم يحتر حول قرية دير عطية ، أما البدور فهم رعاة قريتي الرحبية وجيرود ، وهم نحو ٧٠ بيتاً ، في مشيخة منير الشوطي ، والشيخ خلف العياش الذي سبق ذكره في بحث عشيرة الغياث يعد أكبر شيوخ العمور ، وهو عقيد غزو مغوار وشهم جواد ، وهؤلاء العمور في قضاء قلمون يدعون (عمور الديرة) ، ينتقلون من شرقي النبك والدير عطية إلى شرقي بحيرتي العتيبة والهيجانة ، ولا يبعدون في نجتهم شتاء إلى أكثر من بحيرة الصيقل وبئر الأفاعي ، وقد اشتراكوا في سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ م مع ثوار النبك .

قضاء الجولان

الجولان صقع بركاني ، كثير الأوعار والأحجار ، غزير الأمطار ، وفير الحراج ،

مبذول المياه والأعشاب الصالحة لتربية الماشية ، فلا غرو إن حلت فيه العشائر من قديم الزمان ، واستترأت مناهله ومراعيه ، وتوفرت فوق ذلك على حرث رقاعه الصالحة ، والنزول في ضييعاته ، وخربه العديدة المنبثة بين أوعاره ، إن بعض هذه العشائر كبير وبعضها صغير ، أما العشائر الكبيرة فهي آل فضل وآل نعيم :

آل فضل .

عشيرة كبيرة من ذوات الضرع والزرع ، تعد مع لواحقها نحو ١٠٠٠ بيت . وماشيتها من الغنم والمعزى والبقر نحو ٣٠٠٠٠ رأس . وقد صار نصفها أو أكثر مستقراً بحرث ويزرع ويقطن بيوت الحجر ، ونصفها رحال يتبدي في أراضي أقضية الجولان ووادي العجم والبقاع ، والقسم الرحال الذي في قضاء الجولان لا يتعدى جسر بنات يعقوب جنوباً والقنيطرة شرقاً وبانياس شمالاً ، وهو في الصيف يعلو الهضاب الباردة ، وفي الشتاء يهبط سهل الحولة الدفيء ، ولا يشرق نحو البادية منه إلا فرقة الكواشية .

ويرأس عشيرة الفضل بيت علي القدر في البادية والحاضرة ، وهو بيت (آل فاعور) ، وأفراد هذا البيت قلائل ، وقد اختصوا في أنحاء دمشق بلقب الإمارة ، كما اختص به في أنحاء حلب أقاربهم (آل أبو ريشة) أمراء عشيرة الموالي ، وليس في عشائرننا كلها من هو عريق في هذا اللقب سوى هذين البيتين ، إن هذا اللقب الدال على نسب مؤثّل وبقاء اسم (آل فضل) الذي ظالما رددته كتب التاريخ والأنساب العربية يؤيدان بأن آل فاعور الحاليين هم من (آل فضل) الذين كان لهم أمجاد قديمة ، وأفعال عديدة ، في القرنين السابع والثامن الهجريين وما بعدها ، وذلك في الشمال في براري سلمية والمعرفة وحلب إلى وادي الفرات ، وأطراف العراق على ما قدمناه وشرحناه في بحث تاريخ البدو (راجع ص ٩٠ - ١٠٦ في الجزء الأول من كتابنا هذا) تقللاً عن ثقات المؤرخين كابن خلدون وابن الوردي والقلقشندي وغيرهم ، فقد قالوا إن آل فضل تشعبوا وقتئذ إلى عدة فروع أكبرها آل عيسى ، ثم تشعب آل عيسى أيضاً إلى عدة فروع ، منها آل مهنا بن عيسى الذين أنجبوا آل أبو ريشة أمراء عشيرة الموالي في قضاء المعرفة ، ومنها آل فضل بن عيسى الذين أنجبوا آل فاعور أمراء عشيرة الفضل في قضاء الجولان .

ويظهر أن آل فضل بن عيسى المذكورين انشقوا عن أبناء عمهم آل مهنا بن عيسى حينما تنازعوا على إمارة البادية في منازلهم التي كانت بين سلمية والمعدة وحلب ، وكانت هذه الإمارة تنتقل تارة إلى هؤلاء وتارة إلى أولئك ، فكانوا يتقاتلون عليها - كما قال المؤرخ ابن الوردي الذي أدركهم - إلى أن نزح آل فضل بن عيسى في وقت مجهول ، لعله في القرن التاسع أو العاشر وجاءوا وتديروا الجولان ، محتفظين باسم (آل فضل) وجمعوا حولهم فرقاً عديدة من بقايا العشائر المنقرضة ، فاندجمت هذه في حلفهم ، واكتسبت اسمهم .

وتاريخ هؤلاء الفضل بعد وصولهم إلى الجولان غامض ، لم يدونه كتاب ولا وعته ذاكرة ، لم نعثر منه بعد الجهد إلا على بعض معلومات متقطعة وجيزة ، منها أنهم حينما وصلوا وجدوا قوماً من الكرد اصطدموا بهم ، فردهم الكرد وقتلوا كبار الأمراء منهم ، فلجأ أبناء هؤلاء إلى مرج ابن عامر في شمالي فلسطين ، وبقوا سنيناً عديدة ، ريثما ترعرعوا وشبوا ، فرجعوا وأخذوا ثأرهم من الكرد ، وأزاحوم ، فراح بعض هؤلاء إلى الزبداني وتديره ، واسمه هناك (آل رمضان) ، ثم عاش آل الفضل نحو قرنين آخرين انطوت أحداثها وتنوسيت ، ولم يبق عندهم سوى ذكر الحل والترحال بين أوعار الجولان ، وسهل البقاع ومرج ابن عامر ، ثم ذكر الوقائع الحديثة التي جرت في أواسط القرن الهجري الماضي مع جيرانهم التركمان ، ثم في أواخر القرن المذكور مع جيرانهم الشركس ، حينما وفدوا مهاجرين من القوقاز على ما بيناه في بحثهم ، ثم التي جرت في عهد الأمير محمد مع شيعة جبل عامل ودروز جبل الشيخ ، كل ذلك بسبب النزاع على حدود القرى والمراعي .

ورئيس العشيرة الحالي هو الأمير فاعور بن محمود بن محمد بن حسن بن محمد بن محمود بن حسين بن فاعور ، قالوا وليس هذا بفاعور الأول الذي سميت أسرة فاعور باسمه ، بل بينها عدة أسماء لم تحفظ وتدون ، وقالوا إن أول من امتلك القرى والأرضين هو الأمير حسن ، إذ لم يحفل أسلافه بذلك ، ثم زادها ابنه الأمير محمد فبلغت حدوده من قرب المنصورة جنوباً ، حتى بانياس شمالاً ، ومن وادي الرقاد شرقاً ، حتى أواسط الحولة غرباً . وبنى الأمير محمد المذكور قصراً فخماً في قرية خصاص في سهل الحولة ، وآخر في قرية واسط في الجولان ، كان يشي في الأول ، ويصيف في الثاني ، ويقم فيها لضيوفه الكثر المآدب

والموائد الفخمة ، وقد قضى الأمير محمد حياة حافلة بمناقب الرجاحة والساحة ، وعلو القدر والجاه لدى ولاية دمشق وحكامها وأعيانها ، وكانت هداياه إليهم - فيما روي - من السمون والخراف وغيرها لاتنقطع ، وجاهه عندهم لايرد ، ومازال على ذلك حتى صدف في ربيع سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) أنه كان يستقبل ضيوفه الأمراء آل عبد القادر الجزائري في موكب حفل بمطاردة الخيل والملاعبة بالأسلحة ، على عادة تلك الأيام التي كان للفروسية فيها شأن ، فانطلقت رصاصة من بندقية أحد أولئك الأمراء أصابت الأمير محمد فجرحته جرحاً مميتاً ، وبدلت الفرح ترحاً ، ومما يذكر له بالرحمة والإعجاب أنه رغم معرفته بخاطر مصابه ، ودنو أجله شئت مكارم أخلاقه أن يكتم بلواه ، فأشار على ضاربه بالابتعاد فوراً ، قبل أن يسمع أعراب الفضل فيثأروا منه ، فكان ماأراد ونجا الضارب ومات المضروب بعد برهة ، فكان الخطب به عظيماً والعزاء جسيماً .

ثم خلفه ابنه الأمير محمود ، وكان هذا أيضاً كبير الجولان وزعيمه دون منازع ، وذا شمائل محمودة تقرب مما لدى أبيه ، قام بأعمال مشكورة في نصرة عهد الملك فيصل ، وفي مقارعة الفرنسيين في الحولة ومرجعيون ، فحكوا عليه بالإعدام ، ونهبوا وهدموا قصره في خصاص سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) فلجأ هو وأسرته إلى شرقي الأردن ، وبقي إلى سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ، ثم لما عفي عنه عاد واستقر هادئاً في الجولان ، إلى أن توفي في سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) . فخلفه ابنه الأكبر الأمير فاعور ، وهذا الأمير مدني المعيشة ، أنيق البزة حاد الفطنة ، كبير الملك والثروة ، وأجل أملاكه في سهل الحولة ، داخل الحدود الفلسطينية ، وأكثر إقامته في دمشق بعد أن كانت في واسط ، وهو نائب قضاء الجولان منذ القديم .

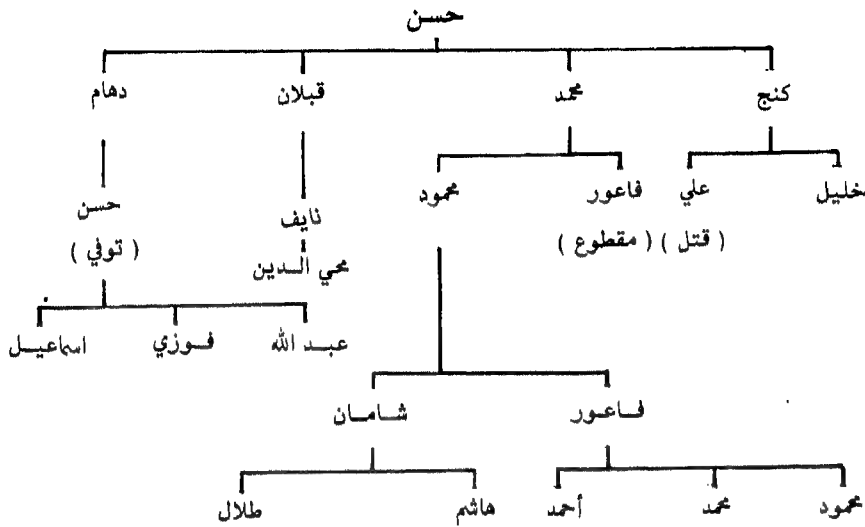
هذا ومن عشيرة الفضل فرق أصليون ملتفون حول الأمراء آل فاعور ، وفرق أخرى وإن كانوا منهم يعيشون مستقلين عنهم إلى حد ما ، فن فرق الفضل الأصليين يذكر الهلالات والعطيرات والشحاشبة والبلاحة والنهبان والكيار (هؤلاء من الكيار الذين ذكروا في بحث محافظة حلب) والفنوص والربيع والشرابة والمناذلة والحالة والربابعة والمحمدان والكواشية وأمثالهم ، وعدد هؤلاء نحو ٥٠٠ بيت ، وهم يقطنون غربي القنيطرة إلى

الشمال ، في المزارع والخرب المسماة الواسط وتل جيات وقطرانة وعين الحجل وأسكيك وسماقة وعين حور وعين حمراء والفرن ورعينة وباب الهوا .

ومن فرق الفضل المستقلة القريبة من محيط آل فاعور ومنازلهم ، يذكر (البحاترة) في مشيخة ضاهر ومضهور أبناء عرسان الشديد ، عددهم نحو ٣٠٠ بيت ، وقراهم دلوة وسليسة وعين وردة وخويجة ورمثانية ودلمية ، و (الهوادجة) في مشيخة فارس العفاش وعيد المسعود ، عددهم نحو ١٥٠ بيت ، وقراهم لوطيات وبرقيات وراوية وقنعبة وقرحة وزعرتة . و (العجارمة) أو العكارمة في مشيخة عدنان بن زعل السلوم عددهم نحو ١٠٠ بيت ، ومزارعهم سندیانة ومويسة وعين زارا . وهؤلاء الشيوخ أملاك ومزارع خاصة وثروات غير يسيرة ، أثراهم أبناء نمر الشحادة رئيس الهوادجة السابق . و (الحروك) الذين ذكرناهم في بحث حمص .

وأما عشائر الجولان الصغيرة المستقلة فهي (المرازقة) في قرية دبورة ٥٠ بيتاً ، ينتسبون إلى (مرزوق) الذي له مقام يحتفل فيه في كل عام ، وتتقاطر عشائر الجولان لزيارته ، وحمل الأعلام والسنجق ، وإقامة الأذكار حوله ، (الويسية) في قرى جرابا والمجامع وفاخورة وسنابر وعلمين وجريدية ٣٠٠ بيت . وهؤلاء يربون جواميساً في الحولة ، و (الكبايرة) في قصيبة ٤٠ بيتاً ، و (الجعاتين) في سلوقية وبيرة ويهودية وطار الغزال ١٥٠ بيتاً ، و (الرفاعية) في أم الدنانير والفرج ودير قروح ودير مفضل وشبة ١٥٠ بيتاً ، و (المنافي) في نبع الصخر ومجدولة وعين الباشا ١٠٠ بيت ، و (القصيرين) وهؤلاء من لواحق الرفاعية وهم في صلبا وحشرة والنوانية ٧٥ بيتاً ، و (السارجة) في معلقة وفزارة ٥٠ بيتاً . وعدوا من الفرق الصغيرة أيضاً الطوايف والطرشان والحزوميين الذين يبعدون إلى أنحاء حمص والمحمدات والسعيد .

(شجرة آل فاعور)



آل نعيم

آل نعيم عشيرة كبيرة كثيرة الفروع والمنازل ، تجدها متوزعة في كل مكان في بلاد الشام ، فقسم منها في الشمال في قضائي حمص وسلمية ، وقسم في محافظة حلب في كل من أفضية الباب ومنبج وجبل سمعان وجسر الشفر ، وقسم في محافظة الفرات في قضاء الرقة ، وقسم في محافظة دمشق في أفضية دمشق والقنيطرة وقطنا ، وجميعهم يتعارفون ويتزاورون على بعد الديار وشط المزار ، ويقول الشيخ أبو الهدى الصيادي الرفاعي في رسالته أن لهم ذيلاً طويلاً في العراق في لواء كركوك وبوادي الموصل ، فإن صح ذلك يكونوا من أغرب العشائر في الانقسام والتشتت ، وفي دعوى الانتساب إلى الأشراف الهاشميين ، وفي نظر البدو إليهم كسادة ، والشيخ أبو الهدى المذكور يعدم من الرفاعية ، ويلحق سلسلتهم بالسيد يحيى الرفاعي جد السيد أحمد الرفاعي الكبير ، والله أعلم .

بحسبنا الآن عن نعيم الجنوب (نعيم الجولان ووادي العجم) ، فهؤلاء يزعمون أنهم أعقاب رجل هاشمي اسمه (عز الدين) دون أن يذكروا متى كان وكيف وأين كان ، وأحدهم كلما حز به أمر استنجد به وصاح (يا جدي عز الدين) ، ويزعمون أنهم بعد أن

تبدوا في العراق ، وفدوا إلى الجولان حول القرن الحادي عشر ، وهم قسمان ، أحدهما مستقر أهل زرع ، والثاني رجال أهل زرع ، وهذا القسم الرحال ذو نجعة قصيرة لا يتعدى شرق قضاء وادي العجم ودوما ، إلا في سني الخير العميم فإنه يبعد إلى ديرة التلول ويبلغ الحماد .

وفرق القسم الأول المستقر هي : الأبوني والخواشمة والعويشات والفواخرة والسبارجة والغرة والوهبان والبقار والشقاقين والبوعاصي والرميلات والخناحنة والسياد والهورين والسنيذ والنعميات والكريدين والعفولة ، وأكبر هذه الفرق عدداً الأبوني والبقار في كل منها نحو ٥٠٠ بيت ، ثم الخواشمة والوهبان في كل منها ٢٠٠ بيت ، وفي كل من البقية ١٠٠ - ١٢٠ بيتاً ، وهذه الفرق مستقرة ومملكة في قرى قضاء الجولان ، ككودنة والبطمية والرفيد والمعلقة وغدير البستان وسبتة وقصيبة وهجة وأصبح وعشة وعامودية ومشرفة .

والقسم الثاني الرحال يتألف من فرق مستقلة ، متباعد بعضها عن بعض ، هي النيرات والرميلات والبيين والخذيمات والشقاقين والمعدنين وعتبة والشراحيل والمجيلة والمراحيل ، ومنهم من يضيف إلى هؤلاء عشائر الصياد وحرب والحامرة والوهيب الذين ذكرناهم في بحث قضاء دوما ، وعدد بيوت كل من هذه الفرق نحو ٥٠ - ١٥٠ - ٢٠٠ بيت ، ومنازل أكثرها في قضاء وادي العجم ، حول قرى صبرة والطيبة والدرخبية وسعسع ودير علي وكناكر ودير ماكر وحريرت وسبسبا وماعص وشقحب والزريقية ودناجي ، ويقدر عدد بيوت النعم في قضائي الجولان ووادي العجم بنحو ٣٠٠٠ بيت ، وعدد ماشيتهم بـ ٤٠٠٠٠ شاة و ٢٠٠٠ بقرة و ١٠٠٠ بعير ، ومن هذه الماشية ماهو مال للعشيرة ، ومنها وهو نحو الثلث للدمشقيين من أهل حي الميدان ، ولصلاكين عرب وشركس في القنيطرة ، ونصاري في جديدة مرجعيون ، وهم في أيام الرجاد يؤجرون إبلهم ، ويرجدون زروع القرى المجاورة لهم ، والرئاسة على النعم كلهم في آل طحان ، وهم شيوخ العشيرة من قديم ، ويبلغ عددهم نحو ٤٠ شخصاً ، وهم من فرقة الأبوني ، ومقرهم في قرية كودنة التي هي ملكهم ، وهي في جنوبي القنيطرة ، قالوا كان النعم قديماً يعرفون بـوداعتهم و (دروشتهم) بحكم ادعائهم الانتساب للأشراف ، إلى أن خرجوا على هذه الحالة ، وسبب ذلك فيما روهه وقعة حدثت لهم مع الدروز ، استظهروا فيها وبرزوا ، فاستطابوا الغلبة

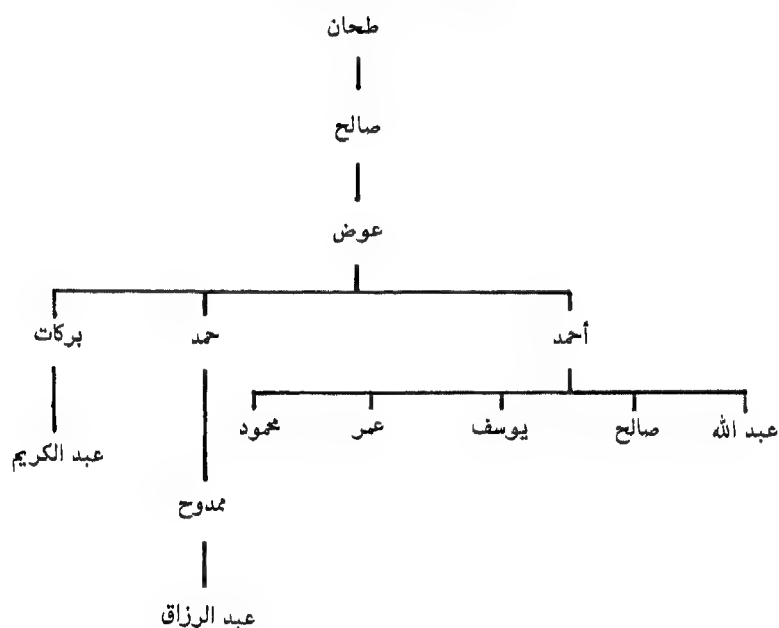
والغنية من ذلك الحين ، وركبوا متن البداوة والاستطالة ، وقد اشتركوا مع الحورانيين في حوادث سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) التي قامت على الفرنسيين عقب احتلال دمشق ، لكن تفرق كلمة العشيرة أضعفهم كثيراً ، وكان بركات بن عوض الطحان قائماً بواجب المشيخة حتى سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) ، ثم خلفه أحد أبناء إخوته وهو عبد الله بن أحمد أحد المشتركين في حوادث حوران المذكورة ، وكان محكوماً بالإعدام ثم عفي عنه وتشيخ ، لكنه مات محترقاً في حادثة قطار نفسه الثوار في سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) جنوبي دمشق . فخلفه ابن عمه الشيخ الحالي ممدوح بن حمد بن عوض بن صالح الطحان ، وهو المعترف به رسمياً ، وله منحة سنوية كغيره من رؤساء العشائر البارزة ، كما له حرمة وسمعة جيدتان ، وهو يملك ربع قرية كودنة وكل حمريت وبعض القراريط في سبسبا والهبارية ، ويقطن في بيت من الحجر في قرية حمريت (قضاء وادي العجم) ، وفي بيت من الشعر إذا تبدى مع العشيرة ، ويذكر من شيوخ هذه العشيرة ، جاسم النادر القاطن في قرية الزريقية (قضاء وادي العجم) وعبد الكريم البركات عضو مجلس إدارة قضاء الجولان ، ومحمود الأحمد القاطن في قرية الجوخدار .

اللهيب

يأتي إلى الجولان أحياناً قسم من عشيرة (اللهيب) التي منازلها في الحولة (قضاء صفد) وهم من رعايا فلسطين ، على أن أفراداً منهم قد التحقوا منذ زمن بعيد بعشائر الجولان كالعجارمة ، وهم يزعمون أن أصلهم من العراق ، وأنهم أقارب لهيب حلب الذين ذكرناهم في بحث قضاء جبل سمعان ، ولا برهان لديهم على ذلك ، وهؤلاء منازلهم في الصيف شمالي صفد وشرقيها ، وفي مستعمرة الجاعونة ، وفي الشتاء ضفاف الحولة وقرب جسر بنات يعقوب ، وهؤلاء اللهيب براعة وشهرة طائفتان في السلب والنهب ، وأكثر ما يسطون على قرى الجولان ، يتسللون بين الأودية والأوعار في حالك الظلام مشاةً أو ركباناً ، وينشلون الأبقار من زرائبها ، ويطيرون بها إلى ما وراء الحدود الفلسطينية ، ويبيعونها وعددهم نحو ١٥٠ بيتاً ، ورئيسهم حسين الحمد العلي المقيم في طوبة جنوبي الجاعونة ، وهم فرقتان : العيطة والرفافنة .

ومن هؤلاء اللهيبي في جنوبي لبنان فندتان أخريان ، اسم الأولى الأرامش ، تنزل في جنوبي قضاء صور ، والثانية المحدون في جنوبي جبل عامل ، وفنودة ثالثة لم يتعين لنا اسمها ، في شمالي لبنان في قضاء عكار ، والجميع في نفس الحالة الشريرة التي ذكرناها .

(شجرة آل طحان)





عشائر محافظة حوران

قضاء درعا

يتردد إلى هذا القضاء أحياناً بعض فصائل من فرق الروالة ولواحقها ، ففي بعض السنين يأتي قسم من فرقة الدغان إلى قرية النعمة ، وقسم من الدرعان إلى قرى وادي الزيدي ، وقسم من الكواجبة إلى أراضي بصرى ، ويقيظ الأشاجعة في أم الميادين والسوالة في قرى وادي الزيدي .

ويأتي بعض عشائر جبل الدروز أيضاً إلى هذا القضاء في أيام الرجاد ويقيظ . فمن هؤلاء العظامات يخيم نحو ٢٠ بيتاً منهم في أراضي بصرى ، ونحو ١٥ بيتاً في خربة أبي كاتولة من أراضي السماقيات جنوبي درعا ، ويزرع هؤلاء نحو ٥٠٠ دونم من أراضي أملاك الدولة في الخربة المذكورة ، ومنهم الجوابرة ، بعضهم مستقر في شجرة التائهة شرقي المتاعية ، يزرع نحو ١٠٠ دونم وبعضهم رحالة ، ومنهم السردية والمساعد المذكورون في بحث محافظة جبل الدروز ، ومنهم العيسى المعدادون من عشائر شمالي شرقي الأردن ، ورئيسهم محم بن ماضي ، ويبدو أن بعض هؤلاء يبلغ ناحية بصرى في قضاء درعا ويقيظ فيها ، ويعد سلوكهم حسناً ، وفرقهم السويلم والعلي والحويطة والحريز ، وفي كل منها أفخاذ عديدة .

والعيسى من العشائر القديمة كما قدمنا في تاريخ عنزة ، وقد كانوا في القرن الهجري الماضي من أركان حلف أهل الشمال المؤلف من السرحان والفحيلية والعيسى والسردية ، إلى أن انتقلت زعامة هذا الحلف إلى السردية ، وكان هذا الحلف الرباعي لمداخعة عنزة ، ومنع دخولها إلى أنحاء حوران والبلقاء .

هذا وليس في قضاء درعا بدو متحضرون فلاحون ، كما في قضاء الزوية سوى عدد

ضئيل من النعيم في بصرى والطيبة والمسيفرة ، ومن السلوط فرقة الشرعة في غصم والكرك .

قضاء إزرع

يتجول النعيم في قرى هذا القضاء الغربية الشمالية الجيدور ، فمنهم بعض فرقة البكار رعاة قرية العوينة والوهبان رعاة قرية غباغب ، ويأتي إلى هذا القضاء قسم من الأبي عيد إحدى عشائر حصص المعدودين من الأحسنة ، فيوجد زروع قرية نوى أكبر قرى حوران ، ومعدن الحبوب والأفحاح ، ومثله قسم من الحروك إحدى عشائر حصص أيضاً ، وقسم من الدجبان إحدى فرق الولد علي التي سيأتي ذكرها ، وهؤلاء يقيظون في قرى أم العوسج وزمرين والحارة .

السلوط :

إن أشهر عشائر قضاء إزرع هم السلوط الساكنون في وعرة اللجا ، وفي رواية أن هؤلاء متوطنون في اللجا منذ زمن قديم جداً ، وفي رواية أخرى أنهم مثل عشائر الجبل في الأصل من زبيد ، وكانوا ينزلون في جبل الدروز ، حتى أواخر القرن الثاني عشر ، ثم دحرتهم العشائر المذكورة ، فتحولوا إلى وعرة اللجا ، بعد أن دحروا هم منها عشيرتي الدياب والمناظرة فذهبتا إلى قضاء الزوية ، ومهما يكن ، فالسلوط الآن يعيشون في الخيام بين صخور اللجا الكأداء ومسالكها الوعشاء ، وهم لا ينجعون إلا في مسافات قليلة وفي داخل اللجا ، ويزرعون الرقاع الخصبة المنفرجة بين صخورها ، ويعدون نحو ٥٠٠ بيت ، ولهم نحو ٢٠٠٠٠ شاة وماعز و ٢٥٠ بقرة و ٢٠٠ بغير وأراضي زراعية واسعة ، حول خرب المسية ، وشعارة وكريم وايب ومليحة حزقيل وقلعة ساة والزباير وصور اللجا وعاصم الزيتون وحامر وأم العلق وغيرها . وقد اشتهر السلوط بشروهم وبراعتهم في التعدي على الزروع والمواشي في قرى حوران والجيدور المجاورة لهم ، وربما بلغوا في دجى الليل قرى وادي العجم ، وفعلوا فعلتهم ، وانسلوا راجعين قبل أن يدري بهم أحد ، والشكوى منهم عظيمة لا تنقطع ، في كل عهد وظرف ، ولطالما أقلقوا الحكومة العثمانية وكانت كلما أرادت معاقبتهم ، تغللو بين الصخور والكهوف ، فتعذر العثور عليهم إلى أن ساقط خلال الحرب

العامة الأولى حملة بقيادة خالد شفيق بك ، أطبقت عليهم ، واقتادت السلوط الشماليين منهم ، لأن القبليين تواروا ونجوا ، وأجلت من اقتادته إلى بلاد الأناضول ، لكن هؤلاء ما عتوا أن انسلاوا من كل حذب وعادوا إلى حيث كانوا وكما كانوا ، والسلوط بعد أن كانوا حلفاء الدروز في مدافعة جيش إبراهيم باشا المصري عام ١٢٥٢ هـ تعادوا وطال العداء ، حتى اشتركوا مع الجيش الفرنسي في حرب الدروز ، لما ثاروا في سني ١٣٤٤ و ١٣٤٥ هـ ، وكان ثوار الدروز ، كلما ضاقت بهم الأرض من الفرنسيين ، ولجؤوا إلى أوعار اللجا ومعقلها بنسائهم وأولادهم ، قاتلهم السلوط في قيادة طلال أبي سليمان ، ومنعهم من ورود الآبار ، وفتكوا بهم على ما قيل ، وشكى منهم في مذكرات مجلس النواب في دمشق (شباط ١٣٤٦ هـ) . والسلوط ينقسمون إلى جذمين :

١ - السلوط القبليون (بني حمد) ، منازلهم في الجنوب الغربي من اللجا ، وشيخهم طلال بن سعد الدين بن عودة أبو سليمان الحمد ، وعدد هؤلاء نحو ٣٠٠ بيت ، ويتألفون من الأفخاذ الآتية : العوران (أسرة الشيوخ) والمدالجة والعنابة والفواخرة والضبوب والرماح واللزوق (الشرعة) ومن الشرعة أناس شكاراة ورعيان ، في قرى حورانية كفصم والحيزة ومحجة والكرك .

٢ - السلوط الشماليون (بني عمر) منازلهم في الشمال الغربي من اللجا حول خرب المسية وشعارة وكريم ، وشيخهم محمد بن أحمد بن زعل بن عقل الغصين وعددهم نحو ٢٠٠ بيت ، ويتألفون من أفخاذ المراشدة والحجرة والزعران والصوابرة والسيالة ، وقد رأت الحكومة منذ سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) أن تحسم بائقتهم فجعلت طلال أبو سليمان مديراً على ناحية اللجا الجنوبية ومركزه في قرية حامر ، وله فيها دار كبيرة حديثة وأنشأ في غربيها بستاناً ، وجعلت أحمد الغصين مديراً على ناحية اللجا الشمالية ومركزه قرب محطة المسية ، ثم لما قتل أحمد خطأ حين دخول الجيش الإنكليزي في صيف سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) خلفه ابنه محمد أبي قاسم الذي يقيم غالباً في أراضي خربة أم العواميد شمال غربي المسية .

قضاء الزوية

في هذا القضاء الصغير المساحة عدة عشائر بدوية ، بعضها من عنزة وبعضها من عربان الديرة ، فمن عنزة هنا بعض فرق الروالة التي لاتأتي في فصل القيظ ، كالكواكبة والمعرض والنصير والدرعان وغيرها ، وقد تملك أحد شيوخ الروالة وهو مجحم بن محمد بن هزاع الشعلان خبرة تدعى (ناب) على طريق القنيطرة - فيق وشرع يستثمرها ، ومن عنزة هنا عشيرة الولد علي المتوطنة منذ القديم ، وإليك وصفها :

الولد علي

الولد علي وتلفظ كلمة الولد بكسر الواو وسكون اللام بمعنى بني علي أو أولاد علي ، عشيرة عنزية صغيرة ، وهي من ضناً مسلم وبطن الوهب أو من بني وهب ، والوهب كما قدمنا هم الفريق الثاني من ضناً مسلم ، وهم يغدون ويروحون بين بلاد الشام ونجد ، وكثرتهم الغالبة اليوم في المملكة السعودية ، ولولم يكن عشائر منهم في بلاد الشام وبيوت بارزة لكانت دراستهم في عشائر نجد أصح .

ويبدو أن وهباً جدهم الأعلى أعقب ولدين منبه وعلي ، فمن الولد الأول منبه جاء آل نبهان أو المناهبة المنقسمون إلى المساليخ أعقاب حسن بن منبه الذين منهم جلالة الملك عبد العزيز بن السعود وآله ، وإلى الأحسنة أعقاب حسين بن منبه ، وإلى خمل الذي منه الخمالة والفقراء ، وسيأتي بحث هؤلاء في عشائر محافظة حصص ، ومن الولد الثاني علي جاءت عشيرة الولد علي المنقسمة إلى الأمشطة والأيدة ، والأيدة قسمان ؛ الشماليون في بلاد الشام مع الأمشطة ، ويسمون أيضاً ضناً مفرج ، والقبليون في الحجاز ونجد .

فالولد علي إذاً هم أبناء أعمام الأحسنة الذين في حصص ، باعتبارهم من الوهب وأقارب الروالة باعتبارهم من ضناً مسلم ، وفيهم بيوتات بارزة عريقة كبيت الطيار وبيت السمير ، وقد كانت حماية ركب الحج الشامي على عهد الحكومة العثمانية في يدهم ، يتعاورها رؤسائهم بحسب الظروف ، وهي تدفع لهم جعلاً معلوماً لقاء قيامهم بهذه المهمة ، والطريق

بين الشام والحجاز وما جاور الطريق كان يقع تحت سيطرتهم ونفوذهم دون منازع ،
وعندهم الآن ٥٠٠ بيت ، وعندهم ٣٥٠٠ بغير و ٦٠٠٠ شاة^(١) .

وقد كان العداء والتناحر قديماً متواصلين بين الولد علي والروالة رغم قرابتهما ، وقد
ازداد ذلك في عهد رئيس الولد علي محمد بن دوخي بن سمير ، وسببه فيما قيل أن الولد
علي هم من طلائع عنزة الذين جاؤوا قبل غيرهم مع الأحسنة في القرن الحادي عشر
المجري ، ونازعوا عشائر أهل الشمال (السرحان والسردية والصقور وبني صخر) ،
وحاربوها كثيراً حتى استطاعوا أن يشقوا لأنفسهم طريقاً إلى الجولان ، التي هي منازلهم
الحالية ، كما شقت الأحسنة طريقاً لها إلى ديرة الشنبل ، ولما جاءت الروالة بعدهم
بـ ٦٠ - ٧٠ سنة أو أكثر لبثت مدة مديدة بين الجوف ووادي السرحان ، وأطراف البلقاء
لاستطيع التقدم نحو حوران والجولان ، من صولة الولد علي . بحيث أن الروالة وقتئذ
كانت إذا أرادت أن تكتال وتمتار من حوران ، تتوسط ابن سمير شيخ الولد علي لدى ولاية
دمشق على ما ذكره بركهارت في رحلته ، وكان الولد علي في ذلك العهد على ما جاء في
كتاب الدرر المفاهر لمحمد البسام (يحملون الحاج ولهم صرة من الدولة العلية معيناً كل
سنة) . ودام هذا الحال إلى أن كثر عدد الروالة ، وتقوت وشرعت تنازع الولد علي ، وما
زالت حتى ظهرت عليها ، وفازت بحصة الأسد ونفذت إلى منازلها الحالية في حوران
وشرقي الغوطة .

وأقدم ذكر في كتب الرحلات والتاريخ للولد علي هو ما جاء في رحلة السائح
السويسري بركهارت في سنة ١٢٢٤ هـ حيث قال : « هؤلاء ينزلون غالباً على طريق
الحج حتى قلعة الزرقاء ، ولشيوخهم من آل الطيار المقام العلي بين الرؤساء ، ومن ثم دعوا
(أبو عنزة) وينقسم الولد علي إلى المشادقة ، وفي هؤلاء آل الطيار ، وإلى الأمشطة وفيهم
آل سمير ، ورئيس هؤلاء الآن دوخي بن سمير ، يعد أقوى رؤساء عنزة وإن كان أقل
منزلة من الطيار ، وقوته نشأت من صلاته المتينة مع ولاية دمشق ، لأن له عادة تقديم
الإبل لركب الحج ، وهو ينزل على بعد بضعة أيام عن دمشق ، وفي سنة ١٨١٠ م لجأ إليه

(١) نذكر للقارئ دائماً بأن هذه الأرقام تقريبية كما قدمنا ؛ عولنا عليها الآن ريثما تصدر الدوائر المسؤولة إحصاءات
أصح منها .

يوسف باشا والي دمشق لما هرب من دمشق ، وأكبر فرق الأمشطة هي العواظ المؤلفة من أسرة سمير الكبيرة ، وبعد أن ذكر فرق الولد علي المعروفة حتى الآن ، قال : كل هؤلاء يأخذون عوائد من الصرة حين مرور ركب الحج ، يدفعها إليهم باشا الحج إلا فرقة الطلوح ، فإنها تأخذ صرتها من استانبول » ، أ هـ .

وجاء في حوادث سنة ١٢٢٥ هـ من تاريخ (عنوان المجد في تاريخ نجد) في بحث غارة الأمير سعود على أطراف الشام ما خلاصته : وفيها سار سعود بجيوشه وقبائله وعددهم نحو ثمانية آلاف ، وقصد تقرة الشام ، لأنه بلغه أن بوادي الشام وعربانه عنزة وبني صخر وغيرهم فيها ، ولما وصل لم يجد أحداً ، وإذ قد سبقه النذير إليهم فاجتمعوا على دوخي بن سمير رئيس ولد علي من عنزة ، فانهزم بمن معه ، ونزلوا الغور من حوران ، فسار سعود واجتاز بالقرى التي حول المزيريب وبصرى ، فنهب جموعه ما وجدوا وأحرقوا وقتلوا ثم رجع ، إلخ ...

وفي مجموعة أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة الأميركية كتاب تاريخه في صفر ١٢٤٨ هـ من محمد علي باشا والي مصر إلى متسلم دمشق ، يحتم عليه استدعاء دوخي السمير شيخ عنزة ، والتشديد عليه بوجوب القيام بما تعهد به ، من نقل المهات العسكرية ، وعدم التعدي على السكان الأمنين ، وخلف دوخي ابنه محمد الذي حدث له وقائع جمة مع الروالة ، فقد جاء في (مجموعة المحررات السياسية) في سورية ولبنان من سنة ١٢٥٧ إلى سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٤٠ - ١٨٦٠ م) تعريب فيليب وفريد الخازن أن القنصل الإنكليزي برانت كتب في تقريره المؤرخ في ٢٢ آب سنة ١٨٥٨ م « أن عشيرة الولد علي بقيادة محمد الدوخي والروالة بقيادة فيصل الشعلان قد اقتتلا ، وأسفر عراكهما عن خسارة خسمة قتيل من الفريقين تقريباً ، ويقال أن خسارة محمد الدوخي شيخ الولد علي كانت أعظم ، وفي تقرير ثانٍ لهذا القنصل مؤرخ/٤ حزيران ١٨٦٠ م أن مصطفى باشا المرباط في اللجاة بجنده ، قد هجم حديثاً على فيصل الشعلان شيخ عشيرة الروالة ، بمساعدة محمد الدوخي شيخ الولد علي ، فأدركه وقتله مع ولده ، فعظمت صولة محمد الدوخي » ، أ هـ .

هذا والقيادة العليا في الولد علي منذ القديم في أيدي أبناء سمير ، وبيت سمير من بيوتات عنزة العريقة في قدمها ومجدها ، وقد كان أولهم كما قلنا دوخي بن سمير المتوفي في

سنة ١٢٤٨ هـ ، وآخرهم رشيد بن عبد الله بن محمد بن دوخي بن سمير المتوفى سنة ١٢٤١ هـ ، وتلفظ رُشيدُ بسكون الراء وفتح الشين وسكون الياء والبدال . وقد حفظ الولد علي استقلالهم وكرامتهم تجاه أقاربهم الروالة عشرات السنين ، وساهمهم في المراعي والمناهل ، وأخيراً لما تمزقوا وذهبت ريحهم ، وأصبحوا بلا رؤساء ، صاروا في الشتاء ينجعون معهم ، ووراءهم إلى جبل عنزة ، وأحياناً إلى الجوف ، وهم مثل الروالة أهل إبل في الغالب .

وقد كانت الولد علي إلى أن مات رشيد بن سمير المذكور متحدة الكلمة والقيادة ، وكان رشيد هذا المكنى بأبي غر في عهد الترك ذا نفوذ ومكانة ، وكان مكلفاً كأسلافه شيوخ الولد علي ، بمواكبة الحج الشامي وحمايته ، وينقل الأعتدة الحربية من دمشق إلى المدينة ، لقاء جعل كبير ، وفي عهد المرحوم الملك فيصل وحينما جاءت اللجنة الأميركية في سنة ١٢٣٨ هـ (١٩١٩ م) لاستفتاء أهل بلاد الشام عما يختارونه من أساليب الحكم ، خاصم رشيد المذكور القضية العربية وانحاز إلى الفرنسيين ، وأفقى إلى اللجنة المذكورة بانتدابهم . ثم ذهب إلى بيروت وقابل الجنرال غورو ، وتعهد له بالولاء وتأييد انتداب فرنسا ، وأعانه بالسر والعلن ما وسعه الجهد . وبعد أن احتل الجنرال المذكور دمشق وكل بلاد الشام ، ظل الشيخ رشيد يحتج الهبات والمعونات من الفرنسيين ، بحجة الأضرار التي ادعى وقوعها في أملاكه في قرية عين دكر من قبل موظفي الحكومة الفيصلية ، لكن نفوذ نوري الشعلان طغى عليه ، ولم تنفع محاولاته وشكاياته لاسترداد مكنته ، حتى مرض وانزوى في القرية المذكورة إلى أن مات من قهره سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) عن ولدين اسمهما نمر وطلال لم تطل أيامهما ، فقد مات الأول في سنة ١٩٢٤ م وقتل الثاني في سنة ١٩٢٦ م ، ومن ثم انشقت العشيرة وافتقرت إلى جذمين ، فتبع الجذم الأول الشيخ عناد بن مقاط السмир ، وتبع الجذم الثاني الشيخ سلطان بن سطاتم بن ضجعان بن صالح الطيار رئيس الأيذا الشماليين .

ويذكر عن سلطان هذا أنه بارز بالذكاء والنشاط والشجاعة ، وقد سعى إلى أن يضم فرق عناد بن سمير إليه ، ويترأس كل الولد علي فلم يحالفه التوفيق ، لأنه رزح تحت الديون والأحكام الصادرة في حقه ، واضطر إلى أن يبعد عن وجه دائنيه في بلاد الشام ، ويهاجر إلى تيماء في غربي نجد ، وقد حل هناك بين أقاربه الأيذا الجنوبيين ، يعيش بما رتبته له جلالة الملك ابن سعود .

ولما توارى سلطان الطيار ، راح كل فل من جذمه يلتحق بفرقة من ضناً مسلم (الروالة والأحسنة) ، وجرى أيضاً بالجذم الأول ما جرى بالثاني أي تشتت وتفرق بين جموع الروالة ، وذلك من جراء الضعف الذي كان لرئيسه عناد بن سمير في بادئ أمره ، وعدم لحاقه بجماعته حين النجعة ، وتركه حبلهم على غاربهم ، واقتصره على ٦٠ - ٧٠ بيتاً من الذين صاروا (شكار) لدى فلاحي قرى حوران ، حتى ظن الناس أن عشيرة الولد علي قد تمزقت وتبعثرت ، ولم تعد تقوم لها قائمة ، لكن صلاح حال الشيخ عناد في السنين الأخيرة ، وتحسن موارده في الأراضي والطواحين ، في قرية عين دكر ، أعاد الرجاء في حسن قيادته للعشيرة ، وتمكنه من لم شعثها ، واستعادة مجدها القديم .

أما فرق الولد علي في الجذمين المذكورين فهي :

الجذم الأول - فرق ابن سمير (الأمشطة) ؛ العطيفات لمنصور بن روس ، والعواظ لعدوس بن هيبان ، والد مجان لعائد بن خليف ، والحجيل لمناور بن جازي ، والجذمة لعمر الدويهي ، وجموع هؤلاء ٣٥٠ بيتاً .

الجذم الثاني - الأيدا الشماليون (ضناً مفرج) أو فرق سلطان الطيار ؛ الحمادة لخليل بن طروح ، والطلوح لهويدي بن خليل ، والجبارة لجروح بن مقسم ، والمشادقة سلطان الطيار ، والصقمة لأبو الروس ، وجموع هؤلاء ١٥٠ بيتاً . أما الأيدا الجنوبيون فهم في تياء (غربي نجد) ورئيسهم هناك محمد بن فرحان الأيدا .

هذا وفي النجعة تلتحق فرق الولد علي بالروالة ، حيثما ذهبت فتسير وراء ساقته إلى جبل عنزة في الحماة أو إلى الجوف ، أما في الصيف فيمكث أكثرها في الجولان حول عين دكر ، وأحياناً تفد في الربيع إلى أنحاء الصيقل شرقي خان أبي الشامات ، وللشيخ عناد بن سمير في قرية عين دكر طواحين وأراضي زراعية نالها من تركة أبناء عمه رشيد بن سمير ، وكان نوري الشعلان ينازعه عليها لأن إحدى زوجاته وهي بنت رشيد بن سمير ذات حصة فيها .

نسب آل سمير - جذم الأعلى سمير ومنه دوخي ، ومن دوخي نمر ومحمد ، ومن محمد

تركي وعبد الله وبندر وفدغم وغالب وفرحان ، ومن عبد الله رشيد ومشهور وعبد الكريم ، ومن رشيد نمر وطلال وغزوة زوجة نوري الشعلان ، ومن فرحان بن محمد متعب ومقاط ، ومن مقاط عناد (الشيخ الحالي) الذي له فرحان ونصر ومتعب . أما العشائر المتحضرة في هذا القضاء فهي : الدياب والفحيلية والمنظرة والتلاوية والكلابات .

الدياب

الدياب كانوا فيما قالوه ينزلون اللجا مع أقاربهم السلوط حتى القرن الثاني عشر ، وأن جدهم الأعلى الشيخ دياب مدفون في وعرة الصفا ، وهو يزار حتى الآن ، ولما أراحهم السلوط على أثر عراك حدث بينهما ، جاؤوا واستقروا في وادي السمك ، المنحدر نحو بحيرة طبريا ، بعد أن أراحواهم أيضاً عشيرة السماكية نحو غربي بحيرة طبريا ، وهؤلاء الدياب وإن تحضروا لا يزالون في الخيام يملكون ويحربون بعض الحرب ، في غربي قضاء الزوية كأشكوم وادي السمك ، وعددهم ٣٥٠ بيتاً ، وعندهم ٣٠٠٠ بقرة و ٢٠٠٠ شاة وماعز و ٥٠ فرساً ، وشيخهم أحمد المطلق الفريج ، والمشيخة في أسرة هذا وراثية ، وهو وإخوته في خصام واحتكام دائمين مع آل اليوسف في دمشق ، بسبب النزاع على ملكية القرى وحدودها . و فرق الدياب هي الفريج والمولات والغبية والخشوش والعزايزة ، وقد تلتحق بهم فرقة صغيرة من السودان اسمهم (عبيد أخوات سارة) . والدياب يشتون في وادي السمك ، وفي الصيف يعلون نجود الجولان ، وأكثر ما يكونون في أراضي الجوخدار والشعبانية والرزانية وصيدا ، وما إليها من الحرب الدائرة .

التلاوية

التلاوية أصلهم من غور بيسان ، جاؤوا في غرة قرننا الهجري . واستقروا في أراضي لبطيحة على الشاطئ الشرقي من بحيرة طبريا ، حيث المياه الغزيرة ، والجو الدفء ، والخصب المنقطع النظير ، وهم لا يزالون في الخيام ، وعددهم نحو ٤٠٠ بيت ، وعندهم ١٤٠٠ جاموسة و ٥٠٠ بقرة وقليل من الغنم والماعز ، وشيخهم سعد الرحال المرعي ، وفرقهم المسالحة والجمعيات والعائدة والقبول والشنايدة ، وهم فلاحو آل اليوسف ملاكي البطيحة

المذكورة ، ويرتزقون أيضاً من صيد السمك من بحيرة طبريا ، ومنهم قسم كبير على الشاطئ الغربي من هذه البحيرة ، ويعدون من تبعة فلسطين .

المناطرة

المناطرة وأصلهم من شرقي الأردن وقيل من اللجاة ، وإليهم ينسب شريعة المنظور الذي هو وادي اليرموك ، وهم مستقرون في هذا الوادي جنوبي قرية الشجرة ، ويبلغون ما بين نهري الرقاد والعلان ، وهم نحو ١٠٠ بيت ، وفرقهم المساعدين والحجارمة والقطاطية ، وهم فلاحو آل الأمير عبد القادر الجزائري ، وشيخهم سليمان ضجعان المسعد .

الكلابات

الكلابات أو بني كلاب عشيرة صغيرة منفردة ، لا تزال في بيوت الشعر ، ينزلون قبلي فيق ، على عدوتي وادي مسعود ، وهم نحو ٥٠ بيتاً ، وهم شركاء أهل فيق وكفر حارب ودبوسة ، ويبدون هؤلاء قدماء في هذه الديار ، وأقدم من الفحيلية والسردية وذوو مجد مؤثّل ، ومن ثم تراهم محتفظين بشمهم وجلفتهم ولهجتهم البدوية المرحاء ، وقد ذكرهم السائح بركهات في جملة عشائر الجولان سنة ١٢٢٤ هـ .

الفحيلية

الفحيلية هؤلاء ، بقية من هذه العشيرة العريقة في ماضيها ومجدها ، لا يزيد عددهم الآن عن ٤ - ٥ بيوت ، أصبحوا فقراء مدقعين بعد أن كانوا إلى عهد قريب أمراء أعزاء ، يعيشون ووراءهم عبيدهم ، فسبحان المعز المذل ، وهم ينزلون أراضي كفر حارب والسمره والنقيب على شاطئ بحيرة طبريا ، ذكرهم الخالدي مؤلف كتاب الأمير فخر الدين المعني في القرن الحادي عشر ، وأنه كان لهم رئيس اسمه الشيخ ناصر الفحيلي ، وكان الفحيلية نازلين في سنة ١٠٢٢ هـ في أطراف اللجاة ، فكسبهم الأمير علي بن الأمير فخر الدين ، وأخذهم عن آخرهم ولم يسلم لهم عقل ، أهـ . وذكرهم بركهات في سنة ١٢٢٤ هـ فقال : « يعد الفحيلة نحو ٢٠٠ خيال ، وفي كل عام يلبس والي دمشق شيخهم فروة ويوظفه بجباية ضرائب عشائر حوران واللجا ، لقاء تقديم ١٥ - ٢٠ كيساً (الكيس ٥٠٠ قرش

تركي) ، والفحيلية يتناولون خوة سنوية من كل قرى حوران « ، أهـ . وقد كنا قدمنا في بحث عشيرة عنزة أن هؤلاء الفحيلية في القرن الماضي والذي قبله كانوا من أركان الحلف الرباعي المدعو بأهل الشمال ، المؤلف لمجاهة عنزة ورد طغيانها عن مراعي حوران ، وسنذكر في بحث عشيرة الدنادشة المتوطنة في قضاء تلكلخ أنها تدعي التحدر من أحد هؤلاء الفحيلية ، الذي انتقل في تاريخ مجهول ولسبب مجهول إلى أنحاء حمص ، وأعقب فيها الدنادشة المذكورين ، ولا تزال الصلة والمعرفة متصلتين بين العشيرتين .

حدثني من سمع من الطاعنين بالسن في قضاء الزوية ؛ أن هؤلاء الفحيلية ومثلهم السردية ؛ بلغ من جبروتهم في تلك العهود على قرى حوران أنهم كانوا إذا أقبلوا على قرى وقدمت لهم الذبائح لا يأكلون إلا وهم راكبون على ظهور خيلهم ، والموائد محمولة على الرؤوس ، فإن صح ذلك كان في منتهى الغرابة .



عشائر محافظة جبل الدروز

يسمون عشائر هذه المحافظة الجبيلية ، أو الجبيلات أو عربان الجبل ، وهي تعد من لرحل بمقتضى القرار رقم ١٣٢ ، رغم قلة عددها ، وصغر نجعتها ، وضآلة ثروتها من الضرع والزرع ، وهي بحسب أعدادها تصنف كما يلي : المساعيد والحسن والشرافات والعظامات والشنابلة والسردية والجوابرة والرييدات والغانم والحواسن ، وبعض هؤلاء ينتسب إلى زبيد الذي ذكر القلقشندي في صبح الأعشى وجودهم هنا في عصره القرن التاسع وسماه زبيد الجبل .

المساعيد

قيل أن أصل المساعيد من العراق ، فإن صح ذلك ربما كانوا من عشيرة المسعود الريفية المستقرة في أنحاء كربلاء والمسيب شرقي بغداد ، وهي إحدى عشائر شمر التي بعدت عن البداوة منذ عهد طويل ، وهم أقدم من الدروز في احتلال الجبل (أي من قبل سنة ١١١٢ هـ) ، يشتون في تل الأصفر على بعد ثمانية عشر كيلو متراً عن عانات جنوبي الجبل ، أي في حرة الراجل ، أو أرض الجبانة ، وربما بلغوا الأزرق ، أو محطة الأجفور في الحجاد ضمن الحدود الأردنية ، ويقيظون على هيئة زرافات صغيرة في قرى المقرن القبلي حول القرية وعين وعيون ، ومنهم من يصل إلى قضاء درعا في حوران ، كما ذكرناه . وعدددهم ٦٠٠ بيت ، وعندهم ١٥٠٠ بعير و ٤٠٠٠ شاة و ٢٠ فرساً ، وتعد المساعيد من أكبر عشائر الجبل عدداً وأغناها بوفرة الماشية ، ويذكر أن نصف ماشية الجبل في يدهم ، وهم أصدقاء عشائر الجبل ، وأعداء ألداء الروالة وبني صخر والعيسى والسرحدان والشرارات ، وطالما عقدت مؤتمرات لمصالحتهم مع هؤلاء ، وآخرها في إربيد مركز لواء عجلون سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٨ م) .

بعير و ٢٠٠٠ شاة و ١٠٠٠ معزى و ١٠٠ فرس ، وفرقهم الصبور والحواسنة والطوابع والعميرات والعتيقات والمزاودة ، وفي كل فرقة أفخاذ عديدة أضربنا عن ذكرها ، وليس لهم رئيس عام ، إلا أن كبير فرقة الصبور عائد المطلق ، أكثرهم استقامة ووجهة ، كما أن درزي المطلق هو عقيدهم في الحرب .

الشرافات

هؤلاء مثل المساعيد في دعوى أن أصلهم من العراق ، وهم أصدقاء المساعيد ويحترمون عودة السرور ، كما أنهم أخصام ألداء للروالة ، عددهم ٢٥٠ بيتاً ، وفرقهم الصفيان والعنيزان ، وهم في مشيخة قاسم الصفيان ، وملوح العنيزان ، قيل إن بيت العنيزان محترم عند عربان الجبل ، ولا يقحم في الغزو ، وهم مثل المساعيد رعاة دروز المقرن القبلي ، يقيظون في المقرن الشرقي وفي قرية سالة وموردهم ماء أحبكة ، وتشقي فرقة الصفيان في الحماة ، وفرقة العنيزان في أرض الجبانة ، وتل الأصفر الجنوبي وربما بلغوا الأزرق ، وعندهم ٥٠٠ بعير و ٢٠٠٠ شاة و ٣٠ فرساً ، وهم يزرعون مع الغياث قسماً من أرض الرحبة ، وهم قد اشتهروا بشراستهم ، حتى أن الذين قتلوا الرئيس كاربتية الفرنسي وهجأته في تلعة الساعي في خريف سنة ١٩٢٥ م كانوا منهم ، وقد قبض على القتلة وأعدموا وقتئذ .

العظامات

وهؤلاء مثل المساعيد في دعوى أن أصلهم من العراق ، وهم أصدقاء المساعيد وشركائهم في المعارك ، وهم يتبدون في مناطقهم ، وعددهم ٢٥٠ بيتاً ، وعندهم ٥٠٠ بعير و ٢٠٠٠ شاة و ١٠٠٠ معزى و ٤٠ فرساً . وفرقهم المعرر والسويعد ، ومشيتهم مختلف عليها ، ومتوزعة بين اثنين قبلان السويعدى وبخيت المعرر ، وهم يشتون في أرض الجبانة ، ويقيظون جنوبي الجبل حول أمتان وأم الرمان وعز ومشقوق والغارية ، وتنزل فرقة السويعد دائماً حول أم القطين .

الشنابلة

الشنابلة .. قالوا إن أصلهم من الحسن ، وانشقوا عنهم منذ قرنين ، وهم نحو ٢٥٠

وهم ينقسمون إلى جذمين : العصافير والسميران ، ففرق العصافير هي السرور والمدلج والمواشة والمسيم والشبار والكوتش والتويني والهديب والمرشود والخطاب والمداحلة ، وفرق السميران هي الغوانم والحاتم ، ورؤسهم الأعلى عودة السرور كبير فرقة العصافير ، وهو رجل ذكي نبه ، وذو حرمة كبيرة في عشيرته ، وبين دروز الجبل ولاسيا لدى اسرتي جربوع وأبو عسلي في السويداء ، وهو كثيراً ما ينتخب حكماً في اختلافات عشائر هذه الأنحاء ، ويليه في الوجاهة الشيخ عواد البريكة كبير السميران .

وقد نكبت هذه العشيرة في ربيع سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) نكبة كبيرة ، وذلك أن عشيرة الشرافات كانت غزت بني صخر ، وغنبت قسماً كبيراً من مواشيهم ، فلحقته قوة نظامية أردنية من شرقي الأردن بقيادة المرحوم الأمير شاكر بن زيد الهاشمي مع سيارات ومدرعات وطائرات إنكليزية ، فلم تجد غزاة الشرافات ، بل صادفت (المساعيد) مخين غربي أم الجبال ، فأصلتهم القوة والطائرات نارا حامية جعلتهم يفرون ، تاركين مواشيهم وبيوتهم وأمتعتهم ، بعد أن حاولوا الدفاع وقتل منهم وجرح كثيرون ، فأصبحوا مدقعين وعالة على بقية البدو ، والدروز مدة مديدة إلى أن لموا شعته . (عن جريدة ألف باء ، آذار سنة ١٩٢٩ م) .

الحسن

يعتبرهم البعض من أعقاب زبيد الذين قلنا أن القلقشندي ذكرهم ، ويقال أيضاً أنهم من قبل الإسلام ، وأن الأمراء الغسانيين الذين كانوا هنا كانوا ينتقون منهم الشعراء في أعيادهم وحفلاتهم بحكم ما كان لهم من سليقة النظم وفصاحة اللسان ، ثم انقرض معظمهم أو كلهم ، وانتقل اسمهم إلى الأحياء الصغيرة بالحسن والشابلة والجوابرة ، وبحسنا الآن عن الحسن ، فهؤلاء صناديد فتك وسلب ، وكانوا قديماً في نزاع دائم مع عنزة ، وخاصة الروالة والولد علي والمعجل كلما تطاول هؤلاء على مراعي الحسن ، وهم أحلاف الشرافات وأصدقاء الدروز ورعاة ماشية أهل القرن الشمالي ، ومن ثم لا يبعدون عن هذا القرن ، وهم شركاء الدروز في الثورات والغارات ، أعانهم في ثورتهم سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) بقيادة عقيدهم المغوار درزي المطلق ، وهم يشتون في تل الأصفر الشمالي وبرقصب والقرا ، ويقبضون في قرى الهيت وشهبا وعراجة والبثينة شرقي وادي اللوا ، وعددهم نحو ٣٥٠ بيتاً وعندهم ١٠٠٠

بيتاً ، وعندهم ٣٠٠ بعير و ١٠٠٠ شاة و ١٠٠٠ ماعز ، يقيظون في قضاء السويداء حول قرى الرحي والكفر وقنوات وعتيل والسويداء وسليم وبريكة ومفعلة والروم . ويشتون في هذه القرى أيضاً ولا يفارقونها ، وهم أفقر عشائر الجبل وأقلها مكانة ، وفرقهم الوهبان والمساخنة والسيفان والرمضان والنبر والثوافشة ، ورئيسهم عطية النبر وهو رجل رقيق الحال والمكانة .

السردية

السردية من أجل عشائر هذه الأنحاء وأكرمها محتداً وتاريخاً ، وينسبهم البعض إلى بني صخر العشيرة الأردنية المعروفة ، بينا العداء مستفحل والغارات لا تنقطع بينهم ، وهم تغلبوا فيما مضى على عشيرة السرحان التي كانت أقوى عشائر حوران في القرن العاشر ، وانتزعوا السيادة منها ، ودفعوها إلى الجوف ، وصاروا أحكام بادية حوران وعجلون ، وأقوياء وأثرياء جداً ، وقد جاء ذكرهم في كتاب (تاريخ الأمير فخر الدين المعني) للشيخ أحمد بن محمد الخالدي طبع بيروت ١٩٣٦ م ، وأنه كان لهم في القرن الحادي عشر شيخ كبير اسمه الشيخ رشيد ، وأن والي الشام حافظ أحمد باشا أعطاه مشيخة حوران ، وأن هذا الشيخ تنازع مراراً مع الأمير مدلج الحيارى (أمير الموالي) ، وأنه كان له وجاهة وشفاعة عند الأمير فخر الدين المعني (ما بين سنة ١٠٢١ إلى سنة ١٠٣٤ هـ) ، ثم كان لهم شيخ اسمه المحفوظ السردى ، كان يزود ركب الحج بالأباعر ، ويحميه من تعدي البدو لقاء جعل من الدولة . وقد أيد ذلك السائح الدانماركي نيبوهر الذي زار بلاد الشام في حدود سنة ١١٨٠ هـ وقال إن شيخ السردية هو (الأمير) الذي يعتمد عليه والي دمشق ، وأيد ذلك أيضاً السائح الفرنسي فولناي الذي جاء في حدود سنة ١١٩٩ هـ والسائح السويسري بركهارت في سنة ١٢٢٤ هـ .

ثم قامت عشيرة بني صخر المذكورة ونازعت السردية هذه الوظيفة والمورد وأذتهم ، ثم لما جاءت عنزة من نجد تولى السردية رئاسة حلف أهل الشمال المؤلف من السردية والسرحان والفحيلية والعيسى ، وذلك لمداغة عنزة (وخاصة الولد علي منها) ومنعها من النفوذ إلى براري حوران وشرقي الأردن ، لكن عنزة (الولد علي) تغلبت فيما بعد على هذا الحلف ومنه السردية وسلبتهم السيادة وأضعفتهم ، فنزح قسم منهم إلى غور بيسان واسمهم

هناك (الصقور) ، ونزح القسم الكلي منهم إلى البلقاء في شرقي الأردن ، فتنازع مع بنو صخر من جراء قيام أحد شيوخ الصخور طراد الزبن وطلبه أخت متعب الكنج ، وتمن هذا ورجوعه إلى جبل الدروز يستنجد بالدروز فأنجده ، وبدأت الغارات بين الصخور والسردية ونظم الشعراء عدة قصائد في ذلك .

حدثنا الشيخ سعود الذي سأله عن تاريخهم رواية غير مدعومة بثيقة : « أن جدهم الأعلى اسمه فوازاً وله أخ اسمه ملاك ، ثم تحارب هذان الأخوان ، فانهزم ملاك إلى فلسطين ، ومن ذريته عشيرة الصقور في غور بيسان ، ثم عاد ملاك وتغلب على فواز وأكرهه على الزواج إلى العراق واللجوء إلى إحدى العشائر ، وكان لفواز أخت حسناء أحبها شيخ العشيرة العراقية التي لجؤوا إليها وخطبها ، فطلب فواز مهلة خمسة أيام للتفكير في الأمر ، فقبل الخطاب ، وخلال المهلة رحل فواز وقومه وأسرعوا بالرجوع إلى حوران ، فوجدوا الصقور محتلين ديارهم ، فنانزلوهم وأجلوهم وأعادوهم إلى بيسان ، وما أن استراحوا حتى دهمتهم عنزة (الولد علي) فدافعوها عشرات السنين إلى أن تغلبت عليهم وأبعدتهم إلى شرقي الأردن ، وأوقعتهم مع بني صخر بالغارات التي تقدم ذكرها .

وقال : إن فوازاً أعقب ولداً اسمه كليباً ، ومنه محفوظ السردية الذي تقدم ذكره ، وأن عشيرة السردية فرقتان : العون في مشيخة كليب العوان ، والكليب في مشيخة سعود الكليب ، وعدد العشيرة نحو ٢٥٠ بيتاً ، وكانت منازلهم حول قرية القرية وموردهم ماء النمرة ، ثم في قرى حوت وبكة وأم الرمان وديبين .

أما الآن فأكثر إقامتهم داخل الحدود الأردنية ، قرب جبل الدروز ، وقد تملك الشيخ سعود هناك خربتين اسمها صبحه وصبيحة ، تقعان بين أم الجمال وأم القطين ، وله فيها بيت حجر للشتاء وحراثين من أبناء العشيرة ، أما نجعتهم في الشتاء ففي أرض الجبانة وقرب الأزرق وقد يصل بعضهم إلى قرىات الملح .

وأهل الشيخ سعود يعرفون بأسماء مختلفة ، فعنزة يعرفونهم بالكنوج نسبة إلى كنج بن ظاهر أبو جد الشيخ سعود ، والدروز يعرفونهم بالكليب ، والحواريون يدعونهم الفواز ، ونحوتهم راعي الحيزة وأخو ذبيبة . قال بركهارت عن السردية في سنة ١٢٢٤ هـ

هؤلاء فرقتان الظاهر والواكد ، ولكل فرقة شيخ ، وعند السردية خيل طيبة ، وفي كل سنة يرسل والي دمشق لأحد شيوخهم هدايا من الثياب والسلاح ويتناول منه فرساً ، والشيخ الذي يكرم بمثل هذا يدعى شيخ حوران ، وعليه أن يعاون جند الدولة ضد كل تعد على حوران ، لكن السردية كالفحيلية قلما لبثوا بدون حرب مع الوالي ، وهم يأخذون ضرائب من قرى حوران ضعفي ما يأخذه الفحيلية » ، ا هـ .

والسردية على قلتهم فرسان مغاوير ، وعندهم شتم وغرور بنسبهم وماضيهم ، فهم يزعمون أنهم من أعقاب بني مخزوم الذين جاؤوا إلى ديار حوران في عهد الفتوح ، وبقي قسم منهم هنا تفرع منه بنو شهاب ، وهؤلاء نزحوا بعد في القرن السادس من حوران إلى وادي التيم ، والسردية من أجل ذلك يحسبون أنفسهم أبناء عمومة الأمراء الشهابيين ، على ما رواه لي أحدهم الأمير فائز عجاج الشهابي المشاور العدلي في مديرية العشائر في شرقي الأردن ، وفي تاريخ حيدر الشهابي أن الأمير بشير الشهابي الكبير لما نزح من لبنان عام ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) حذراً من غضب عبد الله باشا والي عكا ، لجأ إلى حوران فاستقبله هؤلاء السردية من حدود الجولان ، وعرضوا عليه معونتهم ، وساروا في ركابه ، حتى أوصلوه إلى شرقي حوران فأجازهم ، وما يذكر للسردية أنهم اشتركوا في جيش الثورة العربية الذي قاده المرحوم الملك فيصل ، وجاؤوا صحبة سلطان باشا الأطرش وجمعه من فرسان الدروز ودخلوا معه دمشق في أيلول سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وكانوا وقتئذ في قيادة خلف الكليب .

الجوابة

يزعمون مثل الحسن ، أن أصلهم من عشيرة زبيد التي كانت في هذا الجبل منذ القرن التاسع ، ومنهم من يزعم أن أصلهم من عشيرة الجبارة العراقية ، وأن بضعة بيوت من هذه العشيرة جاءت في القرن الحادي عشر ، واستقرت في شمالي جبل الدروز وظلت إلى يومنا ، وهم رعاة لدى الدروز وأجراء حراثته ، يشتون في الشمال الشرقي من الجبل في أنحاء تل الأصفر ، وربما امتدوا إلى جنوبي الغوطة ، ويقطنون في أنحاء الشهاب ومجيدل ، عددهم نحو ١٦٠ بيتاً ، رئيسهم سالم بن فياض الخاميس ، وقد توفي هذا وخلفه ابنه سوعان ، أما

فرقهم فهي الخاميس والمصابرة والشيبات والسلجان والتليقي والجهم والراهي والعلی ، ومنهم أناس في قضاء درعا مستقرون في شجرة التائهة شرقي المتاعية .

الغامم

هؤلاء فرقة من المساعيد ، استقلوا عنهم منذ زمن ، وصاروا يشتون بوحدهم في شرقي الجبل في وادي الراجل ، ويقطنون حول قرية سالة وطربا من مشاريق الجبل ، وهم ٢٠ بيتاً ، وبعضهم شركاء سليمان نصار من سالة . ورئيسهم نهاب الغامم

الحواسن

ينتمون إلى نفس الأصل الذي يدعيه الجوابرة أي إلى زبيد ، أو إلى عشيرة الجبارة العراقية يشتون في أنحاء تل الأصفر ، ويقطنون في جوار عاهرة وعمرة والشهبا ونجران وهم نحو عشرة بيوت ، رئيسهم عائد الكريم .

الرييدات

فرقة صغيرة أو أسرة من العظامات ، انفصلت منذ قرن ، وهي مستقرة في قضاء الشهبا ، وهم في رئاسة حسين الرييدات (المداحلة) يبلغون نحو أربعين بيتاً ، وينزلون في حدود جبل الدروز وحواران حول خربة وعري وجبيب ، وهم رعاة آل الأطرش ، رئيسهم مرزوق بن فلاح أبو مدحل .



فصل جغرافي

بعض أنحاء البادية (أوعار اللجاة والصفاء والراجل وديرة التلول)

لقد مر بنا في بحث عشائر محافظات دمشق وحوارن وجبل الدروز ذكر الأوعار جمع وعرة ، أو الحرار جمع حرة المعروفة باسم اللجاة والصفاء والراجل وديرة التلول ، وقد رأينا نفعا في وصف هذه الأماكن هنا وصفاً جغرافياً وجيولوجياً وتاريخياً ، ليطلع عليها من لا يعرفها من أبناء بلادنا ، لاسيما والمصادر العربية خالية من بحثها وبيانها على قريها من دمشق . وبذلك نكون قد أضفنا هذا الفصل على فصول (جغرافية ديار البدو) المنشور في الجزء الأول (ص ١٨ - ٦٥) فنقول :

يظهر أن بلاد الشام عامة وكورة حوارن خاصة تعرضت إلى تفاعلات بركانية وهزاهز أرضية عنيفة ، خلال الحقب الجيولوجية الغابرة ، وخاصة في الحقبة الرابعة وقد نتج عن هذا التعرض ، أن صعدت الحمم والطفوح النارية ، فتخللت الشقوق في كثير من الصخور المكونة لقشرة الأرض ، واندلعت على سطح هذه القشرة ، وتصلبت فصارت منها هذه الصخور الحرية المعروفة بالبازلت ، وأحدثت حراراً وأوعاراً عديدة هائلة المنظر ، كحرة الراجل وحرة الصفاء وحرة اللجاة وأوعار الجيدور والجولان وحمص وحماة والعلا وغيرها ، وأوجبت انتشار حجر البازلت في كل مكان من تلك البلاد ولاسيما في حوارن .

وفي شرقي غوطة دمشق وشرقي كورة حوارن بقاع بركانية أو حرار (جمع حرة) غربية الشكل ورهيبة ، هي اللجاة والصفاء والحرة وديرة التلول وإليكم وصفها :

اللجاة

تقع اللجاة في شمالي حوارن ، وتبلغ مساحتها نحو ١٤٠٠ كيلومتر مربع ، وطولها

من الشمال إلى الجنوب أربعون ، وعرضها من الغرب إلى الشرق خمسة وثلاثون كيلو متراً ، وحدها الشمالي قريتا براق وبويضان والشرقي الصورة الكبيرة وخلخلة ووادي اللوا ، وحدها الجنوبي وادي قنوات وقرى داما وجرين ووقم وبصر الحرير ، وحدها الغربي المسية وخبب ومحجة وشقرة وإزرع ، ويقع نصفها الشرقي في قضاء الشهباء من جبل الدروز ، والغربي في قضاء إزرع من أعمال حوران ، واللجاة وما أدراك ما اللجاة ؟ هي بحر خضم من الحمم والطفوح النارية ، تلاطمت أمواجه ردىاً من الزمن ، ثم خترت وخمدت وتشققت ، فكونت تلاعاً وتضاريس وشناخيب بينها أخاديد ، ولجج عميقة ، وفجاج ضيقة ملتوية ، وبدت في حالة غاية في الوعثة وصعوبة المسلك ، وجهومة المنظر ، واسوداده ووحشته ، ويظهر أن الحمم والطفوح النارية التي كونت اللجاة خرجت من أربع آكام مخروطية بركانية مصطفة من الشمال إلى الجنوب حول قرية الشهباء ، وهي تل شيحان وتل الغرارة الكبير وتل الجبال وتل الغرارة القليلة .

على أن اللجاة لا تخلو من رقاع صغيرة من التراب صالحة للإنبات يتخذها أعراب اللجاة (عشيرة السلوط) للحرث والزرع ، وهذه الرقاع تشبه الجزائر المنتثرة وسط بحر لحي ، تتخللها مسالك ضيقة متعجة متيهة مخيفة ، قال السائح الفرنسي كيليوم ري في كتابه (رحلة في حوران سنة ١٢٧٤ - ١٢٧٥ هـ) ماتعريبه « ما من شيء يستطيع أن يوحى إلى الإنسان فكراً عن الأشكال الوهمية المتعلقة بالجن والعفاريت مثل الذي تعطيه سيول الطفوح والحمم المتجمدة في اللجاة ، لأن منظرها يشبه الأمواج المتعالية بتأثير عاصفة هائلة ، أو يشبه ماعلى ظهور السلاحف من الخراشف الضخمة الجبارة بعد تكسرها نصفياً » . ويشبه الدكتور دلبت رفيق السائح المذكور منظر اللجاة إلى « ما يرى على سطح كأس ماء فيه رغوة صابون إذا عبثوا بها ونفخوها وأحدثوا فقاعات ، فالفقاعات في اللجاة هي من الطفوح والحمم النارية ، وبعضها منحرف وأجوف بالفعل ، ولا تجد في أي مكان أي أكمة مخروطية بازلتية مكونة تكويناً كاملاً » .

وعلى الرغم مما وصفناه فقد كانت اللجاة في العصور الغابرة - وهنا العجب - عامرة بالقرى والمزارع ، أهلةً بالسكان ، مزدهرة بالبساتين والكروم ، كما شهد بذلك ياقوت في معجمه ، ولاتزال آثار هذه ماثلة كيفما اتجهت ولا سيما في أكنافها التي تدعى (لحف

اللجاة) ، فأنت أنى سرت في هذا اللحف تجدد من الحرب القديمة في الجهة الغربية براق والمنسية وشعاره وكريم وايب ومليحة حزقيل وقلعة سماء والزباء والمجيدل والنجيح وقيراطة وجمرة والبوير وشقرة وإزرع ، وفي وسط اللجاة الطف وقبة دهمان وجسري وجدل ودامة العليا والزبيرة وجرين ومجيدل ومسيكة وصور اللجاة وحران وعاصم الزيتون وحامر وأم العلق وغيرها ، وفي جنوبي اللجاة بصر الحرير ونجران وريمة اللحف ودير الأسمر وجحاح وبريكة ، وبعض هذه الحرب يسكنه أعراب اللجاة فيزرعون رقاعها المذكورة ، ويرعون ماشيتهم في مراعيها ذات العشب الجيد الذي ينتج سمناً فاخراً ، ومن غرائب البناء في هذه الحرب أن جدرانها وسقوفها وأبوابها ونوافذها ومغالقها مع كل ما يجب أن يكون من الخشب جميعه من الحجر ، وجله من المنحوت نحتاً حسناً ، وبعضه مزخرف .

وفي اللجاة رصيف روماني هائل يأتي من دمشق إلى بصرى عاصمة حوران القديمة ، وهو يخترق اللجاة من المسية إلى السويداء ، وهو لا يزال ماثلاً للعيان يثير الدهشة والإعجاب بمقدرة الذين مدوه ، وكسروا هذه الشناخيب والصخور الصلدة ومهدوها ، وكان يحرس هذا الرصيف خمسة عشر مخفراً وسبع منائر عسكرية ، وكان في منتصفه مذبح أو هيكل مربع الشكل باسم أحد آلهة الأنباط المزعومة حراس أبناء السبيل ، ولعله اللات .

وكان في اللجاة كثير من الغابات الطبيعية والأشجار المثمرة وغير المثمرة المتنوعة كالبطم والصر بضم الصاد وهو شجر شائك ذو ثمر أحمر كالزعجوب ، واللوز البري والرمان والتين والعنب والزيتون ، وكان فيها كثير من البساتين لا تزال أماكنها بارزة للعيان شرقي قرية إزرع ، فكانت هذه الغراس الخضراء تخفف من جهومة منظر اللجاة ووحشتها ، وكان البطم كثيراً ، يعصر أهل قريتي جباب وخبب حبوبه في معاصرهم ويستعملون زيتيه ، لكن كل هذا قد فقد ولم يبق منه إلا أثر ضئيل جداً ، وأكثر من أفقده فيما قالوه جيش إبراهيم باشا المصري ثم كتائب الجند العثماني التي كانت مرابطة في ثكنة المسية منذ سنة ١٣٠٤ هـ ، ويؤكدون أنه لو حمت الحكومة هذه البقعة لعادت إلى ماكانت عليه ، ثم أنه يوجد في أكثر مواقع اللجاة كهوف ومغاور كأنها محفورة بيد الجن وسط البازلت الصلد ، وبعضها عميق ويحدث سراديب متمجة ، أو ردهات واسعة ومظلمة ، وقد كانت هذه المغاور مأوى الآدميين الأولين سكان الكهوف في عصور ما قبل التاريخ ، ثم صارت بعد

معتصمات ومعاقل للعصاة والمتردين ، وملجأ لأشر الأعراب وأطولهم باعاً في اللصوصية ، ولا يزال الدروز يلقبون اللجاة بقلعة الله ، لأنها من أمنع الأماكن وأوعرها لمن أراد الاحتماء من غارات الجيوش المنظمة ، كما جرى لهم في وقائعهم المتوالية مع جيش إبراهيم باشا المصري سنة ١٢٥٤ هـ ، والجيش العثماني في سنتي ١٣١٥ و ١٣٢٨ هـ والفرنسي في سنة ١٣٤٤ هـ وغيرها .

ديرة التلول

في شرقي دمشق بل في شرقي بحيرة العتيبة التي تبعد عن دمشق ٢٥ كيلو متراً تمتد هضبة بركانية عظيمة منبسطة تدعى (ديرة التلول) ، لكثرة تلولها وأكامها ، يحدها من الشمال خان أبو الشامات على طريق سيارات دمشق - بغداد ، ومن الغرب سهل يعرف برمدان يمتد بينها وبين بحيرة العتيبة وفي هذا السهل ثلاثة أديرة بيزنطية ؛ الشمالي والوسطاني والقبلي ، ومن الشرق قفار الحماد الفسيح الآخذ نحو وادي الفرات ، ومن الجنوب حرة الصفا التي سيأتي وصفها ، وفي هذه الديرة عدة قم مخروطية ذات فوهات بركانية منطفئة ، يظهر بعضها للواقف في أعالي حي المهاجرين في دمشق ، منها تل الدكوة (٩٤٥ م) ، وتل البراغيث وتل المطلة وتل حلاق وتل حويفير ورجم مارع وأم معزة وتلول الضراير وتل عكيس وتل مكحول (٨٤٤ م) ، وأكبر هذه التلول وأهمها تل العاقر وهو شيخ التلول وجبل أسيس (٨٢٩ م) بتشديد السين الأول وفتح الياء وإسكان الثاني ، ويقع جبل أسيس في أقصى شرقي ديرة التلول وعلى بعد نحو ١٥٠ كيلو متراً عن دمشق إلى الشرق الجنوبي ، وفي حضيضه نبع ماء شحيح يسيل في الشتاء إلى مستنقع قريب يرده أعراب البادية في فصل الشتاء والربيع ، ويظهر جوار هذا المستنقع أنقاض أبنية واسعة كان يظن أنها بقية حصون ومخافر رومانية أو بيزنطية ، إلى أن كشف المستشرق سوفاجه الفرنسي حقيقتها ، وأثبت أنها آثار أموية شبيهة بغيرها من القصور الأموية التي في البادية ، كقصر الحير وقصر المشتى وقصر الخرائنة ، ومباني أسيس مكونة من قصر ومسجد وحمام ومضافة وعدد من بيوت السكن وغير ذلك ، وقد بني القصر بشكل مربع طول جانبه نحو ٦٧ متراً ، وجدرانها الخارجية من أحجار بركانية غير منحوتة ؛ وله في كل زاوية برج مستدير ، وفي وسط كل جدار دعامة مستديرة ، وقد فتح باباه وسط

دعامة الجدار الشمالي . وهندسة هذا القصر تحمل على الظن بأنه من عهد الوليد بن عبد الملك ، وقبل الأمويين كان الرومان قد مدوا فيما مدوه في بادية الشام عدة أرصفة تخرج من دمشق إلى قرية الهيجانة ، أحدها يمر من الدير الجنوبي (شرقي بحرة العتيبة) إلى جبل أسيس وما بعده ، والثاني يأخذ من قرية الهيجانة إلى بير قصاب وخربة أم السعد غربي الصفا إلى الزلف في شرقي جنوبي الصفا وما بعدها ، وديرة التلول منتجع عشائر غوطة دمشق كالجلان والنعم والعقيدات ومن إليهم .

الصفاء

إن سرت نحو الشرق الجنوبي من قرية الهيجانة التي في شرقي دمشق ، أو من قرى وادي اللوا وغيرها من القرى الشرقية في قضاء الشها في محافظة جبل الدروز ، وبعدت نحو الشرق في براري قفراء نحو ٢٠ - ٣٠ كيلو متراً بلغت حرة أخرى أكثر وعوثة من اللجاة ، وأشد وحشة ، وأشظف عيشاً اسمها (الصفا) ، ذكرها جرير في شعره . فقال :

هبت شمالاً فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة التي في شرقي حوران
هل يرجعن وليس الدهر مرتجعاً عيش طال ما حلولى ومالانا

والصفا ليست من أعمال حوران ، بل هي تقع إدارياً ضمن حدود قضاء دوما من محافظة دمشق ، كما تقع أيضاً ديرة التلول التي مر ذكرها ، وحدودها من الشمال ديرة التلول ، ومن الغرب البرية القفراء الفاصلة بينها وبين قرى وادي اللوا في جبل الدروز وقرى مرج الغوطة الجنوبية ، ومن الشرق سهل الرحبة والحجاد ، ومن الجنوب وعرة القرا ووادي غرز وأمثاله من الأودية الهابطة من جبل الدروز نحو سهل الرحبة .

والصفا هضبة مكونة من الحمم البركانية ، وفيها عدد لا يحصى من الآكام القليلة الارتفاع التي هي فوهات براكين ، وإذا قارن الناظر بين حرتي اللجاة والصفاء ، تخيل أن تلال الصفا حديثة الانفجار بالنسبة إلى اللجاة ، أما من حيث المساحة فهي أصغر بقليل من اللجاة ، إذ يقدر طولها بـ ٣٥ كيلو متراً في مثله فيكون تربيعتها ١٢٢٥ كيلو متراً مربعاً ، وتنتصب تلال الصفا المخروطية نحو ٣٠٠ - ٤٠٠ متر فوق مستوى الأرض المجاورة التي يبلغ معدل ارتفاعها ٥٠٠ متر عن سطح البحر ، وحجارة الصفا سوداء مستديرة

عشائر الشام (٢٨)

الشكل ، مصقولة تلعب كالمعدن الذائب ، ومن عاين فوهات براكينها يخال أنها تقذف حتى الآن سيولاً من المواد المصهورة ، وبين تلاها قناطر طبيعية تجمع بينها إذا عبرها الرجل ظن أن أنهاراً من النيران المتجمدة تسيل من تحته ، فنظر الصفا في الجملة موحش هائل يحسب زائرها أن نيرانها لم تنطفئ بعد ، ومن الغريب أن فوهات براكين الصفا لا تنفتح عند قمتها ، بل على جوانبها في سند التلال فتري ثمة أغواراً مستديرة الشكل عرضها نحو ٣٠٠ متر في عمق ٢٠ - ٢٥ متراً ، وتري بعضها منعزلاً عن إخوانه ، وبعضها متصلاً لا يفصل بينها إلا جدران رقيقة من الزجاج الأحمر أو الأسود الضارب إلى الحمرة . وفي بعض الأماكن ترى للحمم أخاديد متوازية ، طولها بضع مئات من الأمتار . وقد فعلت الحرارة في هذه الحمم فشققتها وصدعتها ، حتى صارت كقعر مستنقع موحل .

والصفا قسماً شمالي يدعى (الضرس) وجنوبي خص باسم (الصفا) ، وفي الجنوب الشرقي من الصفا بقعة كثيرة البقايا البركانية تدعى (الخشبة) . وأعلى أكمة ذات فوهة بركان تدعى (أبا غانم) ، لها قنن مسننة من الحمم تشبه نديف القطن ، كأنها لبيب النار يميل بها الريح ، وثمة أكمة أخرى تدعى (الزيتع) ، وهي أيضاً بركان قديم خرب قسم من جوانبه الخارجية فلم يبق إلا مدخنة تسندها بعض السواري المشرفة على هوة عميقة ، وعلى وجهه صفائح من الزجاج وشناخيب من الحمم ، تنتصب فتزينه بأطرافها المدببة ، وبين أكمتي أبا غانم والزيتع تلان آخران مخروطيا الشكل يدعيان (المراتي) و (واسط) . ولا أثر للحياة في هذه البقاع البركانية الرهيبة إلا صنفاً من حزاز الصخر الرمادي اللون ، ملتصقاً بالحجارة السود ، وتحسبه عن بعد أنه منها ، إلا أنه في الشمال الغربي من الصفا وفي جنوبها الشرقي بعض التلال تنفرج ، فتنبسط خلالها بطاح يزرع فيها الأعراب من عشيرة الغياث بعض الزروع ، وقد عملت أيضاً عوامل الطبيعة في هذه الصخور والتلال فنحتت منها جانباً بقوة الأمطار والرياح ، فسالت دقائقها إلى البطاح المنخفضة . وتتجمع المياه في هذه البطاح المنخفضة فتخصب أي خصب ، وتصير منتجعاً لمواشي الأعراب من عشيرة الغياث الذين تقدم وصفهم ، ويدوم المنتجع حتى أبان القيظ ، وليس هناك مسيل ماء إلا في منعطف الجبل الواقع في شمالي غربي القسم المعروف بالضرس ، فإن هناك غاراً طبيعياً وسعته يد الإنسان يخرج منه جدول ماء يرده الأعراب المذكورون ويسمونه (عين أم النيران) .

وترى أيضاً في ردهات الصخور الطبيعية التي تقدم ذكرها نقرأ يجتمع فيها الماء في الأعوام الكثيرة الأمطار ، ويتكون منها غدران تدوم أشهراً ، وتروي الأودية فتنعشها ، وتزكي نباتها وتنورها بالأزهار ، وإلى هذه الغدران يتقاطر البدو والطيور ، وأكبر هذه الغدران وأشهرها يدعى (الرحبة) ، وهو يستحق الوصف والتفصيل :

تقع الرحبة في شرقي الصفاء ، وهي بطيحة عظيمة ذرعها ١٢ × ١٧ كيلومتراً مما يعادل ٢٠٤ كيلومترات مربعة ، وتنصب في هذه البطيحة عدة أودية لا تحوي الماء إلا في فصل الشتاء ، وهي تنحدر من الصبب الشرقي لجبل الدروز ، وتتجه نحو الشمال الشرقي ، أشهرها وادي غرز ووادي الشام ، وثمة أودية تأتي من الحماة ، وتتجه من الشرق إلى الغرب أشهرها وادي الحمار ووادي التيس ، وقد يسمون هذه الأودية (أماليد جمع أملود) ، وهذه الأماليد وغيرها تجعل الرحبة في أيام الشتاء والربيع غديراً عظيماً أو بحيرة واسعة ، لا تلبث أن تجف إذا حل شهر أيار وحزيران ، فتصير شبه مستنقع موحد ، وللرحبة هذه منظر تقربه العين لا سيما إذا قابلت بين خصب تربتها واخضرار أعشابها وزروعها ، وبين القفر البلقع الذي حولها ، وهي تعد من أخصب بقاع بلاد الشام . ومن هنا كانت معيشة البدو (الغياث) فهم يزرعونها قمحاً وشعيراً وذرة فتغل لهم غلالاً عظيمة ، وربما أعطى الواحد مئة مثل ، ولحفة التربة في قعر مستنقع الرحبة وذكائها لا يستعمل البدو المذكورون المحراث بل قصارهم أن ينثروا البزور بأقل نسبة عما ينثر في أماكن أخرى ، ويدفنوها بأدوات ومعاول يدوية بسيطة كمن يخريش التراب ، وذلك عقيب أمطار الخريف ببضعة أيام ، فتنبت بسرعة وتأتي الأودية الأربعة فترويها غزيراً ، وهؤلاء البدو يكلون زروعهم إلى حمى ولي يعتقدون به كل الاعتقاد ، وله ضريح وسط سهل الرحبة ويدعى الشيخ منصور سراقه ، ويقولون : أنه يعاقب سارقي الزروع أشد عقاب ، وحينما تجف مياه الرحبة ويقبل الصيف بحره يغادر هؤلاء البدو الرحبة ، ويتسلقون منحدرات جبل الدروز الشرقية ، بعد أن يكونوا خبؤوا غلالهم ومؤوتتهم في حفر ومطامير في حمى الشيخ سراقه المذكور .

وكان الرومان يعرفون سهل الرحبة الخصب ، فأقاموا في جواره حصوناً ومخافر لرد غارات البدو ، ولا تزال هذه المباني ماثلة عليها كتابات نقشها الجنود الذين كانوا مرابطين

فيها ، أو نقشها الأهلون الذين كانوا يلوذون بحماهم ، وقد عمل الفرنسيون مثلهم بعد ثورة سنة ١٣٤٥ هـ فأقاموا في سنة ١٣٤٨ هـ في موقع الزلف إلى الجنوب الشرقي من الصفا خفراً بقي جندهم فيه عدة سنوات ، يوطد نفوذهم ويرد بائقة أعراب الصفا (الغياث) وغيرهم .

ومن الغريب أنه رغم وعورة الصفا ووحشتها وبعدها عن المعمار وقلّة رقايعها الصالحة للزراع والضرع ، فقد كان في العصور السابقة للميلاد في وسطها وعلى أكنافها التي تسمى اللحف عمران وسكان ، ففي وسطها قرى دائرة اسمها القلعة والريسيديّة وهما في شمالي الرحبة ، وأخرى في غربيها تدعى البيضاء أو القصر الأبيض ، وداخل هذا القصر مقسوم إلى مستطيلين غير متساويين ، وباب القصر مزخرف بزخارف عربية ورسوم حيوانات وثمة أحجار عليها رسوم طيور وأزهار ، وهي تشبه قصر المشتى الذي في براري شرقي الأردن ، ولعلها من عهد الملوك الغسانيين ، وعلى أحد روافد وادي الشام خربة تدعى الكنيسة ، لا يزال فيها كنيسة سالمة في الجملة ، وفي الجنوب الشرقي من سهل الرحبة خربت العديسيج وغرز ، وهذه الأخيرة على الوادي المسمى باسمها ، وفي لحف الصفا الغربي خربة عظيمة يدعونها خربة الأنباشي ، (ولا ندري أي أنباشي كان هذا ، والكلمة من المصطلحات العسكرية التركية ، فإذا كان اسمها قديماً ؟) . وهذه الخربة ملأى بأطلال الدور والشوارع والقبور ، ويمتد في شملها مع اللحف سور طويل خراب ، وثمة غديران : غدیر الحاج و غدیر العصابات أو القصابات .

وقد سكن الصفا في العصور السابقة للإسلام شعب عربي لم يعرف اسمه ولا تاريخه حتى الآن ، إنما استدلووا عليه من الكتابات المذبورة على الصخور البركانية وعددها يكاد لا يحصى ، خطت بقلم كان مجهولاً إلى أن عرفه العالم الأثري الإسرائيلي يوسف هالييفي الفرنسي في حدود سنة ١٢٩٨ هـ . وهذا العالم هو الذي ساح في اليمن في سنة ١٢٨٦ هـ وكشف الآثار الحميرية والمعينية لأول مرة ، ثم أتم عمله في الصفا العالم ليمان الألماني والعالمان دوسسو وماكر الفرنسيان ، وقد وضع هؤلاء العلماء فيما اكتشفوه كتباً خاصة ، إلا أنه ليس في هذه الكتابات الصفوية يا للأسف ما يدل على وقائع وتواريخ ، بل جلها أسماء أشخاص وأماكن وأدعية ونذور ونحو ذلك ، يتقدمها اسم راقم الكتابة . وكثير من هذه الأعلام أسماء آلهة قديمة مزعومة أشهرها الإله ايل والإله سين ، وأسماء أخرى لم يتحقق

العلماء صحتها بعد ، وحروف اللغة الصفوية متوسطة بين لغتي الفينيقيين والحيريين ، ويظهر أنها بين القرن الثاني والرابع الميلاديين ، وثبت أيضاً أن لا علاقة بين أصحاب هذه الكتابات وبين الغسانيين الذين هبطوا حوران بعد ذلك العهد ، وظلوا حتى ظهور الإسلام ، وثبت أيضاً أن اللغة الصفوية هي إحدى اللغات العربية ، وشبيهة باللغات المستعملة في شمالي الجزيرة العربية ، وأكثر الأسماء الواردة فيها شقلان ومناعم وأسلم ومالك وأسعد ومحارب ولبيد ومعن ، وأجل كتابات هذه الأنحاء هي شاهدة قبر امرئ القيس بن عمرو التي وجدت في خرائب قصر نمارة في جنوبي الصفا على وادي الشام ، وهي أقدم أثر عربي منقوش باللغة العربية الشمالية (العدنانية) كما كانت عليه في أوائل القرن الرابع الميلادي وبالحرف النبطي الذي كان يكتب به عرب الشمال ، وقد عثر عليها المستشرق الفرنسي دوسسو في سنة ١٣١٩ هـ ، وامرؤ القيس هذا من اللخميين ملوك الحيرة (العراق) ، ويظن أن سلطته كانت ممتدة على قبائل العرب في باديي العراق والشام معاً ، ولعله جاء إلى هنا لمحاربة الغسانيين فأدركه الموت فدفنوه في قصر نمارة ، أما في يومنا فيقطن وعرة الصفا وما حولها أعراب الغياث الذين قدمنا ذكرهم .

الإنسان الأول في حرة الصفا

قلنا أن في حرة الصفا خرب عديدة ، وقرى دائرة تدل على وجود عمران وسكان فيها في العصور السابقة للميلاد ، وقلنا أنه في اللحف الغربي من الصفا خربة تدعى (خربة الأنباشي) ملأى بأطلال الدور والشوارع والقبور ، إلخ ...

إلا أنه خلال طبع هذا الكتاب في شهري نيسان وأيار سنة ١٩٤٧ ، ذهب صديقنا السيد محمد علي صبري الخبير الجيولوجي في وزارة الاقتصاد الوطني وزار بعض بقاع الصفا ، ومنها خربة الأنباشي المذكورة ، ولشد ما كانت دهشته عظيمة عندما عثر على آثار لا تتفق مع ما بلغنا وكتبنا أنها أطلال دور وشوارع وقبور ، بل وجد هناك آثار هياكل عظمية بشرية وحيوانية ، بعضها تحت طبقة بازلتية خفانية ، وبعضها تحت غطاء من الرماد البركاني الكثيف ، وبعضها في حالة عجيب مندمج مع الحمم البركانية نفسها ، وعثر أيضاً في مكان يدعى (الهبارية) على أحافير (مستحاثات) بشرية وحيوانية ، انطبعت فيها العظام على حمم بازلتية ، كما عثر أيضاً على قطع صغيرة من الأحجار الصوانية المنحوتة

والمشذبة على هيئة سكاكين ، مما يدعى أدوات ظرائية كان يستعملها الإنسان الأول في عصور ما قبل التاريخ ، وكلها قد رأينا ولمسنا ، وقلبنا معاً وجوه التفكير فيه .

وقد فتح هذا الاكتشاف الفجائي باباً جديداً للبحث الجيولوجي العلمي في حرة الصفا وما جاورها ، فقد ذهب الظن بل الترجيح إلى أن تلك العظام البشرية والحيوانية المحطمة ، لابد أن تكون عائدة إلى زمن سابق للحقب الرباعي الذي كثر فيه انفجار البراكين وصعود الحمم والطفوح النارية ، واندلاعها على سطح الأرض وتصلبها ، وصيرورتها الحارر والأوعار الهائلة المنظر ، ومنها هذه التي سميت بعد بالصفة واللجة والراجل وديرة التلول وغيرها .

وذهب الظن أيضاً إلى أن هذا الزمن السابق لابد أن يكون في أواسط العصر الأخير للحقب الثلاثي المسمى العصر البليوسيني ، الذي يعتقد الجيولوجيون نشوء الإنسان الأول خلاله . فإن صحت هذه الظنون تكون هذه الآثار التي اكتشفها الحبير الدمشقي المهام أقدم من كل أثر جيولوجي عثر عليه حتى الآن في بلاد الشام ، وتكون هذه الحارر والأوعار قد طمرت أوقضت على أقدم إنسان وجد في بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ ، وأن هذا الإنسان الأول هو غير الإنسان الثاني الذي جاء بعد في عصور التاريخ القديمة السابقة للميلاد ، وسكن الصفا ثم انقرض بعد أن أبقى كتابات عديدة على صخورها البركانية ، وكان له لغة سامية عربية خاصة دعاها علماء الآثار (اللغة الصفوية) ، كما ذكرنا ذلك في الصفحة ٨٣ .

أما كيف كان الإنسان الأول المذكور ؟ وقبل كم ألف سنة ؟ وكيف كانت حالته ومعيشته ومداركه ؟ وماذا حل به لما داهمته انفجارات البراكين التي أوجبت حصول حارر الصفا واللجة والراجل ؟ وهل هذه العظام المكسدة في (خربة الأنباشي) هي عظام الأناسي الذين طمرتهم الحمم كما طمرت سكان مدينتي بوميء وهركولانو في إيطاليا سنة ٧٩ ميلادية لما ثار بركان فزوف على حين غرة ، أم هي عظام موتاهم في المقابر ، والأحياء وقتئذ هربوا ونجوا ؟ ذلك ما لا يعلمه إلا الله . وعلى كل حال لاتزال هذه القضية المفاجأة ، وهذه العظام النخرة وقطع الحمم المعجونة فيها تلك العظام تحت البحث والدرس ، ريثا يصدر القرار الأخير عن عمرها ، وأصلها ، وكيفية حدوثها ، والتطور البشري والحيواني الذين نشأ عنها .

حرة الراجل

في الجنوب الشرقي من جبل الدروز وعرة عظيمة شاسعة تمتد جنوباً حتى وادي السرحان ، وشرقاً إلى محطة اجفور (حيفا رقم ٤) إحدى محطات شركة النفط العراقية ، وهذه الوعة تدعى (الحرة أو حرة الراجل) لوقوع وادي الراجل في وسطها ، والحرة في اللغة الحجارة السود ، قال ياقوت في معجم البلدان : الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، والجمع الحرات ، والحرات بين دمشق والمدينة كثيرة ، عد منها ٢٨ ، أعظمها شأناً حرة الراجل التي نذكرها ، قال النابغة :

يؤم بربعي كأن زهاءه إذا هبط الصحراء حرة راجل

وهذه الحرة مؤلفة من حجارة بركانية صغيرة مصفوفة كصف بلاط الطريق ، قذفتها قم جبل حوران كما قذفت حرتي اللجاة والصفاء ، ويظهر أن قوة القذف نحو حرة الراجل كانت أضعف منها في الحرتين السابقتين ، فجاءت المقذوفات هنا ضئيلة وعلى غير اتصال ، فصخور حرة الراجل قد تشققت وتحددت وتقطعت على كر الدهور ، لا سيما بتسلط عامل البرد فسقط بعضها وتدهور ، وأثر فيها الهواء فسودها ، والسيول فدحرجتها ودملكتها ، وبين هذه الصخور رجوم مؤلفة من رضام ضخمة ، وفي منخفضاتها بطائح يدعوها البدو قيعان جمع قاع ، ويسقي الحرة وادي الراجل الذي ذكرناه ، ولذا نسبت إليه ، ويشقي في هذه الحرة أعراب الجبل الدرزي كالشرفات والعظيمات والمسايد ، فإذا جاء الصيف سعدوا إلى جبل الدروز ، واحتلوا صبيه الشرقي ، ويستدل من الرسوم التي على صفائح الحجارة بين الكتابات الصفوية أن عدة حيوانات كانت في هذه الحرة ثم انقرضت ، منها ضروب من الوعول والأسد ، ويظهر أن الحرة كانت في العصور الغابرة مأهولة ؛ تدل على ذلك أطلال المباني الحجرية ، والأدوات الظرائية ، وآثار المخافر ، والرصيف الروماني المتجه من صلخد نحو الخليج العربي ، أما الكتابات الصفوية فكثيرة ، وقد اجتازت الحرة السيدة الإنكليزية الليدي بلانت ووصفتها في كتاب رحلتها إلى نجد في سنة ١٢٩٦ هـ ، وقد تسنى لكتاب هذا المقال اجتيازها في صيف سنة ١٣٦٠ هـ (تموز سنة ١٩٤١ م) في طريقه من بغداد إلى المفرق ، وقد مرت سيارتنا في وسطها ، من طريق معبدة مقيرة مستقيمة من أحسن الطرق وأكملها ، شاهدة بمضاء عزم الذين فتحوها ، وشقوا

تلك الصخور القاسية ومهدوها ، وفي وسط هذه الطريق إحدى محطات أنابيب النفط العراقية ذات الرقم ٥ (اجفايف) ، وهذه الأنابيب قادمة من كركوك في العراق إلى حيفا في ساحل الشام .



عشائر محافظة حمص

هذه المحافظة واسعة (١٤١٦٥٠ كيلو متراً مربعاً) لكن أكثرها بادية خواء قواء ، وهي تتاخم في أطرافها الجنوبية الشرقية الحدود الأردنية والعراقية ، ومن ثم كانت مسرحاً وموئلاً لعشائر شتى ، بعضها ينزل في المعمورة في قضاء حمص نفسه ، وبعضها في البادية حول القرى المعروفة بالمنظر ، كتدمر والسخنة وأرك والطيبة والقريتين ، وبعض هذه العشائر من عنزة ، وبعضها من أعراب الديرة ، فن عنزة في هذه المحافظة : قسم من الروالة والولد علي والسوالة والأسبعة وكل الأحسنة ، يجاورها في داخل الحدود العراقية من عنزة أيضاً عشيرة العمارات التابعة إلى العراق ، ومن أعراب الديرة هنا : بنو خالد والفواعة والعقيدات والنعم والعمور والحروك ، كما أن في بوادي قرى المناظر عشيرة بدوية غريبة الوصف والحال تدعى (الصليب) ، وسنذكر جميع هؤلاء بالتتابع .

الروالة

ينزل قسم من الروالة ومعهم قليل من السوالة رهط ابن جندل في القبيظ حول بئر القمقوم وعين الجبابة والفركلس وحسية ، وحين النجعة يلتحقون بفرق الروالة القادمة من الجولان والغوطة ، ويبلغون منطقة الخبرات في الحماة ، كما تقدم الكلام على ذلك ، ومكان الاجتماع في القريتين من أعمال محافظة حمص ، وللروالة في ناحية القريتين ثلاث مزارع : الأولى المحسة التي تبعد عن القريتين نحو ١٨ كيلاً إلى الجنسوب ؛ يملكها الشيخ علي العرسان ، والثانية الباردة ، والثالثة البصري اللتان تبعدان عن القريتين نحو ٦٠ كيلاً إلى الشرق ، ويملكها الأمير فواز الشعلان ، ويزرع الشيخ خشم القعقاع في السبع أبار على طريق دمشق - بغداد ، ولا تعرف مساحة هذه المزارع ، ولا متى يجودها الغيث فتغل .

الولد علي

يأتي بعض الأفناد من ربع ابن سمير (الأمشظة) من منازل في قضاء الزوية إلى أراضي محافظة حمص ، ويتبدى فيها على نهج الروالة .

الأسبعة

تنزل فرقة المساربة من الأسبعة البطينات حول قرية أم حارتين في ناحية جب الجراح شرقي حمص ، وقد حاول أحد شيوخهم وهو صالح المسرب قبل عشرين سنة استلاك قرية تلوق القطا من (أملاك الدولة) فلم يتيسر له ذلك .

الأحسنة

عشيرة عنزية صغيرة من ضناً مسلم وبطن الوهب وفخذ المناهبة ، فهم بذلك أبناء أعمام الروالة والحلف وأشقاء الولد علي ، الذين يؤلفون كما قدمنا الفخذ الثاني من بطن الوهب ، ومن ثم كانت الأحسنة على أحسن الصلات وأمتنها مع أقاربها هؤلاء .

وأفخاذ الوهب وعشائره يترجعون بين نجد والشام ، وكثرتهم الغالبة اليوم في المملكة السعودية ، وكما غلبت في بلاد الشام عشيرة الروالة على جميع الأسماء التي هي من بطن الجلاس ، كذلك غلبت عشيرة الأحسنة على جميع الأسماء التي هي من بطن الوهب ، فصارت الناس تقول عن ضناً مسلم أنهم فرعان : الروالة والأحسنة . لكنهم حينما يبدوون في التفرع والتفخيذ يحسبون في حسابهم الفروع الأخرى .

وفخذ المناهبة الذي منه الأحسنة ، قد نزح بعض فرقه إلى نجد منذ سنين كالصقرة والقراشة والهيشة ، وبعض فرقه لم يأت إلى بلاد الشام بتاتاً كالفقراء الذين يعدون هم والأيدة عنزة شمالي الحجاز .

وعشيرة الأحسنة على قلة عددها وقصر ثروتها ، وانصرافها للاستقرار والتحصن وامتلاك القرى والأرضين قرب مدينة حمص ، لا تزال تعد من أجل عنزة قدراً ورهبة

جانب ، ذلك لما لها في المعارك السابقة من الصفحات الخالدة ، ولأن رؤساءها (آل ملحم) كرماء المحتد وذوو ماض مجيد في الفروسية ، ومقام علي بين بيوتات عنزة ، كما ذكرته الليدي بلانت الإنكليزية في سنة ١٢٩٧ هـ ، وأيده المقدم مولر الفرنسي على ما ذكرناه سابقاً ، لا سيما وأن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود هو من فرقة المساليخ من الأحسنة ، وهو يحل قدر الوافدين عليه منهم .

والأحسنة في رأي المحققين هم مع الولد علي السابقون الأولون في القدوم إلى بلاد الشام بين عنزة كلها ، وقد قدمنا الكلام على كيفية خروجهم من شمالي الحجاز في أواسط القرن الحادي عشر ، وكيف أغاروا في طريقهم على الجوف ، ودحروا عشيرة السرحان وأنصارها من بني صخر وتديروا الجوف مدة ، ولما لم يكنهم ، زحفوا شمالاً نحو مشارف الشام فاجتازوا وادي السرحان وبلغوا مشارق عجلون وحوران فنازعتهم عشائرها القديمة (أهل الشمال) التي تكلمنا عنها ، لكنهم تقووا عليها وفازوا ، وشقت الولد علي لنفسها طريقاً إلى الجولان ، واستقرت فيه ، أما الأحسنة فقد استأنفت الزحف ، وبلغت ديرة الشنبل مشارق حص وحماه ، فقوامتها عشيرة الموالي ، فما زالت تقارعها حتى أبعدتها نحو كورة العلا ، بعد أن كانت سيدة هذه الديرة منذ قرون ، ثم قارعت بعدها عشائر شمر الوافدة من نجد ، وما زالت بها حتى حملت هذه أيضاً على عبور الفرات والابتعاد إلى الجزيرة كما ذكرناه في بحث شمر ، ومن ثم وطدت الأحسنة أقدامها في براري حص وحماه ، وفرضت السيطرة والقوة على قراها وقوافلها إلى أن وفدت بقية عنزة من ضناً بشر (الفدعان والأسبعة والعبارات) في أوائل القرن الثالث عشر ، فنازعتها القوة والعزة المذكورتين وأضعفتها كثيراً حتى أضاعت عطفتها لما هاجتها مرة جموع مشتركة من الفدعان والموالي ، بحيث لم يبق في حدود سنة ١٢٦٧ هـ في عهد السلطان عبد المجيد حول الشيوخ آل ملحم إلا أفخاذ وأعداد قليلة ، ومن ثم صارت الأحسنة تلحق الروالة ، وتسير تحت لوائها ، وتتبع سياستها .

وقد ذكرها بر كهارت في رحلته سنة ١٢٢٤ هـ فيما قاله : « هم أقل عشائر عنزة عدداً ، ويتألفون من فرعين ، الأول الأحسنة الأصليين ، وشيخ هذا الفرع منها ، ينزل البادية عادةً شرقي طريق دمشق - حص ، إن شجاعة الأحسنة وكرمها وقراها الضيف مما

يضرب به المثل ، وفرق هذا الفرع العويمر والرفاصجة والمهينات والهداج والشرابعة والشمسي وهم أنبل الأحسنة طراً ، ويقال : أن البدوي من هؤلاء الشمسي حائز على كل مناقب البداوة الحسنة ، والفرع الثاني المساليخ يتبعون لواء المهنا ويعدون من حواشيهم ، وإن كانوا أكثر عدداً ، وفرقهم بني رشود وبني طليحات والبلسان والسالك واللهتمي ، ويقال : أن الأحسنة كانت عشيرة واحدة ثم تجزأت بين أخين ، إن الأحسنة والمساليخ يأخذون أتاوات من القوافل المارة من الشام إلى العراق ، كما يأخذون خوات من القرى المتطرفة . انتهى ما قاله بر كهارت قبل نحو قرن ونصف .

وذكر الأحسنة أيضاً محمد البسام في كتابه فقال :

« ومن عنزة آل فاضل ذوو البراز والتناضل ، وهؤلاء هم حكام عنزة سابقاً ، ويعرفون بالأحسنة » وجاء ذكر الأحسنة في حوران سنة ١١٩٣ هـ في مقال عن جبل عامل بحثنا عنه سابقاً في فصل تاريخ عنزة ، وكيف ردت الجموع المتألبة عليها من متاولة وسردية وصخور وصقور ، وكانت هذه المعركة بقيادة فاضل المزيدي ، وجاء ذكرها أيضاً في تاريخ حيدر الشهابي في بحث مشاركة مهنا الفاضل في سنة ١٢٣٠ هـ جيش والي دمشق سليمان باشا السلحدار ، في هجومه على الفدعان وغيرها من عشائر عنزة القادمة إذ ذاك من نجد إلى ديار سلمية وحلب كما نقلناه في بحث عشيرة الفدعان ، قيل : إن الذين ترأسوا الأحسنة منذ أن جاؤوا بلاد الشام هم : فاضل وعبد الله الفاضل وجديع القبلان المعروف بأخي مودي ومهنا وناصر ومحمود ومزيد وفارس وملحم ومحمد وسعود وفندي وطراد وثامر .

وجاء ذكر الأحسنة أيضاً في (مجموعة المحررات السياسية في سوريا ولبنان) ما خلاصته : أنه في حدود سنة ١٢٧٥ هـ قام فارس المزيدي رئيس الأحسنة النازلة حول القريتين ونزع إلى الثورة ، ولطالما كان على خلاف مع الحكومة العثمانية ، فجاء إلى دمشق للصلح ، فلما أحس منها رغبة القبض عليه انسل من دمشق خفية وجاهر بالعصيان ، إلخ .. هذا وتاريخ الأحسنة طافح بأخبار المعارك بينها وبين شمر ، ثم الفدعان والأسبعة ثم الروالة ، وعلى الأخص بينها وبين الموالي ألد أعدائها ، وهي قد ظلت تقارع الجميع وتبزم في أكثر الأحيان ، ومن وقائعها التي تتناولها الألسن تلك التي حدثت بينها وبين

الموالي خلال سني ١٢٨٠ - ١٢٩٠ هـ ، غزاهم فيها أمير الموالي أحمد بك ، وكان قصده اختطاف فتاة منهم اسمها (حربة المزيدي) فردوه على قلة عددهم ، وقتلوه ودفنوه في بيت أحدهم الشيخ ملحم الفارس ، ولشعراء العشيرتين قصائد يفاخر بعضهم بعضاً بها ، درجنا شيئاً منها في بحث الشعر في البادية (ج ١ ص ٣١١) .

وقد أدت تلك الوقائع المتكررة إلى ضعف الأحسنة منذ سنة ١٢٥٠ هـ ، وتناقص عددها الذي هو الأقل في كل عزة منذ القديم ، واضطرت إلى أن تعترف عن البداوة ، وتنصرف نحو الحضارة ، فتملكت عدة قرى أو ضيعات شرقي حمص ، كالشيخ حميد والبوير وبرزة والمزرعة والجاسمية ، وصارت تحترق وتزرع ، على أنه لا يزال كثيرها يقيم في بيوت شعر ، وقليلها في بيوت المدر .

ومن رؤساء الأحسنة القدماء عبد الله الفاضل المشهور ، صاحب القصائد والمقطوعات التي يفخر بها بقومه على الناس ، ويشكو في بعضها الزمن حتى ضرب المثل به .

وخلال الحرب العامة الأولى أعدم الترك الشيخ محمد الملحم ، وقالوا : إن ذلك لشقاوته ونزواته العديدة ، وقال المرحوم الشيخ طراد : إن سبب الإعدام هو عزم محمد الملحم على اللحاق بالأمير فيصل بن الحسين حينما نهض بالثورة العربية ، فعلمت الحكومة التركية بذلك ، فألقت القبض عليه وصلبته .

وكان الشيخ محمد الملحم المذكور من الفرسان المغاوير ، تحدث عنه اسكندر يوسف الحايك اللبناني مؤلف كتاب (رحلة في البادية) ، وقد لاقاه في براري القريتين في نيسان سنة ١٩١٤ م ولبي دعوته إلى مضارب عشيرته ، فما قاله في وصف هذا الشيخ وعشيرته الأحسنة :

« وكنت لاحظت بأن بالشيخ عرجاً فسألته عن سبب ذلك ، فأجابني قائلاً : قتل والدي ، وكنت صغيراً قاصراً ، فانتقلت مشيخة عشيرتنا إلى عمي ، ثم اتفق أن قتل عمي ، فأراد أولاده أن يستأثروا بالمشيخة وكنت أولى بها منهم ، فتنازعنا وتحاربنا ، ولكني تغلبت عليهم في آخر الأمر ، وفي خلال المعارك التي دارت بيننا أصبت بضربة سيف في رجلي ، كانت سبباً لعرجي ، ولما كانت الوسائل الطبية والصحية بعيدة المنال في هذه

الفيافي ، لم يتسن لي أن أتعالج فبقيت على ما ترى ، قلت : وماذا فعلت بأبناء عمك بعد انتصارك عليهم ؟ قال : تركتهم وشأنهم ، حافظاً كرامتهم ساهراً على راحتهم كل السهر ، وهم الآن يعيشون معي ، لا حقد بيننا ولا ضغينة ، يعترفون لي بالمشيخة ، خاضعين لأحكامي نظير كل فرد من أفراد العشيرة ، ولا تعجب إذا قلت أنهم من أشد أعواني غير علي وحباً بي ، قلت : ألا تخشى غدرهم ؟ قال : حاشا وكلا ، إنما نحن عرب لا يغدر أحدنا بالآخر ، وإذا شاء أعرابي منا أن يحارب أعرابياً مثله حاربه علانية ، وأخطره قبل ذلك مراراً ، طالباً منه مطالب إذا رفضها وقعت بينها الواقعة ، وإلى الآن لم يحدث في عشيرتنا ما يشتم منه رائحة الخيانة ، وما الخيانة إلا دأب الجبناء ، وليس جبان بين أبناء عمي ، فإنهم بأجمعهم بواسل شجعان ، ذوو نفوس عالية وأخلاق آبية ، وما زال الشيخ يحدثنا بالأحاديث اللذيذة إلى أن انتهينا إلى مضارب العشيرة ، وقد استقبلنا كوكبة من الفرسان ، بأهازيج الطرب وأناشيد الفرح ، قائلين : (تشريفشم غالي شتير) أعني : تشريفكم غالي كثير ، وكان جميعهم يرددون بالصوت الواحد : (يا مرحباً بالضيوف يا مرحباً) .

وما هي إلا هنيهة حتى شرعوا باللعب رياضية تذهل الألباب ، وأهم ما يذكر حركات الخيل ، حين تهاجم الفرسان فإنك لترى الجواد مسرعاً من تلقاء ذاته إلى الموقع الملائم براكيه ، فإنه يدرك ما يجب عليه لتوفير العناء على الفارس .

لم أر بين هذا العدد العديد من الفرسان من يمسك بيده لجاماً أو رسناً ، بل كان كل منهم يلعب فرسه ويديرها بإشارة يعملها بسيفه أو بندقيته أو رمحه ، لأن كلاً من الفوارس يحمل هذه الأسلحة ، وعلى صدره كمية كبيرة من الخرطوش ، والسيف على جنبه ، والبندقية في كتفه ، والرمح بيده الشمال ، ممدود عرضاً على السرج ، ومنهم من يضع البندقية بين أذني الفرس سانداً إياها على رأسه ، الفرس يركض ورأسه لا يتحرك ، ومنهم من يضع الرمح على السرج عرضاً متوازناً ، فلا يقع رغم كثرة الألعاب ، وسرعة الحركات واختلافها ، وكثير منهم يدورون تحت بطن الفرس ، ثم يعودون إلى السرج ، بينما الفرس تسير بسرعة البرق ، ومنهم من يطرح السيف على الأرض والفرس تنهب الأرض نهباً ، ثم يأخذه بقبضته ، ومثل هذه الألعاب كثيرة مدهشة ، أجروها أماناً وأكدت لنا أنهم بالحقيقة أمهر الفرسان « اهـ .

وقد أدى إعدام محمد الملحم المذكور إلى أن تنحاز الأحسنة وتقتد إلى القضية العربية ، فذهبت وناصرت المرحوم فيصلاً ، ونالت منه أعطيات كبيرة ، وكان الشيخ طراد وجماعته مع نوري الشعلان وخيالة الروالة حينما دخلوا دمشق في أيلول سنة ١٩١٨ م مع الجيش الفيصلي .

وفي سنة ١٢٥٢ هـ (١٩٢٩ م) وبعدها كان للأحسنة نصيب كبير في النزاع الناشب بين ضناً مسلم وضناً عبيد الذي انتهى بصلح عقد في المفوضية العليا الفرنسية في بيروت كما قدمنا في بحث الروالة .

ويذكر أن الشيخ فندي أبا الشيخ طراد كان حسن السيرة موفور الكرامة ، ولما أسن وعجز أودع المشيخة في سنة ١٣٤٣ هـ إلى ابنه طراد ، فقاد الشيخ طراد العشيرة أحسن قيادة ، وقد كان من مقدمي رؤساء العشائر في نباهة الجنان وطلاقة اللسان ومعرفة الذود عن حياة مصالح العشائر في المجلس النيابي ، وكانت صلاته كبيرة مع أهل حمص ، ومراجعاته لا تنقطع لدور الحكومة الوطنية وخاصة دور الاستخبارات الفرنسية في حمص ودمشق ، يلاحق ويحل مشكلاته ومشكلات غيره ، بما له من دالة الولاء لديهم ، وكان إلى ذكائه ونشاطه وفروسيته هام في أعمال الزراعة تواق إلى امتلاك الأرضين واستثمارها ، ومازال هذا دأبه حتى قتل ولقي ربه في كانون الثاني سنة ١٩٤٦ م .

وسبب ذلك أنه شجر في عام ١٩٤٥ م بين عشيرتي الأحسنة والنعيم خلاف على أراضي من أملاك الدولة في موقع النهدين شرقي حمص ، كان الفريقان طلبا إحياءها من إدارة أملاك الدولة ، ولم يحيوها خلال المدة المضروبة ، ثم سبق الشيخ طراد ووضع يده عليها ، فعارضه النعيم وشكوه محتجين بأنهم أقدم منه في الطلب ، وألفت لجنة تحكيم قضت بتفويض الأرض للشيخ طراد ببديل المثل ، على أن يعوض النعيم بخلافها في مكان آخر ، فلم يرق هذا للنعيم ، وتعارك الفريقان وقتل من النعيم أشخاص ، كما قتل من الأحسنة بدر أخو الشيخ طراد وآخرون من رجالهم وعبيدهم ، فأكرهت الحكومة النعيم على الانسحاب نحو قرى إخوانهم في قضاء سلمية ، لكن الفتنة لم تترقد ، وظل الفريقان يتحفظان ويعتدي بعضهما على بعض ، وارتفعت شكاوى شركائهما في الغنم من أهل حمص ، وأهمل المسؤولون حسم الأمر إلى أن تفاقم الخطب ، وجاء اثنان من النعيم إلى دمشق أحدهما شاب اسمه

شلاش الناصر من فرقة الدخيلة ، فقتل الشيخ طراد الملحم في ساحة المرجة في رابعة النهار وأمام الناس في كانون الثاني سنة ١٩٤٦ م ، وقد أطلق عليه الرصاص وهو يهيم بركوب سيارته ، وألقي القبض فوراً على القاتل المذكور ورفيقه أحمد عزو الحمد ، وقد ارتجت بلاد الشام وقتئذ لهذه الحادثة النكراء ، وحزن الجميع على المرحوم الشيخ طراد لما كان عليه من الخلال الحميدة ، ونقل جثثانه إلى حمص وجرت له جنازة حافلة ، وأسفرت المحاكمة عن الحكم بإعدام المجرمين ، إلا أن أحدهما أحمد بن عزو الحمد اعتبر متداخلاً فرعياً في الجريمة ، فأُنزلت عقوبته إلى السجن بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات ، والمجرم الفاعل شلاش الناصر اعتبر غير مكمل السن الثامنة عشرة ، فأُنزلت عقوبته إلى السجن لمدة خمس عشرة سنة ، مع تغريمها الدية الشرعية البالغ قدرها ٢٥٤٠٠ ليرة سورية تدفع بالتكافل والتضامن إلى ورثة المقتول ، مع منع كل منهما من الإقامة في مدة عشر سنوات في منطقته .

أما رئاسة عشيرة الأحسنة ومنصب النيابة فقد وسدتها أخيراً إلى الشيخ تامر نجل المرحوم الشيخ طراد بنتيجة الانتخاب ، وهو شاب في ميعة صباه ، نبهه نشيط ، ويرجى أن يكون خير خلف لوالده في المقدرة وإدارة العشيرة وإدامة سمعتها الطيبة القديمة .

هذا وعلى أثر حادثة القتل خشيت النعم العاقبة ، وتهدأت للدفاع ، وتداخلت قوى أمن البادية في حمص وسلمية ، فأبعدت النعم نحو الشمال إلى جبل البلعاس ، ومنعت وصول الأحسنة وأنصارهم إليها ، كما وقفت عشيرة الموالي في جانبها ، وقد نكبت عشيرة النعم نكبة كبيرة من جراء هذا الابتعاد عن منازلها ومزارعها ، ومن سحب شركائها المحصيين غنهم من عندها ، ومن وطأه الذين تولوا المنع عنها والوقوف في جانبها وغير ذلك ، ولما تنته هذه المشكلة حتى طبع هذه الأسطر .

منازل الأحسنة - تفد الأحسنة عنزة محافظة حمص ، فبعضها يقيظ في الضيعات التي ذكرناها ، وبعضها بين قرى تل شنان والقصير وبحيرة قطينة ، وبعضها كالحجاج والأبي عيد والصقرة والمساليخ يبلغون سهل البقاع وأنحاء بعلبك ، وفي الخريف يفدون إلى حسيه وصدد ، فإذا حل الشتاء ينجعون الحماد ويلحقون الروالة ، وسبيلهم إلى الحماد صدد ومهين وحوارين والقريتين وعين الباردة وعين هلبا في جنوبي تدمر ، ومنتهاهم داخل الحدود العراقية في منطقة الخبرات قرب الروالة ومعهم ، إلا أنهم لا يوغلون في الحماد بقدر الروالة ،

ولا يتجاوزون جبل التنف وخبرة الزرقا ، وأكثر الغنامة من الأحسنة لا يتجاوزون القريتين ، وفي الصيف تجزيهم بحيرة قطينة أكثر من غيرها ، والأحسنة في الجملة أصبحت لا تعد من أهل الإبل ولا من أهل الشياه بل هي بين بين ، وقد قصرت مدى نجعتها عما قبل ، إلا المساليخ فإنهم قد يبلغون الجوف في إيغالهم في الحماد .

فرق الأحسنة - قيل أن جدّهم الأعلى هو وهب المعداد من ضنا مسلم ، وأن وهباً هذا أعقب علي ، ومنه عشيرة الولد علي التي تقدم ذكرها ، ثم أعقب منبه ، ومنه عشيرة المناهبة التي سيأتي ذكرها ، فمنبه جد المناهبة أعقب ثلاثة إخوة : حسين ومنه الأحسنة ، وحسن ومنه المساليخ ، وخمعل ومنه الخماعلة ، فالأحسنة ينقسمون في يومنا إلى فرق عديدة ، هذه أسماؤها وأسماء رؤسائها : الجحيم لخالد الخضر والشسي لعلي الحينة ، والعويم لفرج بن رشيد ، وهؤلاء صاروا مع الحديديين ، والقضة لربيع بن راشد ، والصقرة لسليمان الحسين ، وهؤلاء نزحوا إلى نجد منذ سنة ١٩٣٣ م والشرابة لصقلان بن شامان ، والقبلان والملحم لثامر الملحم ، أما المساليخ فينقسمون إلى القراشة لابن رشود ، والهيشة لعجيل بن يعيش ، (وأسرة هذا الشيخ أقرب الأسر إلى جلالة الملك ابن السعود) والهتيني لجاسم المحسر ، والقراشة والهيشة متخلفتان في نجد والجوف ، أما الخماعلة فينقسمون إلى الحجاج لدعاس بن غبن ، ومن هؤلاء قسم قليل نزح إلى فلسطين منذ سنة ١٩٣٢ م . والفقرء لسلطان بن فقير والأبي عيد للملحم الخضر ، ويذكر أن رئيس المناهبة كلهم في بلاد الشام كان الشيخ طراد الملحم ، والآن ابنه تامر ، ورئيسهم في شمالي الحجاز هو سلطان ابن الفقير .

لواحق الأحسنة - أول لواحق الأحسنة هم العمور الذين منهم فريق التحق بالأحسنة ، وصار ينسب إليهم ، أو إلى آل ملحم ويدعى عمور الملحم ، وفيه ثلاث فنود ؛ البرقع لفاضل المطرود ، والعدوان لعواد الجلعوط ، والعلوي لمرعى البداح ، وثاني لواحق الأحسنة هم الفواعرة الذين سيأتي ذكرهم .

عدد الأحسنة - قيل أن عدد الأحسنة الأصليين المناهبة ٤٠٠ بيت ، وعدد لواحقهم ٣٠٠ فالمجموع ٧٠٠ بيت . وأن عدد أسرة الملحم نحو ٣٥ بيتاً فيه كثير من العبيد والخدم .

شجرة نسب آل ملحم - قيل أن أول من حفظ ذكره منهم هو مزيد الأول ، وقد أعقب هذا ملحقاً الذي أورث اسمه هذه الأسرة ، وجاء من ملحم فاضل الذي كان في حدود سنة ١١٩٣ هـ على ما قدمنا في بحث عنزة ، وجاء من فاضل عبد الله الشاعر المشهور الذي انقطع نسله ومهنا ، ولعل مهنا هذا هو الذي ذكره بركهات في سنة ١٢٢٤ هـ ، وجاء من مهنا عبد العزيز وأحمد ، ولعل هذا هو أحمد المهنا الذي قيل إن إبراهيم باشا المصري أعدمه ، وجاء من عبد العزيز مزيد وهو مزيد الثاني وأحسن من عرفت شجرته هو مزيد الثاني هذا ، تلاها لي المرحوم الشيخ طراد على النسق الآتي :

من مزيد الثاني جاء فارس وعبد العزيز وراجح .

أما فارس المزيد فنه محمد وسعود وملحم وصفوق ، فمن محمد الفارس محي الدين وفرحان ، ومن محي الدين ماجد ، ومن سعود الفارس فندي ومحمد ، ومن فندي محمد وعبد الهادي وبدر (الذي قتل في حادثة النعيم) وطراد وعبد الرزاق ، ولطراد ولدان تامر وعبد العزيز ، ومن ملحم الفارس محمد الذي صلب في الحرب العامة ، ومن محمد السعود عبد الكريم الذي قتل في إحدى الغزوات ، ومن صفوق الفارس عودة وعيادة وعائد وشامان ، ومن شامان فواز ومنه أحمد ومحمد .

أما عبد العزيز المزيد فنه ربيع وعبد الله وسليمان ، فمن ربيع العبد العزيز ، وأحمد ومحمد ودياب ، ومن أحمد وهب وعناد ، ومن محمد عبد الرزاق وصفوق ، ومن عبد الله العبد العزيز ودعار وعبيد ، فمن دعار ماجد وبشير ، ومن عبيد سعود ، ومن سليمان العبد العزيز فاضل ومفلح .

أما راجح الفارس فنه فيصل ، ومن فيصل نوري ومحمد وهزاع ، فمن نوري الفيصل فيصل وطرودي وراجح ، ومن محمد الفيصل تركي ودعار ونايف وناصر ، ومن هزاع الفيصل ماجد ومحمد .

وفي آل ملحم فرع آخر اسمه قبلان ، أوله قبلان ، ومنه نايف ومصلح ، ومن مصلح ممدوح ، ومنه عبد العزيز وعبد الرزاق وعبد الهادي وفرحان .

العمارات

العمارات عشيرة عنزية كبيرة تقطن بادية العراق ، وهي الوحيدة بين عشائر عنزة في انضوائها إلى المملكة العراقية . ومنازلها تمتد على شاطئ الفرات شمالاً من كربلاء إلى عانة والبوكمال ، وجنوباً إلى حدود النفود ، وقد تبلغ في نجعتها أراضي نجد إذا لم تجد لأنعامها محلاً آخر ، ففي أوائل الربيع تجدها في الوديان غربي كربلاء وفي منخفض القعرة ، وفي الصيف تجدها إما على شواطئ الفرات ، أو مجتمعة حول الآبار والغدران في وادي حوران المتجه نحو الفرات ، وكثيراً ما كنت أصادف قسماً منها في سفري بالسيارات بين دمشق وبغداد ضاربة أطنابها حول محطة الرطبة الواقعة على وادي حوران ، ويقدر عدد العمارات بـ ٤٠٠٠ بيت .

والعمارات فرعان : الجبل والدهامشة ، وجبل ودهمش أخوان ، ففرع الجبل في رئاسة الشيخ محروث بن فهد بن عبد المحسن بن الحميدي بن عبد الله بن هذال بن عدينان بن جعيثن بن جمعة بن حبلان ، وكان الشيخ فهد ذا شأن في أيامه ، ويعد من أفذاذ الرجال ، وقد عمر طويلاً ، واشتهر بموالاة الحكومة العثمانية فنحته لقب (بك) ، وابنه الشيخ محروث هو الآن شيخ مشايخ عنزة العراق ، ويملك كثيراً من حدائق النخيل في الرزازة وخان البغدادي وغيرهما من قرى الفرات ، ونخوة فرع الجبل (أخوة بتلة) ، وهذا الفرع ينقسم أولاً إلى بطن الحبلان ومنه آل هذال ، وفي هذا البطن أفخاذ آل عبد المحسن الرؤساء والجعيثن والسحيم والحسن وآل حسين والدشاش والهيازع والختارشة والغشوم والبسيسات والمدامغ والذبية والعيير ، ثم بطن الصقور ، وفيه أفخاذ الجلال والدهمان والمصاعب والدلم والثوييت والعطيفات ، ثم بطن السلقا ، وفيه أفخاذ الشملان والمضيان والمطارفة .

أما فرع الدهامشة ففي رئاسة حزاع بن راكان بن مجلاد ، وفي هذا الفرع بطون العلي والحلف والجلاعيد والسويلمات والسلطين ، ولكل من هؤلاء أفخاذ عديدة يطول شرحها ، وقد كان فخذ الزبنة من بطن العلي من فرع الدهامشة جاء في سنة ١٣٣٨ هـ برئاسة محمد بن تركي إلى بادية الشام ، وبقوا خمس سنوات ، ثم عادوا إلى بادية العراق ، واستقاموا برهة ، ثم ساروا إلى نجد ، وذهب معهم جميع عشيرة الدهامشة ، وبقوا مترددين

بين العراق ونجد ، يتبعون الكلاً ، والآن منهم جماعة مع الشيخ محمد التركي ومناحي بن بكر ، وباقي أفخاذ الدهامشة الآن في نجد مع رئيسهم العام جزاع بن مجلاد .

وألد أعداء العمارات هم شمر ، وهذا العداء قديم وموروث منذ أكثر من قرن ، ومن ثم كانت الغارات بين هذين الجمعيتين المتجاورين متكررة ومتقابلة ، تكاد لا تنقطع ، إلا أنها قد فترت منذ عهد قريب ، واستقر الصلح بينهما الآن وحل الصفاء ، وكذلك العداء قديم بين العمارات والضفير إحدى عشائر جنوب العراق ، وكان الحرب أيضاً بينهما مستمراً في حدود سنة ١٣٤٥ هـ إلى أن أوقفته الحكومة العراقية .

وتعتمد عشيرة العمارات في تحصيل مؤنتها من الرز والتر واللباس على قرى الفرات ، وسوقها الرئيسي وميناء صحرائها كربلاء ، فتشتري منها ومن شتاته مقادير كبيرة من التمر ، وهي متكفلة في يومنا للحكومة العراقية بحفظ الأمن والنظام على طريق الصحراء بين الشام والعراق .

بنو خالد

قال القلقشندي في كتابه نهاية الأرب عنهم : « بنو خالد عرب حص بطن من بني مخزوم من قريش من العدنانية ، وهم رهط خالد بن الوليد ، وهم يدعون النسب إليه ، بينما أجمع النسابون على انقراض عقبه ، ولعلمهم من ذوي قرابته من بني مخزوم » قال في مسالك الأبصار : « وكفاهم بذلك فخراً أن يكونوا من قريش ، وقد ذكر الحمداني أنهم من أحلاف آل فضل عرب الشام » ، وقال السيد أبو الهدى الصيادي الخالدي في رسالته الروض البسام : « وقد كان بنو خالد أعظم قبائل الشام شأناً ، وقد تغيرت الآن أحوالهم وضعف شأنهم ، فسبحان الذي لا يتغير ولا يزول ، وتتحير بصنعه العقول ، وقد انقسمت الآن عشيرتهم فرقاً ، منها فرقة آل القاضي بديار دمشق ، وبقية فرق العشيرة بديار حماة ، وهم عدة بطون منهم الصيالة والزمول والبنوة والشقرة وغيرهم ، والرئاسة فيهم إلى الشيوخ آل عبد القادر » اهـ .

قلت يبدو من كلام القلقشندي أن بني خالد وجدوا في أنحاء حص وحماة منذ القرن التاسع ، الذي كان فيه القلقشندي وربما من قبله ، وإذن يكونوا من أقدم عشائر الشام ،

وأكبرها عدداً وأعلاها نجاراً . لكن هذه العشيرة كما قال السيد أبو الهدى الصيادي اخلت على توالي الأيام ، وتقسمت إلى فرق تحمل هذا الاسم ، فبعضها في أقصى حماة وسلمية وحمص ، وبعضها في جبل شحشو غربي قضاء المعرة وشامي أفامية ، وبعضها في ناحية الرمتا من قضاء إربد شمالي شرقي الأردن ، وبعضها في مقاطعة القصيم غربي بلاد نجد ، وقسم كبير لا يزال في الحسا وهو الساحل الغربي من خليج البصرة ، ولعل الأصل من هؤلاء والتوزع والحيء إلى بلاد الشام نشأ من هناك ، إما قديماً منذ القرن التاسع ، أو قبله لنثبت قول القلقشندي ، أو حديثاً في القرون المتأخرة لنثبت الرواية التي يتناقلونها ، قال فؤاد حمزة في كتابه (قلب جزيرة العرب) ص ١٤٦ تحت عنوان خالد : « هذه القبيلة من القبائل العربية المعروفة ، ومنازلها على الخليج العربي ما بين وادي المقطع من الشمال ، ومقاطعة البياض في الجنوب ، وتتوغل حتى منطقة الصمان في الغرب ، وأن قسماً لا يستهان به منها قد تحضر منذ زمن طويل ، واستقر في أنحاء عديدة من القصيم . وأفخاذ هذه القبيلة هي : العماير والصبيح وبنو فهد والمقدام والحاشر والحبور والحמיד ومنهم آل عريعر ، ومن الأفخاذ المتحضرة أناس في البحرين والقطيف ، وفي جزيرتي المساية وجنة وفي الجليل وقطر والحسا والفريفي والكويت والعقير » ، ا هـ .

ومن الأدلة التي توحى قدوم بني خالد في القرون المتأخرة - وقد يكون ذلك لاحقاً بمن سبقهم من أقاربهم الذين نوه بهم القلقشندي في كتابه صبح الأعشى - أن بني خالد تقص رواية في كيفية مجيئها من الحسا ، نقلها لفكاهتها ، ولأن فيها ذكراً لأمرء الموالى الذين يبرزون في كل بحث ، ويذكرون بأنهم سادة بوادي الشام كلها ، قالوا : كان بنو خالد يعيشون في عهد قديم جداً في بلاد الحسا ، فجاءتهم ثلاثة أعوام شديدة المحل ، وكان لشيخ العشيرة إذ ذاك واسمه مشاري بن حميد بنت عابدة ناسكة ، تأوي إلى أكمة شاهقة ، فرأت ذات يوم حملاً قصته على أبيها وقالت : رأيت ماءً نقياً وثراً شهيماً ، والبعد من هنا إلى هذا الماء والثر نحو اثني وعشرين يوماً على النجائب ذهاباً وإياباً ، وعلى القاصد أن يجعل نجمة القطب دائماً على يمينه قليلاً ، فأرسل أبوها ثلاثة رواد بلغوا في اليوم الحادي عشر تدمر ، فوجدوا فيها ما ذكرته ولما رجعوا حدثوا بما رأوه ، فعزمت العشيرة على السفر ، ولما بلغت تدمر لقت فيها أو في براريها عشيرة الوالي ، فطلب أمير الموالى من شيخ

بني خالد أن يزوجه ابنته العابدة الملهمة ، ولما تردد الأب وطلب مهلة للتفكير بادره الأمير بالتهديد والوعيد ، فغضب أحد إخوان البنت وهجم على الأمير وقتله ، ودارت على أثر ذلك معركة حامية ، نكب فيها بنو خالد وأرغموا على العودة إلى الحسا ، إلا أنهم بعد أن لبثوا في الحسا مدة مديدة خطرت تدمر على بالهم ، فقاموا وزحفوا إليها بقوة أعظم من قبل ، وخرقوا عمود الحمى الذي وضعه الموالي في مكان يقال له (الحوة) ، لمنع عشائر نجد والحسا من النفوذ إلى مناطقهم ، ثم نازلوا الموالي في قرية سوحة غربي عقيربات ، فكسروا وقتل منهم أربعون عريساً ، فرجعوا وغابوا نحو قرن كامل ، ثم عادوا ونازعوا الموالي على ديرة الشنبل ، وتواقعوا في مرج الحمراء شرقي حماة ، وكانت وقعة مروعة صارت الدبرة فيها على الموالي ، قتل فيها أميرهم بيد خالدي اسمه أبو حنيك من فرقة النبط ، قيل إن اسم الحمراء نشأ من أن تربة هذه القرية تخضبت بالنجيع الأحمر الذي سفكه الفريقان ، على أن هذا النصر لم يكن الخالديين من الاستقرار في أنحاء حماة ، فانكفؤوا إلى أنحاء دير الزور ، وظلوا مدة غير يسيرة إلى أن صاروا يتوافدون زرافات زرافات ، ويتقنون كلما ضعف شأن الموالي وزالت روعتهم ، ولا يزال الخالديون يذكرون ثارتهم عند الموالي ، حتى أنهم في كل مناسبة ينضمون إلى الأسبعة في نزاعها مع الموالي والحديديين كما جرى في سنة ١٩٤٢ م وكما جرى حديثاً في تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ م ، ومن وقائع بني خالد المشهورة تلك التي جرت بينهم وبين النعيم المساة بوقعة معيان من أراضي بعلبك ، وكانت الغلبة لهم .

اشتهر بنو خالد بأنهم من أغنى عشائر الشام في عدد الماشية ، فعندهم فيما قيل نحو ٨٠٠٠٠ شاة و ٨٠٠٠ بغير ويقتنون من عتاق الخيل نحو ٢٠٠ رأس ، ويقيظ أكثرهم في شرقي محافظة حمص ، وبعضهم في شرقي قضاء حماة وشالي قضاء سلمية ، وهم في الشتاء ينجعون أنحاء تدمر وبراري الحماد حول جبل التنف وجبل عنزة وخبرة الصلوية وخبرة مرفية ، وقد يبلغون القعرة ومنطقة الوديان ، وهم لا يظعنون إلا بعد هطول الأمطار الموسمية في تشرين الثاني ، ومسلك نجعتهم جبل الشومرية فعين مران فالحجاز فعين البيضاء فالعليانية فالتنف ، ومنهم من يقيظ في براري الشامية في أنحاء السخنة وكديم والطيبة ، وإذا عادوا من نجعتهم في أواخر الربيع يتركون ماشيتهم في حدود أراضي المعمورة ، ويتوجهون إلى قراهم لحصاها ورجادها ، وحينما يسمح لهم بإدخال ماشيتهم في الحقول

المحصورة ، يبدوون ببيع منتوج غنهم من الصوف والسمن والخراف ، في أسواق حمص وحماة التي لهم فيها صلات طيبة .

وعدد بني خالد نحو ١٥٠٠ بيت ، منها ٩٠٠ تنجع الحماة في كل عام ، وفرقهم وأفخاذهم متعددة ومتوزعة جداً ، أولها فرقة الزمول ، وقد كادت هذه الفرقة تنقلب زراعة ، وتهجر البداوة والظعن ، وفيها من الأفخاذ ؛ الناصر وهو فخذ الشيوخ ، ثم أفخاذ الصبيحات والطعمة والنبيط والعليان والغنايم والعكارشة والزعيرات والنجاير والمراوين والبريكات والرفيعيين والعجاجة والمطايطة والعرار والصاغة والشليشات والحصوة والجرباوين . وهذه الأفخاذ يتراوح عدد كل منها بين ٢٥ - ٥٠ بيتاً ، وثمة فرق أصغر منها كالبيطرة والبطّة والجبور والنهود والشمور ، والشقرة وهؤلاء ينتمون إلى بني حسن في شرقي الأردن ، والعدد في كل من هؤلاء ١٥ - ٣٠ إلا فرقة الرزيق فهي كبيرة ، وعددها ١٥٠ وتنقسم إلى أربعة أفخاذ ، ولها رئيس خاص وهو أحمد الشبلي ، ومثلها فرقة الرطوب التي عددها أكثر ، أي زهاء ٣٠٠ ولها عدة أفخاذ أيضاً في رئاسة محمود الدلي ، وجميع هذه الفرق في رئاسة الشيخ محمد بن عبد الكريم باشا الزراق الدندن مع وجود المختار لكل منها ، ومن بني خالد فرق قد بعدت عن العشيرة الأصلية كالزعيرات الضاريين في أراضي قضاء مصيف من محافظة اللاذقية ، وكفرق الخالدين القاطنين منذ أمد بعيد في جبل شحشو غربي قضاء المعرة وقد انقلبوا فلاحين بتاتاً ، ومن هؤلاء فرق التويني والشقرة والبلوة والمضجي والرفيعي والصواجبة والفيافي ، وفي جنوبي المعرة من الخالدين فرق العرار والقيسي والنبيط والأبو غائب ، وفي جبل الأحص في قضاء جبل سمعان فرقة الصيالة ٢٠٠ بيت ، وفي ناحية جب الجراح شرقي حص فرقة البوادي من الرطوب ١٥٠ بيتاً ، ومن بني خالد فرقة انفصلت في أواسط القرن الماضي ، واضطرت إلى النزوح لنزاع قام بينها وبين عشيرة النعيم فيمت وجهها شطر الجولان حيث منازل عشيرة آل فضل ، فلم تتمكن هذه أيضاً من الاستقرار ودحرتها فراحت إلى شمالي بلاد الأردن ، وتدير ناحية الرمتا من قضاء عجلون ، وهي الآن هناك في مشيخة سعود القاضي ، ولها ثلاثة أفخاذ : الجبور والصبيحات والنهود ، ولكل من هؤلاء أفناد عديدة ، وجميعهم يأتون أحياناً للتقيظ في وادي اليرموك قرب درعا .

وكان بنو خالد الذين في ديار حماة ونعني بها فرقة الناصر ، وهي فرقة الشيوخ إلى قبل بضع سنوات يملكون قرى في قضاء سامية كالخلعة والعيور وصفينة وغيرها ، ثم باعوها من بعض سراة حماة ، وانزروا إلى بعض الحرب النائية من أملاك الدولة في شرقي وجنوبي ناحية جب الجراح من أعمال حمص ، واستأجروا في كل منها بضعة أفدنة كمسييد وأبولية ورسم الحجل والهبرة الشرقية والهبرة الغربية ومكسر الحصان ، وهؤلاء من فرق الرطوب والرزيق والنجاجير والغنائم والشمول .

وبنو خالد عامة عشيرة وديعة ، معروفة بحبها للهدوء والسلم ، وإطاعة أوامر الحكومة ، لكنها لتفرق كلمتها ، ولوفرة غناها من الغنم والإبل ظلت عرضةً خلال سنين عديدة لهجمات أخصامها من عنزة (ضناً مسلم) ، ومن الموالي ومن النعيم ومن التركي إلى أن تم الصلح بينها وبينهم واستراحت ، وهي لعراقة نسبها ووسعة أماكن نجعتها واتحادها مع بعض عنزة (ضناً عبيد الأسبعة) وقت الحرب لم تتفق الكلمة على عدها من عشائر القسم الثاني (الرعية) بل من القسم الأول ، ويقدر أن باستطاعتها أن تحشد للحرب ٤٠٠٠ خيال و ٤٠٠ هجان و ٥٠٠ مشاة مع كل منهم بندقية .

أما الرئاسة في بني خالد فهي منذ القديم في يد آل عبد القادر (وتلفظ عبد الجادر) أعقاب الناصر الجد الأعلى للشيخ الحالي محمد بن عبد الكريم باشا الزراق الدندن ، وبينهما فيما قيل ستة عشر شيخاً ، وهم عضيف والناصر وعاصي الناصر وناصر العلي وعبد الجادر الناصر ودندن عبد الجادر ومحمد الدندن وعلي الدندن وعبد الرحمن عبد الجادر والحاج درويش بن محمد الدندن وزراق بن محمد الدندن وحويش بن علي الدندن وعبد الكريم بن زراق الدندن ومحمود عبد الجادر الدندن ومحمد الحويش الدندن ومحمد بن عبد الكريم باشا الدندن ، ولما شاخ عبد الكريم باشا وتوفي بالفلج في سنة ١٣٤٣ هـ احتجنت الرئاسة ابن عمه محمود عبد الجادر الدندن وهو ضابط قديم في الجيش العثماني ، ومن خريجي مدرسة العشائر ، لكن إدارته لم ترق للعشيرة ، فأكرهته على الاستقالة فخلفه ابن العم الثاني محمد الهويش الدندن ، وهذا أيضاً لما لم يحسن الإدارة أكرهته بعد سنة على الاستقالة ، وقلدت الرئاسة لمحمد بن عبد الكريم باشا ، لكن قريبيه المذكورين ظلا ينازعانه مما حمل مرة محمداً على الاستقالة ، فعاد رؤساء العشيرة في مؤتمرهم الذي عقدوه في سامية وأصروا على

بقائه ، فظل من ذلك الحين يقوم بالإدارة بمجدارة ونشاط ، ويذكر عن المرحوم عبد الكريم باشا أبو الشيخ الحالي أنه نال رتبة الباشوية في عهد السلطان عبد الحميد ، وكان يأخذ هو وأفراد عائلته قسماً من أوقاف جامع سيدنا خالد بن الوليد في حصص ، لدعواهم الانتساب إليه أو إلى عشيرته بني مخزوم ، وكان هذا الباشا ذا خصال حميدة من الكرم والوفاء ، والحلم عند المقدرة ، والمكانة عند الحكام ، وقد بلغ في كرمه وجوده حداً حائماً ، حدثني السيد عبد القادر فهم مدير ناحية عقيربات سابقاً أن هذا الباشا في سني الحرب العامة السابقة ظل ينفق على الجياع والمعوزين من عشيرته ، حتى لم يبق لديه شيء من الأثاث والمتاع ، سوى بندقيته ودلة قهوته وفروته التي جعلها غطاءً ووطاءً ، وجاءه بعد سائل فلم يجد ما يعطيه سوى البندقية ، فقال له : خذها يا هذا وبعها وأنفق ثمنها ، ثم احتفظ هو بالدلة وحدها لأنه كان لا يستغني عنها في قرى ضيوفه ، وما زال على هذا النحو حتى لقي ربه ، وقيل عن ابنه الشيخ الحالي أنه يقتفي أثر والده في الجود ، وحسن الخلق والتقى والعقيدة الوطنية والمبدأ القويم ، وهو بذلك ممدوح السيرة كثيراً .

شجرة نسب بيت دندن الخالديين : رأس بيت دندن هو محمد الدندن العبد الجادر الناصر ، وقد أعقب هذا الحاج درويش وعبد القادر وعلي وزراق ، فن الحاج درويش جاء صالح ومن هذا درويش ، ومن عبد القادر جاء جمعة وعبد الرحمن ومحمود وأحمد ، ومن علي جاء حويش ومن هذا محمد ، ومن زراق جاء عبد الكريم باشا ومن هذا محمد (الشيخ الحالي) الذي منه ثلاثة أولاد عبد العزيز وعبد الرزاق وفجر .

الفواعة

الفواعة عشيرة حديثة النشأة ، في القرن ١٢ هـ ، لكنها غامضة الأصل والأرومة ، فقد ذكرت لي عنها ثلاث روايات ، الأولى : أن الفواعة عشيرة متألفة من فرق عديدة ، اجتمعت في القرن الثاني عشر تحت رئاسة منشئها الأمير حسن الغنطار من آل فاعور ، أمراء عشيرة الفضل التي في الجولان ، وذلك على أثر نزاع حدث بينه وبين أقاربه آل فاعور ، فانفصل عنهم ليلتحق بالموالي ، وجاء وجمع حوله بعض الأنصار ودعاهم (الفواعة) ، ثم رأى من أمراء الموالي عنتاً اضطره إلى هجرهم ، والحجىء مع أنصاره إلى

أنحاء حص ، وأن أمراء الموالي غضبوا لهذا ، فصاروا يغيرون على الفواعة ، ويكرهونهم على الرجوع إلى حظيرتهم دون طائل ، لكن متى كان ذلك وفي أي تاريخ ؟ هذا لا يذكره أحد . والرواية الثانية للشيخ فدعوس الرضمان رئيس الفواعة الحالي أن الغنطار المذكور لم يكن من أمراء آل الفضل ، بل كان من أتباع أمراء الموالي ، ومن جملة الفرسان الذين بعثهم أمير الموالي لجلب الفتاة التي يدعونها (حمرة الموت) من طيء ، ثم ترأس هذا وجمع حوله لفيفاً من شتات الأعراب ، وجعلهم فرقة من فرق الموالي ولواحقهم ، ودعاهم (فواعة) ، لكن متى جرى ذلك وفي أي تاريخ جرى ، وما معنى فواعة ؟ هذا لم يجب عليه الشيخ فدعوس ، وأصحاب الرواية الأولى يمشون في حديثهم ويقولون إن حسن الغنطار لما مات خلف ابناً اسمه قريم أو كريم ، وكان يلقب بأمير الفواعة ، إلا أن الرئاسة الفعلية كانت في يد أحد الموالى المسمى شبلي ، (وفي زعم الشيخ فدعوس أن قريم هو أحد أحفاد الغنطار وليس ولده) ، وقد عقب قريم ولداً هجر العشيعة ونزح إلى أمريكا في سنة (١٣١٢ هـ) ، وانقطعت أخباره فانقطعت بذلك سلالة الغنطار . والرواية الثالثة أن الرئاسة الفعلية في الفواعة كانت لرجل من الموالي اسمه شبلي ، من فخذ العرامنة أورثها سلالته ، فتعاورها منذ قرن ونصف ، إلى أن استقرت لمحمد الشبلي خريج مدرسة العشائر ، لكن نازعه عليها اثنان من أقاربه ، هما درويش الشبلي وصفوق العفنان ، ثم لما مات محمد الشبلي وضعف شأن الاثنين المذكورين صارت الرئاسة إلى فدعوس بن شبيث الرضمان من فخذ العلقاوين ، ومشيخة فدعوس معترف بها رسمياً ، وله منحة سنوية من الخزينة ويزاحمه فهد العفنان الذي يدعي الأولوية .

فيظهر من هذه الروايات الثلاث المضطربة - شأن أكثر روايات البدو حينما تسألهم - أن الفواعة وإن عد أصلهم من الموالي ويوالونهم ، إلا أنهم ليسوا من نبعة واحدة ، وقد كانوا أغنياء ونشيطين جداً ، إلى أن ضعفوا في السنين الأخيرة ، وتشتتوا ولم يبق من بيوتهم الخمسة إلا نحو النصف في رواية فدعوس ، والفواعة يعدون الآن من أحلاف الأحسنة ، وتفزع الأحسنة لهم في الشدائد ، كما أنهم أيضاً يفزعون للأحسنة منها جرى بينهم .

وتاريخ الفواعة من منتصف القرن الثالث عشر إلى منتصف قرننا الرابع عشر

طافح بأخبار الكوارث والنكبات التي لحقت بهذه العشيرة الصغيرة ، وسبب ذلك أن غناهم ونشاطهم أورثهم حسد بقية العشائر وطمعها ، وجعلهم مطمئناً للغزاة ، كلما توغلوا في البادية للنجعة .

ففي سنة ١٢٢٠ هـ كانوا في حرب مع الروالة ، وفي سنة ١٢٥٦ هـ مع الموالي والحديدين ، وفي ١٢٩١ هـ مع بني خالد ، وفي ١٣١٨ هـ مع الفدعان ، وفي ١٣٢٤ هـ مع التركي ، وفي ١٣٢٧ هـ مع الغياث وعشائر جبل الدروز ، وفي ١٣٤٠ هـ مع حويطات شرقي الأردن ، وأعظم غزوة دهمتهم ونكبتهم نكبة مفجعة هي ما جرى في سنة ١٣٤١ هـ ، إذ فاجأهم عمارات العراق في قيادة الشيخ محروث الهذال حينما كانوا حول السبع آبار (١٤٩ كيلاً شرقي دمشق على طريق سيارات بغداد) فخسروا إذ ذاك ٥٥ بيتاً وأكثر من ١٠٠٠ بغير و ٦٠٠٠ شاة ، أما العداء والعراك بينهم وبين بني خالد والأسبعة البطينيات فقد داما مدة مديدة إلى أن انتهيا بتدخل الحكومة وصلحها جبراً في حصص مع بني خالد في سنة ١٣٤٠ هـ ، وفي حمة مع الأسبعة البطينيات سنة ١٣٤٣ هـ ، ولما نشب النزاع في سنة ١٣٤٧ هـ و ١٣٤٨ هـ بين ضناً مسلم وضناً عبيد وقفت الفواعرة على الحياد ولجأت إلى المعمورة .

لهذه الأسباب والنكبات أخذ شيوخ الفواعرة وبعض أفرادها يميلون في السنين الأخيرة إلى الزراعة ، فشرعوا بإحياء أراضي في أملاك الدولة في عين مران شرقي الفركلس إلى الشمال ، وفي موقع هناك اسمه غدير شريفة ، وفي قرية أليسة غربي الفركلس ، وكانوا يملكون فيما مضى ثلاث قرى في شمالي قضاء سلمية هي التملك وأم التوينة والبويضة استخلصها منهم أو اشتراها بعض الأغوات البرازية في حمة ، وذلك خلال نزاعهم مع الموالي في سنة ١٣٢٠ هـ .

والفواعرة على صلات حسنة مستديمة مع أهل حصص والقرى المحيطة بمحصص ، ولهم مع المحصين شراكة واسعة بالغنم والسمن والصوف ، ولا تزال هذه العشيرة تحسب غنية ونشيطة في الجملة ، ولا يزال أكثرها يتبدى وينجع نجعة كبيرة إلى الحماد ، مع الأحسنة والروالة ومسلكتهم يبدأ في الفركلس حيث يجتمعون فيها في أول الأمطار الموسمية ، ثم يزحفون نحو عين القمقوم ، فالغنتر فعين الباردة فبئر البصري فالحفير فبئر هلبا فالسبع

بيار ، ثم يتوغلون في الحماد ويبلغون منطقة الخبرات (خبرة الشامية وخبرة رمانة وخبرة الزرقاء) ، وفي الربيع يعودون من المسلك نفسه ، ليجمعوا في حصص في نيسان وأيار ، ويقدر أن عدد الفواعة ٥٠٠ بيت أكثرهم رحالة أهل ضرع وقليلهم أهل زرع ، وأن لدى الرحالة منهم نحو ٣٠٠٠٠ شاة و ١٥٠٠ بعير و ٨٠ فرساً ومنتوجهم السنوي ٥٠٠٠ قنطار صوف و ٦٠٠ قنطار سم و ١٠ - ٢٠ ألف خاروف ، وذلك حسب السنين ، وأن ثلثي غنهم لهم وثلثه إلى شركائهم من المحصين في الغالب ، ثم لبعض قروبي حصص وبعلبك . وهم ينتشرون في فصل الصيف زرافات صغيرة في جنوبي حصص وشمالها وغربها وشرقها ، حول قرى فيروزة والجديدة والشومرية وسعن الأسود والمشرقة وتل بيسة والرستن وحسية والقصير وقطينة ، وقد يبلغون خبرة التين في الوعر غربي حصص ، وفي السنين الماحلة يزحفون نحو غربي حصص إلى سهل البقيعة وسهل عكار ، وهم يدخلون المعمورة قبل موسم الحصاد ويؤجرون أباغهم في الرجاد ، ومنهم من يفعل ذلك في بلاد حوران .

ورئيس الفواعة الحالي هو الشيخ فدعوس الرضمان ، ونسبه فدعوس بن شبيث بن رمضان بن عبد الحي ، قيل إن رمضان بن عبد الحي أعقب ثلاثة أولاد : شبيث وحميد وهليل ، فمن شبيث جاء فدعوس وعيفير وزنكا وجليوط ، ومن هليل جاء أسمر ورمضون ، ومن زنكا رحيل وجربوع ، ومن جليوط جاء صلوحي ، وللشيخ فدعوس الآن من الأولاد أحمد ومحمد ومحمود ، وأكثر إقامة هذا الشيخ في فصل الصيف حول السعن الأسود شمالي حصص ، ليكون على مقربة من شركائه المحصين ، وخاصة مع المدعو طه اللبابيدي ، ويذكر من وجهاء الفواعة صفوق العفنان ومشرف العدلان ، وكانا على اتصال مستمر مع الشيخ طراد الملحم الذي كان يحاول بسط سيطرته على الفواعة ، وقد اشتركت الفواعة في الخلاف الذي نشب بين الأحسنة والنعم وأنجحت الأحسنة في المعركة ، ولا تزال الفتن بينها وبين النعم متواصلة إلى حين كتابة هذه السطور .

وقد نكبت الفواعة في ربيع عامنا هذا (١٩٤٧ م) في منتجعاتها في الحماد بعاصفة رملية هوجاء قضت على الكلاً الذي كان قليلاً ، وأهلكت نحو ربع ماشيتها من الجوع والعطش ، إلى أن أدركتها قوى البادية وسياراتها بالماء والغذاء ، ونقلتها هي وماشيتها إلى المناهل والمراعي في غربي تدمر ، ولولا ذلك لقضي على هذه العشيرة ، وقد جرى مثل ذلك أو أقل في عشيرة الأحسنة والبوخيس والجلان وغيرهم أيضاً .

فرق الفواعرة :

- ١ - (العلقاوين) ٢٦٠ بيتاً ، رئيسهم صفوق العفنان ، أفخاذهم : العقلة والموسى والعبد الحي والخلالوين والحسينيين والسليمان .
- ٢ - (الحناحنة) ٩٠ بيتاً رئيسهم فرج أبو سليمان العواد ، أفخاذهم : العراقي والشويشات .
- ٣ - (المعيدين) ٤٠ بيتاً ، رئيسهم خايل السليم ، أفخاذهم : المشلا والممدوح .
- ٤ - (الطاريجة) ٥٠ بيتاً ، رئيسهم عبد السليم ، أفخاذهم : الجبات والشهلة .
- ٥ - (البهادلة) ٥٠ بيتاً ، رئيسهم علي الوهبان ، أفخاذهم : الخليفات والجروح والهدال .
- ٦ - (التويمات) ٥٠ بيتاً ، رئيسهم صلي العزاوي ١٥ منهم لحقوا راكان المرشد شيخ الأسبعة البطينيات منذ ربع قرن .
- ٧ - (الزيادة) ٣٠ بيتاً ، رئيسهم محمد الدرويش القريشة .
- ٨ - (العرامنة) ٢٥ بيتاً ، رئيسهم درويش الشبلي .
- ٩ - (لهنادزة) ٤٠ بيتاً ، رئيسهم مشرف العدلان . أفخاذهم : القراق والفاضل .
- ١٠ - (العبيد) السودان المنشقون عن الحناحنة ، ١٢ بيتاً رئيسهم حميدي العبود العيسى .

آل نعيم

نعيم حمص - هم أقارب نعيم الجولان الذين تقدم ذكرهم ، لكن هؤلاء يدعون الانتساب إلى رجل من السادة الهاشميين اسمه (الشيخ نعيم) ، ويزعمون أنهم قدماء في شمالي الشام ، وأن أمير الموالي صاحب السيادة العليا في هذه الديار قبلاً أراد أن يكافئهم ، فاستحصل لهم على إرادة من أحد سلاطين آل عثمان تعفيهم من الضرائب ، فأثار ذلك حسد العشائر عليهم ، وبدء النزاع وانتهى الأمر بإخفاق النعيم ، ورحيلهم من أنحاء حلب إلى حماة ثم إلى حمص ثم إلى الجولان ، ولحق بعضهم عشيرة جيس (قيس) في شمالي الجزيرة

الفراتية ، فصار في كل مكان فرع من النعم مفترق عن الآخر ، ويذكرون أيضاً أن من عقب الشيخ نعيم جاء عز الدين ، ومن هذا جاء محمد جد النعم ، وعبد الرحيم جد جيس ، وفخر جد العتيق ، وعثمان جد بوحيار ، فإذا صح ذلك تكون هذه العشائر الأربع قريبة ومن نجار واحد .

وإذا كنا قدمنا بحث الذين في قضاء الجولان من محافظة دمشق ، نذكر الآن الذين في قضائي حمص وسلمية ، على أن الذين في حمص أكثر من الذين في سلمية ، وبمجموع الفريقين نحو ألف بيت .

والنعم في قضائي حمص وسلمية أهل ضرع وبادية في الأصل ، ومنهم أهل زرع وفلاحون تحضروا واستقروا بتاتاً ، فأهل الضرع منهم ينجعون الحماد ، ولكن لا يبعدون كثيراً ، فهم إذا حل الشتاء يجتمعون في ضواحي الفرکس ومنها يجتازون بئر بصيري وعين الباردة ويبلغون الحماد حول جبل التنف وخبرة مرفية وما إليها ، أما في الصيف فنعم حمص يقيظون حول قرى المشرفة وتل بيسة وقطينة وعز الدين ، ونعم سلمية حول قرى سنيدة وجملة ودينية وخنيفس ومرج الحصية ، وبعض النعم قد تحضر واستقر في قرى عز الدين وسليم والرضيفات ومزرعة دلفين والبطمة .

ولعشيرة النعم عدة حروب ومواقع مع أخصامها بني خالد والفواعرة ، تارة غالبية وتارة مغلوبة ، وفي العام الماضي شجر خلاف بينها وبين الأحسنة بيناه في بحث الأحسنة ، هذا على أن النعم تعد عشيرة وديعة في الجملة ، وغنية ومشهورة بالكرم والتقى ، ومن ثم كانت على أحسن الصلات مع سكان قرى حمص وسلمية ، وهي تشارك في تربية الغنم كثيراً من الأسر الحصية كالأتاسية والدروبية والجنديّة والرفاعية ، وغيرهم من تجار حمص وحماة أيضاً ، ويقال أن لدى نعيم حمص ٦٠٠٠ شاة و ٢٥٠٠ بعير و ٧٠ فرساً . ولدى نعيم سلمية ٣٠٠٠ شاة و ٨٠٠ بعير و ٤٠ فرساً .

أقسام النعم - قال بعضهم : النعم قسمان الفخر والحمدية ، فمن الفخر الطحان الذين في الجولان ، والعتيق الذين في شمالي لبنان ، والأبي حيار الذين في غربي حماة وأهل عز الدين في جنوبي سلمية ، والطويل في جنوبي حمص وحول النبك ، ومن الحمدية نعيم

حصص الذين يسمون أيضاً نعيم الرملة المعاقير والنيرات والحزوميين ، ومن الحمديّة نعيم حلب الذين ينقسمون إلى آل إبراهيم والخرفان ، ومثلهم نعيم الجزيرة ونيمة العراق الذين في أنحاء كركوك ، وقال آخرون عن نعيم حصص وحدهم أنهم : ينقسمون إلى جذمين ؛ الحزوميين والنعيم الأصليين ، فالحزوميون نحو ١٢٠ بيتاً وشيخهم مثقال الباشان ، وفرقهم الباشان والعطو والحصيدة والرومي والجبل والنيرات ، ومنازلهم أنحاء القصير وغربي العاصي ، ومن هؤلاء الحزوميين قسم في الجولان يلحق عشيرة الفضل في مشيخة موسى الأحمّد الشمالي .

والنعم الأصليون نحو ٤٠٠ بيت . وفرقهم السيد والعبيد والطبيشات والعصفور والبطمة وأهل عز الدين والناصيف والهميش والإبراهيم والبجارة والخليفات والزواتنة والدغيلة . وشيخ نعيم حصص سعود الحسين المحمد من فرقة الناصيف التي هي أبرز فرقة بينهم ، وشيخ نعيم سلمية جاسم الحسين وصفوق المحمد ، وشيخ فرقة عز الدين حسين السلامة ، وشيخ فرقة العصفور نايف الخالد ، وشيخ فرقة البطمة عزو الحميد .

هذا وفي غربي حصص وشرقها وجنوبها أربع فرق من النعيم ، انشقت عن العشيرة الأصلية وابتعدت ، وهم : الثقيف في قرية المنزول ، والطويل رعاة قرية القصير وقرى دير عطية والنبك في قضاء قلمون ، والعتيق رعاة وحراثون وادي خالد في شمالي لبنان ، قرب تللكخ ، وهؤلاء يعدون من تبعة الجمهورية اللبنانية ، لارتباط هذا الوادي بلبنان ، على أن بعضهم لا يزال داخل الحدود السورية في قضاء حصص ، والمعاقير في وعر حصص وغربي بحيرة قطينة ، وتعد هذه الفرق المنشقة نحو ٥٠٠ بيت .

الحروك

عشيرة صغيرة مستقلة ، عددها نحو ١٠٠ بيت ، أفنادها الهرامشة وبيت جريبان وبيت شاهر واللويسات ، وهم في مشيخة عيسى الفياض ، ينزلون في أراضي صدد ، ويذهبون في أيام الرجاد إلى نوى حوران ، ويرتزقون من رجاد زروعها ، وفي بعض السنين يبلغون الجولان ، ويعدون من لواحق آل فضل وأتباع الأمير فاعور .

العقيدات

عقيدات حص - هؤلاء فرق مستقلة بعضها عن بعض ، أصلها من عشيرة العقيدات الكبيرة في محافظة الفرات ، وسيأتي ذكرها في بحث عشائر تلك المحافظة ، وقد جاءوا إلى هنا فيما زعموا هرباً من الخدمة العسكرية التي أرادت الدولة فرضها عليهم ، فعقيدات حص يبلغون نحو ٣٧٥ بيتاً ، وهم أهل ضرع وبادية في الأصل ، لكن كثيراً منهم قد تحضر واستقر في بعض قرى أملاك الدولة ، وأصبح أميل إلى الحضارة من البداوة ، فبعضهم كفرقة الأبي بكير والأبي هرموش ينزل حول قرى الرستن ودير فور ، وبعضهم كالأبي سرايا ينزل في الداسنية غربي العاصي ، وثمة بضعة بيوت من المشاهدة القادمين مع العقيدات من الفرات ، استقروا في جنوب بحيرة حص ، وتشقي فرق العقيدات إما في الغرب في سهل البقيعة ، أو سهل عكار عند نهر الكبير ، وإما في الشرق فتبلغ عين البيضا وخبرة رمانة تذهب إليها عن طريق عين مران أو الفركلس ، وهم شركاء الحمصيين في تربية الغنم ، أما فرقهم وعدد بيوتهم فهي الأبو بكير ٥٠ رئيسهم حاجم الأحمد ، والأبو هرموش ١٥٠ رئيسهم أسعد الغاطي والأبوشعبان ٦٠ رئيسهم أحمد المطر ، والأبوعساف ١٠٠ رئيسهم حميد السيد حسين .

العمور

تقدم ذكر بعضهم في بحث عشائر قضاء قلمون ، وهم كما قلنا من الرحل ، ويحسبون من عشائر محافظة حص ، إلا عمور المهارشة فإنهم من عشائر محافظة حماة ، ومهما كان فالعمور عشيرة متفككة منشقة إلى فرق مستقلة بعضها عن بعض ، كانت تؤلف قديماً وحدة متماسكة قوية الشكبة ، أصلهم فيما زعموا من نجد ، ولهم ثمة أقارب يدعون المنديل ، كما أن الغياث في الصفا والجوابرة الزبيد في جبل الدروز من أقاربهم ، وهم جاءوا إلى بلاد الشام قبل عزة في أوائل القرن الثاني عشر ، ونزلوا بين سلمية وتدمر وحماة ، وكانوا أول أخصام الأحسنة حينما جاء هؤلاء يريدون اقتحام ديرة الشنبل ، وقد صدوا الأحسنة بمعونة الموالي في معركة دارت في ضواحي حص ، ثم انقسمت العمور بعد ذلك إلى أقسام مشتتة عديدة لا علاقة لبعضها مع بعض إلا علاقة القرى ؛ وهي عمور أبو حربة وعمور

الخرسان وهؤلاء مستقلون ، وعمور الملحم الذين لحقوا الأحسنة ، ثم عمور المهارشة الذين لحقوا الحديديين ، ثم عمور الجراح الذين لحقوا فدعان الولد ، ثم عمور الفراع والعمرى الذين لحقوا الأسبعة الأعبدة ، ثم عمور المنديل الذين لحقوا شمراً في نجد ولا يستحق البحث من هؤلاء إلا الأقسام الثلاثة الأولى :

عمور المهارشة

عدهم ٥٠ بيتاً من أهل الإبل ، وعندهم ١١٠ أباقر و ٢٥٠ شاة و ٣٠ فرساً ، اشتهروا بشراستهم ، ودأبهم السلب والنهب ، لذلك تبغضهم العشائر وحتى أقاربهم العمور ، ورئيسهم الياس الفروع ، وهم يعدون من لواحق الحديديين ، لكنهم متوزعون بين الحديديين والأسبعة واللهيب بقصد التواري عن العيون ، إلا أن منهم بضعة بيوت ينزلون في قرية حومي شرقي الخراج يستثمرون فيها أراضي من أملاك الدولة ، وهم يشرقون مع الحديديين ، أو مع الأسبعة أو مع اللهيب ، حسباً تقتضيهم دواعي الاختفاء والاحتماء ، وفرقهم الفقيس والمهباش والعضاب والحمياس .

عمور الخرسان

عدهم ٨٠ بيتاً ، زعموا أن جدهم الأعلى من عشيرة السرحان التي قد مر ذكرها في بحث عنزة . وأنه كان يسمى عموري الأخرس ، لأنه كان أبكم بالفعل ، جاء إلى أنحاء تدمر ، وتزوج من عشيرة عمور الأبي حربة ، وأعقب نسلأ كبيراً كان منه هؤلاء (عمور الخرسان) ، وهم ينقسمون إلى فئتين العمران والقمآن ، وليس لهم رئيس متفق عليه ، سوى أن فايز المعجل كبير العمران في يده القيادة ، ومنازل هؤلاء الخرسان في ناحية تدمر في منطقة يحدها من الشمال خط أسرية - كديم ، ومن الشرق طريق السخنة - عين الكوم ، وفي الغرب طريق تدمر - أسرية ، وفي الجنوب طريق حصص تدمر ، وأكثر إقامتهم في جبل أبو رجمين ، والجبال التي في شمال تدمر .

عمور الأبو حربة

عدهم ١٢٠ بيتاً ، وفرقهم الخضر والمناخرة والخليفة والناصر والزليفان والعناترة ،

عشائر الشام (٣٠)

وجميعهم في مشيخة حليف المهور كبير فرقة الخضر، ومنازلهم في ناحية تدمر أيضاً ، وهم رعاة قريتي تدمر والسخنة ، وهم يمضون فصل الخريف والشتاء في الجبال التي شمالي تدمر ، ولا يقربون تدمر إلا في أوائل الربيع لمبادلة منتوجهم من السمن والصوف ، وعمور الخرسان وعمور الأبي حربة أيضاً أشرار فتاكون من الطراز الأول ، ولطالما أتعبوا جنود الهجانة في تدمر ريثما ثابوا ، ومن الغريب أن هؤلاء يملكون أحسن المواعز وأكثرها دراً ، ويميزهم القادم نحوهم من كثرة معزهم ، وقلة ضأنهم ، وعدم اشتغالهم في الزراعة إلا في الأقل وأنهم العشيرة الجبلية الوحيدة في بوادي الشام ، لأنهم يسكنون في شمالي غربي تدمر جبل المرأة وجبل الأبيض وجبل أبو رجمين وجبل لابدة والضاحك والأصابع ، ولأجل ذلك يسمي بعضهم هذه الجبال باسمهم ويجعلها مفردة (جبل العمور) .

البدور

عشيرة من العمور مستقلة لنفسها في مشيخة خلف البطية ، وهي صغيرة لا ينيف عددها عن ٧٥ بيتاً ، لكنها قد تمزقت وتوزعت بتاتاً ، يعثر الآن على فنود منها حول قرى الرحيبة وجيروود ، وهم رعاة هاتين القريتين ، وحول تدمر والسخنة ، ويعثر عليهم أيضاً بين الحديدين والروالة والأسبعة والأحسنة .

النجاد

عشيرة من العمور مستقلة ، عددها نحو ١٠٠ بيت في مشيخة خلف النعير وهو شيخ ذكي مقدم وعقيد غزو من الطراز الأول ، ومن هذه الفرقة فندة اسمها (المحاسنة) تحضروا واستقروا في قرية دير عطية في قضاء قلمون وصاروا من الفلاحين .

الصليب (الصلبة)

الصليب بضم الضاد وفتح اللام أناس من أهل البادية ، بل هم أعرق أهل البادية في البداوة والقشافة ، وهم وإن شابهوا البدو بالشكل واللون والزي ، إلا أنهم يختلفون بضعة نسبهم وحطة قدرهم ، وازدراء البدو بهم ، وعيشهم في العزلة والذلة والمسكنة ، والحاجة إلى

الشفقة ، ومن ثم كانوا مسالمين للجميع ، ويعطف عليهم الجميع ، وهم لا يباعدون أي لا يزوجون أحداً ، ولا يتزوجون من أحد ، ولا يخالطون الغير ولا يقربهم الغير بضر أو أذى ، فلا يَغزون ولا يُغزون ، ومن أكبر العار عند البدو أن يسطوا أحدهم على صليبي ، ويسلبه شيئاً ، ولا يتولى كبر هذا الإثم إلا بعض فرق شمر نجد ، وبعض الغياث النازلين في حرة الصفا المشهورين بشهرهم .

والصلبة لا يؤلفون عشيرة بل مجموعة متحدة من فرق عديدة ، منتشرة في بوادي الجزيرة العربية كلها ، ينتقلون من مكان إلى مكان ، ويكاد لا يخلو منهم مكان ، من أقصى جنوبي نجد إلى سواحل الكويت والبحرين ، إلى ضفاف الفرات والدجلة ، وجبل سنجار في العراق ، إلى قرى المناظر في الشام وأعني القريتين وتدمر والسخنة ، وندرآن يتجاوزوا هذه القرى شمالاً أو غرباً ، وهم قلما يقربون ويسالون الحضار ، وقلما يعرفهم أو يراهم سكان المدن والقرى المتطرفة لدينا ، لأن الصلبة يقيمون زرافات صغيرة ١٥ - ٢٥ بيتاً في أماكن قصية مختلفة من الحماة ، لا يبلغها غيرهم من البدو ، فهم يبقون في الحماة طول السنة صيفاً وشتاءً ، ويحسون التجوال فيه ، والعثور على ما يقيتونه به أنفسهم وماشيتهم ، رغم قفره وجفافه في الصيف ، وخلوه إذ ذاك من أشظ البدو عيشاً ، وفي بعض السنين ولا سيما في فصل الربيع ، يصادف السائر قرب قرى المناظر التي عدناها أو في منطقة الوديان جمعاً من الصلبة مزدحماً إلى حد ما ، وهذا الجمع فرصة لأعيادهم وأعراسهم ورقصهم ، وفي بعض السنين وحينما تنفجر الآبار في (القعرة) التي داخل الحدود العراقية وشامي محطة الرطبة ، يقوم الصلبة بزراعات ضئيلة من البطيخ وبعض الخضار الصيفية .

ولقد ذكر العارفون بهم أن (حليس) أول رئيس عرف للصلبة منذ مئة سنة . وخلفه سليمان بن مالك ، أو (مالج) كما يلفظون وقد سجن في دير الزور ومات فيها ودفن ، وبعده اليتيمة (تصغير يتيمة) ، ورئيسهم الحالي عبيد بن معيذ وفي اللغة تعذف الطعام أكله ؛ فمعيذ الذي يأكل .

وعيشة الصلبة بسيطة جداً ، ولهم عادات غريبة ، ويتعاطون أموراً تعد في نظر العرب البدو خسيصة ، منها أنهم يرتزقون بصيد الغزلان والأرانب والطيور ويقتاتون

منها ، يبيعون الحمير والملح من أهل المدن ، والأدوية النباتية التي يستحضرونها ، وكذا القلي الذي يستحضرونه من حرق الشنان والعضو والعجوة ، والملح من أنحاء ممالح (البوارة) في الجزيرة ، ويدأون مرضى البدو ، ويقومون بأنواع الكي على النحو الذي ذكرناه في بحث صحة البدو (ج ١ ص ٢٠٩) ، والناس يركنون إليهم في أكثر الأحيان مع وجود أطباء رسميين ، ويعتقدون أن مبناهما التجارب ، والصلبة إذا لم يجدوا شيئاً مدوا أيديهم واستعطوا .

ومن عاداتهم ، أنهم يرقصون مع النساء في مخيماتهم وحفلاتهم على النحو الذي سنذكره نقلاً عن كتاب الرئيس رينو الفرنسي ، ورقصهم بسيط ، لا ترى فيه حركات تخل بالآداب ، أو إمارات تبعث إلى سوء الظن ، فهو عبارة عن وثب وطف ، وعندهم نوع من الرقص ، يأخذ به بعضهم بيد بعض ويدورون ، وقد يرقصون أمام البدو ، ويجزل المتفرجون لهم العطاء ، وبعض نسائهم بارعات في الجمال والظرف وقرض الشعر المصطلح عليه في البادية ، والشعر والإنشاد من جملة موارد العيش عند الصلبة ، وشعرائهم يدورون بين العشائر ، ويؤانسون مجالس الشيوخ بما ينظمونه وينشدونه من القصائد والأغاني الحماسية أو الغرامية أو المديح ، ولهم مع الإنشاد براعة في ضرب الرباب ، وترخيها مع معاني القصيدة أو الأغنية خفصاً ورفعاً ، فكأنك في ساحة الوغى إذا وصفوا الطعن والضرب ، أو في مسرح الحب إذا ذكروا لقاء المحبين ومناجاتهم ، وحينئذ تترنج أعطاف المستعين ، ويغمرهم الحساس والطرب أو العجب أي غمر ، ويخشى الشيوخ لسان هؤلاء الشعراء والقصاص من أن يهجوهم بين العشائر إذا ما أسأوا إليهم ، أو قصرُوا في عطائهم .

ويذكر عن الفروق البارزة بين الصلبة وغيرهم من أعراب البادية ، أنهم وسيطو القامات في الغالب ، قنيو الأنوف ربيعوها ، وذوو شعر أسود أو كستناوي غامق ، وعيون سود حادة النظر وبصاصة ، أما قول البعض بأنهم شقر الوجوه وزرق العيون فلا صحة له ، كما أكد لي مشعل باشا الفارس الجربا ، وإذا صدف وجوده وهو ما يندر جداً لا يكون مختصاً بهم وحدهم ، بل قد يعثر عليه عند غيرهم من البدو أيضاً ، ومن الفروق أيضاً أن الصليبي غير كسول كالبدوي ، بل هو نشيط ومتحرك ، ومشيته سهلة لينة ، بخلاف مشية البدوي الموزونة الثقيلة ، وفي صوته ارتخاء ونعومة ، بينما أصوات البدو

خشنة داوية ، وأسارير الصليبي منفرجة بشوشة إلى حد ما ، بينما أسارير البدومقطبة ، وعند الصليبي صراحة وسذاجة غير موجودين لدى البدو .

وهم أعرف أهل البادية ، وأهدى من القطا بالمراعي والمناهل ومواقع الأمطار ، وأحذقهم بسلك القفار والمفاوز ، حتى أن البدو أنفسهم يتخذونهم أدلاء في جولاتهم وغزواتهم البعيدة ، فهم لا يتيهون قط ، وتراهم في دجى الليل وفي كثافة الضباب ووهج السراب وتدفق المطر يستطيعون أن يرشدوا قافلة إلى بئر بعيد ٧ - ٨ ساعات على الراحل دون أي تردد أو خطأ ، وفي رواية أن أحد الأدلاء من هؤلاء الصلبة أصيب بالعمى ، فظل على عمله يعرف الأرض من روائحها ، فهم بهذا يخدمون البدو . حتى الغزاة إذا مروا بهم يرون منهم حفاوة وسهولة وهداية ، والبدو يقدرهم لهم هذه الخدمة ، فلا يمسوهم قط ، ولا يقصرون في الإشفاق والإحسان إليهم ، ثم هم وإن كانوا مبغضين في طول البادية وعرضها ، ومنفردين ، لا يزالوا حافظين لبعضهم صلات قوية جداً ، يستطلعون سير العشائر ، ومواقع نجعتها ، والطرق التي يسلكها الغزاة ووجهاتها ، فلا يفوتهم أي خبر أو حادث في البادية ، ومن هذا كانوا عمال استخبارات (جواسيس) من الطراز الأول ، بيد أنهم قليلو الثثرة لخوفهم من الأذى إذا أفشوا ما يعلمونه ، ومن خواص ما عرفوا به أيضاً جودة النظر وبعد البصر وصحة الأجسام ، مها شاخوا أو كبروا ، وذلك لكثرة سيرهم في النهار ورياضة أجسامهم ، وقلة خلطهم في المآكل ، وسكناهم الأرض العذبة ، وما اشتهر به الصليب خاصة نحافة الجسم حتى ضرب بهم المثل (أنحف من الصليبي) .

ولغتهم ليست بالعربية الفصحى ، ولا بعربية البادية بل هي لغة بين الاثنين ، ولهم رطانة يتكلمون بها خاصة .

وكثير منهم يلبس جلد الغزال ، ويتخذون لهم منه القفاز والمساة (وهوشيء كالجورب يغطي به أسفل الساق وظاهر القدم ، لكي لا تجرح الأرجل بالشوك ، أو بما أشبه) ولباس الرجل لا يمتاز عن لباس المرأة إلا بشيء واحد ، وهو أن المرأة تتعصب بعصابة حمراء بلون الحناء ، وتدلى طرفيها على القفا كأنها تتوا المتاج ، أما الرجل فيجعل هذه العصابة الحمراء ملفوفة على نفسها ، ليس لها طرف نأس متذبذب ، وللرجل جدائل شعر كما للمرأة ، والغالب في الرجل خفة شعر العارضين ، وبهذا فقلما يميز الرجل عن المرأة

من بعيد ، وبالأخص إذا كان شاباً لم يبقل وجهه بعد ، ولهم منطقة يتخذونها من جلد الحمل أو نحوه ، فيدهن أو يدبغ بالقرظ ، ويجدل على ثلاث قوى جدلاً عريضاً ، ويعلق بها هئات من العظام ، يثقبونها لهذه الغاية وتلبس المنطقة بهذه الهيئة ، ويسمونها السبتة .

وإذا كان الصلبة في حصانة تامة وأصدقاء كل البادية أصبحوا في غنى عن اقتناء الخيل والسلاح ، وهم وإن استعملوا السلاح فللصيد فقط ، والأسلحة المعروفة عندهم هي (المضاعة) وهو عبارة عن عصا جعل في رأسها قطعة من الحديد ، وعندهم بنادق قديمة من نوع (الششخانة) وهي متوسطة بين القرينة والبارودة الاعتيادية ، وطويلة السبطانة جداً ، وداخلها ست طرائق أو زوايا ، ومنها اسمها بالفارسية ومعنى شش ستة وخانة بيت ، ويقال إن دخول هذه البندقية كان في أيام السردار عمر باشا الذي أخضع دير الزور في حدود سنة ١٢٨١ هـ . وعندهم القرطة هذه كلها من حديد ، ووجهها محفور أو منقوش بأشكال غريبة ، يؤتى بها من الحساء أو القطيف في سواحل الخليج العربي ، واليوم صاروا يتخذون البنادق كغيرهم من البدو .

وهم إن اتخذوا الإبل قليلاً جداً ، ولكن عندهم الحير البيض ، والصناعة التي يتنازول بها هي تربية هذه الحير وبيعها ، وهي مرغوبة جداً لحسنها وقوتها وتمكنها من السير المتواصل بدون أن تتعب ، وهي تعدو عدو الظليم ، وعندهم منها قطعان تسرح طليقة كالغنم في رعاية حار كبير منها ، وربما بلغ ثمن الحمار الأصيل خمس عشرة ليرة ذهبية وأكثر ، والأصيل يدعى شهاري ، والكديش يدعى خكر والصلبة يربون أيضاً الماشية بأنواعها .

وللصلبة مهارة عجيبة في صيد الغزال ، لأن أساس قوتهم لحم الغزال ، وهم حذاق في التحيل على صيده ، يكتنون له ساعات طوالاً في حفر يحتفرونها عند موارد الظباء ، حيث لا ظل يستترون به من الهجير المحرق أيام القيظ ، أو يطاردونه حتى إذا أعيا ووقف ، كالتفكر الغائب عن رشده أطلقوا النار وهجموا عليه ، ويطاردونه تارة ركضاً ، وتارة على الحمار الأبيض فإذا قربوا منه كلوا حمارهم همساً ، فيفهم الإشارة ويبرك كالبعير ، ثم يطلقون النار من وراء الزاملة متخذين بمنزلة القتره فيصطادونه .

ومن طعامهم بعد لحم الغزال والأرنب والطيور الشعير والذرة بأنواعها واللبن ،
وشراهم الماء القراح وإن لم يحصلوا عليه في مثل فصل الخريف ، أو في أرض الحماد بعد
جفاف الخبثات ، شربوا اللبن أو الحليب بدلاً منه .

وقيل إنهم يكرهون كل الكراهة : الكذب والسرقة والغش والخداع والمكر
والمداجاة ، والغبن في البيع والتجارة ، وهم يؤدون ديونهم بدون تأخير ، ومن طبعهم
الكدية وهم مشهورون بها ، فإنك لا تزال تراهم يتطفلون على موائد الغير من أي ملة أو
نحلة كانوا ، وبدون أن يدعوا إلى الطعام ، وهم لا يستنكفون من أي نوع من الطعام ولا
يحرمون شيئاً منه ، وإذا سمعوا بإحضار طعام في محل ، تراكضوا إليه متسارعين كأنهم من
أهل ذاك المحل .

والمرأة عندهم على جانب عظيم من الحياء والجبن ، وهي إذا شخضت مع زوجها إلى
المدينة تسكت بأهداب ثوبه أينما سار وسرى ، كأنها الطفلة الصغيرة بجانب أبيها ، وهم
لا يستقرون في مكان ، يرتادون الكلاً البعيد عن ممر الطريق أو ملاجئ العشائر ، فلا
يزاحون أحداً .

ومن الغريب ، أن لا يذكرهم أحد من علماء التاريخ والأنساب العرب القدماء
الذين لم يغادروا قبيلة ولا عشيرة إلا وأحصوها وفرعوها ، ولا حادثة إلا وسجلوها ، بينما
غفلوا هم ومؤلفو كتب الأدب والقصص عن هؤلاء الصلبة بالمرّة أو تناسوا وجودهم أو
جهلوه ، وهذا ما جعل الآراء تضطرب في معرفة نسبهم ومنشأهم ، فذهب بعض الكتاب
المتأخرين ، وتابعهم على ذلك عدد من قصيري الفكر والنظر عندنا إلى أن هؤلاء الصلبة
غير عرب في الماضي ، وغير مسلمين في الحاضر ، وأنهم من بقايا (الإفرنج الصليبيين) ،
وقد استندوا في ذهابهم هذا ، على الفروق التي بينها وبينهم وبين البدو ، وعلى أن بعض
هؤلاء الصلبة إذا سئل يجب - تقيّة أو تزلفاً إلى عمال الانتداب في العراق والشام - بأنهم
من بقايا الصليبيين ، بعد أن بلغت هذه الدعوى عنهم فأرادوا أن يستغلوها ، وهو استناد
خاطيء ، وجهل بالتاريخ ، وابتعاد عن علم طبائع البشر أردت بهذا المقال أن أفنده ،
تخليصاً لهؤلاء المساكين مما عزي إليهم .

فالصليبيون لم يتركوا منهم في بلادنا أي أثر ، حاربهم الملوك الأيوبيون والسلاطين المماليك ، وما زالوا يلاحقونهم ، ويقذفونهم في البحر حتى كان إخراجهم من نصيب السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٨٩ هـ ، فقد دفعهم وقتئذ من مدن الساحل الشامي كله ، ولم يبق منهم أحد ، فلا يعقل بعد جهد وكفاح قرنين كاملين أن ينجو جمع كبير ، بل عشيرة وفيرة تعد بالآلوف كهؤلاء الصلبة ، فيفلتون وينطلقون في بوادي الجزيرة العربية ، دون أن يعلم بأمرهم أرباب الدولة الإسلامية في ذلك الحين ، فيبقون أجيالاً يسرحون ويمرحون إلى يومنا هذا ، ولو فرضنا الحال ولبس قسم من الصليبيين طواقي الإخفاء وتواروا عن أنظار مسلمي ذلك العهد أخصامهم ومقتني آثارهم ، وراحوا رجالاً ونساءً وأطفالاً عديدين يطلبون مفراً وملأذاً ، لأووا إلى المدن والقرى والجبال والأودية التي توافق أجسامهم وأمزجتهم الإفرنجية ، وما اعتادوه من الجو البارد أو المعتدل ، والرغد والرفه ، ولما تغلغوا في أقفر الفلوات وأحر الصحراوات ، وأشقى المعاش والحالات ، التي يعجز عنها أجلد البدو وأتعسهم .

فهؤلاء الصلبة أعراب أقحاح ، وبدو خلص كسائر الأعراب والبدو ، وإن كان أصلهم غامضاً ، وكان في بعض ملاحظهم وعاداتهم وخصالهم العرقية اختلاف واضح ، وهذا الاختلاف يعود إلى انعزالهم عن بقية عشائر البادية منذ أجيال عريقة في القدم ، وإلى أنهم لا يخاطبون أحداً إلا في الأقل ، وإلى أن نسبهم الأصلي ، أو منشأهم غير معروفين ، أهمل السؤال عنها أدباء العربية ونسابوها القدماء ، أو أنه نسي ، أو كتم لأمر سياسي ، أو حروبي لحقهم ، فضلوا في مجاهيل الزمن والظنون ، ولهم أمثال في الضعة وازدراء العشائر ، وفي رداءة العيش وغبابة المظاهر والأطوار ، (كباهلة) التي كانت في عصر الجاهلية ، يأنفون من الانتساب إليها ، ومثل المهتم والشرارات والعوازم أحقر البدو والأمم في عهدنا في شمالي الحجاز ، ومثل أعراب الليثانة في وادي موسى (البتراء) في جنوبي بلاد الأردن ، سكان الكهوف والغيران ، على مثال إنسان عصور ما قبل التاريخ وغيرهم .

ورأينا هذا قد ارتآه أيضاً مشعل باشا الفارس الجرباء ، والأستاذ عباس العزاوي ، فقد جاء في كتابه (عشائر العراق) أن أصلهم بدو قد قضت عليهم الحروب في أبعد الأزمان ، فانقرضوا وبقوا متفرقين ، فهم بقاياهم المنتشرة ، وهم أنفسهم يعتقدون أنهم

(صبة ، صليبة) أي من العريقين في النسب ، ولكنهم نسبوا أصلهم ، أو أخفوه لأمر سياسي ، أو حربي لحقهم ، وكتبوا نسبهم حتى عن أولادهم فبقي مجهولاً ، ولا علاقة لهم بالصليبيين ولا باليونان ولا بالرومان ، فهم منقطعون عن الأمم الأخرى ، ولا نجد في لغتهم ما يؤيد فكرة الصليبيين ، والاستدلال بأنهم ليسوا من العرب باستنطاق ملاحظهم ، وبعض خصائصهم البدنية ، ونحافة جسمهم مما لا يدعمه برهان ، في حين أنني رأيت نظمهم بدوية لا تفرق عن عوائد البدو من شمر وعزرة وسائر عشائر الشامية ، ومن عوائدهم المخالفة ما يعين أنها ناشئة من عدم اتصالهم بالعشائر الأخرى ، إلا معاشرة طفيفة وموقته ، ومثل هؤلاء ما ينقل عن سكان جبل عكا الذين لا يختلطون بقوم ، كما نقل العرب عنهم في بداية تدوين اللغة .

وأما ما يقال من أن العرب يعتبرونهم غير عرب فهذا غير صحيح ، وإنما يقولون أنهم ليس لهم نسب معروف ، أما ديانتهم فلا يسع المرء إنكار أنهم مسلمون ، وهم وإن لم يقوموا بالواجب الدينية تماماً ، فهذا غالب في أكثر البدو مما عدا أتباع ابن سعود .

ونحوتهم (أولاد صليبي أو أولاد غانم) إلا أنهم يعدون من (آل) فهم ينزعون إلى القحطانية أو ما مائلها ، وهي على كل حال تعتبر من القبائل المتحيرة التي نسي ماضيها ، ولا تزال قبائل قد جهلت ماضيها ، فلا تحفظ أنها قحطانية أو عدنانية ، على أن هذا لا يخرجها عن عروبته ، إلخ ... اهـ .

قلت وإذا أثبت علم السلالات البشرية (الانثروبولوجيا) بعد فحص الجماجم والدماء أنهم ليسوا من الأعراب ، وأنه ينبغي أن يكون أصلهم ومنشأهم من خارج الجزيرة العربية نتجه حينئذ ، وبعد ثبوت الفحص فقط إلى أنهم قد يكونوا أتوا من الهند ، لأن في الهند أقاليم حارة كحرارة الجزيرة العربية ، وشظف عيش كشظف هذه الجزيرة ، يقاسيها الملايين من الهنود ، ولا سيما طبقة المنبوذين منهم ، فقد يكونوا من منبوذي الهند أو من الزط الذين أصلهم من الهند ، وجاءوا في عهد المأمون العباسي وظهر وقتئذ منهم عيش وفساد في طريق البصرة ، فعوقبوا وأبعدوا ، أو من النور الذين أصلهم في رأي أكثر المحققين من الهند ، وجاءوا إلى الجزيرة العربية على حين غفلة من أهلها وسكانها ، وانتشروا في أبعد البوادي وأشقأها ، وتلمسوا اللجوء والحياة في الغموض والكتان سترأ

لأصلهم الزري ، وفي خسارة النفس والعيش التي هي من شهيم الأولية ، ومهما يكن فالصلبة شرقيون آسيويون ساميون ، وليسوا صليبيين أوروبيين آريين ، وعرب مسلمون إسلامهم كإسلام سائر البدو ، وقد خدع أحد المبشرين الإنكليز فيما قيل عن نسبتهم إلى الصليبيين ، وعن ضعف إسلامهم ، فجاءهم في سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ م وحاول أن ينصرهم على المذهب البروتستانت ، فلم يفلح وذهبت أمواله ومتاعبه أدراج الرياح .

وفي عهد العثمانيين كان الصليب معفين من كل ضريبة ، وظلوا على ذلك في عهد الفرنسيين إلى سنة ١٩٣٢ م التي فرضت فيها عليهم ضريبة الأغنام أسوةً بغيرهم من العشائر ، ثم لم تضعفهم وعجزهم عن مدافعة أصغر قوة تهاجمهم من بقية العشائر ، أكرهوا على تأدية الخوة إلى كثير من هذه العشائر ، فهم يؤدونها إلى بعض شيوخ العمارات والقدعان والروالة والأشاجعة والولد علي والعمور الجراح وحتى الغياث والمساعد .

وهم بحكم توزعهم وتشتتهم يذعنون لسلطة كثير من الشيوخ ، وأشهر شيوخهم سليمان بن مالك وعابد النوري في العراق وعبيد بن معيوف في الشام (سورية) .

أما فرقهم فكثيرة ، وكل منها مستقل عن الآخر ، وأسماء المعروفة منها هي : المالك والهزيم والمسيم والجميل والطرفة والصبيحات والضبية واليتم والعراقية والماجد والغبان والنباق والعناترة والحازم ، على أن أكثر هذه الفرق وأفخاذها مشتتون في العراق ونجد وسواحل خليج البصرة ، ولا يوجد في بادية الشام (داخل الحدود السورية) إلا نحو ١٢٠ بيتاً ، يؤلفون فرقة الحازم التي يرأسها الشيخ عبيد بن معيوف بن عواد الزعف ، والشيخ عبيد شاب في العقد الثالث ، له الآن ثلاثة أولاد ، وكان أبوه معيوف غنياً جداً ، وذا كرامة وسمعة بالغتين ، وكان يلقب بتل اللحم ، كناية عن جوده وبذله في قرى الضيوف ، والشيخ عبيد وإن لم يبلغ شأواً أبيه ، لكنه لا يزال موضع احترام الجميع .

والصليب الذين يجوبون البراري الشامية ، يقيظون في المنطقة المحصورة شرقاً بوادي الصواب وبير جب ، وجنوباً بطراق العلب ، وغرباً بخط العليانية - سخنه ، شمالاً ببجل البشري .

وأكثر بيوت الصليب وخاصة بيوت الشيخ عبيد تحم في وادي المياه قرب بير ورقة



صيادون صليبيون ركبوا حميرهم وحملوا بنادقهم القديمة

وبير وريق ، بينا غيرها وخاصة بيوت اليتيم تصعد حتى وادي الهيل ووادي السلاهيـب
وبير الحجل ، ويوجد من الصليب فرقة منفردة عن غيرها تضرب دائماً في الجزيرة شرقي
تل أبيض وعددها نحو عشرين بيتاً ، والصليب يمتارون الحنطة والشعير من دير الزور
والبوكمال والميادين ، ويشترون حاجات اللباس وأمثالها من تجار حمص وحماة ودمشق ،
الذين يصلون إلى بيوتهم في الربيع ، ويبتاعون منهم السمن والصوف .

أما في الشتاء فإنهم يتوغلون داخل البراري العراقية وقرب الحدود ، ويخيون غالباً في
منطقة مغرة الديب وعقلة الصواب ، ويبقون دائماً حول الخط الممتد من أبي كمال إلى خيرة
الزرقاء التي في غربي جبل التنف ، وهم ما أن يروا الأمطار الموسمية حتى يغادروا منطقة
بير الحجل ووادي الهيل ووادي السلاهيـب ، ويتجهون نحو وادي المياه . وكما توغلوا نحو
بير ورقة وبير وريق ، يتجمع بعضهم على بعض إلى أن يبلغوا كثرتهم في مشاتهم في أنحاء
عقلة الصواب .

ويقدر أن لديهم ١٥٠ بعيراً و ٢٥٠٠ شاة و ١٢٠ من الحمير البيض المرغوبة كما قدمنا ،
وليس لهم أي ملك أو عقار .

زار الكايتين رينو الفرنسي هؤلاء الصليب في حدود سنة ١٩٢١ م فاحتفوا به وغنوا
أمامه وطربوا ورقصوا ، فوصف هذه الزيارة في كتابه (البدو في مقاطعة دمشق) وصفاً
جيلاً ، آثرنا تعريبه إتماماً لهذا الموضوع ، قال :

« في مساء جميل من شهر حزيران بلغنا موقع (أبي الفوارس) غربي تدمر ، وطلعت
الشمس مؤذنة بالغياب ، وتوارى نصفها وراء الجبل ، ولم يبق منه سوى بعض الأشعة
المتدة نحو السهل المستنير ببقايا تلك الأشعة ، وشرع النسيم العليل وقتئذ يهب ،
ويداعب أطناب بيوت الشعر ، وبدأ أمام أعيننا المبتهجة مشهد رائع .

في ذلك المساء برزت الطبيعة أمامنا بأجل زينتها ، وأزاحت السماء ثقابها الأزرق
اللطيف ، فأظهرت لنا نجومها كأنها حبات الحسن والجمال المنشور في الفضاء اللانهائي ،
وكانت الشمس الغاربة قد جعلت من رمل السهل الممتد أمامنا غباراً ذهبياً ، وصارت
الجبـال المحدقة بذلك السهل تتضاءل وتتلون بألوان زرقاء أو خضراء أو سماء .

وكان وقتئذ موعد رجوع الماشية إلى حظائرها ومعاطنها ، فكنا نسبح ثغاء الغنم ونهيق الحير البيض ورغاء الإبل وعواء الكلاب وصياح الرعاة الصغار ، كل ذلك كان يؤلف حولنا مجموعة الحان ساذجة ، جعلت عواطفنا تتحمس بمباهج حياة الرعاة .

وأشرفنا على طائفة من بيوت الشعر الواطئة ذات الألوان المجزعة ما بين أسود وأبيض وأسمر ، ورأينا فيها أناساً من البدو كانوا يتحركون ويلفطون بلا هوادة ، وقد تميزنا البيت الخاص برئيسهم الشيخ معيذف من لونه الأسود وعدد أعمدته ، وكان السواد الأعظم من هؤلاء البدو رجالهم ونساؤهم وأولادهم قد اجتمعوا وازدحموا على بعد بضعة خطوات أمام بيت الشيخ معيذف ، وتلقوننا بالتصفيق والترحيب والزغردة التي اعتادوا أن يفعلوها لكل قادم ، لولا أن هذه كان يضفي عليها الآن ابتهاج وحماس لم نعهد لها مثيل من قبل .

وبينا النساء عند كل البدو الذين نزورهم - إن لم يهرين منا - يتعدن عنا دائماً ، وجدنا نساء الصليب على غير المعهود من أمثالهن ، فقد لقين تعباً في شق طريق لنا بين الصفوف المتراسة العميقة ، وكان النساء في هذه الصفوف في جملة من وقفوا يمتعون النواظر برؤيتنا ، وبعد شرب القهوة أسعدنا الحظ بحضور حفلة راقصة غنائية رائعة ، سوف يبقى ذكرها الجميل محفوظاً مدة مديدة .

شاهدنا بادئ ذي بدء وعلى حين غرة ، أن هذا الجمع شرع يهوج ويهوج ويدور ، وارتفعت خيزرانة لم يعرف مصدرها ، وصارت تعلو وتهوي وتضرب بلطف ، وتفرق الجمع المحتشد ، وتفتح حلقة عريضة في وسطه ، وبرزت جوقة موسيقية لطيفة ، وإن كانت من الطراز العتيق ، وشرعت تنشد وتغني ، وتألف صف من الفتيات والفتيان اللابسين لباساً واحداً من القماش الأحمر والأزرق واتجه نحونا ، وشرع أحدهم يغني بصوت جمع الخشونة واللطافة معاً ، ثم لحقه المغنون وعدد من الفتيات الجميلات اللواتي كن يرددن الغناء مع الفتيان ، وازدادت الأصوات ارتفاعاً واهتزازاً ، وتتابع معها تصفيق ألوف الأيدي على الإيقاع والإسراع ، وكان يرافق ذلك خشخشة داوية للأساور الفضية والنحاسية ، وبلغ الزف المنشود حده ، وسار سيراً موزوناً ومتسقاً ولم يعد يتبدل ، ثم اشتدت الأهازيج والأصوات الناعمة الصادرة من الأفواه التي كانت قبل هنيهة طرية مستحبة ، واشتد معها



تصفيق الأيدي كلها على وتيرة واحدة ، وازداد اهتزاز الأجساد المرنة الكاملة التكوين ، وصارت تتموج بأناقة وحسن ، وما زالوا حتى بلغ اللحن والإيقاع أقصى حدما .

وجاءت فتاتان من أجمل فتيات الحي ، لابستان ثوبين من القماش الأزرق ، ولحقهما اثنان من الفتيان ، ودخلوا وسط الحلقة المبهجة ، وكان شعر الفتيات متديلاً إلى تحت أردافهن ، ومفروقاً ومضفراً على شكل عقائص ناعمة متموجة ، وقد صبغته بقليل من الحناء فاشقر ، وصار يشبه لون النحاس الأحمر .

وكانت حركات الفتيان بالإيماء وتمثيل الانحناء لتقيل الوجنات أشد وأبلغ مما كانت تفعله الفتيات من هز الرؤوس والأكتاف والسواعد والأفخاذ ، وهذا كان كافياً لملقطة عيون المتفرجين ، والتهاهما هذه المطاعم الشهية . فقد كانت عقاص الشعر الكستناوي تتابع حركات الرأس ، وكان الرأس أكثر الأعضاء حركة ، تارة يرتفع إلى فوق ، وتارة ينحني نحو اليمين أو نحو اليسار ، أو ينطوي لذاته حسب هزج الرقص الصادر من أفواه نساء الحي دون انقطاع .

وفي أثناء الهياج والدوران حاول أحد الفتيان أن يختلس قبلة من الفتاة التي كانت تراقصه ، فنفرت منه برشاقة وخطت بضع خطوات سريعة وابتعدت ، وأعاد الفتى محاولته عدة مرات كان يخفق فيها ، وما زال يحاول حتى فاز ببغيته واغتصب القبلة المنشودة ، وحينئذ انسحبت الراقصة فخلفتها واحدة من رفيقاتها ، وهذه أيضاً كانت مثل الأولى بارعة في الملاحاة والأناقة والإغراء .

ودامت الحلقة ، ودام استمتاعنا واستئناسنا بمنظرها ، ولم ننتبه إلا حينما جاء مضيفنا الشيخ معيذ في ظلمة الليل الفاحم ، يدعونا للعشاء ويقودنا إلى مائدة عظيمة ، كان الخروف المطبوخ يعلو فيها جبلاً من الرز ، انتهى .

☆ ☆ ☆

عشائر البلاد اللبنانية

الزريقات

فندة منفردة تزعم الانتساب إلى عشيرة الأسبعة العنزية ، وأنها انفصلت عنها منذ نصف قرن ، وهم رعاة لدى آل مرعب بكوات عكار وآل رعد بكوات الضنية ، وهم يشتون في سهل عكار ، ويصيفون في جرود عكار والضنية ، وعددهم نحو ١٠٠ بيت ، منتشرون زرافات صغيرة في كل شمالي لبنان ، وليس لهم رئيس متفق عليه ، بل هم يتبعون أصحاب المواشي التي يربونها .

العويشات

في وادي خالد وجبل أكروم ، ولم يتعين لنا أصلهم ، عددهم ٥٠ - ٦٠ بيتاً ، يربون غنماً وبقراً وجواميساً ، وهم كانوا في الأصل ملاكي وادي خالد ، أحد روافد النهر الكبير ، ثم انتقل هذا الوادي إلى عبد الله آغا العمر الدندشي ، ومن ورثة هذا إلى أغوات بيت حمود الدندشيين .

العتيق

فرقة من النعيم منفردة منذ عدة أجيال عن نعيم حص ، وهم نصف رحالة ، يشتون في وادي السرحان (جبل أكروم) ويصيفون في وادي خالد المذكور في شرقي قضاء عكار وغربي قضاء حص ، وهم نحو ٣٠٠ بيت ورؤسائهم مصطفى الأسعد وعلي الأحمد .

الغنام

أصلهم فيما زعموا من الموالي ، انفصلوا منذ زمن بعيد ، وهم أصحاب غنم وبقر وإبل

للرجاد والتجارة ، منازلهم في وادي خالد ، وهم نحو ٢٠٠ بيت ، وليس لهم رئيس متفق عليه .

عجرفة

رعاة لدى آل رعد بكوات الضنية ، يشتون في سهل عكار ، ويصيفون في جرود الضنية ، وهم نحو ٣٠٠ بيت ، ولم يتعين لنا أصلهم .

اللهيب

فندة من اللهيب في شمالي لبنان وهم رعاة لدى وجهاء عكار .

الأرامش

فندة من اللهيب في جنوبي لبنان منفصلة منذ أكثر من قرن عن العشيرة الأصلية ، يشتون في قضاء صور ، ويصيفون في ميس (شمالي غربي الحولة) وهم ٢٥ بيتاً ، رئيسهم عواد الأحمد .

المحدون

فندة من اللهيب في جنوبي لبنان ، منفصلة منذ أكثر من قرن عن العشيرة الأصلية ، يشتون في غربي الحولة ، ويصيفون في سفوح جبل عامل ، على الحدود بين شقرة وبليدة ، ورئيسهم الشيخ مسعود المناور وابنه محمود وعددهم ٢٠ بيتاً ، وهم مشهورون بلصويتهم ، وطالما لاحقهم القضاء الفلسطيني .

اللقلوق

فندة قيل أنها من اللهيب ، قدماء في أواسط جبل لبنان وجروده العالية ، منذ قرنين على الأقل ، فقد ذكرهم بركهارت في رحلته سنة ١٢٢٤ هـ وأنهم يدفعون الأموال الأميرية المفروضة عليهم إلى باشا طرابلس ، وذكرهم أيضاً وديع أبو فاضل في كتابه دليل

لبنان المطبوع سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م وقال : إنهم تملكوا أرضاً في أعالي كسروان ، في محل يقال له (اللقلوق) غربي العاقورة وتنورين ، وهم يقضون مدة الصيف فيه في خيام من الشعر ، وفي الشتاء ينتقلون إلى قضاء الكورة ، وهم شركاء اللبنانيين في الغنم ، ويملكون بضعة آلاف من الماعز ، وقال : ولكنهم على فقرهم وشظف عيشهم ، عندهم من العادات الحسنة كإكرام الضيف والصدق والشهامة والأمانة شيء كثير ، ولم يسمع قط أن أعرابياً منهم تعدى على أحد أبناء السبيل أو أساء معاملته ، قلت : من الغريب أن يكونوا هؤلاء بهذه الأوصاف الحميدة ؛ ويقال بعد أنهم من (اللهيب) المعروفين بغير ذلك ، وهم يسمون عرب اللقلوق أو الشارشين ، وعددهم نحو ٥٠ بيتاً ، وشيخهم الشيخ أحمد الخياد . وقد بلغني أن حالتهم حسنت عما قبل ، وتحضروا وأنشؤوا دوراً جميلة مؤثثة على أجل ما يكون في القرى اللبنانية المجاورة لهم ، على أنهم لا يزالون وراء ماشيتهم .

عرب المسلخ

هذا ولا يغلو جبل لبنان في وسطه وجنوبه من بعض رعاة ذوي المنابت المختلفة الغامضة ، يقيظون في جروده الشاهقة ، ويتتبعون منابت الكلاً في هضابها ومنحدراتها ، وفي الشتاء يهبطن القرى المتوسطة أو الساحلية الدافئة ، كالذين يلحظهم السائر في طريقه إلى بيروت ، في حول ظهر البيدر وصوفر وبحمدون وعاليه والجمهور وغيرها من القرى ، وهؤلاء يسمون هناك (عرب المسلخ) ، ولم يتيسر لنا معرفة أصولهم ، ولعلمهم من اللهيب أيضاً .



عشائر محافظة اللاذقية

ليس في هذه المحافظة الجبلية الضيقة ، الغاصة بسكانها ، مجال لنزول العشائر البدوية وجولاتها ، ومن ثم ليس لنا أن نذكر سوى بعض الأعراب الرحل الرعاة الموجودين في قضاء مصياف ، الذي من حقه ، وطبيعة أرضه ، أن يلتحق بمحافظة حماه ، نضيف إلى ذلك بحث الدنادشة الموجودين في قضاء تلكلخ ، لما لهم من الصبغة العشائرية .

قضاء مصياف

الزعيرات

فندة أصلهم من بني خالد ، وقد تقدم ذكرهم ، انفصلوا وصاروا رعاة لدى سكان قضاء مصياف ، لا يخرجون من حدود هذا القضاء ، عدد بيوتهم ٥٠ ، وهم وديعون في مشيخة حلو العبد الله .

بني عز

منفصلة عن أقاربهم بني عز الموالى ، وقد تحضروا منذ أمد بعيد ، يقطنون حول قرى ديمو وحنجور وكنفو ، ولا يزالون على صلة مع أقاربهم المذكورين .

قضاء تلكلخ

الدنادشة

هؤلاء ليسوا من العشائر الرحل أو نصف الرحل ، بل هم أسرة متحضرة كبيرة تعد

من البيوت نحو مئتين . إلا أنها لا تزال عشائرية الصبغة ، أعرايية النزعة ، فريدة المثال بين الأسر الكبيرة في بلاد الشام من حيث التكوين والخلق والمناقب ، ومن ثم حق لنا أن نخصها بشيء من البحث والتفصيل ، ونجعلها نموذجاً لأمثالها من الأسر الكبيرة العريقة في أريافنا ، ونحسب أننا لم نشذ عن الدائرة التي حصرنا بها كتابنا الباحث عن البادية والبدو ، ومن لا يزال يشبه البدو في حالته أو نزعته .

إذا جاز أن نسيمهم عشيرة ، فالدندشيون عشيرة متمدنة متوطنة ، منذ نحو قرنين ونصف في قضاء تلكلخ ، وهم يملكون قرى وضياعاً عديدة وأرضين شاسعة ممتدة من سهل عكار في الغرب إلى بحيرة حمص في الشرق ، وأجل قراهم تل حوش ونعرة وحجر الأبيض والعكارى ولفتايا ومشقى بيت حمود ومشقى بيت حسن وغيرها ، ناهيك سهل البقعة الفسيح المشهور بزكاء تربته وغزارة مياهه ، والضياع المحيطة بهذا السهل كأم حارتين وأم جامع وعيناتا وغيرها ، وعاصمتهم تلكلخ ، ولهم في هذه البلدة وفي بعض ضياعهم دور عصرية حسنة ، أما ثرواتهم فما تغله محارثهم ومزارعهم ، وهي معتدلة في الجملة وقليلة التفاوت بين بعضهم ، وربما تضخمت عند بعض محظوظيهم ، والأمر البارز فيهم ، هو أن لدى أكثرهم بسطة أجسام ، ووسامة وجوه ، وطلاقة أسنة ، وذيوخ أذكار بالحمية والأريحية ، والبراعة في الفروسية والمسابقة ، كانوا وما برحوا أهل سنان وعنان ، إذا ركبوا وتجولوا في ضياعهم وبين مزارعيهم ، تخالهم أهل الإقطاعات من نبلاء العصور المتوسطة وفرسانها ، وأخص خلاهم : العصبية وشدة الشكية ، ونزق الطبيعة والتجمل فوق الطاقة في لبسهم وركبهم وصرفهم وبذخهم ، لا سيما كلما زحرت حبوبهم وعمرت جيوبهم ، ومن محامدهم أنهم حاملو لواء العروبة ، ورافعو مبادئ الوطنية في تلك الأنحاء ، جاهدوا في سبيلها ، وجالدها وأوذوا واضطهدوا ، فلم يثن ذلك من عقيدتهم ، ولم يلن من أنفسهم وكرامتهم وعزيمتهم .

وقد أدركت في صغري منازلهم وصواوينهم العديدة التي كانت تغص بالزوار والضيوف ، بحكم وقوعهم في مركز القضاء ، وفي منتصف طريق حمص وطرابلس ، حيث يكثر الغادون والرائحون ، وكان السباق إلى ذلك بينهم عيدهم في أواخر القرن الهجري الماضي أسعد باشا محمد العباس ، ثم بعده عيدهم في الربع الأول من القرن الهجري الحالي

عبد الله آغا العمر العباس المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ، وكان هذا الآغا شيخاً جليلاً مهاباً ، ينطق بلهجة بدوية كأكثر معمرى هذه العشيرة وقتئذ ، مما يدل على قرب عهدهم بالبدواة وتأثلهم منها ، وكان رحمه الله كريماً جواداً ، تغشاه النزلاء والغرباء ، وحتى السياح الأجانب أحياناً ، فيجدون الشيء الكثير من هشاشة الوجه وحسن القرى ، وقد أدركت أيضاً يومئذ خيولهم العتاق من الصقلاويات ، والمعتقيات والعبيات ، وغيرها ، وعليها السروج المزركشة والعدد المنقشة ، كانوا يطاردون عليها ، ويكرونها ويفرون في أوعارهم وأكامهم الكداء ، وكانت هذه الخيل المطهمة تملأ الساحات والاصطبلات ، وتخطر أمام البيوت كما تخطر الغزلان في مراتعها ، وكانت الرماح والسيوف لم تنقرض بعد ، يحملونها ويلعبون بها تارةً ، وبالجريد تارةً ، ويمثلون أفاعيل الطعن والضرب ، وكذا الغدارات والقرايبات المفضضة يطلقونها ، ويمثلون القضاء بدويها ، وروائح بارودها ، وكانوا يلبسون القنابيز والزنانير الحريرية الثينة ، أو سراويل الجوخ الفضفاضة ، وفوقها العباءات الحمر الزنارية القصيرة المقصبة ، أو الدوامر جمع دامر ، والغطاشي جمع غطشية ، السود المطرزة وعلى رؤوسهم العقل السود المبرومة ، والخطايط السود ، أو الزرق الصوفية أو القطنية أو الحريرية ، وكانت قهوتهم العربية بمظاهرها البدوية في دورهم لا ترتفع أباريقها عن النار ، ودق المهباج بالطريقة المعروفة يطرب السامعين ، ويذكر بمضارب البدو في الصحراء ، وأحاديث الفروسية وميادينها ، والرهان والسبق وبراعة الفرسان المشاهير في ألعاب السيف والقنا ، وأخبار الضرع والزرع ، وضخامة البيادر ووفرة الغلال والنواتج في ضياعهم ومزارعهم ، وما حملوه منها على الجمال وساقوه وباعوه إلى تجار طرابلس ، وما قبضوا من أثمانها وأنفقوه وبددوه ، كل ذلك كان سمر المجالس ، وموضوع رواد المضافات والمنازل التي وصفناها .

وقد كان قسم كبير من هذه الأشياء والأزياء والحلال باقياً في حدود سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) حينما زارهم الأمير محمد علي توفيق ، شقيق خديوي مصر عباس حلمي باشا في طريقه من حصص إلى طرابلس ، تقله مركبة خيل ، إذ لم تكن السيارات درجت في بلاد الشام إذ ذاك ، فاستقبلوه من أبواب حصص بعددهم وعديدهم ، وواكبوه وطاردوا أمامه وتسابقوا ، ولما أوصلوه إلى تلكلخ أولوا له في بيت عميدهم المتوفى منذ حين محمد بك الحمد ولية عصرية فاخرة ، فدهش من مدنيته وأريحيتهم ، كما دهش من عروبيتهم

وفروسيتهم ، مما لم يشهد نظيره في مكان آخر من بلاد الشام ، وقد وصف ذلك بالتفصيل في كتابه (الرحلة الشامية) ، وأثنى عليهم ثناءً جميلاً ، وظل يذكرهم إلى آخر أيامه .

وبدهي أن يفعل مرور الزمان وتطور العهود والميول في الأشياء والأزياء والحلال التي ذكرناها ، فيبدها وينقصها إلى حد بعيد ، (وسبحان من لا يحول ولا يزول) وسنذكر ذلك في آخر هذا الفصل .

أما منشأ الدنادشة وزمن مجيئهم إلى قضاء تلك الخ وأسبابه واسمهم القديم قبل أن يسموا دنادشة ، وإلى أي أرومة عربية ينتسبون ، وشجرة أصولهم وفروعهم ، وتاريخ وقائعهم وتراجم كبرائهم ، كل ذلك قد بحثت فيه كثيراً وسألت ، فلم أجد ما ينفع الغلة بحكم إهمالهم هذه الأمور وعدم تسجيلها وحفظ وثائقها ، شأن أكثر الأسر القديمة والكبيرة في حواضرنا وبوادينا للأسف ، ولم أتوصل بعد الجهد إلا إلى ثلاث روايات مختلفة متقطعة ، غير مدعومة ببراهين ووثائق تاريخية .

فالرواية الأولى ، تتخطى القرون وتطفر من فوق الأجيال العديدة ، فتنسب الدنادشة مباشرة إلى حمير في اليمن ، وإلى بطن منهم اسمه فيما زعموا (البراجم) ، بينما لم أجد أثراً لهذا الاسم في كتب الأنساب والتاريخ التي نبشتها ، وهم من هذا الانتساب إلى حمير يلقبون أنفسهم تارة بضناً تبع ، ثم تمضي الرواية فتجعل مجيئهم من اليمن إلى العراق في عهد الفتوح ، وأنهم ظلوا هناك على البداوة حتى العهد العثماني ، وإذا صحت هذه الرواية ، معناها أنهم قحطانيو النجار ، وأنهم مكثوا في العراق نحو عشرة قرون دون انقطاع ، ولكن يا أي مكان من العراق ، وماذا كان اسمهم فيه ؟ وماذا فعلوا طول تلك القرون ؟ ولماذا ظلوا على بداوتهم ولم يتحضروا كما تحضر غيرهم ؟ وما سبب خروجهم من العراق ومتى كان ذلك ؟ . كل هذا لا يذكره أحد ، ولا يؤيده سند .

والرواية الثانية ، تجعل انتسابهم إلى الضياغم ، بحكم أن أحد أجدادهم وهو عبود كان ملقباً بالضيغمي ، فإن صح ذلك يكونون من أقارب عشيرة العبدية ، أحد بطون قبيلة شمر المعروفة ، وكلمة ضياغم كما هو معلوم ، تجمع كل شمر في وحدتها .

والرواية الثالثة ، تجعل انتسابهم إلى عشيرة الفحيلية التي قدمنا ذكرها في بحث قضاء

الزوية ، وأنها بعد أن كانت ذات قوة وسطوة ، ضعفت وانحلت ولم يبق منها سوى بضعة بيوت ، وتقول هذه الرواية : أن أحد الضياغم المذكورين في الرواية الثانية لما كانوا في العراق ، أو في نجد أعقب ولداً اسمه فحلاً ، وأن فحلاً هذا قدم إلى أنحاء حوران مع فئة من العشيرة ، واستوطن هناك ، واستفحل أمره ، فسميت ذريته أو عشيرته بالفحيلية الذين تقدم ذكرهم ووصفهم ، والمعرفة والصلة موجودتان بين الدنادشة وبين فلول الفحيلية الباقين في أنحاء فيق وسمخ وإن كانت على قلة وندرة ، وفي قول : أن فحلاً أعقب ولداً اسمه عزائم ، وفي قول آخر : أن عزائم هذا هو رجل من الفحيلية ، هجر عشيرته ووفد إلى أنحاء حمص في زمن يظن أنه أواخر القرن الحادي عشر ، ومن أبناء عزائم هذا نشأ رجل اسمه عبود يقال أنه الجد الأعلى للدنادشة ، جاء وسكن بادئ ذي بدء في برج الدنادشة الذي كان مبنياً فوق الأكمة المشرفة على تلكلخ من جنوبيها ثم اندثر .

ثم قيل : إن عبوداً المذكور أعقب ثلاثة أولاد أو أحفاد ، أنجبوا من بعده ثلاث بيوتات ، فإبراهيم جد بيت إبراهيم القاطنين في تلكلخ ، وحسن جد بيت حسن القاطنين في مشق بيت حسن ، وحمود جد بيت حمود القاطنين في مشق بيت حمود ، وقد تفرع بيت إبراهيم من بعد إلى فروع الإبراهيمية والعباسية والعثمانية والرجبية ، وتفرع بيت حسن إلى فروع الأسعدية والأسبرية والدرباسية . وتفرع بيت حمود إلى العبودية والعثمانية ، وأفراد الدنادشة يلقبون بالآغاوات جمع آغا ، ونخوة الجميع أخوة زرقاء .

وقيل : إن في قرية تاتف من قضاء الباب في محافظة حلب فرعاً رابعاً للدندشيين ، يدعى هناك بيت صالحة ، عرفه دنادشة تلكلخ من نصف قرن ، وأقروا به ، وقد ذكر كبير هذا الفرع ، وهو الحاج طه بن خلف بن محمد بن خلف بن صالح بن خلف ، أن هذا الفرع هو من أعقاب محمد بن عبود العزايم الضيغمي ، وأن محمداً هذا جاء إلى التاتف نازحاً من أنحاء تلكلخ ، على أثر قتل أخيه من قبل عامل إبراهيم باشا المصري ، واستقر فيها وأعقب بعد موته ذرية تضم نحو ٢٠ - ٢٥ من الذكور تعمل في الزراعة والتجارة ، وأنه بعد انقطاع نحو ٦٠ - ٧٠ سنة ذهب بعض هؤلاء إلى تلكلخ ، وزار أقاربه الدنادشة ، وأثبت لهم صلتهم وقرباتهم ، بموجب أوراق فصدقوها ، وحصلت المعرفة والصلة ، وإن ظل البعض مرتاباً فيها .

قالوا : وكان للدندشيين في أوائل القرن الثاني عشر أو أواسطه رئيس اسمه الشيخ إسماعيل ، هو أول من منحته الدولة العثمانية لقب (آغا) ذي القيمة الكبيرة فيما مضى ، وأقطعتة خمس قرى في جنوبي حص وهي جوسية ومودان والحوز وحير البصل ولقتايا ، ذلك ليقوم هو وعشيرته بتأمين السابلة بين حص وطرابلس ، ويكون حاجزاً في وجه علوي هذه الأنحاء ومسيحيي لبنان الشمالي ، قيل : إن هذا الإقطاع مؤيد بفرايين سلطانية ، فقدت يا للأسف في حادثة فرار الدندشيين من وجه إبراهيم باشا المصري ، ولو بقيت ، أو لو عثر عليها ، لظهر في هذا البحث التاريخي بعض ما برح غامضاً من سيرتهم .

وقالوا عن سبب تسميتهم بالدندشيين : هو أن التركان السابقين في سكنى هذه الأنحاء (وقد ذكرناهم في بحثهم الخاص) لما رأوا إسماعيل آغا المذكور وأقاربه لقبوهم بالدندشلي أصحاب الدنادش ، لأنهم كانوا يزينون سروج خيلهم بعذبات مرسلّة تدعى (دنادش) ، ويلبسون قصاناً فضفاضة ذات أردان كبقية البدو ، ومن ثم صار اسمهم (دندشلية) وتنوسي اسمهم القديم بالمرّة ، وهذا القول في ظني تخريج ضعيف لو وجد غيره لكان أصوب .

وأقدم ذكر في الكتب والأوراق القديمة للدندشيين عثرت عليه بعد بحث وتنقيب طويلين ، هو :

أولاً : ما جاء في رحلة السائح الدانماركي نيبوهر (ج ٢ ص ٣٣٨) المطبوعة في سنة ١١٨٤ هـ (١٧٧٢ م) ، في سياق بحثه عن عشائر بلاد الشام وقتئذ ، فقد وضع الدنادشة بين عشائر التركان ودعاهم (دندشلي) ، وأن عددهم ٥٠٠ بيت ، ولعله كان واحداً في أداة (لي) التركية ولقب (آغا) اللاحقين بهم ، بينا أطوارهم وأخبارهم لا تدع أي ريب في عروبتهم الصرحاء .

ثانياً : ما لقيته في أوراق وحجج قديمة محفوظة في دير مارجرس الحبراء ، لما زرت هذا الدير وبت فيه في ربيع سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ، منها كتاب بتوقيع ضابط حمه نصوص تاريخه ٨ رجب سنة ١١٩٧ هـ ، يطمئن فيه هذا الضابط رئيس الدير الشمالي ميخائيل ، عن كل ما يصيبه من الضرر من الحزازرة و (الدنادشة) ، ولعله يعني بالحزازرة التركان القاطنين في ناحية حذور ، ومنها كتاب من والي دمشق كنج يوسف

باشا تاريخه ١٢٢٣ هـ يخاطب كواخي (جمع كاخية بمعنى مقدم أو مختار) قرى حذور والدريب وأغوات الدنادشة بأن يدفعوا ديونهم إلى الدير ، فيظهر من هذه الوثائق أن الدنادشة موجودون في قضاء تلكلخ من قبل سنة ١١٨٤ هـ أي من قبل السلطان مصطفى الرابع (١٢٢٢ - ١٢٢٣ هـ) الذي قالوا : أن فرمانهم الضائع كان يذكر اسم جدهم إسماعيل آغا ، ولعل هذا السلطان صاحب فرمان المذكور ، لم يكن مصطفى الرابع بل مصطفى الثاني (١١٠٦ - ١١١٥ هـ) ، وبذلك يتأيد ظننا أنهم وجدوا في أوائل القرن الثاني عشر أي من قرنين ونصف .

وعلى كل حال فقد قام الدندشيون مدة مديدة منذ عهد سلفهم إسماعيل آغا المذكور بالمهمة التي كلفتهم الدولة بها ، أي حفظ طريق حمص - طرابلس ، فازدادوا من جراء ذلك بسطة في العدد ، ووسعة في الملك ، وقسوة على قروبي هذه الأنحاء ، وقد عثرت على ذكرهم في كتاب (تاريخ لبنان في عهد الشهابيين) صفحة ٢٠٠ وما بعدها ، فما قاله في حوادث سنة ١٢١٤ هـ : وجه عبد الله باشا والي عكا وأمره إلى علي بك الأسعد المرعي والشيخ صقر المحفوظ و (الدنادشة) وإلى فاضل رعد حاكم الضنية بأن يجمعوا رجالهم ، ويمشوا صحبة الأمير الشهابي حاكم لبنان ، وقال في حوادث تلك السنة أيضاً : أن علي بك الأسعد حاكم وادي راويل من قبل عبد الله باشا تسلّم قلعة الحصن ، وطرد الدنادشة منها ، وقال في حوادث سنة ١٢١٦ هـ : أن الدنادشة قووا على علي بك الأسعد ، وأخرجوا أخاه مصطفى من قلعة الحصن بالخنداع وتسلموا الحصن ، وفي حوادث سنة ١٢٢٢ هـ أن كنّج يوسف باشا والي دمشق أرسل آرما القبض على الدنادشة حكام وادي راويل ، وجرمهم بمئة كيس . وعثرت في خطط الشام للكرد علي (ج ٣ ص ٦) في حوادث سنة ١٢٠١ هـ بأن الموالي لما ثاروا في ضواحي حمص وحماه ونهبوا القرى فتكوا بأغوات الدنادشة ، حكام المدينتين منهم ، وقد بحثت عن هذا الخبر فلم يؤيده أحد من العارفين والمعمرين ، ولم يذكر أن الدنادشة حكموا في زمن ما مدينتي حمص وحماه ، فمن أين نقل صاحب الخطوط هذا الخبر ؟

على أن الأخبار المذكورة في تاريخ لبنان إن صحت ، تدل على أن الدنادشة كانوا في أوائل القرن الهجري الماضي حكام وادي راويل أحد روافد النهر الكبير المتحرق لسهل

البقية ، وتدل على أنهم ملكوا قلعة الحصن مدة من الزمن ، ونازعهم عليها علي بك الأسعد المرعي. حاكم عكار ، لكن هذه الأخبار أيضاً لا يؤيدها ويذكرها أحد من سألتهم ، ولم يرو أحد خبر مكوث الدنادشة في قلعة الحصن في زمن ما ، فإن كانوا استعادوها من علي بك في سنة ١٢١٦ هـ ، ترى من أخرجهم منها وكيف ومتى ؟ ثم كيف سكنها من بعد السادة الزعبيون ، وشادوا فيها دوراً ، وبقوا فيها مع فلاحين عديدين أكثر من قرن ، إلى أن قام الفرنسيون في حدود سنة ١٣٥٠ هـ ، وأخرجوهم منها جميعاً ، ونقدوهم ثمن دورهم ، وهدموا هذه الدور ، وجعلوا هذه القلعة خاصة بزيارة السياح وبرواد الآثار ؟ إن رواية تاريخ الشهابي أيضاً فيها نظر .

ثم قالوا : لما زحف إبراهيم باشا المصري على بلاد الشام عمل الدندشيون كما عمل بعض الأسر الإقطاعية الكبيرة ، فهم أخلصوا وقتئذ للدولة العثمانية ، ووقفوا في جانبها وقاوموا الباشا المذكور ، فثار منهم وأعدم أحد رؤسائهم المسمى عبد الله آغا الحمود ، فخافوا ونزحوا بكليتهم من تلك الخ إلى براري حمص الشرقية ، وظلوا مدة من زمن حكم الباشا المذكور (١٢٤٧ - ١٢٥٦ هـ) مشردين ، بعد أن أودعوا سلاحهم ومالهم عند أحمد المهنا شيخ عشيرة الأحسنة ، وفي رواية : أن الباشا المذكور طالب هذا الشيخ بدائع الدندشيين ، فلم يلبه فغضب عليه وصلبه ، ومن هنا ظلت الصلة وثيقة بين الدنادشة والأحسنة ، ينجد بعضهم بعضاً في الملمات .

ولما جلا إبراهيم باشا عن ديار الشام ، وعاد الحكم إلى العثمانيين ، رجع الدندشيون إلى أوطانهم ، وإلى القيام بوظيفتهم في حفظ السابلة وإظهار السطوة ، إلى أن استفزوا نقمة إسماعيل خير بك الهواش رئيس عشيرة الكلبين من العلويين ، وقد كان هذا شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية ، وطغى وبغى وتفرد في حكم أنحاء صافيتا وتلك الخ (١٢٧٠ - ١٢٧٥ هـ) ، وقد هاجم الدنادشة واضطروهم إلى الانكفاء من أمامه ، والجلء عن تلك الخ ، فجاء وأحرقها ، لكنهم هاجوه من بعد في ساحل عكار ، وثأروا لكرامتهم منه .

ولما نظمت الدولة أمور الولايات بعد سنة ١٢٨١ هـ ، وألفت قضاء حصن الأكراد ، وجعلته من أعمال لواء طرابلس الشام ، استلم موظفوها وجنود دركها مهمة الأمن التي كانت في يد الدنادشة ، فانصرف هؤلاء من ثم إلى زرعهم وضرعهم .

وبقوا في عهد السلطان عبد الحميد كله في عيشة راضية ، لا دأب لهم إلا توسيع أملاكهم واستثمارها وجني غلالها ، شعروا مرة أن سهل البقيعة يكاد يخرج من أيديهم بحكم تسجيله باسم أحد وجهاء مسيحي بيروت ، فأوفدوا رئيسهم أسعد المحمد العباس إلى استانبول ، وما زال هذا يدافع ويراجع حتى نجح في تسجيل البقيعة باسم الدنادشة ، وفي الحصول على لقب (باشا) ، وقد ظلوا بعد ذلك يستقبلون الضيوف ، ويودعون الزوار بين زرع وحرث ، وصيد وقنص وركب خيول ، وإقامة عرس ولهو وأنس ، مرت بهم السنون الطوال في تلك العهد الرخية ، لا يسمعون ولا يرون ما يزعج لتأزهم وتعاضدهم أكثر من الآن ، فكان صدرهم معتزاً ، وعطفهم مهتزاً ، وضيْفهم ملتذاً .

وخلال الحرب العامة الأولى (١٣٣٣ - ١٣٣٧ هـ) جمعوا ثروات حسنة لما عزت الأوقات ، وكثر الجائعون والأموات ، فاستفادوا من أسعار غلالهم ، ووفوا ديونهم التي كانوا مثقلين بها ، بحكم الصرف والبذخ اللذين ألفوهما ، إلى أن انتهى الحكم العثماني في خريف ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وجاء الاحتلال الفرنسي إلى ديارهم ، وشرع ينازع الاستقلال العربي الذي كان مأمولاً على يد المرحوم الملك فيصل الرابض في دمشق ، وصار الفرنسيون يرفعون الأذلاء ويغفزون الأعداء ، ويقطعون أوصال البلاد ، ويوطدون بها لحكمهم الاستعماري ، فغلت النخوة العربية والعزة القومية في صدور الدنادشة ، والمحازوا إلى دعوة الملك المشار إليه ، وتنكروا للفرنسيين ، وقاوموا انتدابهم على عسرة موقعهم الجغرافي ، وقلة عددهم وعديدهم .

ففي تشرين الثاني سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) بدأت حركتهم لما رفع الفرنسيون علمهم على دار حكومة تللكلخ ، وكلفوا وجهاء الدنادشة إرسال وفد إلى بيروت ، للاشتراك في استقبال الجنرال غورو ، فأبى هؤلاء وأنذروا الحاكم العسكري الفرنسي ، بأن ينزل العلم ويؤلف حكومة وطنية في تللكلخ ، ولما رفض الحاكم المذكور ، أطلقوا الرصاص على دار الحكومة ، وقتلوا بعض الجنود الذين كانوا فيها ، وفي أماكن أخرى ، ولاقي ضابطان فرنسيان اثنين من شبابهم شرقي تللكلخ ، فطلبوا من الشاين أن يسلموا سلاحها فأبى ، ولما هدهما قتل الشاين أحد الضابطين وجرحا الثاني ، وتفاقم الخطب ، وساق الفرنسيون من طرابلس حملة قاتلها الدنادشة في ١٥ كانون الأول من تلك السنة في غربي تللكلخ وردوها ،

فعرزها الفرنسيون بحملة أقوى مجهزة بالمدافع والرشاشات ، وهاجمت الحملتان ثوار الدنادشة ودام العراك نحو ثلاثة أيام دافع هؤلاء ماوسعهم الجهد ، ثم اضطروا أمام القوى النظامية الفائقة إلى التراجع واللجوء إلى حمص ، بعد أن كانوا أبعدها عائلاتهم إليها من قبل ، ودخل الفرنسيون تلكلخ ، وأعملوا فيها وفي قريتي باروكة ومشق بيت حسن الدمار والنهب والسلب ، وقتلوا بعض من صادفوه من شيوخ الدنادشة ، كأحمد آغا الحسين وشبابهم وأتباعهم ، ثم فرضوا على البارزين منهم غرامات نقدية باهظة من خيول وأسلحة ، وحكوا على مسبي الثورة منهم بالإعدام ، ومصادرة الأموال والأرزاق أمثال عبد الله الكنج وولده محمد أبو عبود ، وأسعد الفياض وأسعد الكنج ومصطفى العبد الله العمر وخالد الرسم وحسن الإبراهيم ، ورحل وقتئذ أكثر الأغوات إلى دمشق حيث استقبلوا بالخفاوة ، وأقاموا فيها عدة أشهر ، اشتركوا في معظم المساعي الوطنية التي دارت حتى سقوط الحكومة الفيصلية .

وبعد أن ظل الدنادشة مهديين ومشتتين مدة عفي عنهم ، فرجعوا إلى ديارهم وأعمالهم ، يلمون شعثهم ويستعيدون بعثهم ، وضم الفرنسيون قضاءهم إلى محافظة اللاذقية التي حكموها حكماً مباشراً طوال ربع قرن ، وظل الدنادشة هذه الحقبة كلها يتلقون ضروب الاستتقال والحرمان ، وهم يقابلون ذلك بعزة العروبة وأنفتها وكرامتها ، لم يخضعوا ولم يستكينوا حتى زال الانتداب الفرنسي البغيض ، وحصل الاستقلال المنشود ، وانضمت محافظتهم واجتمع شملهم بعاصمة الوطن الشامي الكبير .

إلا أن بلدتهم تلكلخ تجردت اليوم من أكثر المظاهر التي وصفناها ، فنزح بحكم الضرورة كثير منهم إلى ضياعهم ومزارعهم ، مؤثرين حياة العزلة والزهادة ، أو إلى حمص أو طرابلس أو غيرها ، واختفت بعد ظهور السيارات الخيول العربية وأقفر الاصطبلات إلا ما ندر وختل المنازل من مرتاديه إلا في الأقل ، وتوارت تلك القهوة اللذيذة فلا تظهر إلا حيناً بعد حين ، متواضعة ليس فيها شيء من عزتها السابقة ، التي كانت قبل ٢٥ - ٣٠ سنة وما قبل ، غير الأثر والذكرى .

وقصرت تلكلخ عن مثيلاتها من مراكز الأفضية ، رغم وقوعها على الخط الحديدي وطريق السيارات اللذين لا ينقطعان نهائياً ولا ليلاً ، فهبطت إلى مستوى القرى العادية

وظلت محرومة من الماء والكهرباء والمجارير والطرق المعبدة والمغروسة وأمثالها من وسائل العمران ورفه الزوار والسكان .

هذا ويتمنى محبو الخير لهؤلاء الدندشيين - بعد أن زالت دولة السنان والعنان - أن يكثروا من إرسال أبنائهم إلى المدارس الراقية ، ويزيدوا عدد متعلميهم ومثقفهم ، ويعنوا بإتقان الزرع والغرس ، وتحسين الري في أراضيهم الخصبة المستعدة لأزيد وأحسن مما يعملونه هم ، على هون وتقاعس واتكال على الحول ، ومساعدة الأقدار والأمطار والأسعار .

وقد كان الدندشيون فيما مضى يذعنون لرئيس كبير بينهم ، أقدمهم ذكراً عباس الإبراهيم العبود ، وبعده عثمان الحمد الإبراهيم ، وبعده ابنه محمد العثمان الحمد ، وبعده أسعد الحمد العباس ، وبعده عبد الله العمر العباس الذي قدما وصف محامده وآخرهم محمد الحمد الحمد ، أما الآن فليس لهم رئيس أوجد ، ذلك لتساوي كبرائهم بالنباهة والوجاهة .

ولابد من التنويه بأن في شمالي قضاء الهرمل من لبنان أسرة كبيرة أخرى اسمها (بيت دندش) يختلط الأمر على بعض الناس ، فيحسبهم الدندشيين الذين وصفناهم ، بينما الفرق كبير بين الأسترتين ، فهؤلاء الهرمليون شيعة جعفريون وقرويون عاديون ، وذوو سمعة في الشقاوة والعدوان ، حتى ضاق الفرنسيون بهم ذرعاً في سنة ١٩٣١ م ، فأجلوهم عن بكرة أبيهم إلى قضاء الميادين في محافظة الفرات ، وتركوهم هناك مدة ، ريثما تابوا وعادوا إلى السكينة ، فلينبه القارئ إلى الفروق بينهما .



عشائر محافظة حماة

قضاء حماة وسامية

قبل الشروع في ذكر عشائر محافظة حماة ، نرى من وفاء الذم في هذا السجل الذي نؤرخ به أعمال بعض أبناء زماننا وآثارهم ، أن ننوه بما صدر عن عشائر هذه المحافظة من الحمية الوطنية والشهامة العربية ، فقد أنجدوا أهل مدينة حماة حينما هب هؤلاء جميعاً ، وتضامنوا ودفعوا العدوان الفرنسي الذي حدث في أواخر شهر أيار سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م واستحقوا الإعجاب والثناء ، وهذه العشائر فيما قالوه هي : الأسبعة وبنو خالد والتركي والعقيدات والخراشيم وبنو عز الرعية والمشارفة الرعية والنعم ، وبعض فرق الموالي كبنو عز والمشارفة والدواونة والغازي ، فقد هرع هؤلاء إلى حماة ، وخاضوا المعركة مع مجاهديها ، وأبلوا بلاءً حسناً ، ورفعوا رأس العشائر عالياً ، على أن فضلاً كبيراً في هذا الدفاع المجيد يعود إلى محافظ حماة السيد خالد ضيا الداغستاني ، فقد أبرز في تلك الأيام العصيبة من الحزم وحسن القيادة والتدبير ، ما جعل الدفاع ناجحاً وميزان حماة راجحاً ، وقد سجلنا هذه المأثرة للذكرى والتاريخ ، وليعمل العاملون مثل ذلك .

في محافظة حماة من عشائر عنزة الكبيرة عشيرة الأسبعة ، ومن عربان الديرة العقيدات والبنو عز الرعية والتركي والبشاكم والجلان والمشارفة الرعية ، وبعض الموالي والحديديين والنعم ، وإليك وصف كل منها :

الأسبعة

عشيرة عنزية كبيرة العدد (نحو ٤٠٠٠ بيت) من ضناً عبيد وضناً بشر ، غنية بالسلاح والإبل والخيل والغنم ، مشهورة بالشجاعة والفروسية ، وهي إلى آخر عهد الترك

كانت تأخذ الخوة من قرى حمص وحماة ، ناهيك بقرى المناظر والقوافل المارة في براريها ، وهي تعد عنزة محافظتي حمص وحماة على السواء ، لتردها على ناحية تدمر ، ولنزول فريق منها (المصاربة) في ناحية جب الجراح ، والناحتان من عمل حمص ، إلا أن انتاء الأسبعة إلى حماة أشد بحكم نزول كثرتها في شمالي شرق حماة وسلمية ، ولأن معظم الغنم الذي تربيته هو للحمويين ، وهي لما نزحت من شمالي الحجاز في أوائل القرن الثالث عشر ، تركت في مواطنها الأصلية (تياء وخيبر) بساتين نخيل كثيرة ، ولا يزال بعض الأسبعة يدعي ملكية قسم من هذه البساتين ، وهناك بين الحجاز ووادي الدواسر تتبدى عشيرة اسمها (السبيع) هي قريبة الأسبعة بإقرار الفريقين ، والأسبعة لا تزال على بداوتها الصرحاء لم يتحضر أي فريق منها بعد ، تربى الإبل والغنم معاً .

وقد انقسمت الأسبعة إلى قسمين مستقلين ، يتصرف كل منها تصرفاً منفرداً عن الثاني ، ولكل منها رئيس خاص ، بيد أن وشائج القرى وصلة العصبية لم تنفصم بعد بتاتاً ، كما انفصمت بين قسبي الولد والأخرصة من عشيرة الفدعان ، وهذان القسمان هما الأسبعة الأعبدة والأسبعة البطينيات ، والفرق بينهما ، أولاً : تفاوت العدد ، فالمشهور أن الأعبدة أكثر عدداً من البطينيات ، فلو فرضنا أن الأسبعة جميعها تعد ٤٠٠٠ بيت تكون النسبة هكذا : ١٥٠٠ البطينيات و ٢٥٠٠ الأعبدة ، وإن كان هناك من يقول بأنها متساويان ، ثانياً : أن فرق البطينيات متحدة متساندة بفضل القيادة والسيطرة القويتين اللتين لآل المرشد ، ولا سيما للرئيس الحالي الشيخ راكان ، بينما فرق الأسبعة متنازعة متفككة ، منذ أن زالت ثروة رئيسها المتوفى برجس بن هديب ، ودالت حرمة ، وانصرف آل هديب للشقاق .

قال البسام في كتابه الدرر المفآخر عنهم : « ومنهم (يعني عنزة) السبعة المشهورون ، والكعاة المدخرون النازلون الخوف ، والمقرون الضيوف ، ذوو الأكف الوطف ، والرماح الرعف ، والمارقون من الدم مروق السهم من الصف ، أولئك هم خير البرية » ، وذكر لي صديقي وتلميذي الوفي السيد محمد الجندي من وجهاء سلمية أن سمعة الأسبعة بين العشائر في الذروة من الجودة والحمدة ، وهي تمسك بالفضائل العربية ، وبمزايا أجدادها الأقدمين ، كحماية الدخيل ، وإقراء الضيف ، وعدم حلف اليمين الكاذب

مهما كلف الأمر ، وأنها تحترم رؤساءها احترام الولد لأبيه ، وتنتصر لمن يستجير بها ، مهما أحوجها النصر من تضحية ، وها نحن نصف أحوال قسبي الأسبعة حسبها تلقيناه وسمعناه .

الأسبعة البطينيات

ويقال لهم أيضاً القمصنة (الأقصة) ، وهو اسم أحد الفرقتين اللتين تتألف العشيرة منهما ، بحكم أن بيت الرئاسة هو في هذه الفرقة ، وعدد البطينيات كما قدمنا هو ١٥٠٠ بيت ، ويقال أن عندهم ٢٥٠٠٠ بعير و ٣٠٠٠٠ شاة ، ومنازلهم في القيط شمالي قضاء سامية (السعن وسعين ، بغديد ، قصر ابن وردان) ، وفي الشتاء القعرة داخل الحدود العراقية ، والرئاسة في يد الشيخ راكان بن بشير بن سلاب بن ضويحي آل مرشد ، وهو نائب في البرلمان السوري ومن رؤساء العشائر البارزين بذكائه ونشاطه ، وحسن إدارته لعشيرته ، وقد شرع منذ عشرين سنة باستئجار أراضي من أملاك الدولة ، في مواقع قصور السلامة والشادوف وقناة دوش وادي العذيب في شرقي ناحية سعن وسعين في قضاء سامية ، وفي أنحاء جب الكديم (١٣٣ كيلاً شرقي سامية) ، ويعد الشيخ راكان في مقدمة رؤساء عنزة في بناء القرى ، وإشادة الدور ، وتفجير القني الأثرية ، والعكف على الحرث والزرع والميل إلى الحضارة في المسكن والمعيشة ، فقد بنى في كديم داراً كبيرة وأنشأ في بغديد بستاناً ، وهو يسعى لإتمام فتح آبار قناة كديم الأثرية ، وإذا كتب له النجاح قد تستقر عشيرته وتتحضر وتعمر تلك البراري النائية .

وقد أوثق الشيخ راكان صلاته مع بقية العشائر ، فتزوج ابنة الأمير مجحم بن مهيد رئيس الفدعان الولد ، ثم ابنة الشيخ نواف الصالح شيخ الحديديين ، ويكاد يستقل وحده برئاسة قسبي الأسبعة (البطينيات والأعبدة) ، لأن أكثر فرق القسم الثاني أي الأعبدة تنقاد إليه إلى حد بعيد ، وله في قيادة الغزوات وقائع وأحاديث متواترة ، حتى أنه خلال النزاع الهائل الذي شجر بين الأسبعة والروالة (ضناً عبيد وضناً مسلم) في سني ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ هـ ، وقد قدمنا بحث هذا النزاع في فصل عشيرة الروالة (ص ٣٦٨) ، كان الشيخ راكان في طليعة قومه يقتحم المعارك ، وهو إلى ذكائه ونشاطه عطوف على أبناء عشيرته ومحسن ، كما هو صارم في حق من يحاول منهم مخالفته ، والانشقاق عنه كما هو دأب فرقة المصاربة .

ومن حوادث الأسبعة القديمة مصاهرة بعض شيوخها للأجانب وعقدهم أواصر الصداقة والولاء معهم ، ذكر مؤلفا (دليل الشرق) المطبوع في سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٢ م) أن عشيرة الأسبعة كانت مسيطرة على طريق البادية من حمص ودمشق إلى تدمر ، وتتكفل بإيصال سياح الإفرنجي إلى تدمر ، وإرجاعهم بأجرة ١٥ - ٢٠ ليرة ذهبية عن كل شخص ، وذكر أيضاً أن أقوى فرق الأسبعة يومئذ هي المصرب ، وأن أحد مشايخ هذه الفرقة ، واسمه مجولاً حظي بمرافقة سائحة إنكليزية جليلة القدر اسمها الليدي دلي ، وكانت مشهورة بمغامراتها ، وفي الطريق داهم قافلته غزو من شمر ، فجذعت جزءاً شديداً ، ومن قائل أن هذا الغزو اصطنعه مجول لإيهام الليدي المذكورة ، لكن مجولاً أبدى بسالة في رد الغزو ، مما أثار إعجابها فأحبته وتزوجته وأسكنته في دار فخمة في حي مسجد الأقباص في دمشق ، وفي دار مثلها في حمص إلى أن توفي . ولجول هذا حفيد لدى عمه الشيخ صالح المصرب ، الذي أكد لي حكاية هذه السيدة الإنكليزية .

ومن حوادث الأسبعة القديمة مصاهرة بعض شيوخها للأجانب وعقدهم أواصر الصداقة والولاء معهم ، ذكر مؤلفا (دليل الشرق) المطبوع في سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٢ م) أن عشيرة الأسبعة كانت مسيطرة على طريق البادية من حمص ودمشق إلى تدمر ، وتتكفل بإيصال سياح الإفرنجي إلى تدمر ، وإرجاعهم بأجرة ١٥ - ٢٠ ليرة ذهبية عن كل شخص ، وذكر أيضاً أن أقوى فرق الأسبعة يومئذ هي المصرب ، وأن أحد مشايخ هذه الفرقة ، واسمه مجولاً حظي بمرافقة سائحة إنكليزية جليلة القدر اسمها الليدي دلي ، وكانت مشهورة بمغامراتها ، وفي الطريق داهم قافلته غزو من شمر ، فجذعت جزءاً شديداً ، ومن قائل أن هذا الغزو اصطنعه مجول لإيهام الليدي المذكورة ، لكن مجولاً أبدى بسالة في رد الغزو ، مما أثار إعجابها فأحبته وتزوجته وأسكنته في دار فخمة في حي مسجد الأقباص في دمشق ، وفي دار مثلها في حمص إلى أن توفي . ولجول هذا حفيد لدى عمه الشيخ صالح المصرب ، الذي أكد لي حكاية هذه السيدة الإنكليزية .

والشيخة على الأسبعة البطيئات كانت وما برحت لآل مرشد ، ففي حدود سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) كانت في يد سليمان بن سلاب. المرشد ، ولما مات خلفه ابن أخيه بطين بن سلطان ، ولما مات بطين خلفه أخوه عثمان بن سليمان الذي تكلمنا عنه ولما مات

غشوان في سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) خلفه أخوه بشير ، ولما مات بشير في سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) خلفه ابنه راكان .

وقد اشتهر الشيوخ آل مرشد بفروسياتهم الخارقة ، حدثني السيد محمد الجندي من وجهاء قضاء سلمية ، أن تاريخ وقائع سليمان بن سلاب المرشد لا يذكر فراره من معركة قط ، ولا تأخره إذا طلبه أحد الفرسان المشاهير للبراز ، وأن ابن عمه بطين وكذا ابنه هزاع ما كانا ليقلا عنه في الشجاعة . وكان سليمان محباً للكر والفر دائماً .

وأجل الوقائع التي يذكرها تاريخ عشيرة البطينيات هي وقعة ابن الرشيد لما هاجهم في رايته كما يقولون ، ولكثرة عدده وعديده لم تقو البطينيات وقتئذ على الصمود أمام جيش ابن الرشيد الجرار ، حتى استاق هذا الجيش (العلي) . وما العليّ ؟ هي نوق بيض ، وفي اصطلاح البدو (وضح) وهي نوق لآل مرشد من القديم ، لا تحمل بل تربي طليقة لأجل النسل والمرعى فقط ، ولا يذكر التاريخ أن أحداً من الأعداء غم هذه النوق من آل مرشد ، ويستقتل آل مرشد وأتباعهم ويستيتون إذا أغتصبت ناقة واحدة منها ، فلما استاق جيش ابن الرشيد نوق العلي تنادى أبناء سليمان المرشد وهم بشير ونهار وهزاع وغشوان وعجم بطين والنخبة من فرسانهم وتصايحوا بينهم ، العليّ يا أهل العلي ؛ وكروا كأنهم رجل واحد ، وبعد عراك شديد دام النهار كله استخلصوا (فكوا) العلي من عدوهم ، وأرجعوها سالمة إلا واحدة جثت على الأرض ، وقد أعيأها الجهد فقتلها طعناً بالرماح لثلا يكسبها العدو ، ولما علم ابن الرشيد بشجاعتهم النادرة ، أكبر قدرهم ، ومنحهم الأمان مع رسوله ، وأعاد إليهم أعمدة بيوتهم . ثم قال : إن أشهر الخيول العربية الكريمة تقتنيها عشيرة البطينيات ، ومن الأرسان المشهورة عندهم المعنقى السبيلي والنواق والثامري والممرج والعيان ودهان وأبو جنوب والخرس ، والأشخاص الذين تنتمي إليهم هذه الأرسان كسبيل والأخرس والنواق هم من هذه العشيرة .

ومما يذكر من حوادث البطينيات الشقاق بين آل مرشد والمصاربة ومعهم الرسالين ، وهو قديم من عهد سليمان جد راكان ، قيل أنه في أثناء غياب سليمان مرة في العراق من وجه الدولة العثمانية ، حاولت الفرقتان المذكورتان أن تنشقا عنه ، ولما رجع وأراد



الشيخ راكان المرشد رئيس الأسبعة

إرغامها على العودة إليه قاومتاه مدة ، ثم لما عجزتا خضعتا إليه ، وفي سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) لما شجر الخلاف بين البطينيات والأعبدة اللذين هما جذمي الأسبعة انحازت فرقنا المصاربة والرسالين إلى الأعبدة ، ولما تغلب جزم البطينيات اضطرتنا إلى العودة لحظيرة آل مرشد تماماً ، لكن المصاربة ظلوا يتحينون الفرص للانفصال كلما وجدوا سبباً ، وآخر هذه الأسباب الحادثة التي أتاهما جدوع بن الصايد وهو ابن رئيس فرقة الرحمة ، فقد ضرب بالمهباج رأس نايف المصرب أخي صالح المصرب فأعماه بتاتاً ، وصالح المصرب المذكور فارس مغوار كما كان أبوه صقراً من قبل ، وقد كان في شبابه من أنصار القضية العربية منذ عهد المرحوم الملك فيصل ، وكان يهرع للاشتراك في كل وثبة وزحف ، وهؤلاء المصرب وإن شاقوا آل المرشد ، إلا أنهم وقت الحاجة والشدة سرعان ما يقفون في جانب العشيرة ، وينضون إلى لواء الشيخ راكان ، كما ثبت ذلك حين نزاع ضناً مسلم وضناً عبيد .

هذا ووجهاء البطينيات هم : مسهوج وسوعان وشامان من آل مرشد ، ورشيد المصرب وابن أخيه صالح والحاج متعب السعيد والحاج عبد العزيز الشتيوي وابن غشم وابن عبده ، ويذكر عن أريحية الشيخ راكان أنه اهتم بأمر عشيرته حينما ازداد بينها عدد الجائعين والبائسين في سني المحل (١٩٣١ - ١٩٣٣ م) ، وقد كان يومئذ الوحيد بين رؤساء البادية في بره وإحسانه ، ويذكر عنه أيضاً ، أنه رغم ولائه للفرنسيين لم يتأخر في أي يوم عن الاهتمام بالقضايا الوطنية ، والتصويت لمقترحاتها في المجلس النيابي الذي هو من أعضائه ، وأنه يوم العدوان الفرنسي على حماه (أيار ١٩٤٥ م) هرع بعشيرته لنجدة حماه ، واشترك بجهادها الذي تحدثنا عنه .

شجرة نسب آل مرشد - أبعد جد يذكرونه هو مرشد بن عميرة بن حسين بن سعد (المقمص) ، فمن مرشد جاء الوضيحي ، ومن هذا عواد ، ومن هذا سلاب ، ومن هذا سليمان المتوفى في سنة ١٣١٨ هـ وسلطان ومديغ ، ومن سليمان جاء هزاع ونهار وغثوان وبشير ، ومن بشير راكان (الشيخ الحالي) وفياض ، وللشيخ راكان من الأولاد ثامر وطراد وهيكل ومحمد ومندوب ونوري وفواز ونايف .

فرق البطينيات - تنقسم البطينيات إلى فرقتين متساويتين تقريباً ، هما القمصنة

والرسالين ، ولكل منها فصائل عديدة ، ففي فرقة القمصنة (ربع راكان المرشد) فصائل العميرة لراكان المرشد ، والسحيم لعبد العزيز بن شتيوي ، والأرحمة لمتعب بن سعد ، والخمسان لمحمد بن شلهوب ، والمواهب لمشير بن غشم ، والمصاربة لرشيد المصرب ، وهؤلاء قاطنون في ناحية جب الجراح شرقي حصص ، كما قدمنا ، وفي فرقة الرسالين فصائل العجلان لابن عيدة ، والجاسم لفنحوش بن مواج ، والهويشان لمحمد بن مسلط ، والشفيع لابن مقداد .

نجمة البطيئات - للأسبعة البطيئات نجمة بعيدة وبدواة كبيرة ، وإن كانت أقل من الروالة ، وهي تقيظ في قضاء سلمية داخل الحدود الآتية : عقيربات والسعن وسعين وبغديد وأسرية وجبل البلعاس ، وهي قلما تنفذ إلى المعمورة ، لأن المنطقة المحددة التي ذكرناها تغنيها عن ذلك ، لوفرة مياهها وقنواتها ومراعيها ، وقرية بغديد التي نشأ فيها الشيخ راكان تعد مركز هذه المنطقة ، وربما بلغوا في سني الجذب ناحية الشيخ كاسون أو قلعة المضيق ، وحينئذ تنزع منهم قوة البادية أسلحتهم وتراقب حركاتهم طوال مدة بقائهم ، وفي موسم القَيْظ يتعاملون مع التجار الحويين وشركاؤهم منهم ، وأغلب الغنم الذي يربونه هو لأهل حماة ، أما نجعتهم في الشتاء فتكون في الحماة البعيد حول جبل عنزة والوديان والقعرة فيتأخمون عشائر ضناً مسلم ، ولا يعترفون بالحدود الأساسية الوهمية بين العراق والشام ، شأنهم في ذلك شأن جميع البدو ، فهم يجتازون الحدود العراقية في كثير من الأحيان إذا كانت ديارهم في الشامية محللة ، أو كانت دون العراق خصباً ، والقعرة تعد في نظر الأسبعة الفردوس المنشود والأرض الموعود ، وحينما تكون القعرة (وهي داخل الحدود العراقية) تراقبهم قوى البادية العراقية المراقبة في محل الرطبة ، وإذا قصدت البطيئات النجمة تتجمع في بغديد وعقيربات وأسرية ، ومن ثم تتجه إما إلى القعرة ، أو إلى الوديان ، أو إلى جبل عنزة ، وكثيراً ما كانت تصطدم بالروالة ، ويغير بعضهم على بعض من أجل المراعي ، أو بقصد السلب والنهب ، إلا أن هذا الحال قد زال منذ سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م) . وما اختصت به الأسبعة البطيئات أنها العشيرة الوحيدة التي تستطيع التقيظ في البادية ، دونما حاجة إلى مراعي المعمورة ، وذلك لوفرة المراعي في منطقتها الجبلية الواقعة في الشمال الشرقي والشمال الغربي من تدمر ، كأبي رجين والمرا وشاعر والخشايبة واللابدة ومقيرة ، ومن ثم كانت تبقى دائماً في نجوة عن المراقبة النظامية ، إلا في أيام

الربيع حينما تضطر إلى غشيان مدينة حماة ، ومبادلة شركائها من منتوج الغنم .

وقد صالحت الأسبعة كل عنزة في سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) ، وظل السلام سائداً حتى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) ، فحدثت فتن بين الأسبعة البطينات والروالة ، فانحازت الأعبدة إلى البطينات ، وانضم إليهما الفدعان الولد وبعض الموالى والعمارات ، هؤلاء جمع من ضناً بشر ، وقف في وجه جمع ثاني من ضناً مسلم فيه الروالة ولوأحقها والأحسنة وبعض فرق شرقي الأردن (السرحان والصخور والعيسى) ، وانتهى الأمر بعد بالصلح الذي قدمنا ذكره في حديث الروالة .

الأسبعة الأعبدة

قيل أن عددهم ٢٥٠٠ بيت وعندهم ١٧٠٠ بغير و ٥٠ فرساً ، وهم لا يملكون أرضين ، وما يذكر لهم من الأملاك خاص برؤسائهم أبناء هديب فقط ، وهذه العشيرة أيضاً ذات منعة وقيمة حربية وسلاح وفير .

وقد قدمنا أن عشيرة الأسبعة ، بعد أن كانت جميعها واحدة متماسكة ، انشقت على أثر المعارك التي نشبت بينها وبين الروالة (ضناً مسلم) ، وكان الفدعان يناصرونها ، وعقيد الفدعان جدعان بن مهيد يقود حلف الفدعان والأسبعة (ضناً بشر) ، وتولى آل هديب رئاسة الأسبعة الأعبدة من ذلك التاريخ ، وفي الربيع الأول من قرننا الهجري الحاضر كان الرئيس فرحان بن هديب ، وكان لفرحان هذا نفوذ كبير على كل الأسبعة ، حتى على كل العشائر المستقلة في أنحاء حمص وحماة (ما عدا الأحسنة) وله صلات قوية مع رجال الدولة في حلب ، وقد منحوه سلطة كبيرة كان يتقاضى بها خوة من القوافل السائرة في شرقي حماة وشمالها ، وجعل مركزه في طريق الحمراء على بعد قليل من حماة ، ولما مات سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) خلفه ابنه برجس ، وكان برجس في بدء أمره ضابطاً في الجيش العثماني برتبة رئيس تخرج في مدرسة العشائر التي أسسها السلطان عبد الحميد ، وكان غنياً ، وله ثلاث قرى في قضاء المعرة ، ثم بذر وأسرف على نهج بعض رؤساء البادية ، الذين لا يراعون الاقتصاد ، فافتقر وتراكت عليه الديون في حدود سنة

١٣٥٣ هـ ، فاضطر إلى أن يغيب عن وجه دائنييه ، وذهب إلى بغداد يرجو الإسعاف من المرحوم الملك فيصل ، الذي كان عطوفاً عليه مذ أن كان في دمشق ، وكاد يمنحه وقتئذ أكثر قرى أملاك الدولة التي في منطقة الحراء ، وبينما كان موعوداً بمعونة طيبة عقب رجوع جلالته من أوروبا ، توفي فجأة في سويسرا لسوء حظ برجس وحظ العرب جميعاً ، فرجع برجس وقتئذ أسفاً ، وزالت حرمة بزوال ثروته ، ففقدت الأعبدة اتحادها ، وذهبت ريحها إلى أن عزل من الرئاسة في سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ثم مات بعدها بئساً معدماً ، وكان أبناؤه صغاراً ، فحال صغرهم دون تولي أحدهم ، فخلفه أخوه صالح ، لكن رؤساء الفرق وخاصة أحمد الكردوش وسليمان بن موينع شاقوه ولم يحاروه ، ويزداد في ذلك فشل عشيرة الأعبدة وضعفها ، وابتعاد فرقها بعضها عن بعض ، واضطرابها يوماً ما إلى الانزواء بالمرّة إلى الشيخ راكان المرشد ، على أن الانشقاق الضارب أطنابه بين الأعبدة والبطينيات يزول في سرعة ، حينما يعلن الحرب بين الأسبعة وغيرها من العشائر وخاصة الروالة ، وللأعبدة مشاكل ومعارك عديدة مع الموالي والحديديين ، ذكرت في بحث هاتين العشيرتين أيضاً .

شجرة نسب آل هديب : رأس ضنا عبيد هو معلا بن سبع بن هديب ، فمنه جاء محمد الذي أعقب جاسم فسالم فخاطر فعلي فهديّة ففارس فمرادي فصوحان فبرجس فطلال ففرحان الذي تقدم الكلام عنه ، وقد أعقب فرحان بن طلال أربعة أولاد : تركي ومثقال وصالح وبرجس ، فمن مثقال بندر ومنه حكمة ، ومن برجس محمد وفارس وعلي ، ومن صالح معجون وفرحان ومثقال .

فرق الأعبدة :

١ - الموايجه لابن هديب وفيها فخذان المكلف والقطارة ، ففي المكلف فصائل السائل والمساندة والكويران والسنابير والعجيلات والعزيمات والركارجة ، وفي القطارة البومزدوق والمجاهمة والأنصبة والمزاريع والبلاعين والعمور والفراع .

٢ - الأمسكة لابن جلادان وفيها من الأفخاذ الجهل والمسيب والويطان والنوابغة .

٣ - العبادات لابن كردوش وفيها أفخاذ الصايد والجنادلة والجماميس .

- ٤ - الدوام لابن فقي وفيها أفخاذ الجرابيع والمني والدوعين .
- ٥ - البيايعة لابن موينع وفيها أفخاذ الموينع والرويشدة والشاية والفريعات والسعيد .
- ٦ - الأعرفة لابن فاعور وفيها ضناً سلمان وضناً حواس .
- ٧ - الوثرة لابن دعبل .
- ٨ - الرماح لابن وائل .

نجعة الأعبدة : تعد عشيرة الأسبعة الأعبدة من ذوات النجعة الكبيرة البعيدة ، فهي تدخل الحدود العراقية حتى وادي حوران ، أما منازلها في القبيظ ففي شمالي حماة وشماليها الشرقي ، داخل الحدود الآتية : قلعة المضيق - خان شيخون - الحمراء - العلا - الخرايج ، وقسم منها يقبظ في أنحاء أبي هريرة على الفرات ، حتى أن فرقة الأمسكة تعبر الفرات إلى الجزيرة أحياناً ، بل إن الأعبدة كلها ما عدا جزء قليل عبرت سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) إلى الجزيرة ، وقبضت حول المناخير قرب الرقة ، وبلغت سفح جبل البيضاء ، لكنها تنازع وقتئذ عشيرة البقارة على المراعي والمناهل ، وينشب القتال ، أما في الشتاء فتتجه نحو الحدود العراقية ، وتبلغ القعرة ووادي حوران ، بعد أن تمكث مدة غير يسيرة في أنحاء السخنة ، وسبيلها إلى منتجعها هذا : أسرية - السخنة - أرك ، بير المربع وبير وراد وبير سجري ، وأخيراً أعالي وادي الصواب غربي الرطبة إلى الشمال .

عقيدات حماة

أصلهم من عشيرة العقيدات الكبيرة المستقرة في وادي الفرات (محافظـة دبر الزور) ، وقد فصلناها هناك ، كما فصلنا العقيدات الذين في قضاء دوما ، وفي قضاء حمص ، أما عقيدات حماة فأكثر ما يقيمون في قرى أملاك الدولة في ناحية عقيربات شرقي قضاء سامية كأبي دالي وأبي رمال وجب الريان ومغيزل ورسم العبد والمرامي ونعمة وعكش ، وفي قرب حماة في قرى تل قرطل وأبو دردة ومريج الدر والحميلية ، وفي الشتاء ينجعون البادية ، وهم أهل ضرع أكثر من أنهم أهل زرع ، وحالتهم حسنة وسوقهم

التجاري حاة ، وهم على قتلهم يعدون ذوي بأس شديد بين العشائر ، يعادون ويصالحون لوحدهم ، إلا أنهم كثيراً ما يلحقون الموالى وقت الحرب .

ومن وقائعهم التي تذكر بإعجاب أنهم في سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) وكانت الحالة فوضى في بدء عهد الفرنسيين دهمهم غزو كبير من الأسبعة والحديدين واستاق مواشيهم ، وكان العقيدات في قلة ، لكنهم هبوا للدفاع ، واقتفوا أثر الغزاة ، واشتبكوا في معركة دامية ، استبسوا فيها ، وقتلوا عدداً من أخصامهم ، واستخلصوا كثيراً من منهباتهم .

ومن سيئاتهم التي تذكر بالأسف في صيف سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢١ م) هجومهم على المجاهد المرحوم إبراهيم هنانو ، فهو بعد أن حارب وقتئذ جيش الاحتلال الفرنسي ، وخلص في صفحات البطولة والجهاد الوطني ، أروع المآثر بدا له أن ينسحب من المعركة ، مع من تبقى من عصابته ، ويلجأ إلى إمارة شرقي الأردن ، فسار من جبل الزاوية نحو شرقي حماة وسلمية وحمص متتبعاً طرف العمور ، فقام الفرنسيون في حماة واستجاشوا هؤلاء العقيدات وغيرهم من البدو والحضر ، ودفعوهم لتعقيبه ، فلحقوه قرب قرية مكسر الحصان شرقي حمص ، وجرت معركة حامية ، فازوا فيها بتشتيت شمله لرجحان عددهم ، وللعطش والجوع والتعب الذي أحاط وقتئذ برجاله .

أما فرق العقيدات فهي : الدهامشة ، ٢٠٠ بيت ، في مشيخة متعب بن أحمد الريان ، ينتسب هؤلاء إلى دهامشة العمارات ، ويوسمون غنهم بوسم محمد التركي بن مجلاد ، وهم كثيراً ما ينجعون القعرة ، ويشتون قرب أقاربهم العمارات ، ثم فرقة الأبوسيف ، ١٣٠ بيتاً ، في مشيخة علي العموري ، ثم الأبوسلامة ١٠٠ بيت في مشيخة أحمد الجدعان ، ثم الأبوسرايا ٧٠ بيتاً في مشيخة عبد الله الجربوع ، فالجموع ٥٠٠ بيت .

ومن هؤلاء العقيدات ثلاث فرق في قضاء جبل سمعان (جنوبي ولاية حلب) ، وهي الأبوليل والأبودراج والأبوكبير ، وسيأتي ذكرهم هناك .

بنو عز الرعية

عشيرة صغيرة منشقة عن أختها بني عز الموالى ، وهي تنضم حين الفرع الأكبر إلى

الموالي ، يقيظون في جنوبي سلمية في قرى أم العمد وقبلهات وتل حسن باشا ، وفي الشتاء ينجعون البادية ، عدد بيوتهم ١٥٠ وحالتهم حسنة ، وبأسهم شديد ، وسوقهم التجاري حماة ، وشركاؤهم حمويون ، وشيوخهم معاط الإسماعيل السلامة الخالد وهو من فرقة الصافية ، وكان أبوه إسماعيل من المشايخ البارزين والمشهورين بالكرم ، والشيخ معاط أيضاً معروف بتقواه وأخلاقه الحميدة ، أما فرقهم فهي : السلطان والصافية والقبلان والكريش ، وفي قضاء مصياف (محافظة اللاذقية) قسم من هؤلاء انفصلوا وتحضروا كلياً .

التركي

عشيرة صغيرة مستقلة ، تتبع من تشاء ، فتارة مع الموالي ضد الأسبعة ، وتارة مع الحديديين ضد الموالي ، وتارة مع الروالة ضد الأسبعة ، حدثني أحد رجالها وهو محمد الحسين حديثاً غير مدعوم بسند ، ولا مرتبط بالأحداث المعروفة ، أن أصل التركي من عنزة لمجد وأنها تنتسب إلى فرقة الحبلان من العمارات ، وأنها جاءت لوحدها في القرن العاشر إلى أنهاء الجزيرة بقيادة ثلاثة إخوة دبش وخابور وتركي ، فبقي دبش وخابور في الجزيرة ، وسميت أعقابها هناك بالأبي دبش والأبي خابور ، وصاروا من لواحق العقيدات على ما ذكرناه في بحث (عقيدات الفرات) ، أما الثالث فقد جاء إلى ضواحي حماة ، وكثرت أعقابها ، وأورث العشيرة اسمه .

ومهما يكن فإن لهؤلاء التركي وقائع كثيرة مع الأحسنة التي جاءت في أول أمرها تفرض سيطرتها على العشائر القديمة في حمص وحماة ، فقد طردت التركي من ضواحي حماة ، ثم عادوا على الأحسنة وأبعدوها ، واستعادوا مكائنتهم ومكانهم ، وهم فرسان مغاوير ، وقروم وثب وبطش ، وأهل أنفة ونجدة ، ومن أجل ذلك كثيراً ما يتجندون في سلك الدرك ، أو يحملون على التجند دفعاً لطائلتهم ، ولذلك ذهبوا مرتين : الأولى في نفس حماة في باب حي الحاضر ، والثانية اغتيال منهم نحو أربعين خيلاً ، في قرية مقتلته قرب قصر حمص ، وذلك من كثرة ما طغوا وأفحشوا ، وحيروا الدولة فكلفت محمد آغا الجندي حاكم حمص بتدبيرهم في حدود سنة ١٢٢٠ هـ ، فدعاهم إلى ولاية في القرية المذكورة ، وبعد الولاية اغتالهم جميعاً ، ووقائعهم وأفاعيلهم لا تحصى .

وقد ذكرهم المؤرخ حيدر الشهابي في أحداث سنة ١٢٢٣ هـ فقال : « قوم من العرب الملقين بالتركي ، القاطنين يومئذ في مدينة حماة ، وينتسبون إلى بني ربيعة انتاء ، وإلى مدينة بغداد انتشاء ، وهم قليلو العدد ، إلا أنهم في الحرب شديدو البأس والجلاد ، ولا يبلغون عدداً سوى مئة وخمسين خيلاً . وكبيرهم يسمى درويش الحمادي ، الخ ... » . أ هـ

هذا وعدد التركي نحو ١٥٠ بيتاً ، وأكثرهم في بيوت الشعر ، وبعضهم في بيوت الحجر ، ولهم وخاصة لفرق الدرويش منهم زراعة في قرى ناحية عقيربات كمسعدة ومسعود ورسم الأحمر وصلبا ورسم الضبع والمكين والعلباوي وغيرها ، وهم يحرثون ويزرعون ثم ينجعون البادية ، وأماكن نجعتهم شاعر وأبو رجين والمر والسخنة ، وربما بلغوا في بعض السنين القفرة والتنف والتليلة ، وعندهم ٥٠٠٠ شاة و ٥٠ فرساً .

وأسماء فرقهم الدرويش والشهيل والموذنين والعمود والطايي والجابر والرويعين والغليم والدرعان والعايش والعنيزان والسعيل والبقة وبني زيد ، وبيت الرئاسة والوجهة في فرقة الدرويش ، وبعض التركي قد تحضر وسكن في مدينة حماة ، أو في مدينة حمص ، يعمل في تجارة الغنم والخيول ، لكنهم حين الحاجة يركبون ويفزون ، وكانت المشيخة لسرحان العلوش الحمد ، ثم لما توفي في سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٣١ م) خلفه أخوه أبو الطوس العلوش ، ومقره في ناحية عقيربات ، وهو من فخذ العلي الدرويش ، وله قريتان من أملاك الدولة في كل من ناحية جب الجراح وقضاء سامية ، ومن شيوخ التركي البارزين يعد الشيخ محمد التراكوي القاطن في حمص .

ومما يذكر عن ماضي التركي أنهم لم يذعنوا قط لأمراء الموالي ، بل ظلوا متمردين عليهم ، وقد جرت بينها معارك عديدة ، ولا سيما مع الأمير أحمد بك ، زعموا أنهم كانوا يفوزون فيها ، وقد اشتركوا مع الحديديين يوم محمد الخرفان في معركة جبل زين العابدين في سنة ١٢٧٥ هـ ، كما ظلوا أحلاف الحديديين في أغلب وقائعهم على الموالي ، إلا في حادثة مقتل الأمير عبد الرزاق سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) فقد وقفوا مع الموالي ، وهم أخصام بني خالد ، وبينهما شارات قوية ، منذ أن قتل أحد الخالديين فتاة منهم أراد اختطافها فأنعته ، وعلى الأثر هب التركي وهاجموا بني خالد ، وثأروا لفتاتهم فكانوا موضع الإعجاب .

ومن منقولاتهم أن أحد أمراء الموالي حاصر رجالهم بمجموعه قرب قرية مورك ، شمالي حماة فقاوموه ، وردوه أشنع ردة ، فقال شاعرهم :

يا دولة شدوا رؤسها لا ما عمامي يلحقون
لباسة الجوخ الحر ذباجة اللي ما يرحمون

يقصد بأن فرسان التركي يلبسون الجوخ الحر ، ليظهروا عن بعد للعدو ، ويجذبوه نحوهم .

البشام

عشيرة صغيرة نصف حضرية ، كانوا من لواحق الموالي الشماليين ، ثم انفصلوا عنهم تدريجياً منذ سنة ١٣٤٣ هـ ، وألفوا عشيرة مستقلة قوية الشكيمة ، لكنها ضعيفة المادية ، وهي تحرث في أنحاء الحمراء ، في بعض قرى أملاك الدولة كأبي القصور وقصر الحرم وأبي المضايح وطوال دباغين وأبي مرو وسروج وشيخة ومعصران وغيرها ، شيخها جاسم الأحمد المحمد الدندل ، وهي تقيظ في القرى المذكورة ، وتشقي في أسرية وجبل البلعاس في حمى الموالي التي لا تزال تسندها وقت الكريهة ، عددها ٤٥٠ بيتاً ، وفرقها الغربان والرمات والخوين والسراج والعجاج والجحيس والحديد والعراجي والدندن ، وعندها ١٥٠٠ شاة .

الجهلان

هؤلاء من أقارب جملان الغوطة الذين قدمنا ذكرهم ، لكنهم لانفرادهم واختلاف بيئة حماة الشرقية عن بيئة الغوطة ، اضطروا إلى أن يتركوا الحصانة والوداعة اللتين لأقاربهم المذكورين ، وإلى أن يلتحقوا بالحديديين ، ويعدون من توابع الشيخ نواف الصالح ، وهم يَغزَون ويَغزَون . وعددهم ٢٠٠ بيت ، والرئاسة فيهم من حق بدر العبد الجادراين الرئيس السابق المتوفى ، إلا أن بدرأ هذا لما توفي والده كان صغيراً ، فعينت السلطات عوضه عبد الجبار العقاب ، وأم عبد الجبار هذا من الموالي ، ومن ثم كان هواء مع أخواله ، هذا وإذ كان الشيخ عبد الجبار من آل عقاب ، وله حرمة دينية ، استقرت رئاسته على مدى الحياة فيما يبدو ، وإن كبر بدر وصار جديراً بالرئاسة .

وهؤلاء آل عقاب ، ينتسبون إلى الشيخ فرج المكنى بأبي حية المدفون في مقبرة قديمة في شمالي سامية ، وقد ذكر أبو الهدي الصيادي في رسالته (الروض البسام) باسم السيد فرج آل عقاب الحسيني ، وجعله من خلفاء السيد أحمد الرفاعي الكبير . والظاهر أن هذا هو السبب في انتساب الجملان إلى الطريقة الرفاعية ، وقيامهم بشعائرها ومخزقاتها ، كشفاء المرضى والمجانين والمفلوجين ، وفي تهافت أعراب تلك الأنحاء وفلاحيتها ، على زيارة ضريح الشيخ فرج ، وتقديمهم الذبائح إلى الحية التي يزعمون ظهورها من حوله في أوقات خاصة ، وفرق جملان حماة هي الدرباس والضواحي والهلمات والريان والزبيدات ، ومنازلهم في قرى أبو حنايا والرحية وسرحا من قضاء سامية ، وسوقهم التجاري سامية وحماة ، وشركاؤهم حمويون ونجعتهم إلى الحماد شرقي تدمر وجنوبها .

المشاركة الرعية

فرقة من لواحق مشاركة الموالي التي يرأسها أحمد الفارس العطور ، عليها ما على تلك من الحقوق ، وهي بمشيخة عزو الجاسم العزو ، عددهم ٢٠٠ بيت ، وفرقهم الخزيات ، الأشوخ ، القريطات ، العبد الله ، ومنازلهم في قرى الجابرية وأم التينة والشيحة وسلام المشاركة في ناحية جب الجراح في محافظة حمص .

الموالي

يقيم بعض الموالي في محافظة حماة ، وهم من الموالي الشماليين أتباع الأمير عبد الإبراهيم ، منازلهم في قرى قمحانة وكوكب ولطمين وكفر عيم ومعان وخنيفس وعطشان والبويضة وقصر ابن وردان ، وهؤلاء متحضرون ومستقرون يحرثون بالحمس لدى بعض ملاكي حماة ، أو في قرى أملاك الدولة ، وهم من فرق الماطية وبني عز والحزبان والبوشنيخ والشطيحات والخليفة والكندوش ، ومنهم فرقة العلي استقرت نهائياً في قرى تنل ملح وكفرهو وتريمسة والحوير ، وفي ناحية محردة أفناد صغيرة من لواحق الموالي أيضاً ، يدعون الصريصات في قرية حوير شيزر ، والجيسات والشليوط وبعض الشطيحات ، يقيمون في أراضي محردة وحلفايا وخطاب ، ويبلغون نحو ٥٠ بيتاً ، ولا ينجع منهم إلا الشليوط الذين يشرقون مع شيخهم محمد الجاسم .

الحديديون

يقم بعض الحديديين في محافظة حماة (ناحية الحمراء) ، وهم من فرقة الأبى حسن التي في مشيخة عذاب السرحان ، وفرقة الخليف التي في مشيخة الإبراهيم الملقب بأبى الطوس ، وعددهم ٧٠٠ بيت . يقطنون في قرى بغيديد والحمرا وسعن وسعين والمويلح والمشرقة ورسم الأحمر ، وفي محافظة حماة أيضاً من الحديديين زرافات من الفرق التي تتبع مباشرة الشيخ نواف الصالح ، يستثمرون بضعة أفدنة من أملاك الدولة في كل من قرى ناحية الحمراء ، وتكاد تكون هذه الناحية الشرقية ملائمة بهم ، وأكثر هذه الفرق الجميلة والأبى زليط والجواله والأبرز والمعاطة والأبى جميل والأبى كنش والحجاج والأبى صليبي والأبى كليب وغيرهم .

وناحية الحمراء ناحية قديمة ألغيت رغم مكانتها ، على حين أن هناك ضرورة لإعادتها ، ذلك لأنها مركز لقسم من الحديديين الذين ذكرناهم ، ولقسم من الموالى والأسبعة (الأعبدة) ، أما فرق السرحان فهي البوتركي والبوحمز والبوجرسا والبونيصا ، وفرق الخليف هي الخليف والبوعواد والذهيبات والشامطة .

السماطية

هؤلاء من لواحق الموالى ، مستقرون في قرى الطار (ناحية محردة) ، وفي قرى متاخمة للطار من أملاك الدولة في ناحية قلعة المضيق (قضاء المعرة) ، وهم نحو ٣٠٠ بيت ، ومؤلفون من فرق أبو حيات والخليبات والخوابرة والهوارين ، وقد انشقت هذه الفرق ، واستقلت منذ بضع سنوات ، وصار كل منها يؤدي (أي يدفع دية القتلى) لوحده بسبب ضغط الشيخ ، وشيخهم هذا علي الإبراهيم ، وهو يقيم في قرية تل هواش التابعة للمعرة ، أما هم فيقطنون في الشتاء في أكواخ يدعونها الدامات جمع دام ، وفي الصيف في بيوت الشعر .

الجماجمة

هؤلاء من الموالى القبليين ، يقيم قسم منهم في بعض قرى ناحية محردة كالمجدل

وبطيش ومعرزاف ، شيخهم بلعاس العبد الله المسلوخة ، وعددهم ١٠٠ بيت ، يقطنون في الشتاء البيوت والكهوف ، وفي الصيف بيوت الشعر .

النعيم

فندة من فرقة الأبي حيار إحدى فرق النعيم الكثيرة الانتشار ، يقيمون في قريتي معرزاف وكفر يهود من ناحية محررة ، وشيخهم عز الدين الرحمون العلبوني ، وهم يتبعون الشيخ صفوق الحسين المقيم في قرية عز الدين ، وعددهم ٥٠ بيتاً .



عشائر محافظة حلب

قضاء المعرة

الموالي

لقد قدمنا الكلام بالتفصيل عن عشيرة الموالي وأمرائها في بحث تاريخ البدو في الجزء الأول من كتابنا هذا ، (الصحيفة ٦٦ - ١١٣) ، وأثبتنا هناك بالأدلة ، وشهادات المصادر الجغرافية والتاريخية الموثوقة التي عثرنا عليها بعد تحرر وجهد كبيرين ، أن أمراء هذه العشيرة المعروفين بآل أبي ريشة هم من آل حيار بن مهنا الثاني بن عيسى بن مهنا الأول بن حديشة بن عقبة بن فضل بن ربيعة الطائي ، وأن اسمهم قبل أن يسموا بآل ريشة كان في القرن التاسع الهجري آل حيار ، وقبله آل مهنا ، وقبله آل عيسى ، وقبله (آل فضل) نسبة لجدهم الأعلى فضل بن ربيعة المنتسب إلى قبيلة طيء القحطانية المعروفة في التاريخ التي افتقرت في أول الإسلام زمن الفتوحات في الأقطار ، ونشأ منها أمم كثيرة (ملؤوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً) كما قال ابن خلدون في تاريخه .

ولا غرابة في تعدد الأسماء ، لأن من عادة البدو أن تتبدل أسماء عشائريهم في كل حقبة من الزمن تبعاً للمتأمر عليها ، فقد تسمى العشيرة باسم أميرها أو شيخها ، ثم باسم ابن هذا أو ذاك بعد وفاته ، إذا انفصلت عن الأرومة وابتعدت ، كما أن بعضها قد يحتفظ باسمه ولا يبدله ، فطيء المذكورة مثلاً لا يزال منها بقايا محتفظة بهذا الاسم ، وهي في محافظة الجزيرة ، بينما شمر وهي طائية في الأصل صارت شمر ، وقلبت اسم جبلي طيء (أجنا وسامى) في نجد إلى جبل شمر .

وقد شرحنا في بحث (تاريخ البدو) ما كان لآل فضل المذكورين ، ولا سيما لأحد

فروعهم المسمى آل عيسى من الأجداد والأفعال ، في عهود الملوك الأيوبيين والسلطين
للماليك والسلطين العثمانيين ، وما أحدثوه من الوقائع التي أوجبت خراب القرى الشرقية
في حلب والمعرة وحماة وحمص بسبب تنازعهم على إمارة البادية ، ونزيد على ما شرحناه
هناك هذه الفقرة التي تقتطفها من كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، وهو
يصف فيها آل عيسى المذكورين وصفاً ، يدلنا على ما كانوا عليه في تلك الحقبة . قال :

« هؤلاء آل عيسى في وقتنا هم ملوك البر ما بعد واقترب ، قد ضربوا على الأرض
نطاقاً ، وتفرقوا فجاجاً ، تقارعوا على قرى الضيفان ، وسارعوا إلى تقريب الجفان ،
حفظوا البر من كل جهاته ، وحرسوه من سائر مواقعه وآفاته ، ولهم سجايا ملكية ،
وعطايا برمكية ، ووهائب حاتمية ، وصوارم تنسحب بذيلها الرقاب ، ومكارم يحتبس على
أثرها السحاب ، لا يخلو ناديتهم من سيد ومسود ، ووافد أمل ، وصارخ ملهوف ، وهارب
مستجير ، ولا ينطفئ لهم نار قرى ، يسرح عدد الرمل لهم إبل وشاة ، تطل منهم على
بيوت قد بنيت بأعلى الرابي ، وبلغت السحاب ، وعقد عليها الخبا ، قد اتخذت من الشعر
الأسود ، وتبطنت بها الوسائد ، وشدت أطناها ، وأرخيت سجفها ، وتزايد ظرفها ،
وشرعت أبوابها إلى الهواء ، ورفعت عمدتها ، وقرر وتدتها ، وطلعت البدور في طلعتها ،
ورفعت الطباء في مشارق أهلها إلخ ... » .

وشرحنا أيضاً في بحث (تاريخ البدو) ما جرى بعد هؤلاء آل عيسى ، وكيف
تفرعوا ، وبرز بينهم مهنا الثاني بن عيسى ، وما جرى له ولأسرته آل مهنا ، ثم كيف
تفرع آل مهنا إلى عدة أسر ، أشهرهم آل حيار بن مهنا وآل فضل بن مهنا ، وأن آل حيار
بقوا في أنحاء سامية والمعرة ، ونشأ منهم آل أبو ريشة أمراء الموالى الذين سنذكرهم الآن ،
وأن آل فضل بن مهنا نزحوا من تلك الأنحاء إلى الجولان ، بسبب تنازعهم مع أبناء
عمومتهم على إمارة البادية ، وأنجبوا آل فاعور أمراء آل فضل الحاليين ، وقد بينا ذلك في
بحث هؤلاء في فصل (عشائر قضاء الجولان) ص ٣٩١ .

والآن نتم بقية مدرجنه في الجزء الأول ، من تاريخ عشيرة الموالى ، ونسرد وقائعهم
الحديثة التي استطلعناها أو أدركناها ، فنقول :

يظهر أنه ما من عشيرة في براري الجزيرة والشامية إلا واصطدمت في زمانها مع الموالي ، واكتوت بنيرانها وطغيانها ، فهم واقعوا الشيخ رشيد شيخ السردية في حوران ، وكانوا في قيادة أميرهم مدلج الحيارى في القرن الحادي عشر ، كما ذكرناه في بحث السردية ، وواقعوا بني خالد مراراً كما قدمنا ، ونازعوهم في النزول في منطقة (الوديان) في الحماد ، وكان ذلك في القرن الثاني عشر الهجري على ما ذكره السائح بركهارت السويسري ، وواقعوا عشيرتي طيء والعبيد من عشائر الجزيرة ، وأرسلوا مرة أربعين فارساً لخطف فتاة من طيء اسمها (حمرة الموت) ، وواقعوا الأحسنة ، وذبحوا أحد رؤسائهم ، واسمه ملحماً في مكان سموه من بعد (تلعة الملحم) ، قرب دير الزور ، واضطروا من بعد في حدود سنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) إلى مغادرة قضاء سلمية ، والسكنى في كورة العلا شرقي قضاء المعرة ، وواقعوا التركي والفواعة ، كما واقعوا جنود الدولة العثمانية مراراً ، وأخيراً في عهدنا واقعوا الحديديين ، وأذاقوهم الأمرين قرابة أربع عشرة سنة (١٩١٨ - ١٩٣٢ م) إلى أن تصالحوا وتضافوا ، وكفى الله الفريقين القتال ، وواقعوا الفرنسيين ، وأزعجهم في بدء احتلالهم هذه البلاد ، واشتركوا في الثورات الوطنية على ماسوف نفصله .

ومن بواعث الاستغراب والحيرة أن هذه السلسلة المتصلة الحلقات من الحوادث والكوارث ، وهذه القائمة من أسماء الأجداد والأسلاف التي سردناها في أربع وعشرين صفحة من الجزء الأول ، لا يحفظها أصحابها أمراء الموالي الحاضرون ، ومن حولنا من معمرى البدو والحضر الذين سألنا عدداً منهم ، بل هم يبعدون بعداً شاسعاً ، ويذكرون ما هو غريب عنها ، ومن ثم يبعد معهم ويخبط ، من كتب عنهم من مؤلفي الفرنج وضباط مراقبة البدو الفرنسيين ، ولهذا فإن منشأهم وماضيهم اللذين استقصيناها وكشفناها بعد لأي ، قد غمضا على المستشرقين والباحثين من الفرنج ، وحادروا في أمرهم .

وأول من ذكرهم من الفرنج السائح الإيطالي دللاوالا الذي جاء إلى البلاد العربية في حدود سنة ١٠٧١ هـ ، فما قاله : أن أمير بلدة عانة (على الفرات) وكل البادية يدعى فياضاً ، وهو من آل أبي ريشة ، أمراء عشيرة الموالي ، السائدة في الضفة اليمنى من الفرات ، ثم ذكرهم السائح الدانماركي نيبوهر الذي زار بلاد الشام في حدود سنة ١١٨٠ هـ وما قاله : أن أكبر عشيرة في أنحاء حلب هي (الموالي) ، والأسرة التي تحكمها تدعى (آل أبو

ريشة) ، وباشوات حلب ما كانوا ليكبجوا جماع هذه العشيرة إلا بمنح هذا أو ذاك من أمرائها إقطاعات قرى أحياناً ، أو واردات وإكراميات معينة من التي ذكرناها أحياناً أخرى ، والذي ينحى عن الإمارة من هذه الأسرة ، ينسحب مع حزبه إلى أنحاء الفرات ، ويلبث منتظراً عزل الباشا الذي نكبه ، حتى إذا جاء باشا جديد تقدم إليه بالهدايا والرشوات ، أو بوسائل أخرى تمكنه من التغلب على من زاحمه في الإمارة ، وقبل بضع سنوات شعر أحد هؤلاء الأمراء أن الباشا ينوي عزله ، فقام ونهب قافلة فيها ٣٠٠٠٠ رأس من الماشية ، وابتعد بهذه الغنية نحو الفرات لمكان آمن ، وحدثوني لما كنت في حلب أن هذا الأمير المعزول هاجم ونهب مدينة حمص ، وقالوا أيضاً أن الأمير الذي خلفه لم يكن قادراً على مقاومة خصمه المذكور ، ولا على إدارة العشيرة كالواجب ، وأن هذه الأسباب ستلجئ الباشا لإعادة الأمير المعزول لمنصبه ، مما يدل على أن نفوذ الترك على هؤلاء الأعراب قليل .

وقال أيضاً : إن ضرورة تأمين سير القوافل بين الشام والعراق ، وحفظها من تعدي البدو كانت تحمل باشاوات هذه البلاد لاتخاذ أحد المشايخ الأكثر نفوذاً (أميراً) ، وكان هذا الأمير مكلفاً بمواكبة القوافل ، وحفظها من البدو ، وجمع رسوم الغنم والإبل من العشائر ، وتسليمها إلى الحكومة ، وكان هذا الأمير يأخذ لقاء ذلك بضعة قرى إقطاعاً له ، فيعرق عظمها أكثر مما يفعله الترك ، أ هـ .

ثم ذكرهم السائح الفرنسي فولنسي الذي مر بحماة في حدود سنة ١١٩٩ هـ فمدح خصب سهول حماة واستعدادها ، ثم قال : « إن المانع لاستثمار هذه السهول هو طغيان محمد الخرفان أمير الموالي وبعيثة ، وكثرة أخذه الأتاوات (الخوة) من القرى والمزارع ، وهذا الأمير يقود ٣٠٠٠٠ من الفرسان .، ولعله أراد أن يقول ٣٠٠٠٠ نفس من البدو نساء ورجالاً » .

وذكرهم السائح السويسري بركهارت في رحلته سنة ١٢٢٤ هـ فقال : هؤلاء ينزلون قرب حلب وحماة ، ويتقاضى أميرهم مبلغاً سنوياً من والي حلب ، لقاء حمايته قرى حلب من تعدي بقية العشائر ، ويجهز الموالي نحو ٤٠٠ خيال ، وهم يعدون فتاكين وغدارين ، من ذلك أن أبا الشيخ الحالي وكان اسمه محمد الخرفان الذي ذكره فولنسي ، وبالع في عدد

فرسانه قتل وسط بيته غدرًا ، وبأسلوب غير شريف أكثر من مثني رجل من عزة ، خلال ولاية أقامها لهم ، وذلك طمعاً بخيولهم .

وذكرهم المقدم مؤلر الفرنسي في سنة ١٣٣٨ هـ فقال : « إن أصل الموالي مجهول ، لكنهم يروون رواية مألها أن أحد أعقاب آخر خليفة أموي (ولو قال عباسي كان أنسب) ذهب إلى القسطنطينية ، ودخل على السلطان مراد العثماني ، فأشفق هذا السلطان على بؤسه ، وأمر بنصبه رئيساً على إحدى العشائر ، ولكي يستطيع هذا المولى (السيد العباسي) تأليف هذه العشيرة ، أمر السلطان بجمع كل العبيد والمتشردين من البدو ، وأسكنهم أنحاء حمص وحماه ، وسلم قيادتهم إلى هذا المولى ، فصاروا أتباعه ودعوا بالموالي ، وصار لهذا المولى وأعقاباه من بعده حق أن يلقبوا بالبيك ، لكن هذه الرواية لم تصرح أي سلطان مراد من الأربعة المسمين بهذا الاسم أصدر ذلك الأمر ، ولعله أحد الاثنين المتأخرين ، مراد الثالث أو مراد الرابع ، لأن مراد الأول ومراد الثاني حكما في عهد كانت فيه الشام تحت سيطرة سلاطين مصر المماليك ، وإذن يكون منشأ الموالي بين سني ٩٨٢ و ١٠٤٩ هـ ، ويكون أمراء الموالي الحاضرين من أصل نبيل جداً ، إلا أن أتباعهم وإن كانوا بدو لكنهم من طبقة واطئة ، وفي رواية أخرى تستند على مصدر أبعد من الرواية السابقة رواها لنا الأمير شايش أمير القبليين أن حمد العباس ، وهو من أقارب العباسيين ، جاء من أنحاء بغداد مع أربعين رجلاً من (الزكورد والعبيد) ونزل في أنحاء حماة ، وجمع حوله كل السلاطين من عرب وترك وكرد وغيرهم ، وألف منهم عشيرة الموالي ، ومهما يكن من اختلاف هاتين الروايتين ، فالثابت أن أصل الموالي يرجع إلى أرومة ملكية » ، انتهى مقالته المقدم مؤلر .

أما ما ذكره عنهم مؤرخو العرب المتقدمين والمتأخرين ، فقد درجناه في الجزء الأول في بحث (تاريخ البدو) ، وكله يثبت ما استنتجناه من انتسابهم إلى آل حيار ، وقبل ذلك إلى آل مهنا وقبله إلى آل عيسى ، وقبله إلى آل فضل الربيعيين الطائيين .

أما أمراء الموالي الحاضرين الذين سألتهم مراراً ، فقد أجابوا بما خلاصته : أنهم بحكم الأمية ، وفقدان التدوين ، وندرة العناية بهذه البحوث عندهم ، لا يعرفون من تاريخهم سوى روايات يذكرها بعض المعمرين منهم ، لا يستطيعون أن يؤيدوها بدليل خطي ،

وإن كرم محمدهم ، وإجلال الأعراب قدرهم ، تعود لانتائهم إلى العباسيين ، وأن جدهم الأعلى كان يدعى (شقيراً) ، وهو ابن الخليفة هارون الرشيد ، من امرأة بدوية لا يعرفون كيف اتصل الخليفة بها ، وأن هذا الابن نشأ في البادية وترعرع ، دون أن يرى أباه ، وأنه لما رآه أبوه بعد سنين عديدة عرفه ، وكان ذلك صدفةً وفي حفلة سباق أجراها فرسان البدو أمامه ، في بلدة الرقة التي كان يوافيها حيناً بعد حين للاصطياف ، وأن شقيراً برز في هذا السباق ، فأمره أبوه على البادية كلها ، وأن العشائر التي والت هذا الأمير الشاب سميت من ذلك الحين بالموالي ، ويظنون أن شقيراً هذا هو الذي وضع الريشة على رأسه ، فسميت أعقابه بآل أبي ريشة ، وأن من أعقابه رجلاً اسمه حمد العباس ، كان أمير البادية من أطراف الشام حتى براري نجد ، وأن أمراء الموالي الحاضرين هم من أعقاب حمد العباس هذا ، الذي لا يعرفون في أي عصر وفي أي مقر كان .

ولما سمعت هذه الرواية المضطربة شرعت أفندھا للقائلين ، لأنها غير مؤيدة بأسانيد مخطوطة ، ولا تعتمد على كتب التاريخ الموثوقة ، ونفيت لهم إمكان زواج خليفة عظيم كهارون الرشيد ، بفتاة بدوية مجهولة على الطريقة المستعجلة التي رووها ، وأن التواريخ لم تذكر ولداً له اسمه شقيراً ، حتى ولم يسمع هذا الاسم بين أمراء البادية في العصور الإسلامية الأولى والمتوسطة ولا باسم حمد العباس ، وشرحت عدم إمكان تحدرهم من العباسيين المتأخرين ، لأن هولاء حينما استولوا على بغداد سنة ٦٣٥ هـ قضى على آخر خليفة منهم ، وهو المعتصم ، وعلى بني العباس كلهم ، فلم ينج منهم أحد ، وأنه لولا بعض البدو من أمثالهم ، (أو بالأحرى من أسلافهم ، وقد قدمنا أنه كان الأمير عيسى بن مهنا ورجاله) شهدوا بحق رجل كان مختبئاً عندهم من وقعة هولاء زعم أنه عباسي ، ووافقت هذه الشهادة إذ ذاك هوى الملك الظاهر بيبرس ، فجاء به وجعله خليفة في مصر ، قلت لولا ذلك لما استقامت السلالة التي اتخذ السلاطين المالك منها في مصر ، خلفاء صوريين ، ثم طوى السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ هـ بساطهم ، وأنهم أي الأمراء آل أبي ريشة لو كانوا عباسيين حقاً ، لعطف عليهم خلفاء بغداد بعد هارون الرشيد ، أو الخلفاء الذين كانوا في مصر أيام السلاطين المالك ، أو لذكرتهم كتب التاريخ الباحثة عنهم ونوّهت بعباسيتهم ، أما وأن شيئاً من ذلك لم يقع فإن روايتهم لا مجال لقبولها .

ثم سألتهم إذا كانوا سمعوا بمهنا بن عيسى بن مهنا الفضل ، وبوقائعه ، وعددت أسماء

أعقاب هذا الرجل الذين تكلمنا عنهم في بحث التاريخ (ص ٦٦ - ١١٣) ، ونبذة من أخبارهم لعلمهم يذكرون أحداً منهم فلم يجرؤوا جواباً ، ثم سألت عن نسب الأمير شايش ، فقليل إنه هو الشايش بن عبد الكريم بن أحمد بك بن محمد باشا الجحجج ، ووقفوا عن إكمال هذه السلسلة ، وقيل عن نسب الأمير عبد ، أنه عبد بن إبراهيم بن باشا بن صالح ووقفوا ، وأجابوا عن سبب قلة عدد الأمراء آل أبي ريشة ، بأن هؤلاء الأمراء لا يجوز لهم أن يتزوجوا من نساء أعرابهم (مواليتهم) ، لأنهم محرّمات عليهم يعدونهن كأخوات ، إلا فرقة الطوقان من الموالي ، فإنه يجوز لهم مصاهرة أعيانها ، لشرف منبتها الذي يعزونه إلى أسرة الطوقان المعروفة في مدينة نابلس منذ سنة ١٠٦٦ هـ ، وليس لديهم ما يؤيد هذا العزو .

ولما لم أكتف بهذه الأجوبة قصدت بلدة معرة النعمان القريبة من هؤلاء الأعراب ، وكلفت قائمقامها يومئذ صديقي السيد شفيق الراشد ، فاستحصل لي على جواب من أحد معمرى المعرة الذي توفي بعدها ، وكان اسمه الحاج فارس القطيني . لكن هذا الرجل ردد حديث انتساب أمراء الموالي إلى العباسيين ، بما دلني على انتشار هذا الزعم الخاطئ ، وأن عامتنا في مثل هذه الموضوعات ترمي الكلام على عواهنه ، لجهلها بالتاريخ وأساليب الاستدلال بحقائقه ، وأضاف هذا المحدث على قوله رواية مضطربة مشوشة ، لا يرتبط أولها بآخرها ، منها أن الفتاة البدوية التي أعجب هارون الرشيد بأدبها وتزوجها ، كانت من قبيلة بني كلاب الذين مر بهم في مسيرة إلى الصيد ، وأن هذه الفتاة بقيت عند أبيها ، ووضعت غلاماً سمته العباس ، وكان أشقر اللون فلقب بشقير ، وأن هذا لما كبر أعقب ولداً سماه حمداً ، سار على غرار أبيه في الرجولة والفروسية ، وذهب مع أتباعه من بني كلاب لنجدة عمه المأمون في حربه مع الأمين ، وأنه عرفه بنفسه بالعقد الجواهر الذي كان أهده هارون الرشيد إلى جدته ، وأن المأمون أكرمه وأثابه بريشة من ذهب ، فدعي بأبي ريشة ، وولاه على إمارة البادية على ديار الشنبل (براري حمص وحماة وحلب) ، فجاء حمد العباس المذكور من العراق في القرن العاشر (على حين أن المأمون كان في القرن الثالث ، ولا مجال لإقحامه في هذه الأسطورة) واستقر حمد العباس في الديار المذكورة ، جاعلاً موطنه في سلمية ، والتف حوله جمع من الأعراب دعوا بالموالي ، فالذين نزلوا في شمالي

بيت هذا الأمير دعوا بالشاليين ، والذين نزلوا في قبله دعوا بالقبليين ، إلى يومنا هذا ، وذلك على أثر شجار وقتال حدث بينها إذ ذاك ، وأن الموالي بعد أن مكثوا في قضاء سلمية دهرأ ، أرادت الدولة أن تحضرهم ، فأقطعتهم قرى عديدة من أملاكها في شرقي المعرة وحماة ، وكان ذلك على يد أصلان باشا متصرف لواء دير الزور في سنة ١٢٨٧ هـ ، فقطنوا هامة ، لكن طبع البداوة جعلهم يبيعونها من وجهاء المعرة وحماة وحلب ، ولم يبق في يدهم إلا القليل منها ، إلخ ...

ثم ذكر آخرون ممن سألتهم عن نسب أمراء الموالي عدة أسماء غريبة منها اسم حمد العباس ، الذي لم يرد له أي ذكر في كتب التاريخ التي راجعتها ، فمن أين جاؤوا به ؟ وقد جعلوه جد لهم الأعلى ، وجعلوا بجيئه من العراق منذ ثلاثة قرون أو نحو ذلك ، وذكروا أن حمد العباس خلف ابنأ اسمه فياض الذربة أو فياض السها ، وقالوا إن هذا الأمير ، هو الذي ركز عمود الحمى وسط الحماة بين حدود العراق ونجد والشام ، ومنع العشائر القادمة من نجد أن تتخطاه ، وأنه هو الذي أحبته (حمرة الموت) بنت أحد شيوخ طيء في الجزيرة ، وكتبت له رسالة غرامية ، فتوجه على أثر هذه الرسالة مصحوباً بأربعين من صفوة فرسان عشيرته ، ما منهم إلا وله لحية صالحة لحمل المشط إذا شك فيها ، وأنه أخذ حمرة الموت من منزل أبيها عنوة ، وذكروا أن فياضاً خلف جحجاج ، وجحجاج خلف الكنج أبو سفايف ، وهذا خلف محمد الباشا .

فأين هذه الأقوال ، مما التقطته من المصادر التاريخية الموثوقة ، وكيف السبيل للتوفيق بينها ؟ وكيف عرف الشيخ أبو الهدي الصيادي انتسابهم إلى آل حيار ، بينما هم لا يعرفون ذلك ولا يذكرونه !! فقد جاء في رسالته (الروض البسام) ص ٢٠ مانصه : « ومن أشهر البطون القرشية (ولعله أراد أن يقول العربية ، لأن الموالي قحطانيون ، وليسوا عدنانيين ، ليصح نسبتهم إلى قريش) آل جحجاج أمراء قبيلة الحيار ، وهي القبيلة المعروفة الآن بالموالي ، ويعرف أمراؤهم بآل أبي ريشة ، ومن بني عمهم أمراء آل فضل بغوطة دمشق » . ا هـ

وحدثني آخرون أن شقيراً الذي جعلوه ابن هارون الرشيد ، ورأس عمود أمراء الموالي لم يكن سوى رجلاً عادياً من عشيرة الموالي ، وأن هذا الرجل أرسلته العشيرة إلى

استانبول ، إجابة لدعوة السلطان ، فقد كان السلطان أصدر إرادته بإيفاد فتيّ منهم ، ليتدرب على الإدارة والحضارة ويعيده ، فخافوا ولم يشأ أحدهم أن يذهب ، بل انتخبوا هذا الفتى النكرة ، ويعثوا به قائلين إلى بعضهم « دزوا شقير مع الخيل إلخ ... » ، ولما عاد شقير يحمل فرماناً سلطانياً بالإمارة عليهم ، رفعوه وأطاعوه ، ومنه جاء نسل الأمراء الحاليين ، وجاء نسل الذين والوه ، وصاروا (موالى) عنده ، إلخ ، وهذا أيضاً حديث خرافة وعبث .

وذكروا أيضاً : أن الموالى بعد أن ظلوا عدة أجيال متحدين ، وتحت لواء واحد ، انشطروا إلى جذمين شماليين وقبليين (وسامهم كاتب جلبي في كتابه جهان نما : آل حمد وآل محمد) وذلك بالنسبة إلى وضعهم الجغرافي ، الذي كان حول رئيسهم الأوحد ، ثم تشاحن الجذمان ، وسالت الدماء بينهما ، إلى أن جعلت منازل كل منهما على خلاف التسمية ، وهو أن الشماليين يجعلون ربعتهم ، أي القسم الخاص بالضيوف في الجهة القبليّة المحاذية لبيت الأمير ، والقبليين يجعلونها في الجهة الشماليّة ، وأن آثار هذه الشحنة ما برحت موجودة بين الفريقين ، وأنه في القرن الماضي وجد محمد الخرفان الثاني على رأس الشماليين ، وأحمد بك على رأس القبليين .

وقالوا إن أمراء آل أبي ريشة على قتلهم ينقسمون إلى عدة فروع ، (الفرع الأول) آل أحمد بك بن محمد باشا الجحجاح ، وأن أحمد بك هذا هو الذي حارب محمد الخرفان الثاني ، وحارب الأحسنة حتى قتلوه ، وقد أعقب عبد الكريم وأحمد ، فمن عبد الكريم جاء الشايش (الأمير الحالي) وله الآن ستة أولاد فواز وعبد العزيز وعبد الحميد وفيصل وغازي وسعود ، ومن أحمد جاء طويريج ونواف وحجر ، ومن نواف طراد ونوري وسلطان وراكان ، ومن حجر شريف ، أما طويريج فلم يعقب . و (الفرع الثاني) آل إبراهيم بك بن محمد باشا الجحجاح ، فمن إبراهيم هذا جاء عبد العزيز ومحمد وحمدو ، ومن عبد العزيز جاء تركي ، ومن تركي محمد ، وجاء من محمد جحجاح وإبراهيم ومحمود ، وجاء من حمدو عبد الرزاق المقتول سنة ١٩٣٠ م ومن عبد الرزاق جاء صفوق وذعار . و (الفرع الثالث) الباشوات أعقاب عبيد باشا من بنت له اسمها فضة ، فعبيد باشا أعقب صالح وكنج ، فمن صالح باشا ومنه إبراهيم المقتول في سنة ١٩٢٥ م ، ومنه الأمير عبد والأمير

رفعت المقتول سنة ١٩٢٣ م ، ومن كنج إبراهيم ، ومنه فياض ، ومنه دحام ومحمد . وهناك (فرع رابع) آل محمود بك الذي كان رئيس الموالي في حدود سنة ١٢٨٧ هـ حسبها ذكر في التقويم السنوي لولاية حلب ، وعلى هذا ربما بلغ مجموع آل أبي ريشة كبارهم مع صغارهم ٣٠ - ٤٠ شخصاً فقط . أما محمد الخرفان الذي مر ذكره فقد أعقب فياضاً ، وهذا مات مقطوعاً .

أما مواليتهم فينقسمون إلى موالي أصليين ، وموالي رعية ، وفي كل قسم فرق شتى ، يقطن أكثرها في ناحية العلا شرقي قضاء المعرة ، وبعضها في ناحية الحمراء ، وبعضها في قضاء سلمية شرقي حماة .

فرق الموالي الشماليين (رهط الأمير عبد الإبراهيم) - بني عز والخليفة والمشارفة والدواينة والشريف والدولة والحسو والكلكل والفنير والعميطة والشليويط والكندوش والغازي والطوقان والبوسرايا والبوعاصي والبوحد والبوكمال والبوجيد والبوعباه والبوجردة والخناصرة والببيع والرميكات والحليسات والشامطة والجليبات والمعاضيد والشطيحات والعبيد ، إن مناطق هذه الفرق في المعمورة ، موزعة بين محافظتي حلب وحماة في قضائي المعرة وسلمية .

فرق الموالي القبليين (رهط الأمير شايش عبد الكريم) - أبو ريشة والعبيد والطهماز والحماجة والشويرتان وأخوة وضحة والوادي والشطيحات والحليبات والأسود والبدر والخطباء والعلي باك والزيدان والعوان والشبوط والغران والعكيش والدليم والحليسات والنعم والمصارع والزنادعة والبوحد والكليب والراشد والقواويس ، إن مناطق هذه الفرق في أقضية إدلب والمعرّة وجبل سمعان من محافظة حلب .

ويتراوح عدد بيوت هذه الفرق من ٢٠ - ٤٠ - ٨٠ - ١٠٠ - ٢٠٠ وربما تعادل العدد بين جذمي الشماليين والقبليين ، وربما بلغ مجموعها العام ١٢٠٠ بيت .

أسماء قرى الموالي التي فيها أملاكهم ، وأملاك شركائهم من أهل المدن (قرى الشماليين) ؛ بريصة وسحال ودرجة وأبودالي والسرّج ومشيرة وأم صهريج وأبو عمر وكنيسة وسبيل وقسطون وانب وزغبة وشمة وحوين وقنيطرة حراق وهلبا وكرسنه

وجران وحلوبة وقراطي ورفة والبرج وأبو حية وكفريا وسرجة وأبو سرجة وتل دم
وينحا وذريبة وأم الخلاخيل وأم جلال ومشيرفة وشعرا وتل تين وباشكوي والعوجة وأم
ميال ودير سنبل وقليعات وهبيط .

قرى القبليين ؛ فروان وبرصة وتل الأغر والنيطة وكنائس وتل كرسيان وسمقة
وقطرة وصافة وكراتين وأم الطيور والعوجة وكفر ومعزاف والشير .

هذا وهناك من أفاريق الأعراب أحياء تلتف حول الموالي ، وتدعى (لحقة
الملتحقون) ، فمن يلتحق بالشمالين (السماطية) الذين مر ذكرهم في بحث محافظة حماة ،
وهم في ناحية الطارشمالي غربي حماة ، و (بني عز الرعية) الذين مر ذكرهم أيضاً ، وهم في
جنوبي قضاء سامية ، و (الطوقان الرعية) ، وكان (البشام) الذين مر ذكرهم أيضاً في
بحث حماة من جملة هؤلاء اللواحق ، ثم انفصلوا عن الموالي أو كادوا ، ومن كان يلتحق
بالموالي القبليين ؛ اللهب والتركي والخراسم الذين تقدم ذكرهم أيضاً ، ثم صاروا مستقلين
إلا في حالة الفرع الأكبر .

ثم من مراجعة أسماء فرق الموالي يتبين أن منابتها ومكانة كل منها مختلفة جداً ،
فالطوقان مثلاً فرقة نبيلة يتزوج الأمراء منها أحياناً ، ومثلهم في المكانة (المشارفة) ،
ومن هؤلاء نشأت أسرة (آل عابد) في دمشق فيما قالوه ، ومنهم هولوا باشا بن عمر بن عبد
القادر بن محمد بن قانص آل عابد ، ومحمد هذا نزل دمشق سنة ١١١٢ هـ وأعقب فيها هذه
الأسرة ، وبعدهم (الدواونة) أصلهم من شمر ، و (الخليفة) أصلهم من طيء ، وكذا
(أخوة وضحة) ، وأكثر (الجاجية) من دليم العراق ، وفرق الأبي عاصي والشريف
والكندوش من الشوايا والطوقان الرعية والمشارفة الرعية وبني عز الرعية والحسو وأمثالهم
من الرعية ، و (القواويس) من أبناء خدم الأمراء وحواشيهم ، و (الفنير والراشد
والكلكل والشليويط والعميطة) من الأسراء ، و (الغازي والبعيج) مجهولو المنشأ ،
و (الدولة) وهم أشر الموالي من فلول جنود الترك ، وهكذا .

وهذا الاختلاف في الأصول والمنابت التي أكثرها غامض ، هو الذي أدى إلى أن
يزدري البدو الأقحاح هؤلاء الموالي ، وإلى أن يكون بينهم أيضاً اختلاف في مهر الزوجات

وديات الدم ، وما إليها مما يثبت وجود تناقض في تكوين هذه العشيرة الغريبة ، وتباين في مظاهرها ، رغم مرور أجيال على اشتراك فرقها في العيش .

ورغم فقدان التجانس في عشيرة الموالي فإنها متفقة الكلمة على الرئاسة الاسمية العليا للأمير شايش بن عبد الكريم ومقره في قرية قطرة ، إلا أن رئاسته الفعلية تشمل القبليين فقط ، وخاصة فرقة الجاجمة منها التي تعد قلب الموالي ، ولا تشمل الشماليين ، وهؤلاء الشماليون بعد أن كانوا في رئاسة الأمير إبراهيم الباشا الذي قتل بقصف الطائرات الفرنسية في سنة ١٩٢٥ ، نقلوا الرئاسة إلى غير الأمراء ، أي إلى أحد رؤساء فرقهم ، وهو فارس العطور رئيس المشارفة ، وكان هذا الرجل من أشهر صناديد البادية ومشعلي ضرامها ، تقلد عقادة الحرب على الموالي كلها ، كما تقلد رئاسة الشماليين وحدهم مدة مديدة ، وفعل الأفاعيل في معارك الموالي والحديدين ، إلى أن شاخ وتوفي في آذار سنة ١٩٣٨ م ، وما يذكر عنه أنه لم يحمل سلاحاً نارياً ، بل كانت غزواته وضرباته بالصارم البتار ، وأنه لم يجهز على من يقع بين يديه في المعارك ، ولم ينزع السيف من جنبه قط ، فكان يدخل به على أكبر المقامات ،

ولما مات فارس العطور ، قامت فرق الشماليين كلها تحاول نصب ابنه أحمد مكانه ، بحكم حيازته لأكثر مناقب أبيه ، لكن الفرنسيين عارضوا أحمد ونفوه إلى تدمر ، ثم إلى الحسيكة درءاً للفتنة ، وقلدوا الأمير عبد المذكور ، فلم يرض به حزب أحمد ، ولما رجع هذا من منفاه ، أصروا على رئاسته ، وظل الأمير عبد يطالب بحقه ، إلى أن أقرت الحكومة السورية على قسمة الرئاسة بينها ، فلحق بعض الفرق أحمد ، ولحق البعض الآخر الأمير عبد ، وانتهى الأمر ، واستقر هذا الأمير في قريته المسماة الشطيبي .

أما الأمير شايش فهو من ممثلي العشائر في المجلس النيابي منذ أمد بعيد ، ورئيس مطاع ، ومحبوب في عشيرته ، وهي تحفظ له كرم محتده ، وحسن إدارته ، وأنت إذا سألت أحد هؤلاء الموالي من أي عرب هو ، أجابك فوراً (من عرب الأمير) ومقر الأمير شايش في قرية (قطرة) ، وهو لا يتبدى مع عشيرته بتاتاً ، لانشغاله بالنيابة وبملاحقة الدوائر والمحالس ، بل ينيب عنه ابن عمه الأمير نواف ، لكنه في شتاء سنة ١٩٤٢ م ،



الأمير شايش بن عبد الكريم آل أبوريشة رئيس الموالي

اضطر إلى أن يتبدى مع العشيرة درءاً للفتن التي كانت تحدث في غيابه ، أخصها ما يصدر من الأمراء الشبان ، أمثال تركي وصفوق ودحام في حق غيرهم .

هذا والموالي من أهل الغنم ، ومن ثم كانت نجعتهم محدودة ، وقد كانوا إلى بضع سنين يربون أغنامهم الخاصة ، ثم ألح عليهم الفقر ، فصاروا يشاركون أهل المدن ، ويربون ماشية غيرهم ، وينتقصون من استقلالهم وعنفوانهم السابقين إزاء الحضر .

وهم يقيظون في قراهم التي في أقضية المعرة وحماة وسلمية ، وقبلأ كانت منازل الموالي خصبة وأجود من الآن ، ولكنهم عقيب الصلح الذي عقده مع الحديديين أكرهوا على قبول توزيع جديد للقرى بينهم وبين الحديديين ، منعاً للفتن ودراً للتصادم جهد الإمكان ، وقد استحوذ الحديديون على حصة الأسد في هذا التوزيع ، بفضل الفرنسيين الذين رأوا ولاء الحديديين لهم وجفاء الموالي ، خلال ثورات ١٩٢١ و ١٩٢٥ و ١٩٢٦ م ، وهذا ماحداً بالموالي أن يترثوا ، ويحسبوا العاقبة في حادثة العدوان الفرنسي الأخيرة على حماة سنة ١٩٤٥ م ، فلم يهرعوا إلى إسعاف أهل حماة كما أسعفتهم بقية العشائر .

وكان الفرنسيون نصبوا ممشى للفصل بين العشيرتين ، ظل حتى سنة ١٩٣٦ م ، فكان الموالي مكرهين على البقاء غربي خط أبو جريف - حلبان - تل عوجة - سنجار - أم ميلات - أم الرجم - رجم مشرفة - تل خنزير ، والموالي يعملون في الزراعة على هون وتقاعس وينتجون حبوباً يبيعونها في أسواق المعرة وحماة ، ويقدر أن لديهم ٤٠٠٠٠ شاة و ١٥٠٠ بعير و ٥٠٠ فرس من أجود الخيل العرب .

أما شتاؤهم ففي المنطقة الجبلية التي تشمل جبل البلعاس وجبل شاعر والصبب الغربي لجبل المرا والجبل الأبيض وجبل أبو رجمين ، وهذه المنطقة غنية بأشجار البطم ، كما قدمنا في الجزء الأول (ص ٤٤) وجيدة لرعي الإبل والغنم ، إلا أن مياهها قليلة ، ولم تثر مساعي مصلحة الري فيها بعد ، وأخص المناهل التي يردونها هي شيخ هلال والحسية والتوينان وقطقط وأرك ، وكان الفرنسيون نصبوا لهم في البادية أيضاً ممشى يفصل بينهم وبين الحديديين ، إلا أن هذا ألغي منذ سنة ١٩٤١ م التي تم الصلح الرسمي الأخير بينهما .

وهم ينجعون في أول هطول الأمطار فيبلغون جبل البلعاس ، ومن ثم يتوزعون

زرافات صغيرة ويلحق كل منهم المناهل والمراعي التي يجدها أمامه ، إلى أن يبلغوا رويداً رويداً شمالي تدمر ، حيث يكتثون أشهر الشتاء الثلاثة ، وفيما ندر من السنين مثل سنة (١٩٤٥ - ١٩٤٦ م) يعنون في النجعة ، فيبلغون منطقة الخبرات ، أو منطقة الوديان في الحماة ، وهم ما أن ينتهي شهر آذار حتى يعودوا من حيث أتوا إلى جبل البلعاس ، وبعد أن يخيموا فيه مدة قصيرة ، ويقطعوا ويحرقوا أشجاره ، ويخربوه عاماً بعد عام ، يقصدون قراهم في المعمورة ، ويبلغونها من السعن وسعين والحراء .

ولشدة بأس الموالي وشغفهم بالسطو والتعدي ، كان الفرنسيون يجهزون في كل سنة سرية فرسان قوية ، ترابط لهم في محطة الحمداية بين حماة وحلب ، إقراراً للأمن الذي كثيراً ما كانوا يعكرون صفوه ، حين عودتهم من البادية ، وانتشارهم في المعمورة ، وظل الفرنسيون يحقدون عليهم ، اشتراكهم في سنة ١٩٢٥ ، في الثورة السورية الكبرى ، وقد آذوهم كثيراً بالأموال والأنفس ، كما آذوا هم أنفسهم في حروبهم مع الحديديين ، طوال أربع عشرة سنة ، ولهذا فإن الموالي بعد رفعتهم وميسرتهم ، صاروا خمل ومعرين من جراء جهلهم وطيشهم ، ناهيك توالي سني الجذب والأزمات الاقتصادية ، التي رافقتها إلى قبيل الحرب الكونية الأخيرة ، مما وضع كثيراً من الأقوياء والأعزاء وقتئذ .

الحديديون

أكبر عشائر الرعية في محافظة حلب عدداً ، وأكثرها ثروةً ، وأميزها بإتقان تربية الماشية ، وصنع السمن المعروف بالحديدي ، المنقطع النظير في جودته ونفاسته ، وأشدها استعداداً للتحضر والاستقرار في القرى ، والتعلق بالحرث والزرع ، وأقربها للوداعة وإطاعة الحكومة ، حتى يمكن القول أنه لولا العداء القديم بينها وبين (الموالي) ، والذي كثيراً ما يكرهها على العزوف عن المكوث والهدوء ، لأصبحت منذ زمن بعيد ، أولى العشائر المتحضرة ، ولأصبح سهل الأندرين عامراً بالقرى ، وأهلاً بالسكان ، وزاهراً بالزرع والغرس ، كما كان في العصور القديمة أيام عمران الأندرين ، ذات الأطلال الشاخصة ، والقنوات الكثيرة المندسة .

إن أصل الحديديين من أنحاء الموصل في شمالي العراق ، ولا يزال هناك منهم قسم

يقدر بنحو ألف بيت ، يتبدى على يمين الدجلة من تل عفر إلى حمام العليل ، وعلى يسار الدجلة بين الزاب وسهل باشايا ، ويتألف هناك من فرق عديدة تعمل في الزرع والضرع ، ولا تنقطع عن الاتصال والتزاور مع أقاربها الموجودين في براري حلب .

ويزعم الحديديون أنهم أعقاب رجل معتقد بولايته وكراماته ، التي منها فيا زعموا عجن الحديد ، واسمه الشيخ محمد عجان الحديد ، وضريحه في الحديشة على الفرات ، وفي قول آخر أنهم من أتباعه وأنصاره ، لا من أعقابه .

وهؤلاء الحديديون في الموصل قبل قرنين أو ثلاثة كانوا عشيرة واحدة ، مؤلفة من فرقتين الكواصمة والملاوكة ، ثم حدث بينهم نزاع ، أدى إلى الفشل وذهاب الريح ، فلحق قسم صغير منهم بالموالي في أنحاء حلب ، ثم استمر اللحاق والنزوح إلى أن حصلت عشيرة الحديديين التي نبحث عنها ، وتضخمت في أوائل القرن الهجري الماضي ، على أنها ظلت إلى الربع الأخير من ذلك القرن ، دون مكانة منظورة ، ولا تأليف تام ، ولا سمعة حسنة ، بحكم الشقاوة والغارات التي كانت تقوم بها ، وكانت تعد من أتباع أمراء الموالي أو لواحقهم ، إلا أنهم كانوا يفضلون التحضر والاستقرار في الأرض ، على البداوة والنجعة البعيدة ، خاصة ولم يكن لدى أكثرهم من وسائل الرحيل سوى الحمير .

ذكرهم السائح السويسري بركهارت في سنة ١٢٢٤ هـ فقال : سلاحهم الغالب بنادق ، وعندهم كثير من الحمير ، ونساءؤهم مشهورات ببياض البشرة ، وهم في الغالب في حرب مع الموالي ، يساوونهم في عدد الفرسان ، اهـ .

ثم مضت سنون صلح فيها حالهم ، وازداد عددهم وعديدهم ، وألفت فرقة (الأبوكنش) المعدودة قلب المجتمع الحديدي رابطة قوية ، حول أسرة منهم تدعى (آل إبراهيم) ، وحذا حذوها عدد غير يسير من الشوايا ، ومن فلول بعض العشائر التي غفلت عن حسبها ونسبها ، فانضموا إلى الأسرة المذكورة ، لذلك فإن الحديديين مؤلفون من فرق شتى ، بينها بعض الاختلاف في العادات ، والأزياء ، وأغطية الرؤوس وفي العدد ، ودرجة الميل نحو التحضر ، حتى في رسم الغنم والإبل . وينقسم الحديديون إلى ثلاثة :

١ - قوم الشيخ نواف الصالح المعروفون في القيود الرسمية باسم (كومة) من كوم

التراب والخصى تكويما ، وهي كلمة قلما يستعملها الحضر .

٢ - فرق مستقلة عن الشيخ نواف ، وملتفة حول رؤساء آخرين ، كالغناطسة في (قضاء الباب) والأبي شهاب الدين في جنوبي مطخ قنسرين (قضاء إدلب) والأبرز في جبل الأحص (قضاء جبل سمعان) والأبي حسن الذين أصلهم من عشيرة الأبي شعبان الفراتية ، ومقرهم الآن في ناحية الحمراء (قضاء حماة) ، وهذه الفرق ما برحت منذ ١٥ - ١٨ سنة تحاول الانفراد عن نواف الصالح ، ولطالما فزعوا إلى السلطات الفرنسية ، وعقدت مؤتمرات عدة لأجل إسكاتهم ، ورد طلباتهم فلم تنجح ، وقد استفحل الخلاف حين طبع هذا الكتاب ، ولما ينته .

٣ - لواحق من الشوايا والرعية كالجلان الذين ذكروا في بحث قضاء سلمية ، وهؤلاء ينضون تارة إلى الموالي ، وتارة إلى الحديديين ، وتارة يتظاهرون بالحياد والاستقلال .

وكان الحديديون قبلًا منذ ورودهم من أنحاء الموصل ، حتى الربع الأخير من القرن الهجري الماضي ، يقطنون شرقي حلب في قضائي الباب ومنبج كما أثبتته (سالنامه ولاية حلب لعام ١٢٨٧ هـ) ، ثم على أثر قدوم عشيرة الولدة (الأبي شعبان) من الجزيرة قبيل ذلك الزمن ، ومزاحمتها الحديديين وغيرهم ، كما ذكرناه في مبحثهم ، اضطر الحديديون إلى أن يبعدوا نحو الجنوب ، ويبلغوا جنوبي مطخ قنسرين .

هذا ولم يكن إلى ذلك الحين للحديديين رئيس عام ، إلى أن قام أحد نبغائهم واسمه جرخ الإبراهيم ، فضم شمل فرق الحديديين ورتب أمورهم ، ومن ثم استقرت الرئاسة في يد (آل إبراهيم) ، وفي القرن الهجري الماضي كانت الدولة العثمانية تعهد إلى الحديديين بحراسة الطريق بين حلب وسراقب ، كما كانت تعهد حراسة مابعد سراقب إلى الموالي ، فكان الحديديون يتقاضون رسوم مرور من القوافل ، وقد جعلتهم هذه الوظيفة في اتصال مع ولاية حلب وأهلها ، فهدبت من أطباعهم إلى حد بعيد ، ثم شرعت الدولة في تخضير العشائر ، وقام أصلان باشا الذي قدمنا ذكره وحده ، في الجزء الأول ص ١١٠ ، وأقطع أرضين واسعة للحديديين في شمالي كورة العلا ، فعملوا فيها أحسن من الموالي ، ولم يفرطوا بها ، ويجعلوها فريسة الديون لوجهاء حلب والمهرة وحماة ، كما جعلها الموالي ، ويعود الفضل في هذا ، وفي إصلاح حالة الحديديين عامة إلى أسرة آل إبراهيم المذكورة .

يزعم أخصام هذه الأسرة أن أصلها حضري (جبيلي) ومن علوية جبال اللاذقية ، بينما يدحضون هذا الزعم ، ويعزون منشأه إلى لجوء آل إبراهيم في حدود سنة ١٢٤٧ هـ إلى عشيرة الحدادين العلوية ، على أثر نزاع قام يومئذ بينهم وبين الموالي ، قالوا ومثل ذلك عمل الموالي ، لما استنجد أميرهم أحمد بك الجحجاح بالحرافشة من شيعة بعلبك في معركة جبل زين العابدين قرب حماة سنة ١٢٧٥ هـ ، فكما أن استنجد الموالي بالحرافشة لا يجعلهم شيعة وحضر ، فاستنجد الحديديين بالحدادين لا يجعلهم علوية وجبيلية ، ومهما يكن أصلهم الذي لاشك في بداوته ، فإن آل إبراهيم قد فرضوا رئاستهم على الحديديين ، وكان أشهرهم جرخ الإبراهيم في حدود سنة ١٢٧٧ ، و ١٢٨٧ هـ ، وكان ذكياً وذا ثروة ومقدرة كبيرتين ، وهو الذي جمع شمل الحديديين بفضل التفاف فرقة (الأبوكنش) حوله ، وكان مقره في قرية البويدر شرقي محطة أبي الظهور ، ثم خلفه ابنه صالح في تلك المناقب ، وزادها علواً باقترانه بأخت الأمير عبد الكريم الأحمد آل أبو ريشة (وهي عمه الأمير شايش) ، فسماعرقه بهذا الزواج ، وجعل لنفسه بذلك منزلة تضارع ما لأمرء الموالي ، ولما توفي في حدود سنة ١٣٢٢ هـ خلفه ابنه الكبير شامان ، ولما توفي هذا في سنة ١٣٣٣ هـ ، صدرت الإرادة السنية بتعيين أخيه نواف المولود في سنة ١٢٩٧ هـ ، وهو الرئيس الحالي .

والشيخ نواف الصالح الجرخ يعد أذكى قومه جناناً ، وأوسعهم عرفاناً ، وأطلقهم وجهاً ولساناً ، ولاغرو فهو خريج مدرسة العشائر والمدرسة الحربية في عهد السلطان عبد الحميد ، عمل في الجيش العثماني مدة ، وبلغ رتبة رئيس ، ومارس حياة الحضارة والنظام ، وبعد أن تقلد مشيخة العشيرة اتسعت سلطته ، وعلت كلمته ، بحكم معاضدة الحكومة العثمانية له قبلاً ، والحكومة الفرنسية بعداً ، وهو قد توصل بذلك إلى تزويج بناته من أبناء رؤساء الفرق ، أو كبرائها في عشيرته ، فقد زوج إحداهن إلى راكان المرشد شيخ الأسبعة البطيئات ، وأخرى إلى خليف الإبراهيم رئيس فرقة الأبى حسن المستقلة عنه ، وزوج أخاه أحمد الصالح أخت الأمير تركي آل أبو ريشة ، وزوج إحدى أخواته إلى محمد الصفوق الرجو شيخ الحديديين الغناطسة ، فضم بذلك حوله فرق الحديديين القريبة ، وجذب نحوه الفرق البعيدة ، واتحد مع أحد بيوتات عنزة الرفيعة ، وزاد في أسرته نسبة

الدم النبيل الخاص بالأمراء وكبار الرؤساء ، وحاز مكانتهم وحرمتهم لدى البدو والحضر والحكومات . وليس ثمة من يخالفه ويحاول الانفراد عنه ، إلا رؤساء الفرق المستقلة التي عددها ، وهو إلى ذلك نائب في البرلمان السوري منذ أمد بعيد ، وكان صديق الفرنسيين الحميم ، ومؤازراً لهم إلى أقصى حد ، وقد منحوه وسام جوقة الشرف ، وكانوا يجلبونه ويؤيدونه ، وقد أثنى عليه المقدم مولر في كتابه ، وتنى لو أن حكومته تقتفي أثر السلطان عبد الحميد ، وتشيئ مدرسة لأبناء العشائر ، كما يتخرج منها أمثال الشيخ نواف المذكور ، هذا إلى أن الشيخ نواف (عارفة) يقضي في الدعاوى ، ويحل الخلافات بين أبناء عشيرته الكثر ، ويستغل ذلك كثيراً ، وله في عشيرته طاعة مطلقة ، وعند كل العشائر حرمة بالغة ، يحل بها الخلافات بين عربان الديرة وعزة ، ولا يقضى عارفة الحديدين الأوحده ، وهو أحمد العيسى من الأبي صليبي إلا بعد أن يتفق مع نواف ، ثم هو مغرم بالزراعة ، ويحث عشيرته دائماً نحو التعلق بالأرض ، والعناية بالحرث ، والكرث ، وتقجير القنوات ، وإسالة المياه ، وقد استأجر من أملاك الدولة أرضين واسعة ، في أنحاء البويدر والأندرين ، وعمر تلك البقاع النائية التي كانت خراباً ييباً ، واقتنى ساحبين للحرثة ، وفجر عدة قنوات . وهو يكل قيادة العشيرة أثناء النجعة إلى ابنه الأكبر سظام ، على أن ابنه الخامس فيصلاً محبوب جداً بين البدو .

حدثني الشيخ نواف في ربيع سنة ١٣٥٢ هـ - (١٩٣٣ م) ، وقد كنت قصده في مضاربه المنصوبة وسط مروج خضراء ، شرقي قريته المسماة طويحينة ، وهي من أملاك الدولة ، وعلى مقربة من محطة أبي الظهور ، كما حدثني من كان حوله من الشيوخ المعمرين من الحديدين ، أن محمد باشا الذي ذكره الشايش أمير الموالي ، هو ابن جججاج بن الكنج أبو سفايف بن فياض الذرية (ولم يقولوا فياض السها الذي قاله الموالي) بن حمد العباس ، وعاد هؤلاء لترديد أسطورة انتساب حمد العباس لشقيق بن هارون الرشيد ، وزادوا عليها قولهم إن حمد العباس هذا ، كان أمير البادية كلها في عهد لا يعرفونه ، وكانت إقامته في أنحاء الفرات ، فجاءته ذات يوم امرأة من بنات الشيخ محمد عجان الحديد ، واستجارت به كي ينقذ أبناءها السبعة من سجن بغداد ، وكان هذا الأمير ذا صولة ووجهة طائلتين ، فأنقذ هؤلاء الأخوة ، ثم حينما وجدهم قتيلاً أشداء وماهرين بالقنص ، واستعمال بنادق البارود المعروفة بأمر فتيل ، اتخذهم بطانته ، وصاروا يقنصون له

الغزلان وسموا بالقناسة ، وهؤلاء الأخوة هم أجداد الحديديين الحاضرين ، فقد أعقب أربعة منهم ، واسمهم غنطوس وصليبي وجادر وجميل ، فسميت الفرق التي تسلسلت منهم بالغنطاسة والأبو صليبي والأبو جميل وسميت سلالة جادر باسم أحفاده كنش وزليط وفاتنلة وشتيوى .

وقالوا أنه حدث بعد حين نزاع بين الأخوة القناسة ، وأحد أبناء الأمير ، أدى إلى نزوح هؤلاء عن الموالي ، والتف حولهم جمع من عشيرتهم الحديديين الواردين من أنحاء الموصل ، حيث لا يزال منهم بقية ، وهم كالأبي شهاب الدين والغنطاسة والأبرز ، فتكاثروا وصاروا حياً كبيراً قرب الموالي ، وتفرع من فخذ كنش فخذان آخران ، هما فخذ الإبراهيم الذي منه الشيخ نواف الصالح ، وفخذ المواسية ، ثم إن أمراء الموالي ، جعلوا ديدنهم التعدي على هؤلاء واستباحة حمام ، وكان أشدهم وطأة الأمير محمد الخرفان (الذي ذكره السائح الافرنسي فولناري كما قدمنا) ، وقد أراد هذا الأمير أن يعتصب فتاة جميلة من فرقة المعاطة ، فعارضه الحديديون ، وجسر أحدهم وكان اسمه مصقادة ، واغتاله بينما كان يتوضأ ، وكانت امرأته حامل ، فوضعت بعد اغتياله غلاماً دعوه باسم أبيه ، وقد أدت هذه الحادثة لانفصال الحديديين عن الموالي بتاتاً ، ولما شب محمد الخرفان الثاني ، أراد أن يثار لأبيه ، فغزا الحديديين في تل الطوقان غربي مطخ قنسرين ، وغزا منهم أموالاً ومواشي كثيرة ، فلحقه منهم خمسة عشر فارساً ، فكر عليهم وذبحهم عن بكرة أبيهم ، ومن ذلك الحين توالى الفتن بين العشيرتين واستحكمت البغضاء .

وكان لمحمد الخرفان هذا ابن عم يدعى الأمير أحمد بك بن محمد باشا الجحجاح ينازعه على فتاة حسناء من الأميرات ، اسمها فضيضة كان كل منهما يرغب الاقتران بها ، فلما ظفر محمد الخرفان بها ثارت ثائرة أحمد بك ، فلجأ إلى الحديديين ، مستعيناً بهم ضد ابن عمه ، وكانت منازل الحديديين في تلك الآونة تمتد من منبج إلى الجبول ، ومنازل الموالي في كورة العلا ، وتقابل الفريقان في موقع يدعى تل حلاوة في أقصى شرقي قضاء معرة النعمان ، وتلاحما فيه ، فكانت الدائرة على الموالي ، وظل الحديديون يضربون في أقفيتهم ، حتى أوصلوهم إلى السعن الأسود قرب حصص ، فذهب محمد الخرفان ، واستفز الشيعة من أنحاء بعلبك ، فأمدّه هؤلاء بقوة يرأسها أحد أمراء آل حرفوش ، ومشى بهم وبمواليه على

الحديدين ، وجرت معركة هائلة بينه وبينهم (أو بينه وبين قائدهم ابن عمه أحمد بك) وذلك في سفح جبل زين العابدين شمالي حماة في ٨ تشرين الثاني ١٨٥٨ م ، فذبح محمد الخرفان وانكسرت جموعه ، وكان شيخ الحديدين إذ ذاك جرخ الإبراهيم جد نواف الصالح ، وعقداء حربهم حمود بن مصقادة وفصيلة ، ودفن محمد الخرفان في قرية قحانة شمالي حماة ، ووقعت بعد معركة أخرى ذبح فيها الأمير حسن الإبراهيم جرخ الإبراهيم الحديدي .

ثم تصالحت العشيرتان صلحاً حسناً وصفت قلوبها ، وأيدا هذا الصفاء بعد حين بين سنة ١٢٩٠ - ١٣٠٠ هـ بالمصاهرة اقترن فيها صالح الجرخ الإبراهيم بابنة الأمير أحمد بك (عمه الأمير الشايش) ، واقترن ابن أحمد بك بابنة صالح الجرخ الإبراهيم ، فحالت هذه المصاهرة دون حدوث ما يعكر عشرات من السنين ، ودام ذلك إلى عقيب انتهاء الحرب العامة الماضية .

ولما طلبت من الشيخ نواف أن ينتسب قال : هو نواف بن صالح بن جرخ بن إبراهيم بن كنش بن حميد بن جادر بن الشيخ حديد الذي تقدم خبر انتسابه لمحمد الباقر ، وذكر أن من الشيخ حديد فرعاً آخر ، أوله حجر ، ومنه موسى ومنه حسن ومسعود ، ومن حسن موسى وإبراهيم ، ومن موسى أحمد ، ومن إبراهيم محمد ، أما مسعود فنه محمد وحمود ، ومن محمد بكري ومحمد ، ومن حمود أحمد وغندور . وذكر الشيخ نواف أيضاً ، أن له أربعة عشر أخاً أسماءهم : حامد ومحمد وفندي ومزود وصفوق ونايف وقديم وسرحان وعبد العزيز وخليف ومعيوف ودامس وأحمد وشامان . أما أبناء الشيخ نواف فهم سطاتم وقودان وفهد وأسعد وفيصل (وهؤلاء الخمسة من أم إبراهيمية) ثم شامان ونوري ومندور وطراد (أمهم من الولادة فرقة الناصر) ثم فائز وأمهم حديدية من الجحجاح ، ثم عيد وأمهم أرمنية .

وحدثني أيضاً أن عشيرة الحديدين تشمل أفخاذاً وقرناً عديدة منها الحديدي الأصلي (الكومة) ومنها الملتحق بها كالأبي حسن والجمال والغناطسة ، فمن الأصليين أعقاب الأخوة القناصة المذكورين آنفاً ، وقد درجناهم في الجدول الآتي :

اسم الفرقة	أسماء الأفخاذ	عدد البيوت	أسماء القرى في أفضنية جبل سمعان وإدلب والمعرفة وسامية وحماة
الأبو كنش	أل إبراهيم والبوعيمير والأبو شتيوي	١٥٠	الأنديرين، بطوشية، فريج الغزال، البويدر، عقلة جهان، طو بحينة
الأبو صليبي	الأبو خضمير والمعاشات والبراغلة والمسلالات والأبو مريسة والشهابيات والأبو عربيد والسراجيين	٣٠٠	تل حلاوة، عاب الحزنة، وادي جهنم، الملولح، الحمدانية، سرحة السارودية، الهمانية، البو يعضه
الأبو جميل	الأبو عزام والأبو عابد والأبو سهيل والأبو دياب	٢٥٠	تل العمارنة، جهان، مريجة، عذرة
الأبو فائلة	الأبو تامر والأبو علاية والأبو رجهين	٥٠	جدوعية، أبو خسادين، تل النور، أبو درنة، ورادة
الأبو حربة	الأبو حجة والأبو رانتي	٥٠	العز بربنة
الحجاج	النموحي والأبو أحمد	١٠٠	البو بدر والسلايل
الأبو زليطلي	الأبو عليوي والأبو عساف	١٠٠	نعم الزهور، الحينة
المراصة	الفواسجة	٥٠	جدوعية
المعاطة	الأبو راشد والأبو علي والأبو حوا والرني والمياكلة	٢٠٠	حوا وربع الهوا وصراع

وحدثني أيضاً أن من لواحق الحديديين أرهاط وأفخاذ من منابت وعشائر مختلفة ، انضموا إليهم وهم كالنعميات (ولعلمهم من النعم) ٥٠ بيتاً ، والولد علي (من عشيرة الولد علي العنزبة) ١٠٠ ، والجميلة (من عشيرة قيس التي لحقت تركيا) ١٥٠ ، والأبوقعيرات (من سبخة الفرات) ٢٠٠ ، والأبوشهاب الدين (من غناطسة الموصل) ٥٠٠ ، والعميرات ٥٠ ، والبوسبيع ٥٠ ، والأبوحربة ٥٠ ، والبوعيسى ١٠٠ ، (من دليم العراق) ، والحسانين ٥٠ ، والأبرز ٤٠٠ ، والأبوعطيوى ١٥٠ ، والأبوحسن ٥٠٠ ، وأصل الأبوحسن من عشيرة السبخة إحدى عشائر الأبي شعبان في قضاء الرقة ، وينقسمون إلى قسم الإبراهيم وقسم السرحان ، ومن الأول أفخاذ الحليبات والحجارة ، ومن الثاني الأبوطيب والحجارة ، وختم الشيخ نواف إحصاءاته بذكر الجملان ربع عبد الجبار العقاب ٣٠٠ بيت ، والغناطسة ربع محمد صفوق الرجو ٤٠٠ بيت ، فجعل بذلك مجموع اللواحق ٣٣٥٠ بيتاً ، إذا أضيفوا إلى الحديديين الكومة بلغ المجموع العام ٤٩٠٠ .

على أن بعض رؤساء هذه الفرق اللواحق يود الانفصال عن العشيرة الأصلية ، ويحاول الخروج عن سيطرة الشيخ نواف ، وأخص هؤلاء وأشدهم تحمساً لذلك محمد الصفوق رئيس الغناطسة ، وأحمد المشيعل رئيس الأبرز ، ومحمد أبوجاسم رئيس الأبي شهاب الدين ، ومحاولات هؤلاء الرؤساء تعود إلى سنين عديدة خلت ، وكان الفرنسيون يغذونها كلما أرادوا بقاء تلايبب الشيخ نواف في أيديهم ، وقد اشتدت في سنة ١٩٤٥ ، قبل رحيلهم الأبدى ، ووقف المتخاصمون وأعوانهم وقفة الحرب وسفك الدماء ، لولا أن هرع وقتئذ السيد نوري إيش مدير العشائر السابق ، وفصل بينهم بالحكمة ، على أن الخلاف مازال دون حل حاسم إلى يومنا هذا .

منازل الحديديين - يقطن الحديديون الكومة في قراهم العديدة الواقعة في شرقي قضاء إدلب ، وجنوبي قضاء جبل سمعان ، وشرقي قضاء المعرة ، ويقطن الشيخ نواف وأقاربه آل إبراهيم في قرى الطويحينة والبويدر حتى الأندرين وأسرية ، وتمتد بقية الفرق والفصائل من القرى المذكورة نحو الجنوب إلى ناحية العلا في قضاء المعرة ، وإلى ناحيتي الحمراء والسعن وسعين في قضاء سلمية ، أما لواحق الحديديين ففرقة الأبي شهاب الدين في جنوبي مطخ قنسرين في قريتي العوينات وتل كلبة ، وفرقة الأبرز في قرية الهزانة (جبل

الأحص) ، وفرقة الأبي عاصي في تل فخار (مطبخ قنسرين) ، والأبو حسن في ناحيتي الحمراء والسعن وسعين . وهم ينشؤون مزارع وضيعات جديدة ، ويفجرون قنوات عديدة في جهات بغديد ، وبعضهم يستثمر أراضي واسعة في أنحاء عقيربات وعرشونة شرقي سلمية ، أما الحديديون الغناطسة ربع محمد صفوق الرجوفهم في جنوبي قضاء الباب ، وقد ذكرناهم في بحثه .

ولقسي السرحان شيوخ مستقلون ، هم نايف بن تركي السرحان وخليف بن إبراهيم الخليف المكنى بأبي الطوس ، وكل منهما ذو ختم خاص ، واستقلال تام عن نواف الصالح إلا في حالة الفزع الأكبر فحينئذ ينضمان إليه .

هذا والحديديون هم أهل غنم في الغالب ، لذلك يعدون من ذوي النجعة المحدودة ، على أن ازدياد الإبل لديهم يوماً بعد يوم يضطرهم إلى التوسع والإبعاد في النجعة ، ففي الصيف يقيظ الكومة منهم في أنحاء البويدر وأبي الظهور ، وتقيظ الغناطسة في أنحاء دير حافر والباب والعريمة ، ويقيظ الجملان والأبو حسن في الحمراء وبغديد والسعن وسعين ، أما في الشتاء فقد قضت المؤتمرات التي عقدت للصلح بين الحديديين والموالي في سنة ١٩٤١ م ببقاء الحديديين في نجتهم شمالي الخط الممتد من الشيخ هلال ووادي التناهة والحريجة وعمشة ردة والكديم وقطقط وأرك ، وبقاء الموالي جنوبي هذا الخط ، لكن هذا التحديد ألغي بعد بحكم الصفاء الذي عاد واستمر ، وعلى كل فالحديديون الكومة لا يبعدون في الغالب عن الأندرين وأسرية والسحنة وجبل العمور ، لكن الأبي حسن يصلون إلى الحاد شرقي وجنوبي تدمر ، ويصل الغناطسة إلى غربي السحنة وشمالها ، وفي سني الحل والضرورة قد يصل الحديديون كلهم إلى وادي المياه وآبار الطيارية وسجري وورقة .

وللحديديين شهرة عظيمة في إتقان تربية المواشي ، وإجادة صنع السمن ونظافته ، وأفخر سمن في بلاد الشام وأشهره هو السمن الحديدي ، الذي يفضلوه ويستنفذه سكان مدينتي طرابلس وبيروت خاصة ، وأكثر ما يتعامل الحديديون مع أهالي حماة وحلب ، وأشهر رؤسائهم أحمد النهير ومحمد المتعب وتركي الخليف ومحمد الجدعان ومحمد الحسيان وعلوه الأبرز ومحمد أبو جاسم وعبد الجبار العقاب وعذاب السرحان وخليف إبراهيم ومحمد صفوق الرجوف .

وأشدهم اندفاعاً نحو الحرث والزرع هو الشيخ نواف ، فقد فجر في البويدر أربع قنوات ، وصار يستغل بها زروعاً صيفية كثيرة ، وعنده ساحب ، ويليه محمد أبو جاسم الملك والمزارع الكبير في قرية تل كلبة ، فقد شارك هذا الشيخ السيد يحيى خانكان تاجر الآلات الزراعية الحديثة ، ونابغة حمص في الإقدام والنشاط الزراعيين ، فاستغلا أراضي تل كلبة الخصبة الواسعة ، على أجود ما يكون من الأساليب ، وزرعا وأنتجا حبوباً وأقطاناً ، وغرسا بساتين جميلة يحمدان عليها .

وأكثر قرى الحديدية تقع جنوبي قنسرين ، وتمتد من محطة أبي الضهور شرقاً حتى خربة الأندرين ، المذكورة في مطلع معلقة عمرو بن كلثوم ، وإلى ما حولها من الحرب الأثرية ، والشيخ نواف يسوق جماعته إلى العمل ، ويضع يده على هذه الخرائب ، ويقطع من سهولها الشاسعة مزارع يخص كل فخذ لديه بزرعة ، وقد نتج من هذا التهافت على الزراعة وحب الاستثمار والاستلاك ، أن اصطدمت مصالح الحديدية بمصالح الأسبعة ، لأن هؤلاء يريدون التوسع نحو الغرب ، والحديديون يريدونه نحو الشرق ، ولا سيما حول أسرية ، ونشأ الخلاف الذي ثارت ثائرتة بين الأسبعة من جهة والحديدية ومعهم الموالي أيضاً من جهة أخرى ، وذلك منذ سنة ١٩٣٩ م ولا يزال هذا الخلاف موضوع درس وحل بينهما ، وتعد منطقة الخرايج من مناطق الحديدية الأساسية ، وهي غنية بمراعيها متسعة بأراضيها ، ويمضي الشيخ نواف أكثر فصل الصيف فيها ، كما يمضي فصل الشتاء في الأندرين .

فتن الموالي والحديدية الأخيرة وأسبابها - قدمنا في بحث عشيرة الموالي أن النزاع والاقتتال بين الموالي والحديدية قديم ومزمن ، من عهد الأمير محمد الخرفان وقبله ، فقد ذكر السائح السويسري بركهارت منذ نحو قرن ونصف في بحث الحديدية قوله « هؤلاء في اقتتال يكاد لا ينقطع ، مع الموالي المجاورين لهم ، وفي إحدى المعارك كسروا ، واضطروا إلى الاحتماء ببساتين حلب » ونحن الآن سنقتصر على شرح فتنتهم الأخيرة فقط ، فنقول : إن الصلح الذي ذكرنا حدوثه بعد سنة ١٢٩٠ هـ ، عقيب المصاهرة بينهما ، ظل سائداً سنين طويلة إلى أن وضعت الحرب العامة السابقة أوزارها ، ففي سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) ذر قرن الفتنة من نزاع حدث بين عشيرة اللهب المنتية إلى الموالي وبين الأبرز

إحدى فرق الحديديين بشأن مناهل الكديم ، وقيل بشأن السرقات ، ووقع قتلى من الطرفين ، فلجأ اللهب إلى الموالي ، ومن هنا اندلع نار الفتنة ، لأن الحديديين فاجؤوا الموالي في عقيربات شرقي سلمية ، واشتبكوا معهم في عدة معارك ، دامت إلى أن أرسل المرحوم الملك فيصل إليهم في آذار سنة ١٣٣٩ هـ - (١٩٢٠ م) لجنة مؤلفة من الشريف ناصر والأمير نوري الشعلان كبير الروالة والسيد حكمت الحراكي وجيه المعرة للفصل بين العشيرتين ، وبعد أخذ ورد وتعنت فارس العطور عقيد الموالي المغوار ، حصل التوفيق بوقف القتال مدة ، ثم عاد القتال بسبب محل تلك السنة وقلة الماء الذي أوجب النزاع على آبار حسية ، غربي الكديم ، وهي للحديديين ومن حفرهم ، فنشب القتال في عقيربات ، واستظهر الموالي على الحديديين ، ودحروهم من حدود عقيربات حتى أوصولهم إلى أبي الظهور .

ثم عقب الاحتلال الفرنسي وأيام ولوب العصابات بقيادة المرحوم إبراهيم هنانو ومصطفى الحاج حسين وقومه أهل جبل الراوية البواسل ، حرّضت هذه العصابات الموالي على الحركة ثانية ، فقام هؤلاء في ربيع سنة ١٩٢١ م وهاجموا الحديديين وأعملوا الفتك والنهب فيهم وفي غيرهم ، وازدادت الفتن بسبب خطف أحد أمراء الموالي فتاة حسناء من اللهب ، مما أوجب انضمام اللهب إلى الحديديين ، وتكررت المعارك في قرى السماقية ودوما من ناحية الحمراء ، وفي أماكن أخرى شرقي المعرة وحماة وجنوبي حلب ، وخرب وقتل كثير من القرى ، وراح ما لا يعد من الصامت والناطق لأهلها من الفلاحين ، أو لأصحابها من سكان المدن المذكورة الذين لم يكونوا في العير ولا في النفير ، ولم يعوضوا شيء .

وفي أواخر نيسان عام ١٩٢١ م ثار الموالي وهاجموا الإفرسيين ، وقطعوا الخط الحديدي ، وأحرقوا المحطات ، فجاءتهم حملة إفرسية ، اشتبكت معهم في أنحاء خوين الكبير وتل الغبار وأم جلال والتانعة وقطرة في معارك عديدة عنيفة كان يستعمل فيها السلاح الأبيض أحياناً ، إلى أن تغلبت الحملة على الموالي ، بعد أن تكبدت هي خسائر غير يسيرة ، ثم توسط لهم السيد حكمت الحراكي وجيه المعرة والأمير ميرزا مصطفى وجيه سلمية فتوقفا في حزيران ١٩٢١ م إلى إقرار صلح غامض بينهم وبين الحديديين ، لم يحل الموقف ،

وعاقبت السلطة الموالي وقتئذ بأن استخلصت منهم عدة قرى من أملاك الدولة في ناحية الحمراء تدعى (قرى بني عز) ، وأقطعتها إلى الحديديين ، كي لا يختلط الفريقان وينحصر كل منهما في بقعة خاصة ، فكان ذلك مدعاة لبقاء النار تحت الرماد وفي سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) عادت الفتن تستعر ، وكان الحديديون يقيظون في قراهم جنوبي حلب ، فاقترب منهم الموالي وأرادوا التحرش بهم ، لكن إدارة مراقبة العشائر الفرنسية أنذرتهم بالرجوع ، فرجعوا وهم يحرقون الإرم .

وما إن اشتعلت ثورة حماة وجبل الدروز في خريف سنة ١٩٢٥ م ، وتضعض حال الافرنسيين حتى رأى الموالي الفرصة سانحة ، فهاجموا المعرة التي كان فيها سرية من خيالة جيش الشرق الفرنسي ، فدافعت هذه السرية وساعدتها الطيارات ، فارتد الموالي دون جدوى وكان فصيل من تلك السرية منفرداً في محطة أبي الظهور ، فقام نواف الصالح وأرسل ثلاثئة من فرسانه بقيادة ابنه سظام إلى هذه المحطة ، وحما هذا الفصيل وأتقذه من الهلاك ، وساق الفرنسيون في حلب ثلاث سرايا من الحرس السيار مع ثلاث طيارات ضربت الموالي ، وأطفأت ثورتهم ، وخسرتهم قطعاناً كثيرة من الغنم ، وأبعدتهم إلى البلعاس ، ثم خشوا فتك الطائرات ، فنزحوا من البادية الشامية كلها ، ولجؤوا إلى البادية العراقية ، وقضوا فصل الشتاء في حمى الفدعان ، وحاولوا وقتئذ أن يجروا معهم لواحقهم فلم يتبعهم أحد .

ولما هل ربيع سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٦ م) أرادوا الرجوع إلى أوطانهم ، فزحفوا من جنوبي تدمر ، وبلغوا جبل البلعاس ، فتصدت لهم الطائرات الفرنسية في هذا الجبل ، وقصفتهم وقتلت عدداً منهم بينهم الأمير المعمر إبراهيم الباشا رئيس الموالي الشماليين ، وهم رغم هذا الإنذار ، تقدموا نحو العمورة إذ لم يكن بإمكانهم الرجوع للحجاز والتقيظ فيه ، بحكم أنهم أهل شياه وزروع ، وجاؤوا متفرقين زرافات زرافات ، وقصدهم الاتصال بعصابات الثوار العاملة يومئذ في جبل الزاوية والجبل الوسطاني وسهل الحلقة ، فبادرتهم في ١٥ نيسان ١٩٢٦ م حملة فرنسية كبيرة بما لا قبل لهم به ، وفتكت بهم ، وأكرهتهم على طلب الأمان ؛ وتوسط المتوسطون في سامية والمعرة ، فاستسلموا بعد أن كلفوا بغرامة ٥٠٠٠ ذهب عثماني و١٢٠٠ بندقية وديات الجنود الفرنسيين المقتولين ، وإعادة ما سلبوه ونهبوه ،

وقبض الفرنسيون على الأمير شايش والشيخ فارس العطور ، واعتقلوهما في حلب مدة من الزمن ، ريثما تم استيفاء الغرامة المذكورة ، وأعقب ذلك فترة من السكون ، وضع خلاله خط فاصل بين مناطق العشيرتين ، وحصل تبادل بين القرى التي وقعت في منطقة كل منهما ، ودفعت تعويضات عن التي قيمتها أقل ، لكن أمراء الموالي لم يرعوا عن غيهم وشغفهم بالغزو والبطش ، فقد هاجوا في سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) مواشي فرقة الأبو حسن إحدى لواحق الحديديين ، فدافع هؤلاء ، وقتل خلال ذلك الأمير رفعة أخو الأمير عبد المذكور . واستمر ذلك السكون المترجرج مخمياً مدة ثلاث سنوات ، إلى أن قتل الحديديون في خريف سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) الأمير عبد الرزاق بن حمدو الباشا ، وكان هذا الأمير الشاب من مشاهير الغزاة وكبار الفتاكين ومحكوم بالإعدام مراراً ، وهو عقيب حوادث سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) و ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) هجر عشيرته ، ولجأ إلى فرقة الأمسكة في الأسبعة الأعبدة ، ثم أثر توسط نواف الصالح استسلم ، ونال عفو السلطة ولحق بعشيرته ، وحدث بعد حين قصير أن خطب نايف أخو نواف الصالح فتاة غنية اسمها صبحة من عشيرة الأبي شعبان ، وهم من أحلاف الأمير الشايش ، ومقرهم في تل خطري من قرى أملاك الدولة جنوبي المطخ ، وكان يود الأمير طويريج الأحمد الاقتران بها ، وبينما كان نايف المذكور مع أخيه صفوق في حماء يشتري جهازاً لعروسه ، والشيخ نواف غائباً في حلب يقضي أشغاله ، جاء الأمير طويريج الأحمد وأخوه الأمير نواف ، وخطفا البنت عنوة من أبيها محمد بن علي القريط ، ودخل بها طويريج بعد أن قتل ابن عمها ، وجرح أخاها ، ولما رجع نايف و صفوق وعلما بما جرى ، أخذوا جمعاً من أقاربها وذهبوا إلى أخذ الثأر ، فلقيا الأمير عبد الرزاق في تل عليج مع خمسة بيوت فقط ، ويقول الحديديون أن هذا الأمير بادرهم بإطلاق الرصاص ، وقتل فرس أحد أولاد نايف ، فقابلته هؤلاء وجندلوه ، ويقول الموالي أن الأمير عبد الرزاق قتل ، وهو يمد بساط الغداء إلى ضيوفه ، الذين هبطوا عليه بغتة دون سابق إنذار ، فقابلوا إحسانه بالإساءة ، ومهما يكن فقد خشيت السلطة الفرنسية يومئذ العاقبة ، وتداخلت فوراً ، وأرسلت جنداً كبيراً إلى تل حلاوة ، وأبعدت آل إبراهيم من منازلهم ، فلجأ نواف الصالح وأقاربه إلى الأمير نوري الشعلان في الحماة ، وشرعت السلطة بالمفاوضة لإتقاذ نواف الصالح من موت محقق ، ومن الغريب أن يلتفت وقتئذ أكثر الحديديين حول آل إبراهيم ، بينما فارس العطور وأكثر

الموالي خذلوا الجماحة (قلب الموالي) ووقفوا على الحياد ، وقد هاجم الجماحة وأتباعهم الحديديين ، وجرت معارك عديدة قرب قرية تل خطري وغيرها ، وسفكت دماء ، ونهبت عروض إلى أن حيل بين الفريقين ، وعقد مؤتمر في تدمر (أذار سنة ١٩٣١ م) لم ينجح في مصالحه الطرفين ، وقد حدثت كارثة بينهما ، وهما راجعين من المؤتمر المذكور قتل فيها بعض كبراء الحديديين والموالي ، بين هؤلاء أمير شاب اسمه محمد بن محمد العبد الكهيم. وجرح أمير آخر ، وتفاقم الخطب من جديد ، واضطر الجند الفرنسي بعد جهد أن يبعث الفريقين عن مواقع الاتصال ، ثم كلفا في مؤتمر عقد في سلمية ٩ حزيران ١٩٣١ م أن يتصالحا قسراً ، بعد أن كان الموالي يرفضون قبول دية أمرائهم المقتولين ، تبعاً للعادة الحكمة التي تقدم ذكرها ، على أن فقدان العتاد وانتهاك القوى ، وتوالي سني الجذب وهلاك الحرث والنسل ، حمل الأمير الشايش والشيخ نواف على قبول التكليف في المؤتمر الثالث الذي عقد في أبي الظهور في ٢ تموز ١٩٣١ م ، وترضيا على شروط منها أن يدفع نواف ألف ليرة ذهب عثماني دية عن الأميرين المقتولين ، وثلاثين ليرة إلى فارس العطور ، وأن يسلم الموالي خمس قرى من أملاك الدولة في ناحية الحمراء ، مما كان في استئجار الحديديين ، وهي عب الخزنة ووادي جهن وتل محصر وأبو عوجة والمنطار ، ومنها (الحفر والدفن) عن كل ماسلب ونهب من الفريقين ، ومنها تمديد مثنى عريض بين منازل الفريقين في المعمورة والبادية ، ومنع أي منها يضرب طنبه فيه ، وهكذا انتهى الأمر وكفى الله الفريقين القتال ، ومن ذلك الحين صلحت العلائق بين العشيرتين ، وعادت المياه إلى مجاريها رويداً رويداً ، وذلك بفضل الرقابة العسكرية الصارمة التي فرضها الفرنسيون ، وفصلهم الوقائع الحادثة بين الفريقين فوراً ، وشيخوخة فارس العطور وانتقال سلطته بالتدريج إلى الأمير عبد الإبراهيم ، وتعقل الأمير شايش وحكمة الشيخ نواف الصالح وعاء أهل الحضر في بلاد الشام ، الذين كانوا في موقف المتفرج المتألم بأن يهدي الله هؤلاء الأعراب ، ويحقن دماءهم ويبعدهم عن مزالق الجهل والطيش ، ومن أجل ذلك الصلاح قام الفرنسيون في سنة ١٩٤١ م وقللوا عرض المشى المذكور آنفاً ، وجعلوه كخط حدود فحسب ، وفي الاجتماع الأخير الذي أجروه في قطرة في نيسان ١٩٤١ م تم الصلح نهائياً ، وصفا الجو وبدأ التقارب والتحاب .

وقد قضى النزاع الناشب بين الولد من الفدعان والولدة من الأبى شعبان ، وتقدم

الفدعان نحو الطريق الآخذة من حلب إلى تدمر بأن يزداد ذلك التقارب بين الموالي والحديديين ، ويكرها على التعاقد في وجه عنزة ، وتأليف كتلة من الموالي والحديديين واللهيب ، برز فيها الشيخ نواف وكسب المقام العلي .

وفي يومنا يعيش الموالي والحديديون بدون أي فاصل ، ويتعاملون ويتوaddون ، وكلما زاد ضغط عنزة - العدو المشتركة - عليها ، زادت هذه الصداقة تمكناً وتوسيعاً ، والواقع أن الفتن التي تحدثنا عنها لم تكن ناشئة كل النشوء عن شراسة الموالي ووداعة الحديديين ، وإذا خسر الحديديون كثيراً من مواشيهم وأشياءهم وأمواهم ، فقد خسر الموالي كثيراً من رجالهم بينهم عدد من الأمراء الذين لا تقدر دماءهم بثمن ، بل هي كما يذهب العارفون من دواعي جغرافية واجتماعية واقتصادية ، منها وجود الفريقين في مناطق متداخلة الحدود ، أو متجاورة يسهل فيها احتكاك المصالح ، واتقاد نيران الفتن ، ثم التواري عن الأنظار ، خاصة وهي متطرفة وبعيدة عن المراكز ، ومنها فقدان حكومة قوية حيادية طوال السنين الماضية ، تقف تجاه هذه الفتن بصرامة وردع كافيين ، لمنع الحروب أو لتخفيف وطأتها ، ومنها فقدان لحمة الدم والقرباة بين فرق العشيرتين المتخاصمتين ، على خلاف ما هو لدى عشائر البادية الكبرى شمر وعنزة التي إذا تنازعت سرعان ماتجد من يحول بينها بالصلح وفض النزاع ، بحكم تلك اللحمة ، ومنها تراخي شأن الأمراء آل أبو ريشة بعد ذلك السؤدد ووقوعهم في المعصرة ، ومنها وهو أهم الدواعي على ما يظن : سرعة نمو الحديديين ، وتكاثرهم ، وازدياد ثروتهم في الغنم والإبل ، ووفرة منتوجهم من السمن الجيد المنسوب إليهم وغيره ، وبالتالي اتساع نجعتهم ، أوجب الزحام على المناهل والمراعي في البادية ، وأدى إلى إخلال التوازن بين عشائر الرعية ، مما لم يسبق له مثيل في الماضي .

هذا ورغم هذا العداء القديم الذي فصلناه للعبرة والتاريخ ، فقد حدث ولله الحمد في السنين الأخيرة ، ومنذ سنة ١٩٣٩ م شبه تحالف وتوadd ربط هاتين العشيرتين ، وأكرهتهما دواعي الدفاع عن حقوق مشتركة بينها على التضامن والتحاب ، وكان مبعث ذلك الدفاع خلاف على أراضي بينهم وبين الأسبعة ، ولا يزال هذا الخلاف قائماً ، وموضوع بحث وحل بين الفريقين ، وهذه الأراضي تقع شرقي وشالي ناحية السعن وسعين (قضاء سلمية) ، وتعرف بوادي العذيب وعمشة ردة والقطيط .

الفتن بين عنزة وعشائر الرعية - إن الصلح الرسمي الذي عقده الموالي والحديديون في قطننة في نيسان سنة ١٩٤١ م ، كان سببه كما قدمنا الخطر المشترك الذي دهمتها به عنزة (عشيرة الأسبعة) ، فقد احتكت المصالح بين هؤلاء وأولئك من جراء مرورهما في التشريق والتغريب بمسالك واحدة ، ونزاعها على المراعي والمناهل ، حول أسرية ووقوفها على حدود المناطق المزروعة في المعمورة حول بغديد وشاقوصية .

وحدثت عدة حوادث بينها ، سويت بعد مؤتمر عقد في حلب ، قررت فيه المناهل والمناطق التي يجب على كل منها احترامها .

إلا أنه في ربيع سنة ١٩٤٢ م رجعت الأسبعة إلى حدود المعمورة قبل الأوان ، ونزلت في أنحاء أسرية وبئر أبي فياض ، ولما رأت عشيرتا الموالي والحديديين ذلك ، وقد تصالحتا من عهد قريب جمعتا نحو ٣٠٠٠ بيت من العشيرتين ، ومدتها على شكل نصف دائرة كبيرة ، وسدتا في وجه الأسبعة سبيل الوصول إلى أسرية ، أما الأسبعة فقد استعدت للأمر ، واستنجدت بمحلفائها من عنزة الفدعان وصقور العمارات ومن بني خالد ، وتدخلت قوى البادية الفرنسية وعسكرت بين الفريقين لمنع الاصطدام بينهما ، وكان الفريقان على اتصال ، وينهلان من آبار واحدة ، مما أدى إلى حدوث سرقات عديدة من ماشية الفريقين ومنازعات ، وجاء المحكمون لحل الخلاف وكانوا الأمير فاعور رئيس الفضل ، والأمير سليمان العلي نائب الإسماعيلية في قضاء سلمية ، وبينما هم في الحديث ، نشبت الفتنة من تعدي بعض بني خالد على الموالي ، ولعلع الرصاص ، وعظم الخطب باندفاع الأسبعة لنجدة بني خالد ، لكن السيارات المصفحة هرعت وفصلت بين المتنازعين ، ببضع طلقات أدت لقتل عدد من الأسبعة بينهم صفوق العلي ابن عم الشيخ راكان المرشد ، وأكرهت السيارات المذكورة هذه العشائر على الرحيل والابتعاد بعضها عن بعض ، وبعد لأي عقد مؤتمر للصلح في حلب على قاعدة (الحفر والدفن) ، كان المحكمون فيه الأمير فواز الشعلان والشيخ طراد الملحم وانتهى الأمر .

قضاء جبل سمعان

في جنوبي هذا القضاء أي في جبل الأحص وفي مطبخ قنشرين عشرات القرى المأهولة بأعراب من ذوي القسم الثالث ، هم بدو الأصل والنزعة واللهجة والحالة ، تحضروا واستقروا منذ قرنين ، أو أكثر أو أقل ، في قرى أملاك الدولة ، التي كانت منقسمة إلى شعبتين ، مركز الأولى في قرية بنان (جبل الأحص) ، ومركز الثانية في محطة أبي الضهور (جنوبي المطبخ) ، وهؤلاء الأعراب هم من منابت مختلفة وعشائر متباينة ، أو لعلهم من أنقاض العشائر القديمة التي كانت في هذه الديار قبل الحكم العثماني ، وقد ذكر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى (ج ٤ ص ٢٣٤) أنه كان في زمنه القرن الثامن عشيرة اسمها آل بشار منازلها في جبل الأحص ، بينما لا يعرف الآن لها خبر ولا أثر ، ولعل فلولها اندمجت في غيرها وضاع اسمها ورسمها ، شأن العشائر في كل قرنين أو ثلاثة ، أو في كل حادثة تقع وتؤدي لاختطاطها وتمزقها .

السكن

من هذه العشائر المختلطة عشيرة اسمها (السكن) وتلفظ (السجن) ، كما كتبها السائح الدانباركي نيبور في سنة ١١٨٠ هـ ، ويقال أن هذا الاسم لحقهم ، لأنهم أسكنوا في جبل الأحص بعد أن كانوا رحل ، وهم خليط من عشائر مختلفة ، كالنعيم (منها أفخاذ البوفرز والزعابرة والبوصاوجي) والعميرات (منها فخذ أبو عميرة) والأكراد (منهم فخذ أبو إسماعيل) وكالسبخة والولدة المنتسبتين لأبي شعبان (منها البوحمدة والقوادة والجريات والبومانع والبوحن) ، وهنالك فلول من عشيرتي جيس وبني خالد لا يعدون من السكن ، وإن كانوا يقطنون وإياهم جبل الأحص ، واسم السكن نشأ من أن هؤلاء الأعراب المختلطي المنابت والأصول تحالفوا على التعاون ضد الغريب ، وعلى السكن معاً في جبل الأحص ، ذي الخرب الدائرة العديدة ، والهواء العذبي الجيد ، والأراضي الخصبة المنبسطة ، وفي رواية أحدهم أن سكنهم منذ نحو قرنين ، وأنهم أخذوا هذا الجبل الأحص من عشيرة اسمها رشوان ، التي انقضت على أثر معارك بينها وبين الموالي ، وأن هؤلاء السكن المجدوا وقتئذ أمير الموالي ، فكافأهم بإعطاء هذا الجبل .

وذكرهم من قبل السائح الدنياركي في سنة ١١٨٠ هـ في عداد عشائر ولاية حلب دليل على وجودهم منذ قرنين ونيف ، وقد ذكرهم بعده بركهارت السوييري في سنة ١٢٢٤ هـ وجعل عددهم نحو ٦٠٠ بيت وتذكر (سالنامه ولاية حلب) المطبوعة في سنة ١٢٨٧ هـ أن رئيسهم وقتئذ كان اسمه تمر اليونس الشبلي ، أما الآن فالرئيس هو جاسم بن حمادي بن تمر اليونس الشبلي المذكور ، إلا أن العشيرة تلتف في الغالب حول ابن عمه مجحم بن تركي بن تمر اليونس لكفاءته ، ويرأس فخذ القوادة حسين إبراهيم الحمادي .

وقرى هؤلاء السكن في جبل الأحص عديدة ، ففخذ (البوفر ج) في قرى أبو جلوس وسحور ورجم شوكان وعقربة وبرج أسامة وزراعة وجب جاسم وكفر حوت ، وفخذ (القوادة) في بنان وسرج فارع وبيشة ومربعات بيشة وكركور وسير البيض وقنيطرات ، وفخذ (جيس) في برج عزاوي والطيبة وجديدة وبنايوي ونعمانية وخربرش ورسم عكيرش ، وفخذ (البوصاوجي) في ديمان ورسم الصفا وعين العزف وأم جرن وسميرية ومدينة الغزال ومغيرات ، وهؤلاء السكن الذين عرفتهم منذ أن كنت مفتش أملاك الدولة في سني ١٣٤٤ - ١٣٥٢ هـ لا يزالون على جفوتهم ، لا يحسنون العمل الزراعي كما تستحقه الأراضي التي استقروا فيها في جبل الأحص الجميل ، فهم أعداء كل خضرة ونضرة ، لا يمكنهم جهلهم وطيشهم من غرس الأشجار والكروم التي تصلح لديهم عذياً ، وتدر ريعاً يدرؤون به ما يعانونه أحياناً من محل المواسم ، وإذا سعى أحدهم وأنشأ في رقعة صغيرة بستاناً أو كرمًا ، لا يتورعون عن تخريبه ، وحرمان صاحبه في أول فرصة أو هوشة ، أما عددهم فيقدر بـ ٥٠٠ بيت .

الصعب

وفي شرقي جبل الأحص فرقة (الصعب) ، التي تنتمي إلى الولادة من الأبي شعبان ، وهم في قرى منعايا وجوخة وجرمكية وبرج الزعرور ورسم الغزال ورسم العيش وقبتين ودار الباقات وغيرها ، ورئيسهم عيسى الشريف في قرية قبتين .

السفارنة والعاسنة

وفي جبل الأحص (السفارنة) الذين منشؤهم من قرية سفيرة ، وهم في قرى المدينة

والحبشية والحيرية وغيرها من القرى الواقعة شرقي قرية سفيرة وجنوبي مملحة الجبول ،
ومثلهم (العساسنة) الذين منشؤهم من قرية عسان القريبة من حلب ، وهم في قريتي
سفيرة ورسم البساس ، وهؤلاء أصلهم فيما زعموا من البقارة .

الحديديون

وفي جبل الأحص أيضاً قسم من الحديديين فرقة (الأبرز) في مشيخة أحمد
المشيعل ، وهم في قرى هوبر والهزاني والحياينة ، كما أنه في مطبخ قنسرين من الحديديين
فرقة (الأبي شهاب الدين) في قرى تل كلبة والبراغيدي وطويحينة وأبي الظهور والمرحمة
والعوينات ، وشيخ فرقة الأبي شهاب الدين هو محمد الملقب بأبي جاسم ، وهو ملاك
ومزارع كبير في تل كلبة ، وهاتان الفرقتان تحاولان الخروج عن عشيرة الحديديين
والاستقلال عن الشيخ نواف ، وقد جرت في المدة الأخيرة بينه وبينهم مشاحنات
ومقاتلات لم تنته بعد ، ويعد جنوبي سهل المطبخ من مناطق الحديديين ، وقرية طويحينة
مقر أسرة رئيسهم الأكبر الشيخ نواف الصالح ، ومثلها قرية البوبدر التي شرقي محطة أبي
الظهور .

الأبوليل

ينتسب هؤلاء إلى عقيدات الفرات ، وفي قول أنهم من لواحقهم ، وأنهم في الأصل من
شمر عبدة ومن أرومة عقاب بن عجل ، نزحوا منذ ٩٠ - ١٠٠ سنة من سقي الفرات ،
حيث لا يزال لأكثرهم منازل في قرية القطعة كما ذكرناه في بحث العقيدات ، وجاءوا إلى
أنحاء المطبخ بقيادة الحاج مصطفى العلي ، واستقروا في قراهم التي هي من أملاك الدولة في
غربي المطبخ كجزرايا وزمار والعثمانية وتل علوش ورأس العين ، وعددهم ٣٠٠ بيت ،
وبعضهم لا يزال رحالة ، يتجمعون في الخريف في ناحية الحمراء ، وينضمون في نجعتهم إلى
الموالي في جبل البلعاس ، ويعدون من لواحقهم ، وكان شيخهم إلى عهد قريب الحاج
مصطفى شويطية ، وكان ذا نفوذ في عشيرته ، وحضري في بيته ومعيشته ، ولا ينجع مع
العشيرة بل يبقى في قريته جزرايا ، ويكل القيادة أثناء النجعة إلى دلبش الخرفان ، ولما
توفي في عام ١٣٦٢ هـ خلفه ابنه نوري المتعلم في مدرسة تجهيز حلب ، ومن العقيدات قسم لم

نتحقق إلى أي فرقة ينتون ، يقيمون حول قرية كفر تخاريم في قضاء حارم ، وفرق العقيدات في أنحاء المطخ هي الهرامشة والزغيفات والفواضلة والبوعجيل والبوتامر والبوحد والبوحليحل ، فالهرامشة يقطنون قرية العثمانية والزغيفات في قرية زمار والبقية في قرى تل دلوكان وتل علوش ورأس العين .

الولدة

ولدة جبل سمان وإدلب أصلهم من الأبي شعبان ، ومن فرع الولدة الذين ذكرناهم في بحث قضاء الرقة ، وقد وصلوا إلى جنوبي قضاء جبل سمان في أوائل القرن الهجري الماضي ، وقطنوا في قراهم التي هي من أملاك الدولة في غربي المطخ كطلافح وإباد ومربودة وزيارة وكفر حداد وهواري وأم جرين ومحاريه ، ومنهم عدد قليل لا يزال رحالة ينجع جبل الشبيث ، وعددهم ٤٥٠ بيتاً ، أوجههم وأكثرهم ذهاباً وإياباً للحواضر ، ومراجعة للدوائر هو الشيخ جميل بن عيسى رئيس فرقة الحويوات منهم ، أما فرقهم فهي الحويوات والترن والعابجة والمسرات والصعب ، وهؤلاء الصعب في جبل الشبيث كما قدمنا ، وهؤلاء الولدة ما برحوا يحترمون محمد الفرج الشيخ الأكبر لولدة الفرات ، ويتأثرون بنفوذه ، وإن كان عن بعد .

الأبو شيخ

أصلهم من عشيرة الأبي شعبان الضاربة في قضاء الرقة ، جاؤوا إلى جنوبي حلب في غرة القرن الهجري الحادي ، عقب نزاع بينهم وبين العقيدات ، يقيمون في قرى أملاك الدولة في المطخ كقناطر وبرقوم والزربة وقاري وعطشانة ودلامة وأم القراميل وبويضة وحبيدي ، ومنهم عدد قليل ينجع في الشتاء إلى البادية ، لكنه لا يتجاوز جنوبي الأندرين وأسرية ، وعددهم ٤٠٠ بيت ، وفرقهم الوقاد والشاهر في كفر عبيد ومريين والأبو سالم والعميرات والعلي في تل العلي ، ورئيسهم عبد الرزاق العبد الكريم الحاج حسن ، وكان أبوه عبد الكريم يقيم غالباً في حلب ، وهم لانتسابهم للأبي شعبان يعدون أحلاف ولدة حلب .

البقارة

أصلهم من بقارة دير الزور ، انفصلوا عنهم عقب النزاع الذي لم ينقطع خلال القرن الهجري الماضي بين البقارة والعقيدات ، وهؤلاء متحضرون ، ويقطنون في الجنوب الشرقي من حلب في قرى حدادين وعسان وتركان وتل عابور وأبو صטיפه والحتاني ، ورئيسهم إبراهيم الحمادين ، وعددهم ٦٠ بيتاً ، ومنهم قسم في ناحية كفر تخاريم في قضاء حارم ، وقسم في نفس حلب يتبعون راشد الطيار البقاري من وجهاء حي باب النيرب ، وهو الوسيط بين أتباعه وبين الحلبيين .

الوهاب

في قضاء جبل سمعان فريق من الوهاب الذين ينتسبون إلى شمر ، وهم ينقسمون إلى العويسات في مشيخة عقلة العكاش وعددهم ٢٠٠ بيت ، والغيث في مشيخة غيث بن حسين العالة وعددهم ٤٠٠ بيت ، وهم يتبدون بين جبل الشبيث والبادية حتى البشري ، وليس لديهم أراضي زراعية ، فهم رحل أهل ضرع ما عدا فخذ السياد منهم ، فقد عده القرار ١٣٢ من أنصاف الحضر ، وعندهم بضعة آلاف من الماشية التي أكثرها للحلبيين .

الأبو شعبان

هؤلاء قسم من عشيرة الأبي شعبان الكبيرة الضاربة في الرقة ، ومن فرع ابو محمد ، يقيمون في جنوبي قضاء جبل سمعان « قرى أملاك الدولة في المطبخ » ، في قرى كاري وقناطر وكوسنيا وبرقوم وزربة ودلامة وعطشانة الغربية وعطشانة الشرقية وأم القراميل وأبو رويل وصعبية ومريقص وشيخ زجيل وعزيزية ، وبعضهم في جبل الأحص في قرى برج الزعرور ومنعايا وجوخة ورسم العيش ، ويقدر عدد بيوتهم بـ ٦٠٠ ، وهم في رئاسة الشيخ عبد الرزاق العبد الكريم المقيم في قرية قناطر ، ويتألفون من عدة فنود صغيرة ، منضمون بسائق القرابة ، كل فندة تتألف من بضعة إلى بضعة عشر بيتاً ، يرتزقون من الزرع والضرع ، وهذه الفنود هي : المشاهدة في قرية العيس (قنسرين القديمة) ، والملاحمة في الحوير ، والبو حمد في قرى الشلالة ، وعبد موسى في جبل الأحص أيضاً .

ومن الأبي شعبان أناس في قرى كوسينا وبانص والرسم وتل خطري ، التي اشتهرت أخيراً بسبب فتن الموالى والحديدين .

النعم

في قضاء جبل سمعان قسم من عشيرة النعم المنتشرة كثيراً في كل مكان ، وهم في جبل الأحص في قرى جب الحفي والمداين واصطبلات في رئاسة أحمد الإسماعيل المقيم في إصطبلات ، وعدد بيوتهم ١٥٠ ، ويعدون من أنصاف الحضر .

بني زيد

يزعمون أنهم من عشيرة بني زيد العراقية ، وأنهم قدموا من أنحاء العراق في القرن الثاني عشر ، عدد بيوتهم ٣٠٠ ، يقيم ثلثهم في قرية فاح في قضاء جبل سمعان وفي قرى جب غبشة والسين وجب الكلب في قضاء الباب ، كما ذكرناه في بحثه ، وبقية العشيرة تنجع البادية المجاورة حتى البشري ، وهم في رئاسة عيسى بن محمد العيسى الرضمان المقيم في قرية فاح ، وينقسمون إلى سبع فرق ، وعندهم نحو ١٠٠٠٠ شاة و ٥٠٠ بعير ، وفرقهم الشمل والحزاب والخليلات والحاسنة والصخر والمراشدة والجبارة .

اللهيب

في أسطورة أن اسمهم نشأ من كونهم أعقاب أبي لهب عم النبي ﷺ الذي ظل على شركه ومناوئته لابن أخيه ، وفي رواية أن أصلهم من نجد من حول آبار الحجاج التي كانت لهم ، وبعد أن كانوا ثمة عشيرة واحدة تفرقوا في القرن الحادي عشر ، ونزح كل منهم إلى جهة ، ومنها يلحظ أن اللهيب ما برحوا عريقين في بداوتهم وأنهم في درجة واحدة مع عنزة وشمر ، بحيث أن عنزياً إذا اقترف جريمة يلجأ إلى إحدى العشائر الثلاث جيس وشمر واللهيب ، وهؤلاء يعطون الصحب ، أي يحمون دخیلهم ، ويهرقون دم من يتعدى عليه ، ولا يدفعون ديتة ، ومن ثم صدر في حقهم قرار خاص من المفوض السامي رقمه ٧٠ وتاريخه ٦ حزيران سنة ١٩٣٢ م بشأن اعتبارهم من العشائر الرحل .

واللهيب وإن كانوا عشيرة صغيرة قليلة العدد ، لكنهم اشتهروا بفروسيتهم وكثرة غاراتهم ، وهم كانوا أول السبب في فتنه الحديديين والموالي في سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) حينما قتلوا بعض الحديديين من الأبرز حول بئر كديم ، ولجؤوا إلى الموالي ، ومشوا معهم على الحديديين في كل الفتنة ، ولما تصالح الموالي والحديديون خشي اللهيب تقمة الحديديين عليهم ، فنزحوا من قراهم ، بعد أن أحرقوا بيادرهم كلها ، ونزلوا في العلا قرب الموالي على أمل مشاطرتهم ثمرات العبث والنهب ، لكن الفتنة ما لبثت أن نشبت بينهم وبين الموالي من جراء خطف الأمير فياض الكنج فتاة بارعة في الجمال ، هي ابنة أحمد الإبراهيم الزامل من اللهيب ، ثم جرى الصلح بينها ، كما أعيدت المياه إلى مجاريها بينهم وبين الحديديين ، وصاروا أصدقاءهم بعد أن تزوج نواف الصالح ابنة رئيسهم السابق أسعد العاشق ، وعدد اللهيب نحو ٤٠٠ بيت نصفهم رحالة وعندهم نحو ٥٠٠ شاة و ٥٠٠ بعير و ٥٠٠ فرس و ١٠٠ بندقية . وهم يقطنون في جبل سمعان في قرى أرجل وأرجيلات وجفر منصور وشويحة . أما فرقهم فهي الزيارة والهدبان والفرج والغنام والشباط والعوادة والزامل والبوحسن والشيخان ومنهم فدة صغيرة متحضرة تنزل في سهل الروج بين قسطون ومجبل ، وأخرى في قضاء إدلب في قرى جدرايا وصراريف والبدرية ، ومن أقارب هؤلاء اللهيب هيب آخرون في أماكن مختلفة ، فقسم في الجزيرة ، بعضهم مع الفدعان ، وبعضهم مع شمر إلزور ، وبعض مع الجبور ، وقسم ثانٍ في العراق في شرقاط جنوبي الموصل ، وفي العوجة شرقي بغداد ، وقسم ثالث في فلسطين غربي نهر الشريعة بين بحيرتي الحولة وطبريا وهؤلاء نحو ١٠٠ بيت ، لهم شهرة طائلة في سرقة المواشي من قرى الجولان ، وقسم رابع في البلاد اللبنانية في أقضية صور وعكار وكسروان ، وقد قدمنا ذكرهم .

أما هيب قضاء جبل سمعان فقد كانوا في مشيخة أسعد بن عاشق السلوم المهدي الزيارة ، وكان مشهوراً بنباهته وفروسيته ، وصلاته مع نواف الصالح شيخ الحديديين ، ولما توفي في أوائل عام ١٩٤٢ م خلفه ابنه عبدو ، ويقيظ هيب جبل سمعان في قراهم التي ذكرناها ، وهي من أملاك الدولة في شرقي المطبخ ، أما في الشتاء فالرحالة منهم ينجعون أنحاء أسرية وكديم وعين الكوم ، ولما يتجاوزون طريق السخنة والدير .

قضاء إدلب

في هذا القضاء بعض أفاريق من عشائر مختلفة ، ففي ناحية أريحا قسم من اللهيبي نحو ٢٠٠ بيت في قرى جذراية وصراريف والبدرية ، وهم في مشيخة حسن علي النصار ، وقسم من العدوان نحو ٢٠ بيتاً في قرى باب الله والظاهرية وعري وبرج هاب في مشيخة أحمد بن محمد الأمين السليم ، وفي ناحية سراقب في قرى أملاك الدولة المجاورة لمستنقعات المطبخ بعض الحديديين كالأبي شهاب الدين في مشيخة أبي جاسم ، والإبراهيم في مشيخة متعب بن خليف الصالح ، وبعض لواحق الموالي كالراشد والسعران والأسود والبدر والجباري والدليم ثم الشطيحات والحويوات من الولادة ثم البوليل والنعيم والبوشعبان ، وهذه الفرق مر ذكرها في بحث قضاء جبل سمعان والمعة ، وفي المطبخ شرقي ناحية سراقب قسم من الأبي شعبان في تل خطري ، ومن النعيم في أبي الخوص ، ومن الموالي في تل الأغر .

قضاء أعزاز

في هذا القضاء بعض أفاريق من عشائر مختلفة . منهم من عشيرة الهنادي المصرية الأصل في قرية مارع في مشيخة أحد أبناء بيت أبو علي ، ومن البو خميس التي رئيسها علي الراشد فخذ السحيلات في قرية كفين من ناحية نبل ، ومن الغنائم التي رئيسها شلاش الدرويش ، القاطن في قضاء منبج ، أفخاذ الظواهرة والملاحنة في قرى الزيادة وتلعار وغرور وقبتان ، ومن المجادمة التي رئيسها محمد الأسود القاطن قرية المسلمية من قضاء جبل سمعان ، أفخاذ غنام الحمد ومديح الحمد ومحمد الحمد في قرى أعزاز وجبرين وشيخ عيسى وتركان بارح ، ومن العجيل التي ثلثاها مستقر ، وثلثها رحال ، ومنشؤها في العراق من الجبور في قرى شارين وشمارق وشيخ ربح وغيرها ، ولها عدة أفخاذ ورؤساء ، ومن الأبو بطوش التي رئيسها يونس عبد الحميد في قضاء منبج ، منها هنا فخذ أبو خليفة في قرى صوران ودابق وتل رفعت ، ومن بني جميل التي يرأسها الشيخ كبيبة في قضاء الباب ، منها هنا فخذ العصيلات في قرى دابق وصوران وقزل مزرعة ، ومن العميرات التي في قضاء عين العرب ورئيسها حمود الغزال ، أفخاذ المطر والخطاب في قرى تلعار وكفر نايا ، ومن البو

حميدي التي رئيسها علي الخضر في قرى قنفوز ومعرسة الخان ، ومن جيس في قرية بريغيدة ، ومن الحيان في تل الحصن ومرعناز ومن العون في آق برهان ومن الدمالحة في تركان بارح ، ومن بني سعيد في مزرعة العلا ، وغيرهم ، وغيرهم .

قضاء جسر الشغفر (سهل الغاب)

حينما يفيض الماء في وادي الغاب بعد طغيانه من نهر العاصي وغيره تظهر أرضون واسعة ، سرعان ما تعشوشب وتصبح من أخصب المراعي التي تحبها الخيل والغنم ، وحينئذ تتهافت عليها فرق عديدة من عشائر مختلفة جداً ؛ أكراد وموالي وبني خالد وجيس وحديدين ونعيم وغيرهم ، وهذه الفرق قد تحضرت ولم يعد لها ظعن وانتقال إلا قليلاً ، وربما مكثت كلها في قرية واحدة ، على أن ينزل كل منها في حي خاص ، وهم يقيمون في الشتاء في أكواخ مغطاة بالأسل والحصير ، وفي الصيف في ملاجئ من الحصير والقصب ، يصنعونها على ضفاف مستنقع الغاب ، وزراعتهم الأساسية هي الذرة البيضاء ، فالأرض البارزة من تحت الماء والمغمورة بالغرين تبذر دون أي تحضير سابق بالذرة البيضاء التي تنثر ، وبعد ثلاثة أيام أو أربعة تكون الذرة قد نفذت في التراب الموحد ، فتشعل النار في الأسل الباقي في الأرض ، فالرماد الحاصل يزيد في خصب الأرض ، ويقعد هؤلاء الأعراب بانتظار الحصاد ، فيجنون من الواحد ٢٠٠ - ٣٠٠ مثل ، هذا والمشيمة في كل فرقة في يد مختار ينتخبهم مجلس الشيوخ ، لمدة طويلة قليلاً أو كثيراً ، وتنحصر سلطتهم في قريتهم ، إلا أن رئيس فرقة الخطاب واسمه الشيخ سليم الخطاب صاحب نفوذ واسع على جميع الفرق .

وأسماء عشائر الغاب^(١) وأعدادها هي : الفواطرة أصلهم من نعيم حمص ، جاؤوا إلى الغاب حول سنة ١٢١٢ هـ قريتهم قليدين ، ١٥ بيتاً . النباخنة من جيس الجزيرة ، جاؤوا إلى الغاب حول سنة ١٢٩٢ هـ قريتهم العنقاوي ، ١٨ بيت عبيدة من نعيم حمص ، جاؤوا في أوائل قرننا الحالي قريتهم فريكة ، ٨ بيوت (حمودة) من بني سعيد في قضاء

(١) إن أسماء عشائر أفضية حلب المندرجة في هذه الصحائف وأسماء أفخاذها والقرى التي تقطنها مقتبسة من الجداول التي أسعفني بها صديقي وزميلي العزيز الهمام الوجيه الحلبي السيد عمر بهجت الصابوني ، فله مني جزيل الشكر .

الباب قريتهم التويني ، ٧٠ بيتاً . الطوقان موالي قريتهم الشريفة ، ٨٢ بيتاً . مسلماني أخلاط من الكرد والعرب الحديدين قريتهم حويز الشمالية ، ٣٠ بيتاً . اللويسات ينتسبون إلى أويس القراني ، قطنوا في الغاب في القرن ١١ قريتهم الحويجة ، ٣٢ بيتاً . الحجاج أكراد ، كانوا في العمق ثم انتقلوا إلى الغاب في القرن ١١ قريتهم الحواش ، ٣٢ بيتاً . ناخوس من بني خالد جاؤوا في أواخر القرن ١٢ قريتهم العميقة ، ٤٢ بيتاً ، حمادي من عشيرة التركي وسواعي أكراد ، في قرية الزيارية ، ٢٢ بيتاً ، هذا وفي الجبال والسهول المحيطة بهذا القضاء أخلاط من عشائر مختلفة من أهل الزرع والضرع ، منهم شردمة من (جيس - قيس) ٤٠ - ٥٠ بيتاً ، في قرية مريمين وتل أعور ، يزعمون أنهم نزحوا من الجزيرة منذ أكثر من سبعين سنة ، ومن البقارة ٨٠ - ١٠٠ بيتاً في قرية باريشا ، نزحوا من أنحاء دير الزور منذ ثمانين سنة ، ومن التركي لا قرية لهم ، يتجولون في الجبل الوسطاني لثريبة الماعز والبقر وهم نحو ٣٠ بيتاً ، نزحوا من أنحاء حماة منذ ثمانين سنة ، ومن النعيم ٨٠ بيتاً ، يقيم أكثرهم في قرية فريكة ، وبعضهم في كل من قريتي بشامون وبسندينا ، نزحوا من أنحاء حمص منذ قرن ، ومن الخزاولة يزعمون أن أصلهم من العراق ، فإذا صح ذلك يكونون من عشيرة الخزاولة العراقية ، المعروفة في لواء الديوانية على الفرات ، وهم متفرقون في منطقة الغاب ، وعلى ضفاف بطائحه ومستنقعاته ، ربما بلغوا خمسين بيتاً ، وأكثرهم في قرية الحويز التابعة قضاء المعرة ، ومن العدوان في قرية بطلايا نحو ٣٠ بيتاً ، نزحوا من الجزيرة منذ عهد بعيد ، ومن الفريجاوية فندة من الموالي ، في قرية الزيارة ٤٠ بيتاً أهل زرع ويربون الجاموس والبقر ، انفصلوا عن الموالي منذ قرن ، والدماخلة وقيل المجادمة في قرية قرقور ، نازحون من قضاء الباب ومنبج ، أهل زرع ومربو جاموس وبقر ١٠٠ بيت و (المدهيش) فندة من توابع الحديدين ، يقيمون في قرية المنطار ٣٠ بيتاً ، نازحون من قضاء المعرة منذ قرن ، يتخذون البيوت البيض ويظنهم الرائي من الأبى خميس ، وأكراد في قرى بزيتا وكفير وبللوا ١٢٠ بيتاً ، نازحون من أنحاء العمق منذ قرن ، ومن الأبو جرادة من فرقة الخليفة من الموالي في قرية قسطون ٥٠ بيتاً ، ومن الهنادي في قرية الريادية ٥٠٠ بيتاً ، ومن القبيعات في عين السوداء ، ١٠٠ بيت ، ومن شمري في قرية مغيدلة وبسندينا وخراب خليل ٥٠ بيتاً .

قضاء حارم

في هذا القضاء قسم من العقيدات في ناحية سلقين وكفر تخاريم نحو ٢٠٠ بيت ، وقسم من البقارة في جبل باريشا نحو ٢٥٠ بيت ، أصلهم من بقارة الزور ، وهؤلاء تحضروا ، وكادوا يقطعون صلاتهم مع أقاربهم في الزور ، وكان في سهل العمق المجاور لهذا القضاء كثير من الأعراب المنتسبين لعشائر ومنابت شتى ، إلا أن استيلاء الترك على لواء الأسكندرونة اضطرهم إلى النزوح والتشتت في أماكن مختلفة .

قضاء الباب

الحديديون الغناطسة

هم من الحديديين الأصليين الذين بعد نزوحهم من الموصل صارت منازلهم في هذه الأنحاء ، وينتسبون إلى الشيخ محمد الغنطوس الذي فارق العشيرة الأصلية في حدود سنة ١٢٤٦ هـ ، وهم يقطنون في قرى دير حافر وأم المرا وحمة ووديعه وأبو ضنة وجب الصفا وحلبية ودكواني وبغيجة ومفلسة وقصقص ورسم عبود وتبارة ماضي والتايهة ومقطع الحجر الكبير ومقطع الحجر الصغير ومروح ، وفرقهم الغناطسة والعصبيات والأبو كردي والأبو ثابت والتويمات والأبو غيث والأبو عطيري والأبو غزال والجفغائية ، ورئيسهم الأكبر هنا هو الشيخ محمد الصفوق الناييف العليوي الرجوشي شيخ فرقة الغناطسة ، ويذكر أن أباه صفوقاً كان ذكياً ونشيطاً جداً ، أما هو فيعد من فرسان البادية والمغاوير ، ومن أغنيائها المعدودين ، وهو شريك آل المدرس في حلب ، وصديق كل رؤساء العشائر ما عدا نجيب الياس رئيس الكيار ، وقد صاهر نواف الصالح وبذلك صار نفوذ نواف يمتد إلى الغناطسة ، بعد أن كان هذا النفوذ لمجتم بن عبيد . وللشيخ محمد ولدان فيصل وأحمد وأخ اسمه هاشم وثلاثة عمومة جدعان ومجول وهزاع ، وعدد بيوت هؤلاء الحديديين ١٠٠٠ منهم ٥٥٠ رجالة و ٤٥٠ حضر .

الوهاب

قد تقدم أن بعضهم في قضاء جبل سمعان ، وأن أصلهم من شمر ، أما للذين في قضاء

الباب فهم يقطنون في قراهم التي من أملاك الدولة ، كتفريعة الكبيرة والصغيرة ومغارة ومشرفة وأبو جبار وخربة كيار ولقيطة ومزبورة ورسم الحجير ورسم سرحان ، وقليل منهم في قرية مقتلة في قضاء منبج ، وقسم الرحالة منهم في مشيخة مرعي الحاج حسن العمالة ، وهو من الرؤساء الطيبين ، يساعده أخوه غثيث ، وقسم المستقر منهم في مشيخة إبراهيم النهار ، وينازع مرعي في الرئاسة حسين الذهب رئيس فرقة السياد ، والرحالة ينجعون البادية عن طريق مسكنة وعنز والرصافة ، ويشتون في جبل البشري ولا يتجاوزونه ، ويردون مثل الأبوخيس أبار أمباج والرصافة وبير راهوم ، وعدد بيوتهم ٦٠٠ ، نصفهم رحالة ونصفهم مستقر ، وعندهم ٤٠٠٠ شاة و ٥٠٠ بعير ، وفرقهم المريطات والسياد والعويسات والكليش وضاهر ، وكلهم يعد من الرحالة إلا فرقة السياد فتعد من أنصاف الحضر بمقتضى القرار رقم ١٣٢ ، وأصل هؤلاء الوهب من شمر كانوا يتبدون في الجزيرة في أنحاء دير الزور والخابور ، والآن يعدون من أهذا العشائر وأصلحها ، بحيث لا يذكر لها أعداء ، ماعدا العفادلة الذين سبق أن آذوا الوهب كثيراً .

الكيار

يزعمون أن أصلهم من العراق ، وأن لهم ثمة بقايا في قضائي طويريج والهندية شرقي بغداد ، وأنهم جاؤوا إلى بلاد الشام في أوائل القرن الحادي عشر ، وقد ذكرهم السائح الدانباركي نيبوهر في سنة ١١٨٠ هـ وعدهم من عشائر حلب ، وهم بعد أن كانوا متحدين تنازعوا وانقسموا إلى كيار الجولان وكيار حلب ، وقد التحق كيار الجولان بعشيرة الفضل ، ويعدون ثمة نحو ١٠٠ بيت ، وقد تقدم ذكرهم هناك (ص ٣٩٤) ، أما كيار حلب فقد انضموا أولاً إلى الموالي في عهد رئيسهم الحاج إدريس ، ثم وقعت حادثة قتل ، حملتهم على الانضمام إلى فرقة الأبرز من الحديديين ، ثم وقعت حوادث قتل أخرى ، حملتهم على الانفراد ، وصاروا من ذلك الحين (سنة ١٣١٠ هـ) مستقلين ، على أنهم يميلون إلى الحديديين أكثر ، وقد استنجد بهم نواف الصالح حينما احتدم الخلاف بينه وبين الموالي ، هذا وكل فرق الكيار من أصل عراقي ، إلا فرقة القرامطة فإنها من جيس ، وعدد الكيار نحو ٥٠٠ بيت ثلاثهم رحل ، والثلث حضر يظل في المعمورة . وعندهم ٢٥٠٠ شاة و ٦٠٠ بعير و ٥٠ فرس و ٣٠٠ بندقية ، أما الفرق فهي العواد والقرامطة والبو عبد الله

والحران والبو بلد والبو حديد والعركش وجميعهم في مشيخة نجيب بن الياس بن الحاج إدريس بن محمد بن عواد ، وهذا الشيخ هو كبير فرقة العواد ، ويذكر أنه لين العريكة بمدوح السيرة حسن الإدارة ، وهو صديق الشيخ نواف الصالح رئيس الحديديين ، ويستنير بإرشاداته كما هو صهر محمد صفوق الرجوش شيخ الحديديين الغناطسة ، والشة قبل نجيب وأبيه كانت في يد بيت محمد القاطوف الذي له الآن أحفاد ، ثم على أثر ضعفهم ، انتقلت إلى الياس الحاج إدريس ثم إلى ابنه نجيب ، وقرى الكيار في قضاء الباب هي جقال الكبير وقورت ويران وكاوكلي وتلتورين ، وفي قضاء منبج عريمة ، وتعد الكيار من العشائر الرحالة الغنامة الصغيرة ، ذات النجعة المتوسطة ، وهم ينجعون في الشتاء أنحاء عنز ويبلغون جبل البشري أو وسطه ، وينزلون في القيظ أنحاء العريمة بين الباب ومنبج ، وقد يبلغون قضائي أعزاز وجبل الأكراد ، وسوقهم التجاري الباب وأعزاز وحلب ، وهم على صلوات حسنة مع البدو والحضر .

البو خميس

عشيرة منفردة تعد من الرحل ، أصلها فرقة منشقة من عشيرة الدليم العراقية ، جاءت إلى ديار الشام في أواسط القرن الثاني عشر ، ونزلت في بادئ الأمر قرب دير الزور ، في الخيسية قرب معادن فسميت بأبي خميس ، أو سميت القرية باسمها ، وانصرفت إلى الزراعة ، ولكن ظلم ثريا باشا متصرف لواء دير الزور ، حملها في حدود سنة ١٣٠٠ هـ على هجر الزراعة والانصراف للتبدي ، وهم الآن من حلفاء الأمير مجحم رئيس الفدعان الولد ومن حواشيه ، وهم على أحسن الصلات مع كل جيرانهم إلا عشيرة جيس التي انضمت للأتراك ، فقد ناوشتها هذه ، وسلبتها مراراً ، وعدد الأبي خميس نحو ٦٠٠ بيت وعندهم ٣٠٠٠ شاة و ٤٠٠ بعير و ٢٠٠ فرس ونحو ٤٠٠ بندقية ، وأكثرهم بداءة رحالة ، وقليلهم يبقى في المعمورة ، وفرقهم الحسن والحسين والراشد والبدر والحازم والجدة والحمر ، وهم في مشيخة حسين بن علي بن محمد الراشد ، وهو مستقيم السيرة ، محمود السمعة ، حسن الإدارة ، وهذه المزايا جعلته مقصوداً في الغالب كحكم في اختلافات العشائر ، ويذكر في هذه العشيرة حمدان الممشر الشهاب رئيس فرقة البدر ، وهو يضارع الشيخ حسين بنفوذ ، وتعد البو خميس من العشائر الغنامة ذات النجعة المتوسطة ، فهم يقيظون في

أنحاء بحيرة الجبول ودير حافر والباب ومنبج ، ويشاركون بعض الحضر في زراعة بعض الأرضين ، وسوقهم التجاري الباب ومنبج وحلب ، أما في الشتاء فينجعون كالوهاب جبل البشري وسبيلهم إليه من مسكنة (بالس) وعنز والرصافة ، أو يعبرون الفرات من شمس الدين إلى الجزيرة ويمرون من قرب الرقة إلى الشامية ، ويبلغون شمال شرقي البشري ، وقاما يتجاوزون هذا الجبل ؛ إلا أنهم في بعض السنين يدخلون الحدود العراقية ، ويبلغون القعرة ، وقد نكبوا مثل بقية العشائر التي كانت هناك في ربيع عامنا هذا (١٩٤٧ م) بالعاصفة الرملية الهوجاء التي قضت على عشر ماشيتهم ، ولولا أن هرعت سيارات قوى البادية ، ونقلتهم هم وماشيتهم لهلكوا وإياها من الجوع والعطش ، وللأبي خميس مزية صار يشاركهم بها غيرهم من البدو ، وهي أن خيامهم في الصيف تكون من القطن الأبيض ، لأنها أقل حراً من الخيام المنسوجة من شعر المعز الأسود ، لكن هذه الخيام لا تستعمل في الشتاء ، لأنها إذا ابتلت بالمطر يزداد ثقلها ، فلا يمكن حملها ، بينما خيام الشعر لا تمتص الماء ، لذلك يتركون الخيام البيض في المعمورة ، ويحملون في نجعتهم الخيام السود .

الأبو بطوش

عشيرة متحضرة تحسب من بني سعيد المذكورة في قضاء منبج ، لكنها تنتمي إلى عشيرة العبيد في العراق ، عددهم ٢٥٠ بيتاً . أكثرها في قضاء منبج ، وبعضها في قضاء الباب في قرى أم اشكيف وبران وسرحة وسريجة وصويران وتلورين وتادفيه وجقال صغير ورسم الحرمل الإمام وقورت وبران ويلانلي ، وهم في مشيخة يونس العبد الحميد المقيم في قرية عوسج الكبيرة من قضاء منبج ، وليس فيهم أفخاذ ، ولا ينجعون البادية إلا قليلاً ، ومنها فرقة عددها ١٤٠ بيتاً استقرت في قضاء أعزاز في قرى اخترين وكريبة ويحمول .

الحديديون الأبرز

من فرقة الأبرز الحديدين هنا قسم في قرى أم طماخ وجب مخزوم وسكرية الكبيرة وميل وبران ، والأبرز في مشيخة أحمد المشيعل المقيم في قرية الهزاة في جبل الأحص ،

وهو عارفة ، مشهور بدقة أحكامه ، وحسن سمعته . ومن الحديددين أيضاً فرقة الأبى غزال في قريتي البويهج وأم عدسة كريدية .

المجادمة

فرقة من عشيرة بني سعيد المذكورة في قضاء منبج ، مختارها عيسى الضاهر ، لكنها تتبع شيخ بني سعيد شلاش الإبراهيم الدرويش المذكور في بحث قضاء منبج ، والمجادمة في قضاء الباب يقطنون قرى البويهج وأم عدسة عجمي وأولاشي وأم خرزة وبش جرن وجب خفي ورسم سرحان وزرور وسكريسة الكبيرة وسكريسة الصغيرة وعجمي وقبر المعزى وكورهيوك ، ولهم في قضاء منبج خربة الشياح ، وفي قضاء جرابلس قرية حاجي كوسا ، ورعاتهم يصلون إلى جبل البشري ، وليس لهم أفخاذ .

النعيم

فرقة من عشيرة النعيم المشتتة في كل بلاد الشام ، أينما ذهبت تعثر عليهم ، وهم هنا لا يزالون رحلاً ، لكن لهم أملاك في ناحية دير حافر في قرى رسم الخباز ورسم الشيخ ومنظر الصفر ، وشيوخهم الحاج خليف الخرفان .

العون

فرقة من عشيرة بني سعيد المذكورة في بحث قضاء منبج ، منازلهم في ناحية دير حافر في قرى أم خرزة نباتة ورسم الكما ورسم الحرمل الإمام وقصر البريج ، ومن هؤلاء قسم في قضاء منبج ، تقدم ذكرهم في بحثه ، وقسم في قضاء أعزاز في قرية أق برهان .

الأبو عاصي

فرقة من الأبى خيس الذين تقدم ذكرهم ، يقطنون في قرى تل اصطبيل وريان ورضوانية وأم العمى وعددهم ٥٠ بيتاً ، وشيخه أحمد الحمى الحاجي .

الأبو جميل

حضر ، يقطنون في ناحية دير حافر في قرى تل أيوب ورسم العبد وأم أركيلة وتل

أحمد وشيخ أحمد وحرارة وأم ذليلة والعاصمية وخساف والكرين وزبيدة ، وهم في مشيخة الشيخ كبيبة المقيم في قرية الشيخ أحمد ، وعددهم ١٠٠ بيت ، ومنهم ٢٠ بيتاً رحالة ، أفخاذهم العساف والنجات والزيادة والعيان ، ينتون إلى بني تميم في الحجاز ، ويزعمون أنهم بعد أن تبدوا في نجد والعراق ، بلغوا قضاء الباب في أوائل القرن الثاني عشر .

الفردون

حضر ، يقطنون في ناحية دير حافر في أخصب قرى قضاء الباب ، الممتدة على طول نهر الذهب ، وهي قرى عرييد وخربة الجحاش وعيشة وسرحان وشرع ونجارة وتل الخطابات وعبوية وقطر والعوينات وكويرس الشرقي والغربي وعجوزية ، وشيخهم موسى الصفوق ، وعددهم ٤٠٠ بيت يقيمون ولا ينجعون ، وهم ينتون إلى فرع محمد الشعبان من عشيرة الأبي شعبان التي ذكرت في قضاء الرقة ، جاؤوا إلى قضاء الباب في أوائل قرننا الحالي ، وأكبرهم وجاهة محمد بن مصطفى الخلف ، وفرقهم السلامة والشحمي وحسين الفردون والجلانطة .

الأبي سبيع

نصف بدو يقطنون في ناحية دير حافر في قرى قصر البريج وعويشية وتل مكسور وأم خرزة ورسم العلم ، وهم ينتون إلى فرقة السبخة من الأبي شعبان ، وعددهم ١٠٠ بيت مقيمين و ٢٠ بيت رحالة ، وشيوخهم حسن الحاج حسين الحسن وحسين الفرهود ، وهم في نجعتهم يبلغون عنز جنوبي بالس .

التوامات

أعراب لم يبلغنا عنهم إلا أن أصلهم من الحديدين ، الذين أسكنهم أصلان باشا ، وأنهم يقطنون في الغرب الجنوبي من قضاء منبج .

الهنادي

هؤلاء نصف حضر من بقايا الأعراب المتطوعة في جيش إبراهيم باشا المصري ، حينما

استولى على حلب في سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) ، وهؤلاء البقايا من عشائر مصرية مختلفة في الأصول والمنابت ، ظلوا في البلاد التي حلوها وتزوجوا وتناسلوا ، وألفوا عشيرة موحدة سميت بالهنادي نسبة إلى الهنادي الذين كانوا أكبرها وأقواها ، والموجودون منهم في شمالي الشام يقطنون قضاء الباب في قرى الجبول وحقله والجديدة وتل سبعين ، وهي قرى محيطة بمملحة الجبول ، ويقطنون في قضاء منبج قريتي أبي قلقل وخربة العشرة وهما من أملاك الدولة ، وفي قضاء عين العرب في قريتي قره موخ ورسم الغزال التابعتين لناحية صرين ، وفي قضاء جسر الشغري قرية الزيادة ، وفي قضاء المعرة في قرية خان شيخون ، إذ كان الهنادي في الأصل بدواً رحل ، من أعراب القطر المصري ، لم تختلف عليهم البيئة في هذه الديار الملائنة بالعشائر ، وهم بعداداتهم العشائرية يودون كل قسم لوحده ، حينما يقع قتل في عشيرة غريبة عنهم ، فهنادي أبي قلقل يدفعون الدية لوحدهم ، وهنادي الجبول لوحدهم وهكذا ، إلا أنهم يتزوجون من بعضهم ومن العشائر المجاورة ، ومنهم قسم بادية رحل ، يعرفون بالبيايعة تحت راية ابن موينع ، رئيس إحدى فرق الأسبعة الأقصة ، وعلاقة هؤلاء مع بقية الهنادي ثابتة ينجدونهم إذا ندبواهم للنائبات ، وعدد البيايعة ٢٥٠ بيتاً . وعدد الهنادي الموجودين في القرى المذكورة نحو ٤٠٠ بيت ، وهم مجدون في عملهم وحالتهم حسنة ، ولا يزال لجميعهم علاقات ومراسلات متواصلة مع أقاربهم الباقين في القطر المصري ويتزاورون ، وقد كنت أرى في أبي قلقل بعض العائدين منهم من مصر حديثاً ، وفي لسانهم اللهجة المصرية ، فالذين في خربة العشرة وأبي قلقل من دمنهور وكفر الدوار ورميل الاسكندرية والعريش ، واسم أفخاذهم هنا الربيع والبشاشة ، واسمهم في مصر الجبيعات وولد علي وبني عون ، ورئيسهم هنا الشيخ ابراهيم الحسن الربيع ، وقد انتخب أخيراً نائباً عن قضاء منبج ، وهو رجل عاقل رزين ، ووجيه في عشيرته ومنطقته ، يقيم في قرية أبي قلقل ، وله عدة أولاد أكبرهم الشيخ محمد ، أما الذين في تل سبعين وحول مملحة الجبول فأصلهم من صعيد مصر ، ورؤساؤهم هنا جنيد الحاج موسى البطران واسمهم هنا البطيارين ، واسمهم في مصر الصفوية والبراعصة ، أما الذين في قره موخ وفي البادية مع الأسبعة فاسمهم أبو عتيقة والبيايعة ، وفي مصر الولد علي ، ويذكر المعمرون أن الحاج بطران رئيس الهنادي كان حول سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٦٤ م) مكلفاً بتوطيد الأمن في ناحية سفيرة وأنحاء الجبول ، وتحت إمرته قوة كافية من فرسان عشيرته

الهنادي ، وأنه كان صاحب حول وطول كبيرين في ذلك العهد ، ومثله الشيخ ربيع العبد الله جد الشيخ إبراهيم الحسن الربيع ، كان متسلماً توطيد الأمن من دير الزور إلى عينتاب ، في عهد يوسف باشا شريف متصرف لواء دير الزور .

بني زيد

تقدم ذكرهم في قضاء جبل سمعان ، وهم هنا يقطنون في ناحية دير حافر في قرى جب غبشة والسين وجب الكلب ، وشيخهم عيسى الحمد العيسى الرمضان ، وعددهم نحو ١٠٠ بيت ، ينجمون أنحاء عزز وعنيز والبشري وأبو النيتل ، وأفخاذهم الشمل والصقر والمحاسنة والرحيات والخراب والجنادمة ، وهؤلاء تبع علي الحمد العيسى الرمضان ، وثمة فخذ سابع اسمه الخليلات تبع إسماعيل الحاج موسى .

قضاء عين العرب

هذا القضاء منفصل عن قضاء سروج التركي القديم ، وهو قضاء واسع الصحراء ، كثير القرى ، جيد التربة ، وافر الغلات والمحاصيل ، وهو يقسم بحسب سكانه إلى أكراد وأعراب ، فالأكراد يقطنون شمالي القضاء قرب الحدود التركية ، وقد ذكرناهم في الفصل الخاص بالأكراد ، والأعراب يقطنون في جنوبه المجاور لقضائي الرقة ومنبج .
فالعشائر العربية هي :

القدعان

اعتاد الشيخ خليل بن حاجم آل مهيدان أن يوافي كل سنة مع قسم من أعرابه القدعان لأخذ محصوله من المزارع الكائنة في منطقة صرين ، أما فلاحوه فهم من العميرات ، وبعضهم من عنزة (القدعان) ، إلا أنهم لا يقيمون في هذه المزارع إلا مؤقتاً ، ثم يعودون إلى منازلهم في قضاء الرقة ، حيث مقام القدعان الأصلي ، وقد وصفناهم بالتفصيل في بحث هذا القضاء .

العوون

عشيرة مستقلة تنتسب إلى بني سعيد الذين مر ذكرهم في بحث قضاء منبج ، وهي في

القرى المحيطة بمركز ناحية صرين في الضفة اليسرى من الفرات ، وفرقهم السمعوان والعواسات والشموعة واليوسف والصلالوة والحمدات والملاات والعبيدات والناصره والكياكي ، ويقدر عددهم نحو ٢٠٠ بيت ، وهم حراثون في قرى يعود بعضها إلى وجهاء حلبين ، وبعضها إلى الدولة ، وشيخهم العلي بن الحاج مستو ، وقد انفصلت فرقة منهم واستقرت في قضاء منبج ، في قرى قورد درة وخربة النجم وجرن دده ، وعدد هذه الفرقة نحو ١٢٠ بيتاً ، في مشيخة أحمد العيسى المقيم في قرية دادات .

العميرات

عشيرة مستقلة تنتسب إلى الأبي شعبان ، وهي مستقرة في قرى ناحية صرين العائدة لآل المدرس في حلب ، في رئاسة إبراهيم الجواش الحمود ، أفخاذها الخطاب والشاهر والمطرده والبوغازي والعميرية ، وعددهم نحو ٥٠٠ بيت .

قضاء جبل الأكراد

ليس في هذا القضاء من العشائر العربية سوى فندة من (العميرات) القاطنة في قضاء عين العرب ، وهي نصف حضرية مضى عليها هنا نحو قرنين ، وتنتسب إلى الأبي شعبان ، وليس لها أفخاذ ، رئيسها حمود الغزال المقيم في قرية بابلت ، وتعد نحو ١٠٠٠ بيت ، يقيمون في قرى باسوط وبابلت وكوكبة وتلحمو ، ويرتقون بالزراعة وتربية الماشية ، وقد أصبحوا فلاحين ومسجلين في النفوس ، على أن بقية القرى لا تخلو من بعض بيوت من أفاريق الأعراب المنتسبين لعشائر مختلفة .

قضاء منبج

كل القرويين والمزارعين في هذا القضاء من عشائر القسم الثالث (الفلاليح) وهم أشات من منابت مختلفة وأصول متفرقة ، وإليك البيان :

الأبودبش

قبل أن أصلهم موالي ، انفصلوا عن العشيرة قبل ٦٠ - ٧٠ سنة ، وهم حضر ،

يقطنون قرى الدندانية والجاموسية وجتال ويران ، وعددهم ٥٠ بيتاً ، وهم فقراء ، شيخهم محمد سعيد .

النعم

هم فرقة من عشيرة النعم المشتتة في كل بلاد الشام ، جاء هؤلاء إلى أنحاء منبج في القرن الهجري الماضي ، وهم إما مزارعون في قرى أملاك الدولة وإما رحل ، وقراهم قازقلي وأبو زكيح ، وشيخهم شيخ الإبراهيم ، وعددهم ١٠٠ بيت .

ولد علي

هم فصيلة من عشيرة الولد علي العنزية التي مر ذكرها في بحثها الخاص (ص ٣٥٨) ، وقد جاؤوا وتحضروا على أثر تسليمهم أراضي من أملاك الدولة في عهد أصلان باشا سنة ١٢٨٧ هـ ، وهم نصف حضر ، يقيمون في غربي منبج في قرى أم عدسة وفارات ودليفار ، وقسم منهم ينجع جبل البشري ، وعددهم ٦٠ بيتاً ، وشيخهم محمد الشلوط العبد الله ، وهم أخصام الحديديين بسبب غزو جرى في سنة ١٢٤٦ هـ

الأبو بنا

هم فرقة كبيرة منفصلة عن الأبى شعبان في قضاء الرقة ، وقسم منها يزعم الانتساب إلى عشيرة العبيد التي كانت في الجزيرة قبل مدهمة شمر ، وقد انساحت منذ قرن ونصف مع الفرات ، وبلغت ضفافه في شرقي منبج ، وهم حضر فلاحون في قراهم الممتدة في سقي الفرات ، وليس لهم شيخ كبير متفق عليه ، بل لكل فخذ شيخ خاص ، ففخذ الجعافرة في مشيخة الحاج مطر الماشي ، في قرى غرة الكبيرة وغرة الصغيرة ومحشية الطواحين وجب الشاماة وقشلة يوسف باشا وحويجة الدرة والنعمية ، وفخذ الأبوا أسامة في مشيخة عبدو الخلف الغنام ، في قرى خربة السوداء وفرس الصغيرة وجديدة الفرس وصندلية الصغيرة وصندلية الكبيرة ، وفخذ الأبوسلوم في مشيخة محمد العجور الأحمد ، في قرى حما الكبيرة وأم جرن وحجر الأبيض وفرس الكبيرة وأم عدسة وقوخار ، وفخذ العمر في مشيخة الحاج شواخ ، وفخذ المكالحنة في مشيخة حسن الحجو وفخذ الخطاب في مشيخة حسن الحاج عباد ، وعدد الأبوا بنا ١٠٠٠ بيت ، وعندهم ١٠٠٠٠ شاة و ٦٠٠ بقرة .

التوامات

هؤلاء من الحديديين ، يقطنون في جنوبي غربي منبج في قرى مروية وطحنة ومقتلة وأبو كهف ومقطع الحجر ، عددهم نحو ١٥٠ بيتاً ، ليس لهم رئيس عام ، فكل قرية تتبع مختارها دون غيره .

بني سعيد

عشيرة كبيرة متحضرة ذات فرق عديدة متباينة الأصول والمنابت ، ففي قول أن أصلها من أنحاء دير الزور جاءت من قرن ونصف ، بينما هي تدعى الانتساب إلى زبيد ، كما تدعيه أيضاً عشائر العقيدات والأبي شعبان والجبور وغيرهم ، قيل أن هذه العشيرة في أواخر القرن الهجري الماضي ، أي قبل قدوم الشركس إلى منبج ، كانت تقطن في الزور غربي الفرات حوالي مسكنة وشمالها ، ثم جاءت عشيرة الولدة وزاحتها ، فاضطرت إلى الزواج نحو أماكنها الحاضرة في الشمال ، حتى صار أكثرها في شرقي قضاء الباب ، وقليلها في غربي قضاء منبج وجنوبي قضاء جرابلس ، وعدد بني سعيد نحو ١٠٠٠ بيت ، وشيوخهم الأكبر هو الشيخ شلاش الإبراهيم الدرويش من فرقة الغنائم ، ونسبه شلاش بن إبراهيم بن درويش بن محمود بن خليل بن فحل بن خليل بن بكر بن عبيد بن محمد بن أسعد بن سعدون أمير زبيد ، ويقول الشيخ شلاش أن الذي جاء إلى ضفاف الفرات في مسكنة وشمالها كان أسعد السعدون ، والذي أنشأ مجد هذه الأسرة وامتد نفوذه هو فحل الخليل ، فهو بجوده وحسن تدبيره ، جعل الفرق المنتسبة إلى بني سعيد تلتف حوله وتؤسس هذه العشيرة المتحدة وتسمى باسم (بني سعيد) .

والشيخ شلاش المذكور ذو وجهة كبيرة في قضاء منبج ، وعضو مجلس إدارته ، وله حرمة بالغة في عشيرته ، وقد عرفته شيخاً وقوراً صائب القول والرأي ، ويليه في العشيرة من المشايخ حميدي الأحمد وبكار هلال ، أما الفرق التي تعد من بني سعيد فهي : المجادمة والخراج والدمالحة والعون والغلاض والبوصلاح والمحدون وبني جيل والبوعتيق وعمار وغنائم وشريرات والمسرات والخنافرة والبو دبش وشمري بني سعيد وبراغشة وعجلان والبو بطوش وعجيل بني سعيد وشيوخ وجعابرة والبو عجوز والبو بنا وحسان ومغاليج وحليسات والبو سلطان وبني عصيد وحريصات ، وبعض الروايات تجعل بعض هذه

الفرق من غير بني سعيد ، كالبوبنا الذين تقدم انتسابهم لعشيرة العبيد ، والبو سلطان الذين نسبهم إلى بقارة الزور ، والعون الذين نسبهم إلى قيس ، والبو بطوش الذين نسبهم أيضاً إلى العبيد .

ونذكر أن فرقة الغنائم من هؤلاء ، في قرى أم عدسة قرب منبج وأم قبيبة وأبو زكيح وتلعريش وحطبات وقنا شمالي وقنا قبلي وكابر الصغيرة ومنكوبة ، ومنهم أناس في قضاء جرابلس في قرى غنة وقبر أمية ، وفي قضاء الباب في قريتي جيلة الحمراء ولابدة ، ومنهم في قضاء أعزاز ، وفرقة الخراج في قرى الأباش والبوير وزنغر وطوق الخليل وحلوانجي ، وفرقة الدمالحة في مشيخة سعيد الحاج جاسم ، في قرى أم جلود وجب حسن آغا وخربة الشباب وكابر الكبيرة ، المشهورة بمنطبتها ، ومقبلة حسن آغا التي في جوارها مغارة صناعية هائلة تدعى مغارة أم السرج (راجع وصفها في كتابنا جولة أثرية صحيفة ٢٢٩) ، وفرقة الغلاض في مشيخة حسن الخنيطل ، في قرى تل حودان وجب الحمام مسطاحة ورسم الحمام وشيخ يحيى ، وفرقة الحمدوني في قرى طحنة الصغيرة وجب الكلب الكبيرة ومجرى وسطاني ومجرى فوقاني ومحترق صغيرة ومحترق كبيرة ، وفرقة أبو صلاح في قرى كيارية وجب القهوة وجب فارس وحسرة وخفصة الصغيرة وخفصة الكبيرة ورسم عبود ، وفرقة المجادمة في قرية خربة الشياب ، لكن أكثر هذه الفرقة في قضاء الباب ، وقد تقدم ذكرها .

الأبو سلطان

فرقة كبيرة متحضرة أصلها من بقارة دير الزور ، وهي في مشيخة علي العيسى ، وقد صاروا الآن من لواحق بني سعيد ، ومن وجهائهم علي البكوري وأحمد الحاج علي وحسين الجاسم ، وقراهم أم الصفا وتل رفيع وجب الكلب وجب ناهد وجب الطويل وخربة عيوش وقب بنية وهدهد ورسم الأخضر ، ومن الأبي سلطان قسم في شرقي الفرات في الجزيرة يمتدون من تل الأحمر جنوبي جرابلس إلى صنايا ، وعددهم ٣٥٠ بيتاً ، وفرقهم الحراجلة والحداد واليوسف والرواشدة .

العون

عشيرة نصف حضر ، أصلهم من بني سعيد ، وقيل من قيس الذين بقوا في تركية ، ثم استقروا غربي الفرات في قضاء منبج ، في قرى دادات وخشفة وقلعة النجم ومجرى تحتاني ، وعددهم ١٢٠ بيتاً ، وشيخهم أحمد العيسى الجادر .

الجلاد

يزعمون أن أصلهم من نجد ، جاؤوا في القرن الثاني عشر ، يقيمون في غربي منبج وعددهم ١٢٠ بيتاً ، ورؤساؤهم حسان الهنيدي وجاسم العيسى .

العميرات

أصلهم من الأبي شعبان ، استقروا في وادي الفرات منذ القرن الثاني عشر ، وهم نصف بدو في قرى سقي الفرات ، كدادا وخشخاشة الصغيرة وجوف الأحمر .

بني عصيد

ينتمون إلى عشيرة برق في قضاء جرابلس ، وهم في مشيخة إبراهيم الحاج يوسف ، وهم يقيمون في ثلاث عشرة قرية كاوشرية وبيرخلو وجب القادر وجوتة وحمام صغيرة وحي صغيرة وحي كبيرة وخرفان وطوال وغزاوية وقبرايمو ومغيرات .

الأبوابطوش

ينتمون في الأصل إلى عشيرة العبيد في العراق ، وفي يومنا إلى عشيرة بني سعيد وهم في مشيخة يونس العبد الحميد ، في قرى بطوشية وخربة الحاروف ومستريجة ومقتلة قرب بيرة ولحلية ووريدة وعوسج الكبيرة وعوسج الصغيرة ، ومنهم قسم في قضاء الباب تقدم ذكرهم .

الأبو خميس

تقدم ذكرهم في قضاء الباب ، وهم في مشيخة حسين العلي الراشد ، وقراهم هنا تل التوتون وجب هندي وخربة صليب ورسم بوخر وخربة أسود .

الولدة

هؤلاء من أنحاء الفرات ومن عشيرة الولدة الكبيرة المتفرعة من قبيلة الأبي شعبان ، وهؤلاء قد تحضروا واستقروا في قرى أملاك الدولة في جنوبي جبل الطار حتى مسكنة (بالس) ، وشادوا نحو خمسين قرية ، بعضها في ضفة الفرات ، وأكثرها في غربها ، أي في السهول الممتدة في ناحية الخفصة جنوبي منبج ، وأكبر قراهم الخفصة الكبيرة ، وينجع بعضهم في الشتاء جبل البشري ، وعددهم نحو ١٥٠٠ بيت ، وعندهم ٢٥٠٠٠ شاة و ٢٠٠ بقرة . ويذكر أن انفصال هؤلاء عن عشيرة الولدة الأصلية وقع في حدود سنة ١٢٦٧ هـ ، وكان عددهم نحو ٣٠٠ بيت ، جاؤوا بقيادة محمد الغانم ، وسبب ذلك اضطرابه إلى الفرار من وجه شمر على أثر حادثة دم ، فنزع مع فرقته الغانم ، وعبر الفرات إلى الشامية ، وبعد أن ظل بضع سنوات رحالة وغير مستقر ، أقطعت الدولة في عهد السلطان عبد المجيد من أملاكها أرضاً في جنوبي منبج ، وذلك في حدود سنة ١٢٦٧ هـ ، وفي زمن الوالي محمد باشا القبرصي ، فلحقه على أثر ذلك عدد كبير من الولدة الباقية في الجزيرة في قيادة عمه سلامة الدندن جد الشيخ محمد الفرج الرئيس الأكبر لولدة الفرات ، وانضم هذا العدد إلى إخوانه الذين سبقوه ، وانصرف تدريجياً إلى الحراثة والزراعة وبناء القرى حيث هو الآن ، ولعل انسحاب الحديديين من الشمال إلى الجنوب والجنوب الغربي وانسحاب بقية العشائر القديمة كبني سعيد والبو بنا والبو سلطان من الجنوب إلى الشمال حدث في الحقبة التي صارت الولدة تكثر وتمتد في الضفة اليمنى للفرات ، وهكذا تواردت فرق عديدة من عشائر الفرات ، وعمرت قرى أملاك الدولة الحاضرة في مطبخ قنشرين وأنحاء منبج والباب الشرقية والجنوبية ، بعد أن كانت خراباً يباباً إلى ذلك التاريخ ، منذ أن خرب تيمورلنك منبج ، وقضى على عمرانها في سنة ٨٠٣ هـ ، ولم يكن وراء سفيرة والباب في عهد السلطان عبد المجيد (١٢٥٥ - ١٢٧٧ هـ) أي أثر للعمران والأمان .

هذا والسائح إذا أمعن النظر يجد فرقاً ملموساً في العادات والطبائع واللهجات بين فرق الولدة وبين جيرانهم العشائر المتحضرة المنتشرة من جبل الطار شمالاً حتى قضاء جرابلس وحدود تركية ، ويجد أن لهجة الولدة المنتسبين للأبي شعبان أقرب إلى لهجة البدو وكذلك عاداتهم ، فأكثرهم يقتنون الخيل ويعنون بها ، وبينهم الفرسان المجيدون يتفاخرون

بالكرم وإقرار الضيف ، ويهرعون إلى نجدة بعضهم ، وأسباب هذا الاختلاف بين العشائر الشمالية والجنوبية في قضاء منبج ، هي أن أراضي هذا القضاء كانت مقسومة فيما مضى بين الأعراب والتركمان ، فكان الأعراب ينزلون جنوبي جبل الطار إلى عنز وعنيزة في البادية وهم من (الشوايا) ، وأكبر عشائهم بنو سعيد والبو بنا والبو سلطان ، وكان التركمان ينزلون شمالي الجبل المذكور وحوالي منبج حينما كانت خراباً بلقعا ، ولما قدمت الولادة من الجزيرة دفعت هذه العشائر المتحضرة عن منازلها إلى الشمال ، وهذه دحرت التركمان واحتلت أراضيهم ، ويقال أن هذا الحادث وقع في حدود سنة ١٢٦٧ هـ كما قدمنا ، وقد ظلت الحالة على ما هي عليه حتى يومنا .

وبينا لقب شوايا يطلق على الأعراب المتحضرين الساكنين في القرى والضياع في قضاء منبج وغيره مما هو في سقي الفرات ، نجد الولادة لاترضى أن يطلق عليها هذا اللقب ، الذي يشتم منه معنى الضعة والمسكنة ، ويدعي شيوخهم أنهم من الأبي شعبان الذين هم من زبيد اليمني الأصل ، وأنهم جاؤوا العراق في زمن الفتح الإسلامي ، وبعد أن تم الفتح نزلوا ضفاف البليخ والخابور ، وتوزعوا ونبتت فرقهم الحالية ، وهم يرفعون نسبهم إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي - كما يفعل عقيدات دير الزور وجبور الجزيرة - وأن بينه وبينهم أربع وعشرون حلقة ، ومن عمرو بن معدي كرب المذكور يقفزون قفزة واحدة إلى ملوك حير حكام البين ، وهو زعم لا يطمئن الباحث إليه لفقدان الدليل وبعد العهد ، على أن الكبير والصغير منهم حتى الرعاة إذا سئل عن أصله يجيبك أنه زبيدي ، وهم في معرض التحبب يخاطبون بعضهم بعضاً يازبيدي ، وما زال هؤلاء رغم مضي نحو قرن على توطنهم ببيوت المدر أقل معرفة وعناية في الزراعة من بقية العشائر القاطنة حول منبج .

ورئيس عشائر الولادة في قضاء منبج هو الشيخ فصيح الجاسم الغانم ؛ وهو مزارع كبير وذو بيت فسيح في قرية خفسة الكبيرة ، وقد تقدم الآن في السن ، وصار ينوب عنه في الواجهة ابنه الشيخ محمد أحد نائي قضاء منبج ، ويشاطر الشيخ فصيح وابنه في الرئاسة أحد أبناء عمومته ، وهو الشيخ رأفت الغانم وهو صاحب قرى عديدة في منطقة الحمر ، ويقع في قرية رأس عين الحمر ، وبحسب من أبرز رجالات العشيرة ثروة وثقافة ،

ويذكر من الشيوخ أيضاً هدى الخلف المقيم في قرية أربعة الكبيرة ، وهو ممدوح السيرة في صدقه واستقامته ، ولا يزال جميع هؤلاء الولدة ورؤساءهم يقدمون عليهم الشيخ محمد الفرج السلامة الدندل رئيس الولدة الأكبر ، وعמיד آل الناصر المقيم في قرية الصفصافة في الضفة الشامية من قضاء الرقة .

أما فرق الولدة هنا فهي البو مسرة ؛ وهي أكبر الفرق عدداً ، والوردات والجعابرة والبو مانع وخفاجة والغانم والجعابات والبو حسن والصعب ، ففرقة البو مسرة في مشيخة محمد الغانم الحمد العجور ، في قرى بابيري وحبوبة الصغيرة وخربة الحجرة رقواس ووردة ، والوردات في مشيخة عمر العتيق في قرى جب خميس وجديدة مسطاحة وخربة برغوث وسودة وكسرة ، والجعابات في حويجة إسحاق وزبن ، والبو مانع في خربة عقله ورجم الأقرع وعطشانة وملاح ووضحة ، وخفاجة للشيخ أحمد العريف في قرى شعيب ومسكنة وحويجة فصيح ، والغانم في قرى الحمر التي هي ملكهم بموجب أسناد تملك ، وفي قرى من أملاك الدولة كخفصة الكبيرة وعارودة الكبيرة وعارودة الصغيرة وعين الشاطر وعين الجاموس وغيرها ، وأبو حسن للشيخ خلف الفرج في ردة الكبيرة وردة الصغيرة وفرقة الترن منها في رسم الغزال ، والصعب للشيخ علي الأحمد في أم رسوم وسمومة ، والجعابرة في خفية أبي قلقل .

وقد قدمنا في بحث قضاء جبل سيمان أن من الولدة أناس في عدة قرى في ناحية الزربة غربي مطبخ قنسرين ، يرأسهم الشيخ جميل بن عيسى شيخ فرقة الحويوات ، ومنهم أناس في جبل الأحص ، وهم من فرقة الصعب .

وثمة في قضاء منبج بعض عشائر صغيرة ، لم يتحقق لنا أرومتها وعددها ومكانتها ، منها البرق بفتح الباء والراء في قرية أو شرية ، والخنافرة في أم العظام ، ينتون إلى الموالي ، وأبو عيسى في أم جرن ينتون إلى الدليم ، والحديفة في أبي كهف ، يدعون التصوف والمشيخة ، والغراوين في جب الثور وأم عدسة لابدة ، حراثون عند الأمير مجحم بن مهيد ، والعدوان في خربة الحصان ، والمارندية في خان الشعر ، والبقارة في راطونيه وطحنة الكبيرة ، والسبخة في رسم الغزال وسمومة ، وأبو مسلم في صافية ، والحايط

في العطشانة ، وجيس في محترق الكبيرة ، والقرامطة في وريدة ، وهؤلاء من الكيار
والنعم الذين هم من فرق النعم المبعثرة في كل مكان ، وهم هنا في قرية أبو زكيج ،
وشيخهم شيخ الإبراهيم .

قضاء جرابلس

في هذا القضاء أفخاذ من عشائر شتى ظلت أصولها في قضاء منبج ، وجاء بعض
فروعها إلى قضاء جرابلس ، منها قسم من بني سعيد الذين في مشيخة شلاش الدرويش
المتقدم ذكره ، وهم هنا في قرى حلوانحي وطوخارتمو وغنمت ، وقسم من الغنائم المنتين
للولدة في غنمت وقبرائمة ، وقسم من أبو سلطان في طوخار سلامة وقيراطة ، وقسم من
الخراج المنتين لبني سعيد في عرب حسن صغير ومحسنلي وبلويران ، ومن عشيرة البرق في
أم روثة تحتاني وبلابان ، ومن (البوبطوش) في بوزليجه ، ومن العون في بل مغار
وكلكلي ومغرتين وحويجة الحمام ، ومن حسان في أم روثة فوقاني ، ومن العكيدات في
بلابان ومن المجادمة في حاجي كوسا ، ومن العجيل في قيراطة ، ومن العاري في
كريبجلي ، ومن غزة في قيراطة ، ومن المغار في الصريصات .



عشائر محافظة الفرات

قضاء دير الزور

في هذا القضاء من العشائر الريفية المتحضرة : البقارة و العقيدات .

البقارة

بقارة الزور عشيرة كبيرة قديمة ، تنزل في الضفة اليسرى من نهر الفرات (طرف الجزيرة) ، ومن بعد ٧٠ - ٨٠ كيلومتراً غربي مدينة دير الزور إلى بعد ٤٠ كيلومتراً شرقي هذه المدينة نحو مصب نهر الخابور عند البصرة ، وهي تعد من أكثر العشائر اختلاطاً بمدينة الدير ، ومصاهرة مع سكانها ، ناهيك بكثرة الصلات التجارية ، ووجود بعض الأسر في الدير التي تنتمي إلى بعض فروع هذه العشيرة .

وفي تاريخ هذه العشيرة وأصلها روايتان غير مدعومتين ببراهين ، شأن أكثر دعاوى الأنساب ، الأولى أنهم من بقايا قبيلتي أنمار وأياد اللتين كانتا في هذه الديار ، فإذا صح ذلك يكون البقارة مزيين عدنانيين ، وقدماء في أنحاء الفرات والجزيرة قبل الإسلام ، والرواية الثانية أنهم من أعقاب محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ، وأنهم بلغوا أنحاء الفرات في عهد الفتوح في قيادة عياض بن غم ففتح الجزيرة ، وهذه النسبة إلى محمد الباقر تخرج لتسميتهم بالبقارة ، لأن هذا الاسم لم يأتهم من تربية البقر ، فهم لا يعنون بالبقر أكثر من غيرهم من العشائر ، كما أنه ليس من عادة العرب أن تسمى العشيرة باسم الماشية التي تربيها ، ولا باسم المهنة التي تمارسها .

ويقول المقدم مولر الفرنسي أنهم شععان شرسون ، وقد بذلت جهود جمة لوقف

غاراتهم التي كانوا يشنونها على أعدائهم القدماء ، كالفدعان الخرصه قوم مزود بن قعشيش وجيس ويزيدي سنجار ، وما من مرة كانت توافيهم سرايا المهجاة الفرنسية إلا ويقابلونها بالرصاص ، حتى احتاج الأمر في عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) إلى استعمال الطائرات توصيلاً لجباية الغرامة التي فرضت على خمس فرق منهم كانوا قتلوا أحد مندوبي لجنة التحقيق عن النساء الأرمنيات اللواتي بقين عند البدو خلال تهجير الأرمن في سني الحرب العامة الأولى . إلا أنهم الآن على أحسن الصلات مع العشائر المجاورة لهم .

وللبقارة فرق كثيرة متباينة في العدد والقوة ، ولا يقل مجموعهم عن ٣٠٠٠ بيت ، وقراهم تقع في منطقة الانتخاب التي لمدينة الدير ، ومن ثم صاروا يشتركون في الانتخابات النيابية ، ويفوز أحد متقدميهم وهو الشيخ راغب البشير بالنيابة عن هذه المدينة ، على أنه من العشائر المجاورة ، أما شيخهم الأكبر فهو أسعد البشير ، وهو نافذ الكلمة ووافر الحرمة لديهم .

وفي تفرع البقارة يقال أن جدهم الأعلى كان له ولدان ، عابد وعبيد ، ومملوك عزيز عليه اسمه صالح ، ويزيد بعضهم ولداً ثالثاً اسمه سلطان . فهؤلاء أعقبوا ثلاث فرق :

- ١ - العابد : هؤلاء بين الدير والكسرة مع الشيخ أسعد البشير الذي يرأس فخذ البوعرب وأفخاذ هذه الفرقة ؛ أبو عرب والخنجر والرفيع والعبد الجادر والراشد والمحمد العابد ، وهذه الفرقة هي المتقدمة على غيرها بحكم وجود بيت الرئاسة فيها منذ أمد بعيد .
- ٢ - العبيد : هؤلاء بين الدير والبصيرة مع حسين الغانم الذي يرأس فخذ البومصعة الذي فيه بيت الرئاسة ، وعرافة العشيرة كلها ، وأفخاذ هذه الفرقة ؛ البومصعة والجاسم العبيد والعلي والهلامية والمناصرة .

- ٣ - البوسلطان : هؤلاء في ناحية الكسرة مع بدر العبد الله ، وأفخاذهم البورحمة والبوصالح والمشهور والبوشمس ، وبيت الرئاسة في فخذ الأبى صالح ، ويضاف إلى هذه الفرقة أفخاذ عديدة متفرقة كالبو بدران والعبد الكريم والبو حسن والبو شيخ والبو معيش والكليزات وبقارة الجبل ، والبو معيش يدعون الانتساب إلى عشيرة الولد علي من عنزة .

وقد نرح قسم من البقارة إلى الجزيرة العربية منذ أمد بعيد ، بعد أن ضاقت بهم قرى الفرات ، وتملكوا قرى في شمالي جبل عبد العزيز ، وسَمُوا بقارة الجبل تمييزاً لهم عن بقارة الزور الذين نحن في صددهم ، أولئك في شمالي جبل عبد العزيز ، وهؤلاء شمر الزور في جنوبه ، حيث يبلغون سفوحه الجنوبية في نَجعتهم ، وبقارة الجبل ينزلون في موقع الغرة غربي الحسجة ، وكانوا في مشيخة عيسى السليمان إلى أن قتل غيلة فخلفه أبنه عبد الكريم ، وبقارة الجبل يعدون من عشائر محافظة الجزيرة كما سيأتي ، وهم رحالة أهل ضرع في الغالب ، أما قرى البقارة في ضفة الفرات اليسرى فهي في ناحيتي كسرة ومراط ، وأسماؤها حسينية ومعيشية وسفيرة الفوقانية وسفيرة التحتانية وحطلة ومراط وكسرة ومظلوم وغشام وطابية وسعدوني وجديدة بقارة وجزيرة ميلاج وجزرة بو حميد وشاطي . أما منتجعاتهم ففي البراري الممتدة من غربي طريق دير الزور - الحسجة حتى سفوح جبل عبد العزيز ، حول تلؤل الطرمبة وأم مدفع ووادي الصماد وخربة الموزر وبئر برزان وتل التبان الجنوبية ، أي بين منتجعات الجبور والعقيدات في الشرق والعفادلة في الغرب .

والبقارة أكثر من جيرانهم العقيدات تعلقاً بالرعي وتربية الماشية ، ومما يسجل لهم بالحمدة نصرتهم أهالي دير الزور في دفع العدوان الفرنسي في شهر أيار سنة ١٩٤٥ ، وقد ألبوا فيه أكثر من العقيدات ، ومما يذكر من أحداثهم القديمة أن مجاورتهم في الغرب للعفادلة ، وفي الشرق للعقيدات والجبور ، لم تخلوا من الاصطدام والتناحر على المراعي والمناهل ، ومن أحداثهم الجديدة أنهم بعد أن كانوا في الماضي من حزب شمر شجر خلاف قوي بينهم وبين شمر (سنجارة) في سنة ١٩٤١ م من جراء التنازع على ملكية بعض القرى ، ونشبت معارك بين جموع ببقارة الجبل وبقارة الزور وجموع شمر مع أنصارها الشرايين وأكراد الكيكية قتل فيها مئة وثمانون نفساً من الجانبين ، بينهم بعض رؤساء شمر الذين لا تفتدى دماؤهم بديّة ، وخربت القرى ونهبت عروض ، وكان الفرنسيون ينفخون في أوار الفتنة حتى اتسعت واحتدمت ، ثم عقدت في العهد الاستقلالي عدة مؤتمرات للصالح ، ووضعت مقررات لم تنفذ بكاملها ، ولم تجلي الموقف بعد .

وهذه المعارك أكرهت البقارة على هجر قرأها ، وتبوير أراضيها ، والحرمان من غلالها ، ولم تكفها أنعامها في كفاف العيش ، فوقع في ضائقة شديدة .

ومن هؤلاء البقارة أناس انفصلوا عن عشيرتهم ، ونزحوا إلى شرقي حلب وغربيها ، وتحضروا ، وقطعوا صلاتهم بأصولهم ، أو كادوا ، وقد ذكرناهم في أماكنهم .

العقيدات

عشيرة كبيرة تعد أكبر العشائر الريفية في بلاد الشام عدداً ، وأوسعها منازل ، ومزارعاً ، وأبعدها في باب الوثوب والمقارعة أثراً ، وهي ليست من نجار واحد ، بل مؤلفة من فرق عديدة أكثرها أصلي ، وبعضها ملتحق ، وهي غير قديمة في وادي الفرات بل طارئة جاءت واحتلت هذا الوادي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري فيما يظن ، أما المنشأ وسبب التسمية بالعقيدات ففيها أقوال ، منها أنهم قحطانيون نشؤوا من نجد من قبيلة زبيد ، ومن جدهم الصحابي الجليل عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وقد تقدم معنا في أبحاث كل من عشائر الأبي شعبان والجبور وبعض عشائر جبل الدروز أنهم ينتسبون أيضاً إلى زبيد ، ولم تقطع بمن دعواه أصح في ذلك ، ويقول العقيدات أيضاً أن جدهم الأعلى كان اسمه سالم الصهبي ، نشأ في نجد من مجموعة قرى أو قرى منتشرة إلى الجنوب الغربي من حائل ، تدعى عقدة فسموا (العقيدات) ، ثم جاؤوا إلى وادي الفرات بقيادة عبد الله الهفل ، جد جدعان الهفل شيخ العقيدات الأكبر في يومنا ، وهذا سبب إجلالهم قدر الشيخ جدعان وآله .

وفي قول آخر أن العقيدات الأصليين هم أعقاب ثلاثة أخوة ، كامل (جامل) وكال (جمال) وزامل ، وهناك من يجعلهم أربعة ويضم اسم زمال إليهم ، ويجعل زمال هذا مقطوعاً أي محروم من النسب ، لكن هذا القول غير مؤيد ، وهؤلاء الأخوة الثلاثة أو الأربعة أبناء رجل اسمه غنام بن علي بن سالم بن صهبي بن مهيب بن عبد الله بن جحيش بن .. بن عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وأن علي السالم هذا هو الذي جاء بالعقيدات إلى وادي الفرات في القرن الثاني عشر ، فمانعتهم العشائر القديمة التي كانت فيه ، كالجبور والجحيش والدايم ، فقاتلوها وتغلبوا عليها ، ودحروا منها عشيرة الجبور إلى وادي الخابور الأوسط ، وعشيرة الدليم إلى وادي الفرات الأوسط في العراق ، وعشيرة

الجيش التي حاولت أن تهينهم ، فأفنوا معظمها ، وأبعدوا فلولها نحو براري الموصل ، ثم استصفى أعقاب علي السالم وادي الفرات بين الدير وأبي كمال وتوسعوا فيه ، ثم انضمت إليهم عشائر غريبة عنهم نسباً ، وإن كانت اليوم تعد منهم في الصميم ، كالآبي سرايا والآبي خابور والآبي حردان والآبي بدران والبقعان والآبي ليل والمجاودة والمشاهدة وأمثالهم ، وسموا جميعاً بعد ذلك بالعقيدات بحكم القسم الذي أقسموه على التعاقد والتناصر ، كما انضمت إليهم بعد فرق صغيرة ، وصارت منهم ، وإن كانت هي أيضاً في الأصل غريبة كالجيش والرحبين والمراشدة والمراسمة والفليته ، وأهل الجرزي وغيرهم .

والعقيدات يقطنون في قراهم المنتشرة في أقضية الدير والميادين وأبي كمال على ضفتي الفرات ؛ في اليمنى من البويطية إلى أبي كمال ، وفي اليسرى من جديدة العقيدات إلى باقوز إزاء أبي كمال . ويقطنون أيضاً في ضفتي الخابور من البصرة جنوباً إلى تل حسين وتل الشيخ حمد في شمال الصور ، حيث تبدأ حدود عشيرة الجبور . ويبيتهم في هذه القرى ليست من اللبن والحجر ، بل هي سبائيط جمع سباط يصنعونها من أغصان الطرفاء والغرب ، ويطلونها بالطين فتأتي أرطب من بيوت الشعر في إقليم الفرات الحار ، فهم في الصيف يأوون إلى هذه السبائيط ، وفي الشتاء إلى بيوت الشعر .

والرئاسة العليا على العقيدات في بيت الهفل ، وأكبر شيخ يمثل العقيدات في مؤتمرات العشائر هو الشيخ جدعان الهفل رئيس فرق الآبي كامل ، لكن سلطته الفعلية على فرقته دون غيرها ، ومصيبة هذه العشيرة الكبيرة هي في فقدان القيادة الموحدة ، وتحاذل الرؤساء بعضهم على بعض ، وعدم قبولهم أحياناً بانفراد الشيخ جدعان الهفل بتمثيل العشيرة كلها لوحده ، ولو أنهم يجلون قدره لاتصال نسبه بمؤسس العشيرة الأول ، ولا ريب في أن طبيعة السكنى على ضفتي الفرات المتباعدتين ، واتساع المنطقة ، وطولها البالغ في الشامية ١٦٥ كيلومتراً ، وفي الجزيرة ١١٠ كيلومتراً ، وصعودها نحو أعلى الخابور لمسافة ٧٥ كيلومتراً ، كل ذلك قد أدى إلى فقدان القيادة الموحدة ، وإلى التخاذل المذكورين ، وإلى حمل كل فرقة على اتخاذ خطة خاصة بها ، تتلاءم مع صالحها ، ومن ثم نشأ رؤساء مستقلون كل الاستقلال في تصرفاتهم عن بيت الرئاسة الأول .

أما عدد العقيدات فمختلف فيه ، يقدرونهم ب ٨٠٠٠ بيت . وأن عندهم ٥٠٠٠٠ شاة

عشائر الشام (٣٧)

و ١٣٠٠ بعير ، ونخوتهم العامة الأبرز ، وهالك بيان أسماء فرق العقيدات أو عشائر العقيدات ، وأسماء شيوخها وعدد بيوت كل منها ، الأبو كامل ٢٣٥٠ جدعان الهفل ، الحسون ١٢٠٠ مشرف الدندل ، البقعات ١٢٠ عثمان العبد الله ، الأبو حردان ٢٤٠ عقله السبيخان ، الدميم ٥٠٠ فارس الصياح ، الشعيطات ٣٨٠ راجو الخطيطة ، المشاهدة ١٦٠ مزيد البدوي ، المجاودة ١٤٠ صالح العشبان ، الشويط ٨٦٠ برغش الحمد ، الثلوث ١٧٥٠ تركي علي النجرس ، الأبو سرايا ٥٠٠ فياض الناصر ، البكير ٩٧٠ سليمان الحمادي ، ولد الشيخ عيسى ٤٠ نجم عبد الهادي ، المشاهدة ٢٠٠ عبيد الكلش ، الأبو خابور ١٠٠٠ خزام العساف .

أما نسب الشيخ جدعان الهفل رئيس العقيدات الأكبر فهو جدعان بن هفل بن عبد الله بن علي بن ظاهر بن حمد الثاني بن حمد الأول بن علي الملقب بدعيجل بن محمد بن غانم بن سويلم بن علي بن قطايع بن جامل (كامل) بن غنام بن علي بن سالم الصهبي الذي تقدم ذكر نسبه المتصل فيما زعموا بعمر بن معدي كرب الزبيدي ، وقد كان هفل أعقب أربعين ولداً تناسلوا ، فبلغوا الآن مئتي رجل ماعدا النساء .

ويذكر أن الجد الخامس ظاهر بن حمد الثاني أعقب ستة أبناء أنجبوا ست فرق تؤلف عشيرة الظاهر ، وأن من هذه العشيرة آل هفل ، شيوخ العقيدات جميعاً وهم في قرية ذيبيان على يسار الفرات في قضاء الميادين ، ويذكر أيضاً أن الجد السابع حمد الأول أعقب أربعة أبناء أنجبوا فرقة الموسى الصالح الحمد التي في قرية الشحيل ، ما بين البصرة والحوایج ، وفرقتا الطلاع الحمد والشهاب الحمد القاطنتان في الشحيل والحريجي ، ويذكر أيضاً أن الجد الثامن علي الملقب بدعيجل ، أعقب فرقة الدعيجل التي منها أفخاذ المشالبة والضالع ، وأن الجد العاشر غانماً أعقب من ولده بكر فرقة البكير التي منها أفخاذ الحجاج ، بها فيها العنابزة والمشرف وفخذ الكبيصة والفرج ، وأن الجد الثاني عشر علي أعقب من أولاده أرحمة ، الذي منه فرقة الأبي رحمة القاطنة في قرية جرزي ، وأن الجد الثالث عشر قطايع أعقب فرقة الشويطة ، وأن الجد الرابع عشر جامل كامل أعقب الثلث وأن الجد الخامس عشر (غنام) كان له ثلاثة أبناء جامل وجمال وزامل على ما قلنا (انظر شجرة النسب الملحقة) .

هذا وما عدا الرؤساء الكبار في العقيدات الذين عددهم ، فإن لكل فرقة أو لكل قرية مختار خاص مسؤول تجاه الحكومة ، ويمثل العقيدات في مجلس النواب نائبان ، وكلاهما من قضاء الميادين ، حيث تزدهم كثرتهم ، ويؤلفون سكان القضاء ، أما في قضاء البوكمال فالنائب حضري من سكان مركز القضاء ، رغم تفوق العقيدات في العدد بحكم تنازل رؤسائهم هناك .

شجرة نسب العقيدات

١ - شجرة نسب الأبو جامل (سكان قضاء الميادين ونواحي العشارة والبصرة والصور) ، قالوا أن جدهم الأعلى هو سالم الصهبي ، ومنه علي ، ومن هذا غنام وساري (جد الأبو سرايا) ، فمن غنام جاء جمال جد الأبي جمال ، وزامل جد الشيعطات ، وجامل جد الأبي جامل .

أما جامل فقد أعقب قطاع وفهد (جد الثلث) ، فمن قطاع علي ومرة فمن علي سويلم ورحمة (جد الأبي رحمة) ، ومن سويلم جاء غانم ومن هذا بكر (جد البكير) ومحمد ومن بكر بن غانم جاء مرعي (جد الحجاج) وخلف وقبيصة ، ومن خلف عنبر (جد العنابرة) والمشرف وجار الله ، أما رحمة فمنه المقدام والوساط والناصر والعلوي .

وأما مرة بن قطاع (جد الشويط) فمنه جاءت الخزات والمجاليب والخالدية والأبو عزام والمجاملة .

وأما فهد بن جامل (جد الثلث) فمنه جاءت الأبو حسن والقرعان ، والأبو حسن أعقب محمد وعزام وضاهر وشويط وخالد ونصر الله الجعدان .

وأما محمد بن غانم السويلم فقد جاء منه خلف (جد الأبي خلف) وعزالدين (جد الأبي عز الدين) وعلي الدعجل (جد آل دعجل) ومن علي الدعجل جاء إبراهيم (جد المثالبة) وحسن (جد الضالع) ومحمد الأول (جد آل حمد) ، ومن حمد الأول هذا جاء حمد الثاني وشهاب وطلوع وصالح الذي منه موسى الصالح ، ومن حمد الثاني جاء محمد الدعجل وظاهر الدعجل ، ومن ظاهر (جد آل ظاهر) جاء علي ومحمد وحسن وسليمان وصالح وحمد ، فمن علي الظاهر جاء عبد الله ، ومن هذا هفل ومن هذا جدعان ، وجاء

من كل أخوة علي الظاهر فرقة خاصة تسمى باسم جدها ، وتقتطن في قرية منفردة ، وأما القرعان الذين من أعقاب فهد الجامل ، فقد تفرعوا إلى الشنان والبو عواد وحسن الأقرع وحمد المحمد .

٢ - شجرة نسب الأبو جمال (سكان قضاء البوكمال) ، هؤلاء يتفرعون إلى الحسون والدميم والشعيطات والأبو مريح ، فالحسون يتفرعون إلى المحمد والعلي والمحمد ، والحمد إلى الأبي عبد الله والداغر والعبد الصالح ، والعلي إلى الدندل والخنة والمجاليب وعبد اللوق ، والمحمد إلى الشلال والعويش والمحموش والحجاج والمشعانة ، أما الدميم فيتفرعون إلى طوطحة وعجارجة وآذار وعباس والحجاج والحجاج ، والشعيطات يتفرعون إلى العليوي والعراقية والخليل .

لواحق الأبي جمال - البوقعان ، المجاودة ، المشاهدة ، المراسمة ، المراشدة ، الجغايفة ، الأبو بدران ، الأبو حردان ، الحليبية .

لواحق الأبي جامل - الجحيش ، الفليطة ، البو خابور ، البو ليل ، الزباري ، الأبو سرايا .

تاريخ العقيدات القديم - يظهر أن انتساب العقيدات إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي غير مؤيد بسند صحيح ، كما أن رجالاتهم البارزين غير متفقين على رواية واحدة في تاريخهم القديم ، فقد ذكر المقدم مولر في كتابه عن أصل العقيدات ثلاث روايات ، ففي رواية ينسبها إلى تركي النجس رئيس الثلث ، أن أصلهم من عقدة في نجد^(١) وأنهم نزحوا من نجد قبل خمسة قرون ، وجاءوا واستقروا بين حلب وحماة ، ودخلوا تحت سيادة أمير الموالي ، ودفعوا له خوة ، ثم قبل قرنين حدث نزاع بين الموالي والعقيدات بشأن فرس كان أمير الموالي يرغب أخذها منهم ، فقام نحو ٣٠٠ بيت منهم ، ونزح إلى الزور في أنحاء الميادين ، وكان ينزل هذه الأنحاء عشيرة الجبور وحدها في مشيخة محمد أمين الملحم جد مسلط باشا الصالح ، وكان هذا يقطن في السويدية تجاه العشارة ، ونشبت معارك

(١) في كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبه ، ص ٧٥ أن عقدة مجموعة ست قرى منتشرة في مزارع النخيل في واد واقع إلى الشمال الغربي من حایل عاصمة نجد ، يبلغ سكانها ١٨٠٠ نفس .

استظهر فيها العقيدات ودحروا الجبور إلى وادي الخابور ، وبقي قسم من العقيدات في منطقة الموالي (حماة وحصص) ، ويعدون هناك نحو ألف بيت في مشيخة خلف الإبراهيم ابن عم تركي النجرس .

وفي رواية ثانية نسبها المقدم مولر إلى حمود الشلاش رئيس الأبي سرايا ، أن العقيدات جاؤوا من الين ، واستقروا في نجد قرب آبار زبيد ، ومن هناك هاجروا في عهد جده السادس علي ، ومروا بالعراق إلى أن بلغوا أنحاء الدير ، أما عقيدات أنحاء حصص وحماة فقد جاؤوا مباشرة من نجد إلى حيث هم الآن .

وفي رواية ثالثة نسبها إلى جدعان الهفل الرئيس الفعلي لفرق الأبي كمال ، والرئيس الأعلى الأسمى للعقيدات كلهم ، أن العقيدات لما جاؤوا من الجنوب بقيادة جده الهفل العبد الله ، استقروا بين التبنين وأبي كمال ، وكان الجبور يشغلون الضفة اليسرى التي تجاههم ، فتعاركوا واستظهر العقيدات ، ودحروا الجبور نحو الخابور ، وكان العقيدات وقتئذ مؤلفين من عشائر متعددة مختلفة المنابت ، فاضطرت لاتقاء خطر أخصامها الكثر إلى أن تتعاقد ، فسميت بالعقيدات ، ومن هذا يظهر أنه ليس ثمة قرابة بين الأبي سرايا والأبي خابور ، وبين سواهم من العقيدات كالبكير والأبي جمال والأبي جامل .

تاريخ العقيدات الحديث - بعد أن استقرت العقيدات في وادي الفرات ، ودحرت منه عشائره القديمة ، كالجبور والدليم والجحيش ، وتبسطت صارت عنصر فتن وقلق في هذه الديار ، التي كانت مهمة في عهود الانحطاط الأخيرة للدولة العثمانية ، فقد كانت حوادث النهب والسلب ، وشن الغارات لا تنقطع ، وطريق القوافل من حلب إلى بغداد غير آمن ، إلى أن كان عهد السلطان عبد العزيز فر المشير عمر باشا الخرواتي في طريقه إلى بغداد ، وضرب دير الزور ، وجاء بعده ثريا باشا ملك زاده والي حلب في سنة ١٢٨١ هـ على رأس قوة كبيرة ، فدخل دير الزور ، وأخضع العقيدات وغيرهم من عشائر الفرات ، وحملهم على التحضر والحرق والزرع ، وأنشأ قضاء في دير الزور وعهد به إلى قائم مقام اسمه عمر باشا أبي منقور ، لنقرة كانت في أنفه ، ثم جعل أخلافه دير الزور في سنة ١٢٩٧ هـ مركز لواء مستقل ، مرتبط بعاصمة السلطنة ، يضم محافظتي الفرات والجزيرة الحاليين وناحية تدمر وقسم من لواء الموصل .

إلا أن العقيدات لم يثوبوا إلا بعد حملات مكررة من سرايا الجند البغالة ، أخصها في زمن أرسلان باشا الذي قدمنا ذكره مراراً ، وفي زمن المتصرفين الذين خلفوه ، ولا سيما المتصرف أحمد رشيد باشا (١٣١٩ هـ) ، وقد نكبوا من حملات الجند هذه ، ومن غارات عنزة وشمر وطبيء وجيس ودليم ، ومن غارات بعضهم على بعض ، وخاصة من المجاعات والأمراض السارية التي فتكت فيهم ، في سني الحرب العظمى الماضية حينما كانوا يتصلون بقوافل الأرمن المبعدين إلى ضفاف الفرات والدجلة ، ويلبسون ثياب موتاهم المهالكين بتلك الأمراض وأخصها التيفوس ، وربما لبس بعض رجالهم ثياب الميتات من النساء ، ومشى بها لجهلهم التمييز بينها وبين ثياب الرجال أو للحاجة ، وقد أدركت ذلك لما كنت بين ظهرانهم بمهمة مكافحة الجراد في سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) ، إلا أنهم ما أن انسحب الترك في سنة ١٣٣٧ (١٩١٨ م) حتى ثاروا على الإنكليز الذين كانوا وصلوا من العراق إلى هذه الأنحاء . وجرت معارك عديدة في الصالحية ووادي علي وتل مدقوق في شتاء سنة ١٩١٩ م وريبعها ، دارت الدائرة فيها على الإنكليز وقتل منهم مئات ، رغم طائراتهم وسياراتهم المدرعة ، وقد أسقط العقيدات يومئذ عدداً من هذه الطائرات ، واستولوا على عدد من تلك السيارات ، وذبجوا ركبها ، كما نهبوا بلدة أبي كمال ، فانسحب الإنكليز إلى وراء الحد الذي نصبوه في نقطة القائم ، وتركوا البلاد لأهلها وللحكومة الفيصلية .

وكان قائد العقيدات يومئذ في الوثوب على الإنكليز رمضان الشلاش ، وهو من بيت الرئاسة في فرقة الأبى سرايا ، ومن الضباط العثمانيين القدماء ، وخريج مدرسة العشائر في الأستاذة ، وقد كان وقتئذ حاكماً عسكرياً في قضاء الرقة ، جمع جيشاً من عشيرته الأبى سرايا السباقة إلى الوثوب والحروب ، ومن عشائر العفادلة والولدة والسبخة وقسم من عنزة ، وعارك الإنكليز الذين جاؤوا من الفرات وتجاوزوا وادي حوران ، الذي هو في رأيه الحد الطبيعي بين الشام والعراق ، فقام يطردهم إلى وراء ذلك الحد .

وجاء الفرنسيون في أواخر سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) عقيب احتلالهم دمشق وحلب ، وزحفوا نحو وادي الفرات لإخضاعه ، وكانوا في قيادة الرئيس ترانكا يرافقه ويناصره الأمير مجحم بن مهيد شيخ الفدعان ومعه عشائره ، فقاومتهم عشيرة الأبى سرايا وخربت الجسور في طريقهم ، إلى أن بلغوا دير الزور واحتلوها في تشرين الأول سنة

١٩٢٠ م ، لكن العشائر لم يرق لها ذلك ، وشرعت تناوئهم ونهب الأبوسرايا قافلة عسكرية قادمة من حلب ، وهاجمت فرقتا الأبي حليحل والأبي عمرو من فرق الأبي خابور سرية افرنسية في جنوب الدير ، وفتكتا بها ، ولما قصفتهم الطائرات ، قاموا وهاجموا مطار الدير ، وأحرقوا سبع طائرات ، فخرج الزعيم ديووفر من حلب ، بحملة كبيرة في تشرين الثاني ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) وبلغ دير الزور دون أن يلاقي عقبة في سبيله ، لأن العشائر التي في طريقه استسلمت وتوسلت بالصفح عما بدا منها ، وأعادت الأسلاب والغنائم ، ورضخت لما فرض عليها من الضرائب (قالتها مجلة المشرق في عددي آب وأيلول ١٩٣١ م)

وشاءت وقتئذ حكومة دير الزور المحلية أن تستعين بهذه الحملة ، وتجي الضرائب المتراكمة على العشائر ، وشاء الفرنسيون انتهاز هذه الفرصة لبسط رهبتهم ، فقام ديووفر بجيشه ومدافعه وهاجم في ضفة الفرات اليسرى قرية خشام وأهلها شذمة من العنابزة من البكير الأشداء ، وكان هؤلاء لما شعروا بالجيش أبعدوا عيالهم وحلالهم إلى الشامية ، وغيرها واستعدوا للبراز ، واستبسلا وفتكوا بالمهاجرين ، وكان أحدهم حينما ينفذ عتاده ، يلقي نفسه في الفرات ويذهب سباحة إلى ضفة الشامية وينجو ، ثم زحف ديووفر إلى البصرة عند مصب الخابور ، فدافعت العشائر ولا سيما فرقة البكير دفاعاً باسلاً ، إلى أن سقطت البصرة تحت ضغط المدافع ، وقصف الطائرات ، وتفوق القوى النظامية الزاحفة ، وتبعته الصور التي كان فيها جنود من الترك ، وقد مني جيش ديووفر في هذه المعارك بخسائر جسيمة ، اعترف بها الكتاب الذهبي لجيش الشرق فقال « لأن المهاجرين من الفرنسيين انطلقوا في أرض منكشفة ، تصفعا نيران عدو كثير العدد (نحو ٣٠٠٠) متنع في استحکامات حصينة ، ومدرب على الرماية ، ويحسنها إلى حد أقصى » أ هـ . بينما ذكر لي أحد مرافقي هذه الحملة من موظفي مالية دير الزور ، أن عدد أفراد العشائر المدافعة في هذه المعارك لم يبلغ عشر العدد المذكور ، وأن استحکاماتهم لم تكن أكثر من حفر الكروم ومجاري السواقي ، وأن العنابزة المذكورين كانوا المبرزين في هذا الدفاع ، وأن ديووفر لما دخل البصرة أباحها ونهبها نهباً فظيعاً ، وجبى موظفوا المالية وقتئذ نحو ١٦٠٠٠ ليرة ذهبية ، وهذا فوق ما خسرت العشائر من الأموال والأرواح ، وفي الكتاب الذهبي المذكور

أيضاً أنه كان يناصر الجيش الفرنسي في هذه المعارك أبناء إبراهيم باشا الملي ، وأن الأعمال الحربية استمرت إلى أواسط تشرين الثاني ، وأخلى الجيش بعدها بلدة الميادين ، وقصفت بعدها المدافع فرق الشيعيات ، التي حاولت عرقلة عبور الجيش من الفرات إلى الصالحية ، ودارت المراسلات مع رؤساء بقية العشائر المتقدمين للخضوع ، إلى أن انتهى الأمر وساد السلام في المنطقة كلها .

لكن العقيدات لم يخضع كلهم بالمرة ، فقد كان بعضهم يتنعم أحياناً عن دفع الضرائب الأميرية ، فتذهب الحملات وتضربهم ، كما جرى مع فرقة الشيعيات في قضاء أبي كمال ، ثم كانت تغد إليهم سرايا الغزاة من العمارات على الأبي خابور ، ومن شمر علي الأبي كامل ، ويدافعونها بشدة ، وضرب بعض الأبي سرايا في سنة ١٩٢٥ م سيارة تحمل ضباطاً فرنسيين ، في موقع عين أبي جمعة ، وقتلهم وألقوهم في جب ، فأعدم الفرنسيون القتلة ، وعذبوا ونفوا من ظنوا أنهم شركاء لهم ، وقصفت الطائرات بيوت الأبي سرايا ، وتكرر هذا الوثوب في سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ م خلال الثورة الشامية الكبرى ، وفي سنة ١٩٣٠ م في مركز قضاء أبي كمال ، وتكرر من جراء ذلك قصف الطائرات ودفع الغرامات ، وقتل الأبرياء مع المذنبين إلى أن تعب العقيدات ، وخضعوا خضوعاً تاماً من ذلك الحين ، وأخرجوا من صنف العشائر الرحل ، وسجلوا في قيود النفوس ، وأدخلوا في صنف الحضر ، وأتبعوا في جرائمهم إلى المحاكم النظامية ، فانصرفوا من ثم إلى الحراثة والزراعة ، ونصبت في قراهم محركات ومضخات عديدة ترفع ماء الفرات الغزير ، وتحبي تلك السهول الخصبة في ضفتيه ، فانقلبوا بحكم العمل والإنتاج عاملاً اقتصادياً هاماً في منطقة الفرات ، لاسيما وهم كثيرو الولادة والنسل ، شديدي النماء .

وفي حادثة العدوان الفرنسي الأخير (أيار ١٩٤٥) ، السذي انتهى بجلائهم ، كان للعقيدات كافة ، ولقسم الأبي جمال منهم خاصة أعمال مشكورة .

أما وقائع العقيدات وحروبها مع العشائر فهي كثيرة ومستمرة ، وأخصها مع شمر الجزيرة وعزة ابن هدا (العمارات) ، كما لها وقائع كثيرة مع عشائر الدليم وطيء وقيس ، ومع بعضها البعض ، ومع الجبور الذين تواقعوا معهم في ربيع سنتنا هذه (١٩٤٧ م) ، من جراء الخلاف على المراعي فقتل وجرح عدد من الفريقين ، ولولا مداخلة المصفحات

والطيارات السورية لتفاقم الخطب ، وكان العقيدات فيما مضى يدفعون الخوة إلى عنزة وشمر ، قيل أن أول من رتب عليهم الخوة هو ابن حريميس شيخ فرقة العجاجة من (الفدعان الولد) ، ودام مفعولها إلى أن قام ابن هذال شيخ العمارات وقتل الشيخ علي النجرس رئيس فرقة الثلث من العقيدات في موقع وركة ، وعلى أثر هذا الحادث هاجت العقيدات ، وشرعت تغير على البدو كلهم وخاصة على العمارات ، ومنعت الخوة عن الجميع ، وأُنزلت القاصية أي الشدة عليهم ، وذلك بتجهيز الرجال والحنشل والغزاة ، ودام الحال على هذا المنوال إلى أن قطع الفرنسيون دابر هذه الفتن ، وقد قيل أن لمشرف الدندل شيخ فرقة الحسون اليد الطولى في رفع شأن العقيدات في معاركهم المذكورة ، وأشد أعداء العقيدات هم شمر الجزيرة ، فبينها خلافات مستمرة على المراعي والمناهل ، ولطالما جرت بينهما غارات (ذكرناها في بحث شمر) قتل في إحداها أخو الشيخ عجيل الياور في غزوة كان يقودها على العقيدات داخل حدود بلاد الشام ، واسترد العقيدات ما كان أخذه من غنهم ، كما استردوا في وقعة سابقة غنم الشيخ بنان الهفل التي سلبتها شمر ، ولم ينجل الموقف بين الفريقين بعد ، بشأن هذه الخلافات المتكررة ، رغم جهود السلطتين في الموصل ودير الزور .

أما فرق العقيدات القاطنة في قضاء الدير فهي الأبوسرايا والأبوزابور والأبوكامل (قبضة) والأبوليل ، وإليك وصفها :

الأبوسرايا

قيل أنهم ليسوا من العقيدات الأصليين ، وإن أخواهم من عشيرة المسعود الشمرية النازلة في أنحاء كربلاء والمسيب في العراق ، وقيل بل إنهم ذوو قرى بعيدة مع العقيدات ، يتصلون بهم عند أحد أجدادهم ، وهو فيما زعموا ساري بن علي بن سالم الصهبي ، وهو أخو غنام ، وينقسم الأبوسرايا إلى عدة أفخاذ : الأبوعزام والأبوعز الدين والأبوشعيب والأبو حمزة والعفشيات والأبومطر والأبوزياب والموسى ، والمشيخة في فخذ الزياب ، والشيخ الآن أحمد الفياض الناصر العبد الله السليمان الزياب ، وهو يقطن قرية الشميطية غربي دير الزور ، وكانت المشيخة في يد حمود الشلاش العبد الله السليمان الزياب أخو رمضان الشلاش ، ثم على أثر حوادث سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) التي قتل فيها ضابطان

فرنسيان في عين أبي جمعة - كما قدمنا - وسدت المشيخة إلى ابن عمه فياض الناصر العبد الله ، ومنه انتقلت إلى ابنه أحمد ، ومنازل الأبي سرايا في الشامية بين الدير والتبني ، وهم فرقة مستقلة ونزاعة للوثوب والحروب دائماً ، نخوتهم أختهم صبحه ، ويزعمون أن أختهم صبحه هذه قتلت لوحدها اثني عشر جبورياً ، ومثلهم من شمر ، وذلك في الحين الذي استقرت العقيدات في هذه الأنحاء ، وقراهم شمالي الدير حتى مخفر التبني وأسماؤها البويطية والطريف وشميطية وخريطة وعياش والبعيلية ، وقد أنجبت فرقة الأبوسرايا وفخذ الذياب ضابطاً عسكرياً باسلاً ، هو رمضان شلاش الذي قدمنا ذكره ، وقد عمل مدة من الزمن في حركات الثورة العربية مع المرحوم الملك فيصل فعينه حاكماً عسكرياً على الرقة ، ثم نبه ذكره في مناوأة الإنكليز الذين بلغوا دير الزور من العراق ، وفي إثارة الأبي سرايا وبقيّة العشائر ، وحملهم على مهاجمة دير الزور في ١١ كانون الأول ١٩١٩ م ، وعلى إخراج الإنكليز من هذه الأنحاء ، ثم في مناوأة الفرنسيين في بدء احتلالهم دير الزور ، واشترك بعد في الثورة الشامية الكبرى ، ولكن لم يثبت فيها وقتئذ بل أثر الانسحاب والاستسلام ، والسكنى في مدينة بيروت ، وهو الآن متقاعد في دير الزور إلى يومنا هذا .

الأبو خابور

قيل أن أصلهم من عنزة (عمارات الحبلان) ، وقيل بل هم من العقيدات ، ومن فرق الأبوكامل ، وقيل بل من حلفائهم المتقاعدين معهم ، وهم ينقسمون إلى أفخاذ الأبوحليحل والأبو عمرو والأبومعيط ، فالأبوحليحل ينقسمون إلى العلي والأبودرباس والأبو حوري والأبوعساف والأبوسويد ، وجميعهم من ناحية موحسن ، ورئيسهم يونس العبد ، وهم أغنياء بالغنم ، ولهم مراعي وآبار خاصة بهم في البادية على طريق محطة تي تري ودير الزور ، وقد بنوا هناك دوراً ، أما الأبوعمر فينقسمون إلى الأبوجرص والأبوفواز ويقطنون في قرية العبد ، ورئيسهم عيبان عبيد ، أما الأبومعيط فينقسمون إلى الأبوحسن والأبودج والأبودهام ، ويقطنون في قرية المريعة ، ورئيسهم محمد الهندي ، ولأبي خابور عارفة يحتكون إليه ، وهو ابن يونس .

الأبوليل

قال رئيسهم الشيخ صالح الموسى الصالح أن الأبا ليل ليسوا من العقيدات

الأصليين ، بل من حلفائهم ، وهم ينتسبون إلى عشيرة عبدة من شمر ، وإلى أرومة عقاب بن عجل رئيس فرقة اليحيا والعارفة المشهور ، وأن جدهم الأعلى محمد البشر كان نزح من نجد ، لاختلاف نشأ بينه وبين أقاربه ، فجاءوا ليلاً وتعاقدوا مع العقيدات ، وهاجوا الجبور سوية . وفرقهم المنصور والعلي والأبي خلف والظريفات والأبو هلاهل والأبي عيسى يقطنون في قريتي الطوب والقطعة المجاورتين لمخفر موحسن ، ورئيسهم الشيخ صالح الموسى الصالح أبو الهيال الذي يصل نسبه بضيغم بن حمد بن قحطان ، وقد اجتمعت به في مخفر موحسن ، وأجابني على أسئلتني ، ومن الأبي ليل قسم في قضاء جبل سمعان ذكرناه في بحثه ، وقسم في العراق شرقي الموصل ، وقسم مع الجبور ومع البكير ومع الأبي كمال في قرية السيادة .

البكير

هؤلاء من العقيدات الأبي كامل ، ومنازلهم في الجزيرة على الفرات ، وعلى الخابور إلى تل حمد ، الذي يفصل بينهم وبين الخابور شمالي الصور ، ومنهم فرقنا العنابزة وجار الله تقطنان في قرية خشام الجزيرة ، ومنهم أولاد مشرف يقطنون قرية جديدة العقيدات في الجزيرة أيضاً ، أما ناحية الصور التي تشمل وادي الخابور الأسفل ، فقد كانت للبكير وحدهم ، إلى أن باعوا أكثر أملاكهم ونواعيرهم من الديرين ، بأبخس الأثمان ولم يبق في أيديهم ، سوى قرى الخريجية والمويلح ومعجل وغريبة والنبلية وبرشام ، وهناك قرية طيبة الفسال يقطنها ولد الشيخ عيسى ، وفرق البكير هم العنابزة وجار الله والحجاج والمشرف ، ومختارهم علاوي الصالح في قرية سعلو ، وقد قدمنا ذكر الدفاع الباسل الذي قامت به فرق البكير في وجه حملة ديوافر في البصرة ، ولاسيما فرقة العنابزة منها في خشام .

قضاء الميادين

ناحية المركز (الميادين)

إن سكان بلدية الميادين أشتات ، جاؤوها من منابت مختلفة ، قطنوا في بادئ الأمر في موقع الرحبة المسماة بالقلعة ، (وكان اسمها في التاريخ رحبة مالك بن طوق) فسما بالقلعيين وتكاثروا ، قالوا وقد حدث ذلك منذ قرن ، وهم ينقسمون إلى أسر البو خليل والبو مصطفى والبو ناصر ، وثمة أيضاً فرق مختلفة كالمشاهدة من مشهد ، والعانيين من عانة ، والراويين من رواة ، والديرين من الدير ، أما العشائر في هذه الناحية فهي الجحيش والعقيدات من بطن الأبي كامل (البو جامل) .

الجحيش

هؤلاء بقايا الجحيش الذين أباد العقيدات معظمهم فيما مضى على أثر إهانتهم امرأة عقيدية ، رفعوا ثوبها من وراء وسخروا بها ، فجاءت قومها بهذه الحالة ، فقالوا لها استتري ، فأجابتهن وهل أنتم رجال حتى استتر ، فاستوضحوها الأمر فأخبرتهن ، فوثبوا على الجحيش وأفنوا معظمهم ، وقد بقيت شردمة منهم في قريتي محكان وفاطسة ورئيسهم أمين الخلف العجيل ، وقد كان للجحيش ماضي حافل بالوقائع والغزوات ، يسودون وادي الفرات قبل ورود العقيدات ، والفرق واضح بينهم وبين العقيدات في الدم واللون ، وفي قرية فاطسة غير الجحيش المذكورين أناس يدعون (الفليته) ، ينتسبون إلى الروالة وكبيرهم يدعى مطلق العلي الصالح .

أما العقيدات فمنهم في هذه الناحية بعض فرق الأبو كامل (آل دعجل الظاهر) ، ففي قرية ذيبان مقر الشيخ جدعان الهفل وأقاربه فرقة البوعز الدين ، وفي قرية الرغيب فريق الحسن الظاهر من آل ظاهر الحمد الدعجل ، وفي قرية الحوايج فريقا السليمان الظاهر والصالح الظاهر ، وفي قرية الشحيل فريق صالح الحمد من آل دعجل أيضاً وفريق موسى الصالح وفريق الطلاع وقسم من الأبي عز الدين ، وفي قرية سعلو فريق العساف الظاهر من البكير ، وفي قرية الزباري أعراب من غير العقيدات ينتمون إلى

عشيرة الدليم ، يمتنهم العقيدات ولا يصاهرونهم ، لاختلاط دمهم بالعبيد ورؤسهم صالح
المحمد العيسى الزباري .

ناحية البصرة

إن سكان قرية البصرة (قرقيساء القديمة) أشتات ، وأكثرهم من أهل الدير ، وهم
الديريون والقلعيون القادمون من الميادين ، وبعضهم من القبصة من فرقة البكير ، ومن
البو عميري من عشيرة الجبور ، والجُميلات من عشيرة قيس ، ومن البوفهد من عشيرة
العبيد ، وفي قرية برهة تقطن فرقة القبصة (البكير) التي تقدم ذكرها في قضاء الدير ،
ومختارها هنا سليمان المظهور الحمادة ، وفي قرية الصبحة تقطن فرقة المشاهدة القريبة من
العقيدات ، والتي تنتمي إلى مشهد الإمام علي في العراق ، قيل إنهم جاؤوا إلى هذه الديار
منذ قرن ونصف ، ومختارهم عبيد الكلش ، وفي قرية برشم قسم من فرقة القبصة
(البكير) ، وقسم من القضاة وهم فخذ من عشيرة الجبور ، وقسم من القلعيين المنسوين
إلى قلعي الميادين ، وفي قرية الحريجة تقطن فرقة البكير ، وفيها أربعة أفخاذ الحمد
الغنم والكامل والخضر والأركيوات ، وفي قرية الحريجي فرقة الموسى الصالح الحمد آل
دعجل ، وفي قرى طيب الفال والفدغي وخرمز والصور والبساتين أولاد الشيخ عيسى
المتوفى منذ قرنين ونصف ، وكان مقامه في البصرة ، وينتسب إلى الطريقة الرفاعية ،
وكذلك أعقابه الحاضرون . ومن ثم كان هؤلاء رجال دين محترمين عند العشائر ، بل إن
أكبرهم في السن هو الذي يرأسهم ، وهو الآن السيد علي الخليف المقيم في قرية حرمز قرب
الشداي ، وهم ينجعون البادية في الربيع ، ولا يبقى بالقرية إلا المحرومون من الماشية ،
الذين يراقبون الزروع ، وهم يعدون نحو ١٢٠ بيتاً ، وفي قرية ضمان يقطن قسم من
القضاة ، وهم فخذ من عشيرة الجبور .

وفي ناحية البصرة عشيرة علي الظاهر إحدى عشائر العقيدات الأبني جامل ، ومنهم
آل الهفل شيوخ العقيدات جميعاً ، ويقطن معظمهم في قرية ذبيان على يسار الفرات ،
وبعضهم في قرية المويلح غربي الخابور ، وفرقة الحمد الظاهر تقطن قرية الفاطسة التابعة
ناحية الميادين ، وقد كان لهذه الفرقة قبلاً النفوذ والسيطرة ، يرأسها الآن محمد
الدرويش ، وفرقة حسن الظاهر في قرية الرغيب التابعة ناحية الميادين ، يرأسها خلف

العمير ، وفرق صالح الظاهر وأحمد الظاهر وسليمان الظاهر تقطن في قرية الحوائج التابعة ناحية الميادين ، وهذه الفرق الست من أعقاب ظاهر الجد الخامس لجدة ان الهفل ، وفي ناحية البصرة في قريتي شحيل والحريجي فرق موسى الصالح والطلاع الحمد والشهاب الحمد ، وهم من أعقاب حمد الأول بن علي الدعيجل .

ناحية العشارة

إن سكان قرية العشارة خليط من القلعين ، ويدعون الويسات والبو ناصر (الآغاوات) ، وفي هذه الناحية من فرق العقيدات الأبي جامل فرقة الشويط في قرى دبلان وصبيخان وغريبة وكثمة وأبو حردوب ، والشويط ينقسمون إلى أنخاذ الخالدية والمجاليب والمخزات ، وينقسم فخذ المجلب إلى عدة أفناد : العيسى والخنيفس والعزام والحمد ومجبل وركيوه ومجبله وخالد وفاعور وملحم ، ورئيس الشويط هو برغش الحمد الوكاع ، وفي هذه الناحية أيضاً من الأبي جامل فرقة أبو أرحمة في قرى الدوير وجردى ، وينقسمون إلى أفناد الناصر والوساط والعلوي والمقدام والناشية ، ومخاتيرهم كوان الجبارة ومحمد الخلف ، وفيها أيضاً فرقة الأبو حسن من الثلث في قرى العشارة وسويدان الشامية وسويدان الجزيرة ودرنج ، وهم ينقسمون إلى أفناد نصر الله الجعدان وخالد الجعدان وشويط الجعدان وضاهر الجعدان وعزام الجعدان ومحمد الجعدان ، ومخاتيرهم أحمد العلي النجوس وحامد الحية وكرحوت العجاج ، ولأبي حسن عناية فائقة في تربية عتاق الخيل وفحول السفاد ، وفيها أيضاً فرقة القرعان من الثلث في قريتي القورية جهة الشامية والطيانة جهة الجزيرة ، وأهل القورية ينقسمون إلى أفناد الشنان والبو عواد وحسن الأقرع وحمد الحمد ، ومخاتيرهم زكي الحاجي وسراي العبد ، وقد اشتهر أهل الطيانة بإتقان تربية الماشية أكثر من كل العقيدات في هذه الناحية ، وباقتناء عتاق الخيل لأجل المغازي وحفظ الحلال ، وأكثر إقامتهم في البادية ، وقد شارك قسم منهم عشيرة شمر في المعيشة ، حتى غلبت لغة شمر على لغتهم ، مختار قريتهم تركي بن منادي الخليل ، وفيها أيضاً فرقة الزباري التي أصلها من الدليم ، ويمتثلها العقيدات ولا تصاهرها لا اختلاط دمها بالعبيد ، ورئيسها صالح الحمد العيسى الزباري .

هذا وجميع فرق العقيدات المذكورة في ناحية العشارة يرأسهم تركي بك النجوس ،

رئيس فرق الثلث ، ونسبه تركي بن علي بن نجرس بن علي بن حسين بن نصر الله بن جعدان ، وهو من خريجي مدرسة العشائر ، ونائب قضاء الميادين ، ومن الرجال البارزة في محافظة الفرات وبين رؤساء العقيدات ، تولى الرئاسة بعد وفاة أخيه عبد الكريم باشا ، وكنيته أبو النوري ، وكان ضابطاً في الجيش العثماني برتبة قول أغاسي ، وهو يجيد اللغة التركية .

مناهل العقيدات ومنتجعاتهم - إن لكل من فرق العقيدات وحتى لكل من أنفاذها مناهل خاصة ، وإذا كانت الفرقة والفخذ قوية تتسلط على هذه المناهل وتزدود عنها ، وإذا كان الربيع رديئاً يحوم كل منهم حول أي بئر من الآبار ، حتى إذا جاء صاحبه تركه وسار إلى غيره ، وإذا كان قوياً بقي مكانه إلى حين نشوب النزاع بين الرعاة .

فالחסون يربعون في وادي الرتقة المشهور بجودة مراعيه ، وإذا كانت السنة ماحلة يبعدون حتى الحمية في وادي المياه ، وفرق عقيدات الجزيرة يعبرون الفرات من المزارع ، أو في السفن ويبلغون وادي الرتقة ، والشعيطات يربعون في بئر أبو شديخة وغدير أخو سعدة وغص البحيح ، والقرعان يربعون في وبا وعاقولة وغدر الماء والدخول ، وقرعان الجزيرة حول آبار العوجة كحليب هداج وأم الغروب ، والشويط لا يبعدون كثيراً عن الفرات إلا في بعض السنين ، يبلغون جبل البشري ، والأبويل يربعون في بئري قوادل وعواجل ، وربما بلغوا العاقولة ، والزباري في الزنبوط شالي العاقولة ، والأبو خابور يجتمعون حول الآبار العائدة لفرقهم ، فالأبو حيايا على طريق الدير ومحطة تي تو ، أو على هصبا ، أو بئر الجديد على محور دير - تدمر - الدخول وغدر الماء . والأبو سرايا يشتون حول آبار البشري بعد أن تترك عنزة الفدعان هذه الآبار ، وتتوغل نحو الجنوب ، أما البكير في الجزيرة فلهم مراعي جيدة واسعة ، ومناهل عديدة في المثلث الذي بين الفرات والخابور ، أما العنابرة فلهم الرميلان والبديع وقلش على طريق الصور وحنيطل ورويشد وسويلم والفياض والبوير والقنطاري ، أما الدعجل يصادفهم المرء حول قصيبان وهداج وبوجزلة ومويلخت وقعطيه وحتى حول الآبار التي تخص الدميم ولا سيما القلبان الخمسة أو آبار المويلحة .

قضاء أبو كمال

كل عشائر هذا القضاء من العقيدات الذين تقدم وصفهم ، وربما كانت منازلهم الأصلية حينما وفدوا في القرن الثاني عشر في هذا القضاء الذي سمي باسم أحد بطونهم أبي كمال ، ومنه انساحوا نحو الغرب ، فبلغوا في ضفة الفرات قضائي الميادين والدير ، ثم أقضية حمص وسلمية ودوما على ما بيناه سابقاً ، وهناك من يدعي بأنهم حينما وفدوا من نجد من أبار عقدة نزلوا براري حمص وسلمية يحملهم ابن حريميس رئيس العجاجة من الفدعان على أبارعه ، ثم انحرف قسم منهم إلى ضفة الفرات ، فاستطابه واستقر فيه ، وفي ظننا أن الأمر على خلاف ذلك ، أي أن المنازل الأولى كانت في أقضية الفرات ، ولا سيما في أبي كمال ، ثم حصل الانتشار نحو الأقضية الغربية التي عددناها .

ومهما يكن فالعقيدات في قضاء أبي كمال هم من بطن الأبي كمال (أبي جمال) وينقسمون إلى اثني عشر فرقة لكل منها أفخاذ ثم أفناد عديدة ، وهم :

(١) الحسون من الأبي كمال الأصليين ، في رئاسة آل الدندل القاطنين في السوسة ، والرئيس منهم الآن مشرف الدندل ، وقرى فرقة الحسون هي الغبرة والهري والسويعية والسوسة والحسرات ، وأفخاذ الحسون هي الحمد الحسون والعلي الحسون والحمود الحسون ، فالحمد الحسون ينقسمون إلى الأبي عبد الله في رئاسة عبد الفارس ، والداغر في رئاسة عاصي الأحول ، والعبد الصالح (ابو صويلح) ، والعلي الحسون ينقسمون إلى الدندل والخنة والمجاليب وعبد اللوق ، والحمود الحسون ينقسمون إلى الشلال والعويش والخموش والحجاج والمشعانة ، وإذا اشتبكت هذه الأفخاذ في معركة تنقسم إلى معسكرين ، فبعضهم ينضم إلى الداغر وبعضهم إلى العساف أو الدندل ، ومن لواحق الحسون الجغايفة والمراشدة والحلبيين الذين أصلهم من الجبور .

(٢) الدميم من الأبي كمال الأصليين ، وقراهم المصلخة والصالحية والبحرة ، وأفخاذهم ستة ؛ طوطحة في رئاسة حمد الحمد ، وعجاجة لإبراهيم الفندي ، وعباس لخضر الحمد ، والحجاج لأحمد الحسين ، والمجاح لعبود الفارس ، وإذار لعلي الأذار ، وجميعهم في رئاسة فارس الصياح المقيم في الصالحية .

(٣) الشيعيات المتحدرون من زامل بن غنام بن علي السالم جد العقيدات الأعلى ، ولذا يدعونهم أيضاً بالزميلات ، وقد اشتهروا ببسالتهم وقسوتهم وكثرة مواليدهم ، ولهم فخذان ؛ الحنفور في رئاسة لاحج العلي العمر وأحمد الزعلان ، والجدوع في رئاسة عبد الرحمن الجزاع ، وهو المتقدم في هذه الفرقة ، أما قراهم فهي غرائج وأبو حمام وكشكية (جشجية) ، وهذه القرى في الجزيرة تجاه الصالحية التي كان اسمها (دورا أوروبس) .

(٤) الأبومريح : من الأبي كمال الأصليين ، يقطن في قرية سيال والشعفة منها فخذ الخليل لعزب الحمد الهرة ، وفخذ العراقية لجاسم الفندي ، ويقطن فخذ العليوي في قرى المقطوعة والطابوية .

(٥) البوقعان : فرقة غربية عن العقيدات ، تدعي الانتساب للعبيد النازحين إلى العراق ، وهم فخذان ؛ العلي لعماش العبد الصالح ، والبوعيسى لجوير الهويدي . وقراهم الرمادي في الشامية ، وتل أبو حسن في الجزيرة .

(٦) المجاودة : وهذه الفرقة أيضاً غربية عن العقيدات ، وتجهل منشأها وزمن مجيئها ، وقد تواقعت مع الدميم وقعة دامية على أثر نزاع على أرض إلى أن اشترتها بالميزاد ، وهي تقطن في قرية البقعة في الشامية ، وفيها فخذ المناصرة وشمير ، ومن فروع المناصرة العشبان والطارش والعرفوش ، ومن فروع شمير بيضان والعراصة والمنصور .

(٧) المشاهدة : وهذه الفرقة أيضاً غربية عن العقيدات ، وهي تزعم أن أصلها من العراق ، ومن مشهد الإمام علي ، وفيها فخذان الهزاميش والشهابات في رئاسة معيدي البرجس ومزيد الحمد ، وهي تقطن في قريتي السكرية والجدلة ، والجدلة تعد من أحياء الصالحية ، ومن هؤلاء المشاهدة قسم في قضاء الحسجة في أنحاء الحمة ، وأبو حامضة والعوجة وأطراف جبل عبد العزيز ، وقسم في غربي حمص جنوبي بحيرتها ، وقسم في غوطة دمشق على ما قدمناه .

(٨) الأبوحردان : وهذه أيضاً غربية عن العقيدات . تزعم أن أصلها من عشيرة العبيد في الموصل ، تقطن في قرية هجين في الجزيرة ، ولها ثلاثة أفخاذ ، أبو فقرة لعللي الدعيان ، والأبو حديد للطيف العوجان ، والصبيخان لجابر السيجان .

(٩) المراسمة : من الغرباء عن العقيدات ، وأصلها من الجبور أعقاب مرسوم من ولد جابر ، تقطن قرية الباغوز في الجزيرة إزاء أبي كمال ، وفيها فخدان البو دغمش لقلعي الشريدة ، والبو مصطفى الهادي الصباح ، وما يجدر ذكره أن قرية الباغوز غريبة الموقع والمنظر ، وفيها هضبة عالية تدعى (تل هري) فيها مقبرة أثرية من عهد ماري الآشورية ، وقد جرت فيها حفريات هامة ، وهذه المدينة تعود إلى ما قبل الميلاد بألفي سنة ، وفي منحدرات هذه القرية نحو الفرات مغارة عظيمة ، يتحدثون عنها بأقوال خرافية مروعة ، وفي هذه القرية أيضاً غير المختارين المذكورين رجل صوفي يعتقدون ببركاته يدعى الشيخ إبراهيم .

(١٠) المراشدة : كذا من الغرباء وأصلها من الجبور ، تقطن قرية السوسة ، في الجزيرة التي هي للدندل رؤساء الحسون ، وللمراشدة فخدان ؛ العيبان لربيع الدخيل ، والوزرة لعللي العبد ، والمراسمة والمراشدة تابعون لفرقة الحسون التي يرأسها مشرف الدندل ، وليس لهما كيان اجتماعي كبير كغيرهما من الفرق .

(١١) انبغايضة : كذا من الغرباء وأصلها من السديم وقيل من شمر ، تقطن في السوسة والهرى والغبرة مع الحسون ، وفيها ثلاثة أفخاذ ؛ السطام لرجا السطام ، والعللي لعللي العبد المفلح ، والأبو جليلد لنجم العبد الله .

(١٢) الأبو بدران ، فيها فخذ واحد في رئاسة علي الحاجي ، وتقطن في شمالي قرية السوسة ، وهي من الغرباء أيضاً ، وتنسب إلى زين العابدين .

قضاء الرقة

ينزل في هذا القضاء الواسع في قسمي الجزيرة والشامية عشائر عديدة بعضها متحضر قليلاً أو كثيراً ، كالأبي شعبان وفروعها ، وبعضها من البدو الأقحاح ، كالفدعان من عنزة .

الأبو شعبان

عشيرة كبيرة ذات فروع عديدة تنتسب إلى جدها الأعلى شعبان الذي يقال له أنه

الجد الخامس عشر لسوعان بن راكان العليوي شيخ فرع السبخة منهم ، ويقال عن نسب شعبان المذكور هو ابن معروف بن عبيد بن جبير بن مكتوم بن لبيب بن صهيب بن عمران بن كرم بن عكرمة بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عكرمة بن عمرو بن معدي كرب الزبيدي الصحابي الجليل الملقب بأبي ثور ، أحد فرسان العرب المغاوير ، الذي أدرك الإسلام ، وشهد القادسية ، واستشهد بنهاوند زمن عمر رضي الله عنه ، وله حوادث جمة في العراق ، وعمرو بن معدي كرب كما هو معلوم من قبيلة زبيد المتفرعة عن قبيلة مذحج ، التي أبوها مالك بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، ومالك هو أخو طيء جد قبيلة طيء التنوخية التي مر ذكرها ، ومن المعلوم أن قبيلة زبيد كانت كأختها طيء نزحت من اليمن على أثر حادثة سد العزم ، وجاءت معها إلى جبلي أجأ وسلمى ، وظلت إلى أن دهمتها قبيلة شمر ودفعتها فمالت طيء وزبيد إلى أنحاء العراق والشام وغيرها ، ولا يزال في العراق والشام عدة عشائر متفرقة تدعى (الزبيدات) تنتمي إلى زبيد ، ومن النظر إلى عمود النسب الذي زعموه ، يرى أنه بين شعبان وعمرو بن معدي كرب ثلاثة عشر جداً إذا حسبنا لكل منهم نصف قرن يكون بدء ظهور عشيرة الأبي شعبان في القرن الثامن الهجري ، ومعنى ذلك أنهم بقوا في العراق (في حويجة العبيد) نحو أربعة قرون ، ثم نزحوا في القرن الثاني عشر ، وجاؤوا إلى قضاء الرقة ، ودحروا منه عشيرة قيس (جيس) ، واستقر كل فرع منهم في منزله الحالي ، وبانتساب الأبي شعبان إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي يكونون أبناء عمومة عشيرة العقيدات وعشيرة الجبور وعشائر جبل الدروز وعشيرة بني سعيد في قضاء منبج ، وكلها يدعي نفس النسبة ، والله أعلم .

ويقال أن أعقاب شعبان هم محمد وسبيع وهيازع ومفيلح ومعروف ، وأن من محمد جاء فرع العفادلة ، ثم فرعا الفردون وأبو محمد القاطنان في محافظة حلب في أقضية جبل سمعان والباب ومنبج ، حسبما ذكرناه في أبحاث هذه الأقضية ، ومن سبيع جاء فرع السبخة القاطنون في ناحية السبخة ، والذين منهم فرع اسمه أبو سبيع القاطن في قرية قصبي في ناحية التبيني ، ومن هيازع جاء فرع الولدة القاطن في غربي قضاء الرقة ، في قسي الشامية والجزيرة ، ومن مفيلح جاء فرع البوعساف القاطن في أعلى وادي البليخ ، ومن معروف جاءت فروع الأبي جرادة والجماسة والأبي حميدي ، وهناك فرقة أبو حمد القاطنة في ناحية السبخة ، يقال أنها ليست من الأبي شعبان ، بل هي من عشيرة العبيد ،

التي كانت من أنحاء دير الزور ، ونزحت إلى الحويجة في الموصل على أثر مزاحمة شمر ، وقد جاؤوا الأبي شعبان واندمجوا بهم ، ومهما يكن فإن الأبي شعبان جمع من العشائر والفرق المتحضرة الريفية المستقرة في وادي الفرات من شمس الدين (٣٢ كيلاً شمالي شرقي مسكنة) إلى التبي (٥٠ كيلاً شمالي غربي دير الزور) وهم يلقبون بشوايا الفرات والبليخ ، بينما هم لا يرضون بهذا اللقب ، بل يفتخرون بزبيد ، وينادي بعضهم بعضاً يازبيدي ، وعيهم من أرياف العراق ، واعتيادهم على حياة شبه حضرية سهلاً لهم الانتشار ثم الانصراف نحو الحرث والزرع ، فوق عنايتهم بالضرع ، وهناك من يقول ليس للأبي شعبان جد مشترك ، ولا وشيجة قرى ، ويستدل على ذلك بتفرقهم بعضهم عن بعض ، ومعيشة كل فريق منهم واستقلاله لوحده .

وفرق الأبي شعبان في قضاء الرقة خمسة : العفادلة والأبي عساف والسبخة والولدة والأبي جراده ، وهاك وصف كل منها :

العفادلة

عشيرة كبيرة من الأبي شعبان ، منصرفة إلى الزراعة ، منازلها في الجزيرة على البليخ من الرقة في الجنوب إلى تل خنيز في الشمال ، وعلى الفرات من الرقة حتى خس دكتور (٦٠ كيلاً شرقي الرقة) ، ولها بضع قرى في الشامية تقع جنوبي الرقة مباشرة ، وعدد بيوتها ٣٠٠٠ وعندها نحو ٢٠٠٠٠ شاة و٢٠٠٠ بعير ، وشيوخها الأكبر بشير الهويدي الشلاش العلي المشلب الدرويش الحمد الدياب الذي توفي حديثاً (شباط ١٩٤٧ م) ، كان يقطن في مستجد نقيب قرب الرقة ، وكان رحمه الله جليل القدر موفور الكرامة ، بين بدو قضاء الرقة وحضرها ، وأكثر خلافاً العشائر وقضاياها كانت تحلها الحكومة في بيته ، ويذكر من أولاده الكثير مجحم البشير الهويدي أحد نواب قضاء الرقة البارزين الذي خلفه في المشيخة ، ويذكر أيضاً ابن فيصل الحمد الهويدي ، وقد عرف هذا بذكائه ونشاطه ومشاطرته عمه وأولاد عمه في إدارة شؤون العشيرة ، وفرق العفادلة هي : الدياب لبشير الهويدي ، والمدلج لمشلب الدرويش ، وموسى الضاهر لحسين الدرويش الشيخ جمعة ، والغانم الضاهر لسلم العلي الدندل ، والشبل لأحمد العبد الخلف ، والبريج لمحمود الخابور ويوسف الدياب ، والجماسة لإبراهيم موسى ، والحليسات لأحمد الحمد ، والحواس لإبراهيم

العجل ، والمجادمة لإبراهيم العشة ، هذا ويمتاز العفادلة بأنهم أخصام الفدعان ، منذ أن قتلوا نواف الحوران ابن أخي الأمير محمد آل مهيد في سنة ١٩٢٥ ، حينما جاء لجمع الخوة منهم ، وأن بيت المشلب عندهم يعد أعلى بيوتات الأبي شعبان قدراً ، ويليه بيوت الغانم والناصر في الولدة ، كما يمتازون بأنهم أشجع الأبي شعبان وأشدهم نزوحاً للحرب والوثب ، ولطالما حاربوا الدولة العثمانية في عهد مشلب الدرويش جد الشيخ بشير الهويدي ، أما لمجعتهم فحول المناخير وبئر الطرفاوي في براري الجزيرة ، وفي سنة ١٩٢٦ ، تنازعا مع الفدعان على بئر الطرفاوي وما حوله من المراعي ، وجرت معارك وسفكت دماء ، إلى أن صالحتهم حكومة دير الزور ، وانتهى الأمر على قاعدة (الحفر والدفن) .

الولدة

عشيرة كبيرة من الأبي شعبان ، بل ربما كانت أكبرها ، وهي في قيادة بيت الناصر المعداد من بيوتات الأبي شعبان الكبيرة ، ومنازل الولدة في ضفتي الفرات أي في الجزيرة وفي الشامية من شمس الدين إلى الرقة ، ويزعمون أنهم لما جاؤوا إلى منازلهم هذه ، أجلوا عنها عشيرتي الحديديين وجيس ، وأن تسميتهم بالولدة من جراء معركة كبيرة قتل فيها كل رجالهم ، ولم يبق سوى الأولاد ، ولما ترعرع هؤلاء وتنازلوا ، سميت أعقابهم بالولدة بكسر الواو وسكون اللام فعدوا أرومة العشيرة ، وقد قسم الفرات هؤلاء الولدة إلى قسمين : ولدة الجزيرة ولدة الشامية ، فولدة الشامية يقيمون في ناحية السبخة من الدبسي حتى قرية السحل في ضفة الفرات اليمنى ، وأفخاذهم الحويوات للشيخ علي الحجبي ، والعجيل للشيخ إبراهيم الحمود ، والمناصر للشيخ عبد الله الأحمد الفرج ، وجميعهم يعدون نحو ألف بيت ، ورئيسهم الأعلى هو الشيخ محمد الفرج السلامة الدندل ، وهو أجل مشايخ الولدة قدراً ونفوذاً ، وله قريتا الصفصافة وهنييدة في جنوبي غربي مخفر الحمام ، وقد اتخذ مقره في الصفصافة ، وله ابن أخ اسمه الشيخ بركات ، انتخب نائباً عن قضاء الرقة ، لما كان عمه الشيخ محمد منفيماً في جزيرة قران الواقعة وسط البحر الأحمر مع دهام الهادي شيخ شمر وغيره ، وقد بقي في هذا المنفى نحو سنتين ولم يعودوا إلا بعد توسطات مكررة ، انتهت في أواخر سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) ، والشيخ بركات هذا هو ابن أحمد الفرج المتوفى ، الذي كان ذا شهرة طائلة في سخائه وكرمه الخاتمي .

أما ولدة الجزيرة فيبلغون نحو ٢٥٠٠ بيت ، يدير شؤونهم بالنيابة عن الشيخ محمد الفرج ابن عمه الشيخ شواخ الأحمد البورسان ، المقيم في قرية شمس الدين ، وهو يعد حليف عشيرة جيس المستتركة بحكم مصاهرته لها ، وفرق ولدة الجزيرة هي الناصر فرقة شواخ والأبو جابر لعائيد الضيف ، والشفرات لمحمد العلي ، والمرادات لدخيل الكلاح ، والجعابات لعبد البليخ ، والعامر لحسن الحلف ، والبوظاهر لمبروك السليمان والعلي لسلم الناصر ، أما أفخاذ العجيل والمحمدون والعامرة فليس لهم رؤساء ، وقد انفصلت فرقة كبيرة اسمها الغانم من مجموع عشيرة الولدة ، ونزحت في حدود سنة ١٢٦٧ هـ في زمن محمد باشا القبرصي والي حلب إلى جنوبي قضاء منبج ، وأخرى إلى جنوبي قضاء جبل سمعان وشرقي قضاء إدلب ، وقد مر بحث هؤلاء في أماكنها ، وعدد قرى الولدة ٤٠ منها ١٦ في الشامية ، و٢٤ في الجزيرة وأراضيهم في هذه القرى خصبة مغلاله ، ولو زاد سعيهم لحسن حالهم أكثر مما هم عليه الآن ، قيل إن لديهم ٣٥٠٠٠ شاة مما يدل أيضاً على رخاء .

هذا وقد قدمنا في بحث عشيرة الفدعان الولد ، حديث العداء والعراك الناشبين بين الفدعان الولد وبين هؤلاء ، فليراجع .

الأبو عساف

عشيرة من الأبي شعبان ، منازلهم في أعلى وادي البليخ بعد منازل العفادلة ، وتقع في الثلث المؤلف من تل حمام وتل أبيض وعين عيسى ، وعددهم ٥٠٠ بيت ، ويعدون أقل الأبي شعبان انصرافاً إلى النجعة والتبدي ، وهم أخصام عشيرة جيس منذ زمن بعيد ، والرئاسة في يد خلف الحسان المقيم في على باجلية ، وقراهم من الجنوب إلى الشمال الغازلي والمهيشة والشررق والكيرو وعلى باجلية ، ويقطن بعض الأبي عساف في قرية عين عيسى ، مقر الأمير مجحم ، وفي قرى العروس والخانونية ومنكلى ، وفرقهم العمشات والفقرة والخليفة والوادي والأردني والملافقة .

الأبو جرادة

فرقة من جيس ؛ وعدم آخرون من الجيش الذين كانوا في وادي الفرات ، فجاءت العقيدات ودحرتهم . سموا باسم جرادة ابنة أحد رؤسائهم ، عددهم نحو ٥٠٠ بيت ،

متوزعون في القرى المحاذية للخط الحديدي غربي تل أبيض ، ونصف هذه العشيرة أهل
ضرع يتبدى دائماً في مسافات قصيرة ، ونصفها الثاني يعمل في الزراعة ، وعندهم نحو ٦٠٠٠
شاة ، رئيسهم إبراهيم العبد الله ، وفرقهم الروالة والعقرب والمنيف والجوخدار والدناوة
والبشامة .

السبخة

عشيرة كبيرة من الأبي شعبان ، منازلهم في الناحية المسماة باسمهم ، وهي في الضفة
اليمنى من الفرات (الشامية) ، ويقعون تجاه عفادلة الجزيرة وشرقي عفادلة الشامية ، أي
من قرية كسرة محمد آغا حتى قرية السويدية ، ورئيسهم الشيخ راكان بن سوعان العليوي
أحد رؤساء الأبي شعبان البارزين ، وأفخاذ السبخة : ذياب العساف للمحم الفياض ، ومحمد
العساف لمحيدي المطلق ، وضاهر العساف لصياح الطراد ، والأبو دبش لمشعل المعيوف ،
وشمر لسليمان العبد الستار ، والأبو محمد لصالح الحمد العقلة ، ومن قائل أن هؤلاء الأبي
محمد ليسوا من الأبي شعبان ، بل من العبيد سكان حويجة العبيد في الموصل ، لكنهم اندمجوا
في الأبي شعبان بعد أن جاؤروهم ، ويقدر عدد السبخة بـ ١٥٠٠ بيت ، وعندهم ١٥٠٠٠ شاة
و ١٤٠٠٠ بقرة . ونجعة السبخة محدودة ، لا تتجاوز شمالي البشري ، فهم متحضرون جداً .

الأبي سبيع

ومن فرق السبخة (الأبي سبيع أو الأبي سبعة) ، انفصلت هذه الفرقة عن أمها
السبخة بتاتاً ، واستقرت ناحية التبي بين التبي ومعادان ، وهي في مشيخة عبيد
السفيري ، ومنها قسم استقر في قضاء الباب كما قدمنا .

الجماسة

وفي ناحية السبخة أيضاً فرقة (الجماسة) منضمة إلى الولدة وقيل إلى العفادلة ،
ولا يعرف منشؤها تماماً ، وقيل إنها لاتزال في هذه الناحية ، منذ أن مر بها في سنة
١٠٤٨ هـ السلطان مراد الرابع العثماني في طريقه لفتح بغداد .

هذا وفي قضاء الرقة وسط أرض الجزيرة عشائر أخرى متحضرة صغيرة ، من منابت

مختلفة ، جاءت واستقرت من عهد بعيد في ضفاف البلخ الأعلى ، وهي التركان والمشهور والجيام والنعم .

التركان

قوم متحضرون ، وإن كانوا مقيمين في بيوت الشعر ، منازلهم في الضفة الشرقية للبلخ جنوبي عشيرة المشهور وبين قريتي تل حمام وسلوك ، وهم وإن كانوا تركان لمحاً ودماً ، لكنهم مستعربون بالمرّة ، ومنقطعون عن التركية ومشخصاتها منذ أجيال ، ويعدون هنا من أحسن الزراع بوداعتهم وحسن عملهم ، وأفخاذهم الطوالة للشيخ مصطفى الحسن ، والنجاجير للشيخ حميدي الشواح ، والإسماعيليين للشيخ خلف إبراهيم ، وهو رئيس الكل ، وذو ثروة وسيادة وسمعة جيدة ، وقد تزوج أخوه أخت جاره رئيس الأبي عساف خلف الحسان ، وله من الملك نصف قرية الحمام ، وعدد هؤلاء ٣٠٠ بيت وعندهم ١٠٠٠٠ شاة و ١٥٠٠ بقرة .

الجيام

عشيرة صغيرة نصف حضرية ، وتنضوي إلى عشيرة الأبي جرادة ، وهي تدعي دعوى غريبة بكرم المحتد ، فهي تقفز عبر القرون والأجيال ، وتلحم نسبها بإبراهيم الخليل عليه السلام مباشرة ، رغم مرور ٣٠٠٠ سنة عليه ، بينما هم قيمون على المقام المنسوب لهذا النبي الكريم في عين العروس ليس إلا ، ورؤساؤهم الشيخ إبراهيم الصالح والشيخ حمود المحمد ، وعددهم نحو ٨٠ بيتاً ، ويقيمون في قرى المعاجلة والعطشانة والهكشة والقطار ، وهم يتبدون في بعض السنين في البراري المجاورة ، وعندهم ١٥٠٠٠ دونم من الأراضي الزراعية .

المشهور

أعراب سمووا بهذا الاسم ، لأنهم فيما زعموا أنقذوا عشيرة طيء من فتك الموالي ، في معركة دارت بينهما في زمن ماض ، وأصلهم من البقارة الذين في دير الزور ، وهم يقطنون عند نبع البلخ في قراهم ، كالمنبطح وتل أبيض وحويجة عبيدي وخربة الرز وفرجة ولقطة ، وهم رغم تقدمهم في الحضارة ما برحوا يأوون إلى بيوت الشعر ، ورؤساؤهم خليل

الإبراهيم الجلود وعددهم ٣٠٠ بيت ، وقد كانوا قبلاً أحلاف جيس ويعدون من الفرق الميسورة ، إذ أن لديهم ٨٠٠٠ شاة ، وثمة فرقة من الهنادي المصري الأصل الذين تقدم ذكرهم في بحث قضاء الباب ، يقيمون مع المشهور ، ويقطنون في قرية رسم الغزال ، ويعدون نحو ٥٠ بيتاً .

النعيم

فرقة صغيرة من عشيرة النعيم المشتتة كثيراً في كل مكان ، إلا أن هذه الفرقة تدعي الحجيء من الرها داخل الحدود التركية منذ ربع قرن ، فهل بلغ النعيم إلى تلك الديار أيضاً ؟! وهم قلائل نحو عشرين بيتاً في مشيخة محمد المستو ، يقيمون في منطقة مخفر محسن شرقي تل أبيض ، وفي الشتاء والربيع ينجعون البادية .

أما العشيرة البدوية الرحالة في قضاء الدير فهي عشيرة الفدعان :

الفدعان

الفدعان عشيرة عنزية من ضناً بشر ، وهي من عشائر عنزة الكبيرة العدد الجليلة القدر ، المنيع الجانب ، البعيدة المنتجع ، قال عنها البسام المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ في كتابه الدرر المفاخر « ومنهم من قبائل حلب الفدعان من عنزة ، ذوي الوعود المنجزة ، والهبات المبرزة ، وهم أربع عشائر منهم آل غبين والخرصة والولد وآل مهيد وكل قبيلة من هؤلاء ألف سقماني وألف خيال » ، وهم كما قال ، ومن ثم لفوا ببوابة الديار ، وبحمران النواظر .

وقد اختلفت الأقوال في زمن قدوم الفدعان من نجد إلى بادية الشام ، فمن قائل أنهم جاؤوا بعد الأحسنة والولد علي في القرن الثالث عشر ، هم والأسبعة والعمارات ، وهذا القول استنتجناه من تاريخ الأمير حيدر الشهابي^(١) ، وهو المرجع الوحيد لوقائع بلاد الشام خلال القرنين المذكورين ، فقد نقل هذا في أحداث سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٤ م) أن جموعاً عظيمة من الفدعان والأسبعة والعمارات وأمثالها من عشائر عنزة قدمت من نجد هرباً من الجسدب والضيق ، وانتشرت في شرقي العاصي في براري حماة والمرة ، وأن والي دمشق

(١) كتاب لبنان في عهد الأمراء الشهابيين تأليف الأمير حيدر أحمد الشهابي طبع بيروت سنة ١٩٢٣ م .

سليمان باشا السلحدار خشي وقتئذ أن يستبيحوا حمى المعمور ، فساق عليهم جيشاً اشترك فيه منها الفاضل شيخ عشيرة الأحسنة والدريعي شيخ عشيرة الروالة لعداء سابق بين الفدعان وبينها ، والفئتان تنتسبان إلى عنزة جد العرب الأكبر ، فأرسل لهم سليمان باشا أمراً بالرجوع عن بلاد حماة ، فاعتذروا أن سبب قدومهم هو ضيق المعيشة في بلادهم وفقدان العشب لطروشهم ، وأنهم قاصدون المرعى لمدة شهري الربيع إذا أراد الوزير ، وأنهم يقيموا ركب الحاج ، ويأخذوا أقل ما كان يأخذه أخصامهم منها والدريعي ، فلم يرض الوزير بذلك ، وخشي أن يكونوا طلائع الوهابيين ، وجرت المعركة بينهم وبين الجيش المذكور حول مياه سامية ، التي كانت خراباً يباباً في تلك الحقبة ، فلم يفز الجيش منهم بطائل قال « وكانت خيالة العربان لابسين الدروع ، وزلهم يضربون في البارود ، وكان لهم خبرة عظيمة في ذلك » وقال أيضاً « أن الفدعان غاظها اشترك الأحسنة مع الدولة فغزت البعض من خيل فدعان إلى منها ، فنهبوا بيوتهم وجمالهم ، ولم يتركوا لهم غير النساء والأولاد » قلت : فإذا صح مجيء هذه الجموع من ضناً بشر حول سنة ١٢٣٠ هـ فيم إذن العداء القديم الذي ذكر المؤرخ الشهابي وجوده بين الفدعان والأحسنة (ضناً مسلم) ، أكان لأن الفدعان ولواحقها من عنزة وردت في سنة أسبق من التي ذكرها المؤرخ الشهابي ، فحدث هذا العداء من مزاحمة الفدعان للأحسنة في السيادة على بادية الشام ، أم أن العداء قديم العهد ، منذ أن كانوا في ديارهم الأصلية في قلب الجزيرة ؟

والأمير مجحم الذي سألته عن هذه الأمور يجعل مجيء الفدعان إلى بادية الشام قبل الأحسنة ، وغيرها من عشائر عنزة ، ويعلل سبب العداء بين الفدعان والأحسنة إلى كون الفدعان حموا أمراء الموالي من فتك الأحسنة ، حينما لجأ إليهم هؤلاء الأمراء ، بعد أن قتلوا الملحم شيخ الأحسنة في مكان اسمه (تلعة الملحم) في أنحاء دير الزور ، ثم أن الفدعان أخصام شمر منذ زمن قديم ، فقد ذكروا أن الفدعان لما وفدوا مع الأسبعة والعمارات اتحدوا مع الموالي ضد شمر ، وزاحموا شمر على بادية الشام ودحروها إلى الجزيرة الفراتية ، ثم لحقوها إلى الجزيرة وأبعدوها من أطراف البليخ ، كما أبعدوا عشيرة جيس (قيس) نحو الحدود التركية الحالية ، ومن ثم كانت العداوة مستحكة بين الفدعان وشمر وجيس ولم ينقطع شن الغارات ، وأخذ الشارات بينهم طوال عشرات السنين ، وحتى إلى ما بعد

احتلال الفرنسيين ، وتحت سمع ضباط العشائر وبصرهم ، إلى أن تمكن هؤلاء بعد لأي من إقرار الصلح بين الفدعان وشمري في سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) في مؤتمر عقد في دير الزور ، وتصافي رؤساء الفريقين مدة ، ثم استيقظت الفتنة ثانية في صيف عام ١٩٢٩ م في شمالي جبل عبد العزيز من جراء النزاع على المراعي ، وتدخلت السلطة الفرنسية وقصفت بالطائرات إبل شمري مرتين وأبعدتها ، ثم جمعت لجنة تحكيم في دير الزور في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٢٩ م ، وعقد الصلح وساد الوئام بين الفريقين إلى يومنا هذا ، أما العداء بين الفدعان وجيس فقد ظل بدون فصل حتى الآن .

وخاصمت الفدعان العارات أيضاً بسبب النزاع على مراعي القعرة ومنازلها ، وخاصمت أيضاً الروالة وحاربتها بالاشتراك مع الأسبعة ، على أنهم ذوو قرى من عنزة ، وأشهر حروبهم مع الروالة حدثت حوالي سنتي ١٢٨٧ و ١٢٩٢ هـ ، وكان عقيد الفدعان وقتئذ وفارسهم المغوار وداهيتهم في الحرب والإرادة جدعان بن مهيد جد الأمير مجحم الحالي ، وقد كان جدعان طائر الصيت والوقائع ، وكان بدء أمره أنه لجأ مرة إلى شمري عقيب حادثة قتل ، ولما عاد إلى عشيرته رأى أن أحد أبناء عمه يود زواج امرأة كان هو يريد لها لنفسه ، فبارزه لأجلها وقتله ، ومن ثم ذاعت شهرته بالفروسية والبراعة ، وصار عقيد الحرب على الفدعان كلها ، ثم على الأسبعة أيضاً ، حينما كان في نزاع واقتتال مع الروالة ، وكان جدعان ذا رأي صائب في المجالس ، وتدير نافذ في السياسة ، ومضاء عزم في المعارك ، وقد حملته هذه المواهب ، على أن يخاضم الدولة العثمانية ، ويقاوم جندها مراراً ، حتى أنه في سنة ١٢٨٧ هـ هزم لها جنداً كبيراً في أنحاء بالس « مسكنة » ساقه والي حلب درويش باشا ، فرأت الدولة من سبل الإخضاع والإرضاء أن تقطع جدعاناً عشرين قرية في أنحاء جبل الشبيث ، جنوبي بحيرة الجبول ، عله يستقر هو وعشيرته فيها ، ويتحضر ويكفيها شره ، لكنه اكتفى بتسجيل هذه القرى على اسمه ، وصار يستغلها بأيدي فلاحين حضر ، وظلت عشيرته بادية إلى يومنا هذا ، وقد ورث ابنه تركي هذه القرى ، لكنه لم يكن لامع الذكر كأبيه ، ثم ورثها حفيده مجحم ، المعداد بحكم هذا الإرث من كبار الملاكين .

وآل مهيد وإن كانوا من بيوتات الفدعان وسرواتها وأصحاب قيادة الحرب

(العقادة) فيها ، لكن الرئاسة قبلاً كانت في يد آل غبين ، وكان آخرهم جابراً ، قتله تركي بن مهيد الجد السادس للأمير محم ، وتقلد الرئاسة من ذلك الحين على الفدعان ، ولا يزال آل غبين المذكورين مكانة مرموقة بين العشائر ، ويعدون من أهل الأختام ، ذكر المقدم مولر الفرنسي أنه لما نجح في سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) في عقد الصلح بين الفدعان وثمر بعد نزاعها الطويل ، احتاج الأمر إلى أن يؤتي بحفيد ابن غبين واسمه عبيد ، وقد كان صبيّاً ، وأن يحمل على توقيع ورقة الصلح بختمه ، وعبيد هذا اليوم هو شيخ إحدى فرق الخرصه التابعة لابن قعيشيش .

ومنذ أن قتل جابر بن غبين انقسمت الفدعان إلى قسمين يدعونها رَبعين (جمع رَبع) لكل منهما رئيس مستقل مسؤول تجاه الدولة ، وقد ظل القسمان متعادين سنين طويلة ولا سيما في سني ١٣٨٤ هـ (١٩٢٢ م) و ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) حتى انقطعت وشائج القرى بينها ، وصار أحدهما يصادق أعداء الثاني ، ولم يتحضر أحد منهما بعد إلا النادر ، ولم يملك أرضاً إلا الأمير محم وأبناء عمه حاجم ، ولم يسكن منها بيت حجر إلا الأمير محم وحده ، فالقسم الأول يدعى (الولد) بضم الواو وسكون اللام ، وهو في مشيخة آل مهيد ، والقسم الثاني يدعى (الخرصه) أو (ضناً ماجد) وهو في مشيخة ابن قعيشيش ، ويعد القسم الأول معتدلاً مسالماً ، أما الثاني فنزاعاً إلى الحرب والشر .

وعدد الفدعان الأصليين نحو ٤٠٠٠ بيت منهم ٢٥٠٠ ولد (رَبع ابن مهيد) و ١٥٠٠ خرصه (ربع ابن قعيشيش) ، وهناك عدد من الفرق الصغيرة المنتسبة لعشائر ومنابت أخرى تلتحق بالفدعان الولد ، وتلوذ بها وتتكلم في الاحتفاء من أخصامها على شخص الأمير محم ومكائته ، وهذه الفرق مثل بعض الأسبعة والأبو خيس والعمور (عمور الجراح) والكيار والوهب والحوازم والغراوين وعددهم نحو ٢٠٠٠ بيت ، وجميعها يشرق ويغرب مع الولد ، فبذلك يجمع الفدعان مع لواحقهم قرابة ٦٠٠٠ بيت ، ولا يخلو بيت من بندقية ، وقد كانت الفدعان راعية إبل فحسب ، ثم قضى ظهور السيارات وتبدل أطوار هذا العصر أن تيل نحو الغنم فصار عندها نحو ٥٥ - ٦٠ ألف شاة ، وبعد أن كانت لا تدفع من الضرائب سوى الودي ، صارت كغيرها من العشائر الرعية والشوايا تعد الأغنام ، وقد أدت في سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) ضريبة ودي قدرت بأكثر من ٣٠٠٠ ليرة ذهبية .

منازل الفدعان - الفدعان يغدون عنزة محافظة الفرات (قضاء الرقة) فالولد ينزل قسم منهم في القبط في الشامية في وادي الفرات بين مسكنة وأبي هريرة ومخفر الحام ، وقسم منهم في الجزيرة في وادي البليخ من أقصى الجنوب حتى تل أبيض والحدود التركية ، وفي هذه المناطق التي هي منازلهم يظلون على تحرش ونزاع دائم مع العشائر نصف الحضر ، وأخصها الأبي شعبان ، وهم في سني المحل وبصفة نادرة يسمح لهم بعبور الفرات إلى الغرب ، فيبلغون أقصى الباب والمنبج وأعزاز ، وربما بلغوا سهل العمق ، فيضطرب الحضر منهم ومن تعديهم على الزروع والغراس وغيرها ، أما في نجعة الشتاء فالولد القادمون من الجزيرة يعبرون الفرات من الشرائع التي بين مسكنة والرقة ، وقد يبلغون جبل البشري وغربي دير الزور ، ويمرون بعده ببيير الجديد وغدير الماء ، وفي بعض السنين بالمعطامات وبيير جب ، ولا يزالون يبعدون حتى يبلغوا القعرة والحامد ، وجنوبي الرطبة داخل الحدود العراقية ، ويجاورون إخوانهم الخرصية فيها ، وحد الفدعان الجنوبي هو الخط الممتد بين السخنة إلى وادي المياه ، وقد يشذ بعضهم عن هذه الخطية ، ويتوغل في بوادي العراق أو الحدود النجدية ، كما جرى في سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) بينا رئيساهم محجم وعبد العزيز يشتيان في المعمورة في بيوتها ولا ينجعان مع أعرابها .

نسب الفدعان - قالوا إن جدهم الأعلى اسمه فدعان بن مفدع ، وأن فدعان أعقب ماجد ومنيع وفريد ، فن ماجد جاء ضناً ماجد الذي فيه قائل وولد سليمان والخريص (الخرصية) ، ومن منيع جاء ضناً مانع الذي فيه الروس والشميلات والمهيد ، ومن فريد جاء ضناً فريد الذي فيه العجاجة والساري ، والضناً الأول هو الذي صار يدعى (الخرصية) ، والضناً الثاني والثالث صارا يدعيان (فدعان ولد) .

فرق الولد - تنقسم الولد إلى جذمين أو ضنّين هما ضناً منيع وضناً فريد . ففي ضناً منيع المهيد ، وفي هذه الفرقة التي يرأسها الأمير محجم بن مهيد أفخاذ الفوارس والحولات والدخة والروابه والجريبان والأبوعلي ، وفي ضناً منيع أيضاً فرقة الشميلات التي يرأسها حاجم القصير ، وأفخاذها الجدعان والقشور ، وفيه فرقة الروس التي يرأسها بقراض القرع ، وفي هذه الفرقة من الأفخاذ القروح والفلاية والرشيح والحتل والجمعة ، أما ضناً فريد ففيه فرقة الساري التي يرأسها جريش بن قاعد ، وأفخاذها المسعود والمثلثة ، وفيه

فرقة العجاجة التي يرأسها خلف بن حرييس وأفخاذها الميس والحديي والخلف والخماتيش والدهاوة ، ويلتحق بالولد الحوازم (الذين أصلهم من الصليب) ، وتلتحق أيضاً فرقة من العمور الجراح ، وهي في رئاسة إبراهيم الربيع ، وكل هؤلاء يدعون ولداً ، وربيع الأمير مجحم بن مهيد ، لكن شأنهم كبقية العشائر يعيشون على هيئة أحياء صغيرة ، مبعثرة مستقلة ، لا تجتمع وتتلاقى إلا عند طوارئ عظيم ، أو بأمر السلطات وجبر القوة العسكرية ، وذلك حين جباية ضريبة الودي والأغنام وما إلى ذلك .

رئاسة الولد - رئيس الولد هو الأمير مجحم بن تركي بن جدعان بن نايف بن خشم بن تركي آل مهيد المتولد في سنة ١٨٨٥ م ، وضبط البارون أوبنهايم اسمه في كتابه (مقحم) باللقاب ، وهو يعد أبرز رجالات البادية الشمالية قدراً وأسطهم في الكرم والأريحية يداً ، وأشهرهم بارتفاع القدر واتساع الصدر ، وعلو الهمة ، وأوسعهم روية ومعرفة ، واشتراكاً بأمور الإدارة والسياسة ، والحركات القومية في البلاد العربية ، قالوا إنه لما قتل تركي بن جدعان والد مجحم في إحدى معاركه مع الروالة ، كان مجحم وأخاه صغيرين لا يستطيعان القيام بواجب المشيخة ، فرأت جدتها أم تركي أن تقيم لهما وصياً نائباً يتولى رئاسة الفدعان الولد ، ريثاً يترعرعان ويبلغان أشدهما ، فوقع اختيارها يومئذ على أحد أبناء أعمامها وهو حاجم بن فاضل بن صالح آل مهيد ، وذهبت بالصغيرين وبحاجم إلى والي حلب إذ ذاك ، وطلبت إليه أن يقلد حاجماً المشيخة على الفدعان ريثاً يكبر مجحم ، ففعل الوالي ما طلبته ، وتولى حاجم المشيخة سنيناً عديدة ولقب بباشا في عهد المرحوم الملك فيصل ، وبقي إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي في سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) وذاع صيته لما أعلن أهالي قضاء الرقة استقلالهم عن حكومتي دمشق وحلب اللتين استسلمتا ، وكلفوه أن يترأس لجنتهن الإدارية ، وقام وقتئذ لتعطيل التجارة بين حلب ودير الزور ، وللاستيلاء على حلب ، وسار بقوة بدوية كبيرة مع سرية من الجند التركي النظامي ، لكن الطيارات الفرنسية هاجمته ، وقصفت قوته وأرجعته ، ولما كبر مجحم واستحق المشيخة تخلى حاجم عنها له ، وانزوى لقرية تل السمن على البليخ ، وحوله عدد قليل من الحاشية إلى أن توفي في سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) .

وأول ذكر للأمير مجحم في كتب التاريخ ما جاء في تاريخ حلب لكامل الغزي

(ج ٢ ص ٦٤٤) في بحث سقوط حلب قال ما خلاصته : « أنه في محرم سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وحينما كانت حلب على وشك السقوط بيد الإنكليز والخروج من يد الترك والألمان ، أقبل على حلب من جهة باب النيرب طائفة من عرب عنزة الذين يرأسهم الشيخ مجحم المهدي ، وكان موالياً للحكومة العثمانية ، وفي الأيام الأخيرة أعطته مبلغاً وافراً من النقود والسلاح ، وكلفته القيام بحراسة أطراف البلدة وبعض القرى المجاورة لها ، وحفظ بعض مدخرات الحبوب الكائنة في القرى ، كقرية الجبول ودير حافر وغيرها ، ثم في هذه الأثناء قبضت الحكومة على بعض أشخاص من عشيرته فاغتصاها منها ، ولما علم باقتراب عرب الشريف من حلب أمر فرسانه بمهاجمة سجون حلب ، وأن يفتحوا أبوابها ، ويطلقوا منها سراح جميع السجناء ، ففعلوا ذلك بعد أن قتلوا حارس السجن ، ثم ساروا إلى منزل العساكر التركية في باب الفرج فقابلهم هؤلاء وردوهم ، إلخ ... » .

وفي عهد الملك فيصل خدع الأمير مجحم إذ ظن بفرنسا خيراً ، فانحاز لجانها ، وأقوى بانتدابها أمام اللجنة الأميركية ، وخدم فرنسا وأزرها في إخضاع أنحاء الفرات ودير الزور في سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) ، فنحتته وسام جوقة الشرف ، كما منحتة بعد إيطاليا وسام (تاج إيطاليا) لجمعه وإعادة مبلغة من المال لطيار إيطالي وقع قضاءً في البادية ، وفي سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) قاد غزوةً كبيرةً أغار بها على المنطقة التركية ، وفي سني ١٣٤٦ - ١٣٤٩ هـ (١٩٢٨ و ١٩٣١ م) صار نائباً في المجلس النيابي السوري ، وكانت ظنونه بفرنسا قد تبدلت ، وآماله فيها تبددت ، فهجرها وانحاز إلى جانب الوطنيين في المجلس المذكور ، ومن ثم علت مكانته ، وأوشك بحكم ضعف الإدارة في الحرصة أن يجمع فريقَي الفدعان (الولد والحرصة) كلهم تحت لوائه وقيادته ، ويصير (رئيس الفدعان) كلهم .

وفي تاريخ ٢٩ ايلول ١٩٣٠ م (١٣٤٩ هـ) غزا الفدعان عشيرة جيس في عقردارهم حول الحدود التركية ، (وقد كان شق عليهم كثرة غارات جيس التي اشتد ساعدها ، بعد أن منحتها الحكومة التركية المال والعتاد) فاجتازوا الحدود ودهموهم ، واستاقوا مواشيهم ، وبينما هم راجعون لحقتهم جيس وحمي وطيس القتال ، واسترد جيس بعض مواشيهم ، وأصاب شظية من جيس الأمير مجحم فجرحت أنفه وأفرغت عينه فنقلته السلطة يوم ٢٨ منه إلى حلب بالطيارة ، وداوته حتى شفي .

قال الأب شارل اليسوعي في رسالته (التحضير بين الفرات والبليخ) ما تعريبه بتصرف : « أن رئيس الفدعان (الولد) الأمير مجرم بن مهيد من أشهر الشخصيات البارزة في البراري الشامية ، وأكرمها أخلاقاً ، ولد في سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) وتقلد رئاسة العشيرة في سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٣ م) وكانت هذه الرئاسة إلى ذلك الحين في يد ابن عمه حاكم (حاجم) ، وقد تزوج الأمير مجرم بادئ بدء فتاة من الفدعان الخرصية ، فأولدها ثمانية منهم خمسة بنون ، أكبرهم نوري الذي يشاطر الآن أباه في إدارة بعض أمور العشيرة ورئاستها ، ثم بعده ابنته الجازية التي تزوجها ركان بن مرشد رئيس الأسبعية ، وبعدها جاء تركي وجدعان ومحمد ونايف ، ثم تزوج طرفة ابنة أخ نوري الشعلان ، فهو الآن صهر الروالة ، وابن حمى فهد الهذال رئيس العبارات ، وابن عم وصيه حاجم الذي توفي عن أخت مشعل باشا الفارس الجرباء ، كما هو ابن عم - في الدرجة ١٤ - لابن السعود ، وهكذا وصل شيخنا الكبير نسبته ورابطته بكل البيوتات الرفيعة في جزيرة العرب الشمالية .

والأمير مجرم زكي الفؤاد ، حر الفكر ، سخي جواد للغاية ، إذا جاءه بدوي فقير يطلب فرساً ، يلبيه في الحال ، وفي أيام المحل والقحط يتدارك الحب والطحين من جيبه ، ويطعم عشيرته ، وإذا كان المحصول قليلاً لا يطالب مربيعه بشيء ، فهو بحق سيد جليل القدر ، ثم هو يقرأ صحف الأخبار ، وعلى اتصال مستمر مع الشخصيات الشامية والعراقية ، وكان نائباً في سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) و ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) و ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) ، وهو يتناول من الخزينة الشامية تعويضاً سنوياً قدره ٥٠٠٠ ليرة لقاء قيامه بحفظ الأمن ، وفصل المنازعات في مناطق البادية ، وقد نال من فرنسا نيشان جوقة الشرف من درجة فارس ، ثم حدث أن طيارة فرنسية اضطرت إلى الهبوط قرب مخيمه ، فأكرم وفادة سائقها ، ورفع النيشان المذكور إلى درجة ضابط .

ويلومه عربيه ، ولا سيما فرقة العجاجة بأنه لا يتبدى قط ، وقد جرب أن يشرح فؤادهم مرة في شتاء سنة ١٩٤٠ م ، وهو يتلأفي هذه النقيصة - التي أصبحت عمومية لدى كبار رؤساء البادية - بفضل سخائه وجوده المنقطعي النظير والمؤدية لنفع العشيرة .

فالأمير مجرم إذن يقوم بكل شيء محمود في البادية الشامية ويدافع عنه ، وهو لاريب أحسن من يمثل بحق (مكارم الأخلاق العربية) من حيث الشرف ، وتحمل

المسؤوليات ، والكرم والإنسانية ، والشجاعة والصرافة ، والعظمة الساذجة ، وهي صفات تشبه جداً ، وفي كثير من النواحي صفات فرسان العصور المتوسطة التي كانت في أوروبا ، وقال الأب شارل أيضاً :

(الثروة الإقطاعية لرؤساء الولد) يملك الأمير مجحم في جبل الشبيث أراض واسعة تقدر مساحتها بـ ٥٠٠٠٠ هكتار ، فيها عشرون قرية ، ملتفة حول عاصمته المسماة جب العلي ، وهناك في جبل الشبيث خمس عشرة قرية أخرى لفلاحين لا علاقة له بهم ، وقد بنى الأمير في جب علي قصراً فخماً هندسه له أحد معاري تل أبيب ، وفي القصر ماء جار وحمامات ، ومضخات على الكهرباء وتدفئة مركزية ، أما قصره القديم فقد خصصه للضيوف ، وفي الجنوب الغربي من جبل الشبيث وفي أنحاء مسكنة على الفرات يملك الأمير مجحم أيضاً أملاكاً شاسعة ، انتقل كلها أو جلها إلى وكيل أموره وصرافه محمود سكر أحد تجار الحبوب والغنم في حلب ، وهناك أربع قرى في الشامية هي وريدة وملاح وتل فضة ومدينة الفار خالية من السكان ، يزرعها عبيد الأمير ولا يغشونها إلا حين البذر والحصاد ، وفي وريدة كان الأمير قد أنشأ بستاناً جميلاً لكنه أهمله يا للأسف ، والقيمة الحقيقية لهذه الأملاك في نظر رؤساء الفدعان هي لتأمين خطوط مواصلاتهم ، عند عبورهم الفرات بالاضطرار من عين عيسى في الجزيرة إلى جبل الشبيث في الشامية ، وتشبه مسكنة في حالها هذا لدى الفدعان حال عين الباردة لدى عشيرة الروالة ، لأن مزرعة عين الباردة ومربط الخيل الذي فيها يحرسان مرات الجبل ، الأخذة من الجنوب إلى الشمال ، بين الحماد وديرة الشنبل .

وأكبر مركز لأملاك الأمير مجحم بعد الشبيث هو عين عيسى ، (في الجزيرة غربي البليخ وشالي الرقة بـ ٥٠ كيلو متراً) فقد شاد الأمير فيه لنفسه ولحاشيته قباباً حسنة المقام ، ونبع عين عيسى غزير تنهل منه الإبل ، ويسيل جدول صغير ، وحوله سبع أو ثماني مزارع ، يديرها وكيل للأمير مستقر في عين عيسى ، وفي بعض هذه الأراضي ، يسرح قسبان من الفدعان من فرقة الشميلات ، وهؤلاء ما برحوا محتفظين بأطوارهم وعواطفهم البدوية القديمة ، كأهل إبل كبار ، لا يحرثون ولا يزرعون بأيديهم مهما عضهم الفقر بناه ، بل يستخدمون غراوياً (وهو قروي غير منتسب لإحدى العشائر) ، والقاعدة أن

يدفع هؤلاء الفدعان للأمير ربع حاصلاتهم ، كأجرة أرض ، ثم يتقاسمون البقية مع فلاحهم الغراوي ، وفي البليخ يملك الأمير مجرم ثلاث مزارع في المرح ، كما يملك أيضاً بالاشتراك مع عشيرة التركان أراضي تل حمام التي كان اشتراها في سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) من أحد رعايا الترك بـ ١٥٠٠ ليرة ذهبية ، وإذ كان شروع المستأجرين بالأعمال الزراعية عسيراً ، بالنظر إلى أن هذا شروع يرهقهم بالديون ، ويجعلهم أسراء أسراً اقتصادياً ، ففي سنين كهذه ترى الأمير كبيراً وكرماً إلى أبعد حد ، يترك حصته لشركائه سواء أكانوا فلاحين أو غنامة ، ولا يطالبهم بشيء .

وقية أملاك الأمير مجرم تبلغ رقماً هائلاً ، وجميع الأعمال من بيع الحبوب والخيول والغنم والبقر والصوف والسنن ، يقوم بها وكيله محمود سكر التاجر الصراف الذي بحثنا عنه ، فهو الذي يقرض الأمير ما يحتاجه من النقود لإطعام العشيرة ، أو لبناء المباني ، أو شراء السيارات ، أو الإقامة في فندق الحمراء في حلب ، وكل ما يلزم لشخصه وأسرته ، وجميع هذه الأعمال تجري بالثقة والتراضي ، وفقاً لوقار سيد عربي عظيم ، يعلو على تفاصيل المحاسبة والمطالبة .

أما دحام بن حاجم فأغلب أملاكه تقع في تل السنن (على البليخ) ، فله هناك ٥ / ١٦ سهماً من ٣٤ ، لكنه في غرة سنة ١٩٤٥ م باعها إلى شركة الغزل والنسيج في حلب ، وراح يسكن في حلب ، وله أيضاً شمال مريبط قرينا الجرنية والناعورة ، وبين هاتين المنطقتين المتطرفتين ، له أيضاً محطات في البرية (بين وادي الحدية غرباً ، والبليخ شرقاً ، ومن تل السنن شمالاً إلى الرقة جنوباً) وله أملاك في حدود المنطقة الجبلية ، شرع يحرقها ويزرعها ولو أنها ما برحت غير مأهولة كما ينبغي .

أما خليل بن حاجم فأحسن أملاكه المغلاة تقع على البليخ حول قرية الهيشة ، فهو يقيم في هذه الأملاك ، تارة في الخيام ، وتارة في القباب ، ويزرع له هذه الأراضي ، ولا سيما تلك التي على مجرى النهر ، فريق من العفادلة والأبوعساف والولدة ، وفلاحون آخرون غير منتسبين لعشيرة .

وهذه الأملاك والمزارع تحتاج كما لا يخفى للإدارة والمراقبة ، وتحتاج الإدارة والمراقبة إلى غدوات وروحان دائمة في السيارات ، أجل ، لقد شرع البدو منذ سنة ١٣٤٣ هـ



الأمير مجيد بن مهيد رئيس الفدعان

(١٩٢٥ م) يتخذون السيارات في سبل الغزو ، ففي سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) تمكن الأمير مجحم بفضل سياراته ، أن يلحق بغزاة من خيالة جيس (قيس) ، وأن يثأر منهم خسارة عينه التي كانوا أصابوها في إحدى غاراتهم السابقة ، وكان عدد هؤلاء الخيالة نحو ٢٠٠ ، وهم عوضاً عن أن يتراصوا ويقابلوا ، أخطؤوا بأن انهزموا وتشتتوا ، فلحقوهم بالسيارة ، وقتلوهم واحداً بعد واحد ، فظهر من ذلك أن السيارة أجدى من كتيبة خيالة بطيئة الحركة في النسبة ، ومن هنا حفظت السيارة المزايا الاقطاعية ، وصارت أقوى عامل في تحضر كبار رؤساء البادية وتمدهم .

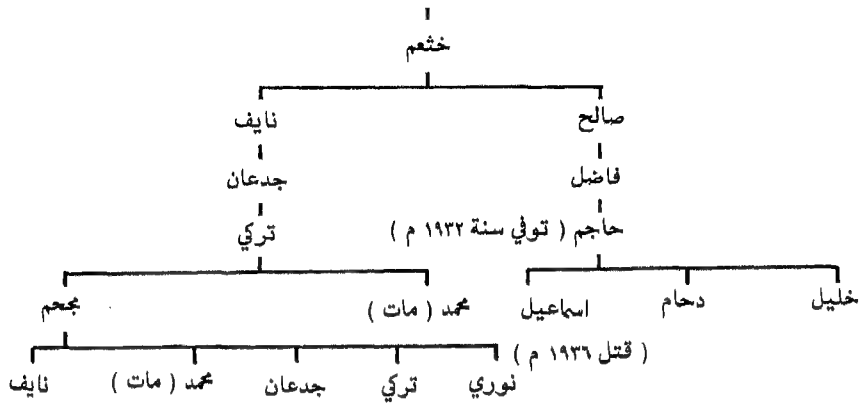
فالسيارات قد ساعدت الأمير على أن يتصل بأبعد حدوده ، فبفضلها صار وهو مستقر في عين عيسى ، أو مقيم في جب علي ، أو نازل في حلب لقضاء أشغاله ، يستطيع أن يستمر في إدارة فرق عشيرته الذاهبة لنجعة الشتاء ، سواء كانت في البشري داخل الحدود الشامية أم في القعرة داخل الحدود العراقية ، فهو يرسل في سياراته أوامره ويتلقى الأخبار والعلوم ، ويهرع عند الحاجة بنفسه لحل الاختلافات كحكم ، أو يصل إلى دمشق لتسيير بعض قضايا المهمة لدى المفتشية العامة لمراقبة البدو ، أو لدى الحكومة الشامية ، ومع هذا كله تراه هو ونساءه وكل أبناء أسرته يسترون حتى في الشتاء على عيشهم الرغيد في قصره الفخم ، هذا إلى أن بيت هذا الرئيس البدوي الكبير عظيم الثقل من وفرة المواد والمؤن والأثاث ، وهو لو أراد أن يتبدى وينجع ويحمل هذه الأشياء لاحتاج إلى ٣٠٠ بعير أو أكثر ، ثم كل منها ١٠ - ١٥ ليرة ذهبية ، ومن هذا يدرك مبلغ ما يحتاجه هذا الحمل والنقل ، ومن هنا كان أوفر للأمير وأسرع أن يمتلك سيارة بويك من الطراز الأخير ، ويضع في كل من منازل النجعة عدة خيام وأثاث بيتية ، ثم ينتقل بين هذه المنازل على الأسلوب الأمريكي .

وقد ضربت السيارات البسداوة ضربة أخرى ، وذلك أن النقلات صارت في السيارات ، فتأخرت تجارة الإبل في بلاد الشام ، وقلت رغبة البدو في اقتنائها ، واتجهت نحو تربية الغنم التي تعد أسرع مجالاً للبيع وقبض النقود اللازمة في أسواق حلب » ، إنتهى ما قاله الأب شارل .

هذا وقد اشتهرت الفدعان بمزاياها الحربية ، وبرهنت عليها في وقائع كثيرة ، لاسيما

جدول نسب رؤساء الولد

تركي بن مجحم بن مانع بن راشد بن مناع بن مهيد



في سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) حينما نشبت الفتنة بينهم وبين الولادة (الأبي شعبان) ، واستظهروا على هؤلاء رغم قتلهم يومئذ .

ويذكر أن الفدعان الولد على صلات حسنة قوية مع الأسبعة ، بحكم أنهم أقارب من عنزة ، بينما هم في نفور مع عشائر حلب ، كالموالي والحديدين واللهيب ، وقد قاتلت هذه العشائر في سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) من جراء النزاع على المراعي القريبة من خناصر ، وحدثت معارك عديدة بين الفريقين إلى أن عقد الصلح في حلب في أواخر تلك السنة .

والفدعان عامة (الولد والخرصة) كانوا على صفاء ووئام مع عشيرة الولادة (الأبي شعبان) ، ولكن نواف بن حوران من بيت الرئاسة في الفدعان عكر هذا الصفاء ، وقد كان كثير الغارات والفتكات ، ويزعم أن له حقوقاً في جباية الخوة جبراً ، أو كما يقول الحضر ؛ كان يأكل بمجد السيف ، إلا أن الفتنة الشعواء لم تقع إلا في سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) من جراء النزاع على المراعي ، فحدثت عدة مناوشات قتل في إحداها إسماعيل بن حاجم ؛ فثار له أخواه خليل ودحام وابن عمه النوري بن مجحم ، فقتلوا ثلاثة من الولادة (فرقة الناصر) وكانوا من أقارب محمد الفرج رئيس الولادة ، وعظم الخطب ، وانضم لكل من الفريقين أنصار ، فأنجحت الأسبعة الفدعان ، كما أنجد الأبو شعبان كلهم (العفالة والسبخة والولدة) أقاربهم الولادة ، وذهبت آتاعاب المتوسطين أدراج الرياح ، وعقد في صيف سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) مؤتمر في السبخة لفض الخلاف ، وهذأت الحالة

بعده بسبب نشوء الحرب العظمى وقتئذ ، إلى أن جاءت الخرصه تحاول اقتحام مناطق الولدة بحجة الجذب في مراعيها ، فاعترض الولدة على ذلك ، ولكن السلطة الفرنسية سمحت للخرصه بدخول مناطق الولدة ، فنزلوا قرب قرية المسطاحه غربي الرقة ، فلم يرق ذلك للولدة ، وهاجموا الخرصه في آب سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) ، وجرت عدة معارك استعمل الفريقان فيها رشاشات مما تركته جيوش فيشي الفرنسية ، ونهبت عدة قرى ، وراح من الفريقين عشرات القتلى ، إلى أن عقد مؤتمر للصلح بينها في حلب في خريف تلك السنة ، وتقرر التعويض على الولدة ب ٣٥٠٠٠ ليرة سورية دفعت خزينة دولة سورية نصفها وانتهى الأمر .

فدعان الخرصه

والخرصه يسمون أيضاً ضناً ماجد يعدون نحو ألف بيت ، وعندهم ٤٠٠ بعير و ٥٠٠٠ شاة و ١٥٠٠ فرس ، وليس لديهم أملاك إلا الشيخ عبد العزيز فإن له قرية غازلي على ضفة البليخ اليسرى ، والشيخ عبيد بن غبين له بعض الأرضين في قرية باجلية جنوبي شرقي تل أبيض ، والخرصه كأقاربهم الولد ذوو شهرة طائلة في الحرب والضرب ، وعندهم فيما قيل نحو ١٠٠٠ بندقية .

والاسم الصحيح للخرصه هو ضناً ماجد ، ورؤاستهم الأصلية كانت في يد ابن غبين منذ قرون ، وكان هذا يسود على فريقي الولد والخرصه معاً ، وسبب افتراق الفدعان هذا كان بعد أن قام تركي بن مهيد الجد السادس للأمير مجحم وقتل جابر بن غبين ، والنفور مستحكم بين الفريقين أيضاً منذ بضعة قرون ، لما ذبحت رجال فريق الولد وكبرائهم ولم يبق سوى أولادهم فدعوا من ثم بالولد ، وعدد الخرصه أكثر من الولد ، وروح الوثوب عندهم أقوى ، وكان آخر رئيس لهم مزود بن قعيشيش الملقب بالنمر ، ولما مات في سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) خلفه ابنه عبد العزيز .

لما وصلت الفدعان (الولد والخرصه) إلى براري الشامية في أول عهدهما اتحدتا مع الموالى التي كانت في عراق مع شمر ، ودفعتا شمرأ نحو الشرق ، واستولتا على الأماكن التي استطابتها شمر ، كالسعين وسعين والكديم وأبو فياض ، ثم لما جاءت بقية عنزة وهي الأسبعة والعمارات (ضناً بشر) اشتد عضد الفدعان بهما ، وتمكن الجميع من دفع شمر إلى الجزيرة .

وظلت تتدفق أمواج عنزة وتزاحم من سبقتها ، فاضطرت الخرصة أن تزحف نحو الشمال ، حتى بلغت في أوائل القرن الهجري الحالي ضفاف الفرات ، فعبّرت من غربي الرقة ، واستأنفت من ثم مطاردة شمر ومزاحمتها ، فدفعتها من ضفاف البليخ ، كما دفعت عشيرة جيس نحو الشمال حيث الحدود التركية الحالية ، وذرقن الشقاق يومئذ بين فرعي الفدعان (الخرصة والولد) من جراء قيام الولد للتحكم في الخرصة ، ودام النزاع بينهما نحو خمس سنوات إلى أن تصالحا وأقرا الحالة الراهنة بينهما .

وإذ كانوا أعداء ألداء لشمر منذ أن كانا في الحجاز ونجد ، فقد ظل التناوش بين الخرصة وشمر مستمراً ، تحت سمع الفرنسيين وبصرهم سنين إلى أن عقد الصلح في سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) في دير الزور ، وهدأت الحالة إلا من بعض فتن صغيرة كانت تقوم من حين إلى آخر ، بسبب التنازع على مراعي جبل عبد العزيز ، وقد استفحل الأمر مرة في سنة ١٩٢٩ م ، وضربت الطائرات الفرنسية إبل شمر وأبعدتها ، إلى أن عقد مؤتمر في دير الزور في تلك السنة بين رؤساء شمر والفدعان ، وتصلح الفريقان صلحاً تاماً .

تنقسم الخرصة إلى ضناً خريص وضناً كحيل ، فضناً خريص في مشيخة عبد العزيز بن قعيش وهو يتفرع إلى (ضناً الحيدة) الذي فيه فرق عمارة والجفل والملحود والرمث ، و (ضناً مززع) الذي فيه فرق الحذيلات والحشوتة ، و (ضناً عربان) الذي فيه فرق السلمة والتياسة والسمون والشامة ، و (ضناً المكاثرة) الذي فيه فرق الصقار والشديدة والشلية ، ورئيس ضناً خريص عبد الرزاق العمير ، ورئيس ضناً مززع أسود الحريجي ، ورئيس المجاشرة مدفع الرهيظ ، ورئيس ضناً عربان عافت بن عربان ، ورئيس ضناً المكاثرة كريم المدهول ، أما ضناً كحيل أو قائل ففي مشيخة عبيد ابن غبين ، وفيه من الفرق الجدعة الذين يتفرعون إلى الهشلان والعليان والمتينة ، والغبين الذين يتفرعون إلى حمدان ودريان وسيدان ، ورئيس الجدع جاعد بن عرنان ، ورئيس الغبين عبيد بن غبين ، وآل غبين هم رؤساء كحيل ورؤساء ضناً بشرقاطبة من قبل ، ويعد هذا البيت من أقدم بيوتات عنزة ، يضعه النسابون مع بيت السعود في المرتبة الاجتماعية .

هذا والاتحاد والانضمام في الخرصة أقل مما هما لدى الولد من جراء الضعف والإهال

في رئيسها الحالي عبد العزيز بن مزود بن قعيش ، حتى أن فرقة الخرصة شديدة التباين بعضها عن بعض ، وينجع كل منها لوحده ، ولا يعترف أحدهما بما يقره الآخر ويصالح عليه خصومه ، هذا إلى أن الخرصة في الجملة أقل ثروة ، ورؤساءهم أقل اهتماماً بالزراعة من رؤساء الولد ، وهم يعيشون على هامش منطقة التحضر في غربي الجزيرة .

وفي فصل الصيف تقيظ الخرصة في الجزيرة على طول نهر البليخ حتى تل أبيض ، وعلى طول الفرات من الرقة وما بعد ، ولم يسمح لهم قط بعبور الفرات إلى غربيه ، وإذا كانوا نزاعون إلى السلب والنهب يتحاشى الحضر شرهم جداً ، وسوقهم التجاري الرقة ودير الزور وتل أبيض ، وقد يبلغون حلب .

أما في الشتاء فينجعون براري الشامية حول جبل البشري ، ويبلغون القعرة ووادي المياه ، وحينما يدخلون الحدود العراقية ويقضون بضعة أشهر فيها ، يجهزون الغزوات على عشائر دمشق ، وخاصة على الروالة ، وفي سني الجذب ربما أوغلوا في غزواتهم ، وبلغوا الحدود العراقية .

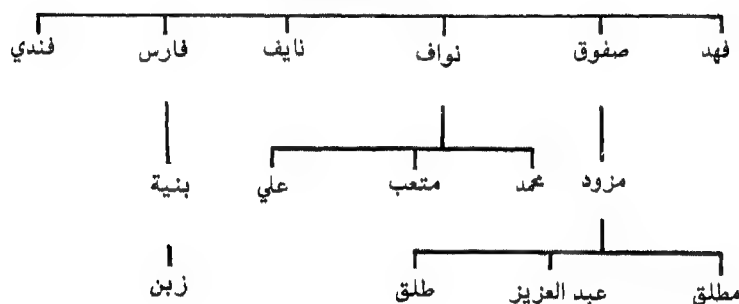
وتحوادث الحدود التي تقع بين المنطقة التركية والمنطقة الشامية كثيراً ما يكون أبطالها هم هؤلاء الخرصة ، لأن لهم بعض القرى قرب الحدود ، ويصلون إلى تل أبيض كما أسلفنا .

ويلتحق بالخرصة أعراب (ولد سليمان) ، وهؤلاء آخر فخذ من عزة ورد من قلب الجزيرة إلى الشام ، ولا يزال قسم كبير منهم متخلفاً هناك ، ومنازلهم كما جاء في كتاب جزيرة العرب لفؤاد حمزة بين تيماء وخيبر وبيضاء نثيل ، ورئيسهم العام العواجي ، وقد وفد بعض هؤلاء المتخلفين من سنة ١٣٣٩ هـ ، وانضم مدة مديدة إلى مجهم ، ثم انضم في سنة ١٣٤٣ هـ إلى مزود ، لكنهم وثبوا على قافلة عسكرية فرنسية في سنة ١٣٤٤ هـ في موقع أبي هريرة على الفرات ، فأدى هذا إلى أن تدفع عشيرة الفدعان غرامة باهظة ، ومن ثم عاد هؤلاء إلى شمالي الحجاز ، وجروا معهم البيوت التي اشتركت في هذه الفعلة ، وولد سليمان في ديار الشام يتألفون من فرق الحشمة والسليمان والجعافرة والمقرة والفضيل والألية والفضاورة ، وهؤلاء يلتحقون عادة بضناً كحيل ، ويقول المقدم مولر أن مزود بن قعيش لم يكن من أصل عنزي ، بل إن جده شمري ، وهو قد تناول إلى الرئاسة منتهزاً

فرصة صغرا بن غبين أو عجزه ، وكان لمزود شهرة طائلة في البسالة وقيادة الخروب ويلقبونه بالنهر ، ومنذ أن منع الفرنسيون الغزو قلت مكانته هو وأمثاله من أبطال البادية ، إلى أن مات في سنة ١٩٢٩ م وخلفه ابنه عبد العزيز ، لكن هذا الشاب لم يرث أباه في الكفاءة ، وحسن القيادة وتصريف أمور العشيرة ، فأوجب انفضاض ضناً كحيل وضناً المكاثرة عنه ، ولم يبق حوله إلا ضناً الحيدة وضناً عربان في حالة غير مستقرة .

نسب آل قعيشيش

دهام القعيشيش



عشائر محافظة الجزيرة

يقطن محافظة الجزيرة التي وصفنا مزاياها في الجزء الأول (ص ٢٠ وما بعدها) في أقصيتها الثلاثة القامشلي والحسيكة ودير يك - عشائر عربية عديدة كبيرة ذات ثروة وسطوة ، بعضها حديث العهد بالورود كشمروطي ، وبعضها قديم يظن أنه من أنقاض العشائر العربية القديمة ، التي فتحت الجزيرة ، واستقرت فيها من قبل الإسلام وبعده ، منذ أن كانت هذه الأنحاء ديار بكر في الشمال ، وديار ربيعة في الشرق ، وديار مصر في الغرب ، ويقطن هذه المحافظة أيضاً بعض العشائر من الكرد الطارئین على الجزيرة من بلاد الكرد الشمالية ، ويليهم الشاشان الذين قدموا من بلاد القفقاس ، وقد فصلنا هؤلاء وأولئك في أمجاثهم الخاصة ، وبعض العشائر العربية القديمة في هذه المحافظة أكرهتهم شمر بعد مجيئها وتفوقها واغتصابها منازلهم على النزوح والابتعاد ، فراح فريق منهم إلى العراق ، وحل في شماله في الحويجة شرقي الدجلة كالعبيد والبيات والجحيش وبعض الجبور ، وراح فريق آخر نحو الشمال إلى قرب الحدود التركية كطيء وقطن فريق داخل الحدود التركية ، واشترك مع بقائه على بداوته كقيس .

إن عشائر الجزيرة الحالية تقطن في الأنحاء الشرقية والجنوبية من أراضي المحافظة ، وعلى ضفاف نهري الجفجع والخابور وروافدهما ، وتسيطر على أغلب الأراضي المسقية أو المعدة للسقي ، ونسبتها العددية نحو نصف سكان المحافظة على التقريب ، وأكثرها رحل ، وقلما تعنى ببناء دور ثابتة ، بل تميل للبقاء في بيوت الشعر ، لكن في السنين الأخيرة شرعت ببناء بيوت وقرى ثابتة ، في الأراضي المتروكة رغبة في تفوضها واستلاكها ، وذلك لما رأت أن البناء يسهل استلاك الأرضين من الدولة ، وبذلك أخذ يزداد ميلها نحو الحضارة والاستقرار ، كلما ذخرت غلالها ، وكثرت أرباحها من الحرث والزرع ، على أن

أكثر عناية هذه العشائر هو في تربية الماشية ، لاتفاق هذه المهنة مع غريزتها وحبها للحل والترحال .

شمر

شمر قبيلة عظيمة تلي قبيلة عنزة بكثرة الجموع ، ووفرة الفروع ، ومنعة الجانب ، وتمتاز بما لشيوخها وسرواتها آل الجربا (آل محمد) من الأصول الراسخة ، والأجاد الباذخة ، وذبوع الصيت البطولة ، واتساع الملك والثروة ، ولاسيا بالمواقف الوطنية الحمودة ، مما سوف نذكره في الصحائف الآتية .

وأبناء هذه القبيلة يوصفون بكلمات زينو المحازم ، وعيون الحصن ، وعقبان ديم ، وسودان الروس ، وهم يقدرون بـ ١٥٠٠٠ بيت ، ثلاثهم في العراق ، وثلاثهم في الشام ، مازالوا على بداوتهم الصرحاء في الغالب ، يعيشون على تربية الإبل والغنم ، ويضربون في براري الجزيرة الفراتية ، وينجعون طلباً للكلاً نجعة بعيدة تمتد من الشمال إلى الجنوب من قرب القامشلي إلى أراضي أبي غريب غربي بغداد ، ومن الشرق إلى الغرب من جوار تل أعفر إلى ما بين الحابور والبليخ داخل البلاد الشامية والعراقية ، ومن ثم كان بعض شمر من تبعة الحكومة العراقية (لواء الموصل) وبعضها من تبعة الحكومة الشامية (السورية - محافظة الجزيرة) ، والحدود الموضوعة بين القطرين الشقيقين العراق والشام حدود وهمية ، تجتازها عشائر شمر في القطرين ، بكل حرية ويتصل بعضها ببعض ، ويشترك في السراء والضراء .

وتختلف شمر عن عنزة بأنها قحطانية وعنزة عدنانية ، وأنها ليست كعنزة من أرومة واحدة ، بل هي مجموعة عشائر متنوعة ومتفرقة وكثيرة ، بعضها يمت في أرومتها إلى قبيلة طيء القديمة التي هي من قحطان ، ويعد هذا البعض أصل شمر ، وبعضها يمت إلى قبائل قحطانية أخرى بعيدة ، أي أنها تتفق جميعاً في الانتساب إلى نجار واحد هو القحطانية وإن بعدت فروعها ، ومساكنهم الأصلية في نجد جبلا طيء (أجا وسلمى) ، ثم اشتهروا باسم شمر كما اشتهر جبلا طيء المذكوران باسمهم ، بعد أن أزاخوا طيئاً وزبيد منه ، وحلوا محلهم فصار اسمه جبل شمر . قال حافظ وهبة في كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين) :

إن اسم جبل شمر يطلق على السهل الواسع الممتد بين جبلي أجا وسامى الذي تسكنه قبائل شمر المشتغلة بالزراعة ، وفي شعاب هذا الجبل ينابيع غزيرة وأرضون خصبة ونخيل كثير ، والعاصمة حایل ، ومن قراء فيد وقفار وعقدة وتيا ، وقال عباس العزاوي في كتابه (عشائر العراق) « إن شمر ليس جداً وإنما هو وصف لحقهم ، وذلك أنهم آخر من خرج من القحطانيين من الين ، وكانت قد ألحتهم السنون ، فهاجروا إلى أنحاء جبلي أجا وسامى ، فوجدوا فيها قبائل طيء وزبيد فدفعوهم ، فال هؤلاء إلى أنحاء العراق والشام وغيرها ، والظاهر أن هذه القبائل كان بينها خصام وخلاف ، فحالف قسم منها القبائل القحطانية القادمة من أنحاء الين ، فانتصر على عدوه ، ومن ثم استقل السلطة والرئاسة على قبائله والقبائل المتحالفة معه ، والكل يرجعون إلى القحطانية ، فإن طيئاً من قحطان أيضاً ، فصار الكل يدعى باسم النبطن (شمر) المنتصر على عدوه ، وقيل للجميع (شمر) تقليداً ، وإلا فلا تزال قبائل عبدة من شمر تمت إلى القحطانية رأساً ، وقبائل الأسلم تمت إلى طيء ، وكذا قبائل زوبع » أ هـ .

وعشائر شمر المتفرقة في الأصول والمنابت قد اجتمعت من بعد ، وكونت مجموعة أحلاف قوية ، ثم نزع قسم كبير منها إلى العراق والشام ، وبقي قسم في نجد على ما سنذكره ، لكن العشائر الباقية في نجد ، والعشائر التي نزحت إلى الجزيرة الفراتية ، وإن كانت قد انفصلت جغرافياً ، إلا أن بطونها وأفخاذها هناك وهنا واحدة ، وصلة الرحم بينهما محكمة ، فترى أحياناً جماعات من شمر الجزيرة تذهب إلى نجد ، لقضاء فصل من فصول السنة طلباً للمرعى ، وترى جماعات من تخلصوا في نجد تنزع وتلتحق بأنسابها في الجزيرة ، وهكذا دون انقطاع تام بين الأصول والفروع ، مما يجدد ويقوي أواصر القرى .

تاريخ شمر - إن هجرة عشائر شمر من أوطانها في نجد إلى ديار العراق والشام كانت متقطعة ومتتالية ، كهجرة عشائر عنزة ، وقد حدثت مرتين ؛ الأولى قبل عنزة ، والثانية مع عنزة ، أو في نفس الوقت تقريباً ، جاء السابقون منهم في الهجرة الأولى على ما يظن في أوائل القرن الحادي عشر ، في عهد ولاية العراق المماليك ، وذلك بسبب الحول وضنك العيش في جبل شمر المذكور ، أي لأسباب اقتصادية ، فذهب بعض هؤلاء وقتئذ إلى

العراق ، لتفوقه في الخصب والري على الشام ، وصار فيه بعد حين طويل من العشائر المتحضرة الريفية ، فمن هذا القسم الصايح وزوبع وسنبس وغيرهم ممن يدعون هناك (شمر طوقة) ، وقد تتابع زحف هذه العشائر إلى شمالي العراق في أوقات مختلفة ، وكان كل فريق منهم يرد لأدنى فرجة يراها في صفوف العشائر التي مالت إلى الزراعة والحياة الريفية فتخلو له البادية ، وقصده بهذا الورود أن يتقوى ويعتز بأقاربه ، فلا تمضي مدة حتى يستكمل الفخذ عدده والعشيرة رجالها وهكذا ، ويذكر السائح الدانماركي نيبوهر أنه صادف جمعاً من شمر في حدود سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) في أنحاء هيت والكبيسة ، وأنه كان أكثرهم من فرق أسلم والزكاريط (عبدة)

ويروي المقدم مولر الفرنسي عن شمر حكاية هجرتهم هذه ، أنهم لما ألحت عليهم أعوام الحل وضنك العيش ، وفدوا إلى بادية الشام ، فشرعوا بمهاجمة تدمر ، فنهبوها وخربوها ، ثم أرادوا النفوذ إلى براري حمص وحماة التي جذبتهم بنضرتها ، فصدمتهم عشيرة الموالي التي قدمنا بحثها مراراً ، وقد كان أمراؤها وضعوا وسط الحماد في موقع اسمه الحوة عموداً يدعوهم عمود الحمى ، منعوا اجتيازه على العشائر النجدية وغيرها ، وقد دام الصراع بين شمر والموالي وأحلافهم من العمور والحديدين زمناً طويلاً ، وكان سجلاً وبفترات ومهادنات كانت تختل بسرعة ، وفي وليمة كان رؤساء شمر ضيوفاً فيها على أمير الموالي ، غدر الموالي وذبجوا عدداً من الرؤساء المذكورين ، لا يزال شعراء شمر يذكرهم مرثيهم ، وقد تأثرت شمر هذا الغدر ولم تتركه ، على أنه لما أعيتها الحيلة رجعت ونزلت في ضفاف الفرات اليمنى (الشامية) من أرض العراق ، كما قال السائح نيبوهر ، وكانت تصل غرباً إلى أنحاء الدير وجبل البشري وجبل العمور ، ولكن بعد مدة وفدت طلائع عنزة (الأحسنة) في القرن الثاني عشر ، ولحقها الفدعان ، فاتفقت عنزة مع الموالي ، وهاجمتها عدوتها شمر حول آبار الكديم وأبي فياض ، وأبعدتها من براري الشامية ، فاضطرت شمر إلى الرجوع إلى نجد موطنها الأصلي ، وحاولت في رجوعها هذا أن تحتفظ بحريتها ومنعتها ، لكنها اصطدمت باستفحال الحركة الوهابية وانسباط الدولة السعودية ، فقد كان عبد العزيز بن محمد بن سعود وقتئذ (١١٧٩ - ١٢١٨ هـ) استولى على القصيم والجوف ، وبلغ في غزواته وغاراته العراق شمالاً ، وعمان جنوباً ، وعسير غرباً ، وقهر العشائر الشائرة كبنى خالد ومطير وعتيبة وغيرها ، وضغط على البدو للدخول في طاعته ، وقبول الدعوة السلفية ،

وأمرهم بجز الشعاف (شعر الرأس) ، وتأدية الزكاة له وما مائل ، فلم ترضخ شمر وقامت تناوئه ، واستعان بها وقتئذ شريف مكة وأمير الحجاز غالب بن مساعد في حروبه ضد الوهابيين سنة ١٢٠٥ هـ ، وكان هذا الشريف قد شكى للدولة استفعال الحركة الوهابية ، وبين لها خطرهما على الجزيرة العربية ، كما شكى أسلافه مراراً ، فل تعر الدولة أذنأ لديب الهرم فيها ، فلما يس منها جهاز هو فرقة عسكرية ، واستنجد بعشائر شمر وحرب ، فأقبلوا إليه بمجموعهم ، فأضافهم إلى جنده ، وأرسلهم لمقاتلة الوهابيين ، فتوغلوا وتواقعوا معهم في مواقع مختلفة ، وفازوا في بادئ الأمر ، ثم رجعوا دون نتيجة حاسمة ، وقد أدى هذا الرجوع لتشدد عزائم الوهابيين ، وطغيانهم على أطراف الجزيرة العربية ، ولما رأت شمر التي خاصمت الوهابيين وعاركتهم ما أصابوه من رجحان ، أيقنت أنه لم يبق لها مقام ، فرحلت إلى سهول العراق نهائياً ، فجاءت في تلك السنة (١٢٠٥ هـ) وعلى رأسها آل محمد (الجربا) ومعها كل فرق الخرصه وسنجارة وبعض فرق العبدية ، يقود الجميع مطلق بن الحبيدي بن جعيري بن مجرن (مقرن) آل الجربا ، ووصلت إلى أنحاء الوديان داخل الحدود العراقية الحالية ، ولما جاء سعود بن عبد العزيز آل سعود يوالي غاراته على أطراف العراق ، اشتركت شمر مع عشائر العراق في حربه ودفعه ، فقتل مطلق المذكور في إحدى المعارك (سنة ١٢١٢ هـ) وخلفه أخوه فارس الجرباء ، ووصلت بعد حين بقية عشائر عزة كالفدعان والأسبعة والعمارات من شمالي الحجاز كما قدمنا ، ولنفس السبب الذي خرجت به شمر ، وهو المحل وضنك العيش في بلادها ، وشدة آل سعود التي أحاطت بهم ، نفذت هذه العشائر إلى براري حص وحماة وحلب ودير الزور ، وصارت تصل في نجعتها إلى وادي عامج ووادي حوران ، وتزاحم شمرأ على المراعي والمناهل ، ورأت شمر قتلها إزاء خصومها الكثر ، فاضطرت إلى أن تعبر الفرات وتنساح في سهول الجزيرة الفراتية ، وتستولي عليها تدريجياً من نصيبين حتى قرب بغداد ، وقد زاحمت وقتئذ وأزاحت العشائر القديمة المستقرة في تلك الأنحاء ، كطيء والعبيد والبيات وجيس وغيرها ، وصار أكثر هؤلاء يدفع لها الخوة ، ويعزف عن البداوة ، ويمتد في الحويجة بين جبل حمرين والدجلة ، ويحرق ويزرع ، ولم يتلص من دفع الخوة ويبقى في مكانه إلا عشيرة طيء ، لكرم محتها ، ولقرباتها القديمة من شمر ، وقد اكتفت بتزويج بعض بناتها إلى رؤساء شمر .

وبما تناقله الألسن ؛ أن فارس الجرباء المذكور لما رأى أن سبل العودة إلى نجد مع

عشيرته شمر قد سدت ، وأن موقفه صار مهدداً بالخطر ، لمتابعة السعوديين الهجمات على أطراف العراق ، وكان قد تحقق من أن الجزيرة العربية الفراتية أكثر أماناً له ولعشيرته ، عبر الفرات من موقع هيت في أوائل سنة ١٢١٦ هـ مع خمسين بيتاً من عشيرته الخرصه ، وكانت السيطرة الكاملة في الجزيرة لعشيري العبيد وطبيء ، واستقراره فيها كان متوقفاً على محاسنة هاتين العشيرتين ، فلم يغفل عن هذا ، فأسرع إلى جوار العبيد أولاً ملتجئاً إلى حماية شيخها حمد الظاهر ، قتلناه هذا بالترحاب ، وكانت العادة المتبعة لدى العشائر البدوية تقضي على العشيرة أو الفرقة النازلة مجدداً أن تقيم هي أولاً وليمة عامة تدعى إليها العشيرة أو العشائر القاطنة الأولى ، لتكون هذه الوليمة مقدمة للتعارف والتآلف بينهما ، فأقام فارس الجرباء وليمة عامة دعى إليها شيخ العبيد ، وشيخ طبيء وشيخ الجبور وغيرهم ، وقدم لهم منسفاً كبيراً جداً فيه ناقة مطبوخة كما هي ، وفي أطراف المنسف سكاكين مربوطة بالسلاسل لقطع اللحم ، فاستعظم المدعوون ما رأوه واسترابوا ، وقالوا لبعضهم أن حالة هذا الرجل تدل على جلالة قدره ، ولا بد أن تكون عشائر كثيرة وراءه ، وستلحقه إلى الجزيرة إن عاجلاً أو آجلاً ، فالرأي الصواب أن تقضي على هذه الشرذمة قبل أن تزداد بما يرد إليها ويستفحل أمرها ، وفي رواية أن الذي أشار بهذا الرأي كان شيخ العبيد أحد المدعوين للوليمة ، فلم يرق ذلك إلى البقية ، وقالوا إن هذا الرجل جاءنا نزيلاً ، ولم يأت محارباً ، فحدث بعد ما خشي منه صاحب المشورة .

لأن فارس الجرباء بعد أن استقر في الجزيرة شرع يوالي الرسل والرسائل إلى عشائره النازلة في أنحاء الشامية المختلفة ، ويدعوها إلى اللحاق به ، وزيادة لها في الإغراء والتشويق كان يحشو حدج الإبل والركائب النازلة إليها من كلاً الجزيرة وأعشائها المتنوعة ، الصالحة لرعي جميع أجناس المواشي ، فهرعت إليه عشائر شمر من كل صوب وحذب ، ولم يطلع عام ١٢١٧ هـ حتى كانت حوله بكاملها ، سيما وأن السعوديين كانوا يتابعون هجراتهم على أطراف العراق ، ويوالوا طروقهم مضارب الأعراب الخمين هناك لاستحصا الزكاة ، مما عجل في عبور تلك العشائر ، وامتلاء الجزيرة بموجة نجدية بدوية كبيرة ، وكان أول فعل لفارس أن هاجم العبيد ، وفتك بها فتكة فظيعة ، وأكرهها على مغادرة الجزيرة ، والانتقال إلى الحويجة شرقي الدجلة ، وألحق بها بعد عشائر أخرى ، كالبيات والجحيش ، ولم يسلم من ضغطه إلا عشيرة طبيء التي صاهرتة وأمنت جانبه .

وقد أدت تلك الهجرة إلى انقسام شمر إلى قسمين متباينين جغرافياً وسياسياً ، القسم الأول : شمر الجبل لإقامتهم في الجبلين المعروفين في نجد باسم أجبا وسلمى ، وهم عشائر رحالة ، وإن كان لأكثرهم مزارع ومغارس ، وهذه العشائر ظلت في نجد ، والتفت حول الأمراء آل رشيد أصحاب مدينة حائل ، وآل الرشيد كانوا يسيطرون - وخاصة في عهد الأمير محمد بن عبد الله الرشيد (١٢٨٨ - ١٣١٥ هـ) على سائر البلاد النجدية ، من وادي السرحان إلى وادي الدواسر ، ومن تيماء وخيبر إلى قرب الخليج العربي ، وكثيراً ما كانت سلطة محمد الرشيد تمتد إلى تدمر وجبال حوران ، وهذا الأمير هو الذي زارته الرحالة والمستشرقة الإنكليزية اللادي بلانت المشهورة ، المغرمة بالبلاد العربية عامة ، والخيول الأصيلة العربية خاصة ، وقد قدمنا ذكرها والكتاب الذي ألفتة عن رحلتها إلى حائل سنة ١٢٩٧ هـ في فصل مكتبة البدو (ج ١ ص ١٥) ، وكان الأمير محمد صديق السلطان عبد الحميد ، كما كان أقاربه آل الرشيد حلفاء الترك وأنصارهم ، حتى نهاية الحرب العظمى الأولى ، ولكنهم بعد وفاة الأمير محمد المذكور قضوا أيامهم في التنازع والتناحر ، ودامت إمارتهم إلى سنة ١٣٤٠ هـ التي ضم الملك عبد العزيز آل سعود فيها بلادهم وطوى بساطهم .

القسم الثاني : شمر الجرباء ، وهم أفراد العشائر الأربع التي تقدم ذكرها : الخرسنة وسنجارة والعبدة وأسلم الذين خرجوا من ديارهم في نجد ، وهاجروا إلى العراق والشام ، بقيادة الرؤساء آل محمد (الجرباء) ، وتاريخ هؤلاء بعد هذه الهجرة سحابة القرن الثالث عشر سلسلة متصلة الحلقات من الغزوات والغارات على عزة أعدائهم القدماء ، ثم على العشائر الريفية التي أجلوها عن منازلها ، أو أقضوا مضاجعها ، واضطروها إلى العزوف عن البداوة والاتجاه نحو الفلاحة ، ثم على السعوديين الذين كانوا يفدون الحين بعد الحين إلى العراق ، ثم على جند الدولة العثمانية وموظفيها ، ثم على قرى الكرد والتركمان وغيرها .

إلا أنهم لم يبرزوا إلى الساحة كقوة سياسية إلا في سنة ١٢٣٧ هـ ، حينما استعانت الدولة بهم ، وبغيرهم من العشائر على حرب العجم ، في أيام الشيخ صفوق بن فارس الملقب بالحزم ، لأنه ما رفع من وسطه حزام الحرب أبداً ، وقد أبلوا وقتئذ أحسن بلاء وردوا العجم ، وكان صفوق هذا بطلاً مغواراً ، قيل أنه حارب الموالي في براري حلب وحماة ، كما حارب عزة مراراً ، وقد لقبوه وقتئذ بسلطان البر ، وهو لما رأى تغير الولاة في

بغداد ، ولم يحصل على الجعل الذي كان موعوداً به ، لقاء بلائه في حرب العجم ، انقلب على الدولة وناوشها القتال ، وهي إذ رأت عجزها عن دفعه ، استعانت بعزة (الروالة) ، فزحفت هذه ، تريد الفتك بشمر عدوتها القديمة ، وجرت معركتان كبيرتان ، كان النصر في الأولى لشمر ، وفي الثانية لعزة (١٢٣٨ و ١٢٣٩ هـ) ، واندفعت عزة على أثر هذا النصر تفحش وتنهب ، وتحاصر بغداد ، ولما هال والي بغداد تفاقم الخطب ، استجاش عشائر العراق الريفية ، فتوقفت هذه في رد عزة ، ومن ذلك الحين حتى سنة ١٢٨٧ هـ اشترك صفوق في كل الفتن التي أزعجت العراق ، إلى أن قتله الترك في سنة ١٢٥٦ هـ .

وأعقب صفوق عدة أولاد ؛ منهم عبد الكريم ، صلب في سنة ١٢٨٥ هـ ، بعد أن نهب الموصل ، وعبد الرزاق قتل في إحدى المعارك ضد جند الدولة ، وبقي فرحان وفارس ، وهذان كانا عاقلين ، عاشا مع الدولة بسلام ، ونالا رتبة الباشوية ، وتقاسما النفوذ على شمر ، فارس في الشمال يقود شمر التابعين لمتصرفي دير الزور ، وفرحان في الجنوب يقود شمر التابعين لولاية بغداد ، لكن الرئاسة العليا كانت لفرحان ، ففي زمنه ظلت شمر مجتمعة الكلمة موفورة الكرامة ، غير أنه أعقب أولاداً عديدين من نساء مختلفات ، ينتسبن إلى عشائر مختلفة ، فكثرت بنوه وأحفاده ، وتقاسموا بعد موته نفوذ العشيرة ومناطق الخوة فيما بينهم ، فاشتد النزاع وذهبت الريح ، وأصبحت الرئاسة بيد أبنائه مجول والعاصي تارة ، والحميدي تارة أخرى ، وأكثر شيوخ فرق شمر هم أولاد فرحان باشا وأحفاده ، الذين يتكئون بإحدى نسائه ، كآل جزعة الشمرية ، وآل درة الطائية ، وآل سرحة الزوبعية ، وآل أرطية الحمديّة ، وآل جرجرية الكردية ، وغيرهم . أما الشيوخ العمشات فهم أبناء صفوق الحزم من زوجته عمشة الطائية ، وهم عبد الكريم وفرحان وفارس وعبد الرزاق ومحمد .

وخلال الحرب العظمى الأولى ، كانت شمر تعادي الإنكليز وتوالي الدولة العثمانية ، وبعد تلك الحرب اشتد نزاع رؤساء شمر بعضهم على بعض ، واستمر مدة عشر سنوات (١٣٣٧ - ١٣٤٧ هـ) ، وزاد في الطين بلة انقسام منازلهم بين دولتي انتداب متجاورتين إنكلترة وفرنسا ، ولعبت السياسة أدوارها ، وبعد الاحتلال سكن العاصي بن فرحان المنطقة الشمالية ، وأظهر أنه لا يتداخل بشؤون العراق ، فاستلم المشيخة على شمر العراق

حفيدة دهام الهادي مستهداً من نفوذ جده المذكور ، غير أن ابن عمه الشيخ عجيل الياور نازعه عليها ، فالت السلطة الإنكليزية والحكومة العراقية إلى الشيخ عجيل ، لما توسمتا فيه من النباهة والنفوذ ، وأصبح شيخاً على عشائر شمر التي تقطن العراق ، أما المشيخة على عشائر شمر التي تقطن المنطقة الشامية (السورية) فقد ظلت في يد مشعل الفارس مدة مديدة ، وكان ينازعه عليها دهام الهادي ، إلى أن استقر الأمر في سنة ١٣٤٧ هـ على الوجه الآتي :

ظل شمر العراق داخل الحدود العراقية في البراري الممتدة غربي الموصل وبغداد ، وهذا الفرع هو الذي كان مرتبطاً في عهد الدولة العثمانية بولاية بغداد ، وتابعاً إلى فرحان باشا المتقدم ذكره ، وقد استلم رئاسته بعد الاحتلال الشيخ عجيل (عقيل) بن عبد العزيز بن فرحان من آل درة الطائية ، الملقب بالياور ، لأنه حين ولد صدف وجود ياور (مرافق) والي الموصل في منزل أبيه ، وكان رحمه الله - على ما عرفته - طويلاً جسيماً ، وسيقاً أنيقاً ، وكان أعظم رؤساء البادية العراقية في الملك والثراء ، ورجاحة الفكر ، والاهتمام بالقضايا العامة ، وأكثرهم اتصالاً بالمرحوم الملك فيصل بولاية الأمور في داخل العراق ، وبغلماء الشرق والغرب في خارج العراق ، وأوفرهم نوالاً لاحترامهم ، دعاه الإنكليز في سنة ١٣٥٣ هـ إلى لندن لحضور حفلة تتويج الملك جورج السادس ، في جملة من دعوا من ملوك الأرض وكبرائها ، فزار مدن أوربا وزادت معرفته ، وبعد رجوعه عكف على الزراعة الحديثة في أملاكه الشاسعة ، قرب محطة تل كوشك على سكة حديد الموصل ، وجلب سواحب وأدوات زراعية فنية ، وهو ما إن تقدم فيها خطوات ، وشرع يجني بعض الثمرات ، وأوشك أن يكون في هذا المضمار خير مثال لغيره من رؤساء العشائر ، وكبار الملاكين ، حتى فاجأته المنية سنة ١٣٥٩ هـ ، فخلفه في مشيخة مشايخ شمر العراق ابنه صفوق المتعلم في جامعة بيروت الأميركية .

أما فروع شمر التي أصبحت داخل الحدود الشامية (السورية) في محافظة الجزيرة فهي : أولاً (شمر الزور أو شمر العمشات) ، وهو الفرع الذي كان يديره قديماً فارس باشا أخو فرحان باشا ، وكان هذا مرتبطاً بمتصرفي دير الزور ، مما دعا لتسميته بشمر الزور ، ثانياً (شمر الحدود أو شمر دهام) المنفصل عن شمر العراق القديم ، الذي كان يسوده فرحان

باشا ، وأغلب عشائر الفرع الأول من سنجارة ، وأغلب عشائر الفرع الثاني من الخرصة ، كما سيأتي شرحه .

أقسام شمر - قلنا أن عشائر شمر تقسم إلى قسمين :

١ : شمر الجبل أو شمر ابن الرشيد ، وهم الذين ظلموا في بلادهم الأصلية في نجد ، وصاروا من رعايا جلالة الملك عبد العزيز ابن سعود ، بعد أن كانوا قبلاً تحت إمارة آل الرشيد الذين طويت صحيفتهم في سنة ١٣٤١ هـ .

٢ : شمر الجرباء . هؤلاء هم العشائر التي انضوت إلى لواء آل الجرباء ، وجاءت إلى الجزيرة نازحة من نجد ، وهي أربع عشائر غير متساوية العدد والمكانة والأرومة والحالة ، تدعى الخرصة وسنجارة والعبدة وأسلم ، وهم لا يفترون عن عشائر شمر الجبل المتخلفون في نجد ، إذ نجد بعض أفخاذهم مشترك في نجد ، وفي العراق وفي الشام ، مما يدل على هجرتهم إلى هذه الأنحاء وتوزعهم فيها كما سنذكره .

وهذه العشائر هي كما قدمنا من حيث الأصل ، إما (طائية) ترجع إلى قبيلة طيء التاريخية من عهد بعيد جداً ، كالخرصة وسنجارة وأسلم بما فيهم آل الجرباء ، ولو أن الصلة مفقودة بين هذه العشائر ، وبين قبيلة طيء المعروفة في زماننا إلا قليلاً من المصاهرة التي حدثت من عهد قريب ، وأما هي (قحطانية) غير طائية كالعبدة ومن إليها .

وتفريع هذه العشائر وأسماء بطونها وأفخاذها اختلفت فيه الأقوال وتضاربت ، وحيرت الباحثين ، وجعلتهم يأخذون بالظن والترجيح ، ويقبلون بوجود ثغرات وشوارد ، كما قال بذلك المستشرق الفرنسي مونتاني ، الذي ظل مدة سنتين بين ظهرائي شمر ، ويستعين بعشرات المحققين ، ومع ذلك فقد اعترف أخيراً بأنه لم يبلغ الغاية من الصحة والدقة ، بحكم أن العشائر الشمرية متنقلة ومقسومة إلى شطرين في نجد والجزيرة ، ومتباعد بعضها عن بعض ، وفروعها تتأرجح بين الزيادة تارة والنقص أخرى ، وقد ألف المستشرق المذكور كتاباً قياً عن شمر وتاريخها ، وحكاياتها وقصائدها الغرامية والحربية اسمه (قصص شعرية بدوية ملتقطة عند شمر الجزيرة)^(١) ، نشره معهد الدراسات الشرقية الفرنسي في دمشق عام ١٩٣٩ م .

(١) R. montagne, contes poétiques bédouins (recuillis chez les Schammar de Geziř 1936)

لهذا فنحن سنأخذ أهم الأسماء التي جاءت في كتاب المستشرق المذكور ، وفي كتاب
(عشائر العراق) لعباس الغزاوي ونقول :

سنجارة

« عشيرة شمزية كبيرة ، طائية الأصل ، ومن فريق الحريث من طيء خاصة ، وهذا على رغم فقدان الصلة بين العشائر الشمرية الطائية ، وبين عشيرة طيء المعروفة في زماننا ، إلا قليلاً من المصاهرة التي لم تحل دون هذا البعاد العريق في قدمه ، وعشيرة سنجارة هي قريبة عشيرة زوبع التي في العراق ، حتى أن نخوتها العامة (زوبع) ، ونخوتها الخاصة (جدعة) ، واسم سنجارة جاءهم فيما زعموه من جدهم الأعلى ، الذي ربه جارية اسمها سنجارة ، فسموا بذلك ، ورئيسهم بعد آل محمد هو (الأحذب) ، وهم من أعظم عشائر شمر ، بعضهم في نجد ، وبعضهم في العراق والشام (سورية) ، وهم عندنا حصة آل عمشة من الرؤساء ، وفي هذه العشيرة فرقتان كبيرتان هما الثابت والفداغة ، وهناك فرقة ثالثة هي (العامود) منهم من يلحقها بسنجارة ، ومنهم من يلحقها بالخرصة .

أما الثابت ففيها من البطون (آل زرعة) في مشيخة صعب بن متعب الأحذب ، وأفخاذهم آل عكبة في مشيخة ظاهر الرويس ، وفنودهم الوضحان والشرارة والجودان والروسان ، ثم (آل جاسم) وفنودهم الحدبان وآل وسيد ، ثم (الحدانا) وأفخاذهم آل نجم في مشيخة ابن محيثل ، وفنودهم المثيتة والدجارة ، ثم (آل عمار) في مشيخة ابن محيثل أيضاً ، وفنودهم العجارشة والدياب .

أما الفداغة التي رئيسها هجر بن وتيد ، ففيها من البطون الزملات والحخير والطيور ، فمن أفخاذهم الزملات الحبسا واللوبان ، ومن الحخير الغريب رهط ابن أبي وتيد رئيس الفداغة كلها والمطعات والرثعة وآل سيد وآل سويد والغفيلة ، ومن الطيور النابت والكذور والبواريد ، ويعد من شيوخهم الكبار محمد بن أبي وتيد وخليف اللكلك ، ويذكر المسيو مونتاني المستشرق الفرنسي عن الفداغة هذه ، أنهم بعدوا عن البداوة ، ومالوا إلى الحضارة بحكم اشتغالهم بالزراعة ، واتصلهم برؤساء الأكراد ووجهاء النصارى ، وقد قلت نجعتهم حتى كادت لا تمتاز عن نجمة الأكراد ، ووقعت فرقتهم في تشتت وخذلان ،

بحكم كثرة زواج أبناء هذه الفرق بينات العشائر الريفية ، وفي الفداغة أناس ما برحوا على اتصالهم مع أقاربهم الذين في حويجة العراق ، شرقي الدجلة الباقيين على بداوتهم ، وأناس قد انصرفوا بالمرّة لحياة الحضارة ، وكادت صلتهم تنقطع مع نجد ، ولم يعد يأتهم أناس من البادية يذكرونهم بأخبارهم وأساطيرهم الغابرة ، وهم وإن كانوا يحفظون أسماء أبطالهم السالفين ، لكنهم يجهلون قصصهم ، حتى أن لهجتهم قد تبدلت ، وصارت تماثل لهجة الشوايا باللفظ وكثرة المفردات ، وأكثر فرق هذه العشيرة تحضراً واستقراراً هم القاطنون في الحويجة وقرب بغداد ، ولم يبق مثلاً عند الصايح وزويع إلا بضعة طوائف من الرعاة ، أما أكثر الفرق فقد تحضر واستقر ، وصار يتكلم لغة الفلاحين . اهـ

ويؤيد هذا القول ما جاء في كتاب (عشائر العراق) أن الفداغة فرقة من سنجارة ، ويعدون من زويع ، وأساساً الكل من زويع لما بينهم من اتصال قريب ، ففداغة العراق يسكنون في أراضي اليوسفية ، أما بقية زويع فيسكنون أراضي أبي غريب غربي بغداد ، على أن قسماً منهم لا يزال في البادية مع سنجارة ، ويعيش في البداوة . اهـ . ويذكر من رؤساء الفداغة في الجزيرة مطيران الزعير والوضيخان .

أما العامود ففيها من البطون الغضا والتجاغفة والخلف ، وهذه الفرقة أقل من غيرها عدداً ، ويقال أن لها أقرباء كثيرين في نجد ، وقد اشتهر فيها الشيخ حسن العامود بأنه من أشهر العوارف .

الخرصة

عشيرة شمريّة كبيرة طائية الأصل ، وهم أقرب عشائر شمر إلى آل الجرباء ، وأشدّهم تعلقاً بهم ، وتعصيدهم لهم ، ونحوتهم (سيافة) ، قسم منهم الآن في العراق مع الشيخ صفوق بن عجيل الياور ، وقسم في بلاد الشام (سورية) مع الشيخ دهام الهادي ، وفرقهم الغثم والهضبة والبريخ والبهان والصبة والعليان والحصنة ، وهناك من يعمل فرقة العامود التي ذكرناها في بحث سنجارة من جملة الخرصة ، وتتفرع هذه الفرق إلى بطون وأفخاذ كثيرة في بحث تقتصر منها على ما يلي : ففي الغثم بطون الصبة والملحان ، وفي العليان العكاب والمعزي والسبية والختاربة والدائس والشحاذة والطرابلة ،

وفي البريج البهيمان والولفة والماجد والسعدي والحصنة ، ومن شيوخ الخرصة يذكر حاجم بن غشم في الغشم ، وبردان بن جليدان في الهضبة ، وابن دايس في العليان ، والقعيط في البريج وابن سعدي في الحصنة ، والفند في الصبحة ، ومن عوارفهم ابن سعدي وابن هديد ، ويعد آل دايس في العليان من أعرق البيوت في الخرصة ، ومقامه يأتي بين الرؤساء بعد آل محمد ، ويليه القعيط في البريج .

العبدة

عشيرة شمريّة قحطانية الأصل نخوتها (سنا عيسى) وهي التي كانت سائدة في نجد قبل مئتي سنة ، ويكفي أن يذكر أن آل علي وآل الرشيد حكام نجد السابقين كانوا منها ، ولا يزال لها هناك منازل وأماكن مهمة ، وقد نزح قسم كبير منها إلى الجزيرة من عهد قريب ، هرباً من آل سعود بعد احتلالهم (حائل) وطبهم بساط آل الرشيد ، فزادوا بذلك عدد العبدة ، وهي تنقسم إلى جذمين أو صنجين : اليحيا والربيعية ، ففي الجزيرة من (صنج اليحيا) فرقة الفضيل التي رئيسها عقاب بن عجل ، وهو رئيس العبدة كلها ، وعارفة الجميع ، وفي هذه الفرقة أفخاذ المياخة والشرمان والشريب والعجل والخيساج ، وفرقة المفضل التي رئيسها دايس بن جبول ، وفيها أفخاذ الجبول والمنيس وبني سعد وبني ندا والعيّراب والزبدية والمساعد ، وأخيراً فرقة الشميلة ، وفي الجزيرة من (صنج الربيعية) فرق الهامل والجدي والدغيرات (وهي في نجد أكثر منها في الجزيرة) والعفاريت والزكاريست والمراد والحيسن ، ومن شيوخ العبدة ابن عجل وابن سنجي أحد شيوخ العفاريت ، يملكان وحدهما أرضين في قضاء تل أعفر غربي الموصل ، ومن عوارفهم مسلط بن شريم من اليحيا ، وجزاع بن عنيزان من الجدي .

أما في نجد فللعبدة أملاك ومزارع كثيرة ، يستغلونها بأيدي فلاحين حضر من جبل أجا ، ومنهم هناك من صنج اليحيا فرق المفضل والفضيل والعزي والغزال ، ومن صنج الربيعية فرق الجعفر (الذي منها آل علي حكام جبل شمر قديماً قبل آل رشيد المعدادون من الجعفر أيضاً) والجندة والدغيرات والحسين ، ومنهم فرقة الجيطة ، تتبدى في النفود غالباً .

الأسلم

عشيرة شمرية طائية ، هي أقل عدداً من غيرها ، ولا يزال لها بساتين نخيل في جبل سلمى ، وإليها ينتسب بهيج وسنيس ، اللذان كانا من رؤساء شمر الكبار في زمن بعيد ، وقد جاءت منها بضع فرق إلى الجزيرة من عهد قريب ، وفرقها : أنبيجان في مشيخة دياب بن حسان رئيس الأسلم كلها ، ومن فروع هذه الفرقة اللحالة والهدر والجباريت والحذلة واللهيب الذين أصلهم من الجبور ، والتحقوا بشمر من زمن بعيد ، والبعير في مشيخة حواس السراي والحجيش ، وهم غير الحجيش من زييد ، في مشيخة خلف بن دليان ، والواهب في مشيخة محمد بن ضاري بن طوالة رئيس الأسلم في نجد ، وأخيراً المسعود .

هذا والأسلم ومعها عشائر الصبحي والزميل والتومان تسمى (عشائر الصايح أو الصوايح) لأنهم تصايحوا حينما انضوا إلى لواء الصديد في نزاعه مع الجرباء ، وكان الصديد من الصبحي إحدى عشائر الصايح أيضاً ، على رغم أنهم في الأصل من الجرباء ، ثم تنازعوا وافترقوا عنهم ، ومن فرق الصديد الميامين والخماس والوحدان والشبيش .

التومان

عشيرة شمرية صغيرة مستقلة ، اشتقت من سنجارة ، ومن فرقة الثابت ، وغالبهم في أنحاء الموصل ، وبطونهم الهدبة ، وفيه أفخاذ السهيل والربعة والعودة والجمازة ، والمجرن وفيه أفخاذ الطويلة واليعيش والسيد .

قدمنا في حديثنا عن تاريخ شمر أن فروع هذه القبيلة التي ظلت داخل البلاد الشامية ، واستقرت في محافظة الجزيرة تنقسم إلى (شمر الزور وشمر الحدود) حسب التعبير الذي وضعه الفرنسيون في أول احتلالهم ، بالنسبة لما وجدوا عليه هذه الفروع وقتئذ ، وإذا كان هذان القسمان هما اللذان يتعلقان بموضوع كتابنا نقول :

شمر الزور

هؤلاء من عشيرة سنجارة التي تقدم ذكرها وتفريعها ، ويسمون أيضاً شمر

العمشات ، بحكم أنهم حصة آل عمشة الطائية ، المتحدرين من عبد الكريم ، أو من فارس ولدي عمشة إحدى زوجات جدهم صفوق الفارس المعروف بالحزم ، وهم القسم الذي كان يسوده قديماً فارس باشا الصفوق ، وكان هذا مرتبطاً في عهد الترك بمتصرف لواء دير الزور ، لأن هذا اللواء كان واسعاً جداً يضم محافظتي الفرات والجزيرة الحالتين ، وهؤلاء يمكن أن يقدر عدد بيوتهم نحو ٢٠٠٠ ، وفيهم من الفرق الكبيرة العامود والفداعة والثابت التي تقدم وصف كل منها ، وهم بعد وفاة فارس باشا الصفوق تبعوا ابنه مشعل باشا الفارس مدة من الزمن ، ثم صاروا في رئاسة الشيخ ميزر العبد الكريم الصفوق أحد ممثلي شمر في المجلس النيابي السوري ، وقد خلف ميزر أباه عبد الحسن بعد وفاته في سنة ١٣٥٣ هـ ، وورث منه ثروة طائلة ، وهو الآن في عنفوان الشباب والنشاط ، وعنده اطلاع واسع على الشؤون العامة ، وروح مرحية وطلاقة لسان ، وصوته يرتفع آنأ فآنأ في مذكرات المجلس النيابي ، وهو يملك ثلاثة قرى ، وأرضين واسعة في قضاء القامشلي .

أما مشعل باشا فهو من معمرى آل الجربا ، ومن رواسيهم الأجلء المنظورين ، وهو قد برز منذ أن أعان الترك والألمان خلال الحرب العامة الأولى في حراسة سكة حديد حلب - الموصل ، بصفته ضابطاً عثمانياً برتبة عقيد عسكري فخري ، ولما انتهت تلك الحرب ، وانسحبت جنود الترك من ضفاف الفرات شمالاً نحو ماردين وأورفة ، حفظ رجعتهم من تعدي شذاذ العشائر وظل على اتصاله ووفائه لهم ، ولما بلغ الإنكليز مدينة دير الزور ، وبدأت حركات عشائر الفرات لحربهم وإخراجهم ، اشترك في هذه الحركات ، وأبلى في الوقائع التي جرت في دير الزور وأبي كمال ، وخاصة في حركات شمالي العراق في بلدة تل أعفر ، حينها هاجم هو وابن عمه المرحوم عجيل الياور وبعض رجال شمر مصفحات الإنكليز ، وعطلوها وقتلوا رجالها ، كل ذلك في سنة ١٣٣٩ هـ .

وبعد أن سقطت بلاد الشام بيد الفرنسيين اتصل مشعل باشا بهم ، وزار الجنرال غورو في بيروت ، في جملة الوفود التي كانت تساق إلى زيارته ، لكنه رفض تكليف الجنرال المذكور بتجهيز حملة من عشائره ، مع الفرنسيين لحرب الترك في أورفة ، وما إليها ، فأغضب بزيارته هذه الترك الذين حسبهو انقلاب عليهم ، كما أغضب الفرنسيين الذين حسبهو ضدهم ، ونكب بهذين الظنين الخاطئين ، إذ هاجمه الترك بقوة كبيرة ،

ونهبوا بيته في غراسة وأحرقوه ، كما سلب الفرنسيون عليه بعض أنصارهم ، فباغتهوه في جنوبي جبل عبد العزيز وقصفوه برشاشاتهم ، لكنه دافع في الهجومين ونجا .

وفي سنة ١٣٤٦ هـ صار نائباً عن شمر كلها في المجلس التمثيلي في دمشق ، وانضوى يومئذ إلى الكتلة الوطنية ، ثم اختلف مع الفرنسيين في الحسيجه لنزعته الوطنية ، ومن جراء جباية الضرائب المفروضة عليه ، فلقى من ذلك عنتاً واضطهاداً لم يتحملة إباؤه ، فنزح إلى العراق ، وبقي فيه زمناً إلى أن تمت له أسباب العودة إلى منزله فعاد ، ولما تقدم في السن ، واستلم ابن عمه الشيخ ميزر رئاسة سنجارة اختار الإقامة في دمشق غالباً ، وهو الآن فيها يقضي شيخوخةً صالحةً يحدث زواره بأحاديث طليعة موزونة ، عما قاساه في حياته المديدة من شؤون وشجون كثيرة ، وبأخبار البادية وتاريخ عشائرها ، وهو في هذا الباب الحجة التي لا تبارى .

شمر الحدود

هؤلاء من عشيرة الخرصه التي تقدم ذكرها وتفرعها ، ويسمون أيضاً شمر العواصي بالنسبة إلى آل العاصي بن فرحان ، وشمر دهام بالنسبة إلى الشيخ دهام الهادي العاصي ، الذي هو رئيس الخرصه دون منازع ، وكانوا قبلاً يسمون شمر العراق كما قدمنا ، وهم القسم الذي كان يسوده قديماً فرحان باشا الصفوق ، وكان هذا مرتبطاً في عهد الترك بولاية بغداد ، وبعد فرحان باشا خلفه ابنه العاصي ، وهذا لما شاخ ومرض اضطر إلى المكوث في دمر قبو في الأراضي التي خصصها له الترك ، وكانت رئاسته وقتئذ اسمية ، أما الرئاسة الفعلية فكانت في يد حفيده دهام بن الهادي ، الذي اعترف به بعد العراقيون والانكليز باسم (شيخ مشايخ شمر) ، لكن دهام لم يسالم الإنكليز في بدء الاحتلال ، بل نازعهم وعاركهم مراراً ، فقصفته طائراتهم في سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) واضطرته إلى الالتجاء للأراضي الشامية (السورية) مع قسم من شمر التي ظلت وفيه له ، وأكثرها من الخرصه ، وأسند الإنكليز والحكومة العراقية رئاسة شمر في العراق إلى ابن عمه عجيل الياور على ما قدمنا ، فتألف من جراء ذلك جمع جديد من شمر ضمن بلاد الشام سماه الفرنسيون (شمر الحدود) لقربه من الحدود ، وظل الشيخ دهام نافراً من ابن عمه عجيل الياور لقيامه



الشيخ دھام الھادي رئيس شمر

مكانه في العراق ، إلى أن تم الصلح بينها في مؤتمر عانة في سنة ١٣٤٤ هـ ، ومؤتمر القامشلية في سنة ١٣٤٩ هـ وتم استقرار الشيخ دهام في جنوبي شرقي قضاء القامشلية من رحلة القسروق إلى المسعوديات قرب محطة تل كوشك .

والشيخ دهام من كبار رؤساء العشائر ونبهاهم النافذين ، وأحد نائبي شمر في البرلمان السوري ، وفي الحرب العالمية الثانية تذكر الإنكليز ثوراته السابقة عليهم في بدء احتلالهم العراق ، فنفوه مع غيره إلى جزيرة قران وسط البحر الأحمر ، وظل فيها قرابة سنتين إلى أن عفي عنه وأعيد .

وأسماء قرى شمر الخرصية التابعة إلى مخفر درك جل آغا هي : جل آغا ودمير قبو وقنيطرة وكفرونة وكريفات وتل مشحن وأبو حجر وتل الهادي والدردارة والعرجة وتل حداد وغيرها ، وأسماء المنازل التي يحلون فيها هي المسعودي وسويدية وتل الشيخ وعوينة وتل رميلان وتل علو ، وقد كتب لي أن أبيت ليلة من شهر تشرين الثاني ١٩٤٣ م عند الشيخ باشا المتعب العاصي ، وكان مخيماً في تل رميلان المذكور شمالي محطة تل كوشك ، وأن أصادف ليلئذ في مضره الكبير عدداً من التجار المحويين والحصيين ، يتسوقون غنماً بوساطة الشيخ باشا المذكور ، ورأيت مثله في التوسط لتجارة الغنم ابن عمه هذال الفهد العاصي ، هذا ومشقى الشيخ دهام في تل علو الذي فيه إحدى محطات سكة حديد بغداد ، ومصيفه في حوكر ، وله أراضي في السبع سكور جنوبي الحسجة ، شارك عليها بعض الدمشقيين ، وأراضي أخرى في دمر قبو ، هذا غير أراضيها الشاسعة المترامية في شرقي تل العطشان وجنوبه حتى الحدود العراقية .

هذا وعشائر شمر كلها لاتزال من خلص البدو في حلها وترحالها كل أيام السنة ، لكن البداوة أكثر ماهي باقية عند الخرصية ، أما سنجارة وخاصة الفداغة المنفردة لنفسها فقد تأثرت - كما قلنا - بمخالطة العشائر المتحضرة من أعراب وأكراد ، وبصاهرتها حتى أن لهجتها مالت نحو لهجة الأعراب الشوايا ، ومما يبشر بميل شمر نحو التحضر شغف الشيوخ باستلاك القرى والمزارع ، في سهول الجزيرة الخصبة واستغلالها ، وبازدياد قطعان الغنم لديهم ، وباشتغال بعضهم بتجارة هذه القطعان ، مما سوف يؤدي إلى اقتداء أتباعهم بهم وتحضرهم تدريجياً - والناس على دين ملوكهم - .

وشمر اسم مربع في البراري الجزيرية والشامية والعراقية ، لأن جميع أفرادها مسلحون ، ولا يقتصر الشيوخ في الحدود السورية على البنادق الألمانية والإنكليزية والفرنسية ، وإنما يملكون الرشاشات وبنادق تومي وكثير من العتاد أيضاً ، ويضع الشيوخ في سياراتهم رشاشات من الأمام ومن الخلف ، كأنهم ذاهبون إلى إحدى جبهات الحرب .

مكانة آل محمد (آل الجرباء) - إن شيوخ شمر (آل محمد) لا يقرون بما ذكرناه من التقسيم الذي وضعته السياسة ، ولا يعترفون بوجود أي حاجز ، أو أي فرق بين شمر كلها ، ويقولون إن أي شيخ منهم في العراق تنفذ كلمته على أي جمع من شمر الشام (سورية) ، وأي منهم في الشام (سورية) يستطيع أن يرأس أي فريق في العراق ، والواقع يؤيد قولهم هذا ، لأن الحدود بين شمر القطرين الشقيقين المارة بتل صفوق والممتدة مئات الكيلو مترات حتى تل كوشك هي وهمية ، يجتازها الشمريون من هنا إلى هناك بلا حذر ، فالاتصال دائم ، والألفة بين الأفراد والنجدة حين الفرع الأكبر موفورتان .

هذا ولكل عشيرة رئيس لا يتجاوز نفوذه نطاقها ، وله مكانته وسلطته ، لكن الرئاسة العامة على شمر لآل محمد (آل الجرباء) ، وهؤلاء هم في الأصل من طيء القدماء وذوو الرئاسة العليا على شمر ، منذ أقدم العهود قبل آل الرشيد وآل علي الذين كانت رئاستهم مؤقتة ، وإذا جد الجد واحتدمت المشاكل الكبرى ، فإن شيوخ شمر من غير الرؤساء لا يحكون إلا على فروعهم القريبة ، ولا يمثلون إلا أبناء عمومهم ، أي أن مرد البنت في كل أمر خطير هو إلى (آل محمد) وحدهم ، ومما يحكى عن نفوذ هذه الأسرة على أتباعها أنه من الشدة بحيث^(١) لا يجرؤ أي شمري كان مهما سمى منزلته ، أن يجير منهم أحداً من الناس ، أو من أفراد العشائر الغربية عنهم ، وإذا حل ضيفاً على أحدهم في بيته ، أو إذا التجأ إلى حمايته ، يقول له الشمري أنا أجيرك وأحميك من عشيرتي ، ومن أفراد شمر الآخرين كافة ، حسب مقدرتي ، إلا من الشيوخ (آل الجرباء) فإنني لا أحسن أن أجيرك منهم ، فإنهم إن أخذوا أموالك أو ذبحوك ، ولو في بيتي فلا أتمكن من حمايتك والدود عنك ، وهم بذلك بعكس طبائع عربان عنزة ، فإن الصغير منهم يجير من الكبير ، والوضع

(١) جريدة صوت الفرات العدد ٢٩ السنة ١ ، مقال (معلومات عن تاريخ وأحوال شمر) بقلم : جلال علي التكريتي .

من الرفيع ، على الحق وحسب العادات ، والقوانين العشائرية الموروثة لهم ، والمتبعة فيما بينهم ، وإذا التجأ إلى بيت العنزي فرضاً قاتل أخيه ، أو أحد أفراد أسرته ، دون أن يكون للقاتل معرفة بمنزلته من القتل ، فإن صاحب البيت يجيره ويحميه ، إلى أن يوصله إلى مأمنه ، ولا يرضى أن يهان في منزله ، ويقول أفراد عشائر شمر للناس بموقع المدح والإطراء عن شيوخهم الجربان أنهم يذبحون على الفراش ، ومعنى هذا أنهم باستطاعتهم أن يقتلوا - ولا تبعة عليهم - من شاؤوا داخل بيوتهم وعلى فراشهم ، كائناً من كان من الناس التي لم تكن من شمر ، حتى ولو كان ضيفاً عليهم إلخ ...

وقد سألت الشيخ دهام الهادي عن رأيه في هذين القولين المستغربين فصدق الأول منها ، ونفى وجود الثاني ، وعلل الأول بأن عدم إجارة الشمرى للغريب من شيوخه آل الجربا ناشئ عن شدة نفوذ هؤلاء الشيوخ ، ووفرة حرمتهم ، لدى كل شمرى ، بحيث صار شأنهم تجاه أفراد عشائرهم ، شأن الحكومات في الحواضر والمدن تجاه الأهليين الذين ليس لهم أن يجيروا أحداً مطلوباً من قبل الحكومات المكلفة وحدها بحفظ الأمن ورؤية المصالح العامة ، كل ذلك لعلو كعب آل الجرباء وسؤددهم المتحدر ، كبراً عن كابر ، بحكم أنهم كانوا فيما مضى هم حكام جبل شمر قبل آل علي وقبل آل الرشيد من شمر ، وبالطبع قبل آل السعود العنزيين ، وأن مرد هذا العلو إلى كونهم من طبقة أسمى ، بخلاف الأسر المتراسة في عنزة وغيرها من العشائر ، فإنها في الأصل من العشيرة نفسها ، ولا ميزة فائقة لها على غيرها ، حتى لا يجير أحدهم لاجئ منها . اهـ

هذا والعرف عند آل محمد الجرباء تجعل أي واحد منهم شيخاً على أي فريق من شمر ، إلا أن المتبع لديهم منذ نصف قرن ، هو أن مشيخة الخرصة في آل فرحان باشا الصفوق ، وخاصة في فرع العاصي (العواصي) ، وهم أبناء العاصي بن فرحان الحاضرين ، ومشيخة سنجارية في الشيوخ أبناء عبد الكريم الصفوق ، أو أبناء أخيه فارس الصفوق المعروفين بآل عمشة الطائية (العمشات) ،

شجرة نسب آل محمد (آل الجرباء)

جدهم الأعلى هو ابن محسن بن مشعل بن مانع بن سالم بن (محمد) رأس عمود النسب الطائفي الأصل ، فن (مجرن) جاء الجعيري ، ومنه الحميدي ومنه مطلق وقرينص وعمر

وفارس ، ومن (درس الحميدي) جاء محمد وصفوق (الحزم) ، ومن صفوق جاء عبد الرزاق وفارس وعبد الكريم وفرحان ، فمن (عبد الكريم الصفوق) عبد الحسن وصفوق ومحمد ، ومن (عبد الرزاق الصفوق) طلال وعلي ومن (فارس الصفوق) الحميدي وملحم ومسلط ومشعل ، ومن (محمد العبد الكريم) مطلق ونواف وعبد الكريم ومشعل وعبد الرزاق ، ومن (عبد الحسن العبد الكريم) ميزر وحواش ، ومن (صفوق العبد الكريم) محمد .

أما فرحان الصفوق (فرحان باشا) ، فقد قدمنا أنه تزوج عدة نساء من عشائر مختلفة جاء منهم أولاد وأحفاد كثيرون ، فمن (الجرجرية الكردية) جاء الباشات ، وهم زيد وميزر وبدر وأحمد والحميدي ، ومن (جزعة الشمرية) جاء الجزعات ، وهم مجول وجار الله والعاصي ، فمن (مجول) جاء الحميدي ومنه فرحان ومحمد وحامد وعلي وراكان ودهام وعبيد ورديني . ومن رديني هذا طاووس وفانوس ودبوس ، ومن عبيد درهو وأحمد ، ومن (جار الله) جاء جدعان وتركي وفارس ونواف ونايف ، ومن فارس الجار الله دياب وميزر ومحمد وسويلم ، ومن (العاصي) جاء العواصي وهم شبيب وعيادة ومدلول وبنيان وصايل وزيد والهادي ومتعب وفهد وجاعد وحاجم ، فمن عيادة رزوق ، ومن مدلول علي وميزر ، ومن صايل نوري ، ومن الهادي صعب وفزع ودهام (الشيخ الحالي) وصفوق ، ومن متعب باشا ، ومن فهد منيف وهذال ومن جاعد حواش وشويش ومن حاجم هرير وهيكل ، ومن (درة الطائية) جاء آل درة ، وهم فيصل وعبد العزيز وشلال فمن فيصل وضحان وتركي وسعود ومسلط ومتعب وصفوق وألماني ونوري ومشعان ونايف ، ومن شلال جاء جزع وميزر ومتعب ومشعل وعلي ودهام وبنيان وحيد ومتني ، ومن عبد العزيز جاء عجيل (التناور) وحاروش وراكان ومحمد وسالم ، ومن (سرحة الزوبعية) جاء آل سرحة ، وهم عبد المحسن وثويني وهائش ، فمن عبد المحسن زويد وصعب وزيد وسالم وعماش ، ومن هائش جدي وجري وعليان ، قلنا أن فارس باشا الصفوق أعقب الحميدي وملحم ومسلط ومشعل ، فمن مسلط حاجم ومشعل ، ومن مشعل الفارس (مشعل باشا) نوري ونايف وتركي ، هذا ويسمى فرحان وفارس وعبد الكريم أبناء صفوق الحزم آل عشة (العمشات) لتحدرهم من عشة بنت شيخ طيء ، أما (مطلق الحميدي) فقد جاء منه مسلط وفهد ومن فهد سلطان ومنه سميظ ومنه كردي ومنه سظام

وهيكل ومشعل ، وأما (عمرو الحميدي) فقد جاء منه شلاش ، وأما (قرينص الحميدي) فقد جاء منه بنية .

هذا ما اقتبسناه من كتاب المسيو مونتاني الذي قضى سنتين بين شمر يجمع أخبارها وأنسابها ، فإن كان ثمة زيادة أو نقصان فإلهة عليه ، والعصمة لله .

منازل شمر - منازل شمر في محافظة الجزيرة ، فشم الزور (سنجارة) في الغرب في ضفتي الخابور والجفجف ، داخل قضائي الحسيجة والقامشلية ، وشم دهام (الخرصه) في الشرق قرب الحدود العراقية ، وجنوبي قضاء ديريك ، وهم يبقون مجتمعين في هذه المناطق ، على هيئة فرق صغيرة منفردة ، ويعملون في تربية الماشية ، ومنهم من يعمل في الحرث والزرع في أراضي الشيوخ ، وشم الزور (سنجارة) يبيعون نواتجهم في أسواق القامشلية والحسيجة وعامودة ، وربما بلغوا رأس العين ، أما شمر الخرصه فأكثر ما يغشون أسواق دمر قبو وقبور البيض .

أما في الشتاء فنجدتهم كبيرة في براري الجزيرة ، فهي تقع من الشمال إلى الجنوب ، فشم الزور ينجعون المنطقة الواقعة بين جبلي سنجار وعبد العزيز في الشمال ، ونهر الفرات حتى روة في الجنوب ، داخل الحدود العراقية .

أما شمر الخرصه فإنهم ينجعون ممالح البوارة ، ويتوغلون في داخل الحدود العراقية أيضاً ، ويصلون إلى روة بينا يكون رئيسهم الشيخ دهام مقيم في مضاربه داخل الحدود الشامية (السورية) ، وكذلك يفعل الشيخ ميزر ، شأن رؤساء العشائر كلهم ، الذين آثروا البقاء وعدم اللحاق في الحل والترحال ، والمناهل التي يردونها في الصيف ، هي يسار الخابور غين ابن حرشان والبحرة والخاتونية والشلالة وكسيحة ووادي عجيج والروضة وأبو حامضة وغيرها ، وفي يمين الخابور المغلوجة وسوسة والغرة في شمالي جبل عبد العزيز ، وأم مدفع والبيضاء والرويضات والجرجية والجزاعية قرب البليخ ، الذي يبلغوه ويحتكوا فيه بعنة (الفدعان الخرصه) ، وتحدث حينئذ مشاكل بين الرعاة على المراعي والمناهل .

حوادث شمر الأخيرة وخلافاتها مع جيرانها :

١ - الخلاف بين شمر والقدعان : بعد أن توفي العاصي جد دهام في سنة ١٣٤٣ هـ

(١٩٢٥ م) نقض دهام الصلح الذي كان بين شمر والقدعان ، وجهاز غزواً كبيراً من جميع شمر (الخرصه وسنجارة) ، وهاجم القدعان ، فتدخلت السلطة الفرنسية ، وأوقفت القتال ، وفرضت الصلح على الفريقين في مؤتمر دير الزور سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) ، لكن الفتنة نشبت مرة أخرى في سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) في أنحاء جبل عبد العزيز بسبب المراعي ، فتدخلت القوى والطيارات الفرنسية ، وانتهى الصلح في المؤتمر الثاني الذي عقد في دير الزور أيضاً ، وساد الوئام من ذلك الحين .

٢ - الخلاف بين شمر وعشيرة ميران الكردية : في ربيع سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) قتل قضاءً أحد إخوان الشيخ دهام الهادي في صدام حدث بين فرسان من شمر الخرصه ، وآخرين من أكراد الميران ، يقودهم نايف بك بن مصطفى باشا المستو ، ولم تنجع الوساطات في تأدية الدية ، إلى أن حكم نايف بك بالسجن ثمانية أشهر قضاها وخرج ، وظلت الحزازات مستمرة بحكم أن المقتول رئيس ووجيه ، لا يغسل دمه إلا بالدم ، بمقتضى العرف العشائري ، على أن أهل الخير يأملون تسوية هذا الأمر بالحسنى ، اعتماداً على الروح الطيبة في الفريقين .

٣ - الخلاف بين شمر والعقيدات : في صيف سنة ١٣٦٠ هـ قتل العقيدات صفوق الفيصل ابن عم صفوق بن عجيل (الياور) شيخ شمر العراق ، في غزوة كان يقودها على العقيدات داخل الحدود الشامية (السورية) التي تحطها . فحدثت فتن ومعارك كثيرة من جراء هذا القتل ، واتسع الخرق ، وثأر شمر الجزيزة من العقيدات لابن عمهم المقتول ، وسلبوا لهم غنماً وفيراً ، جله لتجار دير الزور ، وعقد مؤتمر للصلح في الموصل ، قرر المحكون فيه (قاعدة الحفر والدفن) ، لكن هذا الصلح لم يرق للعقيدات ، فجددوا غاراتهم على شمر العراق ، ذلك لأن ثلاثة من شيوخ العقيدات ، وهم فارس الصياح من الدميم ، ومشرف الدندل من الحسون ، وتركي النجريس من الثلث ، لم يرضوا بالشيخ جدعان المهفل أكبر مشايخ العقيدات ، الذي لم تستشر السلطات سواه في المفاوضات عن جميع العقيدات ، فأعيد المؤتمر في دير الزور ١٣٦١ هـ (شباط ١٩٤٢ م) وعقد الصلح نهائياً ، ووقعه كل شيوخ العقيدات ، كما وقعه الشيخ صفوق الياور ، وأعيد الغم المنهوب إلى أصحابه ، لكن هذا الصلح أيضاً لم يدم للأسف ، فتكررت غارات العبدية من شمر على العقيدات ، مرتين خلال سنة ١٩٤٥ م ، ولم ينته الأمر كما يجب حتى طبع هذه الأسطر .

عشائر الشام (٤١)

٤ - الخلاف بين شمر والبقارة : كان خالد الحمى الطلاع رئيس فرقة البو معيش من بقارة الزور نزح عن عشيرته لحوادث دم وغيرها ، ولجأ إلى الشيخ ميزر عبد المحسن رئيس شمر الزور ، وأقام على الحدود العراقية السورية مدة سنتين (١٩٣٤ - ١٩٣٦ م) ، ولما أجازت الحكومة إلى الشيخ ميزر بوضع اليد على خمس قرى في ناحية الدرباسية ذات مساحات عظيمة ، نقل خالد الحمى مع فرقته إلى هذه القرى ، وحملهم على استثمارها بالشراكة مناصفة ، فظل خالد المذكور فيها حتى سنة ١٩٣٧ م التي اشتدت فيها حركات الفرنسيين ضد الحكم الوطني ، وانحاز بعض ذوي الضمائر الرخيصة إليهم ، ومنهم خالد المذكور (فيما رواه) ، وأراد الفرنسيون وقتئذ أن ينتقموا من الشيخ ميزر لموقفه الوطني ، بعد أن كانوا يظنونهم معهم ، فحملوا خالداً على عصيان ميزر ، واغتصاب القرى ، وطرده جماعة ميزر منها .

وشرع ميزر بالمراجعة والادعاء وسعى كثيراً إلى حل المعضلة بالحسنى ، فلم يوفق خلال سني ١٩٣٨ م - ١٩٤٣ م التي كانت الكلمة فيها للفرنسيين ، وظل خالد الحمى مغتصباً القرى والحاصلات ، وصدف أن أحد الأكراد من الكيكية ، وهو الحاج درويش موسى رئيس إحدى فرق الكيكية باع قرية تل بيدر إلى خالد الحمى المذكور ، فلم يرق هذا البيع إلى عشيرته ، لكرههم مجاورة البقارة ، وأرادوا منعه ، ثم كان خلاف قديم بين الشرايين والبقارة ، ومن هنا اتحدت شمر وميزر والكيكية والشرايين ومعهم حرب ، باعتبار أن الحلف لشمر ، وهاجوا البقارة ، فأنجحت بقارة الزور إخوانها بقارة الجبل ، ومعهم البوحندان الذين أصلهم من البقارة ، واشتبك هذان المعسكران في معارك ظفر البقارة في الأولى منها ، ثم دالت عليهم في التالية ، وفي الأولى بلغوا بيت الشيخ ميزر في قرية سهكي (ثلاثة تلال) واقتحموه ونهبوه ، وهو عمل معيب عند العشائر ، لأن الرئيس الغالب إذا دخل بيت الرئيس المغلوب يجب عليه أن يحتله ، ويصونه من النهب ، وإذا كان البقارة عملوا خلاف ذلك ، ثارت ثائرة شمر كلها ، وأنجدوا ميزراً ، وتفاقم الخطب ، وسالت الدماء ، ووقع من الفريقين فيما قيل مئات القتلى من الرجال ، خلاف الأطفال والنساء التي لاتذكر ، وخربت مئات القرى ، ونهبت عروض لاتحصى ، وقيل أنه كان لبعض الموظفين يد سيئة في هذا الأمر ، وطال الخلاف ، وعقدت عدة مؤتمرات للصلح بحضور محافظي الجزيرة والفرات وغيرهم في أول سنة ١٩٤٦ م ، لم تثر عن نتيجة ، إلى أن

أثمرت في المؤتمر الأخير الذي عقد في نيسان تلك السنة ، وكان فيه السيد نوري إيش ومجحم آل مهيد وراكان آل غبين ، وتم الصلح على قاعدة (الحفر والدفن) بعد أن حدد عدد القتلى بثمانين من جماعة شمر ، ومثلهم من البقارة ، وعدد القرى التي خربت بـ ١٣٥ ، وهكذا انتهت هذه الفتنة الشعواء .

٥ - الخلاف بين شمر والبومتيويت : حدثت في شهر آب ١٩٤٦ م فتنة شعواء أخرى ، كالتي سبقت ، ضمن الحدود العراقية بين شمر العراق تناصرهم شمر الجزيرة من جهة ، وبين عشيرتي الأبومتيويت والجحيش الموصلية تناصرها يزيديّة سنجان من جهة أخرى ، وسببها هو خلاف على أرض للمرحوم الشيخ عجيل (الياور) أقطعها للأبي متيويت والجحيش على أن يستغلوها ، وتكون مناصفة بينه وبينهم ، فأدوا ما عليهم في السنتين الأوليتين ، ثم أمسكوا في الثالثة ، وقالوا لن ندفع ، فرفع أبناء عجيل الأمر إلى الحكومة العراقية مراراً ، لكنه ظل بدون حل ، إلى أن تجدد النزاع في آب سنة ١٩٤٦ م ، وتفاقم حين مجيء أبناء عجيل لطلب حصصهم من الغلال ، ورفض أخصامهم التسليم ، ف وقعت أعنف معركة بدوية في زمننا سالت فيها الدماء ، واحترقت بيادر ، وخربت القرى الواقعة حول مكان النزاع ، وسقط مئات من القتلى والجرحى من الفريقين ، وقد هرع معظم شيوخ شمر من الحدود الشامية إلى المعركة ، تأييداً لشمر العراق في حركتها ، ووقفت الجزيرة بعربها وكردّها إلى جانبهم ، وأقبلت القوات العراقية والسورية ، وتوسط العقلاء وهدؤوا الحالة ، وانعقد الرجاء بأن تبادر الحكومة العراقية لحل الخلاف ، وإعطاء كل ذي حق حقه .

٦ - الخلاف بين شمر وعشيرة الملي الكردية : حدثت معارك عديدة في الربع الأول من قرننا الهجري الحاضر بين شمر وعشائر الملي الكردية ، التي وصفناها في بحثها الخاص ، كانت خلالها شمر متنازعة بعضها مع بعض ، مما أدى إلى الفشل وذهاب الريح ، وإلى فوز إبراهيم باشا رئيس عشائر الملي المذكورة على شمر فوزاً كبيراً ، ذكر لي ذلك محمد علي بك بن خليل بك آل إبراهيم باشا ، وسألت الشيخ دهم عنه ، فأقره ، وبين أسبابه ، وهو التنازع المذكور ، إلا أن هذا الخصام القديم تبدل بعد إلى صلح ووئام ، وحصلت مصاهرة بين الفريقين بزواج الشيخ ميزر عبد المحسن رئيس شمر الزور (سنجان) بابنة خليل بك الموما إليه .

طبيء

عشيرة ريفية كبيرة ، تعد العشيرة العربية الثانية في محافظة الجزيرة من حيث المكانة والنفوذ ، وبعد الصيت وعراقة النسب ، ومكانتها تأتي بعد شمر ، ورؤساء طبيء يكادون يعادلون رؤساء شمر في كرم النبعة ووفور الحرمة ، وهم يتزاجون ويتصاهرون فيما بينهم ، دلالة على التعادل .

وطبيء الحاضرة هي في الغالب متحدرة من قبيلة طبيء القحطانية القديمة التي تقدم الكلام عنها مراراً في بحث التاريخ ، وفي بحث عشيرة شمر ، وعشيرة الموالي ، وهم لايزالون محتفظين باسم طبيء الأصلي ، وقد خرج أسلافهم من جبلي أجا وسلمى ، المعروفين قديماً باسم جبلي طبيء ، والآن باسم جبلي شمر ، بعد أن استولت عليها شمر ، وأزاحت طبيئاً منها ، وكان من طبيء الأصلية هذه أمم كثيرة ، ملؤوا السهل والجبل ، حجازاً وشاماً وعراقاً ، كما قال ابن خلدون وذكرناه في الجزء الأول من كتابنا هذا (ص ٦٩ و ٩١) ، وقد تفرعوا إلى فروع كثيرة .

لكن المستشرق المسيو موتاني الفرنسي الذي تقدم ذكره في الجزء الأول يقول في كتابه (قصص شعرية ملتقطة من شمر الجزيرة) أن طبيئاً الحاضرين ليسوا قدماء من زمن بعيد في الجزيرة ، ولا يمتون إلى من تحدث عنهم ابن خلدون إلا بعلاقة النسب ، بل إن هؤلاء كانوا في القرن ١٢ هـ (١٨ م) لايزالون في نجد في جبلهم المسمى باسمهم ، ضمن حلف عشائري مؤلف من طبيء وبهيج وسنس ، وهناك بيت شعر قاله رجل من شمر ، يخاطب به أحد رؤساء طبيء :

قبلك بهيج حדרوه السنايس من عقدة ما يتحلحل قناها

يريد أن بهيجاً رئيس قبائل زبيد وأميرهم وقتئذ كان قبلك ، وقد أصابته الضربة القوية منا ، فأنزلناه من (عقدة) أي من أجا وسلمى (جبلي طبيء) فلا نخشاك ، ولا نبالي بك ، وأنت أقل قدرة منه ، ويقصد بالسنايس الذين ينتخون بالسنعوسية وهم عشائر مهمة من شمر .

ويظهر أن محبي شمر من الين إلى نجد ، ومزاحمتها الحلف العشائري المذكور ، أدت

إلى هجرة هذا الحلف نحو العراق والجزيرة ، فبلغت طيء أنحاء الجزيرة ، وبلغت سنس و بهيج أنحاء كركوك في العراق ، حيث تجد بقاياها حتى الآن ، والدليل على حداثة هذه الهجرة أن فرقة الأسلم الشمرية التي تمت إلى طيء وإلى حاتم الطائي لا تزال تملك بساتين نخيل في جبل سلمى ، و طيء الجزيرة الحاليون يدعون أنه لا يزال لهم أملاك في نجد ، وإن لم يكن لديهم ما يؤيد ذلك ، ولما قتل الترك صفوقاً رئيس شمر في حدود سنة ١٨٤٣ م (١٢٥٦ هـ) قامت أرملته عمشة المشهورة بنت شيخ طيء ، وحملت أولادها ، ولجأت بهم إلى أخوالهم الطائيين الباقين في نجد ، ولقت لديهم ترحاباً .

ومهما يكن تاريخ هذه الهجرة ، فإن عشيرة طيء الحالية وخاصةً بطونها الأصلية الأربعة سنس وبنو اليسر (اليسار) والفرير والحريث ، ومعها أحلاف عديدون مختلفو المنابت ، جاءت إلى الجزيرة وفرضت سيطرتها على العشائر القديمة المستقرة فيها من قبل ، ثم انبسطت من حدود دير الزور على الفرات إلى سفوح جبال الأناضول ، وجبت الأتاوات (الخوة) من الأعراب والأكراد القديمين ، وكانت في تلك الحقبة ذات سطوة وحركة كبيرين ، من الغارات والمعارك ، على نحو ما كان للعبدة والخرصة من شمر خلال القرن الماضي ، وكانت طيء كما كانت شمر التي خلفتها منقسمة إلى جذمين كبيرين ، ينفث الترك بينهما الشحنة دوماً إضعافاً لها .

وقد اصطدمت طيء بأمراء الموالي منذ القرن الثاني عشر وقبله ، وبعث مرة أحد هؤلاء الأمراء أربعين فارساً لخطف فتاة من طيء اسمها حمرة الموت على ما ذكرناه في بحث الموالي ، وكانت طيء ضعفت من توالي عراكها مع حضر الجزيرة ، فلم تستطع مقارعة الموالي ورد طغيانهم ، إلا بمعونة عشيرة العبيد الزبيدية الأصل التي كانت في أنحاء الخابور ، وعند طيء (قصائد وحكايات = سواف) عن وقائعها ، ووقائع العبيد مع الموالي .

وعاركت طيء عشيرة قيس (جيس) المعروفة بشدة مراسها وشروها ، حتى صار يضرب المثل بعداؤها الذي كان ضرامه لا يخبو ، فيقال (مثل قيس وطيء) .

وقد أضعفت هذه الغارات والمعارك طيئاً ، بحيث أنها حينما وفدت شمر في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وعبرت إلى الجزيرة بقيادة فارس الجربا ، دحرت طيئاً إلى منازلها الحالية حول نصيبين ، كما دحرتها من قبل من جبلي أجا وسلمى في نجد ، وبदلت

اسم هذين الجبلين من طيء إلى شمر ، على أن شمر فرع من طيء ، فيكون الفرع زاحم الأصل ، وتتبعه من مكان إلى مكان .

ولا يزال رؤساء طيء معدودين من كبار رؤساء العشائر في عراقه النسب ، لهذا لما تخطت شمر إلى الجزيرة ، وفرضت الخوة على عشائرها القديمة أبت طيء أن تؤدي الخوة أنفة ، واكتفت بتزويج إحدى بناتها ، وهي عمشة ابنة شيخ طيء حسين العبد الله إلى صفوق بن فارس الجربا شيخ شمر ، وجاء بعد من عمشة هذه فرع كبير من آل الجرباء دعي بالعمشات ، وصار شيوخ شمر حتى الآن إذا خاطبوا أحداً من شيوخ طيء ينادونه : ياخالي .

وقد سعى الترك منذ القرن الماضي لتحضير عشيرة طيء ، وحضوهم على الاستقرار ، ومن ثم قلت إيلهم ، وزادت شياهم ، وصغرت نجعتهم في الجملة ، وأنصرفت أكثر فرقيهم للزراعة ، وللإختلاط بالأسر المتحضرة الغربية ، بينما بعضهم لا يزال محتفظاً ببدائته الصحاء ، وأنفته عن الزراعة ، تمسكاً بالتقاليد البدوية الأصيلة .

وعشيرة طيء الموجودة في الجزيرة مؤلفة من فرق مختلفة المنابت ، فبعضها أمثال العساف والحريث وسنيس وبني فريز واليسار من الطائيين الأتجاح ، أما البقية فإنها ليست بالنسب من طيء ، وإنما هم حلفاء ، أو مستجرون ، أو أعوان رؤساء طيء ، وقد غلبتهم التسمية ، وتقادم الزمن عليهم ، فأصبحوا من طيء ، وهم من عشائر يعثر على أصولها أو فروعها في مناطق أخرى ، كالراشد وحرب وبني سبعة ، فإن أصول هؤلاء موجودون في شبه الجزيرة العربية ، وكالحوالة الموجودة في الجزيرة الفراتية ، وثمة فرقة من حرب في منطقة عرادة إلى الشمال الشرقي من رأس العين ، ويوجد قسم من الغنامة والمعامرة بين الجبور ، وقسم من البقارة بين طيء وهكذا .

ومنازل طيء حول القامشلية جنوباً وشرقاً ، وحدهم الشمالي الحدود التركية ، أو سكة حديد بغداد ، والجنوبي نهر الراد أحد روافد الجفجف ، وحدهم الغربي الجفجف نفسه ، وحدهم الشرقي سيل ماء اسمه رجلة القصورق ، يبدأ من تل عطيشان ، ويفصل بينهم وبين شمر ، أما أماكن نجعتهم فهي محصورة بين سكة الحديد المذكورة وجبل سنجار ، وقد

يبعدون إلى أراضي البريجية وعقلة أبو حامضة ، وهي عقلة ماء في داخل الحدود السورية ، في جنوبي الجبل المذكور ، وعندهم قطعان كثيرة من الغنم والإبل ، وأرضون واسعة خصبة ، صالحة لزراعة الحبوب ، ولا سيما الرز في وادي الجفجف ، وعندهم ولا سيما في الحريث مرابط خيل عتاق ، أخصها المليحيات وكحيلية العجوز وكحيلية ابن مزهر ، هذا وتزايد في عهدنا عناية طيء بالزراعة والتحضر يوماً بعد يوم ، وامتدادها بإحياء براري الجزيرة المواث نحو الجنوب والشرق من قضاء القامشلي ، مع العناية بتربية المواشي ، والحل والترحال لأجلها ، ومن هنا كانت أحوالهم الاقتصادية أحسن من غيرهم ، وصار رؤسائهم في الدور الفخمة في القامشلي ، يعيشون في رفه وحضارة ، وإن كانوا مقصرين حتى الآن في ترشيح ممثل عنهم في المجلس النيابي .

ولهذه العشيرة صلة وثقى بجيرانهم الأكراد ، وكثير منهم يتعلم اللغة الكردية بالمعاشرة ، وأكثر العشائر الكردية التي حول طيء تخضع عرفاً لرئاسة طيء ، وتطبق منهاجها ، وتندمج في حلفها ، كما يفعل ذلك الكرد الذين قرب عشيرة شمر ، والمتعلقين بها .

أما نفوس طيء مع لواحقها فيقدر بـ ٥٠٠٠ بيت ، وهذه القلة من جراء ما كان لشيوخها في الماضي من سياسة البطش والتنفير ، مما أوجب انقراض الناس عنهم ولم يزد عدد العشيرة بالمخالفات والمساكنة ، كما يجري في بقية العشائر القوية من أمثال طيء .

فرقمهم ؛ تتألف فرق طيء من طيء الأصليين ومن لواحق طيء ، فطيء الأصليون هم العساف والحريث وسنسب واليسار وبني فريز ، ولا يزال من هذه الفرق أناس متخلفون في العراق وتركيا ، حتى أنه لا يوجد في بلاد الشام (محافظة الجزيرة) من سنسب وبني فريز إلا أفراد قلائل ، ومن اليسار إلا فخذ صغير ، أما (آل عساف) نحو ٢٠٠ بيت ، وهم أجل فرق طيء قدراً وأعرقها نسباً ، وفيهم الرئاسة على طيء كلها ، يتوارثونها أبناء هذه الفرقة كبراً عن كابر ، وفي آل عساف فخذان الفهد والحسن ، وهم في مشيخة بيت (العبد الرحمن) ، وعبد الرحمن هذا هو ابن حسن بن حسين بن عبد الله . أما عساف الكبير فبعيد بحيث لا تعرف السلسلة الممتدة إليه ، ولعله من ذراري إياس بن قبيصة الطائي الذي حكم الحيرة عاملاً لكسرى في فترة من فترات التاريخ ، وعد في صف

الملوك ، وقد أعقب عبد الرحمن الحسن ثمانية أولاد ؛ علي وسليمان وعبد الرزاق ومحمد وطلال ومطلق وعبد المحسن ونايف ، وقد أعقب كل من هؤلاء ما عدا عبد الرزاق ومطلق عدة أولاد ، فأصبح بيت العبد الرحمن كبير العدد والنفوذ ، وإن بدأ يفقد نفوذه منذ زمن ، ولم يعد ينجب عطاء ، كما كان من قبل . أما (آل حريث) فهم مثل آل عساف في عراقه النسب ووفور القدر ، وأفخاذهم المازن والمهاني والمقطف والنهاب ، وهم في مشيخة حسين بن محمد المقطف وإبراهيم بن محمد النهاب ، ويذكر من وجهاء طيء علي السلطان ، وهو شيخ فرقة اليسار .

أما لواحق طيء فهم من حيث المكانة الخلافة فالراشد فالجولة فحرب فبني سبعة فالأبي عاصي فالغنامة فالمعامرة فبقارة طيء ، (الخلافة) وإن كانوا قليلي العدد (نحو ٣٠ بيتاً) لكنهم ممتازون بدرائتهم وفروسياتهم وظهور العوارف منهم ، ويليه (الراشد) ، وهذه فرقة كبيرة جلييلة القدر في طيء ٣٥٠ بيتاً ، ذات أربعة أفخاذ أشهرها البري والغثيث ، ورئيس الراشد عبد الرزاق الحسو ، والراشد يقطنون قرى الحصويات والعمرى والدلاوية والصافية وتل سطيح ، و (الجولة) فرقة كبيرة مشهورة بسمها الفاخر (نحو ٥٠٠ بيت) ، ذات فخذين الأبي شريف والبسابسة ، ورئيس الأول سلومي الحميد ، ورئيس الثاني محمد الدندج ، ويذكر عن الأول أنه ملاك كبير ، وذو معشر لطيف ، و (بني سبعة) فرقة كبيرة نحو ٣٠٠ بيت ذات خمسة فنود ، رؤساءها محمد سليمان الغنام وعبد العزيز الأسعد الضاهر ، و (الغنامة) ٢٥٠ بيتاً ، وهؤلاء منصرفون للزراعة والتجارة ، ورؤسائهم شيوخ دين ينتمون إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ، أميرهم سليمان اليوسف وباهي الحسين ، و (المعامرة) ١٠٠ بيت ، رئيسهم أحمد العازل ، و (زييد) ١٠٠ بيت ، رئيسهم محمد الفارس ، و (الأبوعاصي) ٨٠ بيت ، رئيسهم عشير السبير ، أما (حرب) فيأتي ذكرهم بعد ، وكل هذه الفرق تشق في قراها في بيوت الطين والحجر ، فإذا جاء الربيع خرجت إلى البراري والأراضي التي لاتزال مواتاً ، الممتدة قرب الحدود العراقية جنوبي نهر الردي ، وسكنت بيوت الشعر ، وأربعت مواشيها الكثيرة حتى موسم الحصاد ، ثم رجعت .

أما المشيخة الكبرى في طيء فقد كانت حتى سنة (١٣٤٦ هـ) في يد الشيخ محمد

العبد الرحمن آل عساف ، إلى أن تقمت عليه العشيرة لتهاونه في إدارتها ، فشيخت أخاه نايفاً . فحقد عليه محمد وتآمر عليه مع الترك ، واغتاله في سجن نصيبين ، ثم نرح إلى الحدود التركية مع بعض الفرق ، أما بقية العشيرة فقد ظلت داخل الحدود الشامية (السورية) ، ونادت بمشيخة إخوانه طلال ثم عبد الرزاق ثم مطلق ، وقد بقي كل من هؤلاء مدة إلى أن توفي مطلق ، فعادت العشيرة وشيخت محمد العبد الرحمن ، فظل قائماً بها إلى أن كبر ابن أخيه عبد الرزاق بن نايف ، فطلبت العشيرة إعادة المشيخة إليه ، فصدر قرار وزارة الداخلية في تشرين الأول سنة ١٩٤٥ م بتنحية الشيخ محمد ونصب الشيخ عبد الرزاق ، وهو الآن شاب في العقد الثالث ، وذو ذكاء ونباهة ، وصاحب أملاك واسعة وقرى عديدة في جنوبي القامشلي ، ومسكنه في قريتي الشيخ عجيل ، على بعد عشرة كيلو مترات عن القامشلي ، وأملاكه في قرى الشيخ عجيل وجوخة وجرمز وعمركان وخرنوبية ، والقرى الأربعة الأولى على نهر الجفجف ، وعنده ساحب آلي وهو يعنى بزراعتة .

ويذكر عن الشيخ عبد الرزاق الحسو رئيس فرقة الراشد أنه في مقدمة الشيوخ مقدرة ونباهة وأناقة في المعيشة ، وفي قرى الضيفان في مسكنه في القامشلية ، التي يعد من وجهائها .

الجبور

يزعم الجبور أنهم قحطانيون ومن زبيد ، ومن أعقاب الصحابي الجليل أبو ثور عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، كما يزعم ذلك العقيدات والأبي شعبان على ما مر في بحثهما ، إلا أن الجبور يعتبرون أنفسهم أصلاً للقحطانية والزبيدية ولا يعترفون بهذه النسبة إلا لعشيرة الدليم العراقية ، ولعشيرة الأبي شعبان القاطنة في قضاء الرقة ، ومعنى ذلك أنهم لا يقرون للعقيدات بهذه النسبة ، ومن المعلوم أنه بين العشيرتين عداً قديماً متأصلاً ، بحكم المجاورة والتزاحم على المنازل والمراعي ، لا ينقطع شروره بينهما (كما جرى في ربيع سنتنا هذه) فلعل هذا العدا هو السبب في ذلك الإنكار .

ومهما يكن فالجبور عشيرة كبيرة تقطن في مجرى الخابور الأوسط ، وعلى ضفتيه اليمنى واليسرى وتمتد من تل حسين وتل الشيخ حمد في شمالي الصور ، حيث منتهى حدود

العقيدات ، إلى أطراف قرى الآشوريين والشاشان في أعالي الخابور في شمالي غربي الحسيجة ، حيث مبدأ حدود البقارة ، وتمتد أيضاً على ضفتي الجنبج من مصبه في الخابور حتى تل حيدي في شمالي شرقي الحسيجة حيث مبدأ طيء .

والجبور عشيرة ، وإن عدت نصف حضرية ريفية لكن هواها لا يزال كالبدو الأقحاح ، في البداوة وعيش الخشونة وتربية الإبل أولاً ، والغنم ثانياً ، والظعن وراءها في البراري الواسعة ، المجاورة لمناطق نفوذها في شرقي الخابور وغربيه ، ومن ثم كانت عنايتها بالحرث والزرع قليلة ، وبمحاصيلها سقيمة ، وحالتها الاقتصادية أنقص مما هي لدى العشائر المجاورة ، ولكن لما جاءت ظروف السنين الأخيرة ونشطت الحركة الزراعية في أراضي الجزيرة الخصبة من الشمال نحو الجنوب ، وبلغت أراضي الجبور ، استيقظت هذه العشيرة من غفوتها ، وشرعت تتعلق بالأرض ، وتحث وتزرع ، ولا ريب في أن مستقبل هذه العشيرة كبير إذا انصرفت نحو الزراعة ، وعرفت كيف تستفيد من مشروع قناة تل مغاص ، الذي على وشك الانتهاء ، وسيروي ما يقدر بثمانية آلاف هكتار ، ومن غيره من المشاريع المأمول إحداثها على الخابور ، فالجبور تملك اليوم مساحات شاسعة من الأراضي ، المعدة لأن تكون مسقية إذا تمت هذه المشاريع ، وكثير من الأنهار الدوارة المشتقة من الخابور في العصور الماضية هي في حوزة هذه العشيرة ، أخصها بالذكر نهر التف الواقع بين قريتي عجاجة وطابان على الخابور جنوبي الحسيجة ، وقد أتيح لي أن أجتاز بسيارتي وسط مجرى هذا النهر ، وأمتع النظر مأخوذاً بروعة الأراضي الخلاء القواء التي كان يسقيها فيما مضى ، وهي تبلغ ألوف الهكتارات الفريدة في انبساطها وامتدادها ، واتساعها وجودة تربتها ، وفي جمال ربيعها الزاخر بمختلف الأعشاب والأزهار النامية غواً يخفي الجبل المبارك بينها .

وفي تاريخ الجبور يقال أنهم حديثو العهد بالورود ولكن قبل العقيدات ، فهم بعد أن كانوا في نجد ، جاؤوا إلى بادية الشام في أواخر القرن العاشر ، أو أوائل الحادي عشر الهجري ، واستقروا في ضفة الفرات البني ، وبينما كانوا مقيمين مطمئنين فاجأتهم عشيرة العقيدات وزاحتهم ، وأجلتهم عن أماكنهم ، فعبروا الفرات ، وانتقلوا إلى ضفة الخابور البني من تل رمانة حتى البصرة ، وإلى ضفة الفرات اليسرى من البصرة حتى جبل

العربي تجاه أبي كمال ، بيد أن نمو عددهم وضيق المراعي ومجيء شمر بعد العقيدات وغاراتهم ألبأتهم شيئاً فشيئاً للرحيل والابتعاد عن ضفة الفرات اليسرى ، فنزح بعض الجبور إلى العراق ، إلى أنحاء بغداد وكربلاء ، وبعضهم إلى أنحاء الموصل وكركوك ، وهم يؤلفون هناك جموعاً كبيرة تدعى (الجبور) ، وظل بعضهم في أنحاء دير الزور ، وفي سنة ١٢١٥ هـ تواقعوا مع العقيدات في معارك عنيفة ، وكان يرأس العقيدات يومئذ عبد الله الهفل ، ويرأس الجبور محمد أمين الملحم جد مسلط باشا الصالح الملحم ، فاضطر الجبور إلى إخلاء البصرة ، والانسحاب شمالاً نحو مجرى الخابور الأوسط ، ودام النزاع حتى سنة ١٢٨٠ هـ ريثما ألقت الدولة العثمانية لواء الدير ، وأخضعت العقيدات وغيرها من العشائر ، ووطدت الأمن إلى حد بعيد .

والرئاسة في الجبور في يد أسرة (آل ملحم) ، وهي أسرة كبيرة قوية عرفت بجراتها وبسطة يدها ، وقد امتاز الجبوريون على سائر العشائر بأنهم يخضعون لهذه الأسرة كل الخضوع ، ولا يشذون عنها ، ولا يرمون أمراً إن لم يحضره أحد رؤساء هذه الأسرة ، وهي كثيرة العدد ، وتكاد تؤلف أكبر فخذ في العشيرة ، وكان كبير الجبور وعمود رفعتها مسلط باشا الصالح آل ملحم ، توفي في سنة ١٣٥١ هـ عن ثمانين سنة ، وكان قد نال رتبة الباشوية في عهد السلطان عبد الحميد ، وكان ذكياً مقداماً ، وهاماً رغم تقدم سنه ، وجواداً مضيافاً ، تزوج فيما قالوا أربعين امرأة ، منهن بعض الأرمنيات ، وأعقب كثيراً من الأولاد ، حتى صار إذا سئل عن عددهم أطرق برهة وفكر ، وإذا صادف هو أحدهم سأل من أمك ، على أنه لم يعيش منهم كما هي العادة عند البدو إلا الأقل أي نحو أربعة عشر ، هم وأبنائهم الآن من الفرسان المغاوير ، وكان مسلط باشا ذا سيطرة على العشيرة دون منازع ، ظل جامعاً شتاتها ، وحافظاً وحدتها طول حياته ، وقد خلفه في الرئاسة ابنه جميل بك ، لكن أخاه عبد العزيز صار ينازعه الرئاسة كما ينازعه بعض أبناء عمه من آل ملحم ، فأدى ذلك إلى انقسام العشيرة بين الأخين إلى قسم شمالي وقسم جنوبي ، والنفوذ الأوفى لعبد العزيز رئيس القسم الشمالي ، وهو شاب همام مقدام ، ولا سيما في الأعمال الزراعية ، أنشأ لنفسه ضيعة خاصة على الطريق بين الحسيجة والقامشلية ، وبني فيها قصراً شامخاً سمي باسمه (قصر عبد العزيز) ، يظهر عن بعد شاسع ، وسط تلك السهول والحقول المنبسطة .

وقد كان الجبور في عهد السلطان عبد الحميد يعنون بالزراعة ، وظلوا إلى قبيل

إعلان الدستور العثماني في سنة ١٣٢٦ هـ يدفعون نحو نصف ضرائب لواء دير الزور ، ثم ثقلت عليهم أيدي الجبابة والموظفين الغاشمين ، لبعد منازلهم عن مركز اللواء في الدير وفوضى الإدارة آنئذ ، فأخذت زراعتهم تقل شيئاً فشيئاً ، وانصرفوا إلى البداوة ، وحقاق بهم الضيق والبؤس ، ورحل كثير منهم إلى أنسبائهم في العراق ، أو التحق بشمر وتبدي ، ومنذ بضع سنين يحاول رؤسائهم جمع شملهم وإرجاعهم إلى عيش الزراعة والاستقرار حول الخابور والجفجج .

وقد ازداد عدد نفوس هذه العشيرة في السنين الأخيرة حتى بلغ فيما قيل ٤٠٠٠ بيت ، ولها مثل واحد في مجلس النواب ينتخب عن قضاء الحسيجة ، وهي تنقسم إلى ثلاثة جذوم :

الأول : جذم الهياكل (الهياجل) أعقاب هيك بن عامر ، وفيهم بيت الرئاسة ، ويعدون خلاصة هذه العشيرة ويتألفون من الفرق الآتية : الملحم والزوبع والسلطان والهزيم والحاسن والصبح والحمد والحسوني والحريث والجحيش والبقة والعلي والبومانع .

الثاني : جذم (البو خطاب) ، ويأتون بعد الهياكل عدداً ومنزلة ، ومنازلهم على الجفجج ، في شمالي مناطق الجبور ، حيث يجاورون عشيرة طيء ، ولا يفترقون عن مخاضتها ، ويتألفون من فرقتي العامر والبري ، وتلتحق بهم فرق البو عميرة والبو سلامة والقضاة والحليبيون والبورباش .

الثالث : (جذم العميرات) وهم فرقة واحدة تدعى الدندل ، وهي ثلاثة الجذوم عدداً ومكانة .

ومن لواحق الجبور عشيرة كبيرة تدعى (الشرايين) سيأتي ذكرها ، وأخرى صغيرة تدعى (ولد الشيخ عيسى) أفرادها شيوخ دين ، وهم أعقاب هذا الشيخ الذي ينسبون إليه الولاية ، وقد توفي في أوائل القرن الثاني عشر ، وضريحه فيما قيل في البصرة .

وفرق الجبور التي في مشيخة عبد العزيز المسلط في نظارة مخفر درك تل براق ، وجميعها في ضفاف الجفجج ، والتي في مشيخة جميل المسلط في نظارة مخفر درك الشداوي ،

وتنزل حول الحسيجة والحدي وطابان وعجاجة والشداي وجرف فدغي وعلوة ومردة
وشيخ حمد والدشيشة .

وقد اشتهر الجبور في الجملة بمتوجههم من السن والصوف الجيدين ، اللذين يحتجنها
تجار الحسيجة بأثمان بخسة .

ووجهاء هذه العشيرة البارزين الشيخ جميل المسلط وعبد العزيز وعلي الزويح وعلي
السلطان ، وهم من فرقة الملحم أسرة الشيوخ ، ولكل من الفرق الأخرى رؤس خاص ،
أضربنا عن ذكرهم خوف الإطالة .

أما جبور العراق فعددهم أيضاً كبير ، بعضهم في شمالي الموصل وجوار تل أعفر ،
وبعضهم يمتد من تكريت إلى زمار وتل أبي ظاهر ، وهم هناك من العشائر الريفية
المستقرة .

البو حمدان

عشيرة صغيرة متحضرة مستقلة ، أو تحسب من لواحق البقارة وهي مستقرة على
الدوام ، لا تنتقل إلا ضمن حدود قراها ، رئيسها الحاج داود الحمدان ، عددها نحو ٢٠٠
بيت ، تقطن ناحية الدرباسية في المنطقة المعروفة باسمها ، ولها في هذه المنطقة عدة
قرى .

حرب

عشيرة صغيرة متحضرة تحسب من لواحق طيء ، وهي أيضاً قلما تغادر قراها
للنجعة ، تزعم الانتساب إلى قبيلة حرب الحجازية ، ولها شريكة في التسمية هي عشيرة
حرب التي ذكرناها في بحث قضاء دوما ، ولم يتحقق لنا ما إذا كانتا قريبتين ، ويقال أن
الجد الأعلى لعشيرة حرب التي في الجزيرة كان اسمه حرباً ، أعقب ثلاثة أولاد فارس
وفیصل وسالم ، فأولاد فارس يقيمون في قضاء القامشلي ، وأولاد فیصل وسالم في ناحية رأس
العين في أعلى وادي زركان ، المتاخم للحدود التركية ، رؤساؤهم الحاج منصف عاقوب
وسليان العبيد ، عددهم نحو ٣٠٠ بيت ، أما قراهم فهي في جهات القامشلي دلي حرب

المحتوية على ١٠ - ١٢ مزرعة ، وفي جهات زركان تل الأمير وتل حرميل وعرادة وبسيس ، يزرعون نحو ٥٠٠٠٠ دونم وأكثرهم في بيوت المدر ، وقليلهم في بيوت الشعر .

البقارة

ويدعون بقارة الجبل ، وهو جبل عبد العزيز الذي تقدم وصفه في الصحيفة ٤٥ من الجزء الأول ، وهم قسم منفصل عن عشيرة البقارة الكبيرة القديمة المعروفة ببقارة الزور ، وقد تقدم ذكرها في بحث محافظة الفرات ، مع بقاء الاتصال والتضامن عند الملمات .

وبقارة الجبل ينزلون على السفح الشمالي من جبل عبد العزيز ، ولهم فيه أراضٍ وأملاك ، كما لهم في الشمال الغربي والشرقي من الحسيجة ، ويعملون في قطع حطب البطم ، من جبل عبد العزيز وبيعه ، وفي تجريد هذا الجبل من جراحه ، وقد زرتهم في خريف سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٢٢ م) في موقع الغرة ، وحادثت شيخهم عيسى السليمان الذي قتل حديثاً ، وقد نشب العداء في السنين الأخيرة بينهم وبين شمر « رهط ميزر عبد الحسن » وأحلافهم من الكيكية ، من جراء الخلاف على بعض الأراضي ، واستفحل الشر ، وأنجدهم إخوانهم بقارة الدير ، وجرت معارك قتل فيها عدد غير يسير منهم ، وتدخلت الحكومة المحلية في عام ١٣٦٣ هـ وصالحتهم ، لكن هذا لم يدم طويلاً ، وتجددت الفتن ، إلى أن تم الصلح على النحو الذي ذكرناه في بحث شمر ، وفرق بقارة الجبل هي ابو علاي والمريخات والحمدان والصوفيان والبو معيش والبو شيخ والرفيع والبو حسن واليومصعة والعبيدات .

قيس

قيس (وتلفظ جيس) - من العشائر القديمة ، قيل أنهم جاؤوا في عهد الفتح الإسلامي ، ثم دفعتهم العشائر الحديثة الورود ، فاستقروا في أقصى شمالي بلاد الشام الحالية ، ومازال الدفع يلاحقهم ، حتى عبروا الحدود التركية ، وتجنسوا بجنسيتها مع بقائهم على فطرتهم العربية البدوية لأن معظمهم بدو رحل ، كانت باديتهم في الصيف المنطقة التركية شمالي الخط الحديدي في أنحاء حران وأورفة ، حيث أن لهم نحو عشرين قرية ، وفي الشتاء في المنطقة العربية بين جبل عبد العزيز ووادي البليخ ، وهم ٢٠٠ بيت ،

ولهم ١٢٠٠ شاة ، ورئيسهم النافذ محمد الشيخ حسن ، وفرقهم السيارة وبني محمد وبني يوسف ، ولكل من هؤلاء عدة أفخاذ ، وأعراب هذه العشيرة فتاكون أشرار ، لا يصطلي لهم بنار ، دأبهم شن الغارات والسلب والنهب ، داخل الحدود الشامية ، فإذا لوحقوا لجؤوا إلى المنطقة التركية ، ولهم من ذلك وقعات عدة مع عنزة (الفدعان الولد قوم مجحم بن مهيد) فقط ، لأن رئيس الخرصه مزود بن قعيشيش كان اتقى شرهم بزواجه فتاة من بنات رؤسائهم ، وقد حالت هذه المصاهرة دون المشاجرة مع الخرصه ، وظلت مع الولد فقط ، إلى أن عيل صبر الأمير مجحم منهم فلحقهم ، واشتبك معهم في معركة مروعة ، أصيب فيها بعينه ، فنقل بالطائرة إلى حلب وعولج ، ثم في سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٧ م) لحق الأمير مجحم غزاة منهم بسيارته ، وثأر منهم خسارة عينه على ما بيناه في بحث الفدعان ، وقد عقدت عدة مؤتمرات صلحية لدرء شرورهم فحبطت كلها ، ومن ثم منعوا من النجعة وقضاء الشتاء داخل الحدود العربية ، فظلوا داخل الحدود التركية وانقطعوا ، وفي قضاء أعزاز فرقة من قيس ، عددها عشرون أسرة ، وهم في ناحية أخترين ، لكن هذه الفرقة هادئة بالمره .

الشرابيون

عشيرة قديمة يزعمون أنهم والجبور من نبعة واحدة ، وأنهم أول من حرث أرض الجزيرة وزرعها من العشائر العربية ، ولقب الشرابييين له معنى مزري بين البدو ، فهم أناس فقراء ، وفلاحون في خدمة بقية العشائر الغنية القوية ، ونسأؤهم مرضعات أطفال العشائر ، يستلمهم وهم صغار ، ويرضعهم ويربينهم ، ثم يعيدهم إلى ذويهم ، ومن ثم جاءت دعواهم بأنهم ينتون إلى بني سعد الذين منهم حليلة السعدية ظن الرسول ﷺ ، وفيهم كثير من الملاي جمع ملا ، والملاّ عند عشائر الجزيرة هو شيخ يقرأ ويكتب ، ويرقي ويعقد النكاح ، ويشفي الأمراض ، وهو إن كان حاذقاً لبقاً ، ومحيطاً بنذر من اللغة والفقه والتفسير ، يعد عندهم عالماً علامة ، ويصير ذا مركز كبير بين العشائر ، ومن مشاهير هؤلاء الشيخ إبراهيم والشيخ مجول ، ومن هؤلاء الملاي المتوفين قديماً الطويحي ، يقدسونه كثيراً ويقسمون به وبضريحه ، وله بينهم أعقاب يسمونهم الطويحيين ، إذا سألتهم قالوا عن أنفسهم سادة ، هذا وبما امتاز به الشرابييون عن غيرهم ، أنهم ذوو أيدي طائلة في

السرقه وقطع السابله ، وأبلغ أذاهم يصيب يزيدية سنجار ، ومعذرتهم أن مال اليزيدية حلال لهم ، ومباح بحكم عبادتهم الطاؤوس ، والشرابيون إلى ذلك كثيرو العباداة والصلاة ، ومن الغريب أن أحدهم بينا هو في السرقه يدركه وقت الصلاة ، فيبادر لفرش عباءته ، ويعكف إلى الركوع والسجود ، فإذا انتهى يعود إلى إتمام ما بدأ به من السرقه ، ويتناقلون عنهم قصصاً ونوادر كثيرة من هذا القبيل .

وفرق الشرايين متعددة ، ورئيسهم المعول عليه أحمد الحسن أبوزو ، وفرقهم : (١) ابو محمد ، عددهم ٥٠٠ بيت يحرثون في ضفاف الخابور الأعلى بين رأس العين وتل الرمان ، ويعمل بعضهم كأجراء لدى الملاكين من الشاشان ، وعندهم نحو ١٥٠٠٠ شاة ، وهم يخيمون دائماً في المراعي الخصبة الممتدة في السفوح الشمالية لجبل عبد العزيز ، حول بئر السوسة ، وعين مغلوحة وقصر سكرة ، ورئيسهم خلف المهيد . (٢) الطاهات ، وهم عدة فنود مستقرون قرب صفرة على الرد الأعلى حيث لهم أرضون زراعية ، وقطعانهم تسرح في مراعي الرميطة وتل براق والهول وضفاف الجفجف ، وعددهم ٧٠٠ بيت .

وثمة من الطاهات فندة مستقرة في السبع سكور على الخابور ، تعيش مختلطة مع الجبور وتتبع شيوخها ، ومنهم فندة في أنحاء جزيرة ابن عمر ، وفنود الطاهات في البوزو والتركاوي ، والبومصعة ، والبوعمر ، والسهم والجرزي والبدران والطويحيين ولكل منهم رئيس خاص يتبع أحمد الحسن أبوزو ، فجموع الشرايين نحو ١٢٠٠ بيت .



العناصر غير العربية في بلاد الشام

العناصر غير العربية في البلاد الشامية

بعد أن انتهينا من ذكر عشائرننا العربية ووصفها ، رأينا إكالا للبحث أن ندرج فصلاً خاصاً بالعناصر غير العربية ، التي لها صبغة عشائرية من حيث التكوين والتكتل ، والتسك بالعصية ، والتقاليد والعادات واللغات الخاصة ، ونعني بهم الكرد والتركمان والشركس والداغستان والشاشان المستقرين في مختلف الألوية والأقضية في بلادنا الشامية .

وهؤلاء كلهم مستظلون براية بلاد الشام ، ومتعلقون بالوطنية الشامية ، فوق ما لهم من الحمية الإسلامية التي صورت لأبائهم أن (أول الدنيا الشام وآخرها الشام) فهاجروا من ديارهم الأصلية لأسباب مختلفة ، وفي أوقات مختلفة ، وجاءوا واستقروا في بلاد الشام ، وربطوا مقدراتهم بمقدراتها ، واعتنقوا سياستها وهدايتها ، وتلقفوا لغتها إلى حد غير يسير ، مع احتفاظهم بلغاتهم ومشخصاتهم القومية ، على أنهم بمرور الزمن وتوالي الاتصال ، لابد صائرون يوماً ما إلى الذوبان في البوتقة العربية ، كما جرى بأسلافهم من قبل ، وصائرون إلى مساهمة إخوانهم العرب في خدمة هذه البلاد ، بسجاياهم العنصرية الجميلة ، ولا غرو ؛ فقد كان لأسلافهم نصيب كبير في خدمة البلاد العربية الشامية والمصرية لما زادوا عن حياض الإسلام ، تجاه غارات الصليبيين الأوربيين والمغول الآسيويين ، وأبلوا وقتئذ أحسن بلاء ، وسادوا وشادوا دولاً وإمارات قوية ، وخلدوا آثاراً عظيمة في خدمة بلاد العرب ، ولغتها وعلومها وآدابها وتآليفها ، وفي بناء المعازل الحربية ، والمعاهد العلمية والدينية والخيرية في أكثر عواصمها وأماكنها .

وقد صار من الحق أن نحمد سيرة هؤلاء الأسلاف الميامين ، وأن يشمل هذا الحمد أعقابهم الحاضرين ، ويناوهم بعض الاهتمام بذكرهم ووصفهم ، وتعريف ماضيهم وحاضرهم ، إلى من يجهلهم من قراء العربية مازالت المعرفة أول ركن للمحبة والألفة .

الكرد

الشعب الكردي من الشعوب الآرية والفروع الإيرانية ، فهم بذلك من دوحه الإيرانيين والأفغانيين والأرمن ، ولا صلة لهم بالعربية والقحطانية ، ولا بالآشوريين والمديانيين القدماء ، كما يظنه بعضهم ، فهم عريقون في القدم منذ آلاف السنين ، ولكن التاريخ لم يحط بعد علماً بمنشئهم ، والعهد الذي جاؤوا فيه ، واحتلوا بلادهم وجبالهم المعروفة باسمهم ، وهي الآن متوزعة بين دول العراق وتركيا وإيران ، وتمتد من جنوبي أرضروم وأرزنجان وضفاف بحيرة وان ، وشرقي الدجلة إلى قرب خليج البصرة طولاً ، ومن شرقي مرعش إلى غربي أرومية والموصل وأصفهان عرضاً ، ناهيك الجاليات الكردية المبعثرة في بلاد الأناضول والشام وإيران وبلجستان والأفغان وروسيا ، ويقدر العارفون بمجموع هذا الشعب بنحو خمسة ملايين .

والكرد ذوو أطوار مختلفة ، ولهجات متعددة ، وكلمات منشقة ، ذلك بحكم اتساع ديارهم ، ووفرة جبالهم الشاهقة وأوديتها السحيقة ، وانقسامهم في الذروات والوحدات على هيئة عشائر عديدة ، فهم لم يؤسسوا في أي زمن دولةً مستقلةً موحدةً مستندةً على أساس الجنسية ، رغم الثورات والمحاولات العديدة التي قاموا بها فأخفقوا ، وقصارى ما أوجدوه إمارات متفرقة صغيرة المساحة سريعة الزوال ، وقد ظلت بلادهم المذكورة طوال القرون الغابرة ، مسرحاً للحروب والفتن ، ومعتركاً للجيوش المتقاتلة ، ومطمعاً للفتاحين من الدول المختلفة كالآشوريين والإيرانيين واليونان ، والرومان والعرب والترك والمغول ، ونالها بحكم وقوعها بين أحجار الرحى كثيراً من الأذى والخراب ، إلا أن الكرد قد قاوموا هذه الغارات والمناحرات ، وحفظوا كياناتهم ولغاتهم وسجاياهم القومية ، وقد كانوا قبل الإسلام كالفرس على العقيدة الزرادشتية ، واشتركوا معهم في مدافعة الجيوش العربية المغيرة ، ثم أسلموا وحسن إسلامهم ، لتوافقه مع ما جبلوا عليه من الخلال ، واشتركوا في جميع القلاقل والحروب التي نشبت في عهد الأمويين والعباسيين والبويهيين والسلجوقيين ، وعملوا في خدمة الإسلام والذود عن حماه ، أثناء الغارات المغولية والحروب الصليبية ، وكفاهم فخاراً

أن البطل العظيم صلاح الدين بن أيوب وأنجاله وأقاربه ملوك بني أيوب منهم ، وأنهم كانوا من جملة حزبه وجنوده يلبونه كلما استجاشهم .

والأيوبيون كما يعلمه المطلعون على التاريخ - وعلى رأسهم مؤسس دولتهم صلاح الدين - نصبوا أنفسهم حماة عن الإسلام وذادة عن أهله ، ضد الصليبيين الأوربيين الراغبين في الاستحواذ على بلاد المسلمين ، باسم استخلاص بيت المقدس ، فوقفوا دونهم سداً منيعاً ، وصارعوهم أمداً طويلاً ، ومنعوا توغلهم في بلاد المسلمين خاصة ، وبلاد الشرق عامة ، فلم يستطيعوا أن ينالوا في تلك العصور المتوسطة ما نالوه في العصور الحديثة ، وكما للأيوبيين من موقعة أذلوا فيها أنوف الفرنجة ، ونههوا من كبريائهم ، وفي كتاب (الحزينة) للعماد الأصبهاني وكتاب (الروضتين في أخبار الدولتين) للمقدسي شرح لهذه الحروب ، وما لابسها من خطب وأشعار ، تثير الحماس ، وتبهج الصدور ، وتستطر الرحمة على أولئك الأبطال الغر الميامين .

ولم يقصر ملوك بني أيوب في تقريب العلماء والناغبين ، وقد أنشأ كثير منهم المساجد والمباني الخيرية ، وربوا الدروس وشجعوا العلوم والآداب العربية ، وأسدوا ضروباً من البر والإحسان كثيرة ، لولا أن دولتهم لم تعمر إلا نحو ثمانين سنة (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ) لضعف ملوكها المتأخرين ، ووقوع الخلاف بين صفوفهم ، وطغيان نفوذ مماليكهم الذين جلبوهم واستصفوهم ، وأسسوا بعدهم دولة السلاطين المماليك على ما فصلته كتب التاريخ .

وكما كان الكرد الجند الخاص للملوك بني أيوب وعمدتهم ، صاروا من بعد أنصار وجنود شاهات إيران وسلاطين آل عثمان ، والتاريخ الإيراني والتاريخ العثماني كل منها طافح بالوقائع الدالة على خدمات الكرد لهؤلاء ولأولئك ، وما ضحوه في سبيل الدول التي تحسن معاملتهم ، وتستغل بسالتهم واستعدادهم الحربي .

وأكثر الكرد مسلمون سنية شافعية ، وبعضهم في تركية وإيران شيعة جعفرية ، ومنهم من لا يزال على دينه القديم المعروف بزرادشت ، ومنهم أناس في أنحاء الموصل ، يدعون (إلهية علي) يشبهون علوية جبال اللاذقية ، وآخرون يدعون (شاباك) لا يعرف مذهبهم على التحقيق ، أما الذين في جبل سنجار شمالي العراق فهم يزيدية ، وبعض الكرد شبه رجل يصيفون في الجبال ، ويشتون في السهول والأودية ، ويقول :

(أمين زكي) في كتابه (تاريخ الكرد والكردستان) ص ٢٩٢ « ليست الصفات القومية والأخلاق والعادات العامة في العشائر الكردية متحدة كلها ، بل إن هناك فروقاً واختلافات بارزة بين تلك الصفات والمزايا في جميع العشائر تقريباً ، فإعطاء وصف عام عن الكرد في هذا الشأن يبعدنا عن الحقيقة ، إلا أنه يمكن أن يقال أن الكرد في الجملة أرباب زرع وضرع ، وأهل حرب وفتك ، ويعدون من أحسن العناصر في الجندية ، ومسالك الدرك والخفارة ، كما أن نساءهم عاملات مجندات يتقن كثيراً من الأعمال المنزلية ، ويشاركن الرجال في الحروب والحفلات » انتهى .

واللغة الكردية لغة آرية ، انفصلت مع اللغة الفارسية من أصل واحد ، وقد انقسم كل منها إلى عدة لهجات ، فلهجات اللغة الكردية مختلفة عديدة لم يعمل أحد على توحيدها ، وعلى إيجاد أبجدية خاصة ، وكتابة مشتركة ، وأفية بحاجات جميع لهجاتها ، وقد أدى هذا إلى تباعد اللهجات بعضها عن بعض حتى غدت كأنها لغات مختلفة ، يكاد لا يفهم أصحابها ما يقوله غيرهم .

ويغلب على الأكراد طول القامة ، وعرض الهامة وضخامة البنية ، واستدارة الوجه وعرضه واسمراره ، وبروز الأنوف وطول الشوارب وغلظها ، وكبر العيون واسودادها وبروقها ، كما تغلب عليهم نزعة البطش والرجولية الحققة ، فهم محاربون وفرسان من الطراز الأول ، ومن هنا لبسهم هذا الاسم وهو (الكرد) ، الذي يدل في الفارسية على الرجل الشجاع البطل ، وأكثر ازدحامهم في السليمانية وكركوك وراوندوز وإربل وسعد وبتليس ووان وأرومية وكرمانشاه وغيرها .

أما تاريخ الكرد الحديث فهو سلسلة من الثورات ، التي كانت ترمي إلى التخلص من النير العثماني والإيراني المشترك ، وأهم هذه الثورات ما نشب في مستهل القرن ١٣ هـ قام بها رجل يدعى عبد الرحمن باشا ، فنادى باستقلال الكرد ، وراح يعمل لتوحيد جميع البلدان الناطقة بالكردية ، لكن الحملة التي جهزها والي بغداد بأمر الباب العالي أجهزت على هذه الحركة .

وأعاد الأكراد محاولاتهم بعد ذلك في سنة ١٢٤٢ و ١٢٩٤ و ١٣٠٣ و ١٣١٧ هـ وغيرها ، ولكن مصير هذه الثورات كان الإخفاق بعد تكبد خسائر كبيرة بالأرواح والأموال ، وبعد

الحرب العالمية الأولى وانكسار الدولة العثمانية ، ظن الأكراد أن فجر استقلالهم سيبرز بعد التضحيات التي قدموها ، فقاموا بإرسال الوفود ، وتطهير البرقيات إلى مؤتمر السلام ، فأقرت معاهدة سيفر بحقوق الكرد وباستقلال (المناطق الكردية الواقعة في شرقي الفرات وجنوبي أرمينية وشمال الحدود التركية العراقية) . لكن هذا الاعتراف ظل حبراً على ورق ، لقيام مصطفى كمال باشا بثورته المعروفة ، وتمزيقه معاهدة سيفر ، واستبدالها بمعاهدة لوزان التي تجاهلت مطالب الأكراد .

قلنا إن الأكراد ينزلون في مناطق متقاربة متجاورة بين إيران وتركيا والعراق ، فهم كما ثاروا على الحكومة التركية وقاتلوا غير مرة ، ثاروا على إيران وعلى العراق أيضاً . وكانت القوات المنظمة في كل مملكة من هذه الممالك تتغلب عليهم ، وتخمد حركتهم في النهاية .

ولعل في مقدمة ما يستوقف النظر من هذه الحركات الكردية أنها حدثت في أوقات متقاربة في تركيا وفي العراق وفي إيران ، وبعد ختام الحرب العالمية الأولى وقيام الدول الجديدة في هذه الممالك الثلاث ، أما قبل ذلك أي في العهدين الحميدي والقاجاري فقد كان الهدوء يشمل المناطق الكردية على الغالب .

وأول ثورة كردية أوقعتها الأكراد على الترك هي ثورة الشيخ سعيد في ولاية ديار بكر سنة (١٣٤٢ هـ) ، أي بعد ما استقرت الحكومة الكمالية ، فقد نهض لقتالها باسم الدفاع عن الدين الإسلامي ، ولكونها ألغت الخلافة ، وأقصت سلاسل الخلفاء عن بلادها ، فوقع أحداث مريعة جداً ، انتهت بإخماد الثورة والقضاء عليها وتشريد رجالها ، والفتك بهم وإعدام العشرات من زعمائها ، والذين اشتركوا فيها في ساحة ديار بكر بوقت واحد .

وثار الأكراد بعد ذلك ثورة كبرى ثانية بقيادة اللواء إحسان باشا سنة (١٣٥١ هـ) في جبال وان ، فأرسل الترك قوى عظيمة أخمدت الثورة وشردت رجالها ، ولم يخلو الأمر في الغالب بعد ذلك من وقوع اضطرابات موضعية ، يخمدتها الترك بدون صعوبة .

أما في العراق فقد حدثت اضطرابات في مناطق السليمانية الكردية سنة

(١٣٣٨ هـ) ، أي عقب استيلاء الإنكليز على العراق ، فقد ثار الأكراد أول ما ثاروا ، لأنهم وعدوا بإنشاء دولة كردية مستقلة في جبال السليمانية ، ثم أخلفوا .

وعاد الأكراد فثاروا في السليمانية مراراً عديدة منذ سنة ١٣٤١ هـ ، وحتى إلى سنتنا هذه بقيادة الشيخ محمود والشيخ مصطفى البارزاني ، وكان الجيش العراقي يخمّد الحركات كل مرة .

أما في إيران فقد تولى الزعيم الكردي إسماعيل سمكو خان قيادة الثورة على الحكومة الإيرانية في عهد الشاه رضا بهلوي السابق ، فأرسلت القوى فأخمدتها .

وفي الحرب العالمية الثانية لما رجحت كفة الحلفاء ، وأخذ المحور يتراجع ، عادوا إلى التكتل ، وأخذت لجان التحرير تنشط من جديد ، وأرسلت برقيات عديدة إلى الأقطاب الثلاثة ، حينما كانوا مجتمعين في بوتسدام مطالبة بالأ ينسى الشعب الكردي حين تقرير مصير الشعوب ، ولما قامت الحكومة السوفياتية في إيران لفصل أذربايجان والمناطق الكردية ومنحها الاستقلال الذاتي ، رأى الكرد الإيرانيون في ذلك بارقة أمل تسطع من الشمال ، فولوا وجههم نحوها ، علمهم يستطيعون بموازرة الحكومة المذكورة من تحقيق أمانهم ، ولبثوا ينتظرون ، على أن العارفين بدقائق السياسة لم يعتقدوا بفائدة هذا الانتظار ، مازالت بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية لا تنظران بارتياح إلى تأليف دولة كردية ، تتاخم بلاد إيران والعراق والشام ، فحدث ما حسبه ، وأخفقت حركة أذربايجان أيضاً ، وظلت فكرة الدولة الكردية معلقة في باب (الأمان القومي) ، لمدة لا يعلمها إلا الله .

هذا وبعد أن مزق الترك معاهدة سيفر عقيب الحركة الكمالية ، وأبدلوها بمعاهدة لوزان في سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) تنكروا للأكراد ، وقاوموهم واتخذوا أشد التدابير نحوهم ، وخصوصاً بعد حوادث الشيخ سعيد المعروفة ، وسلخوا سياسة سداها ولحمتها تترك الأكراد ، وتجريدتهم من قوميتهم وجعلهم أتراكاً ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، فلا يشعرون بالشعور القومي ، ولا يتحسسون به ، فزاد ذلك في نغمة الكرد عليهم ، وأوجد هذه الهوة السحيقة بين الأمتين ، ومثل هذا الخلاف غير واقع بالنسبة للعراق ، فالأكراد العراقيون يتبعون بجميع الحقوق السياسية ، ومنهم الوزراء والأمراء وقواد

الجيش ، ومنهم السفراء ، ونسدر أن تؤلف وزارة عراقية لا يشترك فيها كرديان على الأقل ، وغير واقع وغير وارد على البال بتاتاً بالنسبة إلى بلاد الشام . لأن الأكراد الشاميين (السوريين) متوزعون بين إخوانهم العرب على ما سوف نبسطه ، وهم والعرب من عناصر البلاد الأصلية ، وسواسية في كل ضراء وسراء ، ويتبادلون كل خلطة ومودة ، ومن ثم لم يجدوا سبباً لأي وثوب أو انشقاق ، ونعتقد جازمين أنهم سيقون من ذادة الإسلام وحصون العروبة في هذه الديار ، ومن أركان منعها ونهضتها ، وبعضهم من حملة شعرها وأديها ، كما كان أسلافهم بنو أيوب وأنصار بني أيوب الأجداد .

أكراد بلاد الشام

يكثر وجود الأكراد في شمالي بلاد الشام على مقربة من الحدود التركية الحالية في محافظتي الجزيرة وحلب ، من سنذكرهم بالتفصيل ، وكل هؤلاء أكراد أقحاح لم تتصل إليهم العربية بشيء ، أما في وسط بلاد الشام فعدد الأكراد قليل ، إلا أن لهم بقاعاً يؤلفون فيها كتلاً مجتمعة ، كالذين في ناحية جبل الأكراد التي بين جسر الشغور واللاذقية ، وفي حي الأكراد من أرباض دمشق ، وفي قرية أكراد إبراهيم في وعرة غربي العاصي ، في حين أن مجيء الأكراد إلى وسط بلاد الشام قديم ، وربما كان أول من أتى بهم هو عامل حص شبل الدولة نصر بن مرداس سنة ٤٢٤ هـ ، وأسكنهم في حصن الصفح ، ليحفظوه ويصونوا الطريق بين حص وطرابلس ، فسمي الحصن منذ ذلك الحين : حصن الأكراد ، وهو في قضاء تلخ من أعمال محافظة اللاذقية ، وقد بقوا فيه نحو قرن ونيف إلى أن جاء الصليبيون ، واستخلصوه منهم سنة ٥٣٠ هـ فتشتتوا ، ثم كثر توافد الأكراد في عهد الدولتين النورية والصلاحية لخوض غمار الحروب الصليبية والإبلاء فيها كما قدمنا ، ولعل كل من أدى واجبه في الجهاد من هؤلاء كان يعود إدراجه ، والذين بقوا منهم استعربوا وذابوا في البيئة الشامية ، ولم يحتفظ بصلته بماضيه الكردي إلا الذين وفدوا في العصور الأخيرة ، منهم سكان ناحية جبل الأكراد في قضاء الحفة من أعمال اللاذقية في قرى أرض الوطا ومزين والدوير . ومنهم بعض بيوتات متفرقة في أماكن مختلفة ، ذات مكانة غير يسيرة ، أكبرها عدداً وأكبرها ملكاً وجاهاً آل مرعب في قضاء عكار ، وجاؤوا من أنحاء حكاري منذ قرنين ونصف ، واستعربوا تماماً ، وقد بقي من آثار كردية هؤلاء ، طولهم

وعرضهم وعجمة لهجتهم ، وضخامة لبادتهم التي يلبسونها تحت الكوفية والعقال ، فهي طويلة وثقيلة أكثر من اللزوم ، ويلقبون بلقب (بك) منذ أن صار جدهم علي الأسعد المرعي (باشا) وحاكماً في أنحاء طرابلس وأقضيتهما في القرن الهجري الماضي ، ويليهم آل البرازي في مدينة حماة ، جاؤوا منذ قرن ونصف من أنحاء الرها ، واندمجوا إلا قليلاً ، ومنهم سكان حي الأكراد أحد أرباض دمشق الذين ينتون إلى أصول ومنابت مختلفة ، وهؤلاء على الرغم من اختلاطهم بالدمشقيين من عهد الدولة الصلاحية ، واقتباسهم اللغة والأزياء العربية ، لا يزالون محتفظين بلغتهم وعقليتهم الكردية ، وأكثر طباعهم الأصلية لاستمرار مجيء الوافدين من حكاري ووان وغيرها من بلاد الأكراد الشمالية إلى هذا الحي ، الذي يعدونه ملاذ كل خاطئ أو خائف منهم ، ولدوام اتصال سكانه بأهل تلك البلاد النائية بسبب تجارة الغنم التي يجلبونها من هناك ، ويميزون معظم بلاد الشام بلحومها وهم أبناء مجدة هذه التجارة المحتاجة إلى كثير من الجلد والمضاء ، حاز بعضهم من ورائها ثروة غير يسيرة ، وزادها آل يوسف وآل شمدن منهم ملكاً وجاهاً عظيمين ، وقلة اكتراث أهل هذا الحي بالدراسة والثقافة قبلاً ، كانت تسوق كثيراً منهم في عهد العثمانيين نحو الارتزاق من التجند في سلك الدرك ، أو التوظيف في جباية الأموال الأميرية ، أو التزام الأعشار ، أو وكالة المزارع والضياع ، أو خفارة المباني والمصانع ، وغيرها مما يحتاج للقوة والغلظة . ولما نضب معن النفع من هذه المواد ، بانقضاء ذلك العهد تغير حالهم في الجملة ، وصاروا يتعلمون ويتثقفون ، وانصرف بعضهم إلى الصناعات اليدوية وخلافها .

على أن السواد الأعظم من عشائر الأكراد يقطن في محافظة الجزيرة ، ويمتد من أقصى شامها الشرقي في قضاء ديريك قرب دجلة ، ويتجه نحو الغرب إلى قضاء القامشلي ، ثم إلى ناحية رأس العين ، ثم إلى قضاء عين العرب في محافظة حلب ، ثم إلى القضاء المسمى باسمهم الخاص وهو جبل الكرد (كردداغ) شمالي حلب ، ثم إلى قضاء الباب شرقي حلب ، ثم إلى ناحية (جبل الأكراد) في قضاء الحفة من أعمال اللاذقية ، وأكراد هذه الناحية قد استعربوا بالمرّة ، ولم يبق عارفاً اللغة الكردية منهم إلا الطاعنين في السن ، وأغلبهم من عشيرة شيخان ، ويظهر من استعراهم هذا أنهم هنا من نحو قرنين أو ثلاثة ، والعشائر الكردية التي في قضائي ديريك والقامشلية متحيرة بين الحدود التركية والعربية بعضها هنا

وبعضها هناك ، على أن كثيراً من أكراد بلاد الترك ، صار يتهاافت نحو المنطقة العربية في الجزيرة ، ويتسابق إلى إحياء القرى وإنشاء المزارع ، والفلاح الكردي يحسن العمل ، ويؤدي الواجب في زراعته ومعاملته ، ومن زعماء الأكراد الذين يذكرون في الجزيرة نايف بن مستو باشا وحسن بن حاجو آغا ، وعبدو آغا المرعي ، و خليل بك بن إبراهيم باشا الملي وابنه محمد علي بك ، ومن شيوخ الدين عند الأكراد يذكر الشيخ أحمد خزنة المقم في قرية تل خزنة شرقي القامشلي ، وله عندهم حرمة وكرامة تقربان من حد التقديس ، حتى أن مريديه لا يرفعون بصرهم نحوه ، بل يتلقون أوامره وهم مطرقون وصامتون ، وهو فيما قيل عالم فاضل ، وعنده مدرسة على حسابه يطعم ويكسي ويدرس طلابه على حسابه ، وكلمته ورسالته معتبرتان عند شيوخ الأعراب أيضاً ، ويليه الشيخ إبراهيم حقي في قرية حداد .

وها نحن نذكر العشائر الكردية عندنا على الترتيب من الشرق إلى الغرب :

ميران

ويدعون أيضاً (كوجار) ، ومعناه بالكردية (بدوي رحالة) ، وأصلهم من بلاد الكرد ، وهم رعاة متنقلون ، منطقتهم في قضاء ديريك من الدجلة حتى جهة تل رميلان في قراهم المسماة كره صور وكربلات وباشكفت وشكر حاج ووادي السوس ، وقد يصلون في الصيف إلى سعرد في ترقية ، وعددهم ٦٥٠ - ٧٠٠ بيت ، وهم أغنياء جداً بالغنم (٨٠٠٠ شاة) ، يبيعونها من التجار الموصلين والديرين والخلبيين ، وعندهم أيضاً ٢٠٠٠ بقرة ، وعدد وفير من البغال التي تقوم لديهم مقام الإبل في الحل والترحال ، وقد اشتهروا بصنع الجبن الممتاز ، وهم محاربون وعلى غاية من الشجاعة والشراسة ، وهم في رئاسة نايف بك بن مصطفى باشا ، وهو ذو ثروة طائلة من قراه الكثيرة التي في منطقة (دشت حسن) حول جزيرة ابن عمر ، ومما يجيبه من أتباعه الكثر ، وهو قريب حاجو آغا رئيس (الهويركان) ، وفرقهم البركالا والسنياكا والواراساري والاياسا كاو وآليوكان والبرزاري وأومادالا والريركان والموسو باشا ، والميران أصدقاء طيء والآليان والهويركان ، وكان بينهم وبين شمر عدا يرجى أن يكون قد زال .

الحسان

أكراد من بلاد تركستان الشرقية ، وهم زراع مقيمون ، وعندهم قطعان كثيرة من الغنم والبقر والبالغ ، كما عندهم كثير من الأرضين الزراعية الخصبة ، منطقتهم في قضاء ديريك سهل جزيرة ابن عمر من آخر أعضاد الجبل في الشمال حتى جبل قراجوق في الجنوب ، ومن الدجلة في الشرق حتى أنحاء المصطفوية في الغرب ، عددهم ١٢٠٠ بيت . أكثرهم في جنوبي خط نصيبين - جزيرة ابن عمر ، وقد كانت رئاستهم في يد أسرة الحاج عبد العزيز ، ولما زالت مكانة هؤلاء ضاعت الرئاسة ، ولدى العشيرة ٤٥ قرية وخرب أخرى عديدة ، وفرقهم ، الحاج عبد العزيز وسليمان الحسين وميرون ميو .

آليان

أكراد نصف بدو ، يقيمون في قضاء القامشلية ، ويحرقون ويزرعون بين نهر الجراح والسفوح الغربية من جبل قراجوق ، وعندهم ٥٥ قرية ، منها ٣٦ في الحدود الشامية والبقية في الحدود التركية ، وعددهم ٥٥٠ بيتاً منهم ٤٣٠ داخل الحدود الشامية ، ولديهم قطعان كثيرة من الغنم والمعز ، كما لديهم كثير من الأرضين الزراعية الخصبة جداً ، ورئيسهم عبيد أغا محمد المرعي ، المقيم في مركز ناحية ديرونة من أعمال قضاء ديريك ، وقد اشترك مع حاجو أغا بالثورة على الترك ، ثم لجأ إلى الحدود الشامية بعد أن خرب الجند التركي قريته ، والآليان كانوا في عداوة مع شمر الخرصه ، وفي صداقة مع كل العشائر ، ولا سيما مع طيء .

شيتية

أكراد ، نصف حضر ، يقيمون في شرقي القامشلية بين بريج في الغرب ، ونهر الجراح في الشرق ، بعضهم يحرق ويزرع ، وعندهم ٢٨ قرية ، منها ٢٠ داخل الحدود الشامية . وعددهم ٨٠٠ بيت ، ولديهم قطعان كثيرة من الغنم والمعز ، كما لديهم كثير من الأرضين الخصبة ، وهم يتقنون حرثها وزرعها ، ويستعملون الآلات الزراعية الحديثة وهم أحلاف طيء ، ويعد من رؤسائهم محمد الأحمد اليوسف و خليل الإبراهيم وعبد العزيز سحيل . وأشهر قراهم البوير والسيحة والحزنة وسحيل .

أطراف شهر

عشيرة مختلطة من أكراد وأعراب ، تقطن في تسع قرى داخل الحدود الشامية ، ومثلها في الحدود التركية ، وهؤلاء فلاحون أجراء لدى الملاكين من أهل نصيبين والقامشلية ، وليس لهم رئيس عام .

بوبلان

أكراد نصف حضر ، في غربي القامشلية ، لهم عشر قرى ، أكثرهم في المنطقة التركية ، وعددهم ٣٠٠ بيت ، رئيسهم يوسف كاسو القاطن في المنطقة التركية ، وهو من صناديد الغارات والفتكات .

هاوركية - هاويركان

أكراد ، انضم إليهم بعض عناصر سريانية ويزيدية ، وهم زراع مقيمون ، لكنهم أهل حرب وفتك وسلب من الطراز الأول ، منطقتهم قبور البيض وما حولها الواقعة شرقي القامشلية على طريق ديريك ، وهم نحو ٩٠٠ بيت ، ثلثهم مسلمون سنية ، والثلثان الباقيان نصارى سريان يعاقبة ، وقليلهم يزيدي ، وكان رئيسهم دون منازع حاجو آغا (توفي في سنة ١٣٥٩ هـ) والآن ابنه حسن آغا ، وهو نائب في البرلمان السوري ، وحاجو آغا كان في بادئ الأمر حليف الترك ، وله اليد الطولى في مذبحه - بياندور - حينما هوجمت سرية المهجانة الفرنسية ، ويد أطول في غارات قبور البيض ، ثم انحاز بعد إلى القضية الكردية ، وهاجم المخافر التركية حول نصيبين ، ولما ثار منه الترك ، نزح إلى الحدود الشامية ، واستقر في قبور البيض وعدد فرق الهاوركية كثير ، ولهم قرى عديدة ، بعضها داخل الحدود التركية والبقية داخل الحدود الشامية .

المرسينية

عشيرة كبيرة تجاور عشيرة بينار علي ، ويمتزجون معاً في أكثر الأحيان ، يقطنون شرقي ناحية عامودة ، ولهم فيها إحدى عشرة قرية كلها داخل الحدود الشامية ، يعملون في الزراعة وعندهم قطعان وفيرة ، لكنهم لا يتعدون في نجعتهم حدود قراهم ، رئيسهم عبيد

آغا خلو ، عددهم نحو ٣٠٠٠ بيت وفرقهم الرمان والعبد المنصور ، وهم أخصام عشيرة بوبيلان الكردية .

بينار علي

عشيرة كبيرة ذات ثروة وزراعة هامة ، تقطن القسم الغربي من القامشلي وتبعد ١٥ - ٢٠ كيلو متراً عنها ، ويبلغ عددها ٢٠٠٠ بيت ، وبعضها داخل الحدود التركية ، وأكثرها داخل الحدود الشامية ، حيث لها قرى عديدة من أهمها أبوراسين وجرنه ، ولا يزال رؤساء هذه العشيرة يستوردون الآلات والسواحب الزراعية الحديثة ، ويشغلونها في أراضيهم الخصبه ، ويستغلون غلاتاً وفيرة بفضلها ، وهم مثابرون على التوسع الزراعي والتحضير .

ملاني خضراني

أكراد ، نصف حضر في غربي وجنوبي غربي عامودة ، أكثر قراهم داخل الحدود الشامية ، وبعضها داخل الحدود التركية ، ينجعون أودية الخابور والجفجف ، وعددهم نحو ٦٠٠ بيت ، ولهم فرق مختلفة .

دقورية

عشيرة كبيرة تجاوز عشيرة المليية في ناحية عامودة ، لها عشرات القرى داخل الحدود الشامية ، كما لها داخل الحدود التركية ، يرأسها سعيد آغا بن محمد آغا النائب في المجلس الحالي ، ولهذه العشيرة ولاسيما لرئيسها سعيد آغا ماض محمود في الوطنية ، ومقارعة الفرنسيين ، وقد اضطر إلى الهجرة إلى العراق مدة مديدة ، إلى أن عاد إلى وطنه بعد هدوء الحالة في الجزيرة .

الكابارة

عشيرة كردية كبيرة تقطن في ناحية عامودة ، وأخص قراها قرد تبة وماريت وسلندر ، ولها أعمال زراعية هامة ، وثروة طيبة من مواشي وحبوب ، وآلات زراعية حديثة ، ولرؤسائها سمعة حسنة ، أخصهم عبد الرحمن آغا المسبو رشيح داور بريشان .

الكيفية

عشيرة كبيرة معتبرة ، تقطن الدرباسية على بعد ٥ - ٢٥ كيلومتراً عن قسبة الناحية ، إلا أن أكثرهم لا يزال داخل الحدود التركية ، وقليلهم داخل الحدود الشامية ، وعندهم قطعان كبيرة من الغنم والمعز ، وأراضيهم خصبة واسعة ، يشتركون بالزراعات وإنتاج المواشي والحبوب ، وهم ينجعون بمأشيتهم جنوبي الدرباسية حتى الخابور ، وعددهم فيما قيل ألف بيت ، ثلثهم في شمالي الحدود وثلثاهم في جنوبها ، والذين في الجنوب هم في رئاسة الحاج درويش الحج موسى المتوفى وعيسى آغا الملقب بالكطنية وفرحان آغا العيسى ، وغيرهم المقيمين في قرية تل إيلول ، ولرؤساء هذه العشيرة ذكر محمود في سجل الوطنية ، وفرقهم داخل الحدود الشامية هي العزيزان والكمكان ، وقد ظل هؤلاء الكيفية حتى سنة ١٩٢٦ م في خصام شديد مع ملية ناحية عامودة ، ونزاع مع شمر مشعل باشا ، بحكم امتناعهم وقتئذ عن دفع الخوة إليه ، وفي سنة ١٩٤٤ م اقتتلوا اقتتالاً شديداً مع عشيرة البقارة على أثر نزاع على ملكية بعض الأراضي ، وعظم الخطب بينهما رغم مداخلة الحكومة وإقرار الصلح ، على ما شرحناه في بحث شمر والبقارة .

الملية

عشيرة هامة ، كبيرة العدد والملك ، وهي غير عشيرة الملي التي سيأتي ذكرها ، تقطن في غربي عامودة وجنوبها ، ولها تسع عشرة قرية داخل الحدود الشامية ، وقرتان داخل الحدود التركية ، وهم إذا نجعوا لا يتعدون أودية الخابور والجفجف ، عددهم نحو ٦٠٠ بيت ، اشتهروا بخصب أراضيهم وإتقانهم الحراثة والزراعة فيها ، وفرقهم هي الخضر والبادينا والسيدان والجمالدينا والدشناوي والصوان ، وكل من هذه الفرق من منبت مختلف اجتمعوا بالولاء والحلف ، شأن كل العشائر التي تتكون من عناصر شتى ، وتتحد حول رئيس قوي وتسمى باسمه ، وفرقة الصوان من هولاء يزيدية ، وهم أخصام كيكية الشمال وبقارة الأبى شيخ ، وقد ظهر من هؤلاء أناس أشقياء خطيرين فتاكين ، عملوا مع الفرنسيين منذ سنة ١٩٢٧ م وأوقدوا نار الفتنة في محافظة الجزيرة ضد الحكم الوطني ، وكان أخصهم في ذلك المدعو نواف الحسن ، ورئيس هذه العشيرة اليوم هو عيسى الآغا العبد الكريم ، القاطن في قرية كندور من أعمال عامودة ، ولهذا الآغا ماض محمود في باب الوطنية ، لاقى

في هذا السبيل من الفرنسيين وأنصارهم ولاسيما من ابن عمه نواف الحسن ضروب الإهانة والعذاب ، ويذكر من رؤساء هذه العشيرة جميل آغا بن إبراهيم آغا الملي الذي كان والده نائبا في المجلس السابق .

الملي

هذه العشيرة من أكبر عشائر الأكراد وأغربها تكويناً وتأليفاً ، كانوا في عهد العثمانيين يرتادون البقاع الجبلية ، وسط بلاد الأكراد ، بين سيورك وبيرجك وديار بكر وويران شهر وأورفة ، ويقطنون في سفوح جبل قره جة طاغ من كانون الثاني إلى نيسان ، فإذا حل شهر نيسان هبطوا السهل المحيط بغربي رأس العين ، وامتدوا حتى جبل عبد العزيز ، وإذا حل شهر حزيران عادوا نحو الشمال في اتجاه ديار بكر ، وفي الخريف يذهبون رويداً نحو مشاتيهم في قره جة طاغ ، وهكذا .

وهم كثر يقدرون بـ ٤٠٠٠ بيت ، ومن عناصر ومذاهب مختلفة غريبة ، يعجب الناظر كيف تألفت وعاشت ، ومن وفرة هذه العناصر واختلاف منابها ، كانوا يقولون عن هذه العشيرة من قبل المبالغة (هزار ملت) أي (ألف ملة) ، ومن ثم دعيت بالملي ، ومعظم هذه العشيرة كردي وبعضها يزيدي ، وقليل منها عربي الأصل ، وربما بلغ عدد فرقها نحو ٥٠ ، وأهم الفرق الكردية منها : الباشات (أبناء إبراهيم باشا وهم الرؤساء) : ومحليان وكومنقشان وتركان وحيدران وهيزول وصوركان ومئينان وجوفان وشيخان ودودكان ومندان وناصریان وكوران وخضرکان وسيدان ودومليان وحسان وجبران وزركي وجمال الدين ، وأهم الفرق اليزيدية : شرقيان وخالدان ودنادا ومروان وقوبان ، وأهم الفرق العربية : العدوان والفراجة والجبور والبقارة والحديديين وبني خطيب والنعم وشرايين الكواويس وغيرهم ، وهذه الأسماء تدل على أن بعض هذه الفرق العربية الملتحقة بالملي منفصلة عن أمهاتها الكبيرة ، ويقال أيضاً : أن من هؤلاء الملية الأكراد أناس متوطنون في مدن دمشق وحماه والرقه .

ومجيء هؤلاء الملية للأرباع في سهول الجزيرة كان يؤدي إلى اصطدامهم بعشائرها الكبيرة ، وأخصها شمر وعزة ، وإلى دوام العداوة والحروب ، وفي عهد رئيسهم إبراهيم باشا

جرت بينهم وبين شمر معركتان ، كانت الغلبة فيها لإبراهيم باشا مما أدى إلى علو شهرته وقتئذ على ما سنذكره ، ولكن بعد وفاة الباشا المذكور ، واحتلال الفرنسيين ، وتقسيم المناطق بين العشائر ، وتوطيد الأمن خفت العداوة المذكورة بالتدريج إلى أن زالت بتاتاً ، وانقلبت إلى صداقة ومصاهرة قويتين ، بزواج الشيخ ميزر عبد المحسن رئيس شمر الزور بابنة خليل بك بن إبراهيم باشا ، وحاربت المليّة عنزة الجزيرة أيضاً ، ونعني بها عشيرة الفدعان ، وكانت الوقائع بينها سجّالاً ، وهاجوا مرة شاشان رأس العين ، كما أن أبناء إبراهيم باشا مشوا في سنة ١٩٢١ م مع الحملة الفرنسية التي كان يقودها الزعيم ديبوف في هجومها على قرى خشام والبصرة وضربها عشيرتي العنابزة والبكير من العقيدات ، كما ذكرناه في بحث العقيدات ، وقد انقسمت عشيرة المليّة بعد تحديد الحدود إلى قسمين ، فبعضهم داخل الحدود التركية في رئاسة عبد الرحمن بك الذي نفاه الترك إلى أدرنة ، وبعضهم داخل الحدود الشامية في رئاسة محمود بك ، وكان رئيس هذه العشيرة في عهد السلطان عبد الحميد إبراهيم باشا المذكور ، ونسبه إبراهيم بن محمود بن تيمور بن عبيد بن محمود بن عبيد الملقب بكش ، والرواية مختلفة بين أن يكون أصل هؤلاء عربياً أم كردياً ، والغالب أنه كردي ، ولو أن نزعته عربية .

وكان كلش عبيد يقيم في جوار بلدة قبا حيدر من ولاية أورفه ، ثم سكن أحفاده بعده في بلدة ويران شهر المعروفة بالسويدياء ، وحكوا العشائر الكردية في ديار بكر ووان وبتليس ، وبرز منهم رجال أشهرهم تيمور باشا وأيوب باشا ومحمود آغا والد إبراهيم باشا ، وقد طغا أحدهم تيمور باشا في عهده ، ولما عجزت عنه ولاية الأطراف بعثت الدولة عليه كتيبة عسكرية من فرسان عشيرة العبيد ، في قيادة رئيسها سليمان بك آل شاوي المعروفين في العراق ، فكسرتة بعد معركة حامية وخفضت من غلوائه ، وكان ذلك فيما قيل سنة ١٢٠٢ هـ ، أما إبراهيم باشا فقد كان كأجداده ذا سلطة طائلة على عشيرته ، ونفوذ بعيد المدى على جميع العشائر الكردية في تلك الولايات ، وهو بعد أن حارب جنود الدولة العثمانية ، وانتصر عليها مراراً ، وكاد يعلن استقلاله كأمر على بلاد الكرد كلها ، خضع على أثر إنعامات السلطان عبد الحميد الوافرة ، وتعيينه قائداً كبيراً للكتائب الحميدية التي ألفها السلطان المذكور وقتئذ من فرسان عشيرة المليّة وغيرها على مثال فرسان القوازي في روسية ، وبعد موته خلفه ابنه محمود بك ، وكان يقطن محمود بك في قصره الذي شيده في

ويران شهر ، وبعد أن انتقل إلى قضاء رأس العين ، ظل يتبدى مع عشيرته في مضربه العظيم ذي العواميد الستة عشر إلى أن شاخ وهرم وتوفي في صيف سنة ١٩٤٥ م .

وقد أعقب إبراهيم باشا ستة أولاد ؛ أكبرهم عبد الحميد ثم محمود وإسماعيل و خليل وتيمور وعبد الرحمن ، فعبد الحميد توفي في ديار بكر ، وإسماعيل توفي في رأس العين ، وتيمور بك قتل ، وعبد الرحمن رئيس العشيرة الباقية داخل الحدود التركية أبعده الحكومة الكمالية إلى أدرنة ، فظل فيها سنين إلى أن فر وجاء إلى رأس العين ، ولما توفي محمود بك استقرت الرئاسة إلى خليل بك ، إلا أن خليل بك قد شغل عن العشيرة بالنياحة في البرلمان السوري ، فصار يعاونه في إدارة العشيرة الباقية في قضاء رأس العين ابنه محمد علي بك ، وهو شاب ذكي همام ، متعلم يجيد اللغة الفرنسية كإجادة التركية فضلاً عن العربية .

ترجم المقدم مولر في كتابه حياة إبراهيم باشا فقال : « إبراهيم باشا أحد الشخصيات التي برزت في العالم العربي في أواخر القرن الماضي ، كان يرأس عشيرة كردية عربية نصف متحضرة ، وقد لعب دوراً كبيراً ، وألف الترك من عشيرته جنداً دعوه (الميلىس) ، وقضى إبراهيم باشا عمراً مترعاً برغد العيش والاستقلال في قرى عديدة تحيط بعاصمته ويران شهر (السويداء) ، وكان مضربه الذي ينصبه في الشتاء وأثناء النجعة ، أكبر مضرب عرف من نوعه ، فقد كان له ستة عشر عموداً بينها ليس لأكبر رئيس بدوي مضرب تزيد أعمده عن التسعة ، وقد توفي إبراهيم باشا في الصفية على نهر الجفجف على بعد ١٢ كيلو متراً شمالي الحسجة ، وسبب وفاته أنه كان فاراً من وجه الجند التركي الذين عقبوه بشدة مدة مديدة ، فوصل إلى مشرع في نهر الجفجف ، وكان الحر شديداً والتعب واللهث آخذان منه أشد مأخذ ، فشرب دون حساب ، فأصابته هيضة قضت عليه .

وحينما كان الفرنسيون يحاولون الاستيلاء على أورفه وديار بكر وثب أبناؤه على الترك ، وأرسلوا وفوداً إلى الفرنسيين يعلمونهم بقصدهم ، وأنهم يرومون الشار من الترك ، وطلبوا أن ينصروهم ، لكن الفرنسيين لم يصغوا إليهم ، وبعد أن اشتبك أبناء إبراهيم باشا مع الترك ، وغلبوا وغلبوا مراراً اضطروا إلى الاستسلام ، ثم فضلوا الهجرة فجاءوا مع ٣٠٠ - ٤٠٠ بيت إلى أنحاء دير الزور في سنة ١٩٢١ م ، وهناك أمدتهم الفرنسيون بمدفعين وبضعة

رشاشات ، فعادوا وهاجوا الحامية التركية في رأس العين ، كما غاروا على الشاشان في قرية الصفح ، ولكنهم دفعوا بشدة فرجعوا بعدها إلى الدير ، وفي اتفاقية أنقرة تم التراضي على أن يعفى عنهم ، فعادوا في سنة ١٩٢٢ م ، إلى ويران شهر . لكن الترك لا يصفحون عن الزلات بسهولة ، لذلك ظلت حالتهم قلقة ، وقد سجن الترك أبناء الباشا مراراً وأطلقوهم مراراً ، وأخيراً سئوا واضطروا في سنة ١٩٢٦ - ١٩٢٧ م إلى أن يتركوا أوطانهم وقراهم وأرزاقهم وقسماً من مواشيهم في يد الترك ، وجاؤوا إلى بلاد الشام ، ومكثوا قرب قرية رأس العين ، وطلبوا من الحكومة السورية أن تقبلهم ، وتقطعهم أرضاً يستغلونها ، ولسوء الحظ لم يوجد لهم سوى أراضٍ في جنوبي حمص ، فاستبعدوها وفضلوا البقاء قرب وطنهم الذي غادروه ، وظلت قضيتهم معلقة في يد القدر ، وهم لا يزالون مع بضع مئات من البيوت ، يضربون في جنوبي غربي رأس العين » . أ هـ .

وترجم الشيخ كامل الغزي في كتابه (نهر الذهب في تاريخ حلب) حياة إبراهيم باشا المذكور فقال في المجلد ٣ ص ٤٨١ ما خلاصته « في شهر رمضان سنة ١٣٢٦ هـ مات إبراهيم باشا بن معمو التمو الكردي ، في الموضع المعروف بتل شرايه بين نصيبين ودير الزور ، وهو من عشيرة المليّة الكردية ، وهذه العشيرة تبلغ زهاء أربعمئة بيت ، تقيم تحت خيام الشعر في جهات ويران شهر ، من أعمال قضاء رأس العين التابعة لواء الزور ، والرجل المذكور هو شيخها ورئيسها ، وكان والده توفي في حلب في حدود سنة ١٢٩٥ هـ ودفن فيها ، فخلفه ابنه هذا في المشيخة ، وكان يعرف إذ ذاك بإبراهيم آغا ، وبعد أن صار شيخ العشيرة ، اقتفى آثار آبائه في شن الغارة على العشائر الكردية والعربية ، خصوصاً في عشيرة قره كج فإنه لم يبق لها سبداً ولا لبداً ، ولما كثر تشكي هذه العشائر منه أمسكته حكومة ولاية ديار بكر ، ونفته إلى سوارك فبقي فيها سنتين ، وفيها استغاث بوالي حلب جميل باشا ، وقدم له هدايا من الخيول المطهمة ، فشفع له عند السلطان عبد الحميد وعاد إلى ويران شهر ، ولما تألفت الكتائب الحميدية من سكان البوادي ، مضاهاةً لكتائب القوزاق في دولة روسية ، جعل إبراهيم آغا مقدم مئة ، ثم مقدم ألف ، ثم أمير لواء وصار يدعى باشا ، وكثرت أتباعه ، واستقدم إلى الأستانة لعرض كتيبته ، فشحص إليها مع عدد وافر من عشيرته الجند الحميدي ، في غاية من حسن البزة والرونق ، وقدم إلى السلطان من الخيول العربية ، والسمن العربي ، فسر السلطان بذلك وأعاده مكرماً ، فازدادت سطوته ،

وعظمت نكايته بالعشائر والقرى المجاورة من أعمال أورفة وديار بكر ، حتى خرب الكثير منها ، بسبب جلاء أهلها ، وضرب على القوافل المارة ضريبة ، فإن لم تدفع انتهبها ، فضج أهل تلك الجهات ، وواصلوا الشكاوى عليه للولايات ولعاصمة السلطنة ، وبذلوا النفيس والغالي في ذلك ، وذهب أناس منهم إلى الأستانة للتظلم فلم يجدوا سميعاً ، لأنه كان لا يفتر عن تقديم الهدايا والرشوات الطائلة إلى القصر السلطاني ، من نقود وخيول وسمون ، ولما تمادى في عدوانه ، صار المشتكون يوالون البرقيات المحتوية على أشد العبارات التي يخاطب بها السلطان عبد الحميد العظيم وأعانهم الولاة على ذلك ، إلى أن صدرت الإدارة بتأليف لجنة خاصة للتحقيق في ديار بكر ، فلم تستطع هذه اللجنة أن تأتي عملاً ورجعت . وأخيراً وقبل إعلان الدستور أصدر السلطان إرادته بإشخاص إبراهيم باشا وجنوده إلى الحجاز ، ليعاون جيش الدولة في ردع العشائر العربية التي قامت وقتئذ تعارض الدولة في مد السكة الحديدية الحجازية من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، فامثل إبراهيم باشا الأمر ، ونهض من محلة ويران شهر ، وقصد الحجاز من طريق حلب ودمشق ، وما كاد أن يستقر في دمشق إلا وأعلن الدستور ، وحدث الانقلاب ، فارتاع إبراهيم باشا ، وخشي أن يلقي القبض عليه ، فنهض في الليل من دمشق ، وكر راجعاً إلى حلب وويران شهر ، وحينما تحققت الحكومة هربه ، أرسلت في طلبه الجنود ، فلم يدركوه إلا في جهات ماردين معتصماً في جبل هناك ، فشددوا عليه الحصار مدة ، ولما علم أنه لا مناص له ركب جواده ، وقصد أن يسلم نفسه طائئاً ، وكان التعب والسهر قد انهماك جسمه ، وبينما هو راكب جواده إذ وقف ونزل إلى الأرض ، وفي برهة دقائق فاضت نفسه . والمروي عن هذا الرجل أنه كان يوجد عنده نحو مليونين من الليرات ، وأنه عمل نفقاً في الأرض وكنزها فيها ، وقتل المعار الذي عمل له هذا النفق كي لا يخبر عنه ، وعلى كل حال فإن إبراهيم باشا كان على جانب عظيم من السخاء والدهاء والشجاعة ، يتكلم بالكردية التي هي لغة آبائه وأجداده وعشيرته ، وبالعربية التي هي لغة أمه وزوجته ، وبالتركية التي هي لغة الدولة ، ويذكر أنه أنشأ في سواريك مكاناً ، يشبه تكية يطعم فيها الفقراء والمسافرين رحمه الله « أ هـ .

وأملأك أبناء إبراهيم باشا في ناحية رأس العين واسعة كبيرة ، تبلغ آلاف الهكتارات ، وهي تمتد في الشرق من جسر قرية تل حلف إلى مكان اسمه نصف تل في الغرب ، وفي الشمال من الخط الحديدي إلى جبل البيضا في الجنوب ، وفيها براري ومراعي



خليل بك إبراهيم باشا رئيس الملي

فسيحة جداً ، اجتزتها بالسيارة في أواخر شهر آذار سنة ١٩٤٧ م فأعجبت بامتدادها وانفساحها ، ووفرة أعشابها وأزهارها ، وأسفت على بوارها ، وفقدان أوقلة العمل فيها .

البرازية

هم مجموعة عشائر متحالفة اسمها علادينان وبيجان أو بيزان وشدادان وزروان ودنان وقره كيجان وأوكيان ومعافان وديدان ، ويقدر العارفون عددهم بـ ٩٠٠٠ بيت ، يقيم معظمهم داخل الحدود الشامية في قضاء عين العرب ، والباقي داخل الحدود التركية في سهل سروج الفسيح ، ورجال البرازية يرتدون الأزياء العربية لمخالطة الأعراب عند غزوهم ، أما نساؤهم فلا يزلن يرتدين الأزياء الكردية ، ويشمن ذقونهن ورقابهن ، ويقتصر الرجال على وشم أصداعهم ، ورئيس حلف البرازية اليوم مصطفى بك شاهين ، وهو نائب قضاء عين العرب في المجلس السوري ، ومن عيون الأكراد البارزين ، وقد عرف بينهم برجاجة الفكر والهمة والنشاط ، ووفور النفوذ والكرامة ، يشاركه أخوه بوزان بك في الرئاسة ، وفي الأوصاف المذكورة أيضاً ، وهما يقطنان في قرية مكتلة ، وقد جرى لهما في بدء الاحتلال وقائع ومعارك مع الفرنسيين ، إلى أن جنحا للمهادنة والمصادقة منذ سنة ١٩٢٢ م ، وإلى القارئ وصف بعض عشائر البرازية :

خليجان

أكراد برازية ، لكن رؤسائهم يدعون الانتساب إلى آل بيت النبي ﷺ ، وهم نصف حضر ، في أنحاء قرية خراب نیاز في شمالي الخط الحديدي وجنوبه ، وباديتهم بين الفرات والبلخ ، وعددهم ٣٥٠ بيتاً ، ورئيسهم الشيخ نوح موفور الكرامة جداً ، لشرفه المزعوم ، ولحسن سيرته ، حتى أنه كثيراً ما تشد الركائب إليه للتحاكم عند اختلاف العشائر ، ويقيم في قرية ير الله .

علاء الدين

فرقة كبيرة من البرازية في رئاسة مصطفى بك وأخيه مباشرة ، وعدد نفوس هذه الفرقة نحو ١٢٠٠ ، وهم موزعون في شمالي قضاء عين العرب إلى الغرب ، في ٣٦ قرية متاخمة للحدود التركية ، وأكثر عمل هذه الفرقة من الزراعة ، وهي مستقرة لا يتبدى منها

إلا أصحاب الماشية الذين ينجعون إلى بوادي قضاء الرقة ، ومساكن المستقرين منهم قباب من الطين ، إلا قرية مكتلة عاصمة الرؤساء أبناء شاهين ، فإن لهم دوراً حجرية عصرية ، وتقدر مواشي هذه الفرقة بـ ٤٠٠٠٠ شاة ، ونحو نصف ذلك من بقية الحيوانات كالمعزي والبقر والخيول والحمر والإبل ، وعندها نحو ٢٠٠ بندقية ، قيل إن الذي جاء بهذه الفرقة هو السلطان مراد الرابع فاتح بغداد لحراسة الحدود .

الرزوان

فرقة من الشيوخان في حلف أبناء شاهين ومشخة أحمد مالك ، وتعد نحو ٥٠٠ بيت ، يقيمون في سح ضياع قريبة من الحدود التركية ، وفي منتصف القضاء ، وأكثر عملهم الزراعة وقليل في الماشية ، وعندها ٥٠٠٠ شاة ، ونحو نصف هذا المقدار من بقية الحيوانات ، ومن هؤلاء الرزوان نشأ برازية حماة .

البيجان

أكراد من لواحق البرازية ، أكثرها داخل الحدود التركية ، وقليلها وهو نحو الربع (٢٥٠٠) نسمة داخل الحدود الشامية ، ورئيسها الأصلي مصطفى بك بن غالب بك المقيم في تركيا ، ومن مشايخها الموجودين داخل حدودنا أحمد محمود ومحجان علي ، وتقيم هذه العشيرة في شمالي غربي القضاء في جوار الحدود التركية ولها عشرون ضيعة ، وأصحاب المواشي منها ينجعون إلى بوادي الرقة وعندهم ١٠٠٠٠ شاة ونحو نصف هذا المقدار من بقية الحيوانات .

الشدادان

أكراد من فرق البرازية التي يرأسها أبناء شاهين ، وشيخهم فياض خليل أغا ولهذه الفرقة فخذ اسمه أوخ ، ومن هنا كان اسم الفرقة شداد وأوخ ، وتعد نحو ٣٠٠٠ نسمة ، ومثل هذا العدد منها في ناحية (تل أبيض) التابعة قضاء الرقة ، إلا أن أكثر شداد وأوخ لا يزال داخل الحدود التركية ، أما أماكنهم ففي شرقي قضاء عين العرب ، وهم متصلون مع بقيتهم الموجودين في ناحية تل أبيض ، وهم ينجعون في فصل الربيع بوادي الرقة ، ويملكون نحو عشرين قري ، وعندهم ٨٠٠٠ شاة ، ونحو نصف ذلك من بقية الحيوانات .

الشيخان

أكراد من فرق البرازية ، لكن رؤساءهم يدعون أنهم من أصل عربي ، ومن آل البيت ، وهم لا يعلمون متى هاجروا إلى هذه الأنحاء ، ولا كيف تغلبت عليهم اللغة الكردية ، وهم يقطنون في ٦٧ قرية في منطقة مخفر الجبلية وخرابياز ، وهم مستقرون ، إلا بعض أفرادهم الذين يربون الماشية ينجعون بوادي الرقة في فصل الربيع ، وعددهم ٢٨٠ بيت ، وبيوتهم من قباب اللبن والطين ، إلا بيت رئيسهم الشيخ نوح بن الشيخ بوزان في قرية ترمك فإنه من الحجر والإسمنت ، وهذا الشيخ موفور الكرامة ، لشرفه المزعوم وحسن سيرته ، تشد الركائب إليه كثيراً للتحاكم عند اختلاف العشائر ، ولدى الشيخان نحو ٦٠٠٠ شاة ، ونحو نصف ذلك من بقية الحيوانات ، ومرتزقهم من المحاصيل الزراعية والحيوانية ، ولنسائهم مهارة في نسج الأصواف الخشنة التي يتخذونها لأنفسهم ، ولا يعرضونها للبيع ، وفرقهم سيف الدين والشيخ جعفر والشيخ شوكة .

الكيكان

أكراد أقحاح لا يعرفون سوى الكردية ، إلا أنهم يدعون الانتساب إلى أصل عربي ، ويؤكد رئيسهم بصراوي آغا بأن أصل عشيرته من كنده ، توطنوا في زمن مجهول في جبال الكرد ، وصاهروهم فغلبت عليهم الكردية ، وأن رئيسهم السابق كان اسمه مختار الأسود ، ومن هنا صارت هذه العشيرة تلقب بالسودة ، ورئيسهم بصراوي آغا وأولاده خشان وقطوان وشوكت ، وفرق هذه العشيرة كريشان وطباني ، ويبلغ عددها ١٣٠٠ بيت ، يقيمون حول مركز القضاء وفي ناحية صرين وإيليجق ، وأرباب المواشي منهم ينجعون بوادي الرقة ، ولهم نحو ٥٠ قرية ، كمزرعة باباروس وخربة باركير وبيوتهم قباب ، ونحو نصف هذا المقدار من بقية الحيوانات ، وبعضهم في قضاء منبج في قريتي محسنة وعسلية ، وفي قضاء الباب في صابويران ، وفي قضاء اعزاز في قرية قعر القابين .

أكراد عثمانو

في قضاء مصياف من محافظة اللاذقية أكراد يدعون (أكراد عثمانو) ، لا يزالون رحالة ، نزحوا من شمالي الجزيرة منذ قرنين أو ثلاثة بحكم الفتن التي كانت وقتئذ ، ولم

تتحقق لنا نسبتهم الأصلية ، وهم ينزلون قرى عقرب وحنجور وأصيلة ، ويشتون في قريتي تل سلحب والعشارنة ، وهم ما برحوا محتفظين بأوصافهم القومية رغم وجودهم في وسط عربي ، وعدد بيوتهم ٨٠ ، ورئيسهم محمود محمد سعيد ، وله سلطة كبيرة على قومه .

الجوم

كانوا بادية في أنحاء قونية إلى أن أمر السلطان سليم الأول بنقلهم إلى قضاء عفرين ، فاستقروا فيه وتحضروا ، وهم الآن في ناحية الحمام جنوبي القضاء ، وعددهم ٤٥٠٠ بيت ، منتشرون في ٨٢ قرية ، ويؤلفون عشيرة جسيمة ، غنية بقطعان الغنم والبقر والخيول ، ومشهورة منذ أجيال بجفوتها وكثرة أشقيائها .

العميقي

كانوا بادية في تخوم العجم ، ثم نقلهم السلطان سليم إلى قضاء عفرين ، وهم نحو ٢٧٠ بيتاً في قى عديدة ، ومثلهم عشيرة (الموجلي) وعددهم ١٢٥ بيتاً في تسع قرى وعشيرة (خورمالي) ، وهؤلاء اختلطوا بالعرب يقطنون أنحاء جبل ليلون ، وعشيرة (شيقانلي) في ناحية راجو ، وفي ٥١ قرية .

اليزيدية

في قضاء عفرين قسم من الأكراد اليزيدية الذين أصلهم من جبل سنجار موطن اليزيدية الأصلي ، زعموا أن السلطان سليم العثماني هو الذي جاء بهم إلى هنا ، وكلفهم حفظ السابلة وهو قول مستغرب ، لا نظنه صحيحاً في هؤلاء ، وهؤلاء لا يزالون متمسكين بمذهبهم ، وهم حضر قرويون ، قد اختلط بعضهم بالأكراد ، إلا الذين في قريتي قرطل وقراباش ، وعدد الجميع نحو ٧٠٠ بيت ، وعندهم ٣٠٠٠ شاة و ٩٠٠٠ ماعز و ٣٧٠٠ بقرة ، ولهم رئيسان : درويش شامو في قرية عرش قيار وإيبو أسقان في قرية قراباش ، وهم مسالمون جداً .

دنادية

أكراد ، ربما كانوا من فرقة الشريان المليية ، جاؤوا إلى جنوبي مدينة حلب حول سنة ١٢٦٥ هـ من أنحاء أورفة وسروج ، وهم حضر ، يقطنون قرى تل عرن وتل حاصل

وكافر الصغيرة في قضاء الباب ، وقد حفظوا خلاهم وتقاليدهم القومية وسط البيئة العربية ، وهم يبلغون ٢٥٠ بيتاً ، وأفخاذهم قره كج وكتيكان وشيخان وبش التي ، نشأ منهم نائب عن قضاء جبل سمعان يدعى حكي آغا من تل حاصل .

أكراد إبراهيم

هؤلاء يقطنون قرية أكراد إبراهيم المسماة باسمهم في قضاء حماة غربي العاصي ، وأصلهم من الأكراد اليزيدية ، جلوا عن بلادهم في أنحاء سروج منذ قرن أو أقل ، وكان رئيسهم يدعى إبراهيم فسميت القرية والعشيرة باسمه ، على أن هؤلاء بعد أن كانت لا تؤكل ذبيحتهم ، ولا يلعن الشيطان أمامهم ، ما لبثوا أن امتزجوا بالبيئة ، فأسلموا واستعربوا ، ولم يبق للغة الكردية عندهم إلا أثر قليل بين معمرهم ، وهم الآن قلما يختلفون بالأزياء والعادات عن الفلاحين العرب ، ويفوقونهم يأتقان تربية الماشية .



التركان

التركان من أكبر الشعوب التورانية ، وهم بادية الترك ومبدوهم ، كما الأعراب بادية العرب ومبدوهم ، لأنهم في الأصل أهل ضرع وخيام يرحلون ويحلون ، أوطانهم الأصلية في براري اسية الوسطى الممتدة بين جزر الخزر وبحر خوارزم ونهر جيحون ، وهم أول من أسلم من الترك في القرن الرابع الهجري ، وصاروا يدعون من ذلك الحين (تركان) بعد أن كانوا في جاهليتهم يدعون (اوغوز) أو (غز) بضم الغين والزال ، كما ترى ذلك من تواريننا العربية القديمة ، التي كانت تذكرهم تارة باسم (غز) وتارة باسم (الخوازمية) .

ولما أسلموا في القرن الرابع الهجري ، هاجروا نحو ديار الإسلام ، وانتشروا في شمالي غربي إيران وشمالي شرقي الأناضول ، أي في أنحاء طبرستان وكيلان وأذربيجان وأذربيجان وديار بكر ، ثم بلغوا الأناضول ، وهم إذا كانوا أهل حرب وبأس ونجدة ، هرعوا للتجند في جيوش الخلفاء والملوك المسلمين ، وبرزوا في طاعتهم وجلادتهم ، وفي الحروب الصليبية أبلوا بلاءً حسناً تحت لواء السلاطين السلجوقيين والملوك الأتابكيين والأيوبيين والسلاطين المماليك ، كما فصله مؤرخوا تلك العهد ، وشرحوا الفظائع التي ارتكبتها وقتلوا بعض مشرديهم ، في أزمنة وأمكنة عدة .

والتركان في بلادهم الأسيوية كالأعراب ، ينقسمون إلى عشائر مختلفة ، لا يتسع المجال لتعدادها ، وأشهرها أكبرها تكة وأليلي ويومود وآساري وأفشار وقايي خان التي منها آل عثمان وغيرها ، وقد تحضر هؤلاء - إلا قليلاً منهم - بعد هجرتهم واستقرارهم ، في بلاد إيران والأناضول ، وأسس بعضهم دويلات على أنقاض السلجوقيين ، كما مارة ذوي الغنم البيض في أنحاء ديار بكر ، وذوي الغنم السود في أنحاء أذربيجان ، وآل قرمان في قونية ، وآل رمضان في اذنة ، وآل ذوي القدر في مرعش ، وآل عثمان في بورسة وفي استانبول وغيرهم .

ولا يزال من ذراري هؤلاء زرافات بادية ، يرحلون وينزلون في براري ومراعي

حلب وأذنة وقونية وغيرها ، كما أن منهم أناس قد تركوا البداوة وتحضروا ، تجدهم الآن في شمالي العراق والشام ، وفي أنحاء أضرورم وسيواس ، وبعض أجزاء إيران والقفقاس ، وهم ما يرحوا محتفظين بتركانيتهن ، حتى أن ملاحهم ولغاتهم تختلف عما لدى الأناضول عامة واستانبول خاصة .

وعند التركان أكثر خصائص التورانيين وملاحهم ، فرؤوس التورانيين كما لا يخفى هي مدورة ، ووجوههم عريضة ، ووجناتهم بارزة ، وعيونهم ضيقة ، وأنوفهم فطس ، وشفافهم غليظة ، وسنهم صفراء سمراء ، وشعورهم سود ، ولحاهم فرقة ، بيد أن التركان والترك بعد أن امتزجوا وخلطوا دماءهم بغيرهم من الشعوب ، تبدلت ملاحهم هذه ، وبعدت عما لدى أبناء جلدتهم الأصليين المعروفين بالتتار ، في شرقي أوربا والمعروفين بالمغول في شرقي آسية ، وأكثرهم ابتعاداً عن التورانية الأصلية هم سكان مدن الأناضول والروملّي ، المختلطين بعناصر آرية وسامية شتى منذ الفتح العثماني .

والتركبان ذوو سجايا وأوصاف خاصة ، أبرزها طول قامتهم ، وصحة أبدانهم ، وسداجة أفكارهم وأطوارهم ، وشدة بأسهم وجلدهم ، وأنهم جنود نظاميون بالطبع والخلق ، وهذا ما حمل خلفاء المسلمين وسلطينهم على تجنيد عدد كبير منهم ، وقد اشتهرت الدول والإمارات التي أنشؤوها من بعد بسطوتها ومنعتها ، كما اشتهروا هم في كل زمان ومكان ، بفرط طاعتهم لسادتهم وكبرائهم ، ولهم الآن جمهورية خاصة ضمن الاتحاد الروسي السوفيائي اسمها (جمهورية تركانيا) .

ولباس رجال التركبان القدماء قميص طويل ، فوقه جبة طويلة ، يشدون في وسطها زناراً ضيقاً ، وأحذيتهم جزمة طويلة ، أو نعل عادي من جلد البعير ، أو الخيل ملفوف بالصوف ، وأغطية رؤوسهم قلنسوة بشكل الخروط الناقص ، من جلد الحملان أو اللباد ، أما نساؤهم وإن كن سافرات يسترن رؤوسهن بمنديل طويل ، ويكثرن من التزين بالخلي .

والتركبان القدماء رحل ، يسكنون الخيام التي تدعى (خركاه) ، وهي تختلف عن مضارب الأعراب ، فهي مدورة أو مربعة ، مسقوفة باللباد أو الحصير ، ورجالهم يوقرن النساء ، ولا يمسوهن بسوء ، ويمنحوهن الحرية التامة ، فتراهن ذاهبات آيات ، من مكان

إلى مكان بكل طلاقة ، ولا يتحاشين من مكالمه رجل غريب أو من سلامه ، وهن صناع
اليدين ، لا يفترن لحظة عن غزل الصوف والقطن ، ونسج السجاد والبسط ، وطحن
الحبوب ، ناهيك عن الأعمال المنزلية التي يتقنها ، ولا يتوانين عنها .

وكل التركان مسامون سنيون شديداً يتعلق بعقائد الإسلام وأركانه ، عن ورع وولع
فطريين عجيبين ، إلا أنهم متأخرون جداً في مضار الدراية والثقافة والنباهة .

وتركان بلاد الشام يتوزعون في محافظات وأقضية ونواحي عديدة إليك بيانها :
محافضة حلب : في قرى عديدة من أقضية جرابلس ومنبج والباب وأعزاز كآق طاش
وبكمشلي وتليلة وحاجي كوسا وخليصة وطاشلي هيوك وهواهوك وقنطرة وكريجش
وميرخان وميرزا شهيد وجوبان بك وغيرها .

محافضة حماه : في ناحية الحميري غربي حماة قرىتا عقرب وطف .

محافضة اللاذقية : في قضاء مصياف في ناحية حذور قرى حرمل وحوير وبيت
ناطر ، وفي قضاء اللاذقية قرى ناحيتي البائر والبيسط والساحل كبرج إسلام والصليب
وكبلية وسراري وكبرة وجقورجاق وقولجوق وكبير وشمر وران وقبيلية ويامادية وكشيش
وبدرسية وفاق حسن وعيسى بكلي وبوزا وغلان وغيرها .

في الجمهورية اللبنانية : في قضاء عكار : قرى دوسة وكواشرة وعيدمون وجديدة .

محافضة حمص : في ناحية الوعر غربي حمص قرى برج قعيا وقزحل وأم القصب
ومرج القطا والزبيق وخربة التين محمود وخرخر والدار الكبيرة .

محافضة دمشق : في قضاء قلمون قرية قلدون ، وفي قضاء الجولان عين عائشة
ورزانة وضايبة وأحمدية وحسينية وحفر وعين سسم وكفرنفاخ وقادريه وعليقة وسنديانة
ومغير .

محافضة حوران : قرية براق في قضاء إزرع شمالي اللجا ، وهؤلاء أشتهت من أتراك
الأناضول المتحضرين والقادمين منذ نصف قرن أو أقل .

شرقي الأردن : في قضاء جرش قرية الرمان . وفي قضاء عمان عيون الحر .

هذا ولا يعرف أحد التاريخ الحقيقي الذي جاء فيه تركنا إلى بلاد الشام ، حتى ولا التركان أنفسهم الذين تتضارب أقوالهم في كل مكان ، ويظهر أن مجيئهم إلى بلاد الشام حدث على مرتين : الأولى قبل الفتح العثماني بعدة قرون ، في عهد الدول الأتابكية والنورية والصلاحية ، فقد ذكر التاريخ أن الأتابك عماد الدين زنكي سیر طائفة منهم إلى الشام ، وأسكنهم في ولاية حلب ، وأمرهم بجهاد الصليبيين ، وملكهم كل ما يستنقذونه من بلاد للصليبيين ، وذكرت أن نور الدين وصلاح الدين أسكنا كثيراً من أبناء جلدتها التركان والأكراد في ساحل الشام وداخله ، وعمل مثلهم الظاهر بيبس وأخلافه من السلاطين المماليك الترك والشركس ، وكان قسم عظيم من جند المسلمين في تلك العهود من التركان ، فتديروا البلاد ، واستعرب كثير منهم وذاب في البوتقة الشامية ، وظل قليلهم على تركانيته الصرخاء ، ومن هؤلاء تركان جبال اللكام في لواء الأسكندرون وتركان أقضية الباب وجرابلس وأعزاز وسهل العمق القريبيين إلى الأناضول منذ القديم ، ولعل من هؤلاء تركان ناحية حذور في قضاء صافيتا ، الذين ينسبون أنفسهم إلى عشيرة قايي خان ، ويزعمون أنهم بعد غرق سليمان شاه جد آل عثمان في الفرات لم يلحقوا بأبنائه إلى الأناضول ، بل زحفوا جنوباً وتديروا الناحية التي هم فيها ، ومما يؤيد دعواهم جملة وردت في تاريخ الصالحية لابن كنان (ص ٩٤) في ذكر ما حل بعشيرة قايي خان بعد موت رئيسها سليمان شاه قوله : وتفرق من معه من التركان في أطراف البلاد وذرايرهم موجودون رحالون نزالون . أ هـ .

والجيء الثاني الذي هبط فيه التركان المناطق العربية كحماة وحص والجولان واللاذقية حدث بعد الفتح العثماني خلال القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، وظل مستمراً في فترات متقطعة حتى أوائل القرن الثالث عشر ثم توقف ، قيل إن الذي أتى بهم بادئ ذي بدء هو السلطان سليم العثماني لما فتح الشام في سنة ٩٢٢ هـ جلب معه منهم بضعة آلاف واشتركوا جميعاً في معركة مرج دابق ، فكافأهم بإسكانهم في البلاد المفتوحة ، ليؤلفوا فيها نوعاً من السؤدد العسكري المكلف بحفظ الأمن ، ثم اقتدى به أخلافه من السلاطين والوزراء ، فصاروا كلما رأوا النصيرية في غربي حماة وحص يعكرون صفو

الأمن ، وكلما سمعوا بأن البدو وخاصةً الموالي في جنوبي حلب ، والفضل والسردية في جنوبي دمشق ، يستبيحون حمى المعمور ، أو يقطعون السابلة ، أو يهاجمون ركب الحج ، كانوا يجلبون من عشائر التركان الضاربة في سهول آذنة وقونية وأيدين ويمنحونها قرى وضيعات من التي خلت من ساكنيها ، بسبب حوائج الأوبئة أو الفتن غير المنقطعة في تلك العهود ، ويوطدون سطوتهم بها ، إلى أن استغنوا عنها بجند الدرك والنظام ، بعد الإصلاحات التي شرع بها السلطان عبد المجيد في سنة ١٢٥٥ هـ .

هذا ويبدو أن تركان بلاد الشام هم من عشائر مختلفة ، نسبت أسماؤها ومنابتها على طول العهد ، لكن العارفين ينسبون تركان أقضية تل كلخ وعكار وصافيتا وحمص وحماة والجولان في الغالب إلى عشيرة أفاشار الكبيرة الضاربة حتى الآن في قلب الأناضول ، حول سيواس وأقرة ، لأنهم يماثلون رجال تلك العشيرة ونساءهم ، في صحة الأبدان ، وجمال الوجوه ، وتقارب اللهجات ، بينما ينسبون الذين في ناحيتي البايير والبسيط في شمالي اللاذقية إلى تركان أرضروم وأرزنجان وكاخ في شرقي الأناضول .

وتركاننا ماعدا الذين في شمالي حلب واللاذقية قد استعربوا ، في اللغة والأزياء ، فلبسوا الكوفية والعقال ، والقنبراز ، واكتسبوا أكثر العادات القروية الشامية ، بحيث صار الغريب لا يميزهم عن أبناء البلاد الأصليين ، إلا إذا حُدج في وجوههم وعيونهم ، وأُصغى إلى أحاديثهم فيما بينهم ، يجدهم مابرحوا محتفظين بملاحمهم التورانية ، وبلغت تركية قديمة سقيمة ، مخلوطة إلى حد النصف بكلمات ومصطلحات عربية عامية ، وجميعهم بعد أن كانوا لمضي قرن أو أقل ذوي سلطة وثروة غير يسيرتين ، أخنى عليهم البؤس والفقر ، وأضنامهم الجهل والخور ، فلم يعد يسمع لهم ركز ، ولا يظهر بينهم ذوو شأن ومكانة إلا ما ندر ، وهم أناس على الفطرة ، مغمورون ، وعلى الحكم والبلواء صابرون ، ولأوامر الحكام طائعون ، وللنظام حافظون ، وهم في كل مكان ذوو صلاة حسنة مع جيرانهم ، وقد باتوا الآن خلافاً لسجاياهم القومية القديمة يعرضون عن التطوع في الجندية ، وعن العمل في الوظائف الحكومية ، حسبهم الانصراف إلى حشرهم وزرعهم ، وضرعهم ونسجهم دون غيرها ، وهم نظيفوا المسكن والملبس ، ونساءهم جيلات التكوين والخلق في الجملة .

ولبعض التركان عناية واختصاص بصناعة السجاد ، وأشهر المشتغلين بذلك وأحذقهم

هم ترکان قرية عیدمون في قضاء عكار والحازرة القاطنون في ناحية حذور من قضاء صافيتا ، وقد ظل هؤلاء مستقلين بهذه الصناعة قروناً ، إلى أن تلقفها منهم جيرانهم النصارى ، وأتقنوها إتقان التركان لها ، وكان التركان يحصلون من السجاد أرباحاً وافرة ، لرواج سوقه في الأيام الماضية ، قبل نصف قرن ، إلى أن كسد منذ أن دخل السجاد العجمي الفاخر وانتشر ، وكان السجاد التركاني لا يفقد شيئاً من رونقه ومتانته ولونه يضاهاه الخمل ، وكان الغالب صنع السجادات المربعة ، إلى إن بطلت هذه ، واستعاضوا عنها بما يدعوناه (قياساً أو لياناً) ، وهو مستطيل بعرض متر ونيف ، وطوله حسب الطلب .

وتركان قضاء الجولان يعنون بالضرع عنايتهم بالزرع ، تبعاً لطبيعة أراضي هذا القضاء ، وهم يقضون الربيع في خيامهم التي يضربونها حول قراهم ، وفي الشتاء يأوون إلى دورهم الحجرية ، وقراهم في الجولان منبثة بين الأوعار والحجارة السود المنحدرة نحو وادي الشريعة ، كالقرى التي لأقاربهم في حمص وحماة المنبثة بين أوعار غربي العاصي ، وتركان الجولان ذوو سمعة طيبة وألفة حسنة مع جيرانهم العرب والشركس ، وكبيرهم هنا هو فائز أغا بن محمود أغا ، ومحمود هذا أخو موسى أغا خليفة الذي كان زعيم تركان الجولان سابقاً وذا سطوة وثروة كبيرتين في عهده .

ومن التركان في أنحاء حمص الشرقية قسم لايزال على بداوته ورحلته ، يدعون (تركان سوادية) تمييزاً لهم عن التركان البيضاء المستقرين في قرى حمص الغربية ، أو لعلهم في الأصل من التركان ذوو الغنم السود (قره قيو نلو) ، وهؤلاء السوادية يشتون في براري حمص الشرقية والجنوبية ، حول قرى القنية وحولايا وحمام أبي رباح وحسية والقصير ، ويقضون في جرود بعلبك وربما بلغوا زحلة ، وقد لقيتهم مرة ذاهبين إلى حوران للعمل في رجاء الزروع ، وهم يتقنون صنع اللبن الرائب ، كما يتقن التركان البيضاء صنع اللبن التركاني ، والاثنان مشهوران في أسواق حمص والقنيطرة ، كما يتقن تركان غربي حماة صنع القشطة الجامدة المعروفة في أسواق حماة بالبيرت .

ومثل هؤلاء التركان السوادية الرحل عشيرة التركان الضاربة في شمالي الرقة ، لكن هذه قد استعربت بالمرّة ، ولم يبق لها من التركانية إلا الاسم ، ومثلها في الاستعراب التام العشيرة المسماة بالتركان في مرج ابن عامر في حيفا من أعمال فلسطين .

أما تركان أقضية حلب الشمالية فهم لم يستعربوا ، ولم تتحول أفئدتهم وأبصارهم بعد من الشمال إلى الجنوب ، لإهمال المسؤولين عندنا تعليمهم وتوجيههم ، وهم مقيمون ومزارعون في قرأهم المذكورة آنفاً ، التي قسم كبير منها من أملاك الدولة ، وقسم للملاكين حلبيين كآل المدرس وآل الجابري وآل الرفاعي وآل النبيكي ، وهم ممتدون في حدودنا الشمالية من نهر الساجور حتى جبل الكردي في عرض عميق ، ويرأسهم هنا نعيان آغا بن كل محمد بن مصطفى باشا المقيم في قرية بلوة .

وتركان شمالي اللاذقية أيضاً كتركان حلب في عدم الاستعراب والاسترشاد ، ناهيك بماهم عليه من حرمان الثقافة والنباهة ، وفرط التواكل والخمول ، وحكومة اللاذقية تضمن عليهم بالمدارس والملاجئ الصحية ، ورؤساؤهم (أغواتهم) الاقطاعيون ، يستغلون هذه الحالات ، ويزيدونهم إمعاناً بها ، بينما جارتنا الشمالية ترنو إليهم ، وتود ضمهم إلى لواء الأسكندرونة ، وتجعلهم الفينة بعد الفينة حجة للدعاء والتهويز على أبناء بلاد الشام وجمهوريتهم ، وعدد هؤلاء يقدر بـ ٢٥٠٠٠ نفس ، وصفهم الجنرال جاكوفي كتابه أنطاكية ج ٢ ص ٥٢٢ فقال : والتركاني قوي البنية ، صبور قنوع ، وله مشية خاصة تم عن غرور وخيلاء ، وأصغر ملاك في قرى التركان يلقب بالآغا ، وغالب هؤلاء الأغوات يزدرون الأعمال اليدوية ، ويسلمون مزارعهم إلى الفلاحين العلويين ، ومن ثم صارت أملاكهم تنتقل رويداً رويداً إلى أرمن كسب ومسيحي اللاذقية أ هـ .



الشركس

الشركس شعب آري ، وأصلهم من بلاد القفقاس أو القوقاز ، التي هي في يومنا من أملاك الاتحاد الروسي السوفياتي ، يحدها البحر الأسود في الغرب ، وبحر الخزر في الشرق ، وروسية في الشمال ، وتركية وإيران في الجنوب ، وقد دعى مؤرخو العرب هذه البلاد (القبق أو القبيج) على ما وردت في شعر البحري ، وفي معجم البلدان لياقوت وتاريخ الطبري وابن الأثير ، بلغ العرب جنوبها في خلافة سيدنا عمر وعثمان ، وفتحوها فيها مدينة (دربندر أو باب الأبواب) على بحر الخزر ووقفوا ، ويبدو أن العرب لم يتحشروا وقتئذ بأهل البلاد الأصليين ، بل تركوهم في جبالهم ومعقلهم ، وحاربوا الخزر وأماهم من أمم الترك ، المتسلطين وقتئذ على البلاد ، وفازوا عليهم ، وقد ظل العرب مدة خمسة قرون ينشئون إمارات ، وينشرون الإسلام بين شعوب القفقاس ، حتى عمّ الداغستان وبلغت أنواره بلاد القوصحة والشركس ، لكنهم بعد أن ضعفت الخلافة العباسية وانقطع المدد عنهم لبعد الشقة ، طمع نصارى الكرج فيهم وهاجموهم ، ومازالو حتى أخرجوهم في أوائل القرن السادس ، ويظن أن هؤلاء العرب أبقوا من ذرايعهم أناساً في تلك البلاد ، ولا سيما بين طوائف الداغستان ، وأبقوا لغتهم دارجة ، يتلففها المشايخ ، ويتخذونها لغة التفاهم والتراسل بينهم .

وبلاد القفقاس قسمان ، شمالي وجنوبي ، يفصل بينهما سلسلة جبال عظيمة الارتفاع والتضرس بطول ١٢٠٠ كيلومتر ، تمتد كالجدار من الشرق الجنوبي إلى الغرب الشمالي ، وفي القسم الشمالي الآن عدة جمهوريات أخصها الداغستان والشاشانيا والآديغة والقرشاي والقباردينو ، وفي القسم الجنوبي جمهوريات جورجيا (الكرج) وأرمينية وأذربايجان وأنجازيا وأجاريا ، ومدار كلامنا في الأكثر على قفقاسيا الشمالية ومن فيها .

وفي سلسلة الجبال المذكورة أطواد شاخنة ، هائلة المنظر ، وقم وشناخيب تناطح

السحاب بعضها كقمة (البروز) يعلو ٥٦٤٧ متراً ، تكللها الثلوج الخالدة الرائعة ، وتتخللها الأودية والوهاد السحيقة ، والمضايق والمعابر الخيفة ، والحراج الباسقة الكثيفة ، وفي شمالي هذه السلسلة وجنوبها ووسطها هضاب واسعة ، سهول ومرايع شاسعة ، وأنهار وينايع دافقة ، أجلها في الشمال نهرا قوبان وتَرَكَ (بفتح التاء والراء) وروافدها العديدة ، والسهول هناك خصبة للغاية ، كما أن الجبال والسفوح ملأى بالحراج والأعشاب الوفيرة الطيبة ، والقطعان السارحة ، وفي هذه البلاد من أسباب الرزق معادن ومناجم عديدة عاملة ، ناهيك آبار النفط التي تخرج ملايين الأطنان ، وزراعة الحبوب ودوار الشمس ، والتبغ والقطن ، والأشجار المثمرة المختلفة ، والعنب وتربية دود الحرير ، والنحل والمواشي على اختلاف أجناسها ، وصيد الأسماك ، وفيها حمامات معدنية ، لمختلف العلل ، ومصايف ومصحات تقصد من كل الأقطار .

فهذه المرافق والمزايا جعلت بلاد القفقاس (سويسرة الشرق) بحق ، لأنها أبدع بقاع العالم هواءً ، رغم بردها وثلجها في الشتاء ، وحرها في الصيف ، ومن أغزرها وأنفعها ماءً ، وأروعها مشاهد ، وأنوعها نواتج ، وأكثرها قرى وشعوباً ، وقبائل ولغات وأدياناً ، هذا إلى أنها مصدر الجنس البشري الأبيض المعروف بالقوقازي ، ومهد الحسن والجمال المثاليين ، وقد عاشت فيها أقوام ونشأت إمارات منذ أقدم عصور التاريخ ، وكانت حلقة الاتصال بين قارتي آسية وأوربا ، وسبيل الشعوب المهاجرة ، والجيوش المجتاحة من الشرق إلى الغرب ، أو بالعكس ، وقد ظلت سداً منيعاً في وجه هؤلاء ، وكان آخرهم الألمان النازيون الذين بعد أن اجتاحوا جنوبي روسية ، بلغوا القفقاس عام ١٩٤٢ م ، وكادوا ينفذون منها إلى الأناضول والشام ، للاتصال بجيوشهم التي كانت تدق أبواب مصر في شمالي أفريقية ، لكن الأقدار خذلتهم وأعادتهم .

وسكان القفقاس كما قدمنا أقوام مختلفون ، عددهم اثني عشر مليوناً ، ثلثهم في الشمال ، وثلثاهم في الجنوب ، وهم إما أصليون كالداغستانيين والشركس والقوصحة والكرج والأرمن والتتار والنوغي والترك والاوزست والقالموق والقرشاي والقوموق ، وإما طواريء كالروس والعجم والألمان واليهود وأمثالهم المختصين بالصناعة والتجارة ، وأكثر الأصليين في الشمال ، وأكثر الطواريء في الجنوب ، وهذه الأجناس والشعوب المختلفة تتكلم بنحو سبعين

لغة ، ويظهر أن وقوع هذه البلاد كمر بين أوربا وأسية جعل كل من الأمم المارة منها منذ أقدم عصور التاريخ ، يترك فلولاً وشراذم ، أعقبت هذه الذراري المختلفة بأجناسها ولغاتها ، وقد يكون هناك لكل قرية أو قريتين لغة خاصة ، وهذا ما جعل ياقوت يقول في معجمه في مادة باب الأبواب « وقيل أن في أعلى جبلها الممتد المتصل بباب الأبواب نيفاً وسبعين أمة ، لكل أمة لغة لا يعرفها مجاورهم » .

ويذكر أن نحو نصف سكان القفقاس مسلمون ، وهم الترك والتتار والداغستانيون والشركس وعشر أمة الكرج وثلاث أمة القوصحة ، أما البقية وخاصة الكرج والأرمن فهم نصارى ، وهناك قليل من اليهود .

ونحن الان يختص بالشركس ، ويشمل أيضاً إلى حد كبير الداغستانيين والشاشان والقوصحة والقرشاي ، لأن الجميع يندمجون تحت اسم (الشركس) الذي هو الاسم الأشهر والأغلب . وإن كان بينهم فروق سنائي على ذكرها في حديث كل منها .

فالشركس من أبرز الشعوب الإسلامية في الحمية الدينية والغيرة القومية والشجاعة والفروسية ، وهذه المزايا الناشئة عن طبيعة بلادهم الجبلية ، وعزلتهم الطويلة في معاقلم العسيرة المنال ، ساعدتهم على الصمود في وجه الغزاة والفاحين الذين كانوا يقصدونهم منذ أقدم العصور ، وأقرب شاهد على ذلك صمودهم الأخير أمام جحافل الروس على ما سوف نذكره .

والشركس يسمون أنفسهم الأديغة ، لا صلة لهم بالسلالة التورانية ولا بالسلالة السامية ، وبالتالي لا صحة للخرافات التي تحاول إلصاقهم تارة بالترك ، وتارة بالعرب فهم وجدوا من أقدم عصور التاريخ ، على عزلة وانفراد في سفوح جبال القفقاس شعباً خالصاً في قامته ، ووسامته الخاصتين بالعرق القوقازي ، المعدود أصفى نماذج الجنس الأبيض ، وكما لا صلة لهم بأحد ، لا صلة للغاتهم بأي من لغات العالم ، ويدعي بعض المؤرخين أنهم من أعقاب الحثيين ، الذين جاء منهم فريق قبل الميلاد بعدة قرون إلى بلاد الأناضول والشام ، وسادوا فيها ، وشادوا دولاً وحضارات فخمة ، ويبرهنون على هذه الدعوى من البحث في نوادر الحثيين وجاجهم ، وطرار ملابسهم وأزيائهم المنقوشة على الصخور ، وخطهم المساري ، ولغاتهم ، وعلاماتهم الهيروغليفية ، وأنهم في ذلك يشبهون الشركس المتأخرين ،

وأن العلامات المذكورة لاتزال متخذة ، ومنها الشارات والسمات التي لدى الأسر والعشائر منهم ، بيد أن هذه الدعوى لاتزال قيد الدرس والبحث .

ومهما يكن فالشركس في أوطانهم الأصلية عاشوا أجيالاً على فطرتهم وعزلتهم وحريتهم ، وهم وإن لم يؤسسوا دولةً كبيرةً في بلادهم ، ولم يخلصوا من استطالة الفاتحين العظام ، الذين كانوا يبرون بهم من حين إلى آخر ، حفظوا استقلالهم الذاتي في قيادة زعمائهم ومجالسهم المحلية ، وقد كانوا في بادئ أمرهم وثنيين شأن الشعوب القديمة في كل مكان ، ثم تنصروا في عهد الدولة البيزنطية تنصراً لم ينفذ إلى أعماق قلوبهم ، ثم اعتنقوا الإسلام في العصور المتأخرة بسعي جيرانهم الداغستانيين السابقين إلى الإسلام ، وبهمة خانات القريم ، وبعض باشوات الترك وعلمائهم ، الذين وافوهم من استانبول ، وقد حسن إسلامهم لما رأوه يناسب ميولهم وأطوارهم .

وقبل ذلك كان كثير من شبانهم يهرعون للتطوع والخدمة في جيوش الخلفاء العباسيين ، والسلطين السلجوقيين والسلطين الترك الماليك ، إلى أن جاء دورهم فأنشؤوا دولة قوية في مصر والشام ، بسطت سيطرتها من بعد على الحجاز واليمن ، ودامت ١٣٩ سنة (٨٧٤ - ٩٢٣ هـ) تعاورها سبعة عشر سلطاناً منهم ، أعلام أعمالاً وأطولهم أعماراً في الحكم برقوق وبرسباي وجقمق وقايتباي وقانصوا الغوري ، وهو آخرهم قضى عليه السلطان سليم العثماني في معركة مرج دابق شمالي حلب ، وبذلك انتهت دولة الشراكسة ، وانتقلت الشام ومصر للعثمانيين .

وقد خدم السلطين الشراكسة العلوم والآداب والمؤلفات العربية ، وعنوا بالصناعات والحرف النفيسة ، وقاوموا أخطار المغول والصليبيين عن بلاد الشام ومصر ، وشادوا قلاعاً ومساجد ومدارس وسبل ومستشفيات وخانقاهات ، ومباني خيرية كثيرة ما برحت ماثلةً ، أخصها في القاهرة والقدس ودمشق وحلب ، ويكاد أكثر المباني الأثرية في هذه المدن يكون من عهدهم ومن صنعهم .

أما الشركس الباقون في أوطانهم ، فقد ظلوا على منعتهم وعزتهم في جبالهم وأوديتهم التي وصفناها ، حتى اشتدت هجمات الروس عليهم في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، بيد أن الصراع بينهم وبين الروس قديم ويعود إلى عدة قرون خلت ، لكنه لم يستفحل إلا

بعد أن وضع بطرس الأكبر وصيته الرامية للاستيلاء على البحرين الأسود والخزر ، وبلوغ الدردنيل ، ولتحقيق هذه الوصية كان لا بد لخلفائه من الانتقاض على بلاد القفقاس ، فصاروا يسوقون جيوشهم الجارة نحو منازل القبائل الشركسية ، ويكتسحون ما أمكنهم منها بالحديد والنار والإجلاء ، ويقطعونها إلى المستعمرين من أبناء جلدتهم الروس والقوزاق ، ويبنون القلاع والحصون ، كلما توغلوا فيها ، لكن الشركس ثاروا أروع ثروة ، ودافعوا واستبسلوا أي دفاع واستبسال ، وظل الصراع مستمراً نحو قرن بين هذا الشعب الصغير الأعزل ، وبين الروس ذوي العدد والعديد المهائلين ، وناهيك بفظائع الروس وقسوتهم ، مما جلب الإعجاب والإكبار للشركس ، وشهد به كتاب الغرب ، وحتى كتاب الروس أنفسهم .

وقد خذلت الدولة العثمانية الشركس في جهادهم الطويل هذا ، لانشغالها بالفتن الداخلية والحروب الخارجية ، وخذلهم أيضاً الإنكليز الذين كانوا يجرسونهم على الثبات ، نكاية بأخصامهم الروس ، ويعدونهم بالإمداد اليوم وغداً دون جدوى ، فظل الشركس يتلقون هجمات الروس القاسية لوحدهم ، ويتحملون منهم ضرب الفجائع والفظائع ، إلى أن أعيتهم القوة والكثرة ، وأعوزهم الإمداد والعتاد فغلبوا واستأنوا . ولما تم للروس في سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) الاستيلاء على بلاد القفقاس ، صاروا يكرهون الشركس على الهجرة ، بشق أساليب الجور والضغط ، ويقطعون أراضيهم وأماكنهم للصقالبية من روس وقوزاق وأمثالهم ، ولما رأى الشركس ما حل بهم ، لم يستطيعوا الرضوخ للذل والاستعباد ، فهجروا أوطانهم الجميلة ، وزحفوا أفواجاً وأفواجاً وتباعاً منذ سنة ١٢٨١ هـ المذكورة ، وبلغوا البلاد العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز ، ودامت هجرتهم هذه نحو أربعين عاماً ، قاسوا خلالها من متاعب الانتقال ومصاعب الحل والترحال ، والتشتت في البراري والقفار ، والغرق والحرق في البحار ، وإضاعة الولد لأبيه ، والأخ لأخيه ، وأمثالها من الفواجع والمآسي ، ما يطول شرحه ، ويديمي الفؤاد ذكره .

وأقطعتهم الدولة العثمانية وقتئذ عدة قرى مبعثرة في بلاد الرومي والأناضول ، لكنها لم تحسن توزيعهم وإيوائهم ، في الأماكن المناسبة لأمرجتهم الجبلية ، ففني كثير منهم يؤمئذ بالبؤس والأمراض ، ثم عادت عقيب الحرب الروسية التي جرت عام ١٢٩٤ هـ ،

فأجبرت من كانت أسكنته في بلاد الرومي على هجرة ثانية ، نزولاً عند أحكام عهدة برلين ، التي قضت بإخراج هذا الشعب المسلم النزاع للوثوب والحروب من تلك البلاد ، لينفسح المجال للشعوب البلقانية النصرانية ، ونقلت بعض هؤلاء إلى بلاد الشام ، وأحلتهم في خرب عديدة ، إما جافة منقطعة على سيف البادية ، وإما من ذوات التراب الرديء والمناخ الوبيء ، فعمروها مكرهين ، واستقروا فيها محقلين ، بعد أن ضحوا ودفنوا في مقابرهم كثيراً منهم ، وزاد في بؤسهم ونقصهم كثرة انخراطهم في الجندية ، وصدقهم وبلائهم في الحروب ، ولا سيما مع العثمانيين في الحرب الروسية عام ١٢٩٤ هـ ، والحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ ، ومع جيش السلطان وحيد الدين على مناوئيه الكاليين عام ١٣٣٧ هـ ، وأكثر مهاجري الشركس هم الآن في تركيا ، ويقدرون هناك بنحو ٨٠٠٠٠ ، ثم في بلاد الشام ويقدرون بـ ٥٠٠٠٠ ، ثم عدد ضئيل في مصر والبلقان ، وقد كانوا قبل هجرتهم من بلادهم عشرة أمثال هذا العدد كله ، لم يبق منهم الآن هناك إلا عدد ضئيل له جمهورية صغيرة خاصة ، وجملة القول أن قصة هذا الشعب الباسل وخاتمته ، من أروع وأفجع ما شهدته أي شعب شرقي ، ابتلي بهجوم الأجنبي المستعمر وتكالبه .

بحث عن خلال الشركس وعاداتهم وأدابهم - للشركس في بلادهم تقاليد وقواعد متبعة في تصنيف الشعب ، وجعله درجات بعضها فوق بعض ، كما هو الحال لدى الشعوب الأوربية ، فقد كانوا ينقسمون إلى الأمراء (بشي) ثم النبلاء (وُرق) بفتح الواو وسكون الراء ، ثم العامة (فقول) ، ثم الأرقاء ، وهؤلاء الأرقاء هم أسراء وسبايا من الكرج والروس ، وأمثالهم المأخوذون في الحروب والغزوات . كانوا يربونهم ويستخدمونهم في أعمالهم المنزلية والزراعية وغيرها ، يحسنون معاملتهم ، ويدمجونهم في قوميتهم .

والأسر الشركسية تحتفظ بمراتبها ودرجاتها حسب هذا التقسيم ، وعندها رعاية كبرى لرفعة النسب وحفظ الاسم واللقب ، ولكل أسرة شارة مميزة (سمة) ، تضعها على أسلحتها وعددها وخيلها .

ونظام الحكم عندهم كان جارياً على طراز حكم الأشراف والفرسان في أوروبا خلال العصور المتوسطة ، فكل عشيرة يتولى قيادتها أمير من الأسر النبيلة يدعونه (بشي) ، تنتقل إليه الإمارة بالانتخاب ، وشرطه أن يكون عاقلاً مدبراً ، شجاعاً محافظاً على

التقاليد القومية ، ويعاون هذا الأمير في الإدارة مجلس نياي مؤلف من العلماء والوجهاء المنتخبين ، (وأمرهم شورى بينهم) ، وأساس أحكامهم الشريعة الإسلامية والدستور القومي الذي يدعونه (أديغة خابزة) أي الدستور الشركسي ، وضعه لهم مشرعون راعوا في وضعه العلل الاجتماعية ، واحتاطوا لها ، وجعلوا الشركس بمقتضاه متساوين في الحقوق العامة والحرية والكرامة .

وللشركس كثير من التقاليد الحسنة الرفيعة ، منها إطاعة الأولاد لوالديهم ، إطاعة تامة ، وإجلال الشبان للشيوخ المعمرين ، لا سيما إذا كانوا من طبقة النبلاء ، وهؤلاء الشيوخ هم حللوا المشكلات بين الأفراد والعائلات ، وقضاة الصلح في المنازعات ، ومن شروطهم أن يكونوا ذوي بصيرة ودراية في أحكامهم ، ولطافة في أقوالهم وأفعالهم .

ومن مزايا الشركس الإخلاص للواجب ، وصدق الخدمة والوفاء ، وإقراء الضيف ، وعندهم التعاون على السراء والضراء ، وفقدان السائلين والمحرومين من بينهم ، مهما شظف عيشهم ، فلا تجد فيهم شحاداً أو أجيراً أو ممتهنأ حرفة مزرية ، كما عندهم صون العرض وحفظ الشرف في أقصى حدودها ، وهم يسترخسون الأرواح في هذا السبيل ، ومن تهاون في ذلك طرد من العشيرة ، وقيلت فيه أغاني مشينة ، ولعن دهرأ طويلاً .

ومن خصائصهم جسامة الأبدان ورشاقتها ، ووسامة الوجوه ونضرتها ، مع عرض المنكبين ، وبروز الحواجب والوجنتين ، وضيق العينين واستطالتهما ، وبياض البشرة ، وسواد الشعر أو شقرته ، (ولكل قاعدة شواذ) ، وللمرأة الشركسية حظ وافر من الجمال ، الذي اشتهرت به ، وصدرها في قصور العظماء ، مع أدب وصون ورقة طبع ، وإخلاص للزوج ، وحسن تدبير للمنزل ، والرجال يحترمون النساء ، أينما كانوا ، ويقدمونهن في المجتمعات ، ويتلطفون في محادثتهن ومعاملتهم ، ويقميون وزناً لأقوالهن ، والفتيات سافرات أبداً ، لا يحتجن مادم عذبات ، بل يخدمن الضيوف ، ويخالطن الفتيان ، ويشاركنهم في الرقص ، وفي أعمال كثيرة ، ويبادلنهم الحب وينتجن أزواجهن ، كل ذلك ضمن سياج قوي من الخفر والعفاف ، فإذا تزوجن احتجن ، وانقطعن عن المخالطة .

والمعيشة في المجتمع الشركسي طافحة بالتقاليد والأنظمة التي يراعونها في استقبال الضيوف وتوديعهم ، وخدمتهم مدة إقامتهم ، وفي آداب المجالس أمام نبلائهم وشيوخهم ،

وفي مرافقة هؤلاء في الطريق ، وفي واجبات الزوجين نحو بعضها ، وفي حفلات الأعراس والأفراح والرقص ، وترتيب الملابس وتنسيق الأزياء ، وواجبات الفارس إذا دخل القرية أو خرج منها ، وفي آداب الجنائز والمآتم .. إلخ

وهم في الزواج ينعدون عن ذوي قرباهم ، فلا يتزوجون من بنات أعمامهم أو عماتهم ، أو أخوالهم أو خالاتهم ، لاعتبارهن محارم ومن دم واحد ، ومن شروطهم أن يكون الزوجان كفتين بالنسب والمقام ، وهم يغفلون المهور حسب درجات الأسرة ، ومن عاداتهم التي قلت الآن خطف الفتيان للفتيات اللاتي يريدون الاقتران بهن ، إذا لم يرض آبائهن بذلك ، فيتفقان على الهرب خلسة ، ويستعين الفتى بأصدقائه على ذلك ضد أقاربها الذين يهبون لاستخلاصها وإرجاعها ، بعد عراك وصدام ، حتى إذا فاز بها يضع خطيفته عند أحد أصدقائه ، ويشرع هو والمتوسطون بمفاوضة أهلها ، وإرضائهم إلى أن يقنع ، فينعقد النكاح بالمراسم المعتادة ، وهذا الخطف لا يشبه بحال ما يجري في حوران وأمثالها مما شكينا منه في الصحيفة (٢١٥) من الجزء الأول ، فهو لا يقع في النساء المتزوجات ، كما لا تقس فيه عفة الفتاة المخطوفة قط .

ومن عاداتهم أن لا يعددوا الزوجات ، وأن لا يقبل الرجل سكنى صهره معه في دار واحدة ، ولا يدخل إلى حرمة نهاراً ، ولا يجالس زوجته على طعام ، بل يتناول مع ضيوفه ، أو لوحده في المضافة ، والصهر لا يظهر أمام حميه إلا بعد مدة مديدة في حفلة خاصة لها مراسيم ، ولا يظهر الطفل لجده أو لأعمامه حتى ولا لضيوف أبيه حتى يبلغ أشده ، والأب لا يحمل أبناءه ولا يدللهم .

والشركسي أبي النفس ، شديد التعصب لديانته وقوميته وكرامته ، وهو إلى ذلك نظيف اليد ، وعف اللسان ، أنيق الطبع ، يحب الظهور بالملابس والأزياء الجميلة ، وفي تأثيث داره وتجميلها ما وسعه الجهد ، ثم هو فارس حاذق وسياف ماهر ، ومن هنا اشتهر الشركس بسيوفيتهم ومسايفتهم ، وإصابتهم المرمى بالبنادق والمسدسات ، وهم طائرون على متون جيادهم ، وبوقوفهم على السرج ، أو تدليهم إلى الأرض والتقاطهم الأشياء منها ، واضجاع الجياد ، والتترس وراءها حين المعركة ، ونحو ذلك مما تفردوا به هم وفرسان القوزاق في روسية .

والحياة في المجتمع الشركسي بسيطة هادئة ، يتدبرون شؤونها بالعادات والتقاليد التي ذكرناها ، وينفحونها بوسائل اللهو والمرح ، ويبعدون بها الاطراد والسأم اللذين يسودان الحياة الريفية ، فعندهم الاجتماعات العامة التي تتكرر ، وتمارين الفروسية وألعابها ، والأعراس والحفلات التي يتعاقب فيها الرقص والموسيقى والغناء .

والموسيقيون والمغنون محترمون ، لأنهم ينشدون أدواراً موزونة ، وموقعة شجية ، يخلدون أعمال الجدود الباهرة ، وينوهون بفضائل المجد والشرف ، والفروسية والأريحية وأداب الحب الطاهر ، أما رقصهم فشديد حركات الأرجل وسريعها ومستقيمها ، أو هو بلهواني ، وهو يختلف عن رقص الشعوب الشرقية ، ويشبه رقص الفرنج إلى حد ما ، ولا يقع إلا بين الفتيان والفتيات ، منه الرقص بين الفتى والفتاة وجهاً لوجه أو في دائرة ، ويؤق هذا الرقص على أنغام الموسيقى التي تتولاها عادة فتاة من الحاضرات ، ويتحم على الراقص أن يتتبع حركات مراقسته ، ويأثلهما في خفة ورشاقة ، دون ملامسة ولا مكالة ، ويحيط بالراقصين جمهور من المتفرجين ركبناً ومشاة ، ويتولى بعض الرجال التصفيق بأدوات خاصة ، وعلى قرعة أو إيقاع خاص ، وللشركس آلات موسيقية خاصة أهمها الآرمونيك (الأكورديون - ذو المنفاخ) .

وملابس الشركس وأدواتهم خاصة بهم ، اقتبسها عنهم بقية سكان القفقاس وحتى الروس لجمالها ومتانتها ، ومناسبتها للأعضاء وهي القلنسوة المصنوعة من الفراء الأسود المسماة (قلبقاً) ، والقميمص المسدود الأبيض المزهر ، ذا القبة العسكرية الواقفة ، والجلباب الجوخ الأسود الخضر ، ذا الأكمام الواسعة ، وفي صدره فوق كل من الشديدين سبعة جيوب ، في كل منها علبة اسطوانية مفضضة ، كانت مخصصة فيما مضى لخزن البارود تسهيلاً للتناول ، ولهم مناطق من الجلد رفيعة وذات ذوائب جلدية مفضضة ، يعلقون بها خنجراً طويلاً ، مستقيماً حاد الطرفين يدعى (قاما) ، له غلاف مفضض ومزخرف ، ويلبسون سروالاً ضيق الساقين ، ويتدثرون بفروة مخروطية الشكل ، فضفاضة من شعر المعزى الأسود ، ويتلفحون بلقافة بيضاء طويلة الذيلين ، وذات قبعة ، أما سروجهم فمن الجلد والخشب ، صغيرة ضيقة عالية ، إلا أنها تريح الخيل والخيال ولا تدعه يقع ، وسياطهم مطوية وذات مقابض فضية جميلة المزخرف ، وملابس النساء تشبه ملابس الرجال ، من

حيث ضيق الصدر ، ورفع الخصر ، وسعة الأطراف ، يزدن على ذلك الذيل الطويل للأكم الجلباب ، ولهن مناطق عريضة مفضضة أو مذهبة ، وعلى رؤوسهن أغطية بيض .

والشركس صناع اليدين ، يصنع رجالهم ونسأؤهم جميع ما يحتاجون إليه من لباس وأثاث ، فكل الملابس والأدوات التي ذكرناها من نتاج أيديهم ، ويفخر بعضهم على بعض بإجادة صنعها ، والحاذقون منهم يحلون بالذهب أو الفضة ، فتأتي آية في الظرف والإبداع ، وبعضهم يرتزق من هذه الصناعات الخاصة بهم ، ولا سيما بصنع السروج والسياط ، والأسلحة والحلي المنقوشة ، والأردية المخروطية السود وغيرها ، على أن أكثر رزق الشركس من الزراعة ، وتربية الخيل والبقر بالجملة ، وهم حيثما كانوا أطول باعاً في ذلك من غيرهم ، وأوفر استدراجاً لنتاجها ، أما العسل والزبد والجن في القرى الشركسية وبعض أطعمتهم ، وخاصة الدجاج الشركسي والمعجنات الشركسية ، فهي في الذروة من الجودة والنفاسة .

والشركس في بلادهم مؤلفون من عشائر شتى ، أخصها شابسوغ وبضادوغ وأبزاخ وقبارطاي وأوبوخ وماخوش وأداماي وبسلني وأباطة وكامز كوي ونوتخوج وجاميكواي وهاتوكواي ، ولكل من هذه العشائر لهجة خاصة ، إلا أن أكثرها قريب بعضه من بعض ، يتفاهم أربابها بسهولة ، ما عدا الأباطة والأبوخ فإن لغاتها مختلفة كل الاختلاف ، ولغة الشركس حلقية ، ذات صوت أو جرس خاص ، ومن ثم كانت سماعية في الغالب ، وعسيرة المنال على من لم يتلقفها في الصغر ، ويحاول بعض فضلائهم وضع أبجدية لها بالحروف اللاتينية وصرف ونحو ، وهم لما ينتهوا بعد ، هذا وبعد أن هاجر الشركس إلى بلاد الشام ، اختلطت عشائرم المذكورة في دور هجرتها ، ثم انضمت إليها جموع من عشائر الداغستان والشاشان والقوصحة والقرشاي الذين يختلفون كما قدمنا عن الشركس باللغات والأصول ، وإن تشابهوا في كثير من الأطوار والأزياء .

ولما قدم الشركس إلى القنيطرة في سنة ١٢٩٠ هـ وكانوا في قلة وحالة مؤثرتين ، ولم يكن في القنيطرة وقتئذ سوى الخان القديم الذي بنيت فوقه السرايا الحالية ، وهو من آثار اللالا مصطفى باشا وأوقافه ، حلوا فيه وامتدوا يحتلون الأراضي المجاورة التي أقطعتها الدولة لهم ، فلم يرق هذا العمل للعشائر الجولانية كالفضل والموادجة وغيرها من قدمنا

ذكره ، ورأت في مجيء هؤلاء المهاجرين حرماناً لها من مراعيها ومناطق تجوالها ، فناصبتهم الاستئصال والعداء والقتال ، وكان الشركس يدافعون ويقاتلون إلى أن تفاقم الأمر ، ووقعت معارك تداخلت الدولة فيها ، وانتهت بصلح مستمر وصداقة مكيمة منذ سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) ، واستقر الشركس بمعونة الدولة في الأراضي التي أنشؤوا قراهم فيها ، كالصرمان وعين زيان وبريقة وبئر عجم وجويزة ومومسية في سني ١٢٩٦ و ١٢٩٧ هـ والخشنية في سنة ١٣١٥ هـ والفحام في سنة ١٣٣٠ هـ ، على أنهم ما استراحوا من العشائر المذكورة حتى حدث بينهم وبين دروز جبل الشيخ في سنة ١٣١٣ هـ عداء استفحل من بعد ، وأدى إلى وقائع دامية ، خسر فيها الفريقان كثيراً من الأنفس والأموال والكبراء إلى أن تم الصلح بعد حين ، واستتب السلام إلى يومنا .

وقرى الشركس في بلاد الشام منبج وخناصرة شرقي حلب ، وحران وبني شهر والريحانية وبدركة سهل العمق في لواء الأسكندونية ، وتل سنان وتل عدا وذيل العجل قضاء سلمية ، وتليل وعسيلة ودير فول وأبو هماسة وتل عمري وعين طاطا ومريج الدر قضاء حمص ، ومرج السلطان قضاء دوما ، والقنيطرة وعين زيان وعين صرمان وصرمان ومومسية وبئر عجم وبريقة وجويزة وفزازة وخشنية والفحام وروحية قضاء الجولان ، وبلاي وبويضان قضاء إزرع شمالي اللجا ، وكان لهم في محافظة اللاذقية قرية عرب الملك طحنهم مناخها الوبيل ، ودفنهم في مقبرتها ، حتى لم يبق فيها منهم على ما رأيت إلا شخصين فقط ، ولهم في إمارة شرق الأردن الزرقاء والرصيفة وعمان وعين صويلح ووادي السير وناعور وجرش والسخنة ، وفي فلسطين كفركا والريحانية قرب صفد ، ولعل مجموعهم في كل هذه القرى لا يزيد عن خمسين ألف .

وأكثر الشركس في هذه البلاد هم من عشائر الأبراخ ثم البزادوغ ثم القبارطاي أما الاوبوخ والشابسوغ فقليلون ، وتجد الشابسوغ في قرية كفركا وفي مدينة عمان ، وفي قضاء القنيطرة عدد ضئيل من القوصحة والحاتوقوي والآبازة ، أما الذين في قرية ديرفول فداغستان ، والذين في قرية بلاي شمالي اللجا فقراشي ذوي الأصل التوراني .

والشركس على توطنهم في بلاد الشام منذ قرابة خمس وسبعون سنة ما برحوا محتفظين بلغاتهم ، وأكثر أزيائهم وخلاتهم الخاصة التي بسطناها ، إلا ما بدله واقتضاه تأثير

المكان ، وتطور الزمان وفعل الفاقة والحرمان ، وأجل خلاهم الديانة والنفس الأبية ، والفروسية وظرافة الملبس ، ونظافة البيوت والأثاث والطعام ، وإجلال الشيوخ والنبلاء منهم ، واحترام الأولاد والديهم ، وتهذيب المرأة ، وحسن قيامها بإدارة المنزل ، والعناية بالنظام والاجتماعات العامة ، واللهو البريء بالرقص والموسيقى ، الخاصين بهم ، واللعب على الخيل كما قدمنا وصفه ، وإجادة الطراد والطعن والجلاد ، وإنك في القنيطرة ومنبج وعمان مثلاً التي يكثر سوادهم فيها تكاد لا تجد منهم تاجراً ، أو صاحب حانوت أو صانعاً ولا عاملاً بياومة ، ولا أجيئاً بمشاهرة ، ناهيك السؤال والاستجداء والأعمال الوضعية ، وكأنهم يترفعون عن كل هذا ، رغم ما ينالهم من الضرر الاقتصادي ، فقصارى أحدهم إذا لم يكن ملاكاً وذا مورد وسعة أن يكون وكيلاً في ضيعة أو مزرعة ، أو أن يلبس دركياً أو شرطياً أو جندياً أو ضابطاً أو قائداً ، فعندهم شغف عجيب بالجندية وما إليها من الأعمال التي فيها ركب وضرب وجذب ودفع ، وهم إذا استجيشوا أبلوا أحسن بلاء ، وإذا دعوا أو كلفوا بأي عمل تفتانوا في صدقة الخدمة والقيام بالواجب ، ومن هذه الخصال نشأ بينهم كثير من القواد والضباط في الجيشين العثماني والمصري ، فخدموها أكبر خدمة وأصدقها ، وما برحوا يخدمون ، ولا سيما في الجيش المصري ودوائر الحكومة المصرية .

هذا إلى أن كثيراً من النبلاء والنبهاء في استانبول والقاهرة وما إليها هم من أمهات أو جدات شركسيات ، ورثوا منهن حسن القوام والوسامة ، واكتسبوا صلاح الحال والتدبير في داخل الأسر والبيوت .

والفرنسيون عقيب احتلالهم بلاد الشام أعجبوا بمزايا الشراكسة التي عددناها ، فألفوا منهم كواكب فرسان خاصة ، وألبسوه الملباس الشركسي الأسود والقلبي الأسود ، وحملوهم السياط والخناجر الشركسية المفضضة ، وقد خدم هؤلاء الجيش الفرنسي خدمات عظيمة خلال الحركات العسكرية التي جرت لإطفاء الثورات ومطاردة العصابات في مختلف البلاد الشامية ، وقتل منهم في هذا السبيل بضع مئات على ما قاله الفرنسيون في كتابهم الذهبي لجيش الشرق ، وأطنبوا بفروسياتهم وبسالتهن .

إلا أن معظم جنود هذه الكواكب وضباطها كانوا غرباء بؤساء ومن النازحين عن بلاد الترك ، لناوئتهم الحركة الكمالية في أول عهدها ، لا من الناشئين في بلاد الشام

والمستوطنين والملاكين أرضاً أو داراً فيها ، طوحت بهم الغربة والفاقة وعدم معرفتهم واعتيادهم ، أي مدار للعيش سوى الجندية واضطرتهم إلى ركوب هذا المركب الحشن ، وأقبح الفرنسيون بين هؤلاء من بعد كثيراً من العناصر الغريبة عنهم ، كالأرمن والإسماعيلية والأكراد والبسوم مثلهم ، وقد عملت هذه الكواكب المختلطة في خدمة الفرنسيين طيلة ربع قرن ، وكان منها الأفاعيل التي ذكرناها ، فنسبت كل سيئاتها إلى الشركس على برائتهم من معظمها .

وقد تألف من جراء ذلك وقتئذ في كل قرية أو دار هجرة شركسية حزبان ، أحدهما متمسك بالنزعة الإسلامية ، ومؤيد للأمانى العربية ، يود الذوبان فيها عملاً بالمبادئ السامية التي أخرجت آباءه من القفقاس ، وأبعدته عن الرضوخ للاستعمار وخدمة المستعمرين ، وقد ظل هذا الحزب المتدين مستنكراً أعمال تلك السرايا ، ومماقتاً الذين انخرطوا فيها ، والثاني موال للفرنسيين تحت ضغط الفاقة وتوقع نوال المعيشة ، كما والاهم كثير من أبناء البلاد القدماء ، ولطالما حدث بين الحزبين المذكورين نفور ونزاع ، وتنع المعمرون والمتدينون من الشركس عن الصلاة على أموات الحزب الثاني ، ودام الأخذ والرد حتى جرت حوادث أيار سنة ١٩٤٥ م وخرج الفرنسيون وقطع دابرهم ، فهرع هؤلاء المجندون والتحقوا بالجيش الوطني ، ووطدوا أنفسهم على خدمته والسير في طليعته ، وهم أبرع فرسان هذا الجيش وأميزهم الآن .



الداغستان

هؤلاء يشبهون الشركس إلى حد بعيد في الأوصاف والأزياء ، والاشتراك في الجهاد ضد الروس ، وتحمل آلام الهجرة من أوطانهم الجميلة ، ويختلفون بأن لهم تاريخاً خاصاً جعلهم السابقين لاعتناق الإسلام وتلقيه مباشرة من العرب في عهد الفتوح ، أو بعده بقليل ، وأنهم أول من حمل لواء الثورة في وجه الروس وقاد حركتها ، وأبلى فيها أروع بلاء وأحسنه ، وأنهم شافعيو المذهب وشديدوا العقيدة والحمية الدينية ، ولعلمائهم إمام كبير باللغة العربية التي جعلوها لغة المكتبة ، يتراسلون بها ويتذوقون علومها وآدابها ، بحكم كثرة لغاتهم وتبليبلها وسذاجتها وعدم اعتادهم على أي واحدة منها .

ومواطن الداغستانيون تقع في القفقاس شرقي مواطن الشركس ، ولهم الآن هناك جمهورية خاصة ضمن الاتحاد الروسي السوفياتي ، وهي مواطن جبلية في الغالب إلا سواحل بحر الخزر فإنها سهول وسباح شاسعة وبيلة ، وهم ينتسبون إلى شعب اسمه (لزيكي) ، وأخطأ ياقوت في معجمه فقال (لكز) ووصفهم بأنهم أمم كثيرة ، ذوو خلق وأجسام ، وضياح عامرة ، وكور مأهولة ، وأولو عدة وشدة ، وقد صدق في وصفه ، فهم طوال القامة ، عراض المناكب ، واسعوا المقل ، كستنويو الشعور ، تلوح عليهم سمات الجلادة والنباهة ، ويشملهم ما قلناه عن الشركس في مزايا الفروسية والبطولة والشهم ، وكثير من التقاليد والعادات والأزياء القفقاسية .

وهذا الشعب قديم ، ذكره هيرودوس المؤرخ بهذا الاسم قبل الميلاد بخمسة قرون ، ولا يبعد أن يكونوا أبناء عمومة بقية الشعوب القفقاسية كالشركس والكرج ومن إليهم ، والشعب الداغستاني على تحدره من أرومة واحدة ، ينقسم إلى قبائل وعشائر شتى ، تدعى بحسب مناطقهم كالآوار والآندي وقاضي قوموق وطبا سران وسمور وبشيتا وزقاناالي وغونزيب ومختولين وشاشان وغيرهم ، لكل منها لغة خاصة لا يفهم أحدهم لغة الآخر ، مما

يفسر بأن الشعوب التي كانت تحتاج هذه البلاد وقر من آسية إلى أوربة في العصور القديمة أبتت فلولاً منها ، فحدثت هذه البلبله في الألسنة ، لكن هذه الشعوب المحتاجة لم تخضع الداغستانيين خضوعاً تاماً ، ولم تحل دون انفرادهم واستقلالهم ، بل مرت بهم مرور العواصف التي لا تؤثر في جلاميد الصخور ، ومن هذه الشعوب المحتاجة كان العرب ، فقد قدموا إلى جنوبي بلاد القفقاس في عهد الفتوح ، وأجروا حروباً كثيرة في عهد الأمويين والعباسيين ذكرتها التواريخ ، ويبدو من كلام المؤرخين أن هذه الحروب كانت تقع مع الخزر وأمثالهم ، من أمم الترك الذين كانوا مستولين على بلاد القفقاس آنذ ، وقد استطاب اللزكي الإسلام واعتنقوه ، ونشروه لدى جيرانهم الشركس ، وأمثالهم من أمم القفقاس ، وحاربوا الكرج مراراً ، واستقلت بلادهم بعد خروج جنكيز وتجهز لنك ، وسميت ملوكهم ملوك الدربندية نسبة لمدينة دربند أو باب الأبواب ، وحارب هؤلاء ملوك إيران الصفويين ، وملوك التركان ذوي الغم الأبيض ، ثم سقطت بلادهم بيد العثمانيين ، وظلت مدة مديدة ميداناً لتطاحن جيوش هاتين الدولتين ، إلى أن اضطر الإيرانيون إلى التخلي عنها للروس في القرن الثاني عشر ، لكن الداغستانيين لم يقبلوا ذلك ، ونهضوا للثورة على الروس ، كما فعل الشركس والشاشان ومازالوا يكافحون عشرات السنين حتى غلبوا أمام رجحان عدوهم على النحو الذي جرى بالشركس ، فأثروا الهجرة على البقاء تحت نير الاستعباد .

وأكبر أبطالهم ومجاهديهم وأعظمهم شأنًا وذكرًا بل من أعظم مجاهدي الإسلام وأبطالهم المتأخرين ، في مضاء العزم وحسن القيادة ، هو الشيخ شامل . ولد هذا البطل في سنة ١٢١٢ هـ وحارب الروس بادئ الأمر مدة عشر سنوات ، تحت لواء الغازي منلا ، سلفه في القيادة والجهاد ضد الروس ، ثم تولى هو القيادة على جميع مجاهدي الداغستان والشركس والشاشان ، وصار على رأس قبضة من هؤلاء الجلبين الأشداء يفتك بجيوش الروس المتدفقة ، بقيادة أعظم جنرالاتهم ، وقد جرح كثيراً ، وأحيط به ، وكاد يؤسر مراراً ، وهو يفلت ويعود إلى الكر والفر مدة عشرين سنة متوالية ، أقض بها مضاجع الروس المتكالبين بمنتهى الفطاعة والتوحش على إطفاء جذوته ، وجذوة إخوانه الداغستان والشركس والشاشان ، حتى طارت شهرته وحيرت العالم المتمدن بمقدرته ، ويمثلون عنه في المسارح أدواراً ، ولما ظهرت السينما صاروا يضعون أفلاماً مدهشة ، تصور أفعاله الخالدة

الذكر ، ومازال حتى داهته في سنة ١٢٧٦ هـ عدة فرق روسية ، وأحدثت به في يوم اشتد ضبابه ، فلم يستطع الإفلات منها ، كما سبق مراراً ، فأسروه وحملوه إلى عاصمتهم بطرسبورج ، وهناك قابله القيصر أجمل مقابلة تقديراً لشجاعته ، وهاجر إلى المدينة المنورة وجاور فيها إلى أن توفي سنة ١٢٨٨ هـ ، وله الآن حفيد اسمه سعيد باشا ، مابرح يقتدي بجده في انتهاز كل غرة لاستقلال بلاد القفقاس الشمالية وإتقاذها من استعباد الروس ، حاول ذلك عقب الحرب العالمية الأولى وخلال الحرب العالمية الثانية فلم يصب نجاحاً ، بحكم تبدل الأوضاع والأطوار عما كانت في عهد جده .

وقد سبق لبعض الداغستانيين أن هاجروا إلى بلاد الشام منفردين ، من عهد بعيد ، وقبل هجرتهم العامة ، وتوطنوا في دمشق ، وأعقبوا ذراري ما عمت أن استعربت بعد بطن أو بطنين بلغتها وعاطفتها ، شأن كل الجوالي الغربية التي تستقر في دمشق ، وتذوب في بواتقها ، وألفت أسراً وأفراداً معروفة بحسن سيرتها لم يبق لها من ذكريات الوطن القديم إلا اسم (الداغستان) ، أما الذين جاؤوا مجتمعين بعد الهجرة العامة ، فتجدهم في قرية خاصة بهم اسمها ديرفول تقع شمالي حصص ، وفي حي خاص بهم في بلدة القنيطرة ، يعيشون مع الشركس ، منتحين عنهم بجامعهم الذي بنوه لأنفسهم ، بحكم أنهم شافعية ، والشركس حنفية ، وهم أيضاً ما برحوا محتفظين بلغاتهم ومشخصاتهم الداغستانية ، لا يبغيون عنها حولاً ، يشاركون مواطنيهم الشركس في كل سراء وضراء ، ولغة التفاهم بين الطائفتين التركية والعربية .



الشاشان

من الشعوب القفقاسية الإسلامية المهاجرة ، وهؤلاء أيضاً يشبهون الشركس والداغستان بالأوصاف والأزياء ، والاشتراك في الجهاد ضد الروس ، وتحمل آلام الهجرة من أوطانهم الجميلة ، بل إن هؤلاء أقدم الجميع ، وأشدهم اندفاعاً في الهجرة .

دار هجرتهم في الجزيرة الفراتية في أعلى وادي الخابور في ناحية رأس العين عند منبع الخابور الدفاق ، وهم فل قليل من جمعهم الكثير الذي كان في أول هجرتهم ، حينما بلغوا هذه الأنحاء في أواخر القرن الهجري الماضي ، فقد كانوا وقتئذ فيما ذكره لي أحد وجهائهم عزت بك سليم نحو ٥٠٠٠ بيت ، نزحوا كما نزح الشركس واللزكي من جبالهم وأوطانهم الجميلة في غربي بلاد الداغستان ، على أثر حروبهم مع الروس تحت قيادة الشيخ شامل ، ولما هاجروا إلى بلاد العثمانية رأت الدولة أن تعمر بهم سهول الجزيرة القفراء ، وتوطد أمنها بسواعدهم ، فأقطعتهم في حدود سنة ١٢٩٢ هـ سهول الخابور من رأس العين إلى قرب الحسجة ، وجعلت مركزهم في رأس العين التي كانت خربة مهجورة ، فعمروها وبنوا الدور والقرى العديدة ، وعكفوا على الحرث والزرع ، إلا أنهم إذ كانوا أهل جبال وهضاب باردة الهواء ، جيدة المناخ ، طيبة الماء لم تلائمهم هذه السهول والصحارى ذات الشمس والعواصف اللافحة ، وأذنتهم مياه الخابور الكبرى أية أذى ، فعمل الموت فيهم عملاً مفاجئاً ، وامتلأت ضفتا الخابور بمقابرهم ، دفنوا فيها الألوف من رجالهم ، ذوي القامات المشوقة والسواعد المفتولة ، والقلوب العامرة بالعقيدة والبسالة ، إلا أن الشاشان لم يتوانوا رغم ما دهاهم من جور الطبيعة ، وتبدل البيئة من مقابلة عوادي الجوار ، فردوا هجرات العشائر العربية وغزواتها ، وأخصها شمر في معارك وملاحم عديدة ، لا بل قاموا بجهزون سرايا من الغزاة ، ويقابلون بالمثل وأكثر ، حتى صاروا مرهوي الجانب موفوري الكرامة ، ثم تجندوا في سلك الدرك العثماني ، وساعدوا في استتباب أمن هذه الأنحاء القفراء مدة مديدة ، وفي الحرب

العامة الأولى كلفوا بسوق قوافل مهاجري الأرمن الذين لفظتهم الحكومة التركية وقتئذ ، ومجتهم بقاعها فطاحوا (أي الأرمن) بين سقوط أمل ودنو أجل ، في ضفاف الفرات والخابور ، وكان مرض التيفوس يفتك في هذه القوافل فتكاً ذريعاً ، فوق فتك الجوع والإعياء ، على ما شاهده في سنة ١٩١٦ هـ فنالت العدوى من جنود الشاشان كل منال ، وجندلت كثيراً منهم ، ثم قتل كثير من الشاشان بعد الحرب المذكورة لما اشتركوا مع السرايا التركية في قتال الفرنسيين القادمين لاحتلال أنحاء الفرات والجزيرة ، وفي حروبهم وردهم هجمات عشيرة الملي وغيرها ، فأصبحوا الآن قليلي العدد نحو ٣٠٠ بيت ، وهم بهذه المزاي على النحو الذي ذكرناه عن الشركس ، وسيطو الحال في الجملة ، ويعملون في الزراعة وتربية الماشية ، على أنهم ما برحوا محتفظين بلغتهم وأزيائهم ، وعاداتهم وشممهم ، وحبهم للجندية والفروسية .

ومن هؤلاء الشاشان قسم كبير في شرقي الأردن ، في قرى الزرقاء وعين صويلح والسخنة ، وهم وإن شابهوا هناك الشركس في المظهر ، إلا أن بينهم فروقاً كثيرة في اللغة والمذهب ، فلغة هؤلاء غير أولئك ، لا يفهم بعضهم من بعض إلا بواسطة التركية أو العربية ، والشاشان شافعية والشركس أحناف ، وبعض الشاشان صوفيون متزمتون ، لا يصلون إلا في مساجدهم الخاصة ، تراهم في عين صويلح يضعون عمامة بيضاء فوق قلبهم الأسود ، ومن الغريب أن الشاشان يتشددون في حجاب البكر ، ويتساهلون في حجاب المتزوجة خلافاً للشراكسة ، (ولكل وجهة هو موليها) .

ثم إن عشائر الشاشان في بلاد القفقاس ثلاث ، آكي وناخجي وغالغي . والشاشان الذين في الجزيرة من عشيرة غالغي ، والروس يسمونهم أنكوش ، ورئيسهم الحالي في الجزيرة صالح بك الآتي ، ومن وجهائهم عزت بك سليم ، وقراهم رأس العين ومساجد وتل سنان والسفح ومجيرة وتل الجاموس والعريشة وأبو حجر والداوية والأبرط ، وكل هذه الضيعات على ضفاف نهري الخابور والجرجب الكبير ، وعند هؤلاء الشاشان نحو ١٠٠٠٠٠ دونم ما عدا المراعي و ١٥٠٠٠ شاة و ٣٠٠٠ بقرة و ٢٠٠ جاموسة و ١٥٠ فرساً .

☆ ☆ ☆

خاتمة

لقد تم بعونه تعالى طبع الجزء الثاني من هذا الكتاب كما تم الذي قبله . ومنه يتبين للقارئ البصير ما بذلته من جهود ، في جمع هذه الأبحاث المتنوعة ، والتقاطها من الصدور المتباعدة والسطور المتفرقة ، وإني رغم ذلك مازلت أشعر بأن هناك حاجة إلى التوسع في هذه الأبحاث وإبلاغها إلى حد الكمال أو قربه ، وإن كان هذا أمر غير يسير لمن يقر بوحدته ، وقصر مادته ووسيلته .

وما دام المثل العربي يقول : (المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه) أرجو من قراء هذا الكتاب إذا كان لديهم معلومات زائدة ، أو ملحوظات ، أو تصحيحات ذات فائدة ، وجديرة بالإضافة والتسجيل ، عن أي عشيرة أو فرقة ، أو حادثة أو أشخاص أو أماكن ، أن يتكرموا علي بكتابتها ، وإرسالها لأدرجها لهم ، وأنهو باسمهم مع الشكر في طبعة ثانية ، سوف أقدم عليها إذا حصلت الوسائل ، كي لا تبقى اللغة العربية في زمننا مقصرة في هذا المضمار ، عما عمله الغربيون ، وسبقونا به كثيراً .

٢٥ رجب ١٣٦٦ هـ

دمشق : الجمعة في ١٣ حزيران ١٩٤٧ م

أحمد وصفي زكريا
مفتش وزارة الاقتصاد الوطني

المصادر التي روجعت بالإضافة إلى المذكور منها في بحث « مكتبة البدو » المندرج في الصحيفة ١٣

معجم البلدان لياقوت الحموي	تاريخ الأدب العربي لحسن الزيات
كتاب المحاسن والمساوى للبيهقي	تاريخ التدن الإسلامي لجرجي زيدان
المخص لابن سيده	كتاب لمحة عامة إلى مصر لكوت بك
مجلة لغة العرب للأب أنستاس الكرملي	تعريب محمد مسعود
مجلة المقتطف	رحلة في البداية لاسكندر يوسف الحايك
المجلة القضائية الأردنية	اللبناني
مجلة المشرق	قصص العرب لمحمد أبي الفضل إبراهيم
المعلمة (دائرة المعارف) الإسلامية	أيام العرب في الجاهلية لمحمد جاد المولى
جولة أثرية في بعض البلاد الشامية	ورفيقه
المنهل الصافي لابن تغري بردى	العرب وأطوارهم لمحمد عبد الجواد
البداية والنهاية لاسماعيل بن	الأصمعي
كثير الدمشقي	الحياة الأدبية في جزيرة العرب لطفه
خطط المقرئزي	حسين
تاريخ حيدر الشهابي	(كتب تركية)
خلاصة الأثر في أعيان القرن	قاموس الأعلام لشمس الدين سامي
الحادي عشر للمحبي	جهان نما لكاتب حلبي
تاريخ حلب لكامل الغزي	(كتب أفرنسية)
سالنامه ولاية حلب لعام ١٢٨٧	مجلة الدراسات الشرقية الفرنسية
سالنامه ولاية دمشق لعام ١٢٩٨	وصف بلاد العرب لنيبوه الدانياري
تاريخ الأمم الإسلامية لمحمد الحضري	

مسرد الأعلام

« رجال وقبائل »

آل الجابري ٦٨١	« أ »
آل جاسم ٦٢١	آداماي ٦٩٢
آل الجرباء = آل محمد ١٨١، ١٨٤، ١٨٩، ٣١٢،	آدوميون ٦٦
٣٤٣، ٣٦٦، ٦١٢، ٦١٥، ٦١٧، ٦٢٠،	آذار ٥٨٤، ٥٧٢
٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٩،	آراميون ٦٦، ٧٩
٦٣٨، ٦٣٠	آساري ٦٧٥
آل جرجرية الكردية ٦١٨، ٦٣١	الآشوريون ٢٢، ٦٦، ٦٤٢، ٦٥٢
آل جريان ٤٥٥	الآغاوات ٥٨٢
آل جزعة الشمرية ٦١٨، ٦٣١	أفشار ٦٧٥، ٦٧٩
آل حسن ٤٨١	أكاديون ٦٦
آل حسين ٣٦٦، ٤٤٣	آكي ٧٠٢
آل حمد ٥١٥، ٥٧١	آل إبراهيم ١٨١، ٤٥٥، ٤٨١، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦،
آل حمود الدندشيين ٤٧٣، ٤٨١	٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٤، ٥٤٥
آل حويشان الجندل ١٠٦	آل إبراهيم بك بن محمد الجحججاج ٥١٤، ٥١٥،
آل حيار ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ٥٠٧،	٥٣٧
٥١٤، ٥١١، ٥٠٨	آل أبو ريشة = أبو ريش ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٣،
آل خليفة ٣٥٨	٩٤، ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٧٩، ١٨١،
آل دايس ٦٢٣	١٩٠، ٣٥٣، ٣٩٢، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩،
آل درة الطائية ٦١٨، ٦١٩، ٦٣١	٥١٠، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦،
آل دعجل الظاهر ٥٧١، ٥٨٠، ٥٨٣	٥١٩، ٥٢٤، ٥٣٦
آل دندش ٤٨٧	آل أحمد بك بن محمد الجحججاج ٥١٥، ٥٢٤،
آل دندن ٤٤٩، ٥٠٣	٥٢٧، ٥٣٦
آل ذوالقدر ٦٧٥	آل أرطية الحمديّة ٦١٨
آل راكان بن بشير بن سلاب بن ضويحي ٤٥٣،	آل الأطرش ٤١٩
٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥،	آل البرازي ٦٥٨
٤٩٦، ٤٩٨، ٦٠٠	آل بشار ١٠١، ١٠٢، ٣٥٣، ٥٣٨

آل الرشيد ٥٧ ح، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٣٠
 آل رعد ٤٧٣، ٤٧٤
 آل الرفاعي ٦٨١
 آل رمضان ٣٩٣، ٦٧٥
 آل زركة ٦٢١
 آل سرحة الزوبعية ٦١٨، ٦٣١
 آل السعود = السعوديون ٢٩٩، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٠
 ٣٧١، ٦٠٧، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٠
 آل سليان ٣٦٧
 آل السمينع = بنو السمينع ٦٦، ٧٥
 آل السمين ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨
 آل سويد ٦٢١
 آل السويدان ١٠٧
 آل سيد ٦٢١
 آل شاهر ٤٥٥
 آل الشعلان ٨٨، ١٧٧، ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٦٨، ٣٦٩
 ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١
 آل شمدين ٦٥٨
 آل صاحبة ٤٨١
 آل الصباح ٣٥٨
 آل طحان ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٥٤
 آل الطيار = أبو عنزة ٤٠٤، ٤٠٥
 آل ظاهر ٥٧١، ٥٨٠
 آل عابد ٥١٧
 آل عبد الرحمن ١٨٩
 آل عبد القادر = آل عبد الجادر ٤٤٤، ٤٤٨
 آل عبد القادر الجزائري ٣٩٤، ٤١٠
 آل عبد المحسن الرؤساء ٤٤٣
 آل عريعر ٤٤٥
 آل عز الدين ٤٥٤، ٤٥٥
 آل عساف ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٨١، ٣٥٩
 آل عقاب ٥٠٤
 آل عكبة ٦٢١
 آل علي ١٧٨، ١٧٩ ح، ٣٦٦، ٤٠٤، ٥٤١، ٦٢٣
 ٦٢٩، ٦٣٠
 آل عمار ٦٢١
 آل عشة الطائية ٦٢١، ٦٢٥، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٧

آل عيسى ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٤٩٧، ٥٠٧
 ٥١١، ٥٠٨
 آل غبين ٣٦٠، ٥٩٣، ٥٩٦، ٦٠٧
 آل فاضل ٤٣٦
 آل فاعور ١٨١، ٣٥٣، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦
 ٤٤٩، ٥٠٨
 آل فضل ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ٣٥٣، ٣٧٥، ٣٩١
 ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٤٤، ٤٤٧
 ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٥، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١١
 ٥١٤، ٥٣٧، ٥٤٩، ٦٧٩، ٦٩٢
 آل القاضي ٤٤٤
 آل قرمان ٦٧٥
 آل قعيش ٦٠٩
 آل كلاب = بنو كلاب ٧١، ٧٩، ٨٤، ٨٥، ١٠١
 ١٠٢، ٣٥٣، ٤١٠، ٥١٣
 آل محمد ٨٩، ٣٦٠، ٣٦٦، ٥١٥
 آل محمود بك ٥١٦
 آل المدرس ٥٤٨، ٥٥٦، ٦٨١
 آل مدين ١٧٨
 آل المرشد ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٥
 آل مرعب ٤٧٣، ٦٥٧
 آل مزيد - أنظر بنو الملحم
 آل مشهور ٢٢، ١٧٧، ٣٧١، ٣٧٤، ٥٩٢، ٥٩٣
 آل ملحم - بنو الملحم ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ٢٥٢
 ٣٤٣، ٣٦٣، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٢، ٥٠٩
 ٥٩٤، ٦٤٣
 آل مهنأ بن عيسى ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٢
 ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٩٢، ٣٩٣، ٥٠٧
 ح، ٢٦٤
 ٥١١، ٥٠٨
 آل مهيد ١٠٠، ١٧٧، ٢٥٢، ٢٦٤ ح، ٣٥٩، ٥٩٣
 ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧
 آل ناصر ١٨١، ٣٨٤، ٥٢٧، ٥٦٣
 آل النبيكي ٦٨١
 آل نجم ٦٢١
 آل هديب ٤٩٧، ٤٩٨
 آل هنال ٤٤٣
 آل هفل ١٨١، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٨١

آل الرشيد ٥٧ ح، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٣٠
 آل رعد ٤٧٣، ٤٧٤
 آل الرفاعي ٦٨١
 آل رمضان ٣٩٣، ٦٧٥
 آل زركة ٦٢١
 آل سرحة الزوبعية ٦١٨، ٦٣١
 آل السعود = السعوديون ٢٩٩، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٠
 ٣٧١، ٦٠٧، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٠
 آل سليان ٣٦٧
 آل السمينع = بنو السمينع ٦٦، ٧٥
 آل السمين ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨
 آل سويد ٦٢١
 آل السويدان ١٠٧
 آل سيد ٦٢١
 آل شاهر ٤٥٥
 آل الشعلان ٨٨، ١٧٧، ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٦٨، ٣٦٩
 ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١
 آل شمدين ٦٥٨
 آل صاحبة ٤٨١
 آل الصباح ٣٥٨
 آل طحان ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٥٤
 آل الطيار = أبو عنزة ٤٠٤، ٤٠٥
 آل ظاهر ٥٧١، ٥٨٠
 آل عابد ٥١٧
 آل عبد الرحمن ١٨٩
 آل عبد القادر = آل عبد الجادر ٤٤٤، ٤٤٨
 آل عبد القادر الجزائري ٣٩٤، ٤١٠
 آل عبد المحسن الرؤساء ٤٤٣
 آل عريعر ٤٤٥
 آل عز الدين ٤٥٤، ٤٥٥
 آل عساف ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٨١، ٣٥٩
 آل عقاب ٥٠٤
 آل عكبة ٦٢١
 آل علي ١٧٨، ١٧٩ ح، ٣٦٦، ٤٠٤، ٥٤١، ٦٢٣
 ٦٢٩، ٦٣٠
 آل عمار ٦٢١
 آل عشة الطائية ٦٢١، ٦٢٥، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٧

- آل وسيد ٦٢١
 آل اليوسف ٦٥٨، ٤٠٩
 آلبيرو بوشمان - الملازم ١٧، ١٦، ٩
 آلماي بن فيصل ٦٣١
 آلأوسي ٢٤
 آلليان ٦٥٩، ٦٦٠
 آليلي ٦٧٥
 آليوكان ٦٥٩
 آن بلونت ٨، ١٥
 آلندي ٦٩٧
 الآوار ٦٩٧
 أباطة = الآبازة ٦٩٣، ٦٩٢
 إبراهيم - الإبراهيمية ٤٨١
 إبراهيم - النبي ١٣٣
 إبراهيم - رئيس عشيرة ٦٧٤
 إبراهيم الإمام ٨٢
 إبراهيم الباشا ٥٣٣
 إبراهيم باشا - والي حلب ٩٨، ١٠٣، ١٠٤
 إبراهيم باشا بن محمود بن تيور بن عبيد - كلش ١٩٩، ٦٣٥، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨
 إبراهيم باشا المصري ١٠٩، ١٥١، ٤٠٣، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٤٢، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٥٥٣
 إبراهيم باشا الممللي ٥٧٦
 إبراهيم بن باشا ٥١٥، ٥١٨
 إبراهيم بن حسن ٥٢٧
 إبراهيم بن علي الدعجل ٥٧١
 إبراهيم بن كنج ٥١٦
 إبراهيم بن محمد ٥١٥
 إبراهيم بن محمد النهاب ٦٤٠
 إبراهيم الجواش المحود ٥٥٦
 إبراهيم الحاج يوسف ٥٦٠
 إبراهيم الحسن الربيع ٥٥٤، ٥٥٥
 إبراهيم حقي ٦٥٩
 إبراهيم الحمادين ٥٤٢
 إبراهيم المحود ٥٨٩
 إبراهيم الخليل (ليس النبي) ٥٩٢
 إبراهيم الربيع ٥٩٨
 إبراهيم سويدان ١٠٧
 إبراهيم الصالح ٥٩٢
 إبراهيم العبد الله ٥٩١
 إبراهيم العجل ٥٨٨، ٥٨٩
 إبراهيم العشة ٥٨٩
 إبراهيم الفندي ٥٨٤
 إبراهيم موسى ٥٨٨
 إبراهيم النهار ٥٤٩
 إبراهيم هنانو ٥٠٠، ٥٣٢
 الأبرز ٥٠٥، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٥١
 أبزاخ ٦٩٢، ٦٩٣
 ابن أبي وتيد ٦٢١
 ابن الأثير ٦٨٣
 ابن إياس ٩٣
 ابن البجلي ٢٦٤ ح
 ابن بطوطة ٩٤، ٩٧
 ابن تغري بردي ٩٣، ٩٦
 ابن جازي ٣٧٩
 ابن جردان ٢٦٤ ح
 ابن جلادان ٤٩٨
 ابن جلعود ٢٦٤ ح
 ابن جندل ٢٦٤ ح، ٣٥٩، ٣٨٣، ٤٣٣
 ابن حجر العسقلاني ٩٤
 ابن حرييس ٥٧٧، ٥٨٤
 ابن حزم الظاهري ١٣
 ابن خطيب الناصرية ٩٦
 ابن خلدون ١٣، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٩١، ٩٢، ١١٩، ١٤٦، ١٤٧، ٢٢٧، ٣٤٩، ٣٩٢، ٥٠٧، ٦٣٦
 ابن دايس ٦٢٣
 ابن دعبيل ٤٩٩
 ابن رشود ٤٤١
 ابن الرشيد ٤٩٣
 ابن زريعة ٢٦٤ ح
 ابن سبيل ٢٤٠
 ابن سعدي ٢٦٤ ح، ٦٢٣

- ابن هديب ٣٥٩، ١٩٨
 ابن هديب ٦٢٣
 ابن هـنـدال ٨٨، ٢٨١، ٢٩٤، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٧٢،
 ٥٧٦، ٥٧٧
 ابن هـيـازع ٢٦٤ ح
 ابن وائل ٤٩٩
 ابن الوردى ٩٤، ٩٦، ٩٨، ٢٩٢، ٣٩٣
 ابن يونس ٥٧٨
 أبناء إبراهيم باشا ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧
 أبناء أبو علي ٥٤٥
 أبناء شاهين ٦٧١
 أبناء غير الشجاعة ٢٩٥
 الأبو أحمد ٣٩٦، ٥١٨، ٥٨٧
 أبو أرجة ٥٨٢
 الأبو أسامة ٥٥٧
 أبو إسحاق ٥٣٨
 الأبو بدران ٥٦٦، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٨٦
 الأبو بطوش ٥٤٥، ٥٥١، ٥٥٨
 ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٤
 أبو بكر الصديق ٧٩
 الأبو بكر بن بكر ١٣، ١٤٦، ٥٠٠
 الأبو سـا ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦١، ٥٦٢
 الأبو سـامر ٥٢٨
 الأبو سمعان ٥٢٩
 أبو تمام الغطاسي ٩١
 الأبو تـاـس ٥٤٨
 الأبو حـاـبـر ٥٩٠
 أبو حـاسـم ٥٤٥
 أبو حـراـدة ٢٢، ٣٦٥، ٥١٩، ٥١٧،
 ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٢
 الأبو حـرـب ٥٧٨
 الأبو حـنـبـل ٥٨٦
 الأبو حمـل ٥٠٥، ٥٢٩، ٥٢٨، ٥٥٢
 الأبو حـديـد ٥٥٠، ٥٨٥
 الأبو حـريـة ٣١٣، ٥٢٨، ٥٢٩
 الأبو حـرـدان ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٨٥
 الأبو حـسـب ٣٤٠، ٣٤٣، ٥٠٥، ٥٢٣
 ابن السمـوع ١٤٠
 ابن سـمـير ٣٥٩، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤٣٤
 ابن سنجي ٦٢٣
 ابن سويط ٢٦٤ ح
 ابن سيده ٤١ ح، ٤٢، ١٣٥ ح، ٢٤١
 ابن شـيـوي ٣٧٢
 ابن الشـمـلان ٨٨، ٣٥٩، ٣٧١
 ابن الصايد ١٩١
 ابن صفوق ٣٥٩
 ابن طريف : أنظر الوليد بن طريف الشيباني
 ابن الطيار ٣٥٢، ٢٦٤ ح، ٣٥٩
 ابن عايد ١٩١
 ابن عبد ربه الأندلسي ١٣، ١٢٤
 ابن عبده ٢٦٤ ح، ٤٩٥
 ابن عجل ٦٢٣
 ابن علي ٢٦٤ ح
 ابن عينة ٤٩٦
 ابن نـبـيـس ١٩١، ٥٩٦، ٦٠٩
 ابن نـشـم ٤٩٥
 ابن فاعور ٤٩٩
 ابن فضل الله العمري ١٣، ٩٣، ٣٤٩، ٥٠٨
 ابن ففقي ٤٩٩
 ابن فيصل الحمد المويدى ٥٨٨
 ابن قـمـيـشـيـش ٥٩٦
 ابن كردوش ٤٩٨
 ابن كسان ٦٧٨
 ابن كويتب ٢٦٤ ح
 ابن محسن بن مشعل بن نافع بن سالم بن محمد ٦٣٠
 ابن مخـشـيل ٦٧١
 ابن مرشد ٣٥٩
 ابن مزهر ٦٣٩
 ابن مزبد ٣٥٩
 ابن معجل ٢٦٤ ح
 ابن مـسـرع ١٤١
 ابن مـفـداد ٤٩٦
 ابن مهيد ٣٧٢
 ابن مـوـيـتـع ١٩١، ٢٦٤ ح، ٤٩٩، ٥٥٤

٥٩١، ٥٨٧، ٥٥٣، ٥٢٩
 الأبوسرايا = البوسرايا ١٢١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٥٦،
 ٥٠٠، ٥١٦، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢،
 ٥٨٣، ٥٧٨، ٥٧٧، ٥٧٦، ٥٧٥، ٥٧٤، ٥٧٣
 الأبوسلامة = البوسلامة ٣٤٢، ٣٤٣، ٥٠٠، ٦٤٤،
 الأبوسلطان = البوسلطان ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦١،
 ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٦
 الأبوسلوم ٥٥٧
 الأبوسهيل ٥٢٨
 الأبوسويد ٥٧٨
 أبوسيف ٣٤٢، ٣٤٣، ٥٠٠
 الأبوستيوي ٥٢٨
 الأبوشجر ٣٨٦
 الأبوشريف ٦٤٠
 الأبوشعبان = البوشعبان ٦٨، ١٠٧، ١٢١، ١٨١،
 ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٥، ٤٥٦،
 ٥٢٣، ٥٢٩، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٣٩،
 ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٤٩، ٥٥٣،
 ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢،
 ٥٦٨، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠،
 ٥٩١، ٥٩٧، ٦٠٥، ٦٤١
 الأبوشعيب ٥٧٧
 الأبوشهاب الدين ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٤٠، ٥٤٥،
 الأبوشيوخ = البوشيوخ ١٢١، ٣٤٢، ٥٠٤، ٥٤١،
 ٥٦٦، ٦٤٦، ٦٦٣
 الأبوصالح = البوصالح ٥٦٦
 أبوصلاح = البوصلاح ٥٥٨، ٥٥٩
 الأبوصليبي ٥٠٥، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٨
 أبوطالب ١٣٦، ١٣٧
 أبوطوس الإبراهيم ٥٠٥، ٥٢٢
 أبوطوس العلوش ٥٠٢
 الأبوطيب ٥٢٩
 الأبوعابد ٥٢٨
 الأبوعاصي = البوعاصي ٣٩٧، ٥١٦، ٥١٧، ٥٣٠،
 ٥٥٢، ٦٤٠
 الأبوعبد الله = البوعبد الله ٥٤٩، ٥٧٢، ٥٨٤،
 أبوعبيد البكري ١٣

٥٢٤، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٤، ٥٤٤،
 ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٧١، ٥٧٨، ٥٨٢، ٦٤٦
 الأبوحليجل ٥٧٨، ٥٧٥
 الأبوحمد = البوحمد ٥١٦، ٥٣٨، ٥٤٢، ٥٩١
 الأبوحمة ٥٧٧
 الأبوحمدي = البوحمدي ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٨٧
 الأبوحوا ٥٢٨
 الأبوحوري ٥٧٨
 أبوحيات - الأبوحيا ٥٠٥، ٥٨٣
 الأبوحيار = البوحيار ٤٥٤، ٥٠٦
 أبوحية - أنظر الشيخ فرج
 الأبوخابور = البوخابور ٥٠١، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٢،
 ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٣
 الأبوخضير ٥٢٨
 الأبوخلف ٥٧١، ٥٧٩
 أبوخليفة ٥٤٥
 الأبوخيس = البوخيس ١٠٧، ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣،
 ٣٥٣، ٣٦٥، ٤٥٢، ٤٥٥، ٥٤٧، ٥٤٩،
 ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٦٠، ٥٩٦
 الأبودبش = البودبش ٥٠١، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٩١
 الأبودج ٥٧٨
 الأبودراج ٥٠٠
 الأبودرباس ٥٧٨
 أبودقيس الكلابي ١٧٩
 الأبودهام ٥٧٨
 الأبودياب ٥٢٨
 أبو ذر الغفاري ٢٢٨
 الأبوذياب ٥٧٧، ٥٧٨
 الأبوراشد ٥٢٨
 الأبوراضي ٥٢٨
 الأبورجين ٥٢٨
 الأبورحة = البورحة ٥٦٦، ٥٧٠، ٥٧١
 أبوروس ٤٠٨
 الأبوزليط - الأبوزليطي ٥٠٥، ٥٢٨
 أبو زيد الأنصاري ٦
 الأبوسالم ٥٤١
 أبوسبيع = الأبوسبعة = البوسبيع ١٢٢، ٣٤٢،

- أبو عبدة ٦
أبو عتيقة ٥٥٤
أبو عرب = البوعرب ٥٦٦
الأبو عرييد ٥٢٨
الأبو عزام ٥٧١، ٥٧٧
الأبو عز الدين = البوعز الدين ٥٧١، ٥٧٧، ٥٨٠
الأبو عساف = البوعساف ١٢٢، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٥٦، ٥٢٨، ٥٧٨، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠، ٦٠٢، ٥٩٢
أبو عسلي ٤١٥
الأبو عطيري ٥٤٨
الأبو عطوي ٥٢٩
الأبو علاية ٥٢٨
الأبو علي ٥٢٨، ٥٩٧
الأبو عليوي ٥٢٨
الأبو عمر = البوعمر ٥٧٨، ٦٤٨
الأبو عمرو ٥٧٥، ٥٧٨
أبو عمرو بن العلاء ٦
أبو عميرة = البوعميرة ٥٣٨، ٦٤٤
الأبو عيد ٤٠٢، ٤٤٠، ٤٤١
الأبو عيسى = البوعيسى ٥٢٩، ٥٦٣، ٥٧٩، ٥٨٥
الأبو غائب ٤٤٧
الأبو غزال ٥٤٨، ٥٥٢
الأبو غيث ٥٤٨
الأبو فاتلة ٥٢٨
أبو الفداء ٨٨، ٩٢، ٩٣، ٩٤
أبو الفرج الأصبهاني ٧، ١٣، ٤٥، ٣١٠
أبو فقرة ٥٨٥
الأبو فواز ٥٧٨
أبو الفوز السويدي البغدادي ١٣
أبو القين ٧٨
الأبو كامل = الأبو جامل ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١
٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩
٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢
الأبو كردي ٥٤٨
الأبو كليب ٥٠٥
الأبو كال = الأبو جمال = البوكمال ٥١٦، ٥٧١
- ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٤، ٥٨٥
الأبو كنش ٥٠٥، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٨
أبو لخب ٥٤٣
الأبو ليل = البوليل ١٢١، ٢٩٨، ٣٤٢، ٠٠
٥٤٠، ٥٤٥، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٧٧، ٧٨
٥٨٢، ٥٧٩
الأبو متيويت = البومتيويت ٦٣٥
أبو محمد = البومحمد ٥٤٢، ٥٨٧، ٦٤٨
الأبو مريح ٥٨٥
الأبو مريح ٥٧٢
الأبو مريضة ٥٢٨
أبو مسلم ٥٦٣
أبو مسلم الخراساني ٨٢
الأبو مطر ٥٧٧
الأبو معيط ٥٧٨
أبو نعمة ٢٢٨
الأبو نَمي ٣٩٧
أبو نواس ٨٠
أبو الهدي الصيادي ٣٨٥، ٣٩٦، ٤٤٤، ٤٤٥، ٠٤
٥١٤
الأبو هرموش = البوهرموش ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٥٦
الأبو هلاهل ٥٧٩
أتابك طفتكين ٨٦، ٩٢
الأتاكيون - ملوك ٦٧٥، ٦٧٨
الأتاسية ٤٥٤
الاتحاديون ٣٧٥
الأحذب ٦٢١
إحسان باشا - اللواء ٦٥٥
الأحسنه ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٦، ١٠٨، ٠٩
١١٧، ١١٩، ١٨٢، ١٩٣، ٢٥٢، ٩٨
٣١١، ٣١٧، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٨، ٥٩
٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٨، ٦٩
٣٧٢، ٣٨٤، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٠٨
٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٣٩
٤٤٠، ٤٤١، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٥٤
٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٨٤، ٤٩٧، ٠١
٥٠٩، ٥١٥، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦١٤

- أحمد الإبراهيم الزامل ٥٤٣
أحمد الإسماعيل ٥٤٣
أحمد البديري الحلاق الدمشقي ٣٦٢ ح
أحمد بك = أمير الموالي ٥١٥، ٥٠٢، ٤٣٧
أحمد بن أحمد - من الموالي ٥١٥
أحمد بن تيمية - تقي الدين ٩٦، ٩٤
أحمد بن حمود ٥٢٧
أحمد بن رميح الملحم ٤٤٢
أحمد بن ضاهر المسعود ٣٨٤
أحمد بن عبد القادر الدندن ٤٤٩
أحمد بن عوض طحان ٣٩٩
أحمد بن عبيد ٦٣١
أحمد بن فارس العطور ١٩٠، ٥٠٤، ٥١٨
أحمد بن فاعور ٣٩٦
أحمد بن فدعوس ٤٥٢
أحمد بن فرحان الصفوق ٦٣١
أحمد بن محمد الأمين السلم ٥٤٥
أحمد بن محمد الجهجاه بن محمود بن حمد الأزرق ١٠١، ١٠٠
أحمد بن محمد الصفوق الرجو ٥٤٨
أحمد بن مهنا الملحم ٩٦، ٣١١، ٤٤٢، ٤٨٤
أحمد بن موسى ٥٢٧
أحمد الجدعان ٥٠٠
أحمد جمال باشا ٣٧٥، ٣٧٦
أحمد الحاج علي ٥٥٩
أحمد الحسن أبو زو ٦٤٨
أحمد حسن الزيات ١٣٢
أحمد الحسين ٤٨٦، ٥٨٤
أحمد الحمى الحاجي ٥٥٢
أحمد الخالدي - كاتب ٣٦١، ٤١٠، ٤١٦
أحمد خزنة ٦٥٩
أحمد الحنياد ٤٧٥
أحمد رشيد باشا ٥٧٤
أحمد الرفاعي الكبير ٣٩٦، ٥٠٤
أحمد الزعلان ٥٨٥
أحمد الشامان الملحم ٤٤٢
أحمد الشبلي ٤٤٧
أحمد شوقي - أمير الشعراء ٣٨
أحمد الصالح ٥٢٤، ٥٢٧
أحمد الظاهر ٥٨٢
أحمد العازل ٦٤٠
أحمد العباسي ٩٣
أحمد العبد الخلف ٥٨٨
أحمد العريف ٥٦٣
أحمد عزو الحمد ٤٤٠
أحمد علي النجوس ٥٨٢
أحمد العيسى ٥٢٥، ٥٥٦
أحمد العيسى الجادر ٥٦٠
أحمد الغصين ٤٠٣
أحمد الفياض الناصر العبد الله السليمان الذياب
٥٧٧، ٥٧٨
أحمد الكردي ٤٩٨
أحمد لطفي السيد ٢٠٤ ح
أحمد مالك ٦٧١
أحمد الحمد ٥٨٨
أحمد محمود ٦٧١
أحمد المشيعل ٥٢٩، ٥٤٠، ٥٥١
أحمد المطر ٤٥٦
أحمد المطلق الفريج ٤٠٩
أحمد النهير ٥٣٠
أحمد وصفي زكريا ١٢، ٣٥٤، ٧٠٣
الأحنف بن قيس ١٤١
الأخرس ٤٩٣
الأخطل ٤٥، ٧٨، ٨٠
أخوة وضحة ٥١٦، ٥١٧
الأخوص بن جعفر ٤٢
أدد ٩١
إدريس بن محمد بن عواد ٥٤٩، ٥٥٠
أديس - شاعرة ٣١٠
أديب وهبة ١٥٦
الأديغة ٦٨٥
الأرامش ٣٩٩، ٤٧٤
الأرحمة ٤٩٥، ٤٩٦
أرحمة بن علي بن قطايع ٥٧٠

الأسبعة البطيئات ١١٩، ١٨٢، ١٩١، ٢٣٩، ٣٤٠،
 ٣٤٣، ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٢، ٤٣٤،
 ٤٥١، ٤٥٣، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣،
 ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٢٤،
 الأسبعة العنزية - الأسبعة المواجبة ١٦، ٩٩، ٢٤٠،
 ٣٥٩، ٤٧٣

أسد ٦٩، ٧٠، ٧٥، ١٢٣، ح، ٢٢٩، ٣٥٨،
 أسد الدولة - أنظر صالح بن مرداس
 أسد رستم ٤٠٦
 أسعد - الأسعدية ٤٢٩، ٤٨١
 أسعد البشير ٥٦٦
 أسعد بن نواف الصالح ٥٢٧
 أسعد السعدون ٥٥٨
 أسعد العاشق السلوم المهدي الزيارة ٥٤٤
 أسعد الفاطمي ٤٥٦
 أسعد الفياض ٤٨٦
 أسعد الكنج ٤٨٦
 أسعد محمد العباس ٤٧٨، ٤٨٥، ٤٨٧،
 أسكندر بالاس ١٥٦
 أسكندر المقدوني ٧٥
 أسكندر يوسف الحايك ٤٣٧
 الأسلم ١٠٨، ٤٢٩، ٤٦٣، ٦١٤، ٦١٧، ٦٢٠، ٦٢٤،
 ٦٣٧

إسماعيل بن إبراهيم ٦٨
 إسماعيل بن إبراهيم باشا ٦٦٦
 إسماعيل بن حاجم آل مهيد ٦٠٥
 إسماعيل بن حسن الفاعور ٣٩٦
 إسماعيل بن كثير الدمشقي - مؤرخ ٩٦
 إسماعيل خير الهواش ٤٨٤
 إسماعيل الحاج موسى ٥٥٥
 إسماعيل السلامة الخالد ٥٠١
 إسماعيل سمكوخان ٦٥٦
 الإسماعيلية = الإسماعيليون ١١٠، ٥٣٧، ٥٩٢،
 ٦٩٥

أسمر بن هليل ٤٥٢
 الأسود ٥١٦، ٥٤٥،
 أسود الحريجي ٦٠٧

الأردني ٥٩٠

الأرقاء ١٨٠

الأركيوات ٥٨١

الأرمن ٢٢، ٥٧٤، ٦٥٢، ٦٨١، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٩٥،
 ٧٠٢

أزولة = الروالة ٨، ٩، ١٥، ٧٠، ١١٧، ١١٩،
 ١٧٧، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٣،
 ١٩٨، ١٩٩، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٢،
 ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٤٠، ٣٤٣،
 ٣٥٠، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠،
 ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩،
 ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥،
 ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١،
 ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٥،
 ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥،
 ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤٠،
 ٤٥١، ٤٥٨، ٤٦٦، ٤٩١، ٤٩٦، ٤٩٧،
 ٤٩٨، ٥٠١، ٥٣٢، ٥٨٠، ٥٩١، ٥٩٤،
 ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٨، ٦١٨

أزد ٩١

الأزهري ١١٤

الأسبرية ٤٨١

الأسبعة ١٠، ٢٨، ١٠٩، ١١٧، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٠،
 ١٩٨، ٢٠٤، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٦٤، ح، ٣٥٨،
 ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧،
 ٣٦٩، ٣٧٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦،
 ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٨٩،
 ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦،
 ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٣١، ٥٣٦،
 ٥٣٧، ٥٥٤، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦،
 ٦٠٠، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦١٥

الأسبعة الأعبدة ١١٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٩١، ٢٩٧،
 ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٦٨، ٤٥٧،
 ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩،

٥٣٤، ٥٥٥

الأسبعة الأعرفة - الأسبعة الأمسكة ٢٤٠،
 ٣٦٤، ح، ٥٣٤

٧٩، ٨١، ٨٢، ٩١، ١٣٧، ٣٧٢، ٤٢٥،

٦٩٨، ٦٥٢

أمية ١٢٩، ١٣٦، ١٣٧

الأمين - الخليفة ١٣٨، ٥١٣

أمين الخلف العجيل ٥٨٠

أمين الریحاني ٣٧٨

أمين زكي ٦٥٤

أمين المعلوف ٤٠ ح

الأنباط - النبطيون ٧٥، ٤٢٣

أنبيجان ٦٢٤

أنستساس الكرملی ١٤، ١٥٤

الأنصار ٦٩

الأنصفة ٤٩٨

الإنكلین - انكلترة - بريطانيا ١١٣، ١٥٦، ١٥٨،

٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠، ٥٧٤، ٥٧٨، ٥٩٩،

٦١٨، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٥٦، ٦٨٧

أنكوش ٧٠٢

أنمار ٧٦، ٥٦٥

أوبنهايم - البارون ٣٧٥، ٣٨٧

أوبوخ = الأبوخ ٦٩٢

أوخ ٦٧١

الأوس ٦٩، ١٢٩، ١٧٨

أوس بن حارثة بن لام الطائي ١٢٧

الأوسست ٦٨٤

أوغوز = غز - أنظر التركان

أوكيان ٦٧٠

أولاد الشيخ عيسى ٥٨١

أولاد مشرف ٥٧٩

أوليا جلبي - سائح ١٠٣

أومادالا ٦٥٩

أويس القرني ٥٤٧

إياد ٧٠، ٧٦، ٧٨، ١٣٧، ٥٦٥

الإياسا كاو ٦٥٩

إياس بن قبصة الطائي ٩١، ٦٣٩

إيبواسقان ٦٧٣

الأيدا الجنوبيون - الأيدا الشماليون ٤٠٨

الأيدة ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٦٨، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٣٤

الأسود العنسي ١٤١

الأشاجعة ١١٧، ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٩،

٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٣، ٤٠١، ٤٦٦

الأشوخ ٥٠٤

أصلان باشا ١١٠، ٥١٤، ٥٢٣، ٥٥٣، ٥٥٧

الأصمعي ٦، ٢٤١

أطراف شهر ٦٦١

أعاجم ٨٠

أعراب الموالي ٢٥٢

الأعرقة ٤٩٩

الأعشى ١٣٠، ١٤١

الإغريق ١٣٣

الأفغانيون ٦٥٢

الأقصه ٤٩١، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٥٤

أكراد إبراهيم - أكراد بلاد الشام - أكراد عثمانو -

أكراد الكيكية ٥٦٧، ٦٣٤، ٦٥٧، ٦٧٢،

٦٧٤

ألف ملة = هزارملت ٦٦٤

الألمان - الألمان النازيون ٣٧٨، ٥٩٩، ٦٢٥، ٦٨٤

الإله إيل ٤٢٨

الإله سين ٤٢٨

إلياس بن إدريس بن محمد بن عواد ٥٥٠

إلياس الفروع ٤٥٧

الألية ٦٠٨

أم تركي - جدة الأمير مجحم آل مهيد ٥٩٨

أم مالك ١٢٦

الأخلف = الخلف ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩،

٣٧٢، ٣٨١، ٤٣٤، ٤٤٣

أمرء الموالي ٢٥٢

أمرؤ القيس ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ١٣٢، ١٤٠، ١٤٢،

٤٢٩، ١٤٣

الأمسكة ٤٩٨، ٤٩٩

الأمشظة ٣٦٦، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٣٤

أمهورة ٣٨١

أموي عثمانی ١٧٨

الأمويون - بنو أمية ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٧٢ ح، ٧٨،

- الإيرانيون ٦٥٢، ٦٩٨
أيوب باشا ٦٦٥
أيوبية - أيوبون ٨٥، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٣٥٣، ٤٦٤،
٥٠٨، ٦٥٣، ٦٥٧، ٦٧٥
- « ب »
- باليون ٢٢، ٦٦
البادي ٣٧٤
الباديننا ٦٦٣
بارح بن قحطان ٦٨
باشا بن صالح ٥١٥
باشا المتعب العاصي ٢٣، ٦٢٨، ٦٣١
الباشات - الباشان ٤٥٥، ٦٣١، ٦٦٤
باهلة ٤٤٤
باهي الحسين ٦٤٠
البجارة ٤٥٥
بجيلة ١٧٨
البحتري - البحاترة ٣٩٥، ٦٨٣
بخت المعرعر ٤١٤
البدر - البدران - البدور ١١٩، ٣٤٠، ٣٨١، ٣٨٩،
٣٩١، ٤٥٨، ٥١٦، ٥٤٥، ٥٥٠، ٦٤٨
بدر بن فرحان الصفوق ٦٣١
بدر العبد الله ٥٦٦
بدر العبد الجادر ٥٠٣
بدر الملحم ٣١٧، ٤٣٩، ٤٤٢
البراجم ٤٨٠
البرازية - برازية حماة ٤٥١، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢
البراعصة ٥٥٤
براغشة ٥٥٨
البراغلة ٥٢٨
البرامكة ٩١
برانت - القنصل ٤٠٦
برجس بن صوحان الهديب ٤٩٨
برجس بن عبد الله الشعلان ٣٨٠
برجس بن فرحان الهديب ٤٩٨
برجس بن هديب ٢٩٧، ٤٩٠، ٤٩٧، ٤٩٨
- بردان بن جليدان ٦٢٣
البرزاري ٦٥٩
برسبائي ٦٨٦
برغش الحمد ٥٧٠
برغش الحمد الوكاع ٥٨٢
برق - عشيرة ٥٦٠، ٥٦٣، ٥٦٤
البرقع ٤٤١
برقوق ٦٨٦
بركات بن أحمد الفرج السلامة الدندل ٥٨٩
بركات بن عوض الطحان ٣٩٨، ٣٩٩
بركات الكحلان ٣٨٥
البركالا ٦٥٩
بركهارت ١٥، ٢١٤، ٢٥٤، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢ ح،
٣٧٠، ٤٠٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤٣٥، ٤٣٦،
٤٤٢، ٤٧٤، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٢٢، ٥٣١، ٥٣٩
- بروكوبس ٧٠
البري ٦٤٠، ٦٤٤
البريج ٥٨٨، ٦٢٢، ٦٢٣
البريدات ٣٨٦
البريكات ٤٤٧
بريكان الصليبي ٢٢٧
اليزادوغ ٦٩٣
البسابة - البسيسات ٤٤٣، ٦٤٠
بسلي ٦٩٢
بش التي ٦٧٤
بشي - أمير الشركس ٦٨٨
البشابة ٥٥٤
بشار بن برد ٨٠
البشام - البشامة ١٠، ١٢١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٨٩،
٥٠٣، ٥١٧، ٥٩١
بشتيان بن بنية ٢٦٤ ح، ٣٧٥
بشر بن عنز ٣٥٩
بشي = النبلاء ٦٨٨
بشيتا ٦٩٧
بشير بن دعار الملحم ٤٤٢
بشير بن سليمان ٤٩٣، ٤٩٥
بشير الشهابي الكبير ٤١٨

- بشير الهويدي الشلاش ٥٨٨ ، ٥٨٩
 بصراوي آغا ٦٧٢
 البطارين ٥٥٤
 البطال - بطال غازي ١٠١
 البطة ٤٤٧
 بطران ٥٥٤
 بطرس الأكبر ٦٨٧
 بطلوس السادس ١٥٦
 البطمة ٤٥٥
 بطين بن سلطان ٤٩٢ ، ٤٩٣
 بظادوغ ٦٩٢
 البعيج ٥١٦ ، ٥١٧
 البعير ٦٢٤
 بغا - القائد ٨٣
 بقارة - بقارة الأومعش - بقارة الجبل - بقارة
 الزور - بقارة طيء ٢٢ ، ٤٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
 ٣١٧ ، ٣٤٢ ، ٤٩٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٧ ،
 ٥٤٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ،
 ٥٦٨ ، ٥٩٢ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٨ ،
 ٦٤٠ ، ٦٤٢ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ،
 البقة ٦٤٤
 بقراص القرح ٥٩٧
 البقعة - البقعات ٥٠٢ ، ٥٤١ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠
 البكار ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢
 بكار هلال ٥٥٨
 بكر بن غانم بن سويلم ٥٧٠ ، ٥٧١
 بكر بن وائل ٢٤ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠ ، ٢٤٨ ، ٣٥٧
 بكري بن محمد ٥٢٧
 البكير ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١
 البلاحة ٣٩٤
 البلاعيس ٣٨١
 البلاعين ٤٩٨
 بلانت - الليدي - سائحة ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٠ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٥ ، ٦١٧
 بلحارث ٦٩
 البلسان ٤٣٦
 بلعاس العبد الله المسلوخة ٥٠٦
 البلوة ٤٤٧
 بلي ٧٨ ، ٧٠
 بنات الهفل ٥٧٧
 بندر بن مثقال الهديب ٤٩٨
 بندر بن محمد بن سمير ٤٠٩
 بندر بن مشعل الشعان ٣٨٠
 بنو أزد ٦٩
 بنو أنف الناقة ٣٠٤
 بنو تغلب بن وائل ٤٥
 بنو جميل ٥٥٨ ، ٥٤٥
 بنو الحارث بن كعب ١٣٩
 بنو حمد - أنظر السلوط
 بنو حنيفة ٧١
 بنو خالد ١٠ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٩ ،
 ١٧٧ ، ١٨١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤ ح ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ،
 ٣٦٣ ، ٤٣٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ،
 ٤٤٨ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٧٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠٢ ،
 ٥٠٩ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ،
 ٦١٤
 بنو خطيب ٦٦٤
 بنو رشود ٤٣٦
 بنو الريان ١٣٩
 بنو زياد ١٤١
 بنو زيد ٥٠٢ ، ٥٤٣ ، ٥٥٥
 بنو السبعة ٦٣٨ ، ٦٤٠
 بنو سعد ٤٣ ، ١٤١ ، ٦٢٣ ، ٦٤٧
 بنو سعيد ١١١ ، ٥٤٦ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٥ ، ٥٥٨ ،
 ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٨٧
 بنو شهاب ٤١٨ ، ٤٨٣
 بنو صخر ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ٢٤٠ ،
 ٢٥٢ ، ٢٩٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٠ ،
 ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ،
 ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٩٧
 بنو طليحان ٤٣٦
 بنو عامر ١٤١
 بنو عز ١٠ ، ٤٧٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥١٦ ، ٥٣٣

- بنوعز الرعية ١٢١، ٣٤٢، ٤٨٩، ٥٠٠، ٥١٧
 بنو عصيد ٥٥٨، ٥٦٠
 بنو عمر - أنظر السلوط
 بنو عون ٥٥٤
 بنو الفريز ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩
 بنو فهد ٤٤٥، ٦٣٩
 بنو كليب ٧٠، ٧٧
 بنو كندة ٦٩، ١٤٠، ٦٧٢
 بنو اللقيطة ١٢٨
 بنو محمد ٦٤٧
 بنو مخزوم ٤١٨، ٤٤٤، ٤٤٩
 بنو مرداس ٨٥، ١٠٢
 بنو النجار ١٣٨
 بنو ندار ٦٢٣
 بنو هناء ٩١
 بنو اليسر (اليسار) ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠
 بنو يوسف ٦٤٧
 البنية ٤٤٤
 بنيان بن شلال ٦٣١
 بنيان بن العاصي ٦٣١
 البنية ٣٧٤، ٣٧٥
 بنية بن فارس قعيشيش ٦٠٩
 بنية بن قرينص الحميدي ٦٣٢
 بهاء الدين طوقان ١٤
 البهادلة ٤٥٣
 بهراء ٧٠، ٧٨
 البهان - البهيمان ٦٢٢، ٦٢٣
 بهيج ٦٢٤، ٦٣٦، ٦٣٧
 البو بطوش ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٤
 بوبلان - بويلان ٦٦١، ٦٦٢
 البوبلد ٥٥٠
 البوتركي ٥٠٥
 البوجرسان ٥٠٥
 البوجيد ٥١٦
 البوحدان ٦٣٤، ٦٤٥
 البوحمز ٥٠٥
 البوحن ٥٣٨
 البو خطاب ٦٤٤
 البو خليل ٥٨٠
 البودغمش ٥٨٦
 البورباش ٦٤٤
 بوزان بك شاهين ٦٧٠
 البوشمس ٥٦٦
 البوصادجي ٥٣٨، ٥٣٩
 البوصيلح - أنظر العبد الصالح
 البوظاهر ٥٩٠
 البوعبة ٥١٦
 البوعتيق ٥٥٨
 البوعجوز ٥٥٨
 البوعلاي ٦٤٦
 البوعمر ٥٢٨
 البوعواد ٥٠٥، ٥٧٢، ٥٨٢
 البوغازي ٥٥٦
 البوفرچ ٥٣٨، ٥٣٩
 البوقاعان ٥٧٢، ٥٨٥
 البومانع ٥٣٨، ٥٦٣، ٦٤٤
 البومزدوق ٤٩٨
 البومسرة ٥٦٣
 البومصطفى ٥٨٠
 البومصطفى الهادي الصياح ٥٨٦
 البومصعة ٥٦٦، ٦٤٦، ٦٤٨
 البومعيش ٥٦٦، ٦٤٦
 البوناصر ٥٨٠، ٥٨٢
 البونيصا ٥٠٥
 البوادي ٤٤٧
 بواديبار - الراهب ٩، ١٦، ٥٤، ٥٨
 البواريد ٦٢١
 بولص سليمان - المطران = بولص سامسان ١٤، ٢٩٩
 بويه - البويهون ٨٤، ٦٥٢
 البيات ٦١١، ٦١٥، ٦١٦
 البيطرة ٤٤٧
 البياية ٤٩٩، ٥٥٤
 بيجان = بيزان ٦٧٠، ٦٧١

تركي بن علي بن النجرس - أبو النوري ٥٧٠،

٥٧٢، ٥٧٣، ٥٨٢، ٦٢٣

تركي بن فرحان الهديب ٤٩٨

تركي بن فيصل ٦٣١

تركي بن محجم آل مهيد ٥٩٥، ٦٠٠، ٦٠٥

تركي بن محجم الشعلان ٣٨٠

تركي بن محمد بن سمير ٤٠٩

تركي بن محمد الفيصل الملحم ٤٤٢

تركي بن مشعل باشا الفارس ٦٣١

تركي بن منادي الخليل ٥٨٢

تركي بن مهيد ٥٩٦، ٦٠٦

تركي الخليف ٥٣٠

تركي النرجس ٢٩٧

الترن ٥٤١، ٥٦٣

تغلب بن وائل ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٧٨،

١٢٩، ١٣٠، ٣٥٧

تكة ٦٧٥

التلاوية ٤٠٩

التليقي ٤١٩

تمر اليونس الشبلي ٥٣٩

تميم ٧٢، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ٢٩٩، ٥٥٣،

تنوخ ٧٠، ٧٦، ٧٨

تنوخ بن مالك بن فهم ٧٦

التوامات ٥٥٣، ٥٥٨

التوارنيون ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٩، ٦٨٥، ٦٩٣،

التومان ٦٢٤

توندو كرمون - السائحة ٤٩٢

التويمات ٤٥٣، ٥٤٨

التويني ٤١٥، ٤٤٧

التياسة ٦٠٧

تيور بن إبراهيم باشا ٦٦٥، ٦٦٦

تيورلنك ١٠٢، ٥٦١، ٦٩٨

« ث »

الثابت ٦٢١، ٦٢٤، ٦٢٥

ثامر بن رakan المرشد ٤٩٥

بيرق ١٨٨

البيزنطيون - أنظر الروم

بيضان ٥٨٥

بينار علي ٦٦١، ٦٦٢

بيو ٣٣٩

البين ٣٩٧

« ت »

تامر بن طراد الملحم ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢

التبابعة ١٣٤

التتر = التتار ٩٣، ٦٧٦، ٦٨٤، ٦٨٥

التجاففة ٦٢٢

تراجان ٥٩

ترانكا - الرئيس ٥٧٤

الترك = الأتراك ٢٢، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٣، ٨٥،

١٠١، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٦، ١٨٩، ٢٧٢،

٣٦٣، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٨، ٤٠٧،

٤٣٧، ٤٨٩، ٤٩٢، ٥١٠، ٥١١، ٥١٧،

٥٤٨، ٥٥٠، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٩٩،

٦٠٢، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٧،

٦٣٨، ٦٤١، ٦٥٢، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٦٠،

٦٦١، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧٥، ٦٧٦،

٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦،

٦٩٨، ٦٩٤

التركان = أغوز = غز = الخوارزمية ١١، ٢٢،

٣٤٨، ٣٩٣، ٤٨٢، ٥٦٢، ٥٩٢، ٦٠٢،

٦١٧، ٦٥١، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨،

٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٩٨

تركان - فرقة من الملى ٦٦٤

تركان بياضية - تركان سوادية ٦٨٠

التركي ١٢١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٨٩، ٥٠١،

٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٩، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٤٧،

تركي آل أبوريشة - الأمير ٥٢٤

تركي بن جارا الله ٦٣١

تركي بن جدعان آل مهيد ٥٩٨، ٦٠٥

تركي بن عبد العزيز ٥١٥

جاسم النادر ٣٩٨
 جاعد بن العاصمي ٦٣١
 جاعد بن عرفان ٦٠٧
 جاكو - الجنرال ٦٨١
 جاميل (كامل) بن غنام ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧١
 جاميكواي ٦٩٢
 الجبات ٤٥٣
 الجبارة ٤٠٨ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٤٣
 الجباري ٥٤٥
 الجباريت ٦٢٤
 جبران ٦٦٤
 الجيل ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤٤٣ ، ٤٥٥
 جيور - جيور الجزيرة - جمور العراق ١٦ ، ٢٢ ،
 ١١٠ ، ١٢٢ ، ٣٤٢ ، ٤٤٧ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ،
 ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ ،
 ٥٧٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ،
 ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٦١١ ، ٦١٦ ، ٦٢٤ ، ٦٣٨ ،
 ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧ ،
 ٦٤٨ ، ٦٦٤
 الجبول ٦٢٣
 الجعاف بن حكيم السلمي ١٥
 جعجاج بن فياض ٥١٤
 جعجاج بن الكنج - أسو سفاب - بن فياض
 الذربة ٥٢٥
 جعجاج بن محمد ٥١٥
 الجعيش ٦٤٤
 الجعيش - عشيرة من زبيسة ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ ،
 ٥٧٣ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦١١ ، ٦١٦ ، ٦٢٤ ، ٦٣٥
 الجعيش - من أسلم ٦٢٤
 الجحيم ٤٤١
 الجدامة ٥٥٥
 الجدران ٣٧٤ ، ٣٧٥
 الجدة ٦٠٧
 الجدة ٥٩٧ ، ٥٥٠
 جدعان بن جبار الله ٦٣١
 جدعان بن محم ال مهيد ٦٠٥
 جدعان بن مشحن الشمال ٣٨٠

ثامر الملمح ٣٦٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤١
 ثريا باشا - متصرف دير الزور ٥٥٠
 ثريا باشا - والي حلب ٣٦٥
 ثريا باشا ملك زادة ١١٠ ، ٥٧٣
 الثعالي ١٣٥ ح
 الثقيف ٤٥٥
 الثلث - الثلوث ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٧ ، ٥٨٢ ،
 ٥٨٣ ، ٦٢٢
 ثمود - الثوديون ٦٦ ، ٦٧ ، ١٧٨
 الثوافشة ٤١٦
 الثوبيت ٤٤٣
 ثويني بن فرحان الصفوق ٦٣١

ج

ج . بيلك ١٤
 الجابر ٥٠٢
 جابر - من العقيدات ٢٦٤ ح
 جابر بن الصباح ٣١٤
 جابر بن غيبين ٥٩٦ ، ٦٠٦
 جابر السيجان ٥٨٥
 الجاحظ ٤٢ ، ٨٢ ، ٣٠٣
 جادر - من الحديدين ٥٢٦
 جادر الله ٥٧٩
 جادر الله بن خلف ٥٧١
 جادر الله بن فرحان الصفوق ٦٣١
 الجازية ابنة محجم بن مهيد ٦٠٠
 الجاسم ٤٩٦
 جاسم الأحمد الممد الدندل ٥٠٣
 جاسم بن حمادي بن قمر اليونس الشبلي ٥٣٩
 جاسم بن محمد المديب ٤٩٨
 جاسم الحسين ٤٥٥
 الجاسم العميد ٥٦٦
 جاسم العيسى ٥٦٠
 جاسم الفندي ٥٨٥
 جاسم المحسر ٤٤١
 جاسم المحمد ٣٨٧

- جدعان بن مهيد ١١٠، ١٩٠، ٣٦٥، ٤٩٧، ٥٩٥، ٦٠٠
- جدعان بن نايف آل مهيد ٦٠٥
- جدعان بن هفل بن عبد الله ... الهفل ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٨٠، ٥٨٢، ٦٣٣
- جدعان الرجوع ٥٤٨
- جدعان المجيد ٣٨٤
- الجدعة ٦٠٧
- الجدوع ٥٨٥
- جدوع بن الصايد ٤٩٥
- الجددي ٦٢٣
- جدي بن هاشم ٦٣١
- جديس ٦٦، ٦٧
- جديع القبلان - أخو مودي ٤٣٦
- جديلان بن بديم ٣٨١
- جديلة ٣٥٨
- الجدالة ٤٠٨
- جذام ٦٩، ٧٨
- جري بن هاشم ٦٣١
- الجرايع ٤٩٩
- الجراح ٨٥، ٨٨، ٩١
- جرادة - ابنة رئيس عشيرة ٥٩٠
- الجرباوين ٤٤٧
- جربوع ٤١٥
- جربوع بن زنكا ٤٥٢
- جرجي زيدان ١٤، ١٣٥
- جرخ إبراهيم ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٧
- الجرزي ٣٧٤، ٣٧٥، ٥٦٩، ٦٤٨
- جرهم ٦٨
- جرو بن سبتة ٣٧٥
- الجروح ٤٥٣
- جروح بن مقسم ٤٠٨
- الجريات ٥٣٨
- الجريبان ٥٩٧
- أجرير - الشاعر ٨٠، ٤٢٥
- جريش بن قاعد ٥٩٧
- جزع بن راكان بن مجلاد ٤٤٣، ٤٤٤
- جزع بن عنيزان ٦٢٣
- الجزعات ٦٣١
- جزع بن شلال ٦٣١
- جساس ٧٧
- الجسيم ٣٨٤
- الجعابات ٥٦٣، ٥٩٠
- جعابرة ٥٥٨، ٥٦٣
- الجعاتين ٣٩٥
- الجعفر - الجعافرة - الجعفرية ١٧٨، ٥٥٧، ٦٠٨، ٦٢٣، ٦٥٣
- جعفر بن يحيى البرمكي ٩١، ٩٦، ٩٧
- الجعيب ٢٦٤ ح
- الجعثن ٤٤٣
- الجعيري - جد آل الجرباء ٦٣٠
- الجفاتية ٥٤٨
- الجفايفة ٥٧٢، ٥٨٤، ٥٨٦
- الجفل ٦٠٧
- جفنة ٧٨
- جقمق ٦٨٦
- الجلاد ٥٦٠
- الجلال ٣٥٩، ٣٦٨، ٣٨١، ٤٣٤
- الجلعيد - الجلعيد الدهامشة ٢٦٤ ح، ٤٤٣
- الجلاعة ٣٨٤
- الجلال ٤٤٣
- جلال علي التكريتي ٦٢٩ ح
- الجلانطة ٥٥٣
- جلعوط بن شبيب ٤٥٢
- الجليبات ٥١٦
- الجماج ٥٧٢
- الجماجة ٥٠٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥٣٥
- الجماح ٥٨٤
- الجمازة ٦٢٤
- الجماسة ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩١
- جمال (كمال) بن غنام ٥٦٨، ٥٧١
- جمال الدين ٦٦٤
- الجمالدينا ٦٦٣
- الجماميس ٤٩٨

« ح »

الحاتم ٤١٥ .
حاتم الطائي ٩١، ١٢٦، ١٤٥، ٢٣٠، ٦٣٧
الحاتوقوي ٦٩٣
الحاج عبد العزيز ٦٦٠
حاجب بن زرارة التيمي ١٣٢
حاجم الأحمد ٤٥٦
حاجم بن العاصي ٦٣١
حاجم بن غشم ٦٢٣
حاجم بن فاضل آل مهيد ٥٩٦، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٠٥
حاجم بن فهد الشعلان ٣٨٠
حاجم بن مسلط ٦٣١
حاجم القصير ٥٩٧
حاجو آغا ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١
الحارث بن حلزة البشكري ٢٣٢
الحارث بن عوف المري ١٢٧
الحارث الغساني ١٣١
حارثة بن عيسى ٩١
حاروش بن عبد العزيز ٦٣١
الحازم ٤٦٦، ٥٥٠
حافظ أحمد باشا ٤١٦
حافظ وهبة ١٤، ١٥٧، ٥٧٢، ح ٦١٢
الحامد ٢٥٢
حامد الحية ٥٨٢
حامد الصالح ٥٢٧
الحايظ ٥٦٣
الحبلان ٢٦٤، ح ٤٤٣، ٥٧٨، ٥٠١
الحبور ٤٤٥
الحبتل ٥٩٧
الحثيين ٩، ٢٢، ٦٨٥
الحجساج ٤٤٠، ٤٤١، ٥٠٥، ٥٢٨، ٥٤٧، ٥٧٠
٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٩، ٥٨٤
الحجارة - الحجرة - حجر ٥٢٧-٥٢٩-٥٣٠
الحجارمة ٤١٠
حجر بن أحمد ٥١٥

جمع ٧٢ ح
الجمعة - الجمعات - الجمعان - الجمعيات ٣٧٤، ٤٠٩،

٥٩٧، ٥٥٤

جمعة بن عبد القادر الدندن ٤٤٩
الجلان - جلان - جلان حماة - جلان الغوطة ١٠، ٨٨،
١٢١، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٨٤، ٣٨٥،
٣٨٦، ٤٢٥، ٤٥٢، ٤٨٩، ٥٠٣، ٥٠٤،
٥٢٣، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠

الجبس ٥٠٣

الجبيل - الجبيلة ٤٦٦، ٥٠٥، ٥٢٩
جبيل - من الحديديين ٥٢٦
جبيل آغا بن إبراهيم الملي ٦٦٤
جبيل باشا - والي حلب ٦٦٧
جبيل بن عيسى ٥٤١، ٥٦٣
جبيل بن مسلط الصالح الملحم ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥

الجندة ٦٢٣

الجنديل - الجنادلة ٣٨٣، ٤٩٨

الجندي ٤٥٤

جنكيز ٦٩٨

جنيد الحاج موسى البطران ٥٥٤

الجهم ٤١٩

جبينة ٧٠

الجوابرة ٤٠١، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٥٦

الجواله ٥٠٥، ٦٣٨، ٦٤٠

الجوخدار ٥٩١

الجودان ٦٢١

جورج السادس - الملك ٦١٩

جرسن - الراهب ٩، ١٦، ١٨٦

جوفان ٦٤٤

الجوم ٦٧٣

الجوهري ١٧٨

جوهر الهويدي ٥٨٥

الجيام ٥٩٢

الجيسات ٥٠٤، ٥١٦

الجيطة ٦٢٣

- حجر بن سالم الشعلان ٣٨٠
حجر الكندي ١٤٣
الحداد - الحدادين العلوية ٥٣٤، ٥٥٩
الحدبان ٦٢١
الحدبي ٥٩٨
الحديد ٥٠٣
الحديديون ١٠، ١٧، ٨٧، ٨٨، ١٠٠، ١١٠، ١١١،
١١٢، ١١٩، ١٨١، ٢٨١، ٢٩٧، ٣١١،
٣٤٠، ٣٤٣، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٥٧،
٤٥٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠١،
٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٩، ٥١٨، ٥٣٠،
٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦،
٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣،
٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٣،
٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩،
٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٥٨،
٥٦١، ٥٨٩، ٦٠٥، ٦١٤، ٦٦٤
الحديفة ٥٦٣
الحدانا ٦٢١
الحدلة - الحذيلات ٦٠٧، ٦٣٤
حذيفة بن بدر الفزاري ١٣٩
الحراجلة ٥٥٩
الحرافشة - آل حرفوش ١٠٠، ٥٢٤، ٥٢٦
حرب = مزينة ٧٢، ١٢١، ٣٤٢، ٣٥٩، ٣٨٤،
٣٨٦، ٣٩٧، ٦١٥، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٤٠، ٦٤٥
حربة بنت فارس المزيد ١٠١، ٤٣٧
الحروك ٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤٣٣، ٤٥٥
الحريث ٦٩ ح، ٦٢١، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠،
٦٤٤
الحريز ٤٠١
حريصات ٥٥٨
حريميس ٢٦٤ ح
الحزاب ٥٤٣
الحزازرة - الحزازرة التركمان ٤٨٢، ٦٨٠
الحزبان ٥٠٤
الحزوميون ٣٩٥، ٤٥٥
حسان - الحسانيون ٥٢٩، ٥٥٨، ٥٦٤
- حسان بن ثابت ٦٨
حسان بن مفرج ٩١
حسان الحيلي ٣٨٥
حسان الهندي ٥٦٠
حسن الأمير ٣٩٣، ٣٩٦
الحسن - الحسنان ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٦٦، ٤١٣،
٤١٤، ٤١٥، ٤١٨، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٨١،
٥٥٠، ٦٢٩، ٦٦٠، ٦٦٤
حسن إبراهيم ٤٨٦، ٥٢٧
حسن الأقرع ٥٧٢، ٥٨٢
حسن بن حاجو آغا ٦٥٩، ٦٦١
حسن بن دهام الفاعور ٣٩٦
حسن بن ظاهر الدعجل ٥٧١
الحسن بن علي ١٣٩
حسن بن علي الدعجل ٥٧١
حسن بن منبه ٤٠٤، ٤٤١
حسن بن موسى ٥٢٧
حسن الحاج حسين الحسن ٥٥٣
حسن الحاج عياد ٥٥٧
حسن الحجو ٥٥٧
حسن الحلف ٥٩٠
حسن الحنيظل ٥٥٩
الحسن الظاهر ٥٨٠، ٥٨١
حسن العامود ٢٤٠، ٦٢٢
حسن علي النصار ٥٤٥
حسن الغنطار ٤٤٩، ٤٥٠
الحسو ٥١٦، ٥١٧
الحسون - الحسوني ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٧، ٥٨٣، ٥٨٤،
٥٨٦، ٦٢٣، ٦٤٤
الحسيكات ٣٨٥، ٣٩١
الحسين - الحسينيون ٤٥٣، ٥٥٠، ٦٢٣
حسين آل مهنا ٩٧
حسين إبراهيم الحمادي ٥٣٩
حسين بن علي بن محمد الراشد ٥٥٠، ٥٦٠
حسين بن فياض ٩٧
حسين بن محمد المقطف ٦٤٠
حسين بن منبه ٤٠٤، ٤٤١

- الحمامرة ٣٨٥، ٣٩٧
الحماميد ٣٧٤
حمد - أبو نعيم ٩٠، ٩٨
حمد إدريس ٣٨٦، ٣٨٧
حمد الأول بن علي دعيجل ٥٧٠، ٥٧١، ٥٨٢
حمد بن شقير ٥١٣
حمد بن ظاهر الدعجل ٥٧١
حمد بن عوض طحان ٣٩٩
حمد بن نايف الشعلان ٣٨٠
حمد الثاني بن حمد الأول ٥٧١
حمد الظاهر ٦١٦
حمد العابد ٥٦٦
حمد العباس ٨٩، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٥
حمد العساف ٥٩١
حمد المحمد ٥٧٢، ٥٨٢، ٥٨٤
الحمدان ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٤٥٩، ٥١٦، ٥٥٨، ٥٨٨، ٦٠٧
حمدان الهمش الشهاب ٥٥٠
الحمداني ٤٤٤
حمدو بن إبراهيم ٥١٥
الحمدون - الحمدوني ٣٩٩، ٤٧٤، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٩٠
حمدني شبيب ٣٩١
الحمران ٥٤٩
حرة الموت ٤٥٠، ٥٠٩، ٥١٤، ٦٣٧
الحجرو ٥٥٠
الحزات ٥٧١، ٥٨٢
حمكي آغا ٦٧٤
الحمود - الحمودي ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٨١، ٥٧٢
حمود بن طراد ٣٨١
حمود بن مسعود ٥٢٧
حمود بن مصقادة ٥٢٧
الحمود الحسون ٥٨٤
حمود الشلاش العبد الله السليمان الذياب ٥٧٣، ٥٧٧
حمود الغزال ٥٤٥، ٥٥٦
حمود المحمد ٥٩٢
حمودة ٥٤٦
- حسين الجاسم ٥٥٩
حسين الدرويش الشيخ جمعة ٥٨٨
حسين الذهب ٥٤٩
حسين الربيدات (المداحلة) ٤١٩
حسين السلامة ٤٥٥
حسين العبد الله ٦٣٨
حسين الغانم ٥٦٦
حسين الفردون ٥٥٣
حسين الفرهود ٥٥٣
حسين المحمد العلي ٣٩٨
حشاش بن بطحة ٣٧٥
الحشوة ٦٠٧
الحصنة ٦٢٢، ٦٢٣
الحصوة ٤٤٧
الحصيدة ٤٥٥
الحطاب ٤١٥
الحطيفة ٣٠٤
حكمة بن مثقال الهديب ٤٩٨
حكمت الحراكي ٥٣٢
الحلاجة ٦٤٠
الحلييون ٥٨٤
الحلفاء ٣٧٩
حلو العبد الله ٤٧٧
الحلييات - الحلييبة - الحليبييون ٥٠٥، ٥١٦
٥٣٩، ٥٧٢، ٦٤٤
حليس - رئيس الصلبة - الحليسات ٤٥٩، ٥١٦
٥٨٨، ٥٥٨
حليف المظهر ٤٥٨
حليمة السعدية ٦٤٧
الحمادات ٥٥٦
حماد بن مجول الصفوق ٦٣١
حماد الراوية ٦
الحمادة ٣٨٦
الحمادي ٥٤٧
الحمارة ٥٢٩
الحالة ٣٩٤
الحامدة ٤٠٨

الحيان ٥٤٦
حميد الشهابي ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ٣٦٤،
٤١٨، ٤٣٦، ٤٨٤، ٥٠٢، ٥٩٣، ٥٩٤
حيدر ان ٦٦٤
الحيساج ٦٢٣

« خ »

خابور ٥٠١
خارجة بن سنان ١٣٧ - ١٢٨
خاطر بن سالم الهديب ٤٩٨
خالد - الخالد - خالدان - الخالدية ٣٨١ - ٣٨٦ -
٥٧١ - ٥٨٢ - ٦٦٤
خالد - من الأبي حسن ٥٧١
خالد بن جنبل ٣٨٣
خالد بن الوليد ٤٤٤، ٤٤٩
خالد الجعدان ٥٨٢
خالد الحمى الطلاع ٦٣٤
خالد الخضر ٤٤١
خالد الرسم ٤٨٦
خالد شفيق بك ٤٠٣
خالد ضيا الداغستاني ٤٨٩
خايل السليم ٥٥٣
الخناشة ٤٤٣
الختم ٣٧٤
خشم بن تركي بن محجم بن مهيد ٦٠٥
الخذييات ٣٩٧
الخراپ ٥٥٥
الخراج ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٤
خراشيم ١٠، ٤٨٩، ٥١٧
الخراشين ١٢١، ٣٤٢، ٣٤٣
الخرسان ٣٤٣
الخرصه = ضناً ماجد ٣٦، ١٨٢، ١٨٣، ٣١٢،
٣٦٨، ٣٦٩، ٥٩٣، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٩،
٦٠٠، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨
الخرصه - من شم ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٠، ٦٢١،
٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٠، ٦٣٢،
٦٣٧، ٦٣٣

حمورابيون ٦٦
الحمد - الحميدي ٣٨١، ٤٤٥، ٦٥٥
حميد بن رمضان بن عبد الحمي ٤٥٢
حميد بن شلال ٦٣١
حميد السيد حسين ٤٥٦
حميدان الأقرع ٣٨٩
حميدي الأحمد ٥٥٨
الحميدي بن الجعيري ٦٣٠
الحميدي بن فارس الصفوق ٦٣١
الحميدي بن فرحان الجرباء ٦١٨
الحميدي بن فرحان الصفوق ٦٣١
الحميدي بن مجول الصفوق ٦٣١
حميدي الشواح ٥٩٢
حميدي العبود العيسى ٤٥٣
حميدي المطلق ٥٩١
الحمير ٦٢١
حمير - حميريون ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧٤، ٧٨، ٤٣٩،
٤٨٠، ٥٦٢
الحمياس ٤٥٧
الحناحنة ٣٩٧، ٤٥٣
الحنة ٥٨٤
حنظلة الطائي ١٤٠
الحنفور ٥٨٥
حنفية = الأحناف - أبو حنيفة ٤١ ح، ٦٩٩، ٧٠٢
الحوازم ٥٩٦، ٥٩٨
الحواس ٥٨٨
حواس السراي ٦٢٤
الحواسن - الحواسته ٤١٣، ٤١٤، ٤١٩
الحواش ٣٨٩
حواش بن جاعد ٦٣١
حواش بن عبد الحسن العبد الكريم الصفوق ٦٣١
الحواريون ٢٧١
الحولات ٥٩٧
حويش بن علي الدندن ٤٤٨، ٤٤٩
الحويطة - الحويطات ٢٤١، ٣٧٩، ٤٠١، ٤٥١
الحويوات ٥٤١، ٥٤٥، ٥٦٣، ٥٨٩
حيار بن مهنا بن عيسى الحياريون ٨٧، ٩٦،
٥٠٧

- الخرفان ٤٥٥
الخزاعة ١٠٧، ٥٤٧
الخزاعيون ٦٩
خزام العساف ٥٧٠
الخزر ٦٩٨، ٦٨٣
الخزرج ١٢٩، ١٣٨، ١٧٨
الخزيمات ٥٠٤
خسرو باشا ٩٨
خسرو باشا الشركسي ٣٨٨
خشم القعقاع ٤٣٣
خشمان بن بصراوي آغا ٦٧٢
الخشوش ٤٠٩
الخضر ٤٥٧، ٤٥٨، ٥٨١، ٦٦٣
خضر كان ٦٦٤
خضر المحمد ٥٨٤
الخضعان ٣٧٤، ٣٧٥
الخطاب ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٦، ٥٥٧
الخطباء ٥١٦
خفاجة ٥٦٣
خفاجي بن نوري الشعلان ٣٨٠
الخلاوين ٤٥٣
خلجان ٦٧٠
الخلف ٥٩٨، ٦٢٢
خلف إبراهيم ٥٧٣، ٥٩٢
خلف الأحمر ٦
خلف البطية ٤٥٨
خلف بن بكر بن غانم ٥٧١
خلف بن حرييس ٥٩٨
خلف بن دليان ٦٢٤
خلف بن عياش النعير ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٥٨
خلف بن محمد بن غانم ٥٧١
خلف الحسان ٥٩٠، ٥٩٢
خلف العمير ٥٨١، ٥٨٢
خلف الفرج ٥٦٣
خلف الكليب ٤١٨
خلف المهيد ٦٤٨
الخليفات - الخليفات ٣٨١، ٤٥٣، ٤٥٥، ٥٠٥
- خليف إبراهيم ٥٢٤، ٥٣٠
خليف بن إبراهيم الخليف - أبو الطوس ٥٣٠
خليف الخرفان ٥٥٢
خليف الصالح ٥٢٧
خليف اللكك ٦٢١
الخليفة ٤٥٧، ٥٠٤، ٥١٦، ٥١٧، ٥٤٧، ٥٩٠
الخليل ٥٧٢، ٥٨٥
خليل إبراهيم ٦٦٠
خليل إبراهيم الجلود ٥٩٢، ٥٩٣
خليل بن إبراهيم باشا المللي الكردي ٢٩٨، ٦٣٥،
٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٩
الخليل بن أحمد ٣٠٦
خليل بن حاجم آل مهيد ٥٥٦، ٦٠٢، ٦٠٥
خليل بن طروح ٤٠٨
خليل بن قلاوون - الملك الأشرف ٩٤، ٤٦٤
خليل بن كنج ٣٩٦
الخليلات ٥٤٣، ٥٥٥
الخماتيش ٥٩٨
الخماس ٦٢٤
الخماعة ٤٠٤، ٤٤١
الخمسي ٣٧٤
الخمشة ٦٠٨
الخمسان ٤٩٦
خمل ٤٠٤، ٤٤١
الخنافة ٥١٦، ٥٥٨، ٥٦٣
الخنة ٥٧٢
الخنجر ٥٦٦
خندف ١٧٨
خنفيص بن سكين ٣٨١
الخنفيص ٥٨٢
الخوابرة ٥٠٥
الخوارج ٢٢٨
الخواشمة ٣٩٧
خورمالي ٦٧٣
الخوين ٥٠٣
خير الدين الزركلي ١٤، ١٦٠، ٣٠٥

- ١ درويش الحاج موسى ٦٦٢
 درويش الحمادي ٥٠٢
 درويش شامو ٦٧٣
 درويش الشبلي ٤٥٣، ٤٥٠
 درويش موسى ٦٣٤
 دريان ٦٠٧
 دريد بن الصمة ١٤٣
 الدريعي المشهور ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٨١، ٥٩٤
 الدشاش ٤٤٣
 الدشناوي ٦٦٣
 دعار بن عبد الله الملحم ٤٤٢
 دعار بن محمد الفيصل الملحم ٤٤٢
 دعاس بن غبن ٤٤١
 الدعجل ٥٧٠
 الدغامشة ٣٤٣
 الدغان ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٠١
 الدغيرات ٦٢٣
 الدغيلة ٤٥٥
 دفافعة ١٥٦
 دقورية ٦٦٢
 دلبت - الدكتور ٤٢٢
 دلبش الخرفان ٥٤٠
 دلي - الليدي - السائحة ٤٩٢
 دللا واللا - السائح ٩٨، ٥٠٩
 الدلم - السديم - ٤٤٣، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٩، ٥٤٥،
 ٥٥٠، ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٦
 ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٦، ٦٤١
 دمالحة ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٥٨، ٥٥٩
 الدمجان ٤٠٢، ٤٠٨
 الدمجة ٥٩٧
 الدميم ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٦٣٣
 دنادا - دنادية ٦٦٤، ٦٧٣
 دنادشة - آل دنش ١٠٧، ١١٢، ٢٥٢، ٤١١،
 ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣
 ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧
 دنان ٦٧٠
 الدناوة ٥٩١
- « د »
- داحس ٧٢، ٧٣
 دارك أبو سير ٣٧٥
 دارم ١٢٩
 الداغر ٥٧٢، ٥٨٤
 الداغستان ٦٥١، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٢،
 ٦٩٣، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١
 دامس الصالح ٥٢٧
 داود الحمدان ٦٤٥
 الدايس ٦٢٢
 دايس بن جبول ٦٢٣
 الدايم - قبيلة ٥٦٨
 دبش ٥٠١
 دبوس بن رديفي ٦٣١
 ديبوفر - الزعيم ٥٧٥، ٥٧٩، ٦٦٥
 الدجاجة ٦٢١
 دحام ٥٢٠
 دحام بن حاجم آل مهيد ٦٠٢، ٦٠٥
 دحام بن فياض ٥١٦
 دخيل الكلاح ٥٩٠
 الدخيلة ٤٤٠
 الدرباس - الدرباسية ٤٨١، ٥٠٤
 الدربندية - ملوك ٦٩٨
 درزي بن دغمي ٣٧١، ٣٧٥
 درزي المطلق ٤١٤، ٤١٥
 الدرعان ٣٧٤، ٤٠١، ٤٠٤، ٥٠٢
 درهو بن عبيد ٦٣١
 الدروبية ٤٥٤
 الدروز - دروز جبل الشيخ ١١٠، ٢٧١، ٣٦٥،
 ٣٩٣، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥
 ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٤، ٦٩٣
 الدرويش ٥٠٢
 درويش باشا ١٠٤، ٥٩٥
 درويش بن صالح الدندن ٤٤٩
 درويش بن محمد الدندن ٤٤٨، ٤٤٩

- الذهبيات ٥٠٥
ذواب بن أسبـ ١٢٣
ذو الجدين بن عبد الله بن همام ١٣٩
ذوو الغم البيض ٦٩٨ ، ٦٧٥
ذوو الغم السود قرة فيونلو ٦٧٥ ، ٦٨٠
الذياب - الذبيبة ٤٤٣ ، ٥٨٨
ذياب العساف ٥٩١
- « ر »
- رأفت الغام ٥٦٣
راجح بن مزيد الملحم ٤٤٢
راجح بن نوري الملحم ٤٤٢
راجو الخطيطة ٥٧٠
الراشسد ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٤٥ ، ٥٥٠ ، ٥٦٦ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠
راشد الطيار البقاري ٥٤٢
الراضي ٣٨٦
راغب البشير ٥٦٦
رافع بن شرف الشعلان ٣٨٠
راكان بن بشير ٤٩٣
راكان بن سوعان العليوي ٥٩١
راكان بن عبد العزيز ٦٣١
راكان بن مجول الصفوق ٦٣١
راكان بن مرشد ١٨٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٧
راكان بن نواف ٥١٥
الراهي ٤١٩
الراويون ٥٨٠
الربابعة ٣٩٤
ربع ابن قعيشيش ٥٩٦
ربع ابن مهيد ٥٩٦
الربعة ٦٢٤
الرييدات ٣٨٩ ، ٤١٣ ، ٤١٩
الربيع - الربيعية ٣٩٤ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥
الربيع بن أبي الحقيق اليهودي ٢٢
ربيع بن راشد ٤٤١
- الدندل ٥٧٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٦٤٤
دندن العبد الجادر ٤٤٨
دهام بن حسن ٣٩٦
دهام بن شلال ٦٣١
دهام بن مجول الصفوق ٦٣١
دهام بن الهادي العاصي ١٨٩ ، ٥٨٩ ، ٦١٩ ، ٦٢٢ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢
٦٣٥ ، ٦٣٣
دهام القعشيش ٦٠٩
الدهاوة ٥٩٨
الدهمان ٤٤٣
دهمش - الدهامشة - دهامشة العبارات .
٣٤٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٥٠٠
الدوام ٤٩٩
الدواونة ٤٨٩ ، ٥١٦ ، ٥١٧
دوفي - السائح ٣٧٠
دوخي بن سمير ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨
دودكان ٦٦٤
دوسو ٧٤ ، ٧٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩
الدوعين ٤٩٩
الدولة ٥١٦ ، ٥١٧
دومليان ٦٦٤
الدياب - عشيرة ٢٧٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٩ ، ٦٣١
دياب بن حسان ٦٢٤
دياب بن رميح الملحم ٤٤٣
دياب بن فارس الجار الله ٦٣١
ديدان ٦٧٠
الديريون ٥٨٠ ، ٥٨١
ديمتروس ١٥٦
ديو كلتيا نوس ٥٩
- « ذ »
- ذبيان ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠
ذرارة بن عدي ١٣٩
ذعار بن عبد الرزاق ٥١٥
ذكرد - زكرد ١٨٨ ، ١٩١

- ربيع الدخيل ٥٨٦
ربيع العبد الله ٥٥٥
ربيع - أمير ٩٢، ٨٦
ربيع - قبيلة ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٦، ٩١، ٩٢، ١٢٩، ١٣٦، ١٧٨، ١٧٩ ح، ١٨٣
٥٠٢، ٣٥٨، ٣٥٧
الرشعة ٦٢١
رجا السطام ٥٨٦
الرجبية - الرجبيون ٤٨١، ٥٦٩
رحمة بن علي بن قطايع ٥٧١
رحيل بن زنكا ٤٥٢
الرحيات ٥٥٥
رديني بن محول الصفوق ٦٣١
الرزوان ٦٧١
رزوق بن عيادة ٦٣١
الرزيق ٤٤٧، ٤٤٨
الرسالين ٢٦٤ ح، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٦
رشاد - السلطان ٣٧٥
رشاش بن مسلط ٣٧٥
رشوان - قبيلة ٥٣٨
الرشيد - الرشيدات ٣٧٤
رشيد - شيخ السردية ٤١٦، ٥٠٩
رشيد باشا - القائد ١٥١
رشيد بن سعدي ٣٧٥
رشيد بن عبد الله بن محمد بن دوشي بن سمير
٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩
رشيد عالي الكيلاني ٦٥
رشيد المصر ٤٩٥، ٤٩٦
الرشيش ٥٩٧
الرصافنة ٣٩٨
رضا بهلوي - الشاه ٦٥٦
الرطوب ٤٤٧، ٤٤٨
الرعية ٥٢٣، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٩٦
الرفاصجة ٤٣٦
الرفاعية ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٥٤
رفع بن عسكر الكويكب ٣٧٤
رفعت - الأمير ٥١٦، ٥٣٤
- الرفيع - الرفيعي - الرفيعيون ٤٤٧، ٥٦٦، ٦٤٦
الركارحة ٤٩٨
ركبوة ٥٨٢
الرماح ٣٧٤، ٤٠٣، ٤٩٩
الرمان ٦٦٢
الرمث ٦٠٧
الرمضان ٤١٦
رمضان بن عبد الحي ٤٥٢
رمضان الشلاش ٢٩٧، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٧٨
رمضون بن هليل ٤٥٢
الرملة - الرملات - الرميلات ٣٨٦، ٣٩٧، ٥٠٣
رميح عبد العزيز المزيدي الملحم ٤٤٢
الرميكات ٥١٦
الرواية ٥٩٧
الرواشدة ٥٥٩
الروس ٣٨٩، ٥٩٧، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٩١، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٢
الروسان ٦٢١
الروضان ٣٧٤
الروم = البيزنطيون ٥٧، ٦٢، ٧٦، ٧٩، ٨٤، ١٠١، ٦٨٦
الرومان - الرومانيون ٢٢، ٤٦، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٧٣، ٧٤، ٧٥
٧٦، ٣٨٨، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٦٥، ٦٥٢
الرومي ٤٥٥
الرويشدة ٤٩٩
الرويعين ٥٠٢
الريان ٥٠٤
ريحانة بنت معد يكر ١٤٣
الريكان ٦٥٩
رينو - الرئيس ٩، ١٥، ٥٢، ٩٩، ١٦٣، ١٧٣، ٤٦٠، ٤٦٨
« ز »
الزامل ٥٤٤
زامل بن غنام ... ٥٦٨، ٥٧٠، ٥٨٥

- الزباري ٥٧٢، ٥٨٢، ٥٨٣
الزبد ٦٢٣
زبدئيل ١٥٦
الزبن - الزبنة ٢٥٢، ٢٦٤ ح، ٣٧١، ٤٤٣
زبن بن بنية قعيش ٦٠٩
زبيد - قبيلة ١٤٣، ٤٠٢، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٨،
٤١٩، ٥٥٨، ٥٦٢، ٥٦٨، ٥٨٧، ٥٨٨،
٦١٢، ٦١٣، ٦٢٤، ٦٣٦، ٦٤٠، ٦٤١
الزبيدات ٥٠٤، ٥٨٧
الزرد شتية ٦٥٢، ٦٥٣
زراق بن محمد الدندن ٤٤٨، ٤٤٩
زركي ٦٦٤
زروان ٦٧٠
الزريقات ٤٧٣
الزعابرة ٥٣٨
الزعبون ٤٨٤
الزعران ٤٠٣
الزعيترات ٤٤٧، ٤٧٧
الزغيفات ٥٤١
زقاني ٦٩٧
الزكاريط ٦١٤، ٦٢٣
الزكورد ٥١١
زكي الحاجي ٥٨٢
زليط ٥٢٦
الزليفان ٤٥٧
زمال - بن غنام ... ٥٦٨
الزملات - الزملات الحيسا ٦٢١
الزمول ٤٤٤، ٤٤٧
الزميل - الزميلات ٥٨٥، ٦٢٤
الزنادعة ٥١٦
زنكا بن شبيث ٤٥٢
زنوبيا - ملكة تدمر ٧٣، ٧٤
زهير ٦٩
زهير بن أبي سلمي ٢٣٤
الزواتنة ٤٥٥
زوبع ٦١٣، ٦١٤، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٤٤
زويد بن عبد الحسن ٦٣١
- الزيادة - الزيادة ٤٥٣، ٥٥٣
الزيارة ٥٤٤
زيد - الزيدان ٩١، ٣٧٤، ٥١٦
زيد بن العاصي ٦٣١
زيد بن عبد الله الشعلان ٣٨٠
زيد بن عبد الحسن ٦٣١
زيد بن فرحات الصقوق ٦٣١
زين العابدين ٥٨٦
زينو الحازم ٦١٢
- « س »
- سابور - ملك الفرس ١٣٧
ساحم بن الحميدي ٣٨١
الساري ٥٩٧
ساري بن علي بن سالم الصهبي ٥٧١، ٥٧٧
سافيناك - الراهب ٩، ١٦
سالم - جد حرب ٦٤٥
سالم بن جاسم الهديب ٤٩٨
سالم بن عبد العزيز ٦٣١
سالم بن عبد الحسن ٦٣١
سالم بن عويدس الشعلان ٣٨٠
سالم بن فياض الخاميس ٤١٨
سالم الصهبي ٥٦٨، ٥٧١
سامي - المفوض ٣٧٢
سامي باشا الفاروقي ٣٧٥
سامي بن طراد السطام ٣٧٢
السائل ٤٩٨
سبايون ٦٦، ٦٧، ٧٤
السباح ٣٧٤
السبارجة ٣٩٥، ٣٩٧
سباعة ٧٠
السبتة ٣٧٤، ٣٧٥
السبخة - السبخة الأبي شعبان ٢٥، ١٢٢، ٢٩٧،
٣٤٢، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٥٣، ٥٦٣، ٥٧٤
٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩١، ٦٠٥
سبع - السبع ٣٦٧، ٤٩٠

- السبية ٦٢٢
 سبيع - من أعقاب شعبان ٥٨٧
 سبيل ٤٩٣
 السحالي - السحيلات ٢٦٤ ح ، ٥٤٥
 السحيم ٤٤٣ ، ٤٩٦
 السخانة ٢٦
 السخاوي ٩٦
 السراج - السراجين ٥٠٣ ، ٥٢٨
 سراي العبد ٥٨٢
 السرحان - قبيلة ١٠٣ ، ١٠٨ ، ٣٢٩ ، ٣٦٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤٣٥ ، ٤٥٧ ، ٤٩٧ ، ٥٠٥ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠
 سرحان الصالح ٥٢٧
 سرحان العلوش الحمد ٥٠٢
 السرديسة ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ٢٥٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٣٦ ، ٥٠٩ ، ٦٧٩
 السرور ٤١٥
 سريانية - السريان ٢٢ ، ٧٩ ، ٦٦١
 السطام ٥٨٦
 سطام بن أحمد بن منيف الشعلان ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٠
 سطام بن أمهورة ٣٨١
 سطام بن شعلان ٣٦٥
 سطام بن فائز ٣٧٠ ، ٣٨٠
 سطام بن كردي ٦٣١
 سطام بن نواف الصالح ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٣
 سعد الديرة ٣٤٣
 سعد الرحال المرعي ٤٠٩
 السعدي ٦٢٣
 السعران ٥٤٥
 سعود ٤٣٦
 سعود - الأمير ٤٠٦
 سعود بن الشايش ٥١٥
 سعود بن عبد العزيز آل سعود ٦١٥
 سعود بن عبيد الملحم ٤٤٢
 سعود بن فيصل ٦٣١
- سعود بن نوري الشعلان ٣٧٩ ، ٣٨٠
 سعود الحسين الحمد ٤٥٥
 سعود الفارس المزيه الملحم ٤٤٢
 سعود القاضي ٤٤٧
 سعود الكلبي ٤١٧
 السعيد ٣٩٥ ، ٤٩٩
 سعيد آغا بن محمد آغا ٦٦٢
 سعيد باشا بن الشيخ شامل ٦٩٩
 سعيد بن فياض ٩٨
 سعيد بن نواف الشعلان ٣٨٠
 سعيد الحاج جاسم ٥٥٩
 سعيد العرفي ٤٦ ، ١٠٠
 السعيل ٥٠٢
 السفارنة ٥٢٩
 السَّكَن = السَّجَن ١١٠ ، ١١١ ، ٣٥٠ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩
 سلاب بن عواد ٤٩٥
 السلامة ٥٥٣
 سلامة بن مشرف الشعلان ٣٨٠
 سلامة الدندن ٥٦١
 السلجان ٤١٩
 السلجوقيون ٨٥ ، ٦٥٢ ، ٦٧٥ ، ٦٨٦
 السلطان - السلاطين ٩٧ ، ٤٤٣ ، ٥٠١ ، ٦٤٤
 سلطان - جد البقارة ٥٦٦
 سلطان باشا الأطرش ٤١٨
 سلطان بن سطام بن ضجعان بن صالح الطيار ٤٠٧ ، ٤٠٨
 سلطان بن سلاب ٤٩٥
 سلطان بن نفير ٤٤١
 سلطان بن فهد الحميدي ٦٣١
 سلطان بن فواز الشعلان ٣٨٠
 سلطان بن نواف ٥١٥
 سلطان الطيار ٦٠
 السلقا - السلقه ٢٦٤ ح ، ٤٤٣
 سلمان الوهبي ٣٧٥
 السلمة ٦٠٧
 السلوط - سلوط اللجاة ١٢١ ، ٢٩٧ ، ٣٤٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩ ، ٤٢٢

- السلوط الشماليون (بنو عمر) ٤٠٣
السلوط القبليون = بنو حمد ٤٠٣
سلوقيون ٢٢
سلوم العلي الدندل ٥٨٨
سلوم الناصر ٥٩٠
سلومي الحميد ٦٤٠
سليح ٧٦
السليم - السليمان ٦٠٨ ، ٣٨٦ ، ٧١
سليم الخطاب ٥٤٦
سليم العثماني - السلطان ٩٣ ، ٥١٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٨ ، ٦٨٦
السليمان ٤٥٣
سليمان آل شادي ٦٦٥
سليمان باشا - الوزير ١٥٦
سليمان باشا السلحدار - والي الشام ٣٦٤ ، ٤٣٦ ، ٥٩٤
سليمان البستاني ١٤
سليمان بن سلاب المرشد ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥
سليمان بن ظاهر الدعجل ٥٧١ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢
سليمان بن عبد الرحمن الحسن ٦٤٠
سليمان بن عيسى ٩٤
سليمان بن مالج ٤٥٩
سليمان بن مالك ٤٥٩ ، ٤٦٦
سليمان بن مهنا ٩٥ ، ٩٦
سليمان بن موينع ٤٩٨
سليمان الحسين ٤٤١ ، ٦٦٠
سليمان الحمادي ٥٧٠
سليمان شاه - جد آل عثمان ٦٧٨
سليمان ضجعان المسعد ٤١٠
سليمان العبد الستار ٥٩١
سليمان العبد العزيز المزيدي الملحم ٤٤٢
سليمان العبيد ٦٤٥
سليمان العلي ٥٣٧
سليمان المظهور الحمادة ٥٨١
سليمان نصار ٤١٩
سليمان اليوسف ٦٤٠
السايطية ١٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٧
- السالك ٤٣٦
السمعان ٥٥٦
السمول بن عاديء ١٣١ ، ١٤٠
السمون ٦٠٧
السمير - السمرات - السمور - السميرات ٣٧٤ ، ٣٨٦ ، ٤٠٤ ، ٤١٥ ، ٦٩٧
سميط بن سلطان ٦٣١
سميع بن جعفر بن يحيى البرمكي ٩١
السنابير ٤٩٨
سنيس ٦١٤ ، ٦٢٤ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩
سنجارة ١٠٨ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥
السنياكا ٦٥٩
السنية ٦٥٣ ، ٦٦١
السنيد ٣٩٧
السهم ٧٢ ح ، ٦٤٨
السهيل ٦٢٤
السواحلة ٣٧٤ ، ٣٧٥
سواعي أكراد ٥٤٧
السوالمية ١١٧ ، ١١٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٩
٣٧٢ ، ٣٨٣ ، ٤٣٣
السودان ٨٢
السودان - أنظر عبيد أخوات سارة
سودان الروس ٦١٢
السودة ٦٧٢
سوعان بن راكان العليوي ٥٨٧
سوعان بن سالم ٤١٨
سوعان المرشد ٤٩٥
سوفاجة - المستشرق ٦٠ ، ٤٢٤
سومريون ٦٦
السويعد ٤١٤
السويلم - السويلمات ٤٠١ ، ٤٤٣
سويلم بن علي بن قطاع ٥٧١
سويلم بن فارس الجار الله ٦٣١
السياد ١١٩ ، ١٢١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٩٧ ، ٥٤٢
٥٤٩
السيارة ٦٤٧

- السيالة ٤٠٣
 سيويه ٣٦٠
 السيد - السيدان ٤٥٥، ٦٠٧، ٦٢٤، ٦٦٣، ٦٦٤
 سيف بن ذي يزن ١٠١ ح
 سيف بن فضل ٩٦
 سيف الدولة بن حمدان ٢٣، ٧٨، ٨٤، ١٠٢
 سيف الدين ٦٧٢
 السيفان ٤١٦
 السيوطي ٨٢
- « ش »
- شباك ٦٥٣
 شابسوغ ٦٩٣، ٦٩٢
 شاجي - رئيس قبيلة ٢٦٤ ح
 الشارشين ٤٧٥
 شارل - الأب اليسوعي ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٤
 شاشان ٢٢، ٤٦، ٦١١، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٥١، ٦٦٥،
 ٦٦٧، ٦٨٥، ٦٩٢، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٠١، ٧٠٢
 شافعية ٦٥٣، ٦٩٧، ٦٩٩، ٧٠٢
 شاکر بن زيد الهاشمي ٤١٥
 الشامطة ٥٠٥
 شامان بن صالح بن جرخ الإبراهيم ٥٢٤
 شامان بن محمود الفاعور ٣٩٦
 شامان بن نواف الصالح ٥٢٧
 شامان صفوق الفارس الملحم ٤٤٢
 شامان المرشد ٤٩٥
 الشاهر ٥٤١، ٥٥٦
 شاهر الخريشة الصخري ٢٢٧
 الشاهين ٣٨٤
 الشاية ٤٩٩
 شایش بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد الجحجج ١٩٠، ٥١١، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٨،
 ٥١٩، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٣٤، ٥٣٥
 الشبار ٤١٥
 الشباط ٥٤٤
 شبك بن سليمان ٣٧٥
- الشبل ٥٨٨
 شبلي - أمير الموالي ٤٥٠
 الشبوط ٥١٦
 شبيب بن العاصي ٦٣١
 شبيث بن رمضان بن عبد الحي ٤٥٢
 الشبيش ٦٢٤
 شتيوي ٥٢٦
 الشحاذة ٦٢٢
 الشحاشبة ٣٩٤
 الشحمي ٥٥٣
 شدادان ٦٧٠، ٦٧١
 شداد وأوخ ٦٧١
 شديد بن أحمد ٩٧
 الشديدة ٦٠٧
 الشراصة - شرايين - شرايين الكواويس -
 الشرايين ٢٢، ٤٦، ١٢٢، ٣٤٢، ٤٤١،
 ٥٦٧، ٦٣٤، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٦٤
 الشراجيل ٣٩٧
 الشراقة - الشرات ٧٣، ٢١٣، ٢٤١، ٢٤٥، ٤١٣،
 ٤٦٤، ٤٦٦
 الشراعية ٣٩٤، ٤٣٦
 الشرعة ٤٠٢، ٤٠٣
 الشرفات - الشرافات - الشريقات ٢٩، ١١٩،
 ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٧٤، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤٣١
 شرقيان ٦٦٤، ٦٧٣
 الشركس ١١، ٣٤٨، ٣٩٣، ٥٥٨، ٦٥١، ٦٧٨،
 ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧،
 ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣،
 ٦٩٥، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٢
 الشرمان ٦٢٣
 الشريب ٦٢٣
 شريات ٥٥٨
 الشريف ٥١٦، ٥١٧
 شريف بن حجر ١٥
 الشريف حسين بن علي ٣٧٩، ٥٩٩
 شريك بن عدي ١٤٠
 الشطيحات ٥٠٤، ٥٤٥، ٥١٦

٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٥ ، ٤٨٠ ، ٤٩٢ ، ٥٠٧ ،

٥١٧ ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٧ ،

٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٧ ، ٥٧٤ ،

٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ،

٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٤ ،

٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦١١ ، ٦١٢ ،

٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ،

٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ،

٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢ ،

٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ،

٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٦ ، ٦٥٩ ، ٦٦٣ ،

٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٧٠١

شمر ابن الرشيد = شمر الجبل ٣٧١ ، ٦١٧ ، ٦٢٠

شمر بني سعيد ٥٥٨

شمر الجرباء ٣٥٩ ، ٦١٧ ، ٦٢٠

شمر الجزيرة ٩ ، ١٦ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ٥٧٧ ، ٥٧٧ ،

٦١٣ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٣٦

شمر الحدود = شمر دهام = شمر العواصي ٦١٩ ،

٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٣٢

شمر خرصة ١١٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٦٢٨ ، ٦٣٣ ، ٦٦٠

شمر الزور = شمر العمشات ١١٩ ، ١٩٠ ، ٣٤٠ ،

٣٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٦٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٤ ، ٦٣٥ ،

٦٣٢ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥

شمر الشام ٥٦ ، ٦٢٩

شمر طوقه ٦١٤

شمر عبدة ٥٤٠

شمر العراق ٩ ، ٥٦ ، ٢٩٨ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٦ ،

٦٢٩ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥

شمر نجد ٣٧٩ ، ٤٥٩

الشمسي ٤٣٦ ، ٤٤١

الشميل - الشمال - الشمول ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٥ ،

الشمور ٤٤٧

الشموعة ٥٥٦

الشميلة - الشميلات ٥٩٧ ، ٦٠١ ، ٦٢٣

الشنابلة ١١٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥

الشنان ٥٧٢ ، ٥٨٢

الشنيدة ٤٠٩

شعب عدنان ٦٨

شعب قحطان ٦٨

شعبان - جد الأبي شعبان ٥٨٦ ، ٥٨٧

الشعيطات = الشعيطاط ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ،

٥٧٦ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥

الشفرات ٥٩٠

الشفيع ٤٩٦

شفيق الراشد ٥١٣

الشقاقين ٣٩٧

الشقرة ٤٤٤ ، ٤٤٧

شقلان ٤٢٩

شقيز ٨٩ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٢٥

شكري الألوسي ١٤

شكيب أرسلان ٨٠

الشكير ٣٧٤

شلاش بن إبراهيم الدرويش ٥٤٥ ، ٥٥٢ ،

٥٥٨ ، ٥٦٤

شلاش بن عمرو الحيدري ٦٣٢

شلاش الناصر ٤٤٠

الشلال ٥٧٢ ، ٥٨٤

شلال بن فرحان الصفوق ٦٣١

الشليلة ٦٠٧

شلومبرجة ٦٢

الشليلة ٦٠٧

الشليشات ٤٤٧

الشليوط ٥٠٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧

الشمالات ٣٨٤

الشماليون - من الموالي ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ،

٥١٨ ، ٥٣٣

الشمامطة ٥١٦

شمر ٢٢ ، ٢٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،

١١١ ، ١١٣ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ،

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٢٤١ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ح ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ،

٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ،

٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ،

٣٧١ ، ٣٨٧ ، ٤١٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤ ،

الشيخ نوح - رئيس عشيرة ٦٧٠
 شيخان - شيوخ ٥٥٨، ٦٥٨، ٦٦٤، ٦٧١، ٦٧٢،
 ٦٧٤
 شيخو داود بريجان ٦٦٢
 شيعة - شيعة جعفر يون ١٠٠، ٣٦٣، ٣٩٣، ٤٨٧،
 ٥٢٤، ٥٣٦، ٦٥٣
 شيقاني ٦٧٣

« ص »

الصاغة ٤٤٧
 الصافية ٥٠١
 صالح - مملوك لجدة البقارة ٥٦٦
 صالح الآني ٧٠٢
 صالح بن أحمد طحان ٣٩٩
 صالح بن جرخ الإبراهيم ٥٢٤، ٥٢٧
 صالح بن حمد الأول ٥٧١، ٥٨٠
 صالح بن خثعم بن تركي آل مهيد ٦٠٥
 صالح بن درويش الدندن ٤٤٩
 صالح بن طحان ٣٩٩
 صالح بن ظاهر الدعجل ٥٧١، ٥٨٠، ٥٨٢
 صالح بن عبدي باشا ٥١٥
 صالح بن فرحان الهديب ٤٩٨
 صالح بن مرداس - أسد الدولة ٨٥، ١٠٢
 صالح بن هديب ٤٩٨
 صالح الحمود العقلة ٥٩١
 صالح العشبان ٥٧٠
 صالح محمد العيسى الزباري ٥٨١، ٥٨٢
 صالح المسرب = صالح المصر ٤٣٤، ٤٩٢، ٤٩٥
 صالح الموسى الصالح أبو الهيال ٥٧٨، ٥٧٩
 الصايح = الصوايح ٦١٤، ٦٢٢، ٦٢٤
 الصايد ٤٩٨
 صايل بن العاصي ٦٣١
 الصبح - الصبحة ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٤٤
 صبحة - أخت عشيرة الأبي سرايا ٥٧٨
 صبحة بنت محمد علي القريط ٥٣٤
 الصبحي ٦٢٤

شهاب بن حمد الأول = الشهاب الحمد ٥٧٠، ٥٧١،
 ٥٨٢
 الشهابات ٥٢٨، ٥٨٥
 الشهابي - الأمير ٤٨٣
 الشهابيون - الأمراء ٥٩٣ ح
 الشهلة ٤٥٣
 الشهيل ٥٠٢
 الشواحنة ٣٨٤
 شواخ ٥٥٧، ٥٩٠
 شواخ الأحد البورسان ٥٩٠
 الشوايا ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٦٢، ٥٨٨، ٥٩٦،
 ٦٢٢، ٦٢٨
 شوكت بن بصراوي آغا ٦٧٢
 الشويرتان ٥١٦
 شويش بن جاعد ٦٣١
 الشويشات ٤٥٣
 الشويط - الشويطة ٥٧٠، ٥٧١، ٥٨٢، ٥٨٣
 شويط الجعدان ٥٨٢
 الشيبات ٤١٩
 شيبان ٧١، ٧٦، ٧٧، ١٢٨، ١٣٩
 شيتية ٦٦٠
 الشيحان ٥٤٤
 شيخ الإبراهيم ٥٥٧، ٥٦٤
 الشيخ إبراهيم - الصوفي ٥٨٦
 الشيخ إبراهيم - ملا ٦٤٧
 الشيخ إسماعيل - رئيس الدنادشة ٤٨٢، ٤٨٣
 الشيخ جعفر ٦٧٢
 الشيخ جميل ٣٨٤
 الشيخ حديد ٥٢٧
 الشيخ دياب - جد عشيرة الدياب ٤٠٩
 الشيخ سعيد - ثائر ٦٥٥، ٦٥٦
 الشيخ شامل - البطل ٦٩٨، ٧٠١
 الشيخ شوكة ٦٧٢
 الشيخ فرج = أبو حية ٥٠٤
 الشيخ مجول - ملا ٦٤٧
 الشيخ محمود - ثائر ٦٥٦
 الشيخ نعيم ٤٥٣، ٤٥٤

- الصورة ٤١٤
الصبيح - الصبيحات ٣٧٤، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٦٦
الصبيخان ٥٨٥
الصخر ٥٤٣
الصديد ٦٢٤
الصريصات ٥٠٤
الصعب ٥٢٩، ٥٤١، ٥٦٣
صعب بن عبد الحسن ٦٣١
صعب بن متعب الأحذب ٦٢١
صعب بن الهادي ٦٣١
صفوق ٥٢٠
صفوق آل قعيشيش ٦٠٩
صفوق بن عبد الرزاق ٥١٥
صفوق بن عبد الكريم الصفوق ٦٣١
صفوق بن عجيل الياور ٢٩٨، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٣٣
صفوق بن فارس - المحزم ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٥، ٦٣١
٦٣٧، ٦٣٨
صفوق بن فيصل ٦٣١، ٦٣٣
صفوق بن محمد الملحم ٤٤٢
صفوق بن الهادي ٦٣١
صفوق الحسين ٥٠٦
صفوق الصالح ٥٢٧، ٥٣٤
صفوق العفنان ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣
صفوق العلي ٥٣٧
صفوق الفارس المزيدي الملحم ٤٤٢
صفوق الحميد ٤٥٥
صفوق الناييف العليوي الرجو ٥٤٨
الصفوية = الصفويون ٥٥٤، ٦٩٨
الصفيان ٤١٤
الصقالبة ٦٨٧
الصقر - الصقرة - الصقار - الصقور ٣٦٣، ٤٠٥،
٤١٧، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣،
٥٣٧، ٥٥٥، ٦٠٧
صقر بن مشحن الشعلان ٣٨٠
صقر المحفوظ ٤٨٣
صقر المصرب ٤٩٥
صقلان بن شامان ٤٤١
- الصقمة ٤٠٨
صلاح الدين الأيوبي = يوسف بن أيوب ٩٣،
٦٥٣، ٦٧٨
الصلالوة ٥٥٦
صلي العزاوي ٤٥٣
صلوبي بن جلعوط ٤٥٣
الصليب = الصلبة = النور ٥٢، ٥٣، ٧٣، ١١٩،
٢١٠، ٢٤٥، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٤٠،
٣٤٣، ٤٣٣، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١،
٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٥٩٨
صليبي - من الحديدين ٥٢٦
الصليبيون ٢٢، ٢٣، ٨٦، ٩٢، ١٠٢، ٤٦٣، ٤٦٤،
٤٦٥، ٤٦٦، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٧، ٦٧٨، ٦٨٦
صنج الربيعة - صنج اليحيا ٦٢٣
الصوابرة ٤٠٣
الصواجية ٤٤٧
الصوالحة ٣٧٤، ٣٧٥
الصوان ٦٦٣
صوحان بن مرادي الهديب ٤٩٨
صوركان ٦٦٤
الصوفيان ٦٤٦
صياح الطراد ٥٩١
الصيد ١٢١، ٣٤٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٧
الصيالة ٤٤٤، ٤٤٧
- « ض »
الضالع ٥٧٠، ٥٧١
الضامن ٣٨٦، ٣٨٧
ضاهر - الضاهرة ٣٨٤، ٣٨٥، ٥٤٩، ٥٧١
ضاهر بن عرسان الشديد ٣٩٥
ضاهر الجعدان ٥٨٢
ضاهر العساف ٥٩١
ضاهر المسعود آل حمد ٣٨٤
ضباب ٢٤٨ ح
ضبة ٧٢، ٢٤٨ ح
ضبعان بن الوكل ٣٧٥

طباوس بن رديني ٦٣١	الضبوب ٤٠٣
طباسران ٦٩٧	الضبية ٤٦٦
طبانلي ٦٧٢	الضجاعم ٧٦
الطبري ٧٨، ٦٨٣	الضفير ٤٤٤
الطبيشات ٤٥٥	ضناً بشر ١١٣، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٨، ٢٦٤، ح، ٣٥٩،
الطرابلس ٦٢٢	٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٢، ٤٣٥، ٤٨٩،
طراد ٣٨١، ٤٣٦	٤٩٧، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٠٦، ٦٠٧
طراد بن راكان المرشد ٤٩٥	ضناً تبع ٤٨٠
طراد بن نواف ٥١٥	ضناً حواس ٤٩٩
طراد بن نواف الصالح ٥٢٧	ضناً الحيدة ٦٠٧، ٦٠٩
طراد الزين ٤١٧	ضناً خريص ١٨٢، ٦٠٧
طراد الملحم ٢٩٨، ٣١١، ٣١٧، ٣٧٢، ٤٣٧، ٤٣٩،	ضناً سامان ٤٩٩
٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٥٢، ٥٣٧	ضناً عبید ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٢، ٤٣٩، ٤٤٨، ٤٥١،
الطرشان ٣٩٥	ضناً عربان ٦٠٧، ٦٠٩
الطرفة ٤٦٦	ضناً فريد ٥٩٧
طرفة - ابنة أخ نوري الشعلان ٦٠٠	ضناً كحيل = ضناً قائل ١٨٢، ٣٦٠، ٦٠٧، ٦٠٨،
طرودي بن نوري الملحم ٤٤٢	٦٠٩
الطريقة الرفاعية ٣٨٦، ٥٠٤، ٥٨١	ضناً ماجد - أنظر الخرصه
طسم ٦٦، ٦٧	ضناً مانع ٥٩٧
الطعمة ٤٤٧	ضناً مزروع ٦٠٧
الطلاع الحمد ٥٧٠، ٥٧١، ٥٨٠، ٥٨٢	ضناً مسلم ١١٧، ١٧٧، ١٨٨، ٢٦٤، ح، ٣٨١، ٣٥٩،
طلال أبو سليمان ٤٠٣	٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٣،
طلال - بن برجس الهديب ٤٩٨	٤٠٤، ٤٠٨، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٨،
طلال بن رشيد بن سمير ٤٠٧، ٤٠٩	٤٥١، ٤٩١، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٩٤،
طلال بن شامان ٣٩٦	ضناً مفرج ٤٠٤، ٤٠٨
طلال بن عبد الله الشعلان ٣٨٠	ضناً المكاثرة ٦٠٧، ٦٠٩
طلال بن عبد الرحمن الحسن ٦٤٠، ٦٤١	الضواحي ٥٢٨، ٥٠٤
طلال بن عبد الرزاق الصفوق ٦٣١	الضياغم ٤٨٠، ٤٨١
طلق بن مزود قعيشيش ٦٠٩	ضيغم بن حمد بن قحطان ٥٧٩
الطلوح ٤٠٦، ٤٠٨	
طه بن خلف بن محمد بن خلف بن صالح بن	« ط »
خلف ٤٨١	
طه حسين ٣٠٧	الطايي ٥٠٢
طه اللبابيدي ٤٥٢	الطارش ٥٨٥
الطهراز ٥١٦	الطاريجية ٤٥٣
الطوايع ٤١٤	الطالبيون ١٧٨
الطوالة ٥٩٢	الطاهات ٦٤٨

- عاد ٦٧، ١٧٨
العاذل - الملك ٩٢
عارف العارف ١٤
العاصي = العواصي ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢
عاصي الأحوال ٥٨٤
العاصي بن فرحان الجرباء ١٨٩، ٦١٨، ٦٢٦،
٦٣١، ٦٣٠
عاصي الناصر ٤٤٨
عافت بن جندل ٣٨٣
عافت بن عربان ٦٠٧
عافت بن مشرف الشعلان ٣٨٠
العامر ٥٩٠، ٦٤٤
عامر بن صعصعة ٧١
عامر بن الطفيل ٤٠، ١٣٠، ١٤١
عاملة ٦٩، ٧٨
العامود ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٥
العانيون ٥٨٠
عائد بن خليف ٤٠٨
عائد صفوق الفارس ٤٤٢
عائد الطالب الثويني ٣٨٩
عائد الكريم ٤١٩
عائد المطلق ٤١٤
عايد الضيف ٥٩٠
العايدة ٤٠٩
العبادات ٤٩٨
العباس - العباسية - العباسيون ٥٨، ٧٢، ٧٩،
٨٢، ٨٣، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٠٦، ١٣٦،
١٣٧، ٤٨١، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٧،
٥٨٤، ٦٥٢، ٦٨٦، ٦٩٨
عباس الإبراهيم العبود ٤٨٧
عباس باشا بن طوسون - خديوي مصر ٣٧٢
عباس حامي باشا ٤٧٩
عباس العزاوي ١٤، ١٥٢، ٢١٥، ٢٤٠، ٣٠٠،
٣١٣، ٤٦٤، ٦١٣، ٦٢١
العباسة - أخت الرشيد ٩١، ٩٢، ٩٦
عبد - الأمير - من الموالي ١٩٠، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٨،
٥٣٤
- الطوايف ٣٩٥
طوطحة ٥٧٢، ٥٨٤
الطوقان - أسرة بنابلس ٥١٢
الطوقان - من الموالي ٥١٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٤٧
الطوقان الرعية ١٢١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٥١٧
الطويحي (ملا) - الطويحيون ٦٤٧، ٦٤٨
طويريج الأحد - الأمير ٥١٥، ٥٣٤
الطويلة ٦٢٤
الطويل ٣٩١، ٤٥٤، ٤٥٥
طيء الجزيرة ٢٢، ٦٨، ٦٩، ٨٤، ٨٥،
٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٢، ١٢٢، ١٣٤، ١٨١،
١٨٥، ١٨٩، ٢٤٠، ٣٤٢، ٣٥٢، ٣٥٩،
٣٦٣، ٤٥٠، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٤، ٥١٧،
٥٧٤، ٥٧٦، ٥٨٧، ٥٩٢، ٦١١، ٦١٢،
٦١٣، ٦١٥، ٦١٦، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٩،
٦٣١، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠،
٦٤٢، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٥٩، ٦٦٠
طيطس ٧٥
الطيور ٦٢١
- « ظ »
- الظاهر - الظاهرة ٤١٨، ٥٤٥، ٥٧٠، ٥٨٢
الظاهر برقوق ٩٥
ظاهر بن حلاث ٣٧٥
ظاهر بن الدعجل بن حمد الثاني ٥٧٠، ٥٧١
الظاهر بيبرس - الملك ٩٣، ٥١٢، ٦٧٨
ظاهر الرويس ٦٢١
ظاهر العمر ٣٦٢
الظريفات ٥٧٩
الظفير - قبيلة ٣٦٤ ح
- « ع »
- العابد ٥٦٦
عابد - جد للبشارة ٥٦٦
عابد النوري ٤٦٦

عبد الرحمن باشا ٦٥٤
عبد الرحمن بك ٦٦٥
عبد الرحمن بن إبراهيم باشا ٦٦٦
عبد الرحمن بن حسن بن حسين بن عبد الله
٦٤٠ ، ٦٣٩
عبد الرحمن الجزار ٥٨٥
عبد الرحمن العبد الجادر الدندن ٤٤٨ ، ٤٤٩
عبد الرحيم - جد جيس ٤٥٤
عبد الرحيم بن العظم ٩٨
العبد الرزاق ٣٨٦
عبد الرزاق - الأمير ٥٠٢
عبد الرزاق بن حمدو الباشا ٥١٥ ، ٥٣٤
عبد الرزاق بن صفوق ٦١٨ ، ٦٣١
عبد الرزاق بن عبد الرحمن الحسن ٦٤٠ ، ٦٤١
عبد الرزاق بن محمد الدندن ٤٤٩
عبد الرزاق بن محمد العبد الكريم الصفوق ٦٣١
عبد الرزاق بن محمد الملحم ٤٤٢
عبد الرزاق بن ممدوح الطحان ٣٩٩
عبد الرزاق بن ممدوح القبلان ٤٤٢
عبد الرزاق بن نايف ٦٤١
عبد الرزاق جندي ٩٨
عبد الرزاق الحسو ٦٤٠ ، ٦٤١
عبد الرزاق العبد الكريم الحاج حسن ٥٤١ ، ٤٤٢
عبد الرزاق العمير ٦٠٧
عبد الرزاق فندي الملحم ٤٤٢
عبد السفيري ٥٩١
عبد السلام ٤٥٣
عبد شمس ٧٢ ح ، ١٢٩
العبد الصالح = ابو صويلح ٥٧٢ ، ٥٨٤
عبد العزيز - رئيس الحسنان ٦٦٠
عبد العزيز - السلطان ١٠٩ ، ١١١ ، ٥٧٣ ، ٦٨٧
عبد العزيز آل سعود - الملك ٥٧ ح ، ١١٣ ، ١٥٨ ،
٣٥٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ،
٤٣٥ ، ٤٤١ ، ٤٦٥ ، ٦٠٠ ، ٦١٤ ، ٦١٧ ، ٦٢٠
عبد العزيز آل مهيد ٥٩٧ ، ٦٠٦
عبد العزيز الأسعد الظاهر ٦٤٠
عبد العزيز بن إبراهيم ٥١٥

عبد الإبراهيم - الأمير ٥٠٤ ، ٥١٦ ، ٥٣٥
عبد الله - والد رسول الله ﷺ ٧٢ ح
العبد الله ١١٧ ، ١١٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٩ ،
٣٨٣ ، ٥٠٤
عبد الله الأحمد الفرع ٥٨٩
عبد الله باشا - والي عكا ٤١٨ ، ٤٨٣
عبد الله بن أحمد ٣٩٨ ، ٣٩٩
عبد الله بن حسن الفاعور ٣٩٦
عبد الله بن الحسين ٥٧ ح
عبد الله بن سعود ١٠٩
عبد الله بن العباس ١٣٩
عبد الله بن عبد الله الشعلان ٣٨٠
عبد الله بن علي الظاهر ٥٧١
عبد الله بن مصعب ٢٢٧
عبد الله بن منيف الشعلان ٣٨٠
عبد الله الجربوع ٥٠٠
عبد الله الجود ٤٨٤
عبد الله عبد العزيز المزيد الملحم ٤٤٢
عبد الله العمر الدندشي ٤٧٣
عبد الله العمر العباس ٤٧٩ ، ٤٨٧
عبد الله الفاضل ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢
عبد الله الكنج ٤٨٦
عبد الله الهفل ٥٦٨ ، ٦٤٣
عبد البليح ٥٩٠
عبد بن إبراهيم بن صالح ٥١٣
العبد الجادر ٥٦٦
عبد الجادر الناصر ٤٤٨
عبد الجبار العقاب ٥٠٣ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠
عبد الحميد - السلطان ٨٦ ، ١١١ ، ٢٩٧ ، ٣٢٠ ،
٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٤٤٩ ، ٤٨٥ ، ٤٩٧ ، ٥٢٤ ،
٥٢٥ ، ٦١٧ ، ٦٤٣ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨
عبد الحميد بن إبراهيم باشا ٦٦٦
عبد الحميد بن الشايش ٥١٥
العبد الحي ٤٥٣
عبد الدار ٧٢ ح
العبد الرحمن ٦٣٩ ، ٦٤٠
عبد الرحمن آغا الهسو ٦٦٢

- عبد العزيز بن رميح الملحم ٤٤٢
عبد العزيز بن الشايش ٥١٥
عبد العزيز بن طراد الملحم ٤٤٢
عبد العزيز بن عبد الله الملحم ٤٤٢
عبد العزيز بن عبد القادر الكيلاني ٤٥ ، ٤٦
عبد العزيز بن فرحان الصفوق ٦٣١
عبد العزيز بن محمد الدندن ٤٤٩
عبد العزيز بن مزود بن قعيشيش ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٩
عبد العزيز بن مزيد الملحم ٤٤٢
عبد العزيز بن مسلط الصالح الملحم ٦٤٣ ، ٦٤٤
عبد العزيز بن ممدوح القبلان ٤٤٢
عبد العزيز بن مهنا الملحم ٤٤٢
عبد العزيز الزويع ٦٤٥
عبد العزيز سحيل ٦٦٠
عبد العزيز الشتوي ٤٩٥ ، ٤٩٦
عبد العزيز الصالح ٥٢٧
عبد العزيز الكعشيش ٣٦٥
عبد الفارس ٥٨٤
عبد القادر بن محمد الدندن ٤٤٩
عبد القادر الجزائري ٣٦
عبد القادر فهم ٤٤٩
عبد القادر الكيلاني ٦٤٠
عبد القادر المغربي ١١٨ ح
عبد القيس ٧١
العبد الكريم ٥٦٦
عبد الكريم الأحمد ٥٢٤
عبد الكريم باشا ٥٨٣
عبد الكريم البركات ٣٩٨ ، ٣٩٩
عبد الكريم بن أحمد - من الموالي ٥١٥
عبد الكريم بن زراق الدندن ٤٤٨ ، ٤٤٩
عبد الكريم بن عبد الله آل سمير ٤٠٩
عبد الكريم بن عيسى السليمان ٥٦٧
عبد الكريم بن محمد العبد الكريم الصفوق ٦٣١
عبد الكريم الحاج حسن ٥٤١
عبد الكريم الصفوق الفارس ٦١٨ ، ٦٢٥ ، ٦٣٠ ، ٦٣١
- عبد الكريم محمد السعود الملحم ٣٧٢ ، ٤٤٢
عبد اللوق ٥٧٢ ، ٥٨٤
عبد المجيد - السلطان ١٠٩ ، ١١٠ ، ٤٣٥ ، ٥٦١ ، ٦٧٩
عبد المحسن بن عبد الرحمن الحسن ٦٤٠
عبد المحسن بن فرحان الصفوق ٦٣١
عبد المحسن العبد الكريم الصفوق ٦٢٥ ، ٦٣١
عبد المحسن الهفل ٢٩٧
عبد المطلب ٧٢ ح
عبد مناف = عبد المناف ٧٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧
العبد المنصور ٦٦٢
عبد الهادي بن ممدوح القبلان ٤٤٢
عبد الهادي فندي الملحم ٤٤٢
عبدو آغا المرعي ٦٥٩
عبدو بن أسعد العاشق ٥٤٤
عبدو الخلف الغنام ٥٥٧
عبدو آغا خلو ٦٦١ ، ٦٦٢
عبدو آغا محمد المرعي ٦٦٠
عبدو باشا ٥١٥
العبد ١٠٨ ، ٤٨٠ ، ٥٧٩ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ٦٣٧
عبد ٥٤٢
عبد ٧١ ، ٧٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠
عبد - جد الدنادشة ٤٨١
عبد الضيفمي ٤٨٠
عبد الفارس ٥٨٤
العبدية ٤٨١
العبيد - السودان ٤٥٣
العبيد - عشيرة ٩٩ ، ٣٥٩ ، ٤٥٥ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٦ ، ٥٥١ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٦
٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٩١ ، ٦١١ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٣٧ ، ٦٦٥
عبيد - جد للبشارة ٥٦٦
عبيد - حفيد ابن غيب ١٩١ ، ٥٩٦ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧
العبيدات ٥٥٦ ، ٦٤٦
عبيد أخوات سارة = السودان ٤٠٩
عبيد الله بن زياد ١٤١

- عبيد بن عبد الله الملحم ٤٤٢
عبيد بن محول الصفوق ٦٣١
عبيد بن معيوف ٤٥٩، ٤٦٦
عبيد الكلش ٥٧٠، ٥٨١
عبيدة ٥٤٦
العنابة ٤٠٣
عتبة - عتيبة ٧٢، ٣٩٧، ٦١٤
العتيق - العتيقات ٤١٤، ٤٥٤، ٤٧٣
عثمان - جد بوحيار ٤٥٤
عثمان آغا - كئخذاه ١٠٦
عثمان بن عفان ١٣٨، ١٧٨، ٦٨٣
عثمان العبد الله ٥٧٠
عثمان المحمد الإبراهيم ٤٨٧
العثمانية - عشيرة ٤٨١
العثمانيون = آل عثمان ٢٢، ٥٨، ٩١، ٩٨، ١٠٢،
١٠٦، ٤٥٣، ٤٦٦، ٤٨٤، ٥٠٨، ٥٠٩،
٦١٧، ٦١٨، ٦٥٣، ٦٥٨، ٦٦٤، ٦٧٥،
٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩
٧٠١، ٦٩٨
العجاج ٥٠٣
العجاجة ١٩٠، ٤٤٧، ٥٧٧، ٥٨٤، ٥٩٧، ٥٩٨،
٦٠٠
عجاجة ٥٧٢، ٥٨٤
العجاشة ٦٢١
عجافة ٤٧٤
عجامة = عكارمة ٣٩٥، ٣٩٨
العجل ٦٢٣
العجلان ٨٤، ٤٩٦، ٥٥٨
العجم ٦١٧، ٦١٨، ٦٧٣، ٦٨٤
العجيل - العجيلات ٤٩٨، ٥٤٥، ٥٦٤، ٥٨٩،
٥٩٠
عجيل (عجيل) بن عبد العزيز بن فرحات
الياور ٩، ٣٩٨، ٥٧٧، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٢٦،
٦٣٥، ٦٣١
عجيل بن يعيش ٤٤١
عجيل بني سعيد ٥٥٨
عدنان - عدنانيون - عدنانية ٦٨، ٧٣، ٨٠، ١٣٥،
١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣،
٣٥٧، ٤٢٩، ٤٤٤، ٤٦٥، ٥١٤، ٦١٢
عدنان بن زعل السلوم ٣٩٥
العدوان ٤٦، ٧١، ٤٤١، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٦٣، ٦٦٤
عذاب السرحان ٥٠٥، ٥٣٠
عذرة ٧٠
عذوب بن محول ٣٧٩
العراجي ٥٠٣
العرار ٤٤٧
العرافي ٤٥٣
العراقية ٤٦٦، ٥٧٢، ٥٨٥
العرامنة ٤٥٠، ٤٥٣
العرانسة ٥٨٥
العرضان ٣٧٤
العرفوش ٥٨٥
العرکش ٥٥٠
عريب ٩١
العزام - العزيمات ٤٩٨، ٥٨٢
عزام - من الأبي حسن ٥٧١
عزام الجعدان ٥٨٢
عزائم بن فحل ٤٨١
عزب المحمد الهرة ٥٨٥
عزت سليم ٧٠١، ٧٠٢
عز الدين - العزايزة ٣٩٦، ٤٠٩
عز الدين بن الشيخ نعيم ٤٥٤
عز الدين بن محمد بن غانم ٥٧١
عز الدين التنوخي = انظر عز الدين علم الدين
عز الدين الرجون العلبوني ٥٠٦
عز الدين علم الدين = عز الدين التنوخي ١٤،
٢٢٦، ٢٢٩
عز والجاسم العزو ٥٠٤
عزو المحييد ٤٥٥
العزول ٣٧٤
العزي ٦٢٣
العزيران ٦٦٣
العساسنة ٥٣٩، ٥٤٠
العساف ٦٩ح، ٥٥٣، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠

٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ،	العساف الظاهر ٥٨٠ ، ٥٨٤
٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ،	العشبان ٥٨٥
٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٦٢٣ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ،	عشير السمر ٦٤٠
٦٦٥ ، ٦٤٣	العصفور - العصافير ٤١٥ ، ٤٥٥
عقيدات الجزيرة - عقيدات حماء - عقيدات	العصيات ٥٤٨
حمص - عقيدات دير الزور - عقيدات	العصيات ٤٤٥
الغوطية - عقيدات الفرات ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،	العضاب ٤٥٧
٤٥٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٤٠ ، ٥٦٢ ، ٥٨٣ ،	عصيب ٤٤٨
عقيل ٧١ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥	العضيات ٣٤٠ ، ٣٤٣
عقيلي = عكيلي ٢٦ ، ١١٣	العطقة ٣٨٩
العكاب ٦٢٢	العطو ٤٥٥
العكارشة ٤٤٧	العطية ٣٧٤ ، ٣٧٥
العكاشات ٥٢٨	عطية النمر ٤١٦
العكيدات ٥٦٤	العطيرات ٣٩٤
العكيش ٥١٦	العطيفات ٤٠٨ ، ٤٤٣
علاء الدين ٦٧٠	عطويات الخواش ٣٨٩
علادينان ٦٧٠	العظامات ٢٩ ، ١١٩ ، ٤٠١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ،
علاوي الصالح ٥٧٩	العظيمات ٤٣١
العلقاوين ٤٥٠ ، ٤٥٣	عفادلة - عفادلة الجزيرة - عفادلة الشامية ٢٢ ،
علقمة بن علاثة العامري ١٣٠ ، ١٤١	٣٤٢ ، ٥٤٩ ، ٥٦٧ ، ٥٧٤ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ،
العلمة ٣٧٤ ، ٣٧٥	٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٥
علوش الكوسان ٣٨١	العفاريت ٦٢٣
علوه الأبرز ٥٣٠	العفاولة ٣٩٧
العلويون - العلوية ٧٢ ح ، ٤٨٤ ، ٥٢٤ ، ٦٥٣ ،	العفيشات ٥٧٧
٦٨١	عقاب بن عجل ٥٤٠ ، ٥٧٩ ، ٦٢٣
العلي ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤١٩ ، ٤٤٣ ، ٥٠٤ ، ٥٤١ ، ٥٦٦ ،	عقبان دم ٦١٢
٥٧٢ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٩٠ ، ٦٤٤ ،	العقرب ٥٩١
علي الإبراهيم ٥٠٥	العقلة ٤٥٣
علي الأحمد ٤٧٣ ، ٥٦٣	عقلة السبخان ٥٧٠
علي الأزار ٥٨٤	عقلة العكاش ٥٤٢
علي الأسعد المرعي ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٦٥٨ ،	العقيدات ١٠ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٦٨ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
علي الأطرش ٣٩٧ ، ٣٨٠	١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٨١ ،
علي باشا - والي بغداد ٣٦٤	٢٦٤ ح ، ٢٩٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،
العلي بك ٥١٦	٣٦٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٣ ، ٤٥٦ ،
علي بك - الكبير ١٥١ ، ١٥٢	٤٨٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٤٠ ،
علي البكوري ٥٥٩	٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٨ ، ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥ ،
علي بن أبي طالب ٢٥ ح ، ٥٨١ ، ٦٥٣ ،	٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ،

- علي بن برجس الهديب ٤٩٨
 علي بن الحاج مستو ٥٥٦
 علي بن حديثة بن عقبة بن فضل ٨٦، ٩٢، ١٠١، ١٠٢
 علي بن خاطر الهديب ٤٩٨
 علي بن شلال ٦٣١
 علي بن ظاهر الدعجل ٥٧١، ٥٧٢، ٥٨١
 علي بن عبد الرحمن الحسن ٦٤٠
 علي بن عبد الرزاق الصفوق ٦٣١
 علي بن فخر الدين - الأمير ٤١٠
 علي بن قطايع ٥٧٠، ٥٧١
 علي بن كنج ٣٩٦
 علي بن محول الصفوق ٦٣١
 علي بن مدلول ٦٣١
 علي بن نواف قعيشيش ٦٠٩
 علي بن وهب ٤٤١
 علي الحاجي ٥٨٦، ٥٨٩
 علي الحسن ٥٨٤
 علي الخضر ٥٤٦
 علي الخليف ٥٨١
 علي الدرويش ٥٠٢
 علي الدعجل ٥٧١
 علي الدعيان ٥٨٥
 علي دعيجل بن محمد ٥٧٠
 علي الدلي ٣٨٦
 علي الدندن ٤٤٨، ٤٤٩
 علي الراشد ٥٤٥
 علي الزويع ٦٤٥
 علي السام ٥٦٨، ٥٧١
 علي السلطان ٦٤٠، ٦٤٥
 علي العبد ٥٨٦
 علي العبد المفلح ٥٨٦
 علي العرسان ٤٣٣
 علي العشبان ٣٨٩
 علي العموري ٥٠٠
 علي العيسى ٥٥٩
 علي القدر ٣٩٢
- علي الحمد العيسى الرمضان ٥٥٥
 علي الحينة ٤٤١
 علي النجرس ٥٧٧
 علي الوهبان ٤٥٣
 العليان ٨٥، ٤٤٧، ٦٠٧، ٦٢٢، ٦٢٣
 عليان بن هاشم ٦٣١
 العليوي ٤٤١، ٥٧٢، ٥٨٢، ٥٨٥
 العليوي بن رحمة ٥٧١
 العماد الأصهباني ٦٥٣
 عماد الدين زنكي ٦٧٨
 عمار ٥٥٨
 العمارات ٢٨، ١١٧، ٢٥٢، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٦٦، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٣٧، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٠٠، ٦٠٦، ٦١٥
 عمارات العراق ٢٨١، ٢٩٤، ٤٥١
 عمارة - ٣٥٩، ٣٦٧، ٦٠٧
 العماري ٥٦٤
 عماش بن عبد المحسن ٦٣١
 عماش العبد الصالح ٥٨٥
 العمالة ٤٤١
 العمامرة ٥٩٠
 العمائر ٤٤٥
 العمر ٥٥٧
 عمر باشا - السردار ٤٦٢
 عمر باشا أبي منقور ٥٧٣
 عمر بن أبي ربيعة - الشاعر ٣١٣
 عمر بن أحمد طحان ٣٩٩
 عمر بن الخطاب ٦، ٦٩، ٧٠، ٧٨، ٣٥٤، ٥٨٧، ٦٨٣
 عمر بن عبد العزيز ٥٨
 عمر بهجت الصابوني ٥٤٦ ح
 عمر الخرواتي - المشير ٥٧٣
 عمر الدويهي ٤٠٨
 عمر العتيق ٥٦٣

العمران ٤٥٧
عمرو بن الإطنابة ١٤٥
عمرو بن الحميدي ٦٣١، ٦٣٠
عمرو بن كلثوم بن مالك ٧٧، ٥٣١
عمرو بن معد يكرب الزبيدي - أبو ثور ٥٦٢،
٥٦٨، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٨٧، ٦٤١
عمرو بن هند ٧٧
العصمات ٥٩٠، ٦١٨، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٨
عمشة - ابنة شيخ طيء ٦٩، ٦١٨، ٦٣٧، ٦٣٨
العصور ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٦٥،
٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٣٣، ٤٤١
٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٥٩٦، ٦١٤
عمور أبو حربة ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨
عمور الجراح ٣٤٣، ٤٥٧، ٤٦٦، ٥٩٦، ٥٩٨
عمور الخرسان ٤٥٦ - ٤٥٧، ٤٥٨
عمور العمري ٤٥٧
عمور الفراخ ٤٥٧، ٤٩٨
عمور الملحم ٤٤١، ٤٥٧
عمور المنديل ٤٥٧
عمور المهارشة ٣٤٣، ٤٥٦، ٤٥٧
عموري الأخرس ٤٥٧
العميرات ٤١٤، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٤١، ٥٤٥، ٥٥٥،
٥٥٦، ٥٦٠، ٦٤٤
العميرة - العميرية ٣٥٨، ٤٩٦، ٥٥٦
العميطة ٥١٦، ٥١٧
العميقي ٦٧٣
العنابرة ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٥، ٥٧٩، ٥٨٣، ٦٦٥
العناترة ٤٥٧، ٤٦٦
عناد بن أحمد الملحم ٤٤٣
عناد بن مقاط السمر ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩
عنبر بن خلف ٥٧١
عنتر بن شداد = عنتره العنسي ١٠١ ح، ١٢٦
عنز بن وائل بن أسد بن ربيعة ١٨١، ٣٥٧
٣٥٩، ٣٦٦
عنزة ٢٨، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٨٨، ٩٩، ١٠٧،
١٠٨، ١١١، ١١٧، ١٥٨، ١٧٤، ١٧٧،
١٨١، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٤

العيزان ٤١٤، ٥٠٢
العوابدة ٥٤٤
العواجي ٦٠٨
العواد ٥٤٩، ٥٥٠
عواد الأحمد ٧٤٤
عواد البريكة ٤١٥
عواد بن الوضيحي ٤٩٥
عواد الجلعوط ٤٤١
عواد الزعف ٤٦٦
العوازم ٤٦٤
العواصات ٥٥٦
العواظ ٤٠٦، ٤٠٨
العوان ٥١٦
العودة ٣٨٤، ٦٢٤
عودة أبي تايه ٣٧٩
عودة الخضع ٣٧٤
عودة السرور ٤١٤، ٤١٥
عودة صفوق الفارس ٤٤٢
عودة القسوس ١٤، ٣٦٠
العوران ٤٠٣
عوض بن صالح الطحان ٣٩٩
العويد ٥٠٢

العون ٤١٧، ٥٤٦، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠،	العيير ٤٤٣
٥٦٤	
عويديس بن مجول الشعلان ٣٨٠	« غ »
العويسات ٥٤٢، ٥٤٩	غازان ١٠٢
العويش - العويشات ٣٩١، ٣٩٧، ٤٧٣، ٥٧٢،	الغازي ٤٨٩، ٥١٦، ٥١٧
٥٨٤	غازي بن الشايش ٥١٥
عويضة الأخضع ٢٦٤ ح	غازي القعقاع ٣٧٤
العويمر ٤٣٦، ٤٤١	الغازي مثلا ٦٩٨
العوينان ٣٧٤	غالب بن محمد بن سمير ٤٠٩
عبادة بن العاصي ٦٣١	غالب بن مساعد - شريف مكة ٦١٥
عبادة صفوق الفارس ٤٤٢	غالغي ٧٠٢
العباش ٥٠٢	الغانم ٤١٣، ٤١٩، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٨٩، ٥٩٠
عباش النعير ٣٨٨	غانم بن سويلم ٥٧١، ٥٧٢
عباض بن غم ٢١، ٧٨، ٥٦٥	الغانم الظاهر ٥٨٨
العبان ٥٥٣	الغبان ٤٦٦
العبان ٥٨٦	الغباء ٧٢، ٧٣
عبان عبيد ٥٧٨	الغبية ٤٠٩
عيد بن نواف الصالح ٥٢٧	الغم ٦٢٢
عيد المسعود ٣٩٥	عثوان بن سليمان ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٥
العباب ٦٢٣	عثوان المرشد ٤٩٢
العيسى ١٠٣، ٣٦٢، ٣٩٢، ٤٠١، ٤١٣، ٤١٦،	الغثيث ٥٤٢، ٦٤٠
٥٨٢، ٥٠٧	غثيث بن حسن العمالة ٥٤٩
عيسى آغا - الكطنية ٦٦٣	غثيث بن حسين العمالة ٥٤٢
عيسى الآغا العبد الكريم ٦٦٣	الگران ٥١٦
عيسى بن الظاهر بيبس ٩٣	الغراوين ٥٦٣، ٥٩٦
عيسى بن فضل ٩٦	الغريان ٥٠٣
عيسى بن محمد العيسى الرمضان ٥٤٣	الغرة ٣٩٧
عيسى بن مهنا ٨٩، ٩٠، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ١١٢،	الغريب ٦٢١
عيسى السليمان ٥٦٧، ٦٤٦	الغزال ٦٢٣
عيسى الشريف ٥٣٩	غزة ٥٦٤
عيسى الظاهر ٥٥٢	غزوة بنت رشيد آل سمير = زوجة نوري الشعلان
عيسى الفحل ٢٩٧	٤٠٨، ٤٠٩
عيسى الفياض ٤٥٥	الغسانة = غسان ٦٩، ٧٦، ٧٨، ١٣٣، ١٣٤،
عيسى الحمد العيسى الرمضان ٥٥٥	١٧٨، ٤١٥، ٤٢٨، ٤٢٩
العيطة ٣٩٨	الغشم - الغشوم ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٤٣، ٦٢٢، ٦٢٣
عيفير بن شبيث ٤٥٢	الغضا ٦٢٢
عيون الحصن ٦١٢	الغضارة ٦٠٨

- غطفان ٧١
 الغفيلة ٦٢١
 الغلاض ٥٥٨، ٥٥٩
 الغليم ٥٠٢
 الغناطسة ٣٤٠، ٣٤٣، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٧،
 ٥٥٠، ٥٤٨، ٥٣٠، ٥٢٩
 الغنام - الغنامة ٤٧٣، ٥٤٤، ٦٣٨، ٦٤٠
 غنام بن علي بن سالم بن صهيبي ... ٥٦٨، ٥٧٠،
 ٥٧٧، ٥٧١
 غنام الحمد ٥٤٥
 الغنائم ٤٤٧، ٤٤٨، ٥٤٥، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٤
 غندور بن حمود ٥٢٧
 غنطوس ٥٢٦
 الغوام ٤١٥
 غورو - الجنرال ١١٢، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٠٧، ٤٨٥،
 ٦٢٥
 غونزيب ٦٩٧
 الفيث ١١٣، ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٨٤، ٣٨٧،
 ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٤١٤، ٤٢٦،
 ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٦
 الفيثار ٣٤٣
 غيلان بن خرشة ٣٨
- « ف »
- فاتك الحسيني ٣٨٥
 فائتلة ٥٢٦
 فارس - جد لحرب ٦٤٥
 فارس آل قعيشيش ٦٠٩
 فارس باشا الصفوق الفارس ٦٢٥، ٦٣٠، ٦٣١
 فارس بن برجس الهديب ٤٩٨
 فارس بن جار الله ٦٣١
 فارس بن الحميدي ٦٣١
 فارس بن صفوق الجرباء ٦٩ ح، ١٠٨، ٦١٥،
 ٦١٦، ٦١٨، ٦١٩، ٦٣٧
 فارس بن فهد الشعلان ٣٧٢، ٣٨٠
 فارس بن مزيد الملحم ٤٣٦، ٤٤٢
- فارس بن هدية الهديب ٤٩٨
 فارس الحسان ٣٨٦
 فارس الصباح ٥٧٠، ٥٨٤، ٦٣٣
 فارس العطور ١٩٠، ٥١٨، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٣٥
 فارس العفاش ٣٩٥
 فارس القطيني ٥١٣
 الفارعة - أخت الوليد بن طريف ٢٢
 الفاضل ٤٥٣
 فاضل بن صالح آل مهيد ٦٠٥
 فاضل رعد ٤٨٣
 فاضل سليمان الملحم ٤٤٢
 فاضل المزيد ٣٦٣، ٤٣٦، ٤٤٢
 فاضل المطرود ٤٤١
 الفاطميون ٨٢، ٨٣، ٩١
 فاعور ٥٨٢
 فاعور الأول ٣٩٣
 فاعور بن محمد ٣٩٦
 فاعور بن محمود بن فاعور ٣٨٠، ٣٩٣، ٣٩٤،
 ٣٩٦، ٤٥٥، ٥٣٧
 فانوس ٢٦٤ ح
 فانوس بن رديني ٦٣١
 الفائز ٣٧١
 فائز آغا بن محمود آغا ٦٨٠
 فائز بن نواف الصالح ٥٢٧
 فائز عجاج الشهابي - الأمير ٤١٨
 الفايز - من بني صخر ٢٥٢
 فايز الغصين ٢٩٧
 فايز المعجل ٤٥٧
 فجر بن محمد الدندن ٤٤٩
 فحل جد الفحيلية - الفحيلية ١٠٣، ١٠٨، ٣٦٢،
 ٤٠١، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٦، ٤١٨،
 ٤٨٠، ٤٨١
 فحل الخليل ٥٥٨
 الفخر ٤٥٤
 فخر - جد العتيق ٤٥٤
 فخر الدين المعني ٩٧، ٣٦١، ٤١٠، ٤١٦
 الفداغة ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٥، ٦٢٨

- فدعاش بن حريبة ٣٧٥
 الفدعان ٣٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠٨، ١١٠، ١١٧، ١٧٧،
 ١٨٢، ١٨٤، ١٩٠، ١٩١، ٢٣٠، ٢٤٤،
 ٢٥٢، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١،
 ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩،
 ٣٧٢، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥١، ٤٦٦، ٤٩٠،
 ٤٩٧، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٤،
 ٥٥٠، ٥٥٥، ٥٧٤، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٦،
 ٥٨٩، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧،
 ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣،
 ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٤،
 ٦١٥، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٤٧، ٦٦٥
 فدعان خرسة ٢٢، ١١٣، ١١٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٩١،
 ٢٤٠، ٤٩٠، ٥٦٦، ٦٣٢، ٦٤٧
 فدعان ولد ٢٢، ١١٩، ١٨٢، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٦٠،
 ٤٥٧، ٤٩١، ٤٩٧، ٥٥٠، ٥٧٧، ٥٩٠،
 ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٠٥، ٦٤٧
 فدعان بن مفدع ٥٩٧
 فدعوس بن شبيث الرمضان ٤٥٢، ٤٥٠
 فدعوس بن هيبان ٤٠٨
 فدغم بن محمد بن سمير ٤٠٩
 الفراجة ٦٦٤
 فراعنة ٦٨
 الفراهة ٣٨١
 الفرغ ٥٧٠، ٥٤٤، ٥٩٩
 فرج آل عقاب الحسيني ٥٠٤
 فرج أبو سليمان العواد ٤٥٣
 فرج بن رشيد ٤٤١
 الفرجة - من الأرولة ٢٤٠، ٢٦٤، ٣٦٨، ٣٧٤،
 ٣٧٥
 فرحان آغا العيسى ٦٦٣
 فرحان بن جاسم بن فارس بن حمود آل معجل
 ٣٨١
 فرحان بن حجر الشعلان ٣٨٠
 فرحان بن ساحم ٣٨١
 فرحان بن صالح الهديب ٤٩٨
 فرحان بن صفوق الجرباء ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٦،
 ٦٣٠، ٦٣١
 فرحان بن طلال الهديب ٤٩٨
 فرحان بن عناد بن مقاط آل سمير ٤٠٩
 فرحان بن مجول الصفوق ٦٣١
 فرحان بن محمد بن سمير ٤٠٩
 فرحان بن مشهور ٣٧١
 فرحان بن ممدوح القبلان ٤٤٢
 فرحان بن هديب ٤٩٧
 فرحان محمد الفارس الملحم ٤٤٢
 الفردون ٥٥٣، ٥٨٧
 الفرزدق - الشاعر ٨٠
 الفرس ٥٦، ٥٧، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٢،
 ٩١، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٧، ٦٥٢
 فرنسا - الفرنسيون - الإفرنسيون ١٦١، ١٨٢،
 ٢٦٠، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٧٦،
 ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٨،
 ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٢٨، ٤٦٦، ٤٨٤، ٤٨٥،
 ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٢، ٥٠٠، ٥٠٩، ٥١٨،
 ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٣،
 ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٦٧، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦،
 ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٩٥، ٥٩٩، ٦٠٦، ٦٠٧،
 ٦٠٩، ٦١٨، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٦، ٦٣٣،
 ٦٣٤، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦،
 ٦٧٠، ٦٩٤، ٦٩٥، ٧٠٢
 الفريج - الفريجياوية ٤٠٩، ٥٤٧
 فريد بن فدعان ٥٩٧
 فريد الخازن ٤٠٦
 الفريعات ٤٩٩
 فزارة ٧٢
 فزاع بن الهادي ٦٣١
 فصعلة ٥٢٧
 فصيح الجاسم الغانم ٥٦٢
 فضة بنت عبيد باشا ٥١٥
 فضل بن ربيعة ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢،
 ٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١٢١، ٣٤٣، ٥٠٧
 الفضل بن العباس ٩٧-٩٨
 فضل بن عيسى ٩٢، ٩٤، ٣٩٢، ٣٩٣
 فضل بن مهنا ٩٦، ٩٧
 عشائر الشام (٤٨)

- فواز بن نواف الشعلان ١٨٤، ٣٥٧، ٣٦٥ .
 ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٤٣٣
 فواز السليم ٣٨٦
 فواز شامان الملحم ٤٤٣
 الفواطرة ٥٤٦
 الفواعة ١١٩، ١٩٣، ٣٤٠، ٣٤٣، ٤٣٣ ،
 ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤
 فوزي بن حسن الفاعور ٣٩٦
 فولناي - السائح ١٠٠، ١٠٣، ٤١٦، ٥١٠، ٦
 فون أو بنهايم ٩، ١٧، ٥٩٨
 فياض ٩٧
 فياض بن إبراهيم ٥١٦
 فياض بن بشير المرشد ٤٩٥
 فياض بن محمد الخرفان ٥١٦
 فياض بن مهنا ٩٦، ٩٨، ١٠٢، ٥٠٩
 فياض خليل آغا ٦٧١
 فياض الذرية ٥١٤، ٥٢٥
 فياض السها ٥١٤، ٥٢٥
 فياض الكنج ٥٤٤
 فياض الناصر العبد الله ٥٧٠، ٥٧٨
 الفيافي ٤٤٧
 فيشي ٦٠٦
 فيصل - جد لحرب ٦٤٥
 فيصل بن الحسين - الملك ٨، ١١٢، ٣٧٥ ،
 ٣٨٨، ٣٩٤، ٤٠٧، ٤١٨، ٤٣٧ ،
 ٤٨٥، ٤٩٢، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٣٢ ،
 ٥٩٨، ٥٩٩، ٦١٩
 فيصل بن الشايش ٥١٥
 فيصل بن عبد الله الشعلان ٣٨٠
 فيصل بن فرحان الصفوق ٦٣١
 فيصل بن محمد الصفوق الرجو ٥٤٨
 فيصل بن نواف الصالح ٥٢٥، ٥٢٧
 فيصل بن نوري الملحم ٤٤٣
 فيصل الدرويش ٣٧١
 فيصل راجع الملحم ٤٤٣
 فيصل الشعلان ٣٧٠، ٤٠٦
 فيلبوس العربي ٧٦
 فضل علي بن حديثه بن عقبة ٩٢
 فضيضة ٥٢٦
 الفضيل ٦٠٨، ٦٢٣
 الفطارة ٤٩٨
 الفقرة - الفقراء ١٦، ٣٦٨، ٤٠٤، ٤٣٤، ٤٤١، ٥٩٠
 فقول (العامة) ٦٨٨
 الفقيس ٤٥٧
 الفلاية ٥٩٧
 الفتلة - الفتيلة ٣٧٤، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٨٠
 فحوش بن مواج ٤٩٦
 فنج - شيخ الحسيكات ٣٨٥
 الفنند ٦٢٣
 فندي ٤٣٦
 فندي آل قعيشيش ٦٠٩
 فندي سعود الفارس الملحم ٤٤٣
 فندي الصالح ٥٢٧
 فندي الملحم ٢٩٨، ٤٣٩
 الفنوص ٣٩٤
 الفنير ٥١٦، ٥١٧
 فهد آل قعيشيش ٦٠٩
 فهد بن جامل بن غنام ٥٧٢، ٥٧١
 فهد بن ساحم ٣٨١
 فهد بن العاصي ٦٣١
 فهد بن عبد المحسن ... بن حبلان ٤٤٣
 فهد بن مطلق الحميدي ٦٣١
 فهد بن نواف الصالح ٥٣٧
 فهد بن هزاع الشعلان ٣٧١، ٣٨٠
 فهد العفنان ٤٥٠
 فهد الهذال ٦٠٠
 فهم ٧١
 فؤاد حمزة ١٤، ١٧٩، ٣٥٨، ٤٤٥، ٦٠٨
 الفواخرة ٣٩٧، ٤٠٧
 الفوارس ٥٩٧
 فواز - جد السردية ٤١٧
 فواز بن راكان المرشد ٤٩٥
 فواز بن الشايش ٥١٥
 فواز بن نايف الشعلان ٣٨٠

- فيليب الخازن ٤٠٦
الفينيقيون ٦٦، ٤٢٩
- « ق »
- القاجاري ٦٥٥
قاسم الصفيان ٤١٤
قاضي قوموق ٦٩٧
القالموق ٦٨٤
قانسو الغوري ٦٨٦
قايتباي ٦٨٦
قائل بن ماجد ٥٩٧
قاي خان ٦٧٨، ٦٧٥
قبارطاي ٦٩٢، ٦٩٣
القبلان ٤٤١، ٤٤٢، ٥٠١
قبلان بن حسن ٣٩٦
قبلان السويدي ٤١٤
قبلان الملحم ٤٤٢
القبليون - من السوالي ٥١١، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٨، ٥١٧
القبول ٤٠٩
القبصة ٥٧٧، ٥٨١
قبصة بن بكر بن غانم ٥٧١
القبصات ٥٤٧
قحطان - قحطانية - قحطانيون ٦٨، ٧٠، ٧٣، ٨٩، ٩١، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٨٣، ٤٦٥، ٤٨٠، ٥٠٧، ٥١٤، ٥٦٨
٦١٢، ٦١٣، ٦٢٠، ٦٤١، ٦٥٢
قديم الصالح ٥٧٧
قراسنقر ٩٦
القراشة ٤٣٤، ٤٤١
القراق ٤٥٣
القرامطة ٥٨، ٥٤٩، ٥٦٤
القرشاي ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٩٢، ٦٩٣
القرعان ٥٧١، ٥٧٢، ٥٨٢، ٥٨٣
قرنيس بن الحميدي ٦٣٠، ٦٣٢
قره قيونلو - أنظر : ذوو الغنم السود
قره كج ٦٦٧، ٦٧٤
- قره كيجان ٦٧٠
قره محمد باشا ١٠٤
القروح ٥٩٧
قريش ٧٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٧٧، ١٧٨، ٥١٤، ٤٤٤
قريص بن نصير ٣٧٥
القريطات ٥٠٤
القرم ٦٨٦
قرم بن حسن الغنطار ٤٥٠
القشور ٥٩٧
القشوش ٣٨٤
قشير ٧١، ٨٤
القصيرين ٣٩٥
القضاة ٥٨١، ٦٤٤
قضاة ٧٠، ٧٦، ٣٥٨
القضة ٤٤١
القطارة ٤٩٨
القطاطية ٤١٠
القطامي ٧٨، ٢٤٧
قطايع بن كامل (جامل) ٥٧٠، ٥٧٧
قطر - أنظر الملك المظفر
قطوان بن بصراوي آغا ٦٧٢
القعاقة = الكعاجة ٣٧٤
القعقاع - من الأرولة ٢٦٤ ح، ٣٦٩، ٣٧٥
قعيم بن سلامة ٣٧٥
القعيط ٦٢٣
القلابنة ٣٨٩
قلاوون - المنصور ٩٣، ٩٤
قلعي الشريدة ٥٨٦
القلعيون ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢
القلقشندي - أحمد بن علي ١٣، ١٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٦، ١٠١، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩ ح، ٣٤٩، ٣٩٢، ٤١٣، ٤١٥، ٤٤٤، ٤٤٥
القمان ٥٥٧
القناصة ٥٢٦، ٥٢٧
القوادة ٥٣٨، ٥٣٩

٥١١ ، ٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٥ ، ٥٦٧ ،	القواسمة ٥٢٨
٦١١ ، ٦١٧ ، ٦٢١ ، ٦٢٨ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ ،	القواويس ٥١٦ ، ٥١٧
٦٢٩ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ،	قوبان ٦٤٤
٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ،	قودان بن نواف الصالح ٥٢٧
٦٦٢ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ،	القوزاق ١٥١ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧ ، ٦٨٧ ، ٦٩٠
٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٨ ، ٦٩٥	القوصحة ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣
كردي بن سميح ٦٣١	القوموق ٦٨٤
كردي بن هزاع الشعلان ٣٨٠	قيس = جيس ٧١ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ٤٥٣ ،
الكريدين ٣٩٧	٥٢٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،
الكريش ٥٠١	٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٤ ،
كريشان ٦٧٢	٥٦٦ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ،
كريم بن حسن الغنطار ٤٥٠	٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٩ ، ٦٠٤ ، ٦٠٧ ،
كريم المدهول ٦٠٧	٦١١ ، ٦١٥ ، ٦٣٧ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧
كسرى - أبرويز ٩١ ، ٦٣٩	القيسي ٤٤٧
كعب ٨٤ ، ٨٥	قيس عيلان ٨٠
كعب بن جُعيل ٧٨	القيصر ٦٩٩
الكلابات ٤٠٩ ، ٤١٠	القين ٧٩
كلاب بن جازي ٣٧٩	
كلب - الكلبون ٧٠ ، ٧٨ ، ١٣٨ ، ٣٥٣ ، ٤٨٤	« ك »
كلدانيون ٦٦	الكابارة ٦٦٢
كلش عبدي ٦٦٥	كاتب جلبي ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٥٥
الكلكل ٥١٦ ، ٥١٧	كاترو - الكولونيل ٣٧٦
كلوب = أبو حنيك - المقدم ١١٣ ، ٣٤٨ ، ٤٤٦	كاربنتيه ٣٨٩ ، ٤١٤
كلوت بك - الطبيب ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ح	كامزكوي ٦٩٢
الكليب ٤١٧	كامل (جامل) بن غنام ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٨١
الكليب - فرقة من الموالي ٥١٦	كامل الغزي ١٠٣ ، ١١٠ ، ٥٩٨ ، ٦٦٧
كليب السريدي ٤١٧	كامل الفارس ٣٨٧
كليب العوان ٤١٧	الكبايرة ٣٩٥
الكليزات ٥٦٦	كببة ٥٤٥ ، ٥٥٣
الكليش ٥٤٩	كبيسي ٢٦
كال (جمال) بن غنام ٥٦٨ ، ٥٧٠	الكبيصة ٥٧٠
الكماليون ٦٨٨ ، ٦٩٤	كتبغا - الملك العادل ٩٤
الكمكان ٦٦٣	الكدور ٦٢١
كميان بن دغمي ٢٦٤ ح	كرثر ودبل ٨
كنانة ٧٢ ، ٧٨ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ٢٢٧	الكرج ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٨ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨
الكنج أبو سفايف بن جججج ٥١٤	كرحوت العجاج ٥٨٢
كنج بن حسن ٣٩٦	الكرد - الأكراد ١١ ، ٢٢ ، ١١٣ ، ٣٤٨ ، ٣٩٣

- كنج بن ظاهر ٤١٧
 كنج بن عبيد باشا ٥١٥
 كنج يوسف باشا ٤٨٢ - ٤٨٣
 الكندوش ٥٠٤، ٥١٦، ٥١٧
 كنش ٥٢٦
 كنعان الطيار ٣١٢
 كنعانيون ٦٦
 الكنوج ٤١٧
 كهلان اليمانية القحطانية ٦٨، ٨١، ٨٩، ٩١
 الكواشية ٣٩٢، ٣٩٤
 الكواصمة ٥٢٢
 الكواكبة = الكواجبة ٣٦٤ ح، ٣٧٤، ٤٠١، ٤٠٤
 كوان الجبارة ٥٨٢
 الكوتش ٤١٥
 كوجار ٦٥٩
 كوران ٦٦٤
 الكومة ٣٤٠، ٣٤٣، ٥٢٢، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠
 كومنقشان ٦٦٤
 الكويران ٤٩٨
 الكويكب ٣٧٤
 الكيار - كيار الجولان - كيار حلب ١٠٧، ١١٩، ٣٤٠، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٩٤، ٥٤٨، ٥٤٩
 ٥٥٠، ٥٦٤، ٥٩٦
 الكياكي ٥٥٦
 الكينكان ٦٧٢، ٦٧٤
 الكيكية ٥٦٧، ٦٣٤، ٦٤٦، ٦٦٣
 كيليوم - ي - السائح ٤٢٢
 « ل »
 اللات ٤٠٣
 لاحق العلي العمر ٥٨٥
 لامنس اليسوعي ١٤٢
 لبيد ٤٢٩
 اللشيانة ٤٦٤
 اللحاحلة ٦٢٤
 لحقة = الملتحقون ٥١٧
 لحيانيون ٦٦
 لحم - اللخميون ٦٩، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٩١، ١٣٣، ٤٢٩
 لزي ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٠١
 اللزوق = الشرعة ٤٠٣
 لطيف العوجان ٥٨٥
 اللقلوق ٤٧٤، ٤٧٥
 لكز ٦٩٧
 اللهجي ٤٣٦
 اللهيب - لهيب حلب ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٦٥، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٥٧، ٤٧٤، ٤٧٥، ٥١٧
 ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٦، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٦٢٤، ٦٠٥
 اللويان ٦٢١
 لورنس - الكولونيل ٣٤٨، ٣٧٦، ٣٧٩
 لورنس بن طراد ٣٨١
 لورنس بن نواف الشعلان ٣٨٠
 اللويسات ٣٩١، ٤٥٥، ٥٤٧
 ليتمان ٤٢٨
 ليلى الأخيلىة - الشاعرة ٢٤٦
 « م »
 المأمون - الخليفة ٨٢، ١٣٨، ٤٦٥، ٥١٣
 ماتع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة ٩٣
 الماجد ٤٦٦، ٦٢٣
 ماجد بن دعار الملحم ٤٤٢
 ماجد بن فدعان ٥٩٧
 ماجد بن هزاع الفيصل الملحم ٤٤٢
 ماجد محي الدين الملحم ٤٤٢
 ماخوش ٦٩٢
 مارتينه - الطبيب ١٥، ١٦٣
 المارندية ٥٦٣
 ماري الآشورية ٥٨٦
 المازن ١٢٨، ٦٤٠
 المطبية ٥٠٤
 ماكرا ٤٢٨
 المالك ٤٢٩، ٤٦٦
 كنج بن ظاهر ٤١٧
 كنج بن عبيد باشا ٥١٥
 كنج يوسف باشا ٤٨٢ - ٤٨٣
 الكندوش ٥٠٤، ٥١٦، ٥١٧
 كنش ٥٢٦
 كنعان الطيار ٣١٢
 كنعانيون ٦٦
 الكنوج ٤١٧
 كهلان اليمانية القحطانية ٦٨، ٨١، ٨٩، ٩١
 الكواشية ٣٩٢، ٣٩٤
 الكواصمة ٥٢٢
 الكواكبة = الكواجبة ٣٦٤ ح، ٣٧٤، ٤٠١، ٤٠٤
 كوان الجبارة ٥٨٢
 الكوتش ٤١٥
 كوجار ٦٥٩
 كوران ٦٦٤
 الكومة ٣٤٠، ٣٤٣، ٥٢٢، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠
 كومنقشان ٦٦٤
 الكويران ٤٩٨
 الكويكب ٣٧٤
 الكيار - كيار الجولان - كيار حلب ١٠٧، ١١٩، ٣٤٠، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٩٤، ٥٤٨، ٥٤٩
 ٥٥٠، ٥٦٤، ٥٩٦
 الكياكي ٥٥٦
 الكينكان ٦٧٢، ٦٧٤
 الكيكية ٥٦٧، ٦٣٤، ٦٤٦، ٦٦٣
 كيليوم - ي - السائح ٤٢٢
 « ل »
 اللات ٤٠٣
 لاحق العلي العمر ٥٨٥
 لامنس اليسوعي ١٤٢
 لبيد ٤٢٩
 اللشيانة ٤٦٤
 اللحاحلة ٦٢٤
 لحقة = الملتحقون ٥١٧

- مالك بن أدد ٥٨٧...
مالك بن طوق ٥٨٠
المانع ٣٧٤
مبروك السليمان ٥٩٠
المبهل ٣٧٤
المبهل ٣٧٤
المتاولة ٤٣٦، ٣٦٣
متعب بن أحمد الريان ٥٠٠
متعب بن خليف الصالح ٥٤٥
متعب بن شلال ٦٣١
متعب بن العاصي ٦٣١
متعب بن عناد بن مقاط آل السمير ٤٠٩
متعب بن فرحان آل سمير ٤٠٩
متعب بن فواز الشعلان ٣٨٠
متعب بن فيصل ٦٣١
متعب بن كردي الشعلان ٣٨٠
متعب بن مناوور الشعلان ٣٨٠
متعب بن نواف قعيشيش ٦٠٩
متعب السعيد = متعب بن سعد ٤٩٥، ٤٩٦
متعب الكنج ٤١٧
المتني - أبو الطيب - الشاعر ٤٢، ٧٨، ٨٤، ١١٤،
٢٢١، ٢٠٧
متني بن شلال ٦٣١
المتوكل - الخليفة ٨٢
المتينة - متينان ٦٠٧، ٦٦٤
المثالبة ٥٧١
مثنال الباشان ٤٥٥
مثنال بن صالح الهديب ٤٩٨
مثنال بن فرحان الهديب ٤٩٨
مثنال الفائز ٣٨٠
المثلن بن عمرو الكندي ١٤٤
المثلثة ٥٩٧
المثنى بن حارثة الشيباني ٧٨
المثينة ٦٢١
مجابة ٥٨٢
المجاجة ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٥٢، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٤، ٥٨٩
المجاشرة ٦٠٧
- المجاليب ٥٧١، ٥٧٢، ٥٨٢، ٥٨٤
المجاملة ٥٧١
المجاهة ٤٩٨
المجادة ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٨٥
المجالية ٣٩٧
مجل ٥٨٢
محجم البشير الهويدي ٥٨٨، ٥٩٠
محجم بن تركي بن قمر اليونس ٥٣٩
محجم بن تركي بن جدعان آل مهيد = مقحم
آل مهيد ١٠٠، ١١٠، ١٨٤، ١٩٠، ٢٣٠،
٢٦٤ ح، ٣٦٥، ٤٩١، ٥٥٠، ٥٦٣، ٥٧٤،
٥٨٩، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨،
٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣،
٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦٣٥
محجم بن تركي بن محجم آل مهيد ٥٩٥، ٥٩٦،
٥٩٧، ٦٤٧
محجم بن عبيد ٥٤٨
محجم بن ماضي ٤٠١
محجم بن محمد الشعلان ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٨٠، ٤٠٤
المجرن ٦٢٤
مجرن - جد آل الجرباء ٦٣٠
المجلب ٥٨٢
مجنون ليلي ٢٤٦
المجهل ٤٩٨
المجول ٣٧٤، ٤٩٢
محول بن عبد الله الشعلان ٣٨٠
محول بن فرحات الصفوق ٦٣١
محول بن فرحان الجرباء ٦١٨
محول الرجو ٥٤٨
المجيبيل ٤٠٨
مجيد بن فهد الشعلان ٣٨٠
محارب ٤٢٩
الحاسن - الحاسنة ٥٤٨، ٥٤٣، ٥٥٥، ٦٤٤
الحاشر ٤٤٥
الحبي - المؤرخ ٩٠، ٩٧
محجان علي ٦٧١
محروث بن فهد بن حبلان ٤٤٣

- محروث الهذال ٤٥١
 المحفوظ السردى ٤١٦، ٤١٧، ٣٦٢
 محليان ٦٦٤
 محمد - الأمير ٣٩٣، ٣٩٤
 المحمد - المحمدات - الحمديّة ٣٩٥، ٤٣٦، ٤٥٤،
 ٤٥٥، ٥٧٢، ٥٨٢، ٦٤٤
 محمد - من الأبي حسن ٥٧١
 محمد - من أعقاب شعبان ٥٨٧
 محمد أبو عبود ٤٨٦
 محمد أبو قاسم = محمد أبو جاسم ٤٠٣، ٥٢٩، ٥٣٠،
 ٥٣١، ٥٤٠
 محمد الأحمد اليوسف ٦٦٠
 محمد الأسود ٥٤٥
 محمد الأقرع ٣٨٩
 محمد أمين الملحم ٥٧٢، ٦٤٣
 محمد باشا ٥٢٥
 محمد باشا بن إبراهيم الكردي ١٩٩
 محمد الباشا بن الكنج أبو سفاف ٥١٤
 محمد باشا القبرصي ١١٠، ٥٦١، ٥٩٠
 محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ٥٢٧،
 ٥٦٥
 محمد البسام التبيي ١٣، ٢٩٤ - ٢٩٥، ٣٦٨، ٣٧٠،
 ٤٠٥، ٤٣٦، ٤٩٠، ٥٩٣
 محمد البشّر ٥٧٩
 محمد بن إبراهيم الحسن الربيع ٥١٥، ٥٢٧، ٥٥٤
 محمد بن أبي وتيد ٦٢١
 محمد بن أحمد بن زعل بن عقل الغصين ٤٠٣
 محمد بن برجس الهديب ٤٩٨
 محمد بن تركي آل مهيد ٤٤٢، ٤٤٤، ٥١٥، ٦٠٥
 محمد بن حسن ٣٩٦
 محمد بن حيار = نعيم ٩٦، ٩٨
 محمد بن دوخي بن سمير ٣٧٠، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨
 محمد بن راكان المرشد ٤٩٥
 محمد بن الرشيد ٨
 محمد بن رميح الملحم ٤٤٢
 محمد بن شلهوب ٤٩٦
 محمد بن صفوق الجرباء ٦١٨
 محمد بن صفوق العبد الكريم الصفوق ٦٣١
 محمد بن ضاري بن طوالة ٦٢٤
 محمد بن ظاهر المسعود ٣٨٤
 محمد بن ظاهر الدعجل ٥٧١، ٥٨١
 محمد بن عبد الله الرشيد ٦١٧
 محمد بن عبد الرحمن الحسن ٦٤٠
 محمد بن عبد العزيز ٦٣١
 محمد بن عبد الكريم الدندن ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩
 محمد بن عبد الكريم الصفوق ٦٣١
 محمد بن عبد الوهاب ٢٩٩
 محمد بن عبود العزائم الضيغمي ٤٨١
 محمد بن عز الدين - جد للنعم ٤٥٤
 محمد بن علي الدندن ٤٤٩
 محمد بن علي القريط ٥٣٤
 محمد بن عيسى بن مهنا ٨٨، ٩٢، ٩٤
 محمد بن غانم بن سويلم ٥٧١
 محمد بن فارس الجار الله ٦٣١
 محمد بن فارس الحميدي ٦٣١
 محمد بن فارس المزيّد الملحم ٤٤٢
 محمد بن فاعور ٣٩٦
 محمد بن فدعوس ٤٥٢
 محمد بن فرحان الأيدا ٤٠٨
 محمد بن فصيح الجاسم الغانم ٥٦٢
 محمد بن فواز الشعلان ٣٨٠
 محمد بن فياض ٥١٦
 محمد بن فيصل الملحم ٤٤٢
 محمد بن قانص آل عابد ٥١٧
 محمد بن قلاوون - الملك الناصر ٨٦، ٩٤، ٩٥، ٩٦
 محمد بن محجم آل مهيد ٦٠٠، ٦٠٥
 محمد بن محجم الشعلان ٣٨٠
 محمد بن مجول الصفوق ٦٣١
 محمد بن محمد العبد الكريم ٥٢٧، ٥٣٥
 محمد بن مسعود ٥٢٧
 محمد بن مسلط ٤٩٦
 محمد بن مصطفى الخلف ٥٥٣
 محمد بن معلا هديب ٤٩٨
 محمد بن نواف قعيشيش ٦٠٩

- محمد بن هزاع الشعلان ٢٨٠
 محمد بن هزاع الفيصل الملحم ٤٤٢
 محمد أغا الجندي ٥٠١
 محمد التركاوي ٥٠٢
 محمد التركي بن مجلاد ٥٠٠
 محمد الجاسم ٥٠٤
 محمد الجعدان ١٠٠، ٥٣٠
 محمد الجعدي ٤٩٠، ٤٩٣
 المحمد الحسن ٥٨٤
 محمد الحسيان ٥٣٠
 محمد الحسين ٥٠١
 محمد الحمد ٤٧٩، ٥٤٥
 محمد الحويش الدندن ٤٤٨
 محمد الخرفان ١٠٠، ١٠٣، ٥٠٢، ٥١٠، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٣١
 محمد الخرفان الثاني ١٠٠، ١٠١، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٢٧
 محمد الحضري ٨٣، ١٢٥
 محمد الخلف ٥٨٢
 محمد الدرويش ٥٨١
 محمد الدرويش القریشه ٤٥٣
 محمد الدعجل ٥٧١
 محمد الدندح ٦٤٠
 محمد الدندن العبد الجادر الناصر ٤٤٨، ٤٤٩
 محمد السعود الفارس الملحم ٤٤٢
 محمد سعيد ٥٥٧
 محمد سليمان الغنام ٦٤٠
 محمد الشامان الملحم ٤٤٢
 محمد الشبلي ٤٥٠
 محمد الشعبان ٥٥٣
 محمد الشلوط العبد الله ٥٥٧
 محمد الصالح ٥٢٧
 محمد صالح الحلبي ٢١٧
 محمد الصايد ٢٦٤ ح
 محمد الصفوق الناييف العليوي الرجو ٥٢٤، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٤٨، ٥٥٠
 محمد العبد الله العروك ١٥
 محمد العبد الرحمن آل عساف ٦٤٠، ٦٤١
 محمد العثمان المحمد ٤٨٧
 محمد عجان الحديد ٥٢٢، ٥٢٥
 محمد العجور الأحمد ٥٥٧
 محمد عز الدين الحلبي ٢٩٧
 محمد العلي ٥٩٠
 محمد علي باشا ١٤٨، ١٥١
 محمد علي بن خليل آل إبراهيم باشا الممللي الكردي ٢٩٨، ٤٠٦، ٦٣٥، ٦٦٦
 محمد علي توفيق - الأمير ٤٧٩
 محمد علي صبري ٤٢٩
 محمد الغنام الحمد العجور ٥٦١، ٥٦٣
 محمد الغنام ٥٨١
 محمد الغنطوس ٥٤٨
 محمد الفارس ٦٤٠
 محمد الفرج السلامة الدندل ٥٤١، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٨٩، ٥٩٠، ٦٠٥
 محمد الفندي الملحم ٤٤٢
 محمد القاطوف ٥٥٠
 محمد الكرد علي ١٤، ٤٨٣
 محمد المتعب ٥٣٠
 محمد المحمد الحمد ٤٨٧
 محمد مستو ٥٩٣
 محمد مسعود ١٤٨ ح
 محمد الملحم الفارس الملحم ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٢
 محمد الهندي ٥٧٨
 محمد الهويش الدندن ٤٤٨
 محمود ٤٣٦
 محمود - الأمير ٣٩٤
 محمود أغا خليفة ٦٨٠
 محمود أغا والد إبراهيم باشا ٦٦٥
 محمود الأحمد ٣٩٨
 محمود بك بن إبراهيم باشا ٦٦٥، ٦٦٦
 محمود بن أحمد طحان ٣٩٩
 محمود بن فاعور ٣٩٦
 محمود بن فدعوس ٤٥٢
 محمود بن محمد الفاعور ٣٩٦، ٥١٥

- ٦٧١ ، ٥٩١
مراد باشا - والي حلب ٩٧
المرادات ٥٩٠
المرادي - المؤرخ ٩٨ ، ٩٠
مرادي بن فارس الهديب ٤٩٨
المرازقة ٣٩٥
المراسمة ٥٢٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ ، ٥٨٦
مرسوم - من ولد جابر ٥٨٦
المراشدة ٤٠٣ ، ٥٤٣ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦
المراوين ٤٤٧
مرة بن قطايع بن فهد ٥٧١
مرزوق ٣٩٥
مرزوق بن فلاح أبو مدحل ٤١٩
المرسينية ٦٦١
مرشد بن عميرة بن حسين بن سعد المقمص ٤٩٥
المرشود ٤١٥
المرعز ٣٧٤
مرعي البداح ٤٤١
مرعي بن بكر بن غانم ٥٧١
مرعي الحاج حسن العمالة ٥٤٩
مروان ٦٦٤
مريح بن برمان ٣٧٥
المريخات ٦٤٦
المريطات ٥٤٩
المزاريع ٤٩٨
المزاهية ٣٧٤
المزاودة ٤١٤
مزقادة ١٠٠
مزود بن صفوق آل قعيشيش ٦٠٩
مزود بن قعيشيش الملقب بالنر ٣٦ ، ١٩١ ، ٥٦٦ ،
٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦٤٧
مزود الصالح ٥٢٧
مزيد الأول ٤٣٦ ، ٤٤٢
مزيد الثاني بن عبد العزيز الملحم ٤٤٢
مزيد البدوي ٥٧٠
مزيد بن قعيشيش ٣٦ ، ٥٦٦
مزيد الحمد ٥٨٥
- محمود بن مسعود المناور ٤٧٤
محمود الخابور ٥٨٨
محمود الدي ٤٤٧
محمود سكر ٦٠١ ، ٦٠٢
محمود عبد القادر ٢٦٤ ح
محمود عبد الجادر الدندن ٤٤٨ ، ٤٤٩
محمود محمد سعيد ٦٧٣
المحموش ٥٧٢
محي الدين بن نايف الفاعور ٣٩٦
محي الدين العون ٣٨٧
محي الدين الفارس الملحم ٤٤٢
الحيسن ٦٢٣
الحيموش ٥٨٤
الحماميس ٤١٩
مختار الأسود ٦٧٢
مختولين ٦٩٧
مخزوم ٧٢ ح ، ٧٩ ، ١٣٦
المداحلة ٤١٥
المدالجة ٤٠٣
المداميف ٤٤٣
المداهيش ٥٤٧
مدبح الحمد ٥٤٥
مدبغ بن سلاب المرشد ٤٩٥
مدحت باشا ٣٦٥
مدفع الرهيظ ٦٠٧
المدليج ٤١٥ ، ٥٨٨
مدليج بن ظاهر ٩٧ ، ٩٨
مدليج الحيارى ٤١٦ ، ٥٠٩
المدلوشة ٣٧٤
مدلول بن العاصي ٦٣١
المدليانيون ٦٥٢
مذحج ٦٩ ، ٧٥ ، ٥٨٧
مراء بن ربيعة ٨٦ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢
المراحيل ٣٩٧
المراد ٦٢٣
مراد العثاني - السلطان - مراد الأول - مراد
الثاني - مراد الثالث - مراد الرابع ٥١١ ،

- المشرف ٥٧٩، ٥٧٠
 المشرف بن خلف ٥٧١
 مشرف بن كردي الشعلان ٣٨٠
 مشرف الدندل ٥٧٧، ٥٨٤، ٥٨٦، ٦٣٣
 مشرف العدلان ٤٥٣، ٤٥٢
 مشعان بن فيصل ٦٣١
 المشعانة ٥٧٢، ٥٨٤
 مشعل باشا الفارس ١٩٠، ٦٠٠، ٦١٩، ٦٦٣
 مشعل بن سظام ٣٨١
 مشعل بن شلال ٦٣١
 مشعل بن فارس الصفوق ٦٣١
 مشعل بن كردي ٦٣١
 مشعل بن محمد العبد الكريم الصفوق ٦٣١
 مشعل بن مسلط ٦٣١
 مشعل بن هزاع الشعلان ٣٨٠
 مشعل الفارس الجربا ٤٦٠، ٤٦٤، ٦٢٥، ٦٣١
 مشعل المعيوف ٥٩١
 المشلا ٤٥٣
 المشلب ٥٨٩
 مشلب الدرويش ٥٨٨، ٥٨٩
 المشهور ٥٦٦
 مشهور بن عبد الله آل سمر ٤٠٩
 مشهور بن منيف الشعلان ٣٨٠، ٣٨١
 مشور بن غشوم ٣٧٥
 مشير بن غشم ٤٩٦
 المشيط ٣٧٤، ٣٧٥
 المصارع ٥١٦
 المصاعب ٤٤٣
 المصايرة ٤١٩
 المصرب - المصاربة ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٦
 مصطفى الأسعد ٤٧٣، ٤٨٣
 مصطفى البارزاني - ثائر ٦٥٦
 مصطفى باشا - اللالا ٦٩٢
 مصطفى باشا الرابط ٣٧٠، ٤٠٦
 مصطفى بك بن غالب بك ٦٧١
 مصطفى بك شاهين ٦٧٠
 مصطفى الثاني - السلطان ٤٨٣
- مزينة = أنظر حرب
 المبرية ٤٣٤
 المساعد ٤١٠
 المساعيد ٢٩، ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٨٩، ٤٠١،
 ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٩، ٤٣١، ٤٦٦، ٦٢٣
 المسلة ٤٠٩
 المسلة ٤١٦
 المسليخ ٣٦٦، ٤٠٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤١
 المسندة ٤٩٨
 المسرات ٥٥٨، ٥٤١
 المسعود ٤١٣، ٥٩٧، ٦٣٤
 المسعود الشرية ٥٧٧
 مسعود بن ضاهر المسعود ٣٨٤
 مسعود بن موسى ٥٢٧
 مسعود المناور ٤٧٤
 المسعودي ١٤٢
 المسليخ ٤٧٥
 مسلط بن شريم ٦٢٣
 مسلط بن فارس الصفوق ٦٣١
 مسلط بن فيصل ٦٣١
 مسلط بن مطلق الحميدي ٦٣١
 مسلط الصالح الملحم ٥٧٢، ٦٤٣
 مسلمان ٥٤٧
 مسلم بن عترة ٣٦٦، ٣٥٩
 مسهوج المرشد ٤٩٥
 المسيب ٤٩٨
 المسيلم ٤١٥، ٤٦٦
 المشخرة ٣٨٤
 المشادقة ٤٠٥، ٤٠٨
 مشارقة ١٠، ٣٤٣، ٤٨٩، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨
 المشارفة الرعية - مشارفة الموالي ١٢١، ٣٤٣،
 ٣٤٣، ٤٨٩، ٥١٧، ٥٠٤
 مشاري بن حميد ٤٤٥
 المشالية ٥٧٠
 المشاهدة ١٢١، ٣٤٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٥٤٢، ٥٤٣،
 ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٥
 مشحن بن هزاع الشعلان ٣٨٠

- مصطفى الرابع - السلطان ٤٨٣
مصطفى الحاج حسين - المجاهد ٥٣٢
مصطفى الحسن ٥٩٢
مصطفى شويطية ٢٩٨، ٥٤٠
مصطفى العبد الله العمر ٤٨٦
مصطفى العلي ٥٤٠
مصطفى كمال باشا ٦٥٥
المصطفجة ٣٧٤
مصادقة ٥٣٦
مصلح بن قبال ٤٤٢
المضجى ٤٤٧، ٤٤٨
مضر - مضرية ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٥، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣
مضهور بن عرسان الشديد ٣٩٥
المضيان ٤٤٣
المطارح بن عياط ٣٧٥
المطارفة ٢٦٤ ح، ٤٤٣
المطايطة ٤٤٧
المطر ٥٤٥
مطر الماشي ٥٥٧
المطر ٥٥٦
مطر آل معجل ٢٨١
المطعات ٦٢١
المطلب ٧٢ ح
مطلق بن الحميدي بن جعيري بن مجرن آل الجربا
٦٣١، ٦٣٠، ٦١٥، ٣١٢
مطلق بن عبد الرحمن الحسن ٦٤٠، ٦٤١
مطلق بن محمد العبد الكريم الصفوق ٦٣١
مطلق بن مزود آل قعيشيش ٦٠٩
مطلق العلي الصالح ٥٨٠
مطير ٧٢، ٣٧١، ٦١٤
مطيران الزعير ٦٢٢
المظفر قطز - الملك ٩٣
معاذ بن وائل ٣٥٩، ٣٦٦
المعاضيد ٣٨٦، ٣٨٧، ٥١٦
معاط الإسماعيل السلامة الخالد ٥٠١
المعاطة ٥٠٥، ٥٢٦، ٥٢٨
- معافان ٦٧٠
المعاقير ٤٥٥
المعامرة ٦٣٨، ٦٤٠
معاوية بن أبي سفيان ٢٥، ٥٨ ح، ١٣٨، ١٩٦، ٢٢٧
المعتصم - الخليفة ٨٢، ١٣٨، ٥١٢
معجل = العجل بن نعيم ٩٦، ٤١٥
معجون بن صالح الهديب ٤٩٨
معد - المعدية - المعدين ٦٨، ٧٠، ٧٥، ٣٩٧
المعرض ٤٠٤
المعرض ٤١٤
معروف - من أعقاب شعبان ٥٨٧
معروف بن عبيد بن جبير ... ٥٨٧
المعزي ٦٢٢
معقل بن فضل ٩٦
معلا بن سبع بن هديب ٤٩٨
معن - المعنيون ٦٦، ٦٧، ٧٤، ٤٢٩
معيدي البرجس ٥٨٥
المعيدين ٤٥٣
معيذن - تل اللحم ٤٦٦
المعيرير ٣٧٤
معيوف الصالح ٥٢٧
المغار ٥٦٤
المغاربة ٨٣
مغاليح ٥٥٨
المغول ٢٢، ٢٣، ٥٨، ١٠٢، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٧٦، ٦٨٦
مغير بن غازي ٣٧٥
مقدح ٣٦٧
مفرج بن دغفل ٩١
المفضل ٦٢٣
المفضل الضي ٦
مفلح سليمان الملحم ٤٤٢
مفيلح - من أعقاب شعبان ٥٨٧
مقاط بن فرحان آل سمير ٤٠٩
المقدام ٤٤٥، ٥٨٢
المقدام بن رحمة ٥٧١

المناظرة ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٠	المقدسي ٦٥٣
مناعم ٤٢٩	المقرة ٦٠٨
المناقي ٣٩٥	المقريزي ٨٦، ٩٤، ٩٦
مناور بن جازي ٤٠٨	المكالحه ٥٥٧
مناور بن محمد الشعلان ٣٨٠	المكلف ٤٩٨
منبه ٣٦٦، ٤٠٤، ٤٤١	الملاحه ٥٤٢، ٥٤٥
المنتفق ٧١، ٢٤١	الملافة ٥٩٠
مندان ٦٦٤	ملاك - من السردية ٤١٧
مندوب بن راكان المرشد ٤٩٥	ملائي خضرافي ٦٦٢
مندور بن نواف الصالح ٥٢٧	الملاوچه ٥٢٢
المنديل ٤٥٦	الملحان ٦٢٢
منصف عاقوب ٦٤٥	الملحم ٤٣٦، ٤٤٢، ٥٨٢، ٦٤٤، ٦٤٥
المنصور ٥٧٩، ٥٨٥	ملحم بن فارس الصفوق ٦٣١
المنصور - الخليفة ٨٢	ملحم الخضر ٤٤١
منصور بن روس ٤٠٨	ملحم الفارس المزيدي الملحم ٤٣٧، ٤٤٢
منصور بن لورنس ٣٨١	ملحم الفياض ٥٩١
المنصور بن الملك المظفر ٩٣	الملحود ٦٠٧
منهانة ٣٥٩، ٤٠٤، ٤٣٤، ٤٤١	الملهاج ٣٨٣
المني ٤٩٩	ملوح العنيزان ٤١٤
منير الشوطي ٣٩١	الملهي ح ٧١، ١٩٩، ٣٤٢، ٦٣٥، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٩،
المنيس ٦٢٣	٧٠٢
منيطر الشوقي ٣٨١	الملية ٢٩٨، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٧٣
المنيع - فرقة ١٧٧	ملي محمود بك ١٢٢، ٣٤٢
منيع بن فدعان ٥٩٧	الماليك ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٠٢، ١٥١، ح،
المنيف ٥٩١	٣٥٣، ٣٧٥، ٤٦٤، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٢،
منيف بن شعلان ٣٨٠	٦١٣، ٦٥٣، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨٦
منيف بن فهد ٦٣١	المدوح ٤٥٣
منيبور بن لورنس ٣٨١	مدوح بن حمد بن عوض بن صالح الطحان ٣٩٨،
المهاني ٦٤٠	٣٩٩
المهباش ٤٥٧	مدوح بن سظام ٣٧٩، ٣٨١
مهنا - الأمير ١٠٦، ٤٣٦، ٤٤٢	مدوح بن مصلح القبلان ٤٤٢
مهنا بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة ٥٠٧	مدوح الجاسم ٣٨٧
مهنا بن عيسى ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٥٠٨	المناحرة ٤٥٧
مهنا بن مائع - مهنا الأول ٩٣	مناحي بن بكر ٤٤٤
مهنا الثاني بن عيسى بن مهنا الأول ٩٧، ٩٨، ٥١٢	المنادلة ٣٩٤
مهنا الفاضل ١٠٦، ٣٦٤، ٤٣٦، ٥٩٤	المناذرة ٧٦، ٧٧، ١٣٤
المهينات ٤٣٦	المناصر - المناصرة ٥٦٦، ٥٨٥، ٥٨٩

- الناشبة ٥٨٢
الناصر - الناصرة ٤٣٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٧، ٥٥٦، ٥٨٢، ٥٩٠، ٦٠٥
ناصر - الشريف ٥٣٢
الناصر بن رحمة ٥٧١
ناصر بن محمد الفيصل الملحم ٤٤٢
ناصر العلي ٤٤٨
ناصر الفحيلي ٤١٠
ناصر يان ٦٦٤
الناصيف ٤٥٥
النافذ محمد الشيخ حسن ٦٤٧
نايف آل قعيشيش ٦٠٩
نايف بن تركي السرحان ٥٣٠
نايف بن جبار الله ٦٣١
نايف بن خثعم آل مهيد ٦٠٥
نايف بن رakan المرشد ٤٩٥
نايف بن عبد الله الشعلان ٣٨٠
نايف بن عبد الرحمن الحسن ٦٤٠
نايف بن فيصل ٦٣١
نايف بن قبال الفاعور ٤٤٢، ٣٩٦
نايف بن محجم المهيد ٦٠٠، ٦٠٥
نايف بن محمد الفيصل الملحم ٤٤٢
نايف بن مستو باشا ٦٥٩
نايف بن مشعل باشا الفارس ٦٣١
نايف بن مصطفى المستو ٦٣٣، ٦٥٩
نايف بن نواف الشعلان ٣٨٠
نايف بن نوري الشعلان ٣٨٠
نايف الخالد ٤٥٥
نايف الصالح ٥٢٧، ٥٣٤
نايف العبد الرحمن آل عساف ٦٤١
نايف المصر ٤٩٥
نائلة - زوجة عثمان بن عفان ١٣٨
النباق ٤٦٦
النبهان ٣٩٤
النبيط - نبطيون ٦٦، ٧٤، ٤٤٦، ٤٤٧
التجاجير ٤٤٧، ٤٤٨، ٥٩٢
التجاجير ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٥٨
- النجات ٥٥٣
نجم العبد الله ٥٨٦
نجم عبد الهادي ٥٧٠
نجم الخضعان ٣٧٥
نجيب إلياس ٥٤٨، ٥٥٠
نزار بن معد بن عدنان ٧٠، ٧٥، ٧٦
النزارية = القيسية ٦٨، ٧٠، ٨٢، ١٢٩
نسطوريون ٢٢
النصارى - النصرانية - نصارى الكرج ١٣٤، ٦٦١، ٦٦١، ٦٨٠، ٦٨٣، ٦٨٥
نصر الله الجعدان ٥٧١، ٥٨٢
نصر بن عناد بن مقاط آل السمر ٤٠٩
نصر بن مرداس - شبل الدولة ٦٥٧
نصوح - الضابط ٤٨٢
النصير (عشيرة) - النصيرية ١١١، ٢٦٤، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٠٤، ٦٧٨
نيسان آغا بن كل محمد بن مصطفى باشا ٦٨١
النعيان بن المنذر ٩١، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٤٠
نعوم شقير ١٤
النعيير ١١٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٨٨، ٣٨٩
نعيم - المؤرخ ٩٠، ٩٨، ١٠٣
النعيم - النعيمات ١٢١، ١٨٥، ٣١٧، ٣٤٢، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤٢٥، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٧٣، ٤٨٩، ٥٠٦، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٥٢، ٥٥٧، ٥٦٤، ٥٩٢، ٥٩٣، ٦٦٤
النعيم - فرقة من الموالي ٥١٦
نعيم الجزيرة - نعيم الجنوب (الجولان ووادي العجم) - نعيم حلب - نعيم حاة - نعيم حص - نعيم الرملة (المعاقير) - نعيم السلمية - نعيم العراق ١٢١، ٣١٧، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٩٦، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٧٣، ٥٤٦
النمر - النير - النيرات ٧٠، ٧١، ٧٩، ٨٣، ٣٩٧، ٤١٦، ٤٥٥

نوري بن مصطفى شويطية ٢٩٨، ٥٤٠
 نوري بن نواف الصالح ٥١٥، ٥٢٧
 نوري بن هزاع بن نايف بن عبد الله بن منيف
 آل شعلان ١٦٤، ١٨٤، ٢٨١، ٢٩٤، ٣٥٧،
 ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥،
 ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١،
 ٣٨٢، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٣٩، ٥٣٢،
 ٥٣٤، ٦٠٠
 النوغاي ٦٨٤
 نوفل ٧٢ ح
 النويري ١٧٦
 نيبهر - السائح ٣٦٠، ٤١٦، ٤٨٢، ٥٠٩، ٥٣٨،
 ٥٣٩، ٥٤٩، ٦١٤
 « هـ »
 هاتو كواي ٦٩٢
 الهادي بن العاصي ٦٣١
 هارون الرشيد ٨٩، ٩١، ٩٧، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤،
 ٥٢٥
 هاشم أخو فارس الشعلان ٣٧٢
 هاشم بن شامان ٣٩٦
 هاشم بن عبد مناف ٧٢ ح، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٧،
 ١٣٩، ١٧٧، ١٧٨
 هاشم الصفوق الرجوع ٥٤٨
 الهامل ٦٢٣
 هانئ بن مسعود الشيباني ١٣١
 هاوركية = هاوركان ٦٦١
 هايش بن فرحان الصفوق ٦٣١
 الهثم ٢٤٥
 الهثيني ٤٤١
 هجر بن وتيد ٦٢١
 الهداج ٤٣٦
 هدى الخلف ٥٦٣
 الهدال ٤٥٣
 الهدبة - الهدبان ٥٤٤، ٦٢٤
 الهدر ٦٢٤
 الهديب ٤١٥

نور بن دوشي بن سمير ٤٠٨
 نور بن رشيد بن سمير ٤٠٧، ٤٠٩
 نور الشحادة ٣٩٥
 النهاب ٦٤٠
 نهاب الغام ٤١٩
 نهار بن سليمان المرشد ٤٩٣، ٤٩٥
 النهود ٤٤٧
 النوايف ٤٩٨
 نواش بن نواف الشعلان ٣٨٠
 نواش بن نوري الشعلان ٣٨٠
 النواصرة ٣٧٤
 نواف آل قعشيش ٦٠٩
 نواف بن أحمد = نواف الأحمد ٥١٥، ٥١٨، ٥٣٤
 نواف بن جارا الله ٦٣١
 نواف بن حوران = نواف الحوران ٥٨٩، ٦٠٥
 نواف بن صالح بن جرج الإبراهيم = نواف
 الصالح ١٨١، ٢٩٧، ٤٩١، ٥٠٣، ٥٠٥،
 ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧،
 ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥،
 ٥٣٦، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٨، ٥٤٩،
 ٥٥٠
 نواف بن فواز الشعلان ٣٨٠
 نواف بن محمد العبد الكريم الصفوق ٦٣١
 نواف بن نوري الشعلان ٣٧١، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠
 نواف الحسن ٦٦٣، ٦٦٤
 النواق ٤٩٣
 نوتخواج ٦٩٢
 نوح بن بوزان ٦٧٢
 نور الدين الشهيد ٦٧٨
 نوري الإيبش ١١، ٥٢٩، ٦٣٥
 نوري بن ركان المرشد ٤٩٥
 نوري بن صايل ٦٣١
 نوري بن فواز الشعلان ٣٨٠
 نوري بن فيصل ٦٣١
 نوري بن فيصل الملحم ٤٤٢
 نوري بن محجم المهيدي ٦٠٠، ٦٠٥
 نوري بن مشعل باشا الفارس ٦٣١

هيازع - من أعقاب شعبان ٥٨٧
الهيكل = الهياكل - الهياكل ٥٢٨، ٦٤٤
الهيكل ٧٣، ٤٦٤
هيكل بن حاجم ٦٣١
هيروودوس ٦٩٧
الهيروغليفية ٦٨٥
هيزول ٦٦٤
الهيضة ٤٣٤، ٤٤١
هيكل بن ركان المرشد ٤٩٥
هيكل بن عامر ٦٤٤
هيكل بن كردي ٦٣١
الهيض ٤٥٥

« و »

الواثق - الخليفة ٨٣
الوادي ٥١٦، ٥٩٠
الوارا ساري ٦٥٩
الواكد ٤١٨
الواهب ٦٢٤
وائل ٧٠، ٣٥٧، ٣٥٩
الوثر ٤٩٩
الوحدان ٦٢٤
وحيد الدين - السلطان ٦٨٨
وديع أبو فاضل ٤٧٤
الوردات ٥٦٣
وَرَق (النبلاء) ٦٨٨
الوزرة ٥٨٦
الوساط ٥٨٢
الوساط بن رحمة ٥٧١
وسبسيانوس ٧٥
الوضحان - الوضيحان ٦٢١، ٦٢٢
وضحان بن فيصل ٦٣١
الوضحي بن مرشد ٤٩٥
الوقاد ٥٤١
الوقيت ٣٧٤
الوكلان ٣٧٥، ٣٧٤
الولايات المتحدة الأمريكية ٦٥٦

هدية بن علي الهديب ٤٩٨
هذال - هذيل ٧١، ٧٢، ٨٨، ٣٦٠
هذال الفهد العاصي ٦٢٨، ٦٣١
الهرامشة - الهراميش ٤٥٥، ٥٤١، ٥٨٥
الهرير ٣٨٩
هرير بن حاجم ٦٣١
الهرزاع ٣٧٤
هرزاع بن سليمان المرشد ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٥
هرزاع بن فيصل الملحم ٤٤٢
هرزاع بن نايف الشعان ٣٧٠، ٣٨٠
هرزاع الرجو ٥٤٨
الهرم ٦٤٤
هشام بن عبد الملك ٥٨، ٦١، ٦٢
الهشالان ٦٠٧
الهضبة ٦٢٣، ٦٢٢
الهطلان ٣٧٤
هفل بن عبد الله بن علي الظاهر ٥٧١، ٥٧٣
الهكشة ٣٧٥
هلال - الهلالات ٧١، ٣٩٤، ٥٢٨، ٥٥٦
الهلامية ٥٦٦
الهليبي ٣٨٢
هليل بن رمضان بن عبد الحي ٤٥٢
الهلمات ٥٠٤
همدان - الهمداني ٦٩، ٧٨
الهندازة ٤٥٣
الهندادي ١٥١ ح، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٩٣
هنري شارل - الراهب ٩، ١٦
الهوادجة ٣٩٥، ٦٩٢
الهوارين ٣٩٧، ٥٠٥
هوازن ٧١
هولاكو ٩٣، ١٠٢، ٥١٢
هولو باشا بن ... آل عابد ٥١٧
هو يدي بن خليل ٤٠٨
الهويركان ٦٥٩
الهويشان ٤٩٦
الهيازع ٤٤٣

- الولد - من الفدعان ١٩٠، ١٩٤، ٢٣٠، ٢٦٤ ح،
٣٦٧، ٣٦٨، ٤٩٠، ٥٣٥، ٥٩٣، ٥٩٦،
٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٥، ٦٠٦،
٦٠٨، ٦٠٧
- الولد سليمان ١٠٨، ١١٣، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٩، ٣٦٧،
٥٩٧، ٦٠٨
- ولد الشيخ عيسى ٥٧٠، ٥٧٩، ٦٤٤
الولد علي ١٠٧، ١٠٨، ١١٩، ١٨٢، ١٨٤،
١٩٣، ٢٥٢، ٢٦٤ ح، ٣١٢، ٣٤٠، ٣٤٣،
٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٨٩،
٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٥،
٤١٦، ٤١٧، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٦،
٥٢٩، ٥٥٤، ٥٥٧، ٥٦٦، ٥٩٣
- ولدة - ولدة الجزيرة - ولدة الشامية - ولدة
الفرات ٢٢، ٢٥، ١١١، ١٢١، ١٢٢، ١٩٤،
٣٤٢، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٣٩،
٥٤١، ٥٤٥، ٥٥٨، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣،
٥٦٤، ٥٧٤، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩،
٥٩٠، ٥٩١، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦٠٦
- الولفة ٦٢٣
الوليد بن طريف الشيباني ٢٢
الوليد بن عبد الملك ٥٨، ٤٢٥
الوهايون ٩٩، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ٥٩٤، ٦١٥،
١١٩، ١٢١، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٩،
٣٦٥، ٣٦٦، ٤٠٤، ٤٣٤، ٤٤١، ٥٤٢،
٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٩٦
- وهب بن أحمد الملحم ٤٤٢
الوهيب - الوهبان ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٥، ٣٩٧، ٤٠٢،
٤١٦
- الويسية - الويسات ٣٩٥، ٥٨٢
الويطان ٤٩٨
ويلفرد بلونت ٨، ١٥
- ٦٩٧، ٦٨٥
اليتيم ٤٦٦، ٤٦٨
اليتيمة ٤٥٩
اليحيا ٥٧٩، ٦٢٣
يحي خانكان ٥٣١
يحي الرفاعي ٣٩٦
يربوع ١٢٩
اليزد ٣٧٥
يزيد بن عبد الملك ٥٨
يزيد بن معاوية ٥٧، ١٣٨
اليزيدية ٢٢، ٦٣٥، ٦٥٣، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٦٤،
٦٧٣، ٦٧٤
يشجب ٩١
اليعاقبة ١٣٤ ح
يعرب بن قحطان ٦٨
يعقوب سركيس - المؤرخ ١٣
اليعيش ٦٢٤
ين - يمنية ٨٠، ٨١، ٨٢ ح، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩،
١٨٣
اليهود - اليهودية ١٣٤، ٦٨٤، ٦٨٥
اليوسف ٥٥٦، ٥٥٩
يوسف باشا - والي دمشق ٤٠٦
يوسف باشا شريف - المتصرف ٥٥٥
يوسف بن أحمد طحان ٣٩٩
يوسف بن أيوب - أنظر صلاح الدين الأيوبي
يوسف الذياب ٥٨٨
يوسف كاسو ٦٦١
يوسف هاليفي ٤٢٨
يوليانس - القيصر ٧٥
يومود ٦٧٥
اليونان ٤٦٥، ٦٥٢
يونس العبد ٥٧٨
يونس عبد الحميد ٥٤٥، ٥٥١، ٥٦٠

« ي »

ياقوت ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٤٥، ٤٦،
٦٩، ٧٦، ٢٢٩، ٤٢٢، ٤٣١، ٦٤٨، ٦٨٣،

مسرد الأماكن

أبو جبار ٥٤٩	« أ »
أبو جريف ٥٢٠	آبار الحجاج ٥٤٣
أبو جلوس ٥٣٩	آبار خربة البطمية ٦٠
أبو حامضة ٥٨٥ ، ٦٣٢	آبار زبيد ٥٧٣
أبو حجر ٦٢٨ ، ٧٠٢	آبار الملكة ٦١
أبو حردوب ٥٨٢	آبار المويلحة ٥٨٣
أبو حمام ٥٨٥	آبار وادي المياه ٦٠
أبو حنايا ٥٠٤	آبار وادي الهيل ٥٥
أبو حية ٥١٧	الأديغة ٦٨٣
أبو خرايج = بو خرايج ٣٤١	أذنة ٦٧٩ ، ٦٧٦ ، ٦٧٥
أبو خضر ٢٣	الآستانة = استانبول ٨٩ ، ١٠٦ ، ٢٩٧ ، ٤٠٦ ،
أبو خنادق ٥٢٨	٤٨٥ ، ٥١٥ ، ٥٧٤ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٧٥ ،
أبو الخوص ٥٤٥	٦٩٤ ، ٦٨٦ ، ٦٧٦ .
أبو دالي ٤٩٩ ، ٥١٦	آسية - آسية الوسطى ٣٠١ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٨٤ ،
أبو دردره ٤٩٩	٦٩٨ ، ٦٨٥
أبو دريخة ٥٢٨	آق برهان ٥٤٦ ، ٥٥٢
أبو راسين ٦٦٢	آق طاش ٦٧٧
أبو رمال ٤٩٩	آقجة قلعة ٢٣
أبو رديل ٥٤٢	آكام العلياينة ٤٧ ، ٤٤٦ ، ٤٦٦
أبو زكيچ ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٤	آلوس ٥٥
أبو سرجة ٥١٧	آمد ٢١ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧
أبو صطيقة ٥٤٢	آيدين ٦٧٩
أبو ضنة ٥٤٨	إباد ٥٤١
أبو عجوة ٥٣٥	الأباش ٥٥٩
أبو عمر ٥١٦	أبجازيا ٦٨٣
أبو غانم ٤٢٦	أبراج أبي هريرة ٢٥ ، ٤٩٩
أبو غريب - نهر أبو غريب ٧٢ ح ، ٦١٢ ، ٦٢٢	الأبرط ٧٠٢
أبو الفوارس - بئر أبو فوارس ٤٩ ، ٤٦٨	أبطخان ٢٣

- ٧٠٢، ٦٩٣، ٦٧٨، ٥٠٠
 أرزنجان ٦٧٩، ٦٧٥، ٦٥٢
 أرض الوطا ٦٥٧
 أرضروم ٦٧٩، ٦٧٦، ٦٥٢
 أرك - بئر ماء أرك ١٩، ٢٦، ٤٩، ٦٤، ٨٤، ٤٣٣،
 ٥٣٠، ٤٩٩
 أرمينية ٦٨٢، ٦٥٥
 أرومية ٦٥٤، ٦٥٢
 أرميا ٥٧ ح، ١٠٦، ٥٤٥
 إزرع ٦٩٣، ٦٧٧، ٤٢٣، ٤٢٢، ٤٠٢، ٣٨٥
 أسرية - جبل أسرية - بئر أسرية ٤٩، ٤٤، ٣٧،
 ٥٣٠، ٥٢٩، ٥٠٣، ٤٩٩، ٤٩٦، ٤٥٧، ٥٠
 ٥٤٤، ٥٤١، ٥٣٧، ٥٣١
 الإسكندرونة = الإسكندرون ٦٨١، ٦٧٨، ٥٤٨،
 ٦٩٣
 الإسكندرية ٢٠٤ ح
 أسكيك ٣٩٥
 أشكوم ٤٠٩
 الأصابع ٤٥٨
 أصبح ٣٩٧
 إصطبلات ٥٤٣
 أصفهان ٦٥٢
 أصيلة ٦٧٣
 أطلنتيك ٧٩
 أعزاز ١٢٢، ٥٤٥، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٩، ٥٩٧،
 ٦٧٨، ٦٧٧، ٦٧٢، ٦٤٧
 أفامية = قلعة المضيق ٩١، ٥٩، ٤٤٥
 الإفدرين ٣٤١
 أفريقية ٧١، ٨١، ١٥٨، ٣٠١، ٣٠٧، ٦٨٤
 الأفغان ٦٥٢
 الأفلاج ٣٥٨
 الأقطار العربية ١٠
 أكراد إبراهيم ٦٥٧، ٦٧٤
 أليسة ٤٥١
 أم أركيلة ٥٥٢
 أم أشكيف ٥٥١
 أم التونية ٤٥١
- أبو قاطور ٣٧٨
 أبو القصور ٥٠٣
 أبو قلقل ٥٥٤
 أبو كمال = البوكمال ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٤٨، ٥٠،
 ٥٧١، ٥٦٩، ٤٦٨، ٤٤٣، ٣٢١، ٦٤، ٥٦
 ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٨٤، ٥٨٦
 ٦٤٣، ٦٢٥
 أبو كهف ٥٥٨، ٥٦٣
 أبو لية ٤٤٨
 أبو مرو ٥٠٣
 أبو المضايح ٥٠٣
 أبو هريرة ٥٩٧، ٦٠٨
 أبو هامة ٦٩٣
 أثر ٢٩
 أجاريا ٦٨٣
 أحبكة ٤١٤
 الإحساء = الحسا ٩٥، ٩٩، ١٠٧، ١٥٩، ٣٦٣،
 ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٦٢
 أحدي - أحمدية ٢٣، ٦٧٧
 أخترين ٥٥١، ٦٤٧
 أدنة ١٠٦، ٦٦٥، ٦٦٦
 إديب ١٢٢، ٥١٦، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٤١، ٥٤٤،
 ٥٩٠، ٥٤٥
 أذربيجان - أذر بايجان ٦٥٦، ٦٧٥، ٦٨٢
 إريد ٢٩، ٦٣، ٣٦٢، ٤١٣، ٤٤٥
 أربعة الكبيرة ٥٦٣
 إربل ٦٥٤
 أرجيلات ٥٤٤
 أرجل - أرجيلات ٥٤٤
 الأردن = شرقي الأردن ٥، ١١، ١٤، ١٦، ١٨،
 ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤٦، ٥١، ٥٧ ح، ٥٨، ٦٣،
 ٦٤، ٦٦، ٧١ ح، ٧٥، ١١٣، ١٥٦، ١٥٧،
 ١٩٦، ٢١٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٦١،
 ٢٦٥، ٢٧١، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣١٦، ٣٤٢،
 ٣٤٨، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٨١،
 ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠١، ٤١٠،
 ٤١٣، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٨،
 ٤٢٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٦٤، ٤٩٧

أمريكا - الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠١.
٤٥٠، ٢٨٠، ٢٢١

الأناسول ١٠١ ح، ١٥١ ح، ٢١٤، ٢٧٥، ٤٠٣،
٦٢٧، ٦٥٢، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨،
٦٧٩، ٦٨٥، ٦٨٤، ٦٨٧

أنب ٥١٦
الأندرين ١٨، ٢٧، ٧٧، ٢٢١، ٢٤٠، ٥٢١، ٥٢٥،
٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٤١

الأندلس ٨٠، ٨٠
أنطاكية ٥٩، ٦٠، ١٠٦، ٦٨١

أنقرة ٦٦٧، ٦٧١
الأهرام - بحمر ١٥١

أودية الغفايف ٢٨
أورفة ٦٠، ٦٢٥، ٦٤٦، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٨،
٦٧٣

أوروة ٨٠، ٣٠١، ٣٢١، ٣٨٠، ٤١٩، ٦٠١، ٦١٩،
٦٧٦، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٨، ٦٩٨

أولاشلي ٥٥٢
إيب ٤٠٢، ٤٢٣

إيج تو الإيغفور محطنا نطق ٥١، ١١٣
إيران ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٨٣

إيطاليا ٤٣٠، ٤٩٩
إيلحق ٦٧٢

إيوان لمرن ٣٤ ح

" ب "

البسباب ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١٢٢، ١٥١ ح، ٢٩٦،
٤٨١، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٤٧،

٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣،
٥٥٤، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٨٧،

٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٥٨، ٦٧٢، ٦٧١،
٦٧٨

باب الأبواب - أنظر درسد
باب الله ٥٤٥

باب الدر ٧

أم التينة ٥٠٤
أم جامع ٤٧٨

أم جرن - أم جرين ٥٣٩، ٥٤١، ٥٥٧، ٥٦٣،
أم جلال ٥١٧، ٥٣٢

أم جلود ٥٥٩
أم الجمال ٤١٥، ٤١٧

أم حارتين ٤٣٤، ٤٧٨
أم خرزة - أم خرزة نباتة ٥٥٢، ٥٥٣

أم الخلاخيل ٥١٧
أم الدنانير ٣٩٥

أم ذليلة ٥٥٣
أم الرجم ٥٢٠

أم رسوم ٥٦٣
أم الرمان ٤١٤، ٤١٧

أم روثة تختاني - أم روثة فوقاني ٥٦٤
أم الصفا ٥٥٩

أم الصهر ييج ٣٤١، ٥١٦
أم طباخ ٥٥١

أم الطيور ٣٤١، ٥١٧
أم عدسة - أم عدسة عجمي - أم عدسة كريدية -
أم عدسة لايدة ٥٥٢، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦٣

أم العظام ٥٦٣
أم الملق ٤٠٢، ٤٢٣

أم العمى ٥٥٢
أم العمد ٥٠١

أم الموسج ٤٠٢
أم الغروب ٥٨٣

أم قبيبة ٥٥٩
أم القراميل ٥٤١، ٥٤٢

أم القصب ٦٧٧
أم القطين ٤١٤، ٤١٧

أم المرا ٥٤٨
أم معرة ٤٢٤

أم الميادين ٤٠١
أم ميال ٥١٧

أم ميلات ٥٣٠
أمعتان ٤١٤

باب الفرج ٥٩٩	البحر الكبير = بحر الروم ٧٨
باب النيرب ٧، ١٠٩، ٥٤٢، ٥٩٩	البحرة ٥٨٤، ٦٣٢
باب الهوا ٣٩٥	البحرين ٧١، ٩٥، ٣٥٨، ٤٤٥، ٤٥٩
بابل - بابلية ٦٦، ٥٥٦	بجمدون ٤٧٥
بابيري ٥٦٣	بحيرة خاتونية ١٨، ٤٠، ٦٣٢
باجلية ٦٠٦	بحيرة الصيقل ٢٨٦، ٣٩١، ٤٠٨
بادية الشام = بادية السماوة ٨، ١٠، ١١، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٤٣، ٤٦، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٣، ١١٦، ٢٢٢، ٢٤٥، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٢٢، ٣٤٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٥، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٤٣، ٤٤٥، ٥٩٤، ٥٩٣، ٥٣٣، ٤٦٦، ٤٥٨، ٦١٤، ٦٠٠	بادية قطينية = بحيرة حمص ٣٧٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٧٨
بادية العراق ١٥٦، ٤٢٩، ٤٤٣، ٥٣٣، ٦١٩	بحيرة وان ٦٥٢، ٦٥٤
الباردة ٤٣٣	بدر - البدرية ٢٣، ٥٤٤، ٥٤٥
بارق ٨٤	بدروسية ٦٧٧
باروحة ٤٨٦	البديع ٥٨٣
باريس ١٧	براك - بريقة ٢٣، ٥٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٦٧٧، ٦٩٣
باريشا ٥٤٧، ٥٤٨	البراغيدي ٥٤٠
باسوط ٥٥٦	برغيدة ٥٤٦
باشزي ٢٣	البرج ٥١٧
باشكفت ٦٥٩	برج أسامة ٥٣٩
باشكوي ٥١٧	برج إسلام ٦٧٧
الباغوز ٥٨٦	برج الدنادشة ٤٨١
باقوز ٥٦٩	برج الزعرور ٥٣٩، ٥٤٢
بالس = بالس القديمة . أنظر مسكنة	برج عزاي ٥٣٩
بانص ٥٤٣	برج قعيا ٦٧٧
بانياس ٣٩٢، ٣٩٣	برج هاب ٥٤٥
الباير ٦٧٧، ٦٧٩	برج الدبسي ٢٥
البتراء ٥٩، ٧٤، ٤٦٤	البردويل ٥٣، ٣٧٣
البيشة ٤١٥	برزة ٤٣٧
البحر الأحمر ٥٩، ٥٨٩، ٦٢٨	برزخ السويس ١٥١
بحر الأسود ٦٨٣، ٦٨٧	برشم - برشام ٥٧٩، ٥٨١
بحر الخزر ٦٨٣، ٦٨٧، ٦٩٧	برصة - بريصة ٥١٦، ٥١٧
بحر خوارزم ٦٧٥	برطوبة ٢٤
	برقيات ٣٩٥
	برقة ٩٤
	برقعيد ٢٣
	برقوم ٥٤١، ٥٤٢

بئر تل فضة ٥٠	بوتسدام ٦٥٦
بئر تل مخلوف ٥٠	بو جزلة ٥٨٣
بئر تل مهدوم ٥٠	بورسة ٦٧٥
بئر ثريا ٥٠	بوزا ٦٧٧
بئر جب ٤٦٦، ٥٩٧	بوزليجة ٥٦٤
بئر جب دخينة ٤٩	البوزو ٦٤٨
بئر جحا ٣٨٣	بومي ٤٣٠
بئر الجديد ٤٩، ٥٨٣، ٥٩٧	البويدر ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١
بئر جزل ٤٩، ٣٨٣	البوير ٤٢٣، ٤٣٧، ٥٨٣، ٥٥٩، ٦٦٠
بئر الحجل ٤٦٨	البويزة ٤٥١، ٥٠٤، ٥٢٨، ٥٤١
بئر حجيل ٤٩	بويضان ٣٤٢، ٤٢٢، ٦٩٣
بئر الحسلة ٥٠	البوطية ٥٦٩، ٥٧٨
بئر حفاير ٤٩	البويج ٥٥٢
بئر حفير ٤٩، ٤٥١	البياض ٤٤٥
بئر حليحة ٥٠	بياندور ٦٦١
بئر الحمام ٥٠	بيت ناظر ٦٧٧
بئر الحمية ٥٠، ٥٦، ٦٤، ٥٨٣	بيجي ٦٣
بئر خديان ٥٠	بئر أبو شديحة ٥٨٣
بئر خديان ٤٩	بئر أبو فياض ٤٩، ٥٠، ٥٣٧، ٦٠٦، ٦١٤
بئر خدير ٤٩	بئر أبو النيتل ٤٩، ٥٥٥
بئر خوينيقة ٤٩	بئر الأغرى ٢٨
بئر ديدي ٥٠	بئر الأفاعي ٥٠، ٣٩١
بئر ديليب ٥٠	بئر أمباج ٥٤٩
بئر رأس العين ٤٩	بئر أم غربية ٥٦
بئر الراح ٢٨	بئر أم قبيبة ٤٩
بئر راهوم ٥٤٩	بئر أم مرفع ٥٠
بئر رحوم ٤٩	بئر أم مليت ٤٩
بئر الرصافة ٤٩، ٥٠، ٥٤٩	بئر أنباج ٥٠
بئر روضة ٢٧، ٥٠، ٦٣٢	بئر بازورية ٤٩
بئر زرقا ٤٩	بئر برزان ٥٦٧
بئر السبع ١٤	بئر بصيري ٤٤، ٤٩، ٥٩، ٦٢، ١١٣، ٣٧٣، ٣٧٨
بئر سبيخة ٤٩	٤٥١، ٤٥٤
بئر سجري ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٥٤، ٥٦، ٤٩٩، ٥٣٠	بئر بطيان ٥٠
بئر سري ٥٥، ٥٠	بئر البغلية ٥٠
بئر سفيرة ٥٠، ١٠٩	بئر بيضا ٥٠
بئر سليم ٥٠	بئر بيوض ٤٩، ٥٠
بئر السوسة ٦٤٨	بئر تختة ٤٩

بئر متياهات ٥٠	بئر الشلال ٥٠
بئر محتل ٥٠	بئر الشمندور ٥٠
بئر محسة ٤٩	بئر الضبعة ٦٠
بئر مراغة ٤٩	بئر الطرفاوي - بئر الطرفاوي ٤٩ ، ٥٠ ، ٣٧٣ ،
بئر مران ٢٧ ، ٤٩	٥٨٩
بئر المربع ٤٩ ، ٥٠ ، ٤٩٩	بئر طوالة ٢٧
بئر مريسم ٤٩	بئر طيارية ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٣٠
بئر مسرب ٢٧	بئر الطيبة ٤٩ ، ٥٠
بئر المغلوجة ٥٠	بئر عجم ٦٩٣
بئر ملوحي ٤٩	بئر عظيماني ٤٩ ، ٥٠
بئر ملوصة ٢٨	بئر العلياينة ٤٩ ، ٥٠
بئر المنبطح ٤٩	بئر عواجل ٥٨٣
بئر منسف ٥٠	بئر عونبة ٤٩
بئر النجرة ٤٩	بئر عين شراد ٥٠
بئر الندويات ٤٩	بئر غانة ٤٥
بئر النقيب ٤٩	بئر غدر الماء ٥٦
بئر نيتل ٥٠	بئر الغرة ٥٠
بئر الهبا ٤٩	بئر غنثر ٤٩ ، ٨٤ ، ٣٤١ ، ٤٥١
بئر الهبية ٤٩	بئر الغياث ٥٠
بئر هدايج ٣١٢ ، ٥٨٣	بئر الفار ٥٠
بئر هلبا ٥١	بئر قباقب ٥٠
بئر الهليل ٤٩	بئر قرض ٤٩
بئر الورد - بئر وراد ٤٩ ، ٤٩٩	بئر قريظة ٤٩
بئر ورقة ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٥٣٠	بئر قصاب ٥٩ ، ٤٢٥
بئر وريق ٤٩ ، ٤٦٨	بئر قصب ٣٩٠ ، ٤١٥
بئر الوشل ٤٩	بئر قصبة ٥٠
بيرجك ٦٦٤	بئر قصر الحير ٢٧
بيرحيش ٣٤٠	بئر القطار ٤٩
بيرخلو ٥٦٠	بئر قطننة ٥٠
بيركولة كيتي ٣٤٠	بئر القمقوم ٣٨٣ ، ٤٣٣
بيرة ٣٩٥	بئر القنطاري ٥٠ ، ٥٨٣
بيروت ١٦ ، ١١٢ ، ٢٤٠ ، ٢٩٨ ، ٣٣٩ ، ٣٦١ ، ٤٠٧ ،	بئر قوائل ٥٨٣
٤١٦ ، ٤٣٩ ، ٤٧٥ ، ٤٨٥ ، ٥٣٠ ، ٥٧٨ ،	بئر الكديم ٤٩ ، ٥٤٤ ، ٥٤٠ ، ٦١٤
٥٩٣ ح ، ٦١٩ ، ٦٢٥	بئر الكوم ٤٩
بيسان ٤١٧	بئر الماء ٤٩
بيشة ٥٣٩	بئر المات ٤٩
البيضاء = القصر الأبيض ٢٣٢ ، ٤٢٨ ، ٣٨٨	بئر ماينة ٥٠

تعتور ٦٤
تفريعة الصغيرة - تفريعة الكبيرة ٥٤٩
تفساح - أنظر خربة سورية
تكريت ٢١، ٦٤٥
تل أبو حسن ٥٨٥
تل أبو ظاهر ٦٤٥
تل أبيب ٦٠١
تل أبيض ٢٣، ٥٠، ٤٦٨، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣،
٥٩٧، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦٧١
تل أحر ٥٥٢-٥٥٣، ٥٥٩
تل اصطبل ٥٥٢
تل الأصفر ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩
تل أعدا ٩٤
تل أغفر ٦١٢، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٤٥
تل أعور ٥٤٧
تل الأغر ١١١، ٥١٧، ٥٤٥
تل أم مدفع ٥٦٧، ٦٣٢
تل الأمير ٦٤٦
تل إيلول ٦٦٣
تل أيوب ٥٥٢
تل البراغيث ٤٢٤
تل براق ٢٣، ٦٠، ٦٤٤، ٦٤٨
تل بيدر ٦٣٤
تل الثبان الجنوبية ٥٦٧
تل التمر ٢٣
تل التوتون ٥٦٠
تل تين ٥١٧
تل الثور ٥٢٨
تل الجابية ٣٧٣
تل الجاموس ٧٠٢
تل الجمال ٤٢٢
تل جيات ٣٩٥
تل حاصل ٦٧٣، ٦٧٤
تل حداد ٥٠، ٦٢٨
تل حرم ٦٤٦
تل حسن باشا ٥٠١
تل حسين ٥٦٩، ٦٤١

بيضاء نثيل ٦٠٨
بيطارية ٣٤٢، ٣٨٤

« ت »

تائف ٤٨١
تادفية ٥٥١
التايهة ٥٤٨
تبارة ماضي ٥٤٨
تبليس ٦٥٤، ٦٦٥
التبني ٤٥، ٥٧٣، ٥٧٨، ٥٨٧، ٥٩١
تدمر ١٥، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١ ح، ٤٠،
٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١،
٥٩، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧٣،
٧٥، ٧٨، ٨٤، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ١٠٧، ١٠٨،
١٠٩، ١١٣، ١٦١، ٢٩٤، ٣٩٨، ٣١٤ ح،
٣٢١، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٦٥، ٣٧٨،
٣٨٨، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٢،
٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٩٠،
٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٤، ٥١٨، ٥٢١، ٥٣٠،
٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٧٣، ٥٨٣، ٦١٤،
٦١٧
ترعة دورين ٢١
ترعوز ٢٤
تركان ٥٤٢
التركاوي ٦٤٨
تركستان الشرقية ٦٦٠
تركان بارج ٥٤٥، ٥٤٦
تركية - بلاد الترك - الحدود التركية ١٩، ٢١،
٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣١ ح، ٧١، ١١٣، ٣٤٠،
٥٢٩، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٩٣، ٥٩٤،
٥٩٧، ٥٩٩، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١١، ٦٣٨،
٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧،
٦٥٢، ٦٥٥، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠،
٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٧٠،
٦٧١، ٦٨٣، ٦٨٨
ترمك ٦٧٢
ترجمة ٥٠٤

٥٤١ ، ٥٢٦ ، ٣٦٤	تل طوقان	٥٤٦	تل الحسن
٥٤٢	تل غابور	٥٥٣	تل الخطابات
٤٢٤	تل العاقر	٤٢٤	تل حلاق
٣٧٩	تل العامود	٥٣٤ ، ٥٢٨ ، ٥٢٦	تل حلاوة
٢٣	تل عجاج	٦٦٨ ، ٩	تل حلف
٦٩٣	تل عدا	٦٠٢ ، ٥٩٢ ، ٥٩٠	تل حمام
٦٧٣	تل عرب	٥٧٩	تل حمد
٦٣٨ ، ٦٢٨	تل العطشان - تل عطيشان	٦٤٢ ، ٣٦٤ ، ٦٠	تل حميدي
٥٢٢	تل عفر	٥٥٩	تل حودان
٧٣	تل عقرقوف	٤٧٨	تل حوش
٤٢٤	تل عكيس	٤٢٤	تل حويفير
٣٤١	تل علمناوي	٦٥٩	تل خزنة
٦٢٨	تل علو	٥٤٥ ، ٥٤٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٤	تل خطري
٥٤١ ، ٥٤٠	تل علوش	٣٠	تل خليل
٥٤١	تل العلي	٥٨٨ ، ٥٢٠	تل خنزير - تل خنزير
٥٢٤	تل عليج	٤٣٤ ، ٣٩٠ ، ٣٧٣	تل الدكوة
٥٢٨	تل العمارة	٥١٧	تل دم
٦٩٣	تل عمري	٣٠	تل رحولي
٥٢٠	تل عوحة	٥٤٥	تل رفعت
٥٢٢	تل العدر	٥٥٩	تل رفيع
١٢٢	تل العراة الفيلس - تل العراة الدامر	٢١	تل الرمان - تل الرمان التحتاني - تل رمانة
٥٣٠	تل فخار	٦٤٢ ، ٦٤٨	
٦٠١ ، ٣٤٠	تل فصة	٦٥٩ ، ٦٢٨	تل رميلان
٤٩٩	تل قوطيل	٣٤١	تل زبيد
٣٨٧ ، ٣٨٦	تل الشردي	٥٥٤	تل سميعين
٥١٧	تل كوسبان	٦٤٠	تل سطيج
٥٤٠ ، ٥٣٩ ، ٥٢٩	تل كلبة	٦٧٣	تل سلحيب
١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ٤٥٥ ، ٤١١ ، ١٠٧ ، ٦٤	تل كلبج	٦٠٢ ، ٥٩٨ ، ١٨	تل السمن
١٨٩ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ٤٨١ ، ٤٨٠		٧٠٢ ، ٦٩٣	تل سنان
٦٧٩ ، ٦٥٧		٢٤	تل شدادي
٤٦	تل كوكب - سلفطان التلول	٦٦٧	تل شرابة
٥٣٥	تل محسر	٤٤٠	تل شنان
٥٧٤	تل مدفوق	٤٢٢	تل شينان
٦٤٥ ، ٤٦	تل مرقدة	٦٢٨	تل الشيخ
٣٨١	تل مسكن	٦٤١ ، ٥٦٩	تل الشيخ حمد
٦٢٨	تل مشين	٦٢٩ ، ٣٠	تل مدفوق
٤٢٤	تل المطلة	٥٦٧	تل الطرمبة

ثنية العقاب ٢٥٢	تل مغاص ٢٢، ٦٤٢
	تل مكحول ٤٢٤
« ج »	تل مكسور ٥٥٣
الجابرية ٥٠٤	تل ملح ٥٠٤
الجابرية ٤٣٧	تل موزن ٧٧
جاءز بازار ٢٣	تل الهادي ٦٢٨
الجاونة ٣٩٨	تل هدلة ٣٧٣
الجاموسية ٥٥٧	تل هري ٥٨٦
جب الثور ٥٦٣	تل هواش ٥٠٥
جب جاسم ٥٣٩	تل وتيد ٣٩١، ٣٩٠
جب الجراح ١١١، ٣٢١، ٣٤١، ٤٣٤، ٤٤٧، ٤٤٨	تل بيسة = تلبيسة ٩٣، ٤٥٢، ٤٥٤
٥٠٤، ٥٠٢، ٤٩٦، ٤٩٠	تلة الساعي ٥٩
جب جبل ٣٧٨	تلتورين ٥٥٠
جب حسن آغا ٥٥٩	تلحمو ٥٥٦
جب الحمام ٥٥٩	تلعار ٥٤٥
جب الخفي ٥٥٢، ٥٤٣	تلعة الساعي ٣٨٩، ٤١٤
جب خميس ٥٦٣	تلعة الملح ١٠٠، ٥٠٩، ٥٩٤
جب الريان ٤٩٩	تلعريش ٥٥٩
جب الصفا ١٠٧، ٥٤٨	تلورين ٥٥١
جب الطويل ٥٥٩	تلول الضراير ٤٢٤
جب العلي ٦٠٤، ٦٠١	تلول القطا ٤٣٤
جب غبشة ٥٤٣، ٥٥٥	تلليل - اسليلة ٥٠٢، ٦٧٧، ٦٩٣
جب فارس ٥٥٩	الناعة ٥٣٢
جب القادر ٥٦٠	النك ٤٥١
جب القهوة ٥٥٩	تنورين ٤٧٥
جب الكديم ٤٩١	تهامة الحجاز ٣١
جب الكلب - جب الكلب الكبيرة ٥٤٣، ١٥٥	تهامة الين ٣١
٥٥٩	توران ٦٩
جب مخزوم ٥٥١	توينة - توينان - التويني ٣٤١، ٥٢٠، ٥٤٧
جب ناهد ٥٥٩	تي تو - تي تري - تي فور - محطات نفط ٣١،
جب النشامة ٥٥٧	٥٨٣، ٥٧٨
جب هندي ٥٦٠	تياء ١٣٤، ٣١٢، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٩٠، ٦٠٨
جباب ٤٢٣	٦١٣، ٦١٧
جبال السراة ٦٩	« ث »
جبال الشراة ١٨	
جبال شومرية ١٨، ٢٧، ٤٤، ١١١، ٣٤١، ٣٧٨	ثرية الجعرة ٢٧
٤٥٢، ٤٤٦	ثرية الملح ٢٧

جبل التياس ٤٤	جبال القفقاس ٦٨٥
جبل حرمون ٤٥	جبال قلمون ٥٨، ١٠٧، ١٧٤، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٥٥،
جبل حفير ٤٣	٤٥٦، ٤٥٨، ٦٧٧
جبل حمرين ٦٣، ٦١٥	جبال اللاذقية ١١٠، ٥٢٤، ٦٥٣
جبل حوران ٥١، ١١٠، ٤٣١، ٦١٧	جبال وان ٦٥٨، ٦٥٥، ٦٦٥
جبل خشبية تنيان ٤٤	الجبانة ٦٣، ٤١٤، ٤١٧
جبل خشبية فردة ٤٤	جبانة الشيخ فرج - أنظر ضريح الشيخ فرج
جبل خنيزر ٤٣	الحسيني
جبل السدروز ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٧٤، ٢٩٧، ٣٤٢،	جبرين ١٠٥، ٥٤٥
٣٤٣، ٣٤٨، ٣٦٥، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥،	جبل أبو رجين ٤٤، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥٢٠،
٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٠، ٤٠١،	جبل أبو شنداخ ٤٤
٤٠٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١،	جبل أبو الظهور ٤١، ٤٤، ٥٣٠،
٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٥١، ٤٥٦،	جبل أبو النتل ٤٤
٥٢٣، ٥٦٨، ٥٨٧	جبل الأبيض ٢٧، ٤٤، ٥٨، ٣٢١، ٤٥٨، ٥٢٠،
جبل الرواق ٢٧، ٤٠، ٤٣، ٥٩	جبل أجا - جبل طيء ٦٩، ٩١، ٥٠٧، ٥٨٧،
جبل الزاوية ٥٠٠، ٥٣٢، ٥٣٣	٦١٢، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٦، ٦٣٧،
جبل زين العابدين ١٠٠، ١١٠، ٥٠٢، ٥٢٤، ٥٢٧،	جبل الأحص ٥٨، ١٠١، ١٠٢، ١١٠، ١٣٢، ٣٥٠،
جبل سلمى = جبل طيء ٦٩، ٩١، ٥٠٧، ٥٨٧،	٤٤٧، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠،
٦١٢، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢٤، ٦٣٦، ٦٣٧،	٥٤٢، ٥٤٣، ٥٥١، ٥٦٣،
جبل سمعان ١١١، ٣٦٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٤٧، ٥٠٠،	جبل أسيس ٤٢٤، ٤٢٥
٥١٦، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٤١،	جبل الأكراد = جبل الكرد ٥٥٠، ٥٥٦، ٦٥٧،
٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٨، ٥٥٥،	٦٥٨، ٦٨١،
٥٦٣، ٥٦٩، ٥٨٧، ٥٩٠، ٦٧٤،	جبل أكروم ٤٧٣
جبل سنجار ٣٠، ٥٦، ٧٧، ١٢١، ٤٥٩، ٦٣٢،	جبل أم جرن ٤٣
٦٣٨، ٦٥٣، ٦٧٣،	جبل الباردة ٤٣، ٤٤، ٦١،
جبل سيس ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ١١٣،	جبل البشري = جبل البشر ٤٥، ٥٠، ٧٨، ١٠٨،
٣٧٣، ٣٨٨، ٣٩٠،	١٢١، ٤٦٦، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٩، ٥٥٠،
جبل شاعر ٢٧، ٤١، ٤٤، ٣١٤، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥٢٠،	٥٥٢، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٨٣،
جبل الشبيث ١١٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٩٥، ٦٠١،	٥٩١، ٥٩٧، ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١٤،
جبل شحشيو ٤٤٥، ٤٤٧،	جبل بصري ٤٣، ٤٤، ٣٧٣،
الجبل الشرقي ٢٧، ٤٣،	جبل البطم ٦١
جبل شعرة ٤٤	جبل بلعاس ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٦، ١٢١، ٣١٤، ح،
جبل الشفا ٢٧	٣٢١، ٤٤٠، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٢١،
جبل شمر ٣٥٨، ح، ٣٧٠، ٥٠٧، ٦١٢، ٦١٣، ٦٢٣،	٥٤٠، ٥٣٣،
٦٣٠، ٦٣٦، ٦٣٨،	جبل البيضاء ٤٩٩، ٦٣٢، ٦٦٨،
جبل الشيخ ٣٩٣، ٦٩٣،	جبل التف ٣٠، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٦٣،
جبل صفرا ٤٤	١١٧، ٣٧٣، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٥٤، ٤٦٨، ٥٠٢،

- جبل الضاحك ٢٧، ٤٤، ٤٥، ٤٥٨
 جبل الضلعان ٤٤
 جبل الضويحك ٤٤
 جبل الطار ٤٤، ٥٦١، ٥٦٢
 جبل طورزيتا ٤٦
 جبل الطيارات ٥١
 جبل عامل - جبل عاملة ٧٨، ٣٦٢، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٣٦، ٤٧٤
 جبل عبد العزيز ١٨، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٦٠، ١٢١، ٣٦٥، ٥٦٧، ٥٨٥، ٥٩٥، ٦٠٧
 ٦٦٤، ٦٦٢، ٦٣٣، ٦٤٦، ٦٤٨، ٦٦٤
 جبل العرسي ٦٤٣
 جبل عكا ٤٦٥، ٤٧٣
 جبل العمور ١٠٨، ١٢١، ٤٥٨، ٥٣٠، ٦١٤
 جبل عنزة ٢٨، ٣٠، ٥٤، ٥٥، ١١٧
 جبل عنزة ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٤٦، ٤٩٦
 جبل الغراب ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٣٩٠
 جبل الغول ٣٤٠
 جبل قراحوق ٦٦٠
 جبل قطوس ٤٣
 جبل قلمون ٤٥
 جبل الكردي - أنظر جبل الأكراد
 جبل لابة ٤٤، ٤٥٨، ٤٩٦
 جبل اللكام ٦٧٨
 جبل اللاهه ١١٧، ٣٧٨، ٣٨٤
 جبل ليلون ٦٧٣
 جبل المبارك ٤٦
 جبل مرا - جبل المرأة ٤٤، ٤٥٨، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥٢٠
 جبل معدبة ٤٤
 جبل المعزي ٤٦
 جبل معيرة ٤٤
 جبل مكحول ٦٣
 جبل منشب ٤٤
 جبل النصراني ٤٣
 جبل النقنقية ٦١
 جبل الوسطاني ٥٣٣، ٥٤٧
 جبلة الحمراء ٥٥٩
 الجبول ٥٢٦، ٥٤٠، ٥٥١، ٥٥٤، ٥٩٥، ٥٩٩
 جبيب ٤١٩
 جبتال ٥٥٧
 جدرايا - جدارية ٥٤٤، ٥٤٥
 جدل - الجدلة ٤٢٣، ٥٨٥
 جدوعية ٥٢٨
 الجديدة ٤٥٢، ٥٣٩، ٥٥٤، ٦٧٧
 جديدة بقارة ٥٦٧
 جديدة الخاص ٣٤٢، ٣٨٤
 جديدة العقيدات ٥٦٩، ٥٧٩
 جديدة الفرس ٥٥٧
 جديدة مرجعيون ٣٩٧
 جديدة مسطاحة ٥٦٣
 جرابا ٣٩٥
 جرابلس ٣٠، ٣١ ح، ١٢٢، ١٥١، ٣٢١، ٣٤٠
 ٥٥٢، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٤
 ٦٧٧، ٦٧٨
 الجراح ٢١
 جران ٥١٧
 جرذي ٥٨٢
 جرش ٥٩، ٦٧٨، ٦٩٣
 الجرعية ٦٣٢
 جرف قدغمي ٦٤٥
 جرمنز ٦٤١
 جرمكية ٥٣٩
 جرنه ٦٦٢
 جرن ددة ٥٥٦
 الجرنية ٦٠٢
 جريدية ٣٩٥
 جرين ٤٢٢، ٤٢٣
 الجزاعية ٦٣٢
 جزرايا ٥٤٠
 جزيرة بوخيد ٥٦٧
 جزر الخزر ٦٧٥
 جزري ٥٧٠

جسر الشغور ٣٩٦، ٥٤٦، ٥٥٤، ٦٥٧	الجزيرة = شبه الجزيرة ٩، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١،
جسر المجامع ٦٤	٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٥،
جسري ٤٢٣	٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣،
الجعارة - أنظر القعرة	٦٩، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٩٢،
الجفجج - هرماس ٢١، ٢٣، ٤٣، ٣٢٠، ٦١١،	٩٩، ١٠١، ١٠٨، ١١١، ١١٣،
٦٣٢، ٦٣٨، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٤، ٦٤٨،	١٣٠، ١٣٩، ١٩٩، ٢٦١، ٣٠٠، ٣١٠،
٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٦	٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٤٨، ٣٥٠،
جفر منصور ٥٤٤	٣٥٢، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٣٥،
جقال صغير - جقال الكبير ٥٥٠، ٥٥١،	٤٥٥، ٤٦٠، ٤٦٨، ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٧،
جقور جاق ٦٧٧	٥٠٩، ٥١٤، ٥٢٣، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٤٩،
جل آغا ٦٢٨	٥٥١، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٥،
جماح ٤٢٣	٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٢،
جمره ٤٢٣	٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩،
الجقلية ٤٩٩	٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٤، ٥٩٧، ٦٠١، ٦٠٦،
جملة ٤٥٤	٦٠٨، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٦، ٦١٩،
الجمهور ٤٧٥	٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٨،
جمهورية تركيا ٦٧٦	٦٢٩، ٦٣٢، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧،
الجمهورية السورية - أنظر سورية	٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٧،
جنا العلباوي ٣٤١	٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥،
جهان ٥٢٨	٦٧٢، ٧٠١، ٧٠٢،
جوبان بك ٦٧٧	جزيرة ابن عمر ٣٠، ٦٠، ٧٧، ٦٤٨، ٦٥٩، ٦٦٠،
جوتة ٥٦٠	جزيرة جنة ٤٤٥
جوخة ٥٣٩، ٥٤٢، ٦٤١	الجزيرة العربية = جزيرة العرب ٨، ١٣، ١٤،
الجوخدار ٣٧٣، ٣٩٨، ٤٠٩	٣٠، ٥٣، ٥٧، ٦٦، ٦٧، ٧٢، ٧٨، ٧٩،
جورجيا (الكرج) ٦٨٣	٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ١٣٢، ١٥١، ١٥٧،
جوسية ٤٨٢	١٧٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٩٥،
الجوف = دومة الجندل ١٥، ٣٠، ٥١، ٥٩، ٦٢،	٢٩٩، ٣٠٧، ٣٢٢، ٣٥٨، ٣٦٠،
٩٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٠،	٤٢٩، ٤٤٥، ٤٥٩، ٤٦٤، ٤٦٥، ٥٦٧،
٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨،	٥٧٢ ح، ٦٠٠، ٦٠٨، ٦١٢، ٦١٥، ٦٣٨،
٤١٦، ٤٣٥، ٤٤١، ٦١٤	الجزيرة الفراتية = بادية الجزيرة ١١، ٥٦، ٦٨،
جوف الأحر ٥٦٠	٧٠، ٧١، ٧٦، ١٠٢، ١٠٨، ١٢١، ١٦٧،
الجلولان ٨٦، ٨٧، ٩٢، ٩٦، ٩٧، ١٠٨، ١٢٣،	٣٢٠، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤٥٣ - ٤٥٤، ٥٩٤،
١٧٩، ١٨١، ٢٤٤، ٣٦٣، ٣٧٠، ٣٧٣،	٦١٢، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٦، ٦٣٨، ٧٠١،
٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤،	جزيرة قمران ٥٨٩، ٦٢٨،
٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤٠٨،	جزيرة المساية ٤٤٥
٤٠٩، ٤١٠، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٣٥،	جزيرة ميلاج ٥٦٧
٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٥٠٨،	جسر بنات يعقوب ٣٩٨،

حرة الصفا = الصفاة ٢٩، ٧٠، ٧٤، ٧٦، ٣٧٢،
٣٨٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٠٩،
٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨،
٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٦، ٤٥٩

حرمز ٥٨١

حرم ٦٧٧

الحرمين الشريفين ١٠٦

الحريجة ٥٣٠

الحريجي - الحريجية ٥٧٠، ٥٨١، ٥٨٢

حريصا - بلبنان ١٤

الحريق ٣٥٨

حزوما ٣٨٦

حسرة - الحشرات ٥٥٩، ٥٨٤

الحسكة = الحسجة ٢١ ح، ٢٣، ٣١، ٤٦، ٥٠، ٦٠،
٦٣، ٧٧، ١٢٢، ٣٤٢، ٣٤٣، ٥٦٧، ٥٨٥

٧٠١، ٦٦٦، ٦٢٨

حسية ١٠٧، ٣٧٣، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٥٢، ٥٢٠، ٥٣٢،
٦٨٠

الحسيكة - الحسيجة ٥١٨، ٦١١، ٦٢٦، ٦٣٢،
٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦

حسنية ٥٦٧، ٦٧٧

الحصن ٦٤

حصن الأكراد ٤٨٤، ٦٥٧

حصن جاوا ٥٤

حصن الصفح ٦٥٧

حصن كيفا ٧٦

حصن مسلمة ٢٤

حصن هرقة ٢٤

الحصويات ٦٤٠

حضر موت ٦٦، ٦٩، ٧٤

خطابات ٥٥٩

حطلة ٥٦٧

الحفة ٦٥٧، ٦٥٨

حفر ٦٧٧

حفيان ٣٤٠

حقة ٥٥٤

حكاري ٦٥٧، ٦٥٨

٥٤٤، ٥٤٩، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٩٣

جوزية ٦٩٣

الجويف ٤٦، ٥٠، ٥٥، ٦٠، ٣٩٠

الجيدور ٩٢، ٣٧٣، ٤٠٢، ٤٢١

جيرو ١٠٧، ٣٤١، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٥٨

الجيزة ٤٠٣

الجيل ٤٤٥

الجينة ٥٢٨

« ح »

حاجي كوسا ٥٥٢، ٥٦٤، ٦٧٧

الحارة ٥٣، ٤٠٢

حارم ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٨

الحاضر ٧

حامر ٤٠٣، ٤٢٣

الحاوي سقي الفرات ٤٣

حائل ٨، ١٥، ٥٦٨، ٥٧٢ ح، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢٣

الحبشية ٥٤٠

حبوبة الصغيرة ٥٦٣

الحتاني ٥٤٢

الحجاز ١٥، ١٦، ٥٧، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢،

٧٣، ٧٩، ٨١، ٩١، ٩٥، ١٠٨، ١١١، ١٦٠،

١٨٣، ٢٢٢، ٣٠٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١،

٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٠٤، ٤٠٥،

٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٦٤،

٤٩٠، ٥٠٧، ٥٥٣، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٥،

٦٢٦، ٦٦٨، ٦٨٦

حجر الأبيض ٤٧٨، ٥٥٧

حداد - حدادين ٥٤٢، ٦٥٩

الحدود السورية - الدرزية ٣٤٢

الحديثة ٦٣، ٩٧، ٩٨، ٥٢٢

حذور ٤٨٢، ٤٨٣، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٠

حرازة ٥٥٣

حران ٢١، ٢٤، ٦٠، ٧٧، ٤٢٣، ٦٤٦، ٦٩٣

حران العواميد ٣٨٤

حرة الراجل ٨، ٢٨، ٥١، ٥٤، ٦٣، ٦٤، ٣٨٣،

٣٨٧، ٤١٣، ٤٢١، ٤٣٠، ٤٣١

٥٣٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٠ ، ٥٢٨ ، ٥٢٧ ، ٥٢٤
 ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٧٣ ، ٥٧٢ ، ٥٤٧ ، ٥٣٤
 ٦٦٤ ، ٦٥٨ ، ٦٥٧ ، ٦١٧ ، ٦١٥ ، ٦١٤
 ٦٨٠ ، ٦٧٩ ، ٦٧٨ ، ٦٧٧ ، ٦٧٤
 الحجاد ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٤
 ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦
 ٣٢٣ ، ٣٢٢ ، ١٥٨ ، ١٢١ ، ١١٧ ، ١٠٢ ، ٥٥
 ٣٧٢ ، ٣٧١ ، ٣٦٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٠ ، ٣٢٦
 ٣٨٦ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٣
 ٤٢٥ ، ٤٢٤ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤٠٨ ، ٣٩٧
 ٤٤٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٠ ، ٤٣٣ ، ٤٢٧
 ٤٩٦ ، ٤٦٣ ، ٤٥٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥١
 ٥٣٣ ، ٥٣٠ ، ٥٢١ ، ٥١٤ ، ٥٠٩ ، ٥٠٤
 ٦١٤ ، ٦٠١ ، ٥٩٧ ، ٥٣٤

الحجاد الشمالي ٦٣

الحمام ٥٩٢ ، ٥٩٧ ، ٦٦٣

حمام أبو رباح ١٠١ ، ٦٨٠

حمام صغيرة ٥٦٠

حمام العليل ٥٢٢

الحمة - حمية ٥٤٨ ، ٥٨٥

الحمدانية ٥٢١ ، ٥٢٨

الحمدى ٦٤٥

الحجر ٥٦٢ ، ٥٦٣

الحجرات ١١١ ، ٣٢١ ، ٣٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩

٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٦ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٩

٥٤٠ ، ٥٣٥ ، ٥٣٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٠

الحجرات ٣٤١

حجريت ٣٩٧ ، ٣٩٨

حصص ٧ ، ٢٧ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦٢

٦٤ ، ٦٦ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩

١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩

١١١ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣

٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٨٣

٣٦٨ ، ٣٦٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٣

٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤

٤١١ ، ٤٢١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧

٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧

حلب ٥ ، ٧ ، ٩ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣١ ح ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥
 ٥٠ ، ٦٠ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧
 ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
 ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٥١ ، ١٨١
 ١٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠
 ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٩٢
 ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٣٦ ، ٤٥٣
 ٤٥٥ ، ٤٨١ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨
 ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢١ ، ٥٢١
 ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣
 ٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١
 ٥٤٢ ، ٥٤٦ ح ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠
 ٥٥١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣
 ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥
 ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥
 ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٥ ، ٦٤٧
 ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٧٣ ، ٦٧٦
 ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٦ ، ٦٩٣

حلبان ٥٢٠

حلبية ٥٤٨

حلفايا ٥٠٤

حلوانجي ٥٥٩ ، ٥٦٤

حلوبة ٥١٧

حليب هذاج ٥٨٣

حما الكبيرة ٥٥٧

حماة ٥ ، ٧ ، ٢٧ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦
 ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢
 ٢٠٥ ، ٣١٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣
 ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٨٤ ، ٤٢١
 ٤٣٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨
 ٤٥١ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٦٨ ، ٤٨٢
 ٤٨٣ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦
 ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣
 ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٣
 ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٣

حولايا ٦٨٠	٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤
الحولة ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٧٤ ، ٥٤٤	٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨
حومي ٤٥٧	٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦
الحويجة ٥٤٧ ، ٥٨٨ ، ٦١١ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٢٢	٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠
حويجة إسحاق ٥٦٣	٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١١
حويجة الحمام ٥٦٤	٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥٢١ ، ٥٢٦ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٧٣
حويجة الدرة ٥٥٧	٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٥٧ ، ٦٦٧
حويجة عبيدي ٥٩٢	٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٩٣ ، ٦٩٩
حويجة العبيد ٥٨٧ ، ٥٩١	حوكر ٦٢٨
حويجة العراق ٦٢٢	حبيدي ٥٤١
حويجة فصيح ٥٦٣	الحيري - الحميرية ٥٤٠ ، ٦٧٧
الحوير ٥٠٤ ، ٥٤٢ ، ٦٧٧	حنجور ٤٧٧ ، ٦٧٣
حوير شيزر ٥٠٤	حنورة ٥٠
الحويز ٥٤٧	حنيطل ٥٨٣
حويز الشمالية ٥٤٧	حوا ٥٢٨
حوين ٥١٦	الحواش ٥٤٧
حي الأكراد ٦٥٨ ، ٦٥٧	الحوائج = الحوايج ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢
حي الحاضر - بحمة ٥٠١	حوت ٤١٧
حي الشعلان - بدمشق ٣٧٧	الخوة ٤٤٦ ، ٦١٤
حي صغيرة - حي كبيرة ٥٦٠	حوران ١١ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٥
حي مسجد الأقباص - بدمشق ٤٩٢	٧٦ ، ٨٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩
حي المهاجرين - بدمشق ٤٢٤	٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٦١ ، ٢٨٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
حي الميدان - بدمشق ٧ ، ٣٩٧	٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩
حيالة ٣٤٠	٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦
الحيانية ٥٤٠	٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠١
حير البصل ٤٨٣	٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١
الحيرة ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٩١ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٤٣٩	٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١
٦٣٩	٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦
حيفا ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٤٣٢ ، ٦٨٠	٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٨١ ، ٥٠٩ ، ٦٧٧ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠
حيفا رقم ١ - حيفا رقم ٢ - حيفا رقم ٣ - حيفا رقم ٤ - حيفا رقم ٥ - محطات نقط ٢٨ ، ٢٩	حورانية ٤٠٣
٤٣٢ ، ٤٣١ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣	الحوز ٤٨٢
» خ «	حوش البحدلية ٣٨٦
خاتونية ٥٩٠	حوش خرابو ٢٨٥
خان أبو الشامات ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٣٧٣ ، ٤٠٨	حوش الضواهرة ٢٨٧
٤٢٤	حوش الفارة ٢٨٦
	حوش نصري ٣٨٦ ، ٣٨٧
	الحوطة ٣٥٨

- Y Y A -

خرقان ٥٦٠	الحرار ٣٨٦
خرمز ٥٨١	خراسان ٨٠، ٨٢، ١٣٨
خرنوبية ٦٤١	الخرايج ٤٥٧، ٤٩٩، ٥٣١
الخريجية ٥٧٩	خربة أبي كاتولة ٤٠١
خزف ٢٣	خربة أسود ٥٦٠
الخزنة ٦٦٠	خربة أم الجمال ٦٤
خساف ٥٥٣	خربة أم السعد ٥٩، ٤٢٥
خس دكتور ٥٨٨	خربة أم العواميد ٤٠٣
خسف ٣٧٣	خربة الأنباشي ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠
الخشائية ٤٩٦	خربة باركير ٦٧٢
خشام الجزيرة ٥٧٩	خربة برغوث ٥٦٣
الخشبة ٤٢٦	خربة التين ٤٥٢
خشخاشة الصغيرة ٥٦٠	خربة التين محمود ٦٧٧
خشفة ٥٦٠	خربة ثعلبة ٦٠
الخشنية ٦٩٣	خربة الجحاش ٥٥٣
خصاص ٣٩٤، ٣٩٣	خربة الحصان ٥٦٣
خطاب ٥٠٤	خربة الحمرة قواص ٥٦٣
خفايا الالهة ٣٧٣	خربة الخاروف ٥٦٠
الخفصة ٥٦١	خربة الرز ٥٩٢
خفصة الصغيرة - خفصة الكبيرة ٥٥٩، ٥٦١، ٥٦٢،	خربة الرياشي ٥٩
٥٦٣	خربة السوداء ٥٥٧
خفية أبي قلقل ٥٦٣	خربة سورية = تفساح القديمة ٢٥
خلخلة ٤٢٢	خربة الشباب ٥٥٩
الخلصة ٤٤٨	خربة الشقرانية ٣٨٥
الخليج العربي - خليج البصرة ٢٤١، ٣٥٨، ٤٣١،	خربة الشياب ٥٥٢، ٥٥٩
٤٤٥، ٤٦٢، ٤٦٦، ٦١٧،	خربة صليب ٥٦٠
خليصة ٦٧٧	خربة العشرة ٥٥٤
الخمسية ٥٥٠	خربة عقلة ٥٦٣
خناصر - خناصر ٢٧، ٥٠، ٥٨، ٣٤٠، ٣٤١،	خربة عيوش ٥٥٩
٦٩٣، ٦٠٥	خربة غرز ٤٢٨
خنيس ٢١	خربة الكنيسة ٤٢٨، ٥١٦
خنيفس ٤٥٤، ٥٠٤	خربة كيار ٥٤٩
الخور ٤٠	خربة الموزر ٦٠، ٥٦٧
خويجة ٣٩٥	خربة النجم ٥٥٦
خوين الكبير ٥٣٢	خربة وعري ٤١٩
خير ١٣٤، ٣٦١، ٤٩٠، ٦٠٨، ٦١٧،	خربش ٥٣٩
	خرخر ٦٧٧

« د »

٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١ ح، ٤٣، ٤٦، ٤٧،
٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٨، ٥٩، ٦٠،
٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٩٢،
٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧،
١٠٩، ١١٢، ١٢٠، ١٢١، ١٦٣،
١٧٤، ١٩٦، ٢٤٤، ٢٦١، ٣٠٧، ٣١٠،
٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٧،
٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢،
٣٧٣، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٣، ٣٨٤،
٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٤،
٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧،
٤٠٩، ٤١٠، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٣،
٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٦،
٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٦٨،
٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٢، ٤٩٨،
٥١٧، ٥٧٤، ٥٩٣، ٥٩٨، ٦٠٤، ٦٠٨،
٦٢٠، ٦٢٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٦٤، ٦٦٨،
٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٦، ٦٩٩، ٧٠٣

دمنهو٥٤

دميرقبو ١٨٩، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٢

دنادجي ٣٩٧

الدندانة ٥٥٧

دنيبة ٤٥٤

دهناء نجد ٣١

دورا أوروبس - أنظر الصالحة

دوسة ٦٧٧

دوسرية أنظر قلعة جعبر

دوسو٦٤

دوما ٢٥٢، ٣٥٧، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٧،

٤٣٥، ٤٩٩، ٥٨٤، ٦٤٥، ٦٩٣

دوما - بناحية الجراء ٥٣٢

دومة الجندل - أنظر الجوف

الدوير ٥٨٢، ٦٥٧

ديار بكر = ديار باقر ٢١، ٢٤، ٧٠، ٧٦، ٧٧،

١٠٦، ٦١١، ٦٥٥، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦،

٦٦٧، ٦٦٨، ٦٧٥

ديار ريبة ٧٠، ٧٧، ٦١١

دابق ٥٤٥

الداخلة ٣٥٨

دادات ٥٥٦، ٥٦٠

دارا ٢٣

دار الباقات ٥٣٩

الدار الكبيرة ٦٧٧

الداسية ٤٥٦

الداغستان ٦٨٣

داما ٤٢٢

دامة العليا ٤٢٣

الداوية ٧٠٢

الديسي ٥٨٩

دبلان ٥٨٢

دبورة ٣٩٥

دبوسة ٤١٠

الدخول ٥٨٣

درباسية ٢٣، ٦٢٤، ٦٤٥، ٦٦٣

دريند = باب الأبواب ٦٨٣، ٦٨٥، ٦٩٨

الدرخبية ٣٩٧

الدردارة ٦٢٨

الدردينل ٦٨٧

درعا ٢١٧، ٣٦٢ ح، ٣٧٣، ٣٨١، ٤٠١، ٤١٣،

٤٤٧، ٤١٩

درنج ٥٨٢

ريه ٤٨٣

دشت حسن ٦٥٩

الدشيشة ٦٤٥

دكواني ٥٤٨

دلامة ٥٤١، ٥٤٢

الدلاوية ٦٤٠

دلنا النيل ٧١

دلي حرب ٦٥

دهمية ٣٩٥

دلوة ٣٩٥

دليفار ٥٥٧

دمشق ٧، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٤،

ديرونة ٦٦٠	ديارسنبل ٥١٧
ديريـك ٢١ ح، ٢٣، ٦١١، ٦٣٢، ٦٥٨، ٦٥٩،	ديارمضر ٢١، ٢٤، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٦١١،
٦٦٠، ٦٦١	ديبين ٤١٧
ديمان ٥٣٩	دير الأسمر ٤٢٣
ديمو ٤٧٧	الدير الجنوبي - الدير الشمالي ٥٩، ٤٢٤، ٤٢٥،
الديوانية ٢٤، ٥٤٧	٤٨٣، ٤٨٢
« ذ »	دير حافر ٥٣٠، ٥٤٨، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٥،
ذبيان ٥٨١	٥٩٩
ذريية ٥١٧	دير الرمان ٢٦
ذبيان ٥٧٠، ٥٨٠	دير الزور ٥، ٧، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١ ح، ٣٢، ٣٣،
ذيل العجل ٦٩٣	٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٦٣،
« ر »	٩٩، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٢١،
رأس العين ٩، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٦٠، ٧١ ح، ٥٤٠،	١٦١، ٢٦٤ ح، ٣٤٣، ٣٨٣، ٤٤٦،
٥٤١، ٦٣٢، ٦٣٨، ٦٤٥، ٦٤٨، ٦٥٨،	٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٩٩، ٥٠٩، ٥١٤،
٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٧٠١، ٧٠٢،	٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠،
رأس عين الحجر ٥٦٢	٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٢، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧،
راجو ٦٧٣	٥٦٩، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٧،
راطونية ٥٦٣	٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٨،
الرافدين ١٨	٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٧،
الرافقة ٢٤	٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٤، ٦١٥،
ران ٦٧٧	٦١٨، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٢٣، ٦٣٧، ٦٤٣،
الراهون = الراحوب ٤٥، ٥٠،	٦٤٤، ٦٦٦، ٦٦٧،
راوندوز ٦٥٤	دير عطية ٣٩١، ٤٥٥، ٤٥٨،
راوية ٣٩٥	دير علي ٣٩٧
الربع الخالي ٨، ٢٤٥	دير فول ٤٥٦، ٦٩٣، ٦٩٩،
ربيعة ٢٤	دير القبلي ٤٢٤
رجم الأقرع ٥٦٣	دير قروح ٣٩٥
رجم شوكان ٥٣٩	دير الكهف ٣٠، ٥٩،
رجلة القصوص ٦٢٨، ٦٣٨،	دير مارجر جس الجبراء ٤٨٢
رجم مارع ٤٢٤	دير ماکر ٣٩٧
رجم مشرفة ٥٢٠	دير مفضل ٣٩٥
رحبة مالك بن طوق ٢٤، ٢٥، ٥٨٠،	دير الوسطاني ٤٢٤
الرحي - الرحية ٤١٦، ٥٠٤،	ديرة التلول ٥١، ٥٣، ١٢١، ٣٨٤، ٣٩٠، ٣٩٧،
الرحيبة ٣٩١، ٤٥٨،	٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٠،
الرد ٢١، ٦٣٨، ٦٤٠،	ديرة الشنبل ١٠٧، ١٠٨، ٣٦٣، ٤٠٥، ٤٣٥، ٤٤٦،
	٤٥٦، ٦٠١،
	ديرك ١٨٩

الرقعة ١٦، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٤٥، ٤٦،
 ٥٠، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٧٧، ٨٤، ٩٠، ٩٨،
 ١٠٧، ١٠٩، ٣٦٥، ٣٩٦، ٤٩٩، ٥١٢، ٥٢٩،
 ٥٤١، ٥٤٢، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٥٥، ٥٥٧،
 ٥٦٣، ٥٧٤، ٥٧٨، ٥٨٦، ٥٨٧،
 ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩١، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠١،
 ٦٠٢، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٤١، ٦٦٤،
 ٦٧١، ٦٧٢، ٦٨٠،
 الرمادي ٥١، ٥٢، ٦٣، ٨٥،
 الرمان ٦٧٨،
 الرمتا ٤٤٥، ٤٤٧،
 رمثانية ٣٩٥،
 رمل الإسكندرية ٥٥٤،
 الرملة ٩١، ٣٤١،
 رميلان ٢٣، ٥٨٣،
 الرميعة ٦٤٨،
 الرها - الرهاوية ٢١، ٥٠، ٥٩٣، ٦٥٨،
 رواة ٥٨٠، ٦٣٢،
 روحينة ٦٩٣،
 روسية = الاتحاد السوفيتي ٢٠، ٣١، ١٥١، ٣٧٧،
 ٦٥٢، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٧٦، ٦٨٣، ٦٨٤،
 ٦٩٠، ٦٩٧،
 روما ١٦، ٥٩،
 الروملي ٦٧٦، ٦٨٧، ٦٨٨،
 رومية - الروم ٥٧، ٧٦، ٤١٦،
 رويشد ٥٨٣،
 الرويشيد ٥٣، ٣٧٣،
 الرويضات ٦٣٢،
 الريادية ٥٤٧،
 الرياض ٣٧٧،
 ريان ٥٥٢،
 الريمانية ٦٩٣،
 الريسدية ٤٢٨،
 ربيع الهوا ٥٢٨،
 رية اللحف ٤٢٣،

الرد الأعلى ٦٤٨،
 ردة الصغيرة - ردة الكبيرة ٥٦٣،
 الرزاة ٤٤٣،
 الرزانية ٤٠٩، ٦٧٧،
 الرستن ١٠٣، ٤٥٤، ٤٥٦،
 الرسم ٥٤٣،
 رسم الأحمر ٥٠٢، ٥٠٥،
 رسم الأخضر ٥٥٩،
 رسم البساس ٥٤٠،
 رسم بوحز ٥٦٠،
 رسم الحجل ٤٤٨،
 رسم الحرم الإمام ٥٥١، ٥٥٢،
 رسم الحمام ٥٥٩،
 رسم الحير ٥٤٩،
 رسم الحنار ٥٥٢،
 رسم سرحان ٥٤٩، ٥٥٢،
 رسم الشيخ ٥٥٢،
 رسم الصفا ٥٣٩،
 رسم الضبع ٥٠٢،
 رسم العبد ٤٩٩، ٥٥٢،
 رسم عبود ٥٤٨، ٥٥٩،
 رسم عكيرش ٥٣٩،
 رسم العلم ٥٥٣،
 رسم العيش ٥٣٩، ٥٤٢،
 رسم الغزال ٥٣٩، ٥٥٤، ٥٦٣، ٥٩٣،
 رسم الكا ٥٥٢،
 الرصافة ٢٧، ٤٥، ٥٠، ٥٨، ٦١، ٨٤، ٣٢١، ٥٤٩،
 ٥٥١،
 الرصيفة ٦٩٣،
 رضوانية ٥٥٢،
 الرضيفات ٤٥٤،
 الرطبسة ٢٨، ٢٩، ٣١، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٦٣، ٦٤،
 ٦٥، ٤٤٣، ٤٥٩، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٩٧،
 رعبنة ٣٩٥،
 الرغيب ٥٨٠، ٥٨١،
 رفة ٥١٧،
 الرفيد ٣٩٧،

« ز »

« س »

الزباب ٥٢٢	ساحة المرجة ٤٤٠
الزباء ٤٢٣	الساحل ٦٧٧
الزباري ٥٨٠	سالة ٤١٤ ، ٤١٩
الزباير ٤٠٢	سبته ٣٩٧
الزبداني ٣٩٣	السبخة ٢٥ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٢٩ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ،
زبن ٥٦٣	٦٠٥
زبيدة - الزبيدية ٦١ ، ٥٥٣	سيخة البرهوت ٥٦
الزبيرة ٤٢٣	سيخة البعارة ٥٦
زحلة ٦٨٠	سيخة التليلي ٣٠
زراعة ٥٢٩	سيخة الروضة ٥٦
الزربة ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٦٣	سيخة الشلان ٥٦
زرزور ٥٥٢	سيخة المنبطج ٣٠
الزرقاء ٦٩٣ ، ٧٠٢	سنببا ٣٩٧ ، ٣٩٨
الزرقية ٣٩٧ ، ٣٩٨	السبع آبار ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٣٨٦ ، ٤٣٣ ،
زعرته ٣٩٥	٤٥٢ ، ٤٥١
الزعرانة ١٠٩	سبيل ٥١٦
زغبة ٥١٦	سحال ٥١٦
زغيلة ٣٤١	السحل - سحيل ٥٨٩ ، ٦٦٠
زقف ٥٦	سحور ٥٣٩
الزلف ٥٢ ، ٥٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨	السحنة ١٧ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ،
زمار ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٦٤٥	٥٩ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ٣٩٤ ، ٤٣٣ ،
زمرين ٤٠٢	٤٤٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٦ ، ٤٩٩ ،
الزنبوط ٥٨٣	٥٠٢ ، ٥٣٠ ، ٥٤٤ ، ٥٩٧ ، ٦٩٣ ، ٧٠٢
زنفر ٥٥٩	سد أرنبه ٥٤ ، ٦١
الزنتع ٤٢٦	سد الخريقة ٢٧ ، ٤٤
الزور ٢٥	سد الرمان التحتاني ٢١
الزوية ١٢٣ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ،	سد السبع سكور ٢١ ، ٦٢٨ ، ٦٤٨
٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٣٤ ، ٤٨١	سد العرم ٥٨٧
زياد - الزيادة ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٤٥ ، ٥٤٤	سد مأرب ٧٤ ، ٧٦
زيارة - الزيارية ٥٤١ ، ٥٤٧	سد المنتقورة ٦١
الزيبق ٦٧٧	سد الهريقة ٦١ ، ٦٢
الزيتونة ٥٨ ، ٦١	السدير ٣٥٨
زيدل ١٠٩	سراري ٦٧٧
الزيزاء ٥٨	سراقب ٥٢٣ ، ٥٤٥
	سرج - سرجة - سروج - سروجة ٢٤ ، ٦٠ ، ٧٧ ،

٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ،
٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ،
٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٦٩٣

سلندر ٦٦٢ ،
سلوقية ٣٩٥
سلوك ٥٩٢
سليسة ٣٩٥
سلم ٤١٦ ، ٤٥٤
السليمانية ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦
سماقة - السماقية ٣٩٥ ، ٥٣٢
سماوة ٢٤ ، ٧٨
سمخ ٣٦٢ ، ٤٨١
السمرة ٤١٠
سمياط ٦٠
سمقة - السماقيات ٤٠١ ، ٥١٧
سمومة ٥٦٣
سميرية ٥٣٩
سنابر ٣٩٥
سنجار - سنجارة ٢١ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٥٢٠ ، ٥٦٦ ،
٥٦٧ ، ٦٣٥ ، ٦٤٨
سنديانة ٣٩٥ ، ٦٧٧
سنيدة ٤٥٤
سهي (ثلاثة تلال) ٦٣٤
سهل باشايا ٥٢٢
سهل البقية ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥
سهل الحلقة ٥٣٣
سهل الدو ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٣٧٣
سهل الرحبة ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤١٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ،
٤٢٨
سهل رمدان ٦١ ، ٣٧٣ ، ٣٨٥ ، ٤٢٤
سهل الروج ١٢٣ ، ٥٤٤
سهل عكار ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤ ،
٦٧٩
سهل العمق ١٢٢ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٩٧ ، ٦٧٨ ، ٦٩٣
سهل الغاب ١٢٢ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧
سوارك ٦٦٧
سواريك ٦٦٨

٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٥٠٣ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٥٥ ،
٦٧٠ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤

سرج فارع ٥٣٩
سرجا ٥٠٤
سرحان - قرية ٥٥٣
سرحة ٥٥١
سرحة البارودية ٥٢٨
سريجة ٥٥١
سعدوني ٥٦٧
سعد ٦٥٤ ، ٦٥٩
سعسع ٣٩٧
سعلو ٥٧٩ ، ٥٨٠
سعلو ٥٧٩ ، ٥٨٠
سعن الأسود ٤٥٢ ، ٥٢٦
السعن وسعين ١١١ ، ٣٢١ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٩١ ،
٤٩٦ ، ٥٠٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٦ ، ٦٠٦
السعنة ٥٩
السفح ٧٠٢
سفيرة ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٥٤ ، ٥٦١
سفيرة التحتانية - سفيرة الفوقانية ٥٦٧
سقي الفرات ٥١
سكاء ٣٨٦
سكاكة ٣٠ ، ٢٢٨
السكري - السكرية ٣٧٨ ، ٥٨٥
سكرية الصغيرة - سكرية الكبيرة ٥٥١ ، ٥٥٢
سكر العباس ٢٤
سلام المشارفة ٥٠٤
السلاليل ٥٢٨
سلقين ٥٤٨
سالية ٩ ، ١٠ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١٠٢ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ،
٢٨١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٨٤ ،
٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ،
٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ،
٤٥٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ،
١٨٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ،
٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٧٢ ،
٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
٣٢٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،
٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ،
٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٠٤ ،
٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٧ ،
٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ،
٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ،
٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ،
٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٩٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ،
٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ، ٥٣٥ ،
٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٧ ، ٥٦٨ ،
٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ٥٨٧ ، ٥٩٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٨ ،
٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ،
٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٩ ،
٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ،
٦٤٢ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ،
٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ،
٦٦٣ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٦ ،
٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ،
٦٨٦ ، ٦٨٨ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٩ ،
الشامية ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ،
٤٠ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
٥٧ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ٣٠٠ ، ٣٢٣ ،
٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٥ ، ٤٩٦ ،
٥٠٩ ، ٥٥١ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٩ ،
٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٨٧ ،
٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٧ ، ٦٠١ ،

السؤال ٤٠١
سوحة ٣٤١ ، ٤٤٦
سوحة عقيربات ٩٩
السودان ٨٣ ، ١٥١ ، ٢٤١
سودة ٥٦٣
سورية = الجمهورية السورية ١١ ، ١٨٦ ، ٣٢٧ ،
٣٢٨ ، ٣٢٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ،
٣٤٨ ، ٤٠٦ ، ٤٣٦ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦٢ ،
٦٣٩ ، ٦٣٤ ، ٦٣٩
السوسة ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٦٣٢
سوق عكاظ ٣٠٦ ، ٣٠٩
السويداء ٣١ ، ٣٤٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٣ ،
السويداء - أنظر ويران شهر
سويدان الجزيرة - سويدان الشامية ٥٨٢
السويدية - السويدية ٥٧٢ ، ٥٩١ ، ٦٢٨
سويسرا = سويسرة ٤٩٨ ، ٦٨٤
السويعية ٥٨٤
سويلم - السويلمة ٣٦٢ ، ٥٨٣
سيال - السيلة ٥٧٩ ، ٥٨٥
السيحة ٦٦٠
سير البيض ٥٣٩
سيفر ٦٥٥ ، ٦٥٦
السين ٥٤٣ ، ٥٥٥
سيناء ١٤ ، ١٨٨
سيواس ٦٧٦ ، ٦٧٩
سيورك ٦٦٤

« ش »

الشاخي ٣٧١
الشادوف ٤٩١
الشاشانيا ٦٨٣
شاطي ٥٦٧
شاقوصية ٥٣٧
الشام - البلاد الشامية - الحدود الشامية ٥ ، ٩ ،
١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ،
٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ،

الشنبيل ٢٥، ٢٧	٦٢٩، ٦١٦، ٦١٤، ٦٠٨، ٦٠٦
شنشار ١٠٩	شبة ٣٩٥
شها ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٣٥	شبعاء ٣٨٦
شويحة ٥٤٤	شباتة ٢٢٥، ٤٤٤
شيحة ٥٠٣، ٥٠٤	الشجرة ٤١٠
شيخ أحمد ٥٥٣	شجرة التائهة ٤٠١، ٤١٩
الشيخ حمد ٦٤٥	الشحيل ٥٧٠، ٥٨٠، ٥٨٢
الشيخ حميد ٤٣٧	الشدادى ٥٩، ٦٠، ٥٨١، ٦٤٤، ٦٤٥
شيخ ربيع ٥٤٥	الشرايع ٥٩٧
شيخ زحيل ٥٤٢	شريع ٥٥٣
الشيخ سعد ٣٧٣، ٣٧٨	شرقاط ٥٤٤
الشيخ عجبل ٦٤١	الشرقوق ٥٩٠
شيخ عيسى ٥٤٥	الشركس ٦٨٣
الشيخ كاسون ٤٩٦	شرموخ ٢٣
الشيخ منصور سراقه ٤٣٧	شربة ٥٦٣
الشيخ هلال ٥٢٠، ٥٣٠	شريعة المنظور - أنظر وادي اليرموك
شيخ يحيى ٥٥٩	الشريفة ٥٤٧
الشير ٥١٧	الشطيب ٣٦٤، ٥١٨
شيزر ٧٨	شعارة ٤٠٣، ٤٠٣، ٤٢٣
« ص »	الشعبانية ٤٠٩
صابويران ٦٧٢	شعرا ٥١٧
صافة ٥١٧	الشعفة ٥٨٥
صافية ٥٦٣، ٥٦٠	شعيب ٥٦٣
صافيتا ٤٨٤، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠	شعيب العاه ٣٧٩
الصالحية = دورا أوروبس ٢٥، ٥٦، ٥٩، ٥٧٤،	الشعر ١٩٦
٥٧٦، ٥٨٤، ٥٨٥، ٦٧٨	شقا ٥٩
صالحية دمشق ٣٧٧	شقحب ٣٩٧
صبحة - صبيحة ٤١٧، ٥٨١	شقرة ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٧٤
صبورة ٣٨٥، ٣٩٧	شكر حاج ٦٥٩
صبيخان ٥٨٢	الشلالة ٥٤٢، ٦٣٢
صدد ٤٤٠، ٤٥٥	شمارق ٥٤٥
صراريف ٥٤٤، ٥٤٥	شمارين ٥٤٥
صراع ٥٢٨	شمر ٦٧٧
الصرة ٣٦٢	شمس الدين ١٨، ٥٥١، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠
الصرمان ٦٩٣	شمعة ٥١٦
الصرصات ٥٦٤	شميشاط ٧٧
	الشميطية ٥٧٧، ٥٧٨

ضبان ٥٨١
الضمير ١٨ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٣٤٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ،
٣٨٦ ، ٣٨٨
الضنية ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٨٣

« ط »

طابان ٦٤٢ ، ٦٤٥
الطابونية ٥٨٥
طابية ٥٦٧
الطار ٥٠٥ ، ٥١٧
طار الغزال ٣٩٥
طاشلي هيوك ٦٧٧
الطائف ٦٩ ، ١٦٠
طبرستان ٦٧٥
طحنة ٥٥٨
طحنة الصغيرة - طحنة الكبيرة ٥٥٩ ، ٥٦٣
طرابلس الشام ١١ ، ٢٧ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٤ ،
١٠٧ ، ١١٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ،
٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٣٠ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨
طرابلس رقم ١ - طرابلس رقم ٢ - طرابلس رقم ٣ -
طرابلس رقم ٤ - محطات نفط ٦٣ ، ٦٤

طربة ٣٩٠ ، ٤١٩
طرطب ٢٣
طرق العلب ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٤٦٦
الطريف ٥٧٨
الطف ٤٢٣
طلافيح ٥٤١
طلف ٦٧٧
الطليحة ٥١ ، ٦٣
طوال ٥٦٠
طوال دباغين ٥٠٣
الطوب - طوبة ٣٩٨ ، ٥٧٩
طوخارتمو ٥٦٤
طوخار سلامة ٥٦٤
طوق الخليل ٥٥٩
طويحينة ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٠
طويريج ٥٤٩

صرين ١٥١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٦٧٢
صعبية ٥٤٢

صعيد مصر ٧١ ، ٥٥٤
الصفاء - أنظر حرة الصفاء
الصفح ٦٦٧
صفد ٣٩٨ ، ٦٩٣

صفرة ٦٤٨
الصفافة ٥٦٣ ، ٥٨٩
الصفية ٦٦٦
صفيرة ٥٤٠

صفين - صفينة ٢٥ ، ٤٤٨
صليا ٣٩٥ ، ٥٠٢
صلخد ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٣١
الصليب ٦٧٧
الصمان ٤٤٥
صنايا ٥٥٩

الصنبر - الصنبرة ٥٨
صندلية الصغيرة - صندلية الكبيرة ٥٥٧
صهين ٤٥

الصوانية ٣٤١
الصور ٢١ ، ٣٩٩ ، ٤٧٤ ، ٥٤٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٥ ،
٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٣

صور اللجة ٤٠٢ ، ٤٢٣
صوران - صويران ٥٤٥ ، ٥٥١
الصورة الكبيرة ٤٢٢

صورية ٥٩
صوفر ٤٧٥
صيدا ٤٠٩
صيقل ٥٠ ، ٦١
الصين ٥٧ ، ٧٤ ، ٧٩

« ض »

ضابية ٦٧٧
الضاهرية ٥٤٥
الضرس ٣٩٠ ، ٤٢٦
ضرية ٢٢٩

ضريح الشيخ فرج الحسيني (أبو حية) ٨٨ ، ٩٤

عذرا = عذرة = عذراء ٢٥٢، ٣٤١، ٣٥٧، ٣٧٢،
٣٧٣، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٥، ٣٨٦،
٣٨٨، ٣٨٧
العذيب ٨٤
عراجة ٤١٥
عرادة ٦٤٦

العراق ٥، ٨، ٩، ١٤، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٤،
٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٤٣، ٤٦، ٥١،
٥٢، ٥٥، ٥٨، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩،
٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨،
٧٩، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩١، ٩٢،
٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٧، ١١٣،
١١٧، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٨، ١٨٨،
٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٤٠،
٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٦٤، ٢٦٤، ٢٩٦،
٢٩٩، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢١،
٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٤،
٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٨، ٣٩٢،
٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧،
٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٣،
٤٤٤، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٦،
٤٦٨، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣،
٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١٣، ٥١٤،
٥١٧، ٥٢١، ٥٢٩، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥،
٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٦٠، ٥٦٢،
٥٦٨، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩،
٥٨١، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٧، ٦٠٤،
٦٠٨، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥،
٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١،
٦٢٢، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٢،
٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٩، ٦٤٠،
٦٤٣، ٦٤٤، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٥، ٦٥٦،
٦٦٢، ٦٦٥، ٦٧٦

العراق الأسفل ٥١
عرب حسن صغير ٥٦٤
عرب الملك ٦٩٣
عربان ٢٣

الطيارية ٥٦
الطيانة ٥٨٢
طبيب الفال - طيبة الفال ٥٧٩، ٥٨١
الطيبة ١٩، ٢٦، ٢٧، ٤٥، ٦١، ٨٤، ٤٩٧، ٤٠٢،
٤٣٣، ٤٤٦، ٥٣٩

« ظ »

ظهر البيدر ٤٧٥

« ع »

عاجنة الرحوب ٤٥
العارض ٣٥٨
عارودة الصغيرة - عارودة الكبيرة ٥٦٣
عازوكارومينوتوتش ٣٤١
عاصم الزيتون ٤٠٢، ٤٢٣
العاصمية ٥٥٣
العاقورة ٤٧٥
عاقولة ٥٨٣
عال ٣٧٣
عاليه ٤٧٥
عامودة - عمودة ٢٣، ٢٤، ٦٣٢، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣
عامودية ٣٩٧
عانة ٢٤، ٩٧، ٩٨، ٤٤٣، ٥٠٩، ٥٨٠، ٦٢٨
عاهرة ٤١٩
عبادة ٣٨٤
عب الخزنة ٥٢٨، ٥٣٥
العبد ٥٧٨
عبدا ٣٤٠
عبوية ٥٥٣
العتيبة - قرية ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٦
عتيل ٤١٦
العثمانية ٥٤٠
عجاجة ٢١، ٦٤٢، ٦٤٥
عجلون ١٨، ٣٦٢، ٣٦٥، ٤١٣، ٤١٦، ٤٣٥، ٤٤٧
العجم - عجمي ٢٤٤، ٥٥٢
عجوزية ٥٥٣
عدن ٧٥ ح

العلا - شرق المعرة ٨٧، ١٠٠، ١٠٨، ١١١، ٣٦٣،	عربيد ٥٥٣
٤٣١، ٤٣٥، ٤٩٩، ٥٠٩، ٥١٦، ٥٢٣،	العرجة ٦٢٨
٥٤٤، ٥٢٩، ٥٢٦	عرش قيباز ٦٧٣
العلباوي ٥٠٢	عرشونة ٥٣٠
علمين ٣٩٥	عرض - أنظر الطيبة
علوة ٦٤٥	العروس ٥٩٠
علي باجلية ٥٩٠	عري ٥٤٥
عليقة ٦٧٧	العريش - العريشة ٥٥٤، ٧٠٢
العمارة ٧٢	العمرة ٥٣٠، ٥٥٠
عمّان ٦٩، ٢٤٢، ٢٩٩، ٦١٤	عز الدين ٤٥٤، ٥٠٦
عمّان ١٤، ٥٩، ١٦٠، ٦٧٨، ٦٩٣، ٦٩٤	العززية ٥٢٨، ٥٤٢
عمرة ٤١٩	عسان ١٠٩، ٥٤٢
عمركان ٦٤١	عسلية ٦٧٢
العمري ٦٤٠	عسير ٦١٤
عمشة ردة ٥٣٠، ٥٣٦	عسلية ٦٩٣
العمياء ٣٤١	العشارة ٢٥، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٨٢
العميقة ٥٤٧	عشارنة ٦٧٣
عنز - عنيزة ٣٥٨ ح، ٤١٤، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١،	عشة ٣٩٧
٥٥٣، ٥٥٥، ٥٦٢	عطشان - عطشانة ٥٠٤، ٥٤١، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٩٢
العنقاوي ٥٤٦	عطشانة الشرقية - عطشانة الغربية ٥٤٢
عنيز ٥٥٥	العظامات ٥٩٧
العوجة ٥١٧، ٥٤٤، ٥٨٣، ٥٨٥	عفرين ٦٧٣
عوسج الصغيرة - عوسج الكبيرة ٥٥١، ٥٦٠	العقبة ٥٩
عويشية ٥٥٣	عقدة ٥٦٨، ٥٧٢، ٥٨٤، ٦١٣، ٦٣٦
العوينة - العوينات ٤٠٢، ٥٢٩، ٥٤٠، ٥٥٣، ٦٢٨	عقرب - عقربة ٥٣٩، ٦٧٣، ٦٧٧
عباش ٥٧٨	عقلة أبو حامضة ٦٣٩
العيد ٢٣	عقلة جهان ٥٢٨
عيدمون ٦٧٧، ٦٨٠	عقلة الصواب ٤٦٨
العيس = قنسرين القديمة ٥٤٢	العقير ٤٤٥
عيسى بكلي ٦٧٧	عقيربات ١٠، ١٨، ٤٤، ٥٩، ٣٢١، ٣٤١، ٤٤٦،
عيشة ٥٥٣	٤٤٩، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٣٠، ٥٣٢
عيطة ٣٤١	عقيربات السويد ١١١
عين - عيون ٤١٣	عكا ١٠٧، ٣٦٢، ٤١٨، ٤٨٣
عين ابن حرشان ٦٣٢	عكار ٣٩٩، ٥٤٤، ٦٥٧، ٦٧٧، ٦٨٠
عين أبو جمعة ٥٧٦، ٥٧٨	العكارى ٤٧٨
عين أم الثيران ٤٢٦	عكرة ٥٢٨
عين الباردة ٤٤، ٤٩، ٦١، ٤٤٠، ٤٥١، ٤٥٤، ٦٠١	عكش ٤٩٩

عيون الحمر ٦٧٨	عين الباشا ٣٩٥
« غ »	عين البيضاء ٢٧، ٣٠، ٥٠، ٤٤٦، ٤٥٦
الغارية ٤١٤	عين جالوت ٩٣، ٣٦٢
الغازلي ٥٩٠، ٦٠٦	عين الجاموس ٥٦٣
غباغب ٤٠٢	عين الجبابة ٢٧، ٤٩، ٨٤، ٤٣٣
الغبيرة ٥٨٤، ٥٨٦	عين الحجل ٣٩٥
غدير أخو سعدة ٥٨٣	عين حمراء ٣٩٥
غدير بزاعة ٣٩١	عين حور ٣٩٥
غدير البستان ٣٩٧	عين الحنازير ٤٤، ٤٩
غدير الحاج ٤٢٨	عين دائرة ٨٠، ١١٠
غدير حاوي الصفا ٣٩١	عين ذكر ٤٠٧، ٤٠٨
غدير حاوي عواد ٣٩١	عين زارا ٣٩٥
غدير شريفة ٤٥١	عين زبيد ٣٤١
غدير العجل ٣٩١	عين زيدان ٦٩٣
غدير العصابات ٤٢٨	عين سمسم ٦٧٧
غدير القصابات ٤٢٨	عين السوداء ٥٤٧
غدير الماء - غدير الماء ٥٨٣، ٥٩٧	عين الشاطر ٥٦٣
غدير محمود ٣٩١	عين صرمان ٦٩٣
غدير نمارا ٣٩١	عين صولح ٦٩٣، ٧٠٢
غراسة ٢٣، ٦٠، ٦٢٦	عين ظاظا ٦٩٣
غرانيح ٥٨٥	عين عائشة ٦٧٧
الغرة ٥٦٧، ٦٣٢، ٦٤٦	عين العرب ٧٧، ٥٤٥، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٦٥٨
غرة الصغيرة - غرة الكبيرة ٥٥٧	٦٧٠، ٦٧١
غرور ٥٤٥	عين العروس ٥٩٢
غربية ٥٧٩، ٥٨٢	عين العزف ٥٣٩
غزاوية ٥٦٠	عين عيسى ٥٩٠، ٦٠١، ٦٠٤
غزلانية ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٦	عين القمقوم ٢٧، ٤٩، ٣٧٣، ٤٥١
غشام ٥٦٧	عين الكروم ٢٧
غص البحيح ٥٨٣	عين الكوم ٤٣، ٦١، ٤٥٧، ٥٤٤
غصم ٤٠٢، ٤٠٣	عين مران ٤٤٦، ٤٥١، ٤٥٦
غلان ٦٧٧	عين هلبا ٤٤٠
غنية - غمت ٥٥٩، ٥٦٤	عين وديسر ٧٧
الغور - بحوران ٤٠٦	عين وردة ٣٩٥
الغور - غور الأردن ٥٧ ح، ٦٤، ٣٧١	عين الوعول ٤٤، ٤٩
غور بيسان ٤٠٩، ٤١٦، ٤١٧	عيناتا ٤٧٨
غوطة دمشق ٢٥، ٦٢، ٨٦، ٩٢، ١٠٩، ١٧٤	عينتاب ٩٩، ٥٥٥
	العيور ٤٤٨

الفركلس - الفركلس ١٨، ٥٩، ٦٤، ٨٤، ١١١،
٤٥٦، ٤٥٤، ٤٥١، ٤٣٣، ٣٧٣، ٣٤١، ٣٢١

الفرن ٣٩٥

فرنسا ٣٦، ٧٩، ١١٢

فروان ٥١٧

الفريفي ٤٤٥

فريكة ٥٤٦، ٥٤٧

فزارة ٣٩٥

فزازة ٦٩٣

فزون ٤٣٠

فشخابور ٣٠

فلسطين ٥، ١١، ١٤، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٨٠،

٩١، ٢٤١، ٣٤٨، ٣٦٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٨،

٤١٠، ٤١٧، ٤٤١، ٥٤٤، ٦٨٠، ٦٩٣

فندق الحمراء ٦٠٢

الغنط - جنوبي الجزيرة العربية ٦٨

الفياض ٥٨٣

فيد ٦١٣

فيروزة ١٠٩، ٤٥٢

فيضة قبايق ٥٦

فيق ٣٦٢ ح، ٣٧٣، ٤٠٤، ٤١٠، ٤٨١

« ق »

قادرية ٦٧٧

القادسية ٧٩، ٥٨٧

قازقلي ٥٥٧

القاسية ٣٨٥

القاشلي ٦١١، ٦١٢، ٦٢٥، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٥،

٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٢

القاشلية ٢١ ح، ٢٣، ٣١ ح، ٧٧، ٦٢٨، ٦٣٢،

٦٢٨، ٦٤٣، ٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦١

القاهرة ١١، ١٥١، ٦٨٦، ٦٩٤

القائم ٦٣، ٥٧٤

قبا حيدر ٦٦٥

القباردينو ٦٨٣

قبة دهان ٤٢٣

قبتان - قبتين ٥٣٩، ٥٤٥

١٩٦، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤٠٥، ٤١٨،

٤٢١، ٤٢٥، ٤٣٣، ٥٠٣، ٥١٤، ٥٨٥

« ف »

فاح ٥٤٣

فاخورة ٣٩٥

الفار ٢٥، ٢٧

فارات ٥٥٧

فارس ٥٨، ٧٤

فاطسة ٥٨٠، ٥٨١

فاقي حسن ٦٧٧

فايا ٣٤١

الفتحة ٦٣

الفحام ٦٩٣

الغدغي ٤٦، ٦٠، ٥٨١

الفدين ٥٨

الفرات ٨، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤،

٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٥٥،

٥٦، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٧،

٨٦، ٩٢، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨،

١١١، ١١٢، ١٢٠، ١٢١، ١٨١،

١٨٢، ١٩٨، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٦١،

٣٢١، ٣٤٠، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦٣، ٣٦٤،

٣٦٥، ٣٦٨، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٢، ٣٩٦،

٤٢٤، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٦، ٤٥٩،

٤٨٧، ٤٩٩، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٢٢، ٥٢٥،

٥٢٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٥،

٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢،

٥٦٥، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٣،

٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١،

٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠،

٥٩٧، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٧، ٦٠٨،

٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦٢٥، ٦٢٩ ح،

٦٣٢، ٦٣٤، ٦٣٧، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٦،

٦٥٥، ٦٧٠، ٦٧٨، ٧٠٢

الفرج - فرجة ٣٩٥، ٥٩٢

فرس الصغيرة - فرس الكبيرة ٥٥٧

القصر الأبيض - أنظر البيضاء	قبر أمية ٥٥٩
قصر الأزرق ٥٨ ، ٥٩	قبر إيمة - قبر إيمو ٥٦٠ ، ٥٦٤
قصر البريج ٥٥٢ ، ٥٥٣	قبر بنية ٥٥٩
قصر جبل سيس ٥٨	قبر المعزى ٥٥٢
قصر حلقوم ٢٨	القبق = القبح - أنظر قفقاس
قصر الخير - قصر الخير الشرقي - قصر الخير الغربي	قبيلية ٦٧٧
٢٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٤٢٤	قبلها ٥٠١
قصر الخزانة ٥٨ ، ٤٢٤	قبور البيض ٢٣ ، ٦٣٢ ، ٦٦١
قصر سكرة ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٤٨	القدس = بيت المقدس = أورشليم ١٤ ، ٦٥٣ ، ٦٨٦
قصر الصواب ٥٦ ، ٥٩	القرأ ٤١٥ ، ٤٢٥
قصر طوبى ٥٨	قراياش ٦٧٣
قصر عبد العزيز ٦٤٣	القرايم ٣٩٠
قصر القابن ٦٧٢	قراطي ٥١٧
قصر المحرم ٥٠٣	قراقر ٣٧٩
قصر المشتى ٥٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨	قرحتا - قرحتة ٣٨٤ ، ٣٩٥
قصر الموقر ٥٨	القرشاي ٦٨٣
قصر غارة ٤٢٩	قرطل ٦٧٣
قصص ٥٤٨	قرع الغزال ٥٢٨
قصور السلامة ٤٩١	قرقور ٥٤٧
قصبان ٥٨٣	قرقيسيا - أنظر البصرة
القصير ٣٨٥ ، ٤٤٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٥٠١ ، ٦٨٠	قره تبة ٦٦٢
القصيم ٢٦ ، ٣٥٨ ، ٤٤٥ ، ٦١٤	قره جة طاغ ٦٦٤
القطار ٥٩٢	قره موج ٥٥٤
قطر ٤٤٥	القريات = قريات الملح ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٤١٧
قطر - قرية ٥٥٣	القرية ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٥٦٣
قطرانة ٣٩٥	القريتين ١٨ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٥ ، ٢٩٤ ، ٣٢١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٥٩
قطرة ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٣٢ ، ٥٣٥	قرجل ٦٧٧
القطعة ٥٤٠ ، ٥٧٩	قرل مزرعة ٥٤٥
قطقط ٥٢٠ ، ٥٣٠	القسطل ٥٨
قطننا - قطنة ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٣٧٧	قسطنطينية ٥٧ ، ٥١١
القطيط ٥٣٦	قسطنون ٥١٦ ، ٥٤٤ ، ٥٤٧
القطيف ٩٥ ، ٤٤٥ ، ٤٦٢	قشلة يوسف باشا ٥٥٧
القطيفة ٣٨٥	قصي - قصبة - قصبة ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٥٨٧
القنطرة = الجعارة ٢٥ ، ٢٨ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ١١٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠	قصر ابن وردان ٢٧ ، ٣٤١ ، ٤٩١ ، ٥٠٤
٥٠٢ ، ٥٥١ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٦٠٤ ، ٦٠٨	
قعطية ٥٨٣	

٦٩٩، ٦٩٤، ٦٩٣، ٦٩٢، ٦٨٠، ٤٠٤	قفار ٦١٣
قنيطرة - بالجزيرة ٦٢٨	القفقاس = القوقاز = القبق = القبق ٣٩٣، ٦١١،
قنيطرة حراق ٥١٦	٦٧٦، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٩١،
قوچار ٥٥٧	٦٩٥، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٢
قورت ٥٥١، ٥٥٠	قفقاسيا الشمالية ٦٨٣
قورد درة ٥٥٦	القلبان الخمسة - أنظر آبار المويحة
القورية ٥٨٢	قلدون ٦٧٧
القوصحة ٦٨٣	قلش ٥٨٣
قولجوق ٦٧٧	القلعة ٤٢٨
قونية ١٥١، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٩	القلعة - أنظر الرحبة
قيراطة ٤٢٣	قلعة البرقع ٥٤، ٥٩
القيروان ١٤٨	قلعة جعبر = دوسرية ٢٤، ٢٥
	قلعة الحصن ٤٨٣، ٤٨٤
« ك »	قلعة حلبية ٢٥
كابو الصغيرة - كابو الكبيرة ٥٥٩	قلعة الرحبة ٢٥، ٥٩، ٥٨٠
كاف ٢٩	قلعة الزرقاء ٤٠٥
كافر الصغيرة ٦٧٤	قلعة زلبية ٢٥
كاوشية ٥٦٠	قلعة ساءة ٤٠٢، ٤٢٣
كاوكلي ٥٥٠	قلعة المضيق ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠٥
كبرة ٦٧٧	قلعة النجم ٥٦٠
كبليية ٦٧٧	قلعيات ٥١٧
كبير ٦٧٧	قلمون ٣٩١
كبسة ٢٦، ٢٠٣، ٦١٤	قماري ٥٤١
كدادا ٥٦٠	قحانة ٥٠٤، ٥٢٧
كديم ١٩، ٢٧، ٤٤٦، ٤٥٧، ٤٩١، ٥٣٠، ٥٣٢،	قنا شمالي - قنا قبلي ٥٥٩
٦٠٦، ٥٤٤	قناة دوش ٤٩١
كراتين ٥١٧	قناة السويس ٣٧٦
كربلاء ٤١٣، ٤٤٣، ٥٧٧، ٦٤٣	قناة كديم ٤٩١
كربلات ٦٥٩	قناطر ٥٤١، ٥٤٢
كريبلي ٥٦٤، ٦٧٧	قنسرين - وانظر العيس ٥٢٣، ٥٣١
الكرج - أنظر جورجيا	قنطرة ٣٤٠، ٦٧٧
الكردستان ٦٥٤	قنعبه ٣٩٥
كردواغ - أنظر جبل الأكراد	قنفوز ٥٤٦
كرسنتة ٥١٦	قنوات ٤١٦، ٤٢٢
الكرك ١٩٦، ٢٧١، ٤٠٢، ٤٠٣	القنية ٦٨٠
كركور ٥٣٩	قنيطرات ٥٣٩
كركونك ٦٣، ٣٩٦، ٤٢٣، ٤٥٥، ٦٣٧، ٦٤٣، ٦٥٤	القنيطرة ٨٧، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧،

كركوك ١ - كركوك ٢ - كركوك ٣ - محطات	كفين ٥٤٥
نفط ٦٣	كلكلي ٥٦٤
كرمان ٨١	كباخ ٦٧٩
كرمنشاه ٦٥٤	كاري ٥٤٢
كره صور ٦٥٩	كناكر ٣٩٧
كريبية ٥٥١	كنائس ٥١٧
كريفات ٦٢٨	كندور ٦٦٣
كريم ٤٢٣، ٤٠٣، ٤٠٢	كنفو ٤٧٧
الكربين ٥٥٣	كواشرة ٦٧٧
كسب ٦٨١	كودنة ٣٩٧
كسرة ٥٦٧، ٥٦٦، ٥٦٣	الكورة ٤٧٥
كسرة محمد آغا ٥٩١	كورهيوك ٥٥٢
كسروان ٤٧٥، ٤٤٤	كوسنيا ٥٤٢، ٥٤٣
الكسوة ٣٩١	الكوفة ٢٤، ٢٤، ٨٤، ١٤٨
كسيحة ٦٣٢	كوكب ٥٠٤
كشكية - جشجية ٥٨٥	كوكب الهوا ٦٤
كشمة ٥٨٢	كوكبة ٥٥٦
كشيش ٦٧٧	كول تبه ٣٤٠
الكعبة ١٣٩	الكوم ٢٦، ٢٧
الكفر - الكفير ٤١٦، ٥١٧، ٥٤٧	الكويت ٣٥٨، ٤٤٥، ٤٥٩
كفر تخاريم ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٨	كويس الشرقى - كويس الغربى ٥٥٣
كفر حارب ٤١٠	كيارية ٥٥٩
كفر حداد ٥٤١	كيبرد ٣٤٠
كفر حوت ٥٣٩	الكير ٥٩٠
كفر سيرين ٢٤	كيلان ٦٧٥
كفر الدوار ٥٥٤	
كفر طاب ٧٨	
كفر عبيد ٥٤١	
كفر عجم ٥٠٤	
كفر نفاخ ٦٧٧	
كفر يهود ٥٠٦	
كفر كا ٦٩٣	
كفر هو ٥٠٤	
كفر ناي ٥٤٥	
كفرونة ٦٢٨	
كفريا ٥١٧	
الكفرين ٣٨٤، ٣٤٢	
	« ل »
	لابدة ٥٥٩
	اللاذقية ٣٤٨، ٤٤٧، ٤٧٧، ٤٨٦، ٥٠١، ٦٥٧،
	٦٥٨، ٦٧٢، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨١، ٦٩٣،
	لبنان ٦٦، ٨٠، ٣٤٨، ٣٩٩، ٤٠٦، ٤١٨، ٤٣٦،
	٤٥٤، ٤٥٥، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨٢،
	٤٨٣، ٤٨٧، ٥٤٤، ٥٩٣، ٦٧٧،
	اللجاء ٣٧٠، ٣٧٢، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤١٠،
	٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣١،
	اللجاء الشمالى ٥٩، ٦٧٧، ٦٩٣،
	لحف الصفا الغربى ٤٢٨، ٤٢٩،

محطة أبو الظهور - محطة أبو الظهور ٥٢٤ ، ٥٢٥ ،
٥٤٠ ، ٥٣٨ ، ٥٣٥ ، ٥٣٢ ، ٥٣١
محطة تل كوجك = محطة تل كوشك ٣٠ ، ٦١٩ ،
٦٢٨ ، ٦٢٩
محكان ٥٨٠
مجبيل ٥٤٤
المحميات ٧٥ ح
مخفر الجبلية ٦٧٢
مخفر الحمام ٥٨٩ ، ٥٩٧
مخفر محسن ٥٩٣
المدائن ٥٤٣
المدينة (ليست بالمدينة المنورة) ٥٣٩
مدينة الغزال ٥٣٩
مدينة الفار ٦٠١
المدينة المنورة ٢٩ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ،
١٢٨ ، ٣٥٨ ، ٤٠٧ ، ٤٣١ ، ٦٦٨ ، ٦٩٩
مراط - المراطي ٤٢٦ ، ٥٦٧
المرامي ٤٩٩
مران - مرانة ٣٩١ ، ٥٥١
مربعات بيضة ٥٣٩
مربودة ٥٤١
مرقي كوي ٣٤٠
مرج ابن عامر ٦٤ ، ٣٩٣ ، ٦٨٠
مرج الحمراء ٤٤٦
مرج الخصمية ٤٥٤
مرج دابق ٦٧٨ ، ٦٨٦
مريخ الدر ٦٩٣
مرج دمشق - مرج الغوطة ٨٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ،
٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٤٢٥
مرج السلطان ٦٩٣
مرج القطا ٦٧٧
مرجعيون ١٦ ، ٣٩٤
المرحمية ٥٤٠
مردة ٥٥٨
مرعش ٦٥٢ ، ٦٧٥
مرعناز ٥٤٦
مروح ٥٤٨

لحف اللجاء ٤٢٢ - ٤٢٣
لطمين ٥٠٤
لفتايا ٤٧٨ ، ٤٨٢
لقطة - لقيطة ٥٤٩ ، ٥٩٢
القلوق ٤٧٥
لندن ١٥٧ ، ٦١٩
لوزان ٦٥٥ ، ٦٥٦
لوطيات ٣٩٥
ليزيغ ٣٨ ، ١٧

« م »

ماء النيرة ٤١٧
ماردين ٢١ ، ٢٣ ، ٦٠ ، ٦٢٥ ، ٦٦٨
مارع ٥٤٥
ماريت ٦٦٢
مامش العلباوي ٣٤١
ماعص ٣٩٧
ماكسين ٧٨
المالحة ٦٠
مبرك الناقة ٣٧٢
المتاعية ٤٠١ ، ٤١٩
المجامع ٣٩٥
مجيبرة ٧٠٢
المجدل ٥٠٥
مجدولة ٣٩٥
مجرى تختاني - مجرى فوقاني مجرى وسطاني ٥٥٩ ،
٥٦٠
مجيبدل ٤١٨ ، ٤٢٣
مخاريمية ٥٤١
مخاشن ٤٥
مخترق صغيرة - مخترق كبيرة ٥٥٩ ، ٥٦٤
مخجة ٤٠٣ ، ٤٢٢
المخسة ٤٢٣
مخسنة ٦٧٢
مخسلي ٥٦٤
مخشية الطواحين ٥٥٧
مخردة ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦

المشرق ٨١	مريخ الدر ٤٩٩
مشقوق ٤١٤	مريبط ٦٠٢
مشنقة ٢١	مريجب ٥٢٨
مشهد ٥٨٠	المرعية ٥٧٨
مشهد الإمام علي ٥٨٥، ٥٨١	مريقص ٥٤٢
مصر ٥، ١٣، ١٤، ١٨، ٥٧، ٦٦، ٦٧، ٧٣، ٧٤،	مريمين ٥٤٧، ٥٤١
٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٩٠،	مزبورة ٥٤٩
٩٣، ٩٤، ١٠١ ح، ١٤٨ ح، ١٤٩ ح،	المزرعة ٤٣٧
٢٠٤ ح، ٢٤٢، ٢٤٤، ٣٠٧، ٣٢١، ٣٧٦،	مزرعة بابا روس ٦٧٢
٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٠٦، ٤٧٩،	مزرعة دلفين ٤٥٤
٥١١، ٥١٢، ٥٥٤، ٦٥١، ٦٨٤، ٦٨٦، ٦٨٨،	مزرعة العلا ٥٤٦
المصطفوية ٦٦٠	الزيريب ٣٦٢، ٣٧٣، ٤٠٦
المصلحة ٥٨٤	مزين ٦٥٧
مصايف ٤٤٧، ٤٧٧، ٥٠١، ٦٧٢، ٦٧٧،	مساجد ٧٠٢
المطخ ٥٣٤، ٥٣٨، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٥،	مستجد نقيب ٥٨٨
مطخ قنشرين ١١٠، ١٢٢، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٩،	مستريحة ٥٦٠
٥٣٠، ٥٣٤، ٥٣٨، ٥٤٠، ٥٦١، ٥٦٣،	مستنقع الخندق - افلعة حلب ١٠٥
مظلوم ٥٦٧	المسطاحة ٥٥٩، ٦٠٦
المعالجة ٥٩٢	مسعدة ٣٤١، ٥٠٢
معان ١٨	مسعود ٥٠٢
معان - قرية ٥٠٤	المسعودي - المسعوديات ٦٢٨
معادن ٥٥٠، ٥٩١	مسقط ٢٤٢
معجل ٥٧٩	مسكنة = بالس ١٨، ٢٥، ٢٧، ٥٠، ٦٠، ٨٤،
معادن ٤٣	١٠٠، ٣٤٠، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٥٨،
المعرة = معرة النعمان ٨٧، ٩١، ٩٦، ١٠٠، ١٠٤،	٥٦١، ٥٦٣، ٥٨٨، ٥٩٥، ٥٩٧، ٦٠١، ٦٤١،
١٠٥، ١٠٨، ١١٢، ١٢٢، ٣٤٣، ٣٩٢،	مسكنة ٤٢٣
٣٩٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٩٧، ٥٠٥، ٥٠٧،	المنامية ٥٤٥
٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٦، ٥٢٠،	منمية ٣٤٢، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٢٢، ٤٢٣،
٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٣،	المنيب ٤١٣، ٥٧٧
٥٤٥، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٩٣،	مسيعد ٤٤٨
معزاف ٥٠٦، ٥١٧،	المسيفة ٤٠٢
معرة الخان ٥٤٦	المشارع ٥٨٣
المعلق ٥٠	مشتق بيت حسن ٤٧٨، ٤٨١، ٤٨٦،
معلقة ٣٩٥، ٣٩٧،	مشتق بيت حمود ٤٧٨، ٤٨١،
المعمورة ٣٢٧، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٧٣،	مشرع ٦٦٦
٣٧٤، ٣٨٣، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٩٦،	المشرفة - المشرفة ١٠٩، ٣٦٢ ح، ٣٩٧، ٤٥٢،
٥١٦، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٤٩،	٤٥٤، ٥٠٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥٤٩،

ملحة تدمر ٤٨، ٣٠
 المملكة السعودية ٢٨، ٣٠، ٥١، ١١٧، ١٥٧،
 ٤٣٤، ٤٠٤، ٣٧٨، ٣٧٣، ٣٦٨، ٣٢٢، ٣١٦
 مناخير ٤٦، ٤٩٩، ٥٨٩
 مناظر ٢٥، ٢٦، ٤١، ١٠٩، ٢٩٤، ٤٣٣، ٤٥٩،
 ٤٩٠
 منبج ٦٠، ١١٠، ١١١، ١٢٢، ١٥١، ح، ٣٩٦، ٥٢٣،
 ٥٢٦، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١،
 ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧،
 ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣،
 ٥٦٤، ٥٨٧، ٥٩٠، ٥٩٧، ٦٧٢، ٦٧٧،
 ٦٩٤، ٦٩٣
 المنبطح ٥٩٢
 المنزول ٤٥٥
 المنصورة ٣٩٣
 المنطار ٥٣٥، ٥٤٧
 منظر الصفر ٥٥٢
 منعايا ٥٣٩، ٥٤٢
 منكلي ٥٩٠
 منكوبة ٥٥٩
 منوة ٢٩
 مها الياش ٥٣
 مهاشم ٣٤١
 مهين ٣٤١، ٤٤٠
 موآب ١٦، ١٨
 موحسن ٥٧٨، ٥٧٩
 مودان ٤٨٢
 مورك ٥٠٣
 موصل ٢١، ٢٣، ٥٦، ٧٧، ٨٤، ٩٧، ١٠٦، ٣٩٦،
 ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٤٤،
 ٥٤٨، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٥،
 ٥٨٨، ٥٩١، ٦١٢، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٣،
 ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٣، ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٥٢،
 ٦٥٣
 موسية ٦٩٣
 موية ٣٩٥
 المويلح ٥٠٥، ٥٧٩، ٥٨١

٥٩٧، ٥٥١، ٥٥٠
 معيان ٤٤٦
 معيشية ٥٦٧
 معصران ٥٠٣
 المعصرة ٣٨٥
 مغارة ٥٤٩
 مغارة أم السرج ٥٥٩
 المغرب ٨١، ٨٢، ٢٠٤ ح
 مغرة الديب ٤٦٨
 مغرتين ٥٦٤
 مغلة ٥٤٨
 المغلوجة ٦٣٢، ٦٤٨
 مغيدة ٥٤٧
 مغير - مغيران ٥٣٩، ٥٦٠
 مغيزل ٤٩٩
 المفرق ١٨، ٦٣، ٦٤، ٤٣١
 مفلسة ٥٤٨
 مفعلة ٤١٦
 مقبلة حسن آغا ٥٥١
 مقتلة ٥٠١، ٥٤٩، ٥٥٨
 مقتلة قرب بيرة ٥٦٠
 المقرن الشرقي - المقرن الشمالي - المقرن القبلي
 ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥
 مقطع الحجر - مقطع الحجر الصغير - مقطع الحجر
 الكبير ٥٤٨، ٥٥٨
 المقطوعة ٥٨٥
 مقبرة ٤٩٦
 مكة ٦٩، ٧١، ٧٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٣٩، ١٧٢،
 ٣٧٧، ٦١٥، ٦٦٨
 مكتلة ٦٧٠، ٦٧١
 مكسر الحصان ٣٤١، ٤٤٨، ٥٠٠
 المكين ٥٠٢
 ملاح ٥٦٣، ٦٠١
 الملولح ٥٢٨
 مليحة حزقل ٤٠٢، ٤٣٣
 ممالح البوارة ٤٦٠، ٦٣٢
 ممالح الروضة ٣٠

نخلة ٥٦٠	مويخت ٥٨٣
الندويات ٢٧	المياطين ٢٥، ٥٦، ٤٦٨، ٤٨٧، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١،
النارة ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٣٩٠	٥٧٢، ٥٧٦، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤
النيلة ٥٧٩	ميافارقين ٢١، ٧٦، ٧٧
نصف تل ٦٦٨	ميدعة ٣٤٢، ٣٨٦
نصيبين ٢١، ٢٣، ٣٠، ٦٠، ٧٦، ٦١٥، ٦٣٧،	ميرخان ٦٧٧
٦٦٧، ٦٦١، ٦٦٠، ٦٤١	ميرزا شهيد ٦٧٧
نعة ٤٧٨	ميس ٤٧٤
نعمانية ٥٣٩	ميل ٥٥١
النعمية - النعمية ٤٠١، ٤٩٩، ٥٥٧،	» ن «
النفود ٨، ٢٨، ٣٠، ٤١، ٥١، ١١٧، ٢٤٥، ٣٧٣،	
٣٧٩، ٤٤٣، ٦٢٣	ناب ٤٠٤
النقيب ٤١٠	نابلس ٥١٣
نهاوند ٥٨٧	الناصرية ٤٣، ٥٠، ٣٧٣
النهدين ٤٣٩	ناعور - الناعورة ٦٠٢، ٦٩٣
نهر الأعوج ٣٧٣	نبيع الصخر ٣٩٥
نهر تترك ٦٨٤	النبك ٤٣، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٥٤، ٤٥٥
نهر التف ٦٤٢، ٢٢	نبل ٥٤٥
نهر الجام ٢٢	نجارة ٥٥٣
نهر الجراح ٦٦٠	نجد ٨، ١٥، ٢٤، ٣٦، ٥١، ٥٧، ٦٦، ٧١، ٧٢،
نهر الجرجب الكبير ٧٠٢	٧٣، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠١، ١٠٧، ١٠٨،
نهر جيحون ٦٧٥	١١٣، ١١٧، ١٨٢، ١٨٣، ٢٢٩، ٣٤٣،
نهر الخابور ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٤٠، ٤٣،	٢٨١، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٥٩،
٤٦، ٥٩، ٦٠، ٧٧، ٧٨، ١٢٠، ٣٢٠، ٣٦٥،	٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٧١،
٥٤٩، ٥٦٢، ٥٦٥، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٥،	٣٧٤، ٣٧٥، ٣٩٠، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧،
٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٣، ٦١١، ٦١٢، ٦٣٢،	٤٠٨، ٤١٦، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦،
٦٣٧، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤،	٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٦،
٦٤٨، ٦٦٢، ٦٦٣، ٧٠١، ٧٠٢،	٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٨١، ٥٠١، ٥٠٧،
نهر الدجلة ١٨، ٢١، ٣٠، ٥٩، ٦٣، ٧٠، ٧٢، ٧٦،	٥١٢، ٥١٤، ٥٤٣، ٥٥٣، ٥٦٠، ٥٦٨،
٧٧، ٤٥٩، ٤٥٢، ٥٧٤، ٦١١، ٦١٥، ٦١٦،	٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٩، ٥٨٤، ٥٩٣، ٥٩٧،
٦٢٢، ٦٥٢، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠،	٦٠٧، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٧،
نهر الذهب ٥٥٣	٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٣٦،
نهر الرقاد ٤١٠	٦٣٧، ٦٤٢
نهر الساجور ٦٨١	نجران ١٣٤، ٤١٩، ٤٢٣
نهر الشريعة ٦٤، ٥٤٤	النجف ٨
نهر الشمساني ٢٢	نجم الزهور ٥٢٨
نهر العصا ٦٤، ٣٦٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٥٤٦، ٥٩٣،	النجيج ٤٢٣

الهيث ٢٦، ٥٥، ٥٩، ٤١٥، ٦١٤، ٦١٦
الهيحانة ٥٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩١، ٤٢٥
الهيشة ٥٩٠، ٦٠٢

« و »

وادي الأزرق ٢٩، ٣٨٩، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧
وادي أضم ٧٠
وادي الباردة ٤٤، ٣٧٨
وادي بركات ٣٩٠
وادي تل تورلا ٣٤٠
وادي التناهة ٥٣٠
وادي الب ٤٢
وادي التيم ٤١٨
وادي الثرثار ١٨، ٧٨
وادي الجعجغ ٦٣٩
وادي جهنم ٥٢٨، ٥٣٥
وادي الحديدية ٦٠٢
وادي الحرامية ٤٥
وادي الحلقوم ٢٨
وادي الحمار ٤٢٧
وادي حوارين ٥٨، ٣٤١، ٤٤٠
وادي حوران ٢٨، ٤٧، ٥٥، ٦٣، ٦٤، ٣٦٣، ٤٤٣،
٤٩٩، ٥٧٤، ٦١٥
وادي حوريان ٥٦
وادي الخابور الأوسط ٥٦٨
وادي خالد ٤٥٥، ٤٧٣، ٤٧٤
وادي الدواسر ٤٩٠، ٦١٧
وادي الراجل ٣٩، ٥٤، ٤١٩، ٤٣١
وادي راويل ٤٨٣
وادي الرتقة ٢٨، ٥٦، ٥٨٣
وادي الرتيبات ٥٦
وادي الرس ٢٣٥
وادي الرقاد ٣٩٣
وادي الرمة ٧٠، ٧٢، ٣٥٨، ٣٦١
وادي الرمل ٣٠
وادي زركان ٦٤٥، ٦٤٦
وادي الزيدي ٤٠١

٦٥٧، ٦٧٤، ٦٨٠

نهر العلان ٤١٠
نهر قوبان ٦٨٤
نهر الكبير ٤٥٦، ٤٧٣، ٤٨٣
نهر الكيبو ٣٤٠
نهر ميدعاني ٣٨٧
نوى ٢٧٣، ٤٠٢، ٤٥٥
النواعمة ٢٣
النوانية ٣٩٥
النيطه ٥١٧
النيل ١٨

« هـ »

هامة ٥١٤
الهبارية ٣٩٨، ٤٣٩
هبرة الشرقية - هبرة الغربية ٣٤١، ٤٤٨
هبيط ٥١٧
هجة ٣٩٧
هجين ٥٨٥
هدهد ٥٥٩
هذلون ٢٣
هركولانو ٤٣٠
هرماس - انظر جفجغ
الهرمل ٤٨٧
الهرري ٥٨٤، ٥٨٦
الهزانة - الهزاني ٥٢٩، ٥٤٠، ٥٥١
هصبا ٥٨٣
الهكشة ٥٩٢
الهلل الخصب ٦٧، ٧٣
الهلبي ٣٧٣، ٥١٦
الهمانية ٥٢٨
الهند - الهندية - هندية ١٤، ٥٧، ٧٤، ٧٩، ٢٤٤
٤٦٥، ٥٤٩، ٥٨٩
هواري ٥٤١
هواهيوك ٦٧٧
هوهر ٥٤٠
الهلل ٦٤٨

واسط - في الصفا ٤٢٦
وبا ٥٨٣
وحشرة ٣٩٥
الوديان ٢٥، ٢٨، ٥١، ٥٥، ١١٧، ١٢١، ٣٦٣،
٣٧٣، ٤٤٦، ٤٥٩، ٤٩٦، ٥٠٩، ٥٢١، ٦١٥
وديدة ٥٤٨
وردة - وريدة ٥٢٨، ٥٦٠، ٥٦٣، ٥٦٤، ٦٠١
وركة ٥٧٧
وضحة ٥٦٣
الوعر ٦٧٧
وعرة اللجاة ١٨، ٢٩، ٥٩، ٧٦
وقم ٤٢٢
ويران شهر = السويداء ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧،
٦٦٨
ويرب ٥٠

« ي »

يامادية ٦٧٧
يبرود ١٩٦
يثرب - أنظر المدينة المنورة
يحمول ٥٥١
يدي كوي ٣٤٠
ير الله ٦٧٠
يران ٥٥١، ٥٥٧
اليرموك ٧٩، ٤١٠، ٤٤٧
يلانلي ٥٥١
ينحا ٥١٧
يهودية ٣٩٥
يوجاك ٣٤٠
اليوسفية ٦٢٢
اليامة ٦٩، ٧١، ٧٢، ٨٣
الين ٥٧، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٠، ١٣٣،
١٣٤، ١٤٧، ٢٧٢، ٢٩٩، ٤٢٨، ٤٨٠
٥٦٢، ٥٧٣، ٥٨٧، ٦١٣، ٦٣٦، ٦٨٦

وادي السرحان ٨، ١٥، ٢٩، ٣٠، ٥١، ٥٩، ١٠٨،
٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٩
٣٨٣، ٤٠٥، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٧٣، ٦١٧
وادي السلاهي ٤٦٨
وادي السمك ٤٠٩
وادي السوس ٦٥٩
وادي السير ٦٩٣
وادي الشام ٣٩٠، ٣٩١، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩
وادي الشريعة ٦٨٠
وادي الصاد ٥٦٧
وادي الصواب ٢٨، ٤٧، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٤، ٤٦٦،
٤٩٩
وادي عامج ٢٨، ٤٧، ٥٥، ٦٣، ٣٦٣، ٦١٥
وادي العجم = حرمون ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٧،
٣٩٨، ٤٠٢
وادي العجيج ٣٠، ٤٧، ٥٦، ١٢١، ٦٣٢
وادي العذيب ٥٠، ٤٩١، ٥٣٦
وادي عرار ٣٩٠
وادي عكاش ٢٨، ٤٧، ٥٦
وادي علي ٢٨، ٥٦، ٥٧٤
وادي الغاب ٥٤٦
وادي غرز ٣٩٠، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٨
وادي القير ٥٥
وادي الكبير ٤٥
وادي اللو ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٥
وادي المحمديات ٦٣
وادي مسعود ٤١٠
وادي معربة ٦٤
وادي المقاط ٥٣، ٥٤
وادي المقطع ٤٤٥
وادي موسى ٤٦٤
وادي المياه ٢٨، ٤٧، ٥٦، ٦٤، ٤٦٦، ٤٦٨، ٥٣٠،
٥٨٣، ٥٩٧، ٦٠٨
وادي النعيم ٣٧٩
وادي الهيل ٤٦٨
وادي الوغرة ٥٦
واسط في الجولان ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥

محتوى الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
من ابن إلى أبيه	أ
العلامة أحمد وصفي زكريا	ج
التمهيد	٥
مكتبة البدو : ماألف عن البدو	١٣
جغرافية ديار البدو : الشامية ٢٤ ، الزور ٢٥ ، المناظر ٢٦ ،	١٨
الشبل ٢٧ ، الدو ٢٧ ، الوديان ٢٨ ، القعرة ٢٨ ، الحماد ٢٨ ، حرة	
الراجل ٢٨ ، وادي السرحان ٢٩ ، الإقليم ٣١ ، النجعة ٣٤ ، قصيدة الأمير	
عبد القادر الجزائري ٣٦ ، الحيوان والنبات ٤٠ ، التضاريس والجبال ٤٣ ،	
المياه في البادية ٤٨ ، منطقة الآبار ٤٨ ، أسماء الآبار ٤٩ ، منطقة الحماد	
والخبرات ٥١ ، منطقة الوديان ٥٥ ، الأرصفة والقصور والحصون	
والسدود ٥٦ ، الطرق المعبدة وأنابيب النفط ٦٣ ،	
تاريخ البدو : أقسام القبائل ٦٧ ، القحطانية والعدنانية ٦٨ ، هجرات	٦٦
العرب ٧٤ ، بدو الجزيرة الأولون ٧٥ ، بدو الشامية الأولون ٧٨ .	
القبائل في صدر الإسلام ٧٩ ، أحداث البدو في العهد الأموي ٨١ ، أحداث	
البدو في العده العباسي ٨٢ ، في عهد سيف الدولة بن حمدان ٨٤ ، في عهد	
الماليك ٨٦ ، أصل أمراء الموالي ٨٦ ، تاريخ الأمير عيسى بن مهنا ٨٩ ،	
تاريخ الأمير مهنا الثاني بن عيسى ٩٠ ، الحياريون ٩٦ ، تاريخ أمراء	
الموالي الأخير ٩٧ ، قصة الأمير عساف مع والي حلب ١٠٣ ، قصة الأمير	
ملحم ١٠٤ ، حفظة الطرق من الأسر الإقطاعية ١٠٦ ، مجيء عزرة ١٠٨ ،	
إسكان العشائر ١١٠ ، أصلان باشا ١١٠ ، عهد الملك فيصل ١١٢ ، عهد	
الفرنسيين ١١٢ .	

الصفحة

الموضوع

- أوصاف البدو : أوصافهم البدنية والروحية ١١٤ ، النجعة وأنواعها ١١٦ ، أقسام البدو ١١٧ ، أهل الإبل ١١٧ ، أهل الغنم ١١٩ ، أهل الفلاحة ١٢٢ ،
- الحالات الاجتماعية عند البدو : وفود العرب على كسرى ١٢٤ ، الرجل في أهله ١٢٦ ، أسباب التنافر بين البدو ١٢٩ ، تأثير المناخ في البدو ١٣٢ ، العصية العربية قبل الإسلام ١٣٥ ، مناقب العرب في الجاهلية ١٤٠ ، الشار عند العرب وصفته الدينية ١٤٢ ، قول ابن خلدون في حق البدو ١٤٦ ، قول كلوت بك ١٤٨ ، قول عباس العزاوي ١٥٢ ، قول انتناس الكرملي ١٥٤ ، قول أديب وهبة ١٥٦ ، قول حافظ وهبة ١٥٧ ، قول خير الدين الزركلي ١٦٠ .
- رأي الفرنسيين في البدو : قول المقدم مولر ١٦١ ، قول كاتب افرسي آخر ١٦٢ ، قول الرئيس رينو والطبيب مارتين ١٦٣ .
- التقاليد والعادات عند البدو : التكوين الاجتماعي عند البدو ١٧٤ ، النسب عند العرب ١٧٦ ، العشيرة وتآليفها ١٨١ ، العشائرية ١٨٢ ، الطبقات في العشيرة ١٨٤ ، المشيخة وشروطها ١٨٥ ، الانفصال أو تبديل التبعية ١٩٢ ، الصداقة بين العشائر ١٩٣ ، الحرب بين العشائر ١٩٤ ، بيوت البدو ١٩٥ ، داخل البيت ٢٠٠ ، حلال البدو أو منازلهم ٢٠٢ ، لباس رجال البدو ٢٠٣ ، لباس النساء ٢٠٥ ، حالة المرأة في البادية ٢٠٥ ، صحة البدو ٢٠٩ ، الزواج ٢١٢ ، الطلاق ٢١٤ ، الخطف ٢١٥ ، الخطف الجبري ٢١٥ ، الخطف بالرضا ٢١٦ ، العرس ٢١٨ .
- قضاء الوقت واللهو عند البدو ٢٢١ ، شرب القهوة عند البدو ٢٢٢ ، طعام البدو ٢٢٤ ، قري الضيف ٢٣٠ ، أسلحة البدو ٢٣١ ، الرحيل ٢٣٢ ، أعمال البدو : الصناعة ٢٣٦ ، الزراعة ٢٣٦ ، الرعي ٢٣٦ ، الغنم ٢٣٧ ، الخيل ٢٣٨ ، الإبل ٢٤٠ ، الصيد ٢٤٤ ، التجارة ٢٤٦ ، الغزو ٢٤٧ ، حقوق الغزاة ٢٥٥ ، التضامن البدوي ٢٥٦ .

الموضوع	الصفحة
القضاء عند البدو : التشريع البدوي ٢٥٧ ، المحاكمات الحقوقية لدى البدو ٢٦١ ، انتخاب القاضي ٢٦٢ ، القضاة ٢٦٣ ، الرزقة ٢٦٣ ، أسماء العوارف المشهورين ٢٦٤ ، الكفلاء ٢٦٤ ، الشهود في الدعاوى ٢٦٥ ، الحكم ٢٢٦ . الحلف أو القسم ٢٦٦ ، البيع ٢٦٨ ، الشفعة ٢٦٨ ، الميراث ٢٦٩ ، الوثيقة ٢٧٠ ، الحشم ٢٧١ ، البشعة ٢٧١ .	٢٥٧
الحقوق الجزائية لدى البدو : الانتقام في البداية ٢٧٢ ، الرزقة ٢٧٣ . أنواع الجنايات ٢٧٣ ، القتل ٢٧٤ ، الصلح بين الأفراد ٢٧٦ ، تقسيم دفع الدية واستيفائها ٢٧٩ ، جريمة المرأة ٢٧٩ ، الجرح وتعطيل العضو ٢٨٠ ، الدخالة ٢٨٠ ، الصلح بين العشائر ٢٨١ ، التعويض والحفر والدفن ٢٨٣ . السرقه ٢٨٤ ، التجاوز على رفيق الطريق ٢٨٤ ، تقطيع الوجه ٢٨٥ ، التجاوز على الضيف ٢٨٥ ، حقوق الطنيب ٢٨٦ ، التجاوز على الناصي ٢٨٧ ، أحكام الزنا الجبري ٢٨٧ ، الزنا بالرضاء ٢٨٨ ، خطف النساء والبنات ٢٨٨ ، جرائم الجنح عند البدو ٢٨٩ ، قطع الجيرة ٢٩٢ ، الخوة ٢٩٣ .	٢٧٢
المعارف عند البدو .	٢٩٦
الدين عند البدو .	٢٩٩
الشعر عند البدو .	٣٠٢
تحضير البدو .	٣١٦
إصلاح حال العشائر	٣٢٤
القرار رقم ١٣٢ ل ١٠ /	٣٢٧
ملحق رقم ١ وملحق رقم ٢	٣٤٠
ملحق رقم ٣	٣٤٢
ملحق رقم ٤	٣٤٣

محتوى الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٣٤٧
تعداد العشائر ووصفها :	٣٥٥
عشائر محافظة دمشق : قضاء دوما ٣٥٧ ، عنيزة ٣٥٧ : مواطنها ٣٥٨ ، هجرتها ٣٦١ ، تاريخها ٣٦٤ ، منازلها ٣٦٥ ، جدول نسب عنيزه ٣٦٦ . الروالة ٣٦٨ : تاريخهم ٣٦٩ ، منازلهم ٣٧٣ ، أقسامهم ٣٧٤ ، سيرة الأمير نوري الشعلان ٣٧٥ ، نسب آل الشعلان ٣٨٠ ، الحلف ٣٨١ ، الأشاجعة ٣٨١ ، السوالمه ٣٨٣ ، العبد الله ٣٨٣ ، الجبلان ٣٨٤ ، الحمامة ، الحسيكات ، الوهيب ، الصياد ٣٨٥ . حرب ، عقيدات الغوطة ٣٨٦ ، الغيات ٣٨٧ .	٣٥٧
قضاء وادي العجم ٣٩١ ، قضاء قلمون ٣٩١ ، قضاء الجولان ٣٩١ : آل فضل ٣٩٢ ، النعم ٣٩٦ ، اللهب ٣٩٨ .	
عشائر محافظة حوران	٤٠١
قضاء درعا ٤٠١ ، العيسى ٤٠١ ، قضاء إزرع ٤٠٢ : السلوط ٤٠٢ ، قضا الزوييه ٤٠٤ ، الولد علي ٤٠٤ ، الدياب ٤٠٩ ، التلاوية ٤٠٩ ، المنظرة ، الكلابات ، الضحيلية ٤١٠ .	
عشائر محافظة جبل الدروز	٤١٣
المساعيد ٤١٣ ، الشرافات ، العظامات ، الشنابله ٤١٤ ، الحسن ٤١٥ ، السردية ٤١٦ ، الجوابره ٤١٨ ، الغانم ، الحواسن ، الرييدات ٤١٩ .	
فصل جغرافي عن أوعار البادية	٤٢١
اللجة ٤٢١ ، ديرة التلول ٤٢٤ ، الصفا ٤٢٥ ، الإنسان الأول في حرّة الصفا ٤٢٩ ، حرّة الراجل ٤٣١ .	

الموضوع	الصفحة
عشائر محافظة حمص	٤٣٣
الروالة ٤٣٣ ، الولد علي ٤٣٤ ، الأسبعة ٤٣٤ ، الأحسنة ٤٣٤ ، منازل الأحسنة ٤٤٠ ، فرق الأحسنة ٤٤١ ، نسب آل ملح ٤٤٢ ، العمارات ٤٤٣ ، بنو خالد ٤٤٤ ، الفواعرة ٤٤٩ ، آل نعيم ٤٥٣ ، الحروك ٤٥٥ ، العقيدات ٤٥٦ ، العمور ٤٥٦ ، عمور المهارشه ٤٥٧ ، عمور الخرسان ٤٥٧ ، عمور الأبو حرب ٤٥٧ ، البدور ٤٥٨ ، النجاد ٤٥٨ ، الصليب ٤٥٨ .	
عشائر البلاد اللبنانية	٤٧٣
الزريقات ، العويشات ، العتيق ، الغنام ٤٧٣ ، عجرفة ، اللهب ، الأرامش ، الحمدون ، اللقلوق ٤٧٤ ، عرب المسلخ ٤٧٥ .	
عشائر محافظة اللاذقية	٤٧٧
قضاء مصيف : الزعيرات ، بني عز ٤٧٧ ، قضاء تللكخ ٤٧٧ : الدنادشة ٤٧٧ .	
عشائر محافظة حماة	٤٨٩
قضاء حماة وسامية ٤٨٩ : الأسبعة ٤٨٩ ، الأسبعة البطينات ٤٩١ ، الأسبعة الأعبدة ٤٩٧ ، فرق الأعبدة ٤٩٨ ، عقيدات حماة ٤٩٩ ، بنو عز الرعية ٥٠٠ ، التركي ٥٠١ ، البشام ٥٠٣ ، الجملان ٥٠٣ ، المشارفة الرعية ٥٠٤ ، الموالي ٥٠٤ ، الحديدديون ٥٠٥ ، السباطية ٥٠٥ ، الجماجة ٥٠٥ ، النعيم ٥٠٦ .	
عشائر محافظة حلب	٥٠٧
قضاء المعرة ٥٠٧ : الموالي ٥٠٧ ، فرق الموالي ٥١٦ ، الحديدديون ٥٢١ ، جدول فرق الحديدديون ٥٢٨ ، منازل الحديدديون ٥٢٩ ، فتن الموالي والحديدديون ٥٣١ ، الفتن بين عنيزة وعشائر الرعية ٥٣٧ .	
قضاء جبل سمعان ٥٣٨ : السكن ٥٣٨ ، الصعب ٥٣٩ ، السفارنة والفسانة ٥٣٩ ، الحديددون ٥٤٠ ، الأبو ليل وعقيدات جبل سمعان ٥٤٠ ،	

ولدة جبل سمان وإدلب ٥٤١ ، الأبوشخ ٥٤١ . البقارة ، الوهب ، الأبو شعبان ٥٤٢ . النعيم ، بني زيد ، اللهيب ٥٤٣ .

قضاء إدلب ٥٤٥ ، قضاء أعزاز ٥٤٥ ، قضاء جسر الشغور ٥٤٦ ، قضاء حارم ٥٤٨ ، قضاء الباب ٥٤٨ : الحديديون الغناطسة ٥٤٨ ، الوهب ٥٤٨ ، الكيار ٥٤٩ ، البوخيس ٥٥٠ ، الأبو بطوش ٥٥١ ، الحديديون الأبرز ٥٥١ ، المجادمة ، النعيم ، العون ، الأبو عاصي ، الأبو جيل ٥٥٢ . الفردون : الأبوسبيح ، التوامات ، الهنادي ٥٥٣ . بني زيد ٥٥٥ . قضاء عين العرب ٥٥٥ : الفدعان ٥٥٥ ، العون ٥٥٥ ، العميرات ٥٥٦ . قضاء جبل الأكراد ٥٥٦ ، قضاء منبج ٥٥٦ : الأبو دبش ٥٥٦ ، النعيم ، ولد علي ، الأبو بنا ٥٥٧ . التوامات ٥٥٨ ، بني سعيد ٥٥٨ ، الأبو سلطان ٥٥٩ ، العون ، الجلاد ، العميرات ، بني صعيد ، الأبو بطوش ، الأبو خيس ٥٦٠ . الولدة ٥٦١ ، قضاء جرابلس ٥٦٤ .

عشائر محافظة الفرات

٥٦٥

قضاء دير الزور ٥٦٥ : البقارة ٥٦٥ ، العقيدات ٥٦٨ ، شجرة نسب العقيدات ٥٧١ ، تاريخ العقيدات ٥٧٣ ، الأبو سرايا ٥٧٧ ، الأبو خابور ٥٧٨ ، الأبو ليل ٥٧٨ ، البكير ٥٧٩ . قضاء الميادين ٥٨٠ : ناحية المركز (الميادين) ٥٨٠ ، الجيش ٥٨٠ ، ناحية البصرة ٥٨١ ، ناحية العشارة ٥٨٢ ، الشويط ، الأبو رحمة ، الأبو حسن ، القرعان ٥٨٢ . قضاء أبو كمال ٥٨٤ : الحسون ، الدميم ٥٨٤ . الشعيطات ، الأبو مريح ، البوقاعان ، المجاودة ، المشاهدة ، الأبو حردان ٥٨٥ . المراسمة ، المراشدة ، الجغايفة ، الأبو بدران ٥٨٦ . قضاء الرقة ٥٨٦ : الأبو شعبان ٥٨٦ ، العفادلة ٥٨٨ ، الولدة ٥٨٩ ، الأبو عساف ٥٩٠ ، الأبو جرادة ٥٩٠ . السبخة ، الأبي سبيع ، الجماسة ٥٩١ . التركان ، الجيام ، المشهور ٥٩٢ . النعيم ٥٩٣ ، الفدعان الولد ٥٩٣ ، منازل الفدعان ، نسب الفدعان ٥٩٧ ، فرق الولد ٥٩٧ ، رئاسة الولد ٥٩٨ ، سيرة الأمير محم بن مهيد ٥٩٨ ، الفدعان الخرصة ٦٠٦ ، ولد سليمان ٦٠٨ .

الموضوع

الصفحة

عشائر محافظة الجزيرة

٦١١

شمر ٦١٢ ، تاريخ شمر ٦١٣ ، أقسام شمر ٦٢٠ ، سنجارة ٦٢١ ، الخرصة ٦٢٢ .
العبدة ٦٢٣ ، الأسلم ، التومان ، شمر الزور ٦٢٤ . شمر الحدود ٦٢٣ ، مكانة آل
الجرباء ٦٢٩ ، شجرة نسب آل الجرباء ٦٣٠ ، منازل شمر ٦٣٢ ، حوادث شمر
الأخيرة وخلافاتها مع جيرانها ٦٣٢ ، طيء ٦٣٦ ، الجبور ٦٤١ ، البو حمدان
٦٤٥ ، حرب ٦٤٥ ، بقارة الجبل ٦٤٦ ، قيس ٦٤٦ ، الشرايون ٦٤٧ .

العناصر غير العربية في البلاد الشامية

٦٥١

الكرد ، وصفهم وتاريخهم ٦٥٢ ، أكراد بلاد الشام ٦٥٧ ، المراعبة في عكار
٦٥٧ ، أكراد دمشق ٦٥٨ ، ميران ٦٥٩ ، الحسان ، أليان ، شيتية ٦٦٠ .
أطراف شهر ، بوبلان ، هاويركان ، المرسينية ٦٦١ . بينار علي ، ملائي
خضرائي ، دقوريه ، الكابارة ٦٦٢ . الكيكية ٦٦٣ ، المليية ٦٦٣ ، الملي ٦٦٤ .
سيرة إبراهيم باشا الملي ٦٦٦ ، البرازية ، خلجان ، علاء الدين ٦٧٠ .
الرزوان ، البيجان ، الشدادان ٦٧١ . الشيخان ، الكيتكان ، أكراد عثانو
٦٧٢ . الجوم ، العميقي ، اليزيدية ، دنادية ٦٧٣ . أكراد إبراهيم ٦٧٤ .

التركان ، أوصافهم ٦٧٥ ، تركان بلاد الشام ٦٧٧ .

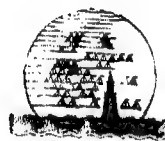
الشركس ٦٨٣ ، وصف بلاد القفقاس ٦٨٣ ، خلال الشركس وعاداتهم
٦٨٨ ، عشائر الشركس وقراهم ٦٩٢ .

الداغستان صفاتهم وأصلهم ٦٩٧ ، سيرة الشيخ شامل ٦٩٨ .

الشاشان ٧٠١ .

خاتمة ، مصادر مراجعة إضافية للجزء الأول ٧٠٤ .

٧٠٣



100

Organization of the Alex...
Orthodox School

100

